

منشورات اتحاد

المؤرخين العرب

ندوة

العرب وأوروبا عصر التاريخ

ندوة

عندما الاتحاد بقره في القاهرة

١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م

حصار

(٧٦)

لقطات سريعة من الندوة



وليكا تاريسك
باجاال يوسف رابا

قاعة

الاعلام ودراسة مجلس جمعية التاريسك

الجمع والإخراج الناظفي والخارجي
 دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية
 ٥ شارع ترعة المرطوية - الهوم - جيزة
 تليفون - فاكس رقم / ٣٨٧١٦٩٣

مجلس إدارة الجمعية
 ٢٧١ - ٢٧٢

اللقاء مع السيدات في فندق...
اللقاء مع السيدات في فندق...





Handwritten text in Arabic script, likely a caption or note related to the photographs.

أسما، السادة أعضاء الاتحاد المشاركين في
اللقاء بحوث بنشوة «العرب وأوروبا عبر عصور التاريخ»

١٦-١٨ نوفمبر ١٩٩٩م

اليوم الأول : الثلاثاء ١٦ / ١٠ / ١٩٩٩م

- ١- أ.د. عبد الكريم كرم (مصري) رئيس الجلسة
- ٢- أ.د. عبد العزيز إبراهيم المصري (سعودي) خطب الراشدين في البهر المتوسط
- ٣- أ.د. علي محمد علي عودة الفاعدي (سعودي) الرؤية الأدبية للعرب والإسلام خلال المنصور الواسطي (مصري)
- ٤- أ.م. أحمد محمد الدسوقي الترمي (مصري) المستوطنات العربية الإسلامية على سواحل جنوب إيطاليا وفرنسا (مصرية)
- ٥- أ.م. منى حسن أحمد محمود (مصرية) قاعدة ترونده ودورها في الجهاد ضد الفرنج والتوسع في أوروبا (١٠٧٠-١٤٤١هـ)
- ٦- أ.د. عبد اللطيف بن دهبش (مصري) رئيس الجلسة
- ٧- أ.د. حامد زيان غانم (مصري) صقلية مصر من معالم الحضارة العربية الإسلامية إلى أوروبا (مصري)
- ٨- أ.م. علي منصور نصر (مصري) معالم الحضارة الإسلامية إلى الغرب الأدنى (مصري)
- ٩- أ.د. سليمان ضيفج الرجلى (سعودي) نقد الآراء التاريخية حول علاقة الامبراطور شارلمان بالمسلمين (مصري)

- ١- أ.د. محمد بركات البيلى (مصرى)
بلاط الشهداء، وفتح المسلمين وراء جبال اليرت
- ٢- أ.د. إبراهيم عبد المنعم سلامة (مصرى)
التاريخ السياسى لعينة استعمرة الأندلسية (أردنى)
- ٣- أ.د. محمد عيسى صالحية (أردنى)
المستشرقون ودورهم فى التواصل الحضارى بين الحضارتين العربية والإسلامية والحضارة الأوروبية (دراسة معاصرة)
- ٤- أ.د. أحمد دراج (مصرى)
رجال ماريا ترميزا وتداوله فى البلاد السعودية فى عهد الملك عبد العزيز
- ٥- أ.د. محسن محمد صبحى (مصرى)
شركة باكستان والصراع على امتيازات الناجم فى مراكش
- ٦- أ.م. سعد بدر الخلوانى (مصرى)
مؤسسة التجارة الإنجليزية والبريترية السعودية لسنة ١٩٤٣ فى ضوء الوثائق الأهرامكية (مصرى)
- ٧- أ.م. عمر بن صالح سليمان العسرى (سعودى)
ظهور التنافس الأودى فى الخليج
- ٨- أ.د. محمد أحمد زيود (سورى)
النشاط القاطمى البحرى فى صقلية وضرب إيطاليا
- ٩- أ.د. محمد السيد عبد الفتى (مصرى)
العلاقات العربية الرومانية خلال القرن الأول الميلادى

١٠- أ.د. إلهام محمد على ذهنى (مصرى)

بلاد الشام فى كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين فى القرن الثامن عشر

اليوم الثانى : الأربعاء ١٧ / ١٠ / ١٩٩٩ م

- ١- أ.د. سعد زغلول عبد الحميد رئيس الجلسة (كردية)
- ٢- أ.د. حياة ناصر العيسى (مصرى)
- ٣- أ.د. مجاهد توفيق الجندى (مصرى)
- ٤- د. سهير محمد إبراهيم نعيم (مصرى)
- ٥- أ.م. إبراهيم بن محمد حمد المزنى (سعودى)
- ٦- أ.د. مهبة ناصر العيسى رئيس الجلسة (مصرى)
- ٧- أ.د. سحر السيد عبد العزيز (مصرى)
- ٨- أ.د. محمد بهجت تيسى (سورى)
- ٩- أ.د. محمد بهجت تيسى (سورى)
- ١٠- أ.د. محمد بهجت تيسى (سورى)

٥ - محمد عبد النعم الجبل

المقرر في الصارة الأندلسية في عصر الدولة الأموية ودولت الطوائف

٢٠٠٠ - ٤٠٠٠ الجلسة الخامسة

- الكلمة الافتتاحية لرئيس الأنداء

- حوار ونقاش واستفسارات من الأعضاء

٤٠٠٠ - ٥٠٠٠

اجتماع مجلس الإدارة

٥٠٠٠ - ٦٠٠٠

زيارة دار الوثائق المصرية

٦٠٠٠ - ٧٠٠٠

زيارة دار الوثائق المصرية

٧٠٠٠ - ٨٠٠٠

زيارة دار الوثائق المصرية

٨٠٠٠ - ٩٠٠٠

زيارة دار الوثائق المصرية

٩٠٠٠ - ١٠٠٠٠

زيارة دار الوثائق المصرية

١٠٠٠٠ - ١١٠٠٠

زيارة دار الوثائق المصرية

١١٠٠٠ - ١٢٠٠٠

زيارة دار الوثائق المصرية

١٢٠٠٠ - ١٣٠٠٠

زيارة دار الوثائق المصرية

١٣٠٠٠ - ١٤٠٠٠

زيارة دار الوثائق المصرية

١٤٠٠٠ - ١٥٠٠٠

زيارة دار الوثائق المصرية

١٥٠٠٠ - ١٦٠٠٠

زيارة دار الوثائق المصرية

١٦٠٠٠ - ١٧٠٠٠

زيارة دار الوثائق المصرية

١٧٠٠٠ - ١٨٠٠٠

زيارة دار الوثائق المصرية

١٨٠٠٠ - ١٩٠٠٠

زيارة دار الوثائق المصرية

١٩٠٠٠ - ٢٠٠٠٠

زيارة دار الوثائق المصرية

اليوم الثالث : الخميس 18 / 10 / 1999 م

٦- أ.د. حسين محمد ربيع

أ.د. اسحق تاوضروس عبيد

شمس العرب تسطع على بالرمو

أ.د. عبد المنعم إبراهيم الجبلي

موقف القرى الأوربية من حكم محمد على لبلاد الشام

أ.د. شوقي عطا الله الجبل

الصراع العرسي الأندلسي في شرق أفريقيا في النصف الأول من القرن السادس عشر

أ.د. وجيه عبد الصادق عتيق

العرب وألمانيا في الحرب العالمية الأولى

أ.د. سعيد مفاوري محمد

الهزات العربية بجامعة هايدلبرج بألمانيا مع ورثة فنانج مختارة منها

أ.د. علي محمد عودة الغامدي

أ.د. عبد الله عبد الرزاق إبراهيم

موقف السنوسيين من التقرب الأندلسي لشمال أفريقيا

أ.د. فيشان بن علي جريس

إقليم عسير في عيون الرحالة الأوربيين

أ.د. صلاح أحمد هريدي

القواعد الفرنسية في مصر في القرن الثامن عشر.

أ.د. محمد محمود السرورجي

العلاقات المصرية الفرنسية في ضوء الحرب المكسيكية الفرنسية

المحتويات

صفحة

٣ لقطات سريعة من الفترة
 ٣ أسماء السادة أعضاء الاتحاد المشاركين في بحوث الفترة
 ٩ كلمة الانتعاش - رئيس الاتحاد
 ١٧ ١. هيد النعم عيد الطهيم سيد
 الأسماء والألقاب الأثرية في النصوص الطبية
 في شمال غرب شبه الجزيرة العربية
 ٢١ ١.د. محمد السيد محمد عبد الفتى
 العلاقات بين العرب والرومان في القرن الأول للميلاد
 ٤٣ ١.د. علي محمد عودة الغامدي
 الرؤية الأثرية للعرب والإسلام خلال العصور الوسطى
 ٥٩ ٥. سعيد مغاوي محمد
 البرديات العربية بجامعة هايدلبرج بألمانيا
 ٨٩ ١.د. أسحق عبيد
 شمس العرب تنطق على بالرمو
 ١٢٥ ١.د. حياة ناصر الحوي
 أمراء على العلاقات الاقتصادية والاجتماعية بين دولة
 سلاطين الماليك وأوروبا أواخر العصور الوسطى
 ١٣٣ ١.د. سليمان الرجوب
 نقد الآراء التاريخية حول علاقة الامبراطور شارلمان ببنفسطين
 ١٤٥ ٥. صهيب محمد إبراهيم تميم
 التأثيرات الحضارية المتبادلة بين المسلمين والصليبيين في بلاد الشام
 ١٦٩ ٥. موسى أحمد عبد الله زيدان
 البناء الثقافي والعلمي لصقلية العربية
 ٢٠٩ ٥. أحمد محمد السوملي النومي
 الكيانات العربية الإسلامية على سواحل جنوب إيطاليا وفرنسا
 ٢٤١ ٥. جمال محمود مرموس
 ملامح أدلسية وإيطالية في خزفيات التوتلة القصيرية
 ٢٦٧ ١.د. الطاهر ذراع
 الصراع الصليبي الإسلامي في بلاد المغرب
 ٣٠٥

١٧١

١٧١ لقطات سريعة من الفترة
 ١٧١ أسماء السادة أعضاء الاتحاد المشاركين في بحوث الفترة
 ١٧٩ كلمة الانتعاش - رئيس الاتحاد
 ١٧٩ ١. هيد النعم عيد الطهيم سيد
 الأسماء والألقاب الأثرية في النصوص الطبية
 في شمال غرب شبه الجزيرة العربية
 ٢١١ ١.د. محمد السيد محمد عبد الفتى
 العلاقات بين العرب والرومان في القرن الأول للميلاد
 ٢٤٣ ١.د. علي محمد عودة الغامدي
 الرؤية الأثرية للعرب والإسلام خلال العصور الوسطى
 ٢٥٩ ٥. سعيد مغاوي محمد
 البرديات العربية بجامعة هايدلبرج بألمانيا
 ٢٨٩ ١.د. أسحق عبيد
 شمس العرب تنطق على بالرمو
 ٣٢٥ ١.د. حياة ناصر الحوي
 أمراء على العلاقات الاقتصادية والاجتماعية بين دولة
 سلاطين الماليك وأوروبا أواخر العصور الوسطى
 ٣٣٣ ١.د. سليمان الرجوب
 نقد الآراء التاريخية حول علاقة الامبراطور شارلمان ببنفسطين
 ٣٤٥ ٥. صهيب محمد إبراهيم تميم
 التأثيرات الحضارية المتبادلة بين المسلمين والصليبيين في بلاد الشام
 ٣٦٩ ٥. موسى أحمد عبد الله زيدان
 البناء الثقافي والعلمي لصقلية العربية
 ٤٠٩ ٥. أحمد محمد السوملي النومي
 الكيانات العربية الإسلامية على سواحل جنوب إيطاليا وفرنسا
 ٤٤١ ٥. جمال محمود مرموس
 ملامح أدلسية وإيطالية في خزفيات التوتلة القصيرية
 ٤٦٧ ١.د. الطاهر ذراع
 الصراع الصليبي الإسلامي في بلاد المغرب
 ٥٠٥

نعم... التاريخ مدرسة

باسم الله العلي العظيم نفتح هذا المهرجان العلمي الكبير، الذي يحسه اتحاد المؤرخين العرب في مثل هذا الوقت من كل عام، في هبة ندوة علمية، تتلاقى فيها العقول وتتآلف القلوب، وتطرح الآراء وتناقش الأفكار... الكل يحرم على المشاركة في هذا الملتقى ليفيد واستفيد، ويعلم ويتعلم، مؤمناً بقوله تعالى «وفوق كل ذي علم عليم». وإذا قلنا إن هذه العملية تتم بأكملها تحت مظلة التاريخ ودخل إطاره، فإن علينا أن نذكر دائماً أن التاريخ مدرسة الأمم والشعوب والأفراد ورحم الله السلطان الظاهر بيبرس إذ يقول: «سماع التاريخ أعظم من التجارب».

وباسم التاريخ، وفي رحاب اتحاد المؤرخين العرب نرحب في القاهرة بالأخوة الزملاء، والأخوات الزميلات، سائلين الله تعالى أن يكون لقاءنا دائماً خيراً... نسمياً ورواه الخير أجنبنا واجتمعنا، وفي أجزاء الخبر عدداً هذه الحلقة من حلقات العلم، وكثير العرب، وأمة العرب، وتاريخ العرب تعمل ونسعى، ولكرامة المؤرخ العربي وتأكيدها لمدوره البناء في خدمة العروبة - ماضيها وحاضرها ومستقبلها - نتطلع ونترقب لنحصد، حضرات الإخوة الزملاء، والأخوات الزميلات أعضاء اتحاد المؤرخين العرب حضرات الضيوف الكرام...

- أ.د. محمد عيسى صاغية ٢١٥
- المشتركون ودرهم في النواصل الحضارية ٢١٥
- أ.د. أحمد بن عمر الزيلعي ٢٤٥
- الريال الفرانسة وتداوله في البلاد السعودية في عهد الملك عبد العزيز..... ٢٤٥
- أ.د. شوقي عطا الله الجمل ٢٥٣
- الصراع العربي الأروبي في شرق أفريقية ٢٥٣
- د. عبد الكريم بوصطيف ٢٨٥
- الغزو الفرنسي للجزائر وموقف أوربا منه ٢٨٥
- أ.د. هشام بن علي بن جويهي ٤٠٩
- إقليم عسير في عيون الرحالة الأوربيين ٤٠٩
- أ.د. صلاح أحمد هريدي على ٤٦١
- التواجد الفرنسي في مصر في القرن الثامن عشر للبلاد ٤٦١
- أ.د. عبد النعم إبراهيم الجهمي ٤٨٣
- القرى الأروبية وحكم محمد علي باشا لبلاد الشام ٤٨٣
- أ.د. عبدالله عبد الرازق إبراهيم ٤٩٩
- موقف السنوسية من الغزو الأروبي لشمال أفريقية ٤٩٩
- أ.د. محمد محمود السروهي ٥٣١
- العلاقات المصرية الفرنسية في ضوء الحرب المكسيكية الفرنسية ٥٣١
- أ.د. مجاهد توفيق الجندي ٥٤٣
- الأهر منة الحلقة الفرنسية ٥٤٣
- أ.د. حسن محمد صهيبي ٥٥٩
- شركة مانسان والصراع حول امتيازات الناجم في مراكش ٥٥٩
- أ.د. وجهه عبد الصادق هتوق ٥٨٥
- العرب والحرب العالمية الأولى ٥٨٥
- أ.د. سعد بنهر الخلواني ٥٨٥
- مؤسسة التجارة الإنجليزية والميزانية السعودية ٦٤١
- لعام ١٩٤٣م في ضوء الوثائق الأمريكية ٦٥٩
- معرض اجتماع مجلس إدارة الإتحاد ٦٦٣
- كلمة الختام ٦٦٣

موضوع الندوة التي يعتقد اتحاد المؤرخين العرب هذا العام هو (العرب وأوروبا) وهو موضوع - كما يبدو في نظر المؤرخ الواحد - متشعب المناحي، متشعب الأقسام . ذلك أنه يتضمن علاقات وتيارات سياسية وحضارية ، سلمية وحمائية، بناءً وهدمًا ، بعضها يرتبط بالشرق أكثر من ارتباطه بالغرب ، والبعض الآخر يرتبط بالغرب أكثر من ارتباطه بالشرق، وفي هذا الحضم الزدهم بالخواص ، يرى الباحث في هذا الموضوع نفسه مضطراً لأن ينظر إلى الشرق بإحدى عينيه، وإلى الغرب بالعين الأخرى .

أما من الناحية الزمنية . فإن الباحث في موضوع (العرب وأوروبا) لابد وأن يضع نصب عينيه حقيقة كبرى، هي أن العالم في العصور القديمة والوسطى انحصر في ثلاث قارات : أوروبا ، آسيا ، وإفريقية . ونظراً سرعته إلى خريطة العالم عندئذ توضح أن سرير هذه القارات الثلاث كان العرب وبلاد العرب، وخاصة بعد أن ظهر الإسلام . ولجج المسلمون في حركتهم التوسعية ، وقامت على أكتاف العرب دولة كبرى امتدت من المحيط - أو بحر الظلمات - غرباً إلى حدود الصين والهند وأقليم الخليج شرقاً . وبعبارة أخرى فإن الدولة العربية الإسلامية امتدت في منطقة الشرق الأدنى، أجزاء واسعة في شمال إفريقيا وجنوب أوروبا . كما امتدت شرقاً لضم أجزاء واسعة في جنوب آسيا وغربها ووسطها . هذا فضلاً عن بلاد وأقاليم امتد إليها نفوذ العرب تحت مظلة الإسلام في غرب إفريقيا وشرقها ووسطها .

وإذا كانت هناك - قبل الإسلام - صلات وروابط العرب ببعض البلاد والأقاليم والحضارات السابق ذكرها ، فإن هذه الصلات كانت محدودة، تكاد لا تتعدى البلاد الملاصقة أو القريبة أو ذات المصالح التجارية مع عرب شبه الجزيرة ، مثل بلاد الشام، وشرق القارة الأفريقية ، ومصر، والبلاد المطلة على الخليج أو بحر فارس .

ولكن يظهر الإسلام تغيرت الأوضاع ، ذلك أن الد عز وجل أرسل محمداً عليه الصلاة والسلام (رسماً للعالمين) ، وليس ليد أو للإقليم أو للعرب وحدهم . ومن هنا أخذ الإسلام ينتشر في شتى أنحاء العالم المعروف، أو التي استطاع العرب المسلمون الوصول إليها . ومع نمو الدولة العربية الإسلامية واتساعها ، نشطت العلاقات بينها وأوروبا بالغات ، إذ صار للعرب دول ومستوطنات في صقلية وقبرص وكريت وأجزاء من جنوب إيطاليا وجنوب غاليا (فرنسا) ، فضلاً عن شبه جزيرة أيبيريا حيث قامت في الأندلس خلافة إسلامية عربية تنافس خلافة المشرق . وربما امتدت هذه العلاقات إلى ما وراء حدود دولة الإسلام، أي إلى الدول

المجاورة مثل دولة الروم أو الدولة البيزنطية من جهة، ودولة الفرنجة وإمبراطورية الغرب من جهة أخرى . ومن الأهمية بكان أن نلاحظ في تتبعنا لهذه العلاقات أنها اتخذت طابعاً سلمياً حضارياً وطابعاً حربياً أحياناً . ففي الجانب السلمى الحضارى شملت نقل الكتب والمؤلفات - وبخاصة اليونانية - في شتى العلوم والفنون إلى العربية ، وفي الجانب الحربى شملت الحروب الفاجعة عن حركة الفتح الإسلامية، فضلاً عن الغارات الدينية، ثم ما كان من أمر الحروب الصليبية .

على أن هذه الصورة للعلاقات بين العرب وأوروبا لم تستمر طويلاً ، إذ لم يلبث العرب أن هفوتوا على أساتذتهم الأرائل من اليونانيين والفرس والهنود وغيرهم من أخذ عنهم العرب في أرائل حركة الاقتتاع الحضارى تحت مظلة الإسلام . ومع الوقت برزت الحضارة الإسلامية العربية لتصبح أعظم حضارة عرفها العالم أجمع في العصور الوسطى . وكان أن اتقن العالم الأوروبى من غفوته في الشطر الأخير من تلك العصور ، ليجد نفسه أمام حضارة عربية إسلامية مزدهرة وأروفة ، فأقبل عليها في نهم وتشفق، حتى لقد أعجب بها بعض رجال الكنيسة أنفسهم، فقال أحدهم في صراحة وأمانة (إن العلم مأخوذ عن العربية) . فمن أراد أن يكون عالماً ، عليه أن يبدأ بتعلم العربية!

وإذا كانت أوروبا قد استمدت الكثير من أصول نهضتها الحديثة من العرب المسلمين وكتيبهم، وما قدموا من إضافات وما حققوه من إنجازات جديدة لم يعرفها اليونان وغير اليونان من قبل، فإن الوضع لم يلبث أن تغير بالنسبة للعرب . ذلك أن الحقبة الأخيرة من العصور الوسطى التي شهدت مولد النهضة الأوربية الحديثة، هي نفس الحقبة التي تعرضت فيها الدولة الإسلامية العربية - وحضارتها - للقبول والركود . وهكذا تغير وضع كفتى الميزان، وقامت نهضة أوربية حديثة حتى إذا ما اتقن العرب من سياتهم بعد عدة قرون - أي في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل التاسع عشر للميلاد - وجدوا أنهم تغلقوا كثيراً أمام حضارة أوربية بلغت درجة خائفة في التقدم العلمى والفنى . ولم يكن أمام العرب سوى الأخذ عن الأوربيين، والإنفاذ عما حققوه في نهضتهم الأوربية الحديثة . فكفوا على ترجمة المؤلفات من اللغات الأوربية إلى العربية، كما أرسلوا البعثات التعليمية إلى أوروبا للإنفاذ ومحاولة اللحاق بمن سبقوهم .

وأخيراً ، فإن ثمة حقيقة ينبغي ألا نتفوتنا ، هي أن أوروبا عندما أخذت عن الحضارة العربية

في النصوص النبطية في شمال غرب الجزيرة العربية

الأنباط شعب عربي الأصل يتكون من عدة قبائل هاجرت من بؤادي الحجاز نحو الشمال إلى منطقة مدين وأستقرت في منطقة البترا . (في وادي موسى الحالي على بعد حوالي ١٤٠ كيلو مترا شمال مينا العقبة) خريطة رقم ١١ حيث أستقطروا المياه وأسهم بعثق مع هذه الكلمة فكلمة دنيط . عربية قديمة وردت في النصوص النبطية بالصيغة «نيط» بمعنى استقطر الماء بحفر الآبار (Pictou 1982 , p. 290) وكان واثمهم للهجرة إلى هذه المنطقة السيطرة على الشريان الاقتصادي الجبوري في غرب الجزيرة العربية وهو ما سببه الباحثون والطريق التجاري العظيم أو وطريق الذهب والبخمر نسبة إلى أهم السلع التي كانت تنقل على طول هذا الطريق والذي كان يبدأ من حضرموت جنوبا مارا بعواصم الدول العربية القديمة مثل «شيرة» عاصمة دولة حضرموت وواقع عاصمة دولة «قنبان» و «أارب» عاصمة دولة بيا ثم «قرنار» عاصمة دولة معين ثم لحيان في شمال اليمن ومنها يتجه نحو الشمال إلى العلا عاصمة دولة لحيان ومدائن صالح و العاصمة الثانية لدولة الأنباط حتى يصل إلى منطقة

* أساتذ التاريخ القديم والآثار - كلية الآداب جامعة الاسكندرية .

الإسلامية . كانت هذه الحضارة تتحرك داخل إطار من المتل الخلقية مستهدفة النفع والخير والصلاح والمخاطب على القيم الروحية. أما العطاء الذي قدمته أوربا - وما زالت تقدمه - للعرب وغير العرب في العصور الحديثة، فيتصف مطّظه بما أسره التعود من كيوة الدين، ولذا فإنه في بعض جوانبه لا يتقيد بالأحكام السماوية، بكل ما تنصف به هذه الأحكام من صلاح وغيره ونفع ، ولذا فإن تأثير النهضة الأوروبية الحديثة، في العالم العربي وغير العربي، لا يخلو من بعض جوانب السوء . التي جعلت الاقتراب من أوربا وحضارتها الحديثة يتطلب الثاني والخم في بعض الميادين، وذلك لاتقاء النافع والتعويض بين الثق والتسيب.

حضرات الإخوة الزملاء . أعضاء اتحاد المؤرخين العرب .

حضرات الأخوات الزميلات .

حضرات الضيوف الكرام .

إن موضوع هذه الندوة كما قلنا في البداية كبير، متعدد الأفاق، حافل بوجهات نظر متباينة، وعلينا في هذا اللقاء العلمي الحافل أن نلقى عليه المزيد من الأضواء . وأن نثري في إصدار الأحكام . جعلنا الله من الذين يستمعون القول فيستمعون أمسته .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ::::

د. سعيد عبد القناع عاشور

غير أنه رغم اتساع الانتحال الإتيهاط اللغة الآرامية والنطق الآرامي فإنهم مالبثوا أن غلبت عليهم سماتهم العربية الأصلية وظهر ذلك واضحا في لغتهم فقد دخلتها الكثير من الكلمات والتعابير العربية وبذلك صارت لهم لغة خاصة هي خليط من الآرامية والعربية يطلق عليها الباحثون «اللغة النبطية» ويضع هذا التأثير العربي بوجه خاص في الكثير من الأسماء النبطية فإن أغلبها هي نفس أسماء عرب الحجاز قبل الإسلام (مثل أوس) وخمير مثلا، وإن كانت بعض هذه الأسماء قد احتفظت في نهايتها بحرف والواو (مثل أوسا) الذي هو نهاية أسماء الأعلام في اللغة الآرامية، وقد بقيت هذه النهاية في بعض الأسماء العربية حتى اليوم مثل الاسم «عمرو» (Caillineau 1978, II, p. 165).

بيضا ظلت كثير من الكلمات في اللغة النبطية تنتهي بحرف الألف وهي أداة التوكيد في اللغة الآرامية وقد بقيت هذه الألف في نهايات بعض الأسماء العربية حتى اليوم، وهي ألف التنوين النهائية ومثال ذلك في كلمة «فريسا» (Ibid. p. 166) غير أن الأتيهاط في اتسحالهم للألقاب وأسماء الأعلام اليونانية الرومانية قد نهجوا نهجا آخر نظرا لأنها غريبة عن لغتهم وذلك بأن طوعوها إلى النطق النبطي واتبعوا في ذلك ما يلي:

١- حرف «الياهو» الثقيلة في اليونانية واللاتينية حولوها إلى حرف «الياهو» ولأنه أنه أمر طبيعي بسبب عدم وجود حرف الياء الثقيلة في اللغة النبطية ومثال ذلك كلمة hiparkos اليونانية صارت «هرف ردا» في النبطية، أي «الفارس» أو «القائد الخاص بالفارس».

٢- حرف «الياهو» حولوه إلى حرف «الياهو» رغم وجود حرف «الياهو» في اللغة النبطية ومثال ذلك كلمة epitropeia اليونانية صارت في النبطية «أب ر ف ي».

٣- حرف «الكاف» في اليونانية حولها الأتيهاط إلى حرف «الكاف» رغم وجود حرف «الكاف» في اللغة النبطية ومثال ذلك كلمة Nikiada صارت في النبطية «ن ي ق ي س».

وبالنسبة للألقاب اليونانية أضاف الأتيهاط إليها ألف التعريف النهائية في اللغة النبطية مثل Surategos بمعنى حاكم أو قائد صارت في النبطية «س ر ج ا» بمعنى القائد أو الحاكم.

أقدم شكوى امتثاني إلى الأستاذ الدكتور طهري عبد الوهاب أستاذ الآثار اليونانية الرومانية بكلية أداب الإسكندرية لفضله ومعاونتي في ضبط قراءة الكلمات اليونانية.

النقب ومنها إلى الأسواق التجارية في فلسطين ولهذا كان للبترام موقع استراتيجي هام وكان من يستولى عليها من السيطرة على هذه التجارة الثمينة.

ولا كانت لغة المعاملات التجارية في أسواق الشام في ذلك الوقت (حوالي القرن الرابع قبل الميلاد) عندما ظهرت بدايات قوة الأتيهاط هي اللغة الآرامية ولكن يتعامل الأتيهاط مع هذه الأسواق اتسحالوا اللغة الآرامية والنطق الآرامي الذي طوره إلى النطق النبطي (وسوف نذكر فيما بعد كيفية هذا التطور).

استخدم الأتيهاط الشرة التي تديقت عليهم نتيجة تمكثهم في الطريق التجاري العظيم وتعاملهم مع أسواق الشام في تكوين دولة قوية خلال القرنين الثاني والأول قبل الميلاد امتدت حدودها شمالا إلى دمشق وجنوبا إلى مدائن صالح (الحجر المذكور في القرآن الكريم) التي أصبحت بشابة العاصمة الثانية لهم (بعد البترام) العاصمة الأولى (الخريطة رقم ١١) فقد وجدت بها آثار مسمى وقلاع كما توجد أيضا مقابرهم المتحونة في الصخر وما زالت واجهاتها ماثلة حتى اليوم وكثير منها في حالة جيدة (الخريطة رقم ١٢).

استمرت دولة الأتيهاط في ازدهار حتى أوائل القرن الثاني الميلادي عندما أخذت مصالحتها تتسطم مع مصالغ الرومان فقاموا بغزوها واستولوا على البترام عاصمتها في عام ١٠٦ ميلادية ونقلوا آخر ملوكها وهو «مالك الثالث» وسعد رجال بلاطه إلى مدينة «بصري» في شرق الأردن (الخريطة رقم ١) التي كانت قاعدة لجيوشهم في شرق الشام وتوقف الأتيهاط منذ ذلك التاريخ عن تاريخ أحداثهم بسن ملوكهم وبدوا يدخلون بما كانوا يسمونه «الولاية» (هفركيا بالنبطية) فيقولون السنة الأولى من الولاية وهي تقابل سنة ١٠٦ ميلادية تاريخ استيلاء الرومان على البترام.

ويبدو أن اتسحال الأتيهاط لغة أجنبية عن لغتهم العربية وهي الآرامية جعلهم يتفخرون على اتسقات الحضارات المحيطة بهم فأخذوا من كل من الحضارة اليونانية والرومانية والعراقية والمصرية ولكن تأثرهم بالحضارة اليونانية الرومانية كان أكثر شمولا وعمقا سواء في عمارتهم أم في نظمهم وظهر هذا التأثير بوضوح في اتسحالهم أسماء وألقاب يونانية ورومانية وقد زخرت نقوشهم المدونة بالنطق النبطي في منطقة مدائن صالح بهذه الأسماء والألقاب وقد مكثت كثيرة نقوشهم في هذه المنطقة العلماء من «راستها على عكس قلة نقوشهم في منطقة البترام رغم أنها عاصمتهم الأولى».

الخط اليدوي

ق : د د ن هـ / ل م ر أ / ب ي ت

ت : هـ ل س ل سيد البيت
ملاحظات :

أ - أو أوديبوس ، هو تحريف الاسم اليوناني Endamos وه اسنيرجا ، هو تحريف اللقب الوطني اليوناني Strategos وتعني حاكم الإقليم وكانت قبل الفوز الروماني تعني قائد الشاه (88 p. 1978, II, p. 88). (Caminau 1978, II, p. 88).

ب- من قراءة النص النبطي رأينا كتابة فواصل مائلة بين الكلمات تيسيراً على القارئ الكريم في تتبع الكلمات وعادة لا يكتب علماء اللغات السامية هذه الشرط المائلة، وإنما يكتبون قراءة الكلمات النبطية بالحروف العبرية ولكن يكتبون هذه الشرط المائلة في قراءة اللغات العربية الجنوبية (السبئية - الحميرية - والمعينية .. الخ) لأن الخط المستد المكتوبة به هذه اللغات يحتوي على خطوط رأسية تفصل بين الكلمات.

ج- يلاحظ في الخط النبطي وجود الأريطة بين بعض الحروف وخاصة الحرفين النهائيين من الكلمة والحقيقة أن الأتباط هم الذين ابتكروا هذه الأريطة عندما صعبت عليهم قراءة الكلمات الأرامية حيث أن الخط الآرامي الذي اتصله الأتباط لاتوجد فواصل بين كلماته ولاتوجد فراغات بين أغلب كلماته فكان قارئها الذي لم يألئها منذ صغره من تمييز هذه الكلمات من بعضها ولما كان الأتباط باتتخالطهم اللغة الآرامية والخط الآرامي قد واجهتهم هذه المشكلة بصفتهم أعانيب لم تكن اللغة الآرامية هي لغتهم الوطنية فقد حاولوا التغلب على هذه المشكلة بطريقتين أولهما ابتكار الأريطة بين حروف كل كلمة ولاسهما الحرفين النهائيين وثانيهما ابتكار أشكال للحروف النهائية تختلف عن أشكال الحروف الابتدائية والوسطية .

د- كلمة وكثيرين بمعنى ذكريات في صيغة الجمع لأنه تبعها أسماء عدة أشخاص ومفرداها وكثيره .
هـ- مالك ويعطف هما اسما شخصيين كانا حكام المنطقة المدون ليهما النقش ومن هنا حملا اللقب اسريجا اليوناني الأصل الذي بمعنى حاكم الإقليم ومن الواضح أنها اقتسما حكم هذه

وفيما يلي عرض لأصماء الأعلام والألقاب اليونانية والرومانية التي اتصلها الأتباط وطوعوها لتخلفهم وذلك في نطاق النقوش التي تودت قبتها لتوضح طريقة استخدامها لهذه الأسماء .

النقش رقم ١ :
نقش في شرق جبل اثليب يدائن صالح في مواجهة منطقة قصر البنت (انظر الخريطة) ويبلغ طول النقش ثلاثة أمتار وتراوح ارتفاعات حروفه بين ١٠ و ١٥ سم . 57 . No 213 (ISI p. 102) .

الكرد الميمر عمه عمه عمه

القراءة : ل أ / د ك ري ن / ع ب د / ع ب د ت / و ع ي و
الترجمة : يلي (إنها) ذكريات عبد عمدة (أوعبودة) وعبد

علاء عيسى عيسى عيسى عيسى عيسى

ق . واو د ي م س / و ش ا ر ي ت / ح ي و ي هـ م
ت . رأوديبوس وثيقة نيلتهم

علاء عيسى عيسى عيسى عيسى

ق : ع ل / ي م ي / م ل ك و / و ب ع ف ت
ت / ن ي (بم مالك وعفة

علاء عيسى عيسى عيسى عيسى

ق : اس ر ت ح ا / و ي ح و ت / ا ت و ا
ت : الملكام اللذين كرسا الملكان

ملاحظات :

١- يلاحظ أن كلمة واحدة (بالحاء والذال) مفروض أن تكون قرأتها وأخذها (بالحاء / والذال) وكلمة غنمر (بالعين) مفروض أن تكون قرأتها غنمر (بالعين) ولاشك أن الأخطاب كانوا يقرأونها هكذا وتتوارثون ذلك أبا عن جد . لأن الروادف (حروف الناء والجيم والحاء والذال والضاد والظاء والغين) لم تكن تكتب في الخط النبطي وبالمثل لم تكتب في الخط العربي المبكر الذي اشتق من الخط النبطي ولكنها أدخلت على الخط العربي في المصاحف (وخرقت بنقط الاعجام) على يد تلاميذ أبي الأسود الدؤلي (نصر بن عاصم اللبني ويحيى بن يعمر المدوني) في العصر الأموي. بعد أن أدخل أبي الأسود الدؤلي نفسه نقط التشكيل (أو نقط الإعراب) قبل ذلك بعدة سنين .

ب- كلمة أسرجه سبق أن شرحتها في النص السابق وكلمة د م س ه هي النطق النبطي المحمود لاسم العلم اليوناني Damusippos وهذا وقد تكرر هنا الاسم اليوناني المعبر إلى الاسم النبطي المذكور في نقوش مدائن صالح .

٣- اختلف الباحثون في ترجمة كلمة وشكيا و فترجمها JS بأنها ومكان الاستراحة و (JS I p. 206) مرجعا أن كاتب النقش اتخذ من هذا المكان ملجأ للراحة والاستجمام نظرا لأن شق جبل أثليب يتميز بمرور تسيب باردة ياتم به بعض الناس وسط جو المنطقة شبه الصحراوي الحار ولكن الأقرب إلى النطق توجسة الكلمة ويمكن الاحتفالات (الدينية) كما ذهب إلى ذلك ميلبان واستاوكي (Milik 1970, p. 150) .

النقش رقم ٣ :

نقش محفور على واجهة ضريح ضخم من أضرحة منطقة الحريات بمدين صالح فوق باب الضريح ويشتمل على تسعة سطور تكتفي منها بالسطر الأول الذي يردت به الكلمة اليونانية والنقش مزوخ بالسنة ٢٤ من حكم الملك النبطي مالك الثاني (تعاود سنة ٦٤ ميلادية) JS I p. 202 No. 38 fig. 100)

الخط النبطي

المنطقة في وقت واحد (JS I p. 213) .

و- المقصود بعبارة سيد البيت الاله ووشارا له الاله الاتباط الذي عرف عند العرب فيما بعد باسم ذو الشرى .

النقش رقم ٢ :

نقش في شق جبل أثليب في مدائن صالح أيضا (JS I p. 206 No. 40 fig. 101)

الخط النبطي

ق : د ن ه / م ش ك ب ا

ت : هذا مكان الاحتفالات (المنسية)

الخط النبطي

ق : د ي / أ ج د / ع ن م و

ت : الذي اخذوها غنيمو

الخط النبطي

ق : ا م ر ت ج ا / ب ا ر

ت : لتاكم (القائد) ابن

الخط النبطي

ق : د م س فاس

ت : دماسيبوس

ونظرا لتدخل حروف هذا النقش وعدم إمكان النصل بين سطريه فقد رقتنا حروفه كما يلي:
أرقام الحروف ٩ / ٢ / ٣

قرأتها : ص ن م

الترجمة : فقال

أرقام الحروف ٤ / ٥ / ٦ / ٧ / ٨ / ٩ / ١٠

قرأتها من ع د ا ه ي

الترجمة سعد الله

أرقام الحروف ١١ / ١٢ / ١٣ / ١٤ / ١٥ / ١٦

الترجمة : ع ش ر ي / ه ف ر ك ي ا

الترجمة : (سنة) عشرين (من) الولاية .

ملاحظات :

١- كلمة هـ ر ن ب ا ه محورة عن الكلمة اليونانية Hipparkhin وتعني «الولاية» وقد أطلقت على دولة الأنباط بعد إسقاط الرومان لها عام ١٠٦ م كما ذكرنا سابقا، ولما كان النقش منورخا بالسنة ٢٠ فيكون تاريخه عام ١٢٦ ميلادية.

٢- كلمة «صنم» تدل على أنه كان يوجد فقال لصاحب النقش في التهجئة التي نحت النقش بجوارها ولا يوجد الآن أي أثر لهذا الصنم.

٣- في كلمة سعد الله يلاحظ أن الأنباط كانوا ينطقون السين العربية شينا ولذلك فإن كلمة «سلام» عندهم تقرا «شلم» (مثل العربية)

٤- يلاحظ أننا كورنا رقم (١١١) والسبب أنه يدل على حرف الهاء وهو الحرف الأول في كلمة «هفركيا» وفي الوقت نفسه يمثل الرقم ٢٠ وهو تاريخ النقش وقد كون كاتب النقش هذا الرقم بطريقة طريفة بأن رسم ثلاثة خطوط أفقية على طول حرف الهاء الذي تبدأ به كلمة «هفركيا» هكذا

الخطوط أربعة . ولما كان حرف الهاء هو الحرف الخامس في ترتيب الأبجدية النبطية (وهي نفس الأبجدية العربية القديمة) وأبعد هوز ٤٠٠٠ وفي الوقت نفسه هو رقم خمسة في العدد

قوله «هـ / ك ف ر ا / دي»
ت : هذا (هو) القمر الذي

على ما يبدو

قوله «ر ب د / ت ر س و . هـ ف ر ك ا»

ت : شيد (أ) ترسو قائد الفرسان

ملاحظات :

١- الكلمة النبطية «هـ ر ن ب ا ه» محورة عن الكلمة اليونانية Hipparkhus وهو لقب كان يطلق على قائد الفرسان قبل الاحتلال الروماني (عام ١٠٦ م) وبعد ذلك كان يطلق على حاكم الإقليم أو المنطقة.

٢- يلاحظ أن النقش يبدأ بعبارة «و د ن ه ك ف ر ا» وهي عبارة آرامية معناها «هذا قبر» لأن النقش محفور فوق ضريح وقد تطورت كلمة الأرامية ليمسا بعد إلى «هفرا» عندما غلبت المسحة العربية على لغة الأنباط.

النقش رقم (٤)

نقش محفور على جانب شق جبل ألسيب يدانن صالح (خريطة رقم ٢) أي في المنطقة المتقدمة عند الأنباط إلى حوار فجوة في الجدار وهو منورخ بما يعادل عام ١٢٦ ميلادية (١٨٤٠

p. 239 No. 159, pl. 28)

٢١ ٤ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠

هذا

١١ ١٢ ١٣ ك ي ا

Handwritten Greek characters: αβγδεζη

ق: ب ر / ح ي ي

ت: هـ / و / ز

ملاحظات :

أ- الاسم دي م د س هو الصيغة النبطية للاسم اليوناني Diomedes
ب- الكلمة الأولى ذكيرين (بدلا من وذكير) هي في صيغة الجمع ويسبو أنه كان من
المفترض كتابة عدة أسماء ولكن لم يتم ذلك (يقارن تعدد الأسماء بعد هذه الكلمة في النقش
رقم ١)

ج- وهي، هو إما اسم والد صاحب النقش أو اسم قبيلة نبطية حيث كانت توجد قبيلة
نبطية في المنطقة بهذا الاسم.

النقش رقم ٧ :

نقش محفور على صخور منطقة الحريات بدائن صالح (118 p. 214 No. 310 JS II)

Handwritten Greek characters: αβγδεζη

ق: ا و / ب / ج

ت: افرانس

Handwritten Greek characters: αβγδεζη

ق: ب و / م / ط / ي / ز

ملاحظات :

Handwritten Greek characters: αβγδεζη

ملاحظات :

الاسم النبطي افرانس محفور من الاسم اليوناني Euphronios

نقش رقم ٨ :

نقش محفور على جانب الطريق المؤدي من العلاء لدائن صالح (الخریطة رقم ١)

(114 p. 243 No. 196 JS II)

Handwritten Greek characters: αβγδεζη

ق: ت ي / م / و / ز / ا / ب / ل / س

ت: تيمو (تيم)

ملاحظات :

الاسم النبطي هنا وهو ا ف ل س ، محفور من الاسم اليوناني Apellias

نقش رقم ٩ :

نقش محفور على جانب الطريق الواقع شمال محطة سكة حديد العلاء القديمة بعدة كيلو

مترات (113 p. 211 No. 189 JS II)

Handwritten Greek characters: αβγδεζη

ق: ا س / ب / ج / د

ت: اسفستا (ابن)

ملاحظات :

ص ١٠٠٠٠ / ان ط و ن ي ن س

ق : ...

ت : (أوريليوس) سن انطونينوس

١٩٦٩

ق : ول وق ي س / اور ل ي س

ت : ولوكيوس

١٦٦٩

ق : ورس / دي / ارم ي ا

ت : فيروس اللاتين (هوزوا) الارمينيين

١٦٦٩

ق : دن ه / ذوس ا / دي / ع ب د ت

ت : هنا (هو) الحيد التي شيدت (٥)

١٦٦٩

ق : شوك ت / ت م و د و ...

ت : (اتحاد قبائل) شورو

٣٩ ملاحظات ١

١- يلاحظ أن النقش بدأ بكلمة وطلبا وليس شلمه والسبب أن الكلمة معرفة بالنقش التعريف النهائية في اللغة النبطية.

٢- في بداية النقش وردت عبارة دي / م م ك ي ن / ل ك ل / ع ل م ا و إذا تمناها من اللغة العربية يمكن قراءتها والتسكين من كل العالم وأي المسيطرين أو القاضين على العالم، وهي ترجمة نبطية للكلمة البيروني Kosmokrat (Lilik 1971, p. 154) ويلاحظ أن كلمة وعلمنا قريبة من الكلمة العربية بالعالم، وهي معرفة مثل الكلمة العربية لوجود ألف التعريف النهائية في اللغة النبطية.

٣- الأسماء النبطية الباقية في النقش محورة عن الأسماء الرومانية هي: ولوكيوس، وهو محوور قليلا عن Locius وروس، محوور عن Venus بينما كتبت الأسماء النبطية وانطونينوس وأندليس، كما هي في النطق الروماني.

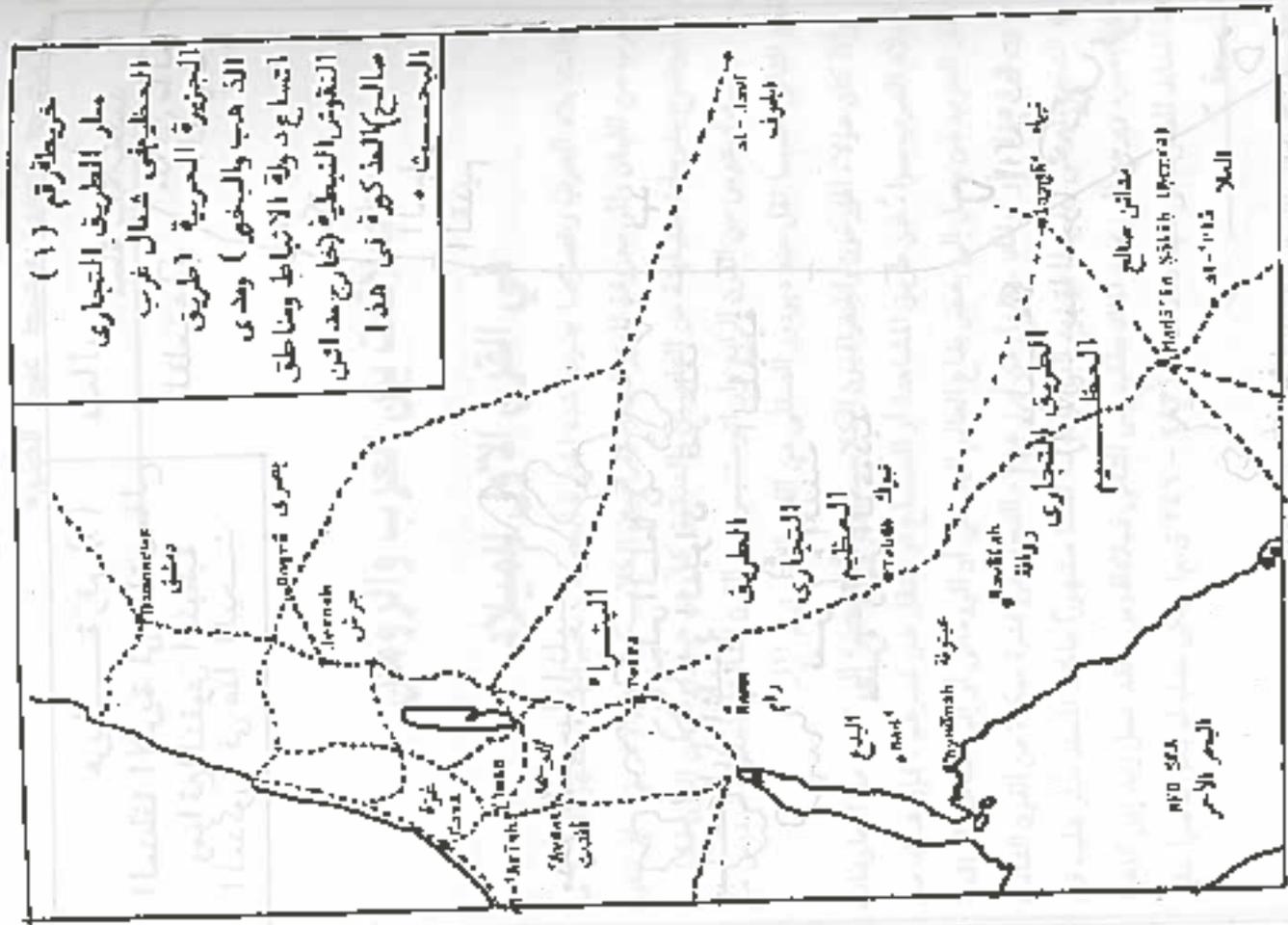
٤- كلمة ون وس ا ، ليست من الأسماء أو الألقاب ولكنها محورة من كلمة Nnos البيرونية بمعنى معبد صغير أو هيكل وقد أضيف إليها ألف التعريف النهائية في اللغة النبطية.

٥- كلمة وشركت، أو وشركتة، كلمة عربية كما هو واضح وقد تسربت إلى لغة النقش لأن السورديين عرب كانوا يتكلمون لهجة عربية تنتمي إلى اللغة العربية الشمالية التي تنتمي إليها لغتنا الفصحى.

٦- يلاحظ أن كلمة وشرد، أضيفت إليها الواو النهائية التي تلتحق بأسماء الأعلام النبطية بينما في السوردية العربية الأصل أوليس أربعة الأصل مثل النبطية (لا يوجد هذه الواو).



خريطة رقم (١)



خريطة رقم (١)
 مسار الطريق التجاري
 العظيم شمال غرب
 الجزيرة العربية (طريق
 الذهب والبخور) ومدى
 اتساع دولة الأنباط ومناطق
 النفوذ النبطية (خارج مديات
 صالح) المذكورة في هذا
 البحث.

المصادر :
 - Biella 1982 :

Biella , J. C., Dictionary of old South Arabian, sobaeen Dialect , Harvard
 - Cantineau 1978

Cantineau , I. , Le nabatéen, 2 Tomes, Ostarbrück

- JS
 هذا الكتاب متعارف عليه في كتب اللغات السامية بهذا الرمز
 Jausseu et Savignac, Mission Archéologique en Arabie , 3 Tomes , Paris
 1909-1914 .

- Miik 1970 .

Miik, J. T., and Slarsky , J. , "Inscriptions nabatéennes " in Winnict,
 F.V., and Reed, W.L., Ancient Records from North Arabia , Toronto.

- Miik 1971

Miik , J. T., " Inscriptions grecques et nabatéennes de Rawwafah Bulle-
 tin of the Institute of Archaeology .

العلاقات بين العرب والرومان

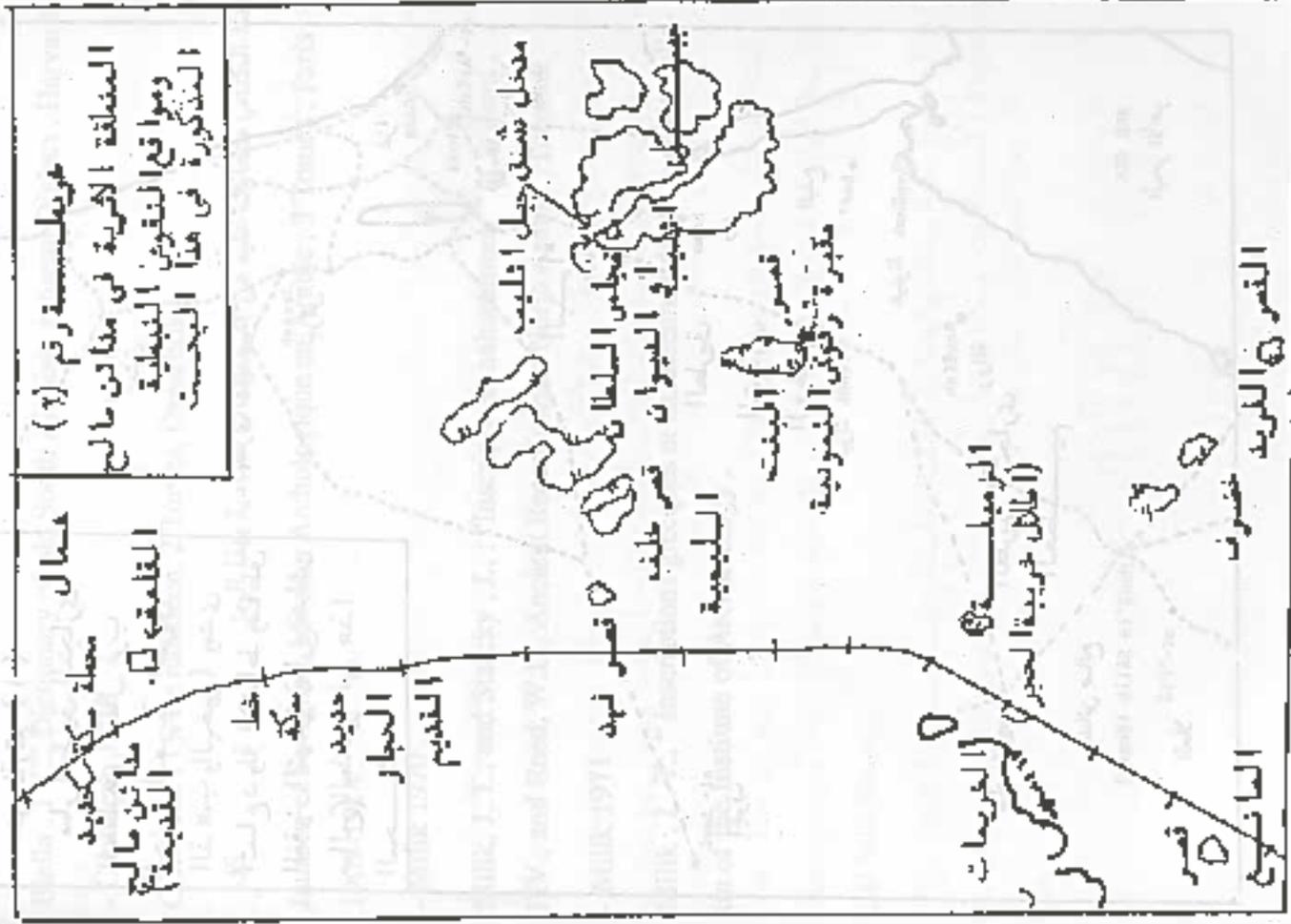
في القرن الأول للميلاد

كانت بلاد العرب وخصوصاً جنوب شبه الجزيرة العربية ، بخيراتها وسطعها المميزة من الطيور من اللبان والمر معروفة للفرنج والجنوبيين الكلاسيكيين من الإغريق . إذ تنازل هذا الموضوع بدرجات متباينة من التفصيل والتدقيق كل من هيرودوت من القرن الخامس ق.م . وثيودوراسيوس من القرن الرابع ورايوسثينيس من القرن الثالث وأجاثا وخطيبس من القرن الثاني حسباً نقل عنه ديودور الصقلي من القرن الأول ق.م^(١)

وإذا كان هؤلاء المؤرخون والجيغرافيون الكلاسيكيون قد توصلوا إلى كثير من المعلومات عن بلاد العرب سواءً عن طريق المشاهدة أو السماع أو النقل عن غيرهم ، فإن هناك من التجار العرب من وصل إلى بعض بقاع العالم اليوناني أو الروماني أو إلى المناطق الواقعة تحت سيطرة هؤلاء أو أرائك . ولعل من أبرز هؤلاء التجار في فترة مبكرة من القرن الثالث ق.م . التجار المعيني زيد إبل بن زيد الذي ترك لنا نقشاً مشهوراً بالخط السندي فُتر عليه في الجزيرة بمصر ، ويرجع إلى عهد الملك بطليموس الثاني فيلادلفوس . لقد عمل زيد إبل كماهنا بأحد المعابد المصرية في عهد ذلك الملك (٢٨٣ - ٢٤٦ ق.م) ولكن عمله لم يكن قاصراً على

^١ أسنارة التاريخ اليوناني الروماني كلية الآداب - جامعة الإسكندرية .

خريطة رقم (٢)



الكهانة وحدها إذ كان يقوم كذلك بدور الوسيط التجاري ، ينقل ويصدر إلى بلاد العرب متطلبات المعابد خاصة من الأنسجة والقماش ، يأخذها على سفينة تجارية ، وتعتبر دينا واجباً السداد إلى معبد الإله (أثر هب) أي وزير أبيس - ويحتفل سداد هذا الدين عليه في تروبيد (أبيمت الإله مصر) أي «بيوت الكهنة في مصر» وهي المعابد بـ (أمرن وقلمن) أي بالر والقلبيسة . والنقش مزخج بالسنة الثانية والعشرين من حكم فيلادلفوس أي حوالي سنة ٢٦٢ ق.م.^(١٧١)

ومن الشواهد البارزة كذلك على انتقال بعض هؤلاء العرب إلى أماكن بعيدة في قلب العالم البيزناني الروماني حاملين تجاريتهم من المواد المطربة والطيب ، نجد نقشاً من جزيرة ديلوس في بحر إيجه مكتوب بالخط المسند واللغة اليونانية (ثنائي اللغة) ويؤرخ الناشر بحوالي منتصف القرن الثاني ق.م.^(١٧٢) (أيام السيطرة الرومانية على بلاد اليونان بعد هزيمة وإخضاع مندونييا سنة ١٦٨ وإحكام السيطرة على كل بلاد اليونان بعد تدمير كورنثة على يد الرومان سنة ١٤٦ وتحول معظم تجارة شرق البحر المتوسط إلى جزيرة ديلوس بعد الحرب التجارية التي شنها الرومان على جزيرة رودس التي كانت مزدهرة من قبل) .

ويتألف هذا النقش المشار إليه من ستة أسطر قصيرة : الأسطر الثلاثة الأولى بالخط المسند وترجمتها كما يلي : هاتين . وزيد إيل وخذاب أقاموا مديناً لـ «ورد» وألته معين في ديلوس . ثم بقية السطر الثالث والأسطر الثلاث الأخيرة ، ويعتبر كل سطر منها على كلمة يونانية ، وترجمة هذه الأسطر هي : خاص بـ «ورد» إله المينين ، إلى «ورد» .

وتعود وجود هذه المجموعة من المعنين في جزيرة ديلوس إلى قيامهم بالتجارة هناك ، وليس بسبب شهرة الجزيرة الدينية عند الإغريق كمهد لميلاد أبوللو وأرقيس ، لأن اللعيب لم يلم لأي من ألته الإغريق بل لـ «ورد» وغيره من ألته معين^(١٤) . هذا النقش يدل على أن التجار المعنين كانوا يترددون كثيراً على جزيرة ديلوس بوصفها مركزاً تجارياً هاماً تحولت إليه معظم الأنشطة التجارية في شرق البحر المتوسط بعد أن سنت روما حرباً تجارية طويلة المدى على جزيرة رودس التجارية القوية الممتدة بنفسها والرافضة لهيمنة روما طيلة القرن الثاني ق.م ، ويبدو أن التجار العرب الثلاثة المذكورة أسالهم في النقش (وأنصح اسم آخرهم إلى «خلام» بدلاً خيداب) أقاموا هذا المذبح لتقدم القرابين والتهانح لـ «ورد» وبقية ألته معين من جانبهم ومن جانب إخوتانهم من التجار المعنين الذين كانوا يرتادون جزيرة ديلوس . إن كتابة هذا

النقش بالمسند واليونانية يعد بمثابة نوع من الإشهار والإعلان عن هذا المذبح للتجار المعنين الذين يعينهم الأمر وبقية سكان ومترادي الجزيرة من اليونانيين والرومان وغيرهم .

ومن المؤكد أن أمثال هؤلاء التجار المعنين العرب في ديلوس كانوا يتاجرون في تلك الأصقاع الثانية في سلح بلادهم من بخود وطيرب مختلفة ، دون انتظار لوساطة تجارية من آخرين . ومع أن هذه الرحلات الصغارية الطويلة مرهقة وشاقة لهؤلاء التجار العرب إلا أنه يبدو أنها كانت أكثر أرباحاً حيث لا يوجد وسطاء ، يشاركونهم الأرباح .

أما عن العلاقات المباشرة بين عرب جنوب شبه الجزيرة والإمبراطورية الرومانية وأول أباطرتها أغسطس (٢٧ ق.م - ١٤م) - فقد بدأت بداية عنائية تطلت في حملة أوليوس جالوس - ثاني الولاة الرومان على مصر - الشهيرة ، على الجزيرة العربية حوالي عام ٢٦ / ٢٥ ق.م ، والتي شنت بفشل ذريع من الناحية العسكرية . وقد وردت تفاصيل هذه الحملة من حيث الإعداد والقيادة والقوات المساعدة للرومان من أتياط ويهود وتسليح الحملة وخط سيرها وأحداثها التفصيلية عند سترابون وتناولتها دراسات عديدة^(١٧٣) . لكن أهم ما يعيننا ذكره عن هذه الحملة في سياق هذا البحث هو الحديث عن الدوافع التي حدثت بالإمبراطور أغسطس ليأمر وألته على مصر بشن الحملة ضد بلاد العرب ، وهنا تقتبس نص سترابون - المصدر المعاصر للحملة - وقد جاء فيه ما يلي :

«أرسل (يقصد أوليوس جالوس قائد الحملة) من قبل أغسطس لستكتكتيف القنائل والأماكن - ليست نقط الواقعة في بلاد العرب بل وكذلك الخاصة بالإثيوبيين - لأن قيصر رأى أن بلاد التروجولوديت المتاخمة لمصر مجاورة وقريبة من هؤلاء العرب) ، وأن الخليج العربي (المتصود به البحر الأحمر الحالي) الذي يفصل التروجولوديتين عن العرب يضيق جداً في هذه المنطقة (مضيق باب المندب الحالي) . وعليه أدرك (القيصر) ضرورة أن يكسب هؤلاء العرب) في جانبه أو أن يرضهم إليه بالقوة . وهناك اعتبار آخر ألا وهو ما سمعه من تقارير على مدى كل العصور عن ثرائهم الفاحش ، وعن بيعهم للطيب والأحجار الكريمة المسينة مقابل الفضة والذهب ، وعن إتقانهم شيئاً مما يحصلون عليه مع الغريب . لذلك فقد كان (أغسطس) يأمل في أن يتعامل مع أصدقاء أثريا . أو يسط سباده على أعداء أثريا»^(١٧٤) .

هذه الفقرة توضح بجلاء الأهداف السياسية والاقتصادية التي دفعت أول أباطرة الرومان إلى إرسال هذه الحملة العسكرية ضد بلاد العرب . لكن هذه الحملة باءت بالفشل من الناحية

العسكرية، بعد أن أمضت ستة أشهر في الدروب الرعوية لشبه الجزيرة العربية انطلاقاً من مملكة الأنباط في الشمال - وكان سريندها الوزير النبطي سيلابوس (وما كان اسمه في العربية هسلي) - حتى مارب (مارسابا كما أوردها سترابون) في الجنوب، مروراً بمناطق الساحل الغربي لشبه الجزيرة العربية، وقد عانت الحملة من صعوبة الطريق ونقص المؤن وتفتش الأمراض وهجمات القبائل العربية، وهكذا كان طبيعياً أن تصل الحملة إلى مارب منهكة خائفة، حاصرت مارب ستة أيام دون جدوى حتى اضطرت جالوس لرفع الحصار والعودة من حيث أتى بسبب نقص المياه. ومع ذلك ألقى سترابون باللائمة في فشل الحملة الرومانية على المرشد والوزير النبطي سيلابوس (هسلي) لكن يبعد أصابع الاتهام عن حديقته أبيلبوس جالوس قائد الحملة، فاتهم الوزير النبطي بأنه قد حث بوعده الذي قطعه على نفسه بحسن إرشاد الحملة وتلبية احتياجاتها والتعاون مع قائدها جالوس.

وقد يبدو غريباً أنه رغم فشل هذه الحملة من الناحية العسكرية فإن الأدلة والشراهد الوثائقية وكتابات الجغرافيين والمؤرخين والتجار على مدى ما يزيد عن قرن بعد تلك الحملة تؤكد ازدهار وكثافة التبادل التجاري بين الإمبراطورية الرومانية ومغرب جنوب شبه الجزيرة العربية، وهو ما يحتاج إلى تفسير. هل يمكن أن نفرد ذلك الأمر إلى حملات عسكرية ناجحة لاحقة لحملة أبيلبوس جالوس منها الرومان ضد بلاد العرب كما اقترح بعض العلماء استناداً إلى بعض الإشارات المبهمة في بعض المصادر؟ أم أن الأمر أسباباً وظروفاً أخرى؟

وسنحاول فيما يلي تتبع الشواهد المتاحة في المصادر المتصلة بزيادة حجم التبادل التجاري بين الرومان والعرب، ثم نتبع ذلك بمناقشة الآراء القائلة بولوع حملة عسكرية رومانية لاحقة وناجمة بعد حملة جالوس لتزويد مدي مصداقية هذه الآراء.

أما عن الزيادة النهائية في حجم التبادل التجاري بين الإمبراطورية الرومانية وبلاد العرب على مدى القرن الأول من الإمبراطورية، فإن هناك شواهد عامة في المصادر الأدبية من تلك الفترة، هذا فضلاً عن الأدلة الوثائقية للكثيرة في البردي، والنقوش من ولاية مصر وكتابات التجار والملاحين، مثل كتاب والطراف، حول البحر الإريثري للمؤلف المجهول الذي كان على الأرجح تاجراً اسكندرياً يرتاد تلك الأصقاع ويدفع بحوالي منتصف القرن الأول الميلادي (١٨).

* هنا اقتراح أخذني من أ.د. لطفي عبد الرهمن حموي.

أول تلك الشواهد من المصادر الأدبية هو سترابون الذي وصف لنا حملة أبيلبوس جالوس على بلاد العرب، فنرى موضع آخر من مؤلفه يذكر سترابون أن حجم التجارة الرومانية مع الشرق حتى الهند قد ازداد ستة أضعاف ما كان عليه من قبل أيام الملوك البطالمة (بالنسبة لولاية مصر التي كانت مدناح ومقاسم التجارة الرومانية مع الشرق). إذ يذكر سترابون أنه كان يخادر ميناء ميوس هيرودوس المصري على البحر الأحمر (أبوشعر قبلي) أيام وجود سترابون في مصر (٢٤٤ - ٢٧٠ م) حوالي مائة وعشرين سفينة في طريقها إلى الهند مقابل عشرين سفينة فقط أيام الملوك البطالمة (١٩٠). إن هذه المعلومة عند سترابون تدل على حدوث طفرة مبكرة في تجارة الرومان مع الشرق - ومن بينهم العرب - منذ بدايات عصر الإمبراطور أغسطس، وكانت هذه الطفرة عن طريق مصر باعتبارها أقرب الولايات الرومانية وأقدمها اتصالاً بأسواق التجارة الشرقية مع بلاد العرب وشرق أفريقيا والهند.

كان هذا عن وضع تلك التجارة أيام حكم الإمبراطور أغسطس أول أباطرة الرومان (٢٧٧ - ١٤ م). أما عن الوضع أيام حكم خليفته الإمبراطور طيبروس (١٤ - ٣٧ م) فتبرز لنا إشارة موجزة ولكنها ذات دلالة هامة وردت في مؤلف والمؤليات، للمؤرخ الروماني البارز تاجيتوس من أوائل القرن الثاني الميلادي. في هذه الإشارة عند تاجيتوس يمدى طيبروس تقدمه وخطبه الشديد من تهديد ثروة الرومان على الغرباء والأعداء من خلال بذخ الرومان - خصوصاً نساءهم - في شراء الملابس والمجوهرات الباهظة التكاليف (١٠٠). وذلك في إشارة إلى تدفق سلع الرفاهية الشرقية على روما في عصره.

وهناك مصدر آخر من النصف الثاني من القرن الأول الميلادي وهو كتاب والتاريخ الطبيعي، لبليوس الأكبر والذي يذكر في أكثر من موضع من مؤلفه مدى ما تنفقه الإمبراطورية الرومانية من أموال طائلة على سلع الرفاهية القادمة من الشرق، إذ يذكر بليوس في إحدى فقرات مؤلفه أن التجارة الشرقية للإمبراطورية الرومانية مع الهند والصين وشبه الجزيرة العربية كانت تكلف خزائن الإمبراطورية مائة مليون ستركس روماني على الأقل كل عام، كانت تنفق على سلع الرفاهية وعلى نساء الرومان (١١١). وفي بعض المواضع الأخرى من مؤلفه يمدى بليوس حصده للعرب على ثرواتهم ورفاهيتهم التي يزعم أنهم حققوها على حساب بذخ البشر حتى في وقتياتهم حين يحرقون في جنازات الموت بغير إقراره في معابد الآلهة، ومن هنا يعتبر نسبة وبلاد العرب السعيدة، نسبة زائفة وغير مستحبة (١١٢). وفي موضع آخر يصف بليوس

العرب بأنهم أكثر أطمع الأرض ثمراً لأنهم يكتزون ثروات هائلة يحصلون عليها من الرومان والبارثيين لأنهم يبيعون لهم ما يحصلون عليه من وواء البحار أو من غنائمهم هم دون أن يشتروا منهم شيئاً في المقابل^{١١٦٦}.

هذه الإشارات عند بليني - وقبلها ما ذكره سترابون عن ثروات العرب الطائلة وعدم إنفاقهم منها على الفخريات، ثم حتى الإمبراطور طيبريوس من تبيد ثروات الرومان على سلع الرفاهية الشرقية - توضح بجلاء مدى ازدهار التجارة والصادرات العربية من الطيب والبخور واللؤلؤ إلى الأقمشة الداتية والقاصية، وعلى رأسها الرومان، وسيل الميزان التجاري في هذه المبادلات التجارية بشدة لصالح العرب الذين كانوا يصدرون سلعهم ولا يستوردون شيئاً في مقابلها حسب زعم المصادر الأدبية المذكورة أعلاه. صحيح وأن هذا الزعم يتسم بمبالغة وتضخيم لا يخالفان مع الواقع الذي يشهر اليه كتاب والطراف حول البحر الايشري - وهو كتاب دونه تاجر وملاح محترف، وبالتالي فهو أقرب إلى الواقع - عن بعض الواردات العربية من الإمبراطورية الرومانية وولاتها لاسمها مصر، إلا أن هذا الزعم لا يخلو من قدر كبير من الحقيقة المتشبهة في تواضع الواردات العربية من الرومان، بالمقارنة بصادراتهم الهائلة إليهم. هذا الأمر أشار حشد الرومان - حكماً وكتائباً - على هذه الثروات، وجعل الحكام يحاولون وضع أيديهم أو المشاركة بصورة ما في هذه الثروات مثلما رأينا في حديث سترابون عن درافع حملة أيليرس جالوس، خصوصاً الاقتصادية منها.

ولنا أن نعامل هل كان هذا التبادل التجاري المتزايد بين العرب والرومان من بين نتائج حملة أيليرس جالوس على بلاد العرب وهي الحملة التي أنقذت عسكرياً؟ أم هل أن هناك حملات رومانية أخرى ناجحة تشهدها وتغنى عنها هذا الرضع؟ أم أن للأمر أبعاداً وطرفاً أخرى غير هذا أو ذلك؟

للإجابة عن التساؤل الأول وما كان هذا الوضع أحد نتائج حملة جالوس رغم فشلها عسكرياً إذ يبدو أن هذه الحملة لا حققت أهدافاً سياسية واقتصادية فانت ثروقات الرومان. إذ رغم فشل الحملة الرومانية عسكرياً - لأسباب تتعلق بسوء التخطيط وعدم البراعة الكافية بالعروب الوصرة لشبه جزيرة العرب وثقوة المياه - فإن العرب لا بد أنهم أدركوا أنهم أصبحوا في مواجهة قوة كبيرة هائية، يوسعها - إذا ثلاث أخطأ، الحملة السابقة - أن تكيل لهم ضربات موجهة ومؤثرة^{١١٦٧}، وبالتالي لابد من العمل على كسب ود هذه القوة الصاعدة. لعل مما يدعم

هذا التفسير أو الاستنتاج ما ورد في كتاب والطراف من أن صداقة قد ربطت شرحبيل الملك الشرعي للحميريين والسنيين بإيطرة الرومان، وأنه كان يبعث إليهم بمجموعتين وسفارات متصلة وهاباً (١١٥). ربما كان موقف شرحبيل المشار إليه نتيجة لهذا الموقف النقي من العرب تجاه الرومان، وربما حدثت هذه الاتصالات والسفارات والهدايا إلى تسهيل وتنشيط التبادلات التجارية مع الرومان، ونجح المزيد من أسواق عرب الحروب أمام التجار الرومان. إذا كانت هذه هي النتائج الدبلوماسية والسياسية والاقتصادية التي ترتبت على حملة أيليرس جالوس، فلاغريو أن يتباهى بها الإمبراطور أغسطس في سجل إنجازاته الثنون في نقش أنقرة، ويعتبرها ضمن إنجازاته حتى وإن فشلت عسكرياً^{١١٦٨}.

ولكن هل تلت تلك الحملة الأولى الشهيرة الفاشلة عسكرياً حملات رومانية أخرى لجحت عسكرياً وأرعبت عرب الجنوب ودفعتهم لزيد من التقارب مع الرومان - خوفاً واسترضاء - كما رأينا هذا التقارب في موقف الملك شرحبيل ملك حمير وسبأ الذي ذكر في كتاب والطراف^{١١٦٩} ؟

هناك إشارات مبهمة في مصدرين من القرن الأول (حوالي ٥٠-١٠٧ م). هما كتاب والطراف، وكتاب والتاريخ للطبيعي، بليني الأكبر ترجع ما قد يفهم منه حدوث حملات من هذا النوع. ففي كتاب والطراف حول البحر الايشري، للمؤلف المجهول - والمؤرخ بحوالي منتصف القرن الأول الميلادي من عهد كلاوديوس أو نيرون^{١١٧٠} - نجد فقرة تتحدث عن ميناء وعدن، في جنوب شبه جزيرة العرب (وكان يطلق عليه آنذاك العربية السعيدة)، وهي التسمية التي كانت تطلق كذلك على كل مناطق الجنوب العربي المنتسبة للطيب) وتذكر ما يلي :

« تقع العربية السعيدة (يقصد بها هنا ميناء وعدن) - وهي قرية ساحلية تابعة لمملكة شرحبيل ذاتها... وكانت من قبل مدينة يمتد إلى الكلبة، فبعدما لم تكن السفن تذهب من الهند إلى مصر ولم تكن السفن المصرية تجرؤ على أن تصل إلى أبعد من هذه الأماكن بل تصل إلى هنا فقط، كانت والعربية السعيدة و تطلق بضائع الطرفين، تماماً كما كانت الاسكتندرية تطلق بضائع من وراء البحار ومن أروجا مصر. أما الآن فإن قيصر قد دمرها قبل وقت ليس بعيد عن أيامنا هذه ».

الشرقية من الهند والصين التي كانوا هم الوساطة. التوثيحين في نقلها والتي كانت تمر عليهم أرباحاً طائلة ، وهذه التجارة المباشرة بين الرومان والهنود وكسر احتكار العرب ووساطتهم إلى حد ما تروى عليه بعض النقص في ثروات العرب في الجنوب. وكان أكثر من تأثر بهذا التغيير بغير شك هي مدينة «عدن» التي كانت سوقاً رائجة ومزدهرة لهذه التجارة الوسيطة «الترازنين» التي اختلف بعد ذلك أو كادت. وبالنسبة فإن هذا الأمر واضح إلى حد كبير في الفقرة التي أوردناها من كتاب «الطراف» عن «عدن» .

والإشارة الغامضة إلى حملة رومانية عسكرية على جنوب شبه الجزيرة العربية ترد عند بليني الأكبر، إذ يشير إلى حملة قام بها جايوس ليفير - حفيد الإمبراطور أغسطس من ابنته جوليا وزوجها أجرينيا - ضد البارثيين والعرب انطلاقاً من أرمينيا حوالي العام الأول لليلاد ١٢٠. كما أن هناك إشارة أخرى في موضع آخر للكاتب نفسه عن الضرب على قبائل من مقدمة السفن من حطام السفن الأسيانية (في خليج البحر الأحمر) عندما كان جايوس ليفير ابن أغسطس يقوم بشن الحرب هناك ١٢٦.

من هذه الإشارات عند بليني يستنتج بعض العلماء، أن عدن قد دمرت على يد جايوس ليفير بواسطة أسطول ظهر قبالة ساحل عدن وهو ما أتاح للتجارة الرومانية المصرية السيادة على الخليج العربي والمحيط الهندي (٢٧٦). وهناك من عزا هذه الحملة إلى عصر كلارديوس (٢٢٣) أو عصر نيرون (٦٨) في أواسط القرن الأول لليلاد .

لكن هناك من تصدى لهذا الاستنتاج - تدمير عدن على يد جايوس ليفير - حفيد أغسطس - وقده واعتبر ذلك الافتراض محض اختلاق لا أساس له من الصحة (٢٥٠). إذ يرى كينيث ويليس في مقال هام له للرد على هذا الزعم أن تلك الحملة الزعمية - إن كانت قد حدثت - لتفاخر الإمبراطور أغسطس بها في سجل إنجازاته في نقش أنقرة المعروف باسم Res Augusti divi Augusti ، وهو ما لم يحدث رغم تفاخر الإمبراطور بالحنان اللين أمرهما على أيديهما (ربما يقصد حملة بثروديوس والتي مصر ضد الإثيوبيين عام ٢٥ / ٢٤ ق.م) وبلاد العرب (٢٦٦) وحملة أيلويس جالوس) رغم فشلها عسكرياً ، وبحسب ويليسلي هذه المسألة بالتأكيد على أن بليني نفسه - الذي أورد الإشارة إلى حملة جايوس ليفير - قد أورد صراحة في موضع آخر أن حملة جالوس كانت هي الحملة الوحيدة - حتى عصره - التي أشهر فيها الرومان أسلحتهم ضد العرب، وأن جايوس ليفير بن أغسطس قد أطل إطلاقة عابرة على

عهد أغسطس لتهدد (٢٧٦ ق.م - ١٤م) أو أحد الأباطرة اللاحقين - خاصة أن التبصر المذكور في النص ، والذي أمر بتدمير عدن غير محدد بدقة - وأن تلك الحملة قد نجحت عسكرياً وأسفرت عن تدمير ميناء عدن وإحالة من مدينة مزدهرة إلى قرية متواضعة كما يذكر والطراف ، ١ . أم هل كان مؤلف كتاب «الطراف» من العصورين وأنه يشير إلى نفس الحملة الشهيرة - حملة أيلويس جالوس - التي رعا مسح بها من الجبل السابق له ، فعلقته ذكرياتها بلهته بصورة مشوشة إلى حد ما إذ خلط بين هجوم الولاى الرومانى على «بلاد العرب السعيدة» إجمالاً وتصوره هجوماً على مدينة «العربية السعيدة» (عدن) محديداً ، كما نجم عنه تدمير هذه المدينة ، وبالتالي تدهورها حتى صارت لاحقاً مجرد قرية؟ وهل أشاع الرومان في مصر أن حملتهم على جنوب شبه الجزيرة العربية كانت ناجحة ودمرت مدنها ، فنأثر كاتب «الطراف» بتلك الدعاية وروج لها؟ ومن المجهول بالذكر هنا أن كاتب «الطراف» لم يكن ممن سمحوا فقط فتأثر بالدهاية الرومانية من على البعد ، بل من الواضح أنه كان ممن رأوا تلك البقاع الشرقية وارتادوها ، وأراد أن ينقل خبرته وتجربته ومشاهداته عن هذه المناطق وسلعها وتجارتها وظروفها لأقرانه من التجار والملاحين في مصر في صورة دليل مرشد لهؤلاء (١١١) . وأعنى بذلك أن المؤلف قد رأى «العربية السعيدة» (عدن) وقد تحولت إلى قرية صغيرة متواضعة بعدما كانت مدينة مزدهرة من قبل ، أي أنه نقل حقيقة شاهدها بعينه .

لكن اختلاف مع المؤلف رعا يكمن في السبب في تحول «عدن» من مدينة مزدهرة إلى قرية متواضعة ، وهو الذي شخصه الكاتب في حملة التبصر التي دمرت المدينة وجعلتها تدهور . لكن الاقرب إلى النطق أن عدن قد اضطحت إلى أن صارت قرية متواضعة - كما رآها مؤلف «الطراف» - بفعل ظروف تجارية واقتصادية متضيرة وليس نتيجة مباشرة لحملة عسكرية. وتفسير ذلك أنه بعد تزايد العلاقات والتعاملات بين العرب والرومان - كأحد النتائج السياسية والاقتصادية غير المباشرة المترتبة على حملة جالوس كما سبق أن لمسنا موقف شرجيل من أباطرة روما - فلا بد أن العرب لم يعمدوا يعرضون بعد ذلك السفن التابعة لروما ، وهي تختر مهاب البحار الشرقية مثل بحر العرب والمحيط الهندي في الطريق إلى الهند وعودتها محملة بالبضائع الهندية. إن العرب الذين لم يعمدوا يعرضون هذه السفن الرومانية - ولم يكن يوسعهم ذلك بعد تغير موازين القوى وحلول الرومان الأخرى ، في مصر محل البطالة الأخر الضعاف - سمحوا للرومان بكسر الاحتكار التجاري الذي كان يفرضه العرب على السلع

بلاد العرب (١٢٧). ويزيد الأمر تفسيراً بالنسبة لحملة جايوس قيصر المزمومة ، فيستبعد أن يكون جايوس قيصر قد أبحر حتى مياه البحر الأحمر ، لأن أولوياته كانت تتركز على البارثيين ، وأن ما نعرفه عن خط سيره - وهو قتل - يشير إلى أنه ذهب عبر ساموس إلى سوريا وأرمينية بهدف جمع بعض أموال الشنق هناك وتذليل بعض المصاعب التي أثارها البارثيون ، ولكنه حوَصر هناك في قلعة صغيرة ، وظل يناهض عنها حتى سقط جريحاً وما لبث أن مات متأثراً بجراحه في قبليقية آسيا الصغرى عام ٤٤م . وحاول هذا العالم أن يجد تفسيراً لإشارة بليني إلى حملة جايوس قيصر ضد البارثيين والعرب ، فيذكر أن مصطلح بلاد العرب (لدينا) مصطلح واسع ومن جغرافياً ويقتد من جبل أرمانيوس شمالاً حتى أقصى جنوب شبه الجزيرة العربية. ومن هنا يبدو أن جايوس قيصر وما احتك بأقصى الأطراف الشمالية لبلاد العرب في الصحراء الواقعة بين سوريا وما بين النهرين . كذلك يستبعد قصة حطام السفن الأسيانية في الخليج العربي (النهر الأحمر) التي أوردها بليني في سياق حديثه عن حملة جايوس قيصر ، ويعتبر أن قصة حطام السفن الأسيانية قصة أوردتها سترابون تقيلاً عن بوسيدونيوس (من حوالي سنة ١٠٠ ق.م) الذي سمعها في قانس بجنوب آسيا ، وذلك بعد رحلة بودوكسوس الكندي الثانية من الإسكندرية إلى الهند حوالي عام ١١٥ ق.م (١٢٨).

عما سبق يمكن القول أن حملة ألبيرس جالرس على شبه الجزيرة العربية حوالي ٢٦ / ٢٥ ق.م . كانت هي الحملة الرومانية الحادة الوحيدة على ممالك الجنوب العربي خلال عصر الإمبراطور أغسطس (٢٧ ق.م - ١٤م) بل ولغزيرة ليست بالقصيرة حتى نهاية الأسرة اليوليوكلاودية وبداية الأسرة الفلانية . حين كتب بليني مزلقه والتاريخ الطبيعي ، إذ توفي بليني عام ٧٩م . أثناء حكم الإمبراطور تيتوس بن فسبيان عند ثورة بركان فيزوف في ذلك العام. معنى ذلك أن تزايد وكثافة النشاط التجاري الروماني مع العرب وفي البحار الشرقية حتى الهند لم يكن مرده لأسباب عسكرية مباشرة ، بل أن عدة عوامل هامة لعبت دوراً كبيراً في ذلك ، منها هبة الإمبراطورية الرومانية التي برزت كقوة صاعدة هامة سيطرت على معظم المناطق المحيطة بسواحل البحر المتوسط في أوروبا وآسيا وأفريقية وبعض شواطئ البحر الأحمر الأخرى ، وبدأت تهدد العرب تهديداً جاداً كما يترجم إلى سيطرة على الجنوب العربي ، لولا سرة التخبط والظروف الوعرة التي صاحبت حملة جالوس. هذا الخطر الداهم كان بمثابة إنذار لعرب الجنوب فدفعهم إلى تحسين علاقاتهم مع تلك القوة العظمى الصاعدة

في نهاية المطاف لم يكن هناك من خيار سوى التوجه نحو الشرق والحد من النفوذ الروماني

ومحاولة كسب ردها. ومن نتائج هذا المناخ الجديد أن نشحت الأسواق العربية والشرقية أمام التجار القادمين من ولايات الإمبراطورية الرومانية. ورغم أن هذا الوضع الجديد لكسر الاحتكار العربي للسلع الوسيطة القادمة من الهند والصين - كما أسلفنا - وقطل من أرباح العرب في هذه الناحية ، إلا أن أرباح العرب لا بد أنها قد ازدادت من ناحية أخرى تمثلت في تدفق التجار من ولايات الإمبراطورية الرومانية على الأسواق العربية والهندية. وشراء السلع المميزة من سلع الرفاهية لدى الطرفين . مما كلف الخزنة الرومانية مبالغ طائلة تحدث عنها بليني وتاجيتوس من بعده .

ومن هنا يمكن القول أن العرب - في الواقع - لم يخسروا كثيراً حين سمحوا للسفن الرومانية بالوصول إلى الهند ، بل ربما كانت أرباحهم من تدفق التجار الرومان أكثر من خسائرهم نتيجة كسر احتكارهم للسلع الوسيطة القادمة من الهند والصين .

١٢٨. Plinius, *Historia Naturalis*, lib. VI, c. 27.
 ١٢٩. Plinius, *Historia Naturalis*, lib. VI, c. 27.
 ١٣٠. Plinius, *Historia Naturalis*, lib. VI, c. 27.
 ١٣١. Plinius, *Historia Naturalis*, lib. VI, c. 27.
 ١٣٢. Plinius, *Historia Naturalis*, lib. VI, c. 27.
 ١٣٣. Plinius, *Historia Naturalis*, lib. VI, c. 27.
 ١٣٤. Plinius, *Historia Naturalis*, lib. VI, c. 27.
 ١٣٥. Plinius, *Historia Naturalis*, lib. VI, c. 27.
 ١٣٦. Plinius, *Historia Naturalis*, lib. VI, c. 27.
 ١٣٧. Plinius, *Historia Naturalis*, lib. VI, c. 27.
 ١٣٨. Plinius, *Historia Naturalis*, lib. VI, c. 27.
 ١٣٩. Plinius, *Historia Naturalis*, lib. VI, c. 27.
 ١٤٠. Plinius, *Historia Naturalis*, lib. VI, c. 27.
 ١٤١. Plinius, *Historia Naturalis*, lib. VI, c. 27.
 ١٤٢. Plinius, *Historia Naturalis*, lib. VI, c. 27.
 ١٤٣. Plinius, *Historia Naturalis*, lib. VI, c. 27.
 ١٤٤. Plinius, *Historia Naturalis*, lib. VI, c. 27.
 ١٤٥. Plinius, *Historia Naturalis*, lib. VI, c. 27.
 ١٤٦. Plinius, *Historia Naturalis*, lib. VI, c. 27.
 ١٤٧. Plinius, *Historia Naturalis*, lib. VI, c. 27.
 ١٤٨. Plinius, *Historia Naturalis*, lib. VI, c. 27.
 ١٤٩. Plinius, *Historia Naturalis*, lib. VI, c. 27.
 ١٥٠. Plinius, *Historia Naturalis*, lib. VI, c. 27.

في نهاية المطاف لم يكن هناك من خيار سوى التوجه نحو الشرق والحد من النفوذ الروماني

Χρηστίσις βιβλίου

1- محمد السيد عبد الغنى ، مصادر التزيين الأول والثانى للبيلا حول مناطق إنتاج وتصدير القيان العصى - رؤية نقدية ، مجلة الفتح العربي - العدد السابع ، ١٩٩٩ ، ص ١٠٧-١٠٨ .

2- جواد على ، الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، الطبعة الثالثة ، فبراير سنة ١٩٨٠ ، دار العلم للطباعة والنشر ، بيروت ، الجزء الثاني ، ص ٢٤-٣٧ .

3- M. Charaoui - Gassouai "Inscription bilingue mineo- grecque a Delos. " Comptes rendus de l' Académie des inscriptions et belles- lettres , Paris, 1908 , p. 546-560 .

4- Ibid , p. 556-557 .

5- Ibid , p. 554 .

6- Strabo . XVI . 4 . 22-24 .

أن كذلك ، جواد على ، المرجع السابق ، الجزء الثاني ص ٤٤-٥٢ وإن كانت هناك بعض الأخطاء ، التي لم يرد لها مصدر هذه المسئلة مثل قوله بأن ملكه الألباط حينذاك كان (عبادة الثاني) في حين أنه كان على الأرجح (عبادة الثالث) الذي كان معاصرا للإمبراطور أغسطس ، ويرجع البعض أن عبادة الثاني ربما حكم تلك الألباط بين عامي ٦٢-٥٦ ق.م

أنظر مثلا ،

G. W. Bowersock Roman Arabia , Harvard University Press, 1983 , p. 34 , 46 .

وكذلك قوله عن العشرة آلاف جندي تحت قيادة جالوس بأنهم جسر من مصر (من المصريين والرومان) في مصر ، في حين أنهم كانوا حسب قول سترابون وعشرة آلاف من العصابة من الرومان في مصر ، وأخيرا ما ذكره من بناء سفن الأسطول الروماني في مصر بأنه (يقصد ألبيريس جالوسيا) وشرع في إعداده في ميناء ، فقط في كليوباتريس على قناة النيل القديمة ، لكن نهر سترابون لم يذكر فيه فقط بل ذكر موضوع الإعداد بأنه في كليوباتريس (وهي أيضا أرسينوى أو السويس الحالية) القريبة من القناة القديمة الممتدة من النيل .

وكذلك انظر :

G. W. Bowersock Op. cit., p. 46-49 ; S. Sudekhan, Roman Economic Policy in the

Syria Thalesi, Leiden 1986 , p. 120-130 .

7- Strabo , 16 . 4 . 22 ;

ην δε τι και το πολυχρηματους ακουειν εκ παντος χρονου , προς αργυρον και χρυσον τα αρηματα διαπιθεμενους και την πολυτελεστατην λιθιαν αναλισκοντας των λαμβανομενων των εξω μηδεν . η γαρ φιλοια ηλπιζε πλουσιους χρησησθαι η εχθρον κρατησθαι πλουσιων .

8- L. Cassan, *Le Palais Maris Elétrai, Pithécies* , 1989 , Introduction , p. 7-10 ; M. Abd-

el- Ghani. " Carius and its role in the Eastern Trade of the Roman Empire" in (L'Égypte in

the Italia del) *antichità a' al peicheno*), Ati del III Congresso Internazionale Italo - Egizi-

ano , Roma- CNR Pompei , 13-19 November 1995) Roma, 1998 , p. 3-14 .

9- Strabo 2 . 5 . 12 :

εκατον και εικοσι νηες πλεοιεν εκ Μυας ορμου προς την Ινδικην , προτερον επι των Πτολεμαικων βασιλευων ολιγων παντασιασι θαρροντων πλειν και τον Ινδικον εμπορευεσθαι φορτον .

10- Tacitus, *Annales* 3 . 53 :

Quid enim Primum Prohibere ei Priscum ad mores acriter adgrasari ? .. promissus

visis ei feminis vestis atque illa feminam propria , qui lapidum causa pecunias nostrae ad

exteras aut hostilius gentis transferebantur ?

11- Plinius , *naturalis Historia* 12 . 41 . 84 .

omnibusque contritione miliens cuncta milia sestertium annis omnibus India et Sers

et Paeftasula illa imperio nostro adsumunt iam nobis obliciae et feminae consant.

12- Ibid , 12 . 41 . 82 :

ac romanam fatis transmittitur Arabiam falsi et inemiti mannominis bealium illam fecit broad-

22- Th. Mommsen, *The Provinces of the Roman Empire from Caesar to Diocletian*, London, 1909, vol. II, p. 293-97; M. P. Charlesworth, "Some Notes on the Periplus Maris Erythraei", *Classical Quarterly*, 22, 1928, p. 92-100.

23- M. Rostowzew, "Zur Geschichte des Ost- und Südhandels im ptolemäisch-romischen Aegypten", *Archiv für Papyrusforschung* 4, 1908, SS. 309.

24- W. Schur, *Die Orientpolitik des Kaisers Nero*, (Kilo, Beiheft 15, Neue Folge 2), Leipzig, 1923, S. 46.

25- Keweb Wellstedt, "The Fable of the Roman Attack on Aden" in *Parola del passato* 9, 1954, p. 401-405.

انظر حاشية رقم (١٦) أعلاه :

27- Plinius, N. H. 6, 32, 160 :

Romana arma Solus in eam uenit adhuc intulit Aelius Gallus ex equestri ordine ; nam C. Caesar Augusti filius prospexit tantum Arabiam.

28- K. Wellstedt, art. cit. p. 403-406.

rua cibus in totius luxuria quae dis intellexerant gentem imperatorum defuerit.

13- Ibid. 6, 32, 162 :

in uniuersum gentes diuissimae ut apud quas maxime opes Romanorum Parthorumque Subsidiunt, uenditibus quae e mari aut siluis captae, nihil inuicem pecunientibus.

14- S. Stieboltham, Op. cit., p. 127.

15- L. Casson, *Periplus Maris Erythraei* 23 :

εν η Χαριβαη(αι), ενδισμος βασιλευς εθνων δυο, του τε Ομηριου και του παρακειμενου λεγομενου Σαβαητου συνεχειι πρεσβειαις και δωροις φιλος [δω] των αυτοκρατων.

16- *Res Gestae Divi Augusti* 5, 26 :

Misso Iussu et auxilio dato sunt duo exercitus eodem sepe tempore in Aethiopian in Arabian quae appellatur Eudhaemum.

17- L. Casson, Op. cit., introduction, p. 6-7.

18- Ibid. 26 :

εστιν Ευδαιμων Αραβια, κωμης παραθαλασσιος, βασιλειας της αυτης Χαριβαηλ....πρωτερον ουσα πολις....Νυν δε ου προ πολλου των ημετερων χρονων Καισαρ αυτην καταστρεψατο.

19- L. Casson, Op. cit., p. 8-9.

20- Plinius, *Naturalis Historia* 6, 31, 141 :

Augustus Iure in Armeniam ad Parthicas Arabicasque res maiore flido.

21- Ibid. 2, 67, 168 :

in quo (sc. Arabico sinu) res gestae C. Caesare Augusti flido signa nauium ex Hispaniis naufragiis ferentis agnita.

الرؤية الأوروبية للعرب والإسلام خلال العصور الوسطى

من الحقائق المسلم بها أن الرؤية التي تحملها أمة من الأمم أو ملة من الملل إزاء الطرف الآخر هي التي تحدد - إلى حد بعيد - سياستها ومواقفها تجاهه . ولما كان عالم الإسلام هو أكبر كتلة واجهت أوروبا في العصور الوسطى فإن الرؤية الأوروبية لذلك العالم هي التي رسمت سياسة أوروبا ومواقفها إزاءه . على أنه نجد الإشارة هنا إلى أن هذا لا يعني أن رأياً أوروبياً عاماً ، تكون تجاه العرب والإسلام في القرون الوسطى الأوروبية المبكرة - قبل عصر الحروب الصليبية - . ذلك أن طبيعة المجتمع الأوربي في تلك القرون ، وضعف وسائل الاتصال ، وانتشار الجهل في أوروبا ، حالت كلها دون احتكاك سائر الشعوب الأوروبية بالعرب والإسلام . ولارب أن الوقت لا حصر لها من عبء الأرخس والأقناب وسائر العامة ، لاسيما في المناطق الأوربية البعيدة عن مناطق الاحتكاك مع المسلمين ، عاشوا حياتهم دون أن يسمروا بكلمة إسلام أو عرب . والمقصود بالرؤية في هذا البحث هو ما عبر عنه رجال النخبة الأوربيون ، من رجال الدين والكتاب وغيرهم ، ومن أو تحمل منهم إلى الشرق أركان

* استاذ تاريخ العصور الوسطى - بهامة أم القرى - مكة المكرمة .

23. *Die Mohammedanische Weltanschauung des Mittelalters* (The Mohammedan World View of the Middle Ages) by H. H. Müller, Leipzig, 1908, p. 102.

24. *Die Mohammedanische Weltanschauung des Mittelalters* (The Mohammedan World View of the Middle Ages) by H. H. Müller, Leipzig, 1908, p. 102.

25. *Die Mohammedanische Weltanschauung des Mittelalters* (The Mohammedan World View of the Middle Ages) by H. H. Müller, Leipzig, 1908, p. 102.

26. *Die Mohammedanische Weltanschauung des Mittelalters* (The Mohammedan World View of the Middle Ages) by H. H. Müller, Leipzig, 1908, p. 102.

27. *Die Mohammedanische Weltanschauung des Mittelalters* (The Mohammedan World View of the Middle Ages) by H. H. Müller, Leipzig, 1908, p. 102.

28. *Die Mohammedanische Weltanschauung des Mittelalters* (The Mohammedan World View of the Middle Ages) by H. H. Müller, Leipzig, 1908, p. 102.

29. *Die Mohammedanische Weltanschauung des Mittelalters* (The Mohammedan World View of the Middle Ages) by H. H. Müller, Leipzig, 1908, p. 102.

30. *Die Mohammedanische Weltanschauung des Mittelalters* (The Mohammedan World View of the Middle Ages) by H. H. Müller, Leipzig, 1908, p. 102.

31. *Die Mohammedanische Weltanschauung des Mittelalters* (The Mohammedan World View of the Middle Ages) by H. H. Müller, Leipzig, 1908, p. 102.

32. *Die Mohammedanische Weltanschauung des Mittelalters* (The Mohammedan World View of the Middle Ages) by H. H. Müller, Leipzig, 1908, p. 102.

33. *Die Mohammedanische Weltanschauung des Mittelalters* (The Mohammedan World View of the Middle Ages) by H. H. Müller, Leipzig, 1908, p. 102.

34. *Die Mohammedanische Weltanschauung des Mittelalters* (The Mohammedan World View of the Middle Ages) by H. H. Müller, Leipzig, 1908, p. 102.

35. *Die Mohammedanische Weltanschauung des Mittelalters* (The Mohammedan World View of the Middle Ages) by H. H. Müller, Leipzig, 1908, p. 102.

36. *Die Mohammedanische Weltanschauung des Mittelalters* (The Mohammedan World View of the Middle Ages) by H. H. Müller, Leipzig, 1908, p. 102.

37. *Die Mohammedanische Weltanschauung des Mittelalters* (The Mohammedan World View of the Middle Ages) by H. H. Müller, Leipzig, 1908, p. 102.

38. *Die Mohammedanische Weltanschauung des Mittelalters* (The Mohammedan World View of the Middle Ages) by H. H. Müller, Leipzig, 1908, p. 102.

39. *Die Mohammedanische Weltanschauung des Mittelalters* (The Mohammedan World View of the Middle Ages) by H. H. Müller, Leipzig, 1908, p. 102.

40. *Die Mohammedanische Weltanschauung des Mittelalters* (The Mohammedan World View of the Middle Ages) by H. H. Müller, Leipzig, 1908, p. 102.

41. *Die Mohammedanische Weltanschauung des Mittelalters* (The Mohammedan World View of the Middle Ages) by H. H. Müller, Leipzig, 1908, p. 102.

42. *Die Mohammedanische Weltanschauung des Mittelalters* (The Mohammedan World View of the Middle Ages) by H. H. Müller, Leipzig, 1908, p. 102.

43. *Die Mohammedanische Weltanschauung des Mittelalters* (The Mohammedan World View of the Middle Ages) by H. H. Müller, Leipzig, 1908, p. 102.

44. *Die Mohammedanische Weltanschauung des Mittelalters* (The Mohammedan World View of the Middle Ages) by H. H. Müller, Leipzig, 1908, p. 102.

45. *Die Mohammedanische Weltanschauung des Mittelalters* (The Mohammedan World View of the Middle Ages) by H. H. Müller, Leipzig, 1908, p. 102.

46. *Die Mohammedanische Weltanschauung des Mittelalters* (The Mohammedan World View of the Middle Ages) by H. H. Müller, Leipzig, 1908, p. 102.

47. *Die Mohammedanische Weltanschauung des Mittelalters* (The Mohammedan World View of the Middle Ages) by H. H. Müller, Leipzig, 1908, p. 102.

48. *Die Mohammedanische Weltanschauung des Mittelalters* (The Mohammedan World View of the Middle Ages) by H. H. Müller, Leipzig, 1908, p. 102.

49. *Die Mohammedanische Weltanschauung des Mittelalters* (The Mohammedan World View of the Middle Ages) by H. H. Müller, Leipzig, 1908, p. 102.

50. *Die Mohammedanische Weltanschauung des Mittelalters* (The Mohammedan World View of the Middle Ages) by H. H. Müller, Leipzig, 1908, p. 102.

كان نسطور^(٦١) . وقد كتب عبد السج رسالته باللغة اليونانية على الأرجح في أوائل القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي^(٦٢) . وصاغها على هيئة حوار أو جواب لصديق مسلم يدعى ميخاله بن اسماعيل الهاشمي . زعم أنه دعاه إلى اعتناق الإسلام . وبهاجم عبد المسيح الكندي في رسالته شريعة الإسلام واستهزئ بها وبزعم - زوراً وبهتاناً - أنها شريعة الشيطان ، وأنها مبنية بالعدوان والشروع ، وأن محمداً صلى الله عليه وسلم ، الذي يسميه Macroetus ، عندما مات ، انظره أصحابه فلاقته أيام لينهض من بين الموتى فوجدوه جثة متعلنة ، وبزعم في رسالته أنه يعتقد مقارنة بين السج وحواربه مثل سيمون ويونس وبطرس الذين دعوا إلى دينهم بنشر كلية الإنجيل ، و اظهار المعجزات كإشفا المرض ، وبعث الموتى ، كدليل على صدق المسيحية ، وعاشوا حياة فخرية أدت إلى انتشار الدين المسيحي ، بينما تزعمه الباطل - ذهب محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى الحرب بغية السلب والنهب واغتصاب الزوجات والبنات ، ونشروا دينهم بحد السيف ، وبهاجم لغة القرآن ودينى عنها سمات الجمال ، وبزعم أنها لغة بربرية . وبزعم أن إنكار النبي محمد صلى الله عليه وسلم للوئمة لم يكن كاملاً ، وشن الكاتب هجوماً قبيحاً على سلوك النبي صلى الله عليه وسلم وأخلاقه ، ويستخدم عبارات باللغة القبح والحطه ، حتى إن المستشرق سير وليم مورير عندما تلم بخرقة الرسالة إلى الإنجليزية ونشرها في القرن التاسع عشر ، اضطر إلى حذف فقرات منها ، وصرح بأنه يعتبر تلك الفقرات المحذورة صيانية وظهر سليمة وبذينة وعدوانية وحاطفة بدرجة تتسم بالمساقاة . وقد تُرجمت هذه الرسالة إلى اللاتينية ، وأتمت بدور كبير في صياغة وجهة النظر الأوروبية تجاه الإسلام والمسلمين طوال العصور الوسطى^(٦٣) . بل نجد أثر هذه الرسالة حتى في العصور الحديثة عندما قامت إحدى الجمعيات التبشيرية وتدعى Turkish Mission Aid Society بنشرها في لندن سنة ١٨٨٠م ليستخدمها المشرون كدليل بزعمهم - على صدق المسيحية ودحض الإسلام^(٦٤) . ومن الواضح أن عبد المسيح الكندي كان يستهدف من كتابة رسالته نفس هدف يوحنا الدمشقي ، وهو أن تظل رسالته المكتوبة باليونانية متناولة بين النصارى لتصبح أداة صلبة بشعة مشرفة عن الإسلام ، تتناقى مع الحقيقة ، حتى لا يقبلوا على اعتناق .

وعلى الرغم من أن أول ترجمة معروفة لرسالة الكندي إلى اللاتينية قد قام بها بطرس من طليطلة Peter of Toledo سنة ١١٤١م / ٥٣٥ هـ وتُنعت من قبل بطرس من بواتييه Pui-

قريباً من مناطق الاحتكاك مع عالم الإسلام ، والملاحظ أن تلك الآراء أخذت تتراكم وتنتشر عبر الزمن إلى أن أسهمت أخيراً مع عوامل أخرى في إثارة الروح الصليبية واستمرارها في أوروبا ضد الإسلام والمسلمين ،

ولامناص قبل عرض الرؤية الأوروبية للعرب والإسلام في العصور الوسطى من الإشارة إلى ما كان لبعض كتابات النصارى الشرقيين وبعض الكتاب البيزنطيين من أثر وصفي في أوروبا العصور الوسطى ، حيث تُرجمت تلك الكتابات إلى اللغة اللاتينية ، ولعبت دوراً هاماً في تشكيل وجهة النظر الأوروبية إزاء الإسلام والمسلمين . ومن أهم أولئك النصارى الشرقيين يوحنا الدمشقي (٥٥-١٣٦هـ / ٦٧٥-٧٤٩م) وهو عربي نصراني ، ولد وعاش في العصر الأيوبي وتصلح في اللاهوت ، وكتب كتباً كثيرة ، ومن ضمنها جزء كتبه باللغة اليونانية بعنوان هرطقة الاسماعيليين "The Heresy of the Ismaelites" .

ويقصد بالاسماعيليين ، العرب من أبناء اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام . وهنا الكتاب شديد الطعن ، اتهم فيه يوحنا الدمشقي العرب بالهرطقة والغلل والخرافة ، واعتبرهم فرقة مسيحية مشرطقة ، وزعم أن النبي محمداً صلى الله عليه وسلم - الذي يسميه موصت Misoamet - كان رسولاً زائفاً Pseudo- Prophet ، وأنه ادعى النبوة زمن الإمبراطور هرقل (٦١٠-٦٤١م) بعد أن قرأ العهد القديم وألهمه الجديد ، ثم تسلط من راهب أريوسى ، فظاهر بالتقوى حتى استماله العرب إليه ، وأخبرهم أنه تلقى كتاباً من السماء ، وقدم فيه تلك الشرائع الضعيفة - على حد قوله- التي تسمى بالإسلام ، وبزعم يوحنا الدمشقي أنه ليس للعرب دليل من الكتاب المقدس بحيث صدق نبوءهم المزعوم^(٦٥) . ومن الواضح أن تلك الافتراءات الهائلة التي ساقها يوحنا الدمشقي في كتابه ضد العرب والإسلام ونفى الإسلام صلى الله عليه وسلم ، إنما كان يهدف منها الخيلولة بين النصارى في بلاد الشام وبين اعتناق الإسلام ، حين رأى تصامح المسلمين مع أهل اللغة ودخول كثير من النصارى في الإسلام ، فلم يجد وسيلة لتثبيت النصارى على دينهم سوى اتهام الإسلام بالهرطقة لتشويهه في نظر النصارى حتى لا يقبلوا على اعتناقه . وقد انتشر هذا الكتاب في بلاد الدولة البيزنطية واستخدمه الكتاب البيزنطيون في هجماتهم الفكرية على الإسلام ثم ترجم إلى اللاتينية وأسهم في صياغة الرؤية الأوروبية تجاه العرب والإسلام طوال العصور الوسطى^(٦٦) .

ومن أسوأ من كتب من النصارى الشرقيين يهاجم الإسلام ونفى الإسلام محمداً صلى الله عليه وسلم ، نصراني شرقي يدعى عبد المسيح بن إسحاق الكندي ، يرجع غالبية المستشرقين أنه

أما في داخل الدولة البيزنطية فلنفسها فعددا أصدا الخليفة يزيد بن عبد الملك هذا التاريخ^(٨).

أما في داخل الدولة البيزنطية فلنفسها فعددا أصدا الخليفة يزيد بن عبد الملك (١٠١-٥٠١هـ / ٧٢٠-٧٢٤م) مرسومة الشهير بنحطيم الأيقونات وهو كأي الصور الموجودة في الكتاب المسيحية المنتشرة في مصر والشام، باعتبار أن تلك الصور والتماثيل تشكل نوعاً من الوثنية^(٩)، رد حرمانيوس من القسطنطينية Germanus of Constantinople بتأليف رسالة سنة ٧٠٧هـ / ٧٢٥م يواجه بها أتباعه الأيقونيين التهمة الإسلامية لهم بالوثنية، باتهام المسلمين أنفسهم بالوثنية وأنهم يمجدين- بزعمه- حجراً غير ذي حياة داخل الصحراء يدعى Chobar^(١٠).

أما الفوخ البيزنطي ثيوفانس Theophanis المعترف الذي في ١١٧م / ٢٠٧هـ فظهر أولاً بيزنطي يكتب بشكل مسهب عن العرب والإسلام ونهى الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم، إلا أن كتابته تتصف بالاضطراب والتشويه المتعدد حين يتحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الإسلام ذلك أنه قدم العقيدة الإسلامية باعتبارها مرفقة. وأشار إلى أن محمداً صلى الله عليه وسلم نشأ أيضاً فقيراً ثم اشتغل بنجارة السيدة خديجة رضي الله عنها، وأنه حصل على رضاها وتزوجها. وزعم أنه بذلك الطريقة استولى على إيلها وجميع أموالها. وزعم أنه خلال اشتغاله بتجارة السيدة خديجة جال في بلاد الشام واختلط باليهود والنصارى وتعرف منهم على الكتب المقدسة. وزعم أن محمداً صلى الله عليه وسلم كان يعاني من مرض عصبي، وأنه اشتكى إلى زوجة خديجة أنه ظهر له ملك يدعى جبريل. وأنه ارتعب عندما رأى. وزعم ثيوفانس أنه كان يبلاد العرب وأهب جرى نفيه إلى مكة بسبب كفره وأن خديجة ذهبت إليه وأخبرته بما نأه زوجها، فأخبرها أن ذلك هو الملك الذي يرسل إلى النبيين. وزعم ثيوفانس أن خديجة صدقت كلام الراهب الكاذب فأخبرت نساء عشيرتها بأن زوجها نبي، ثم انشر الخبر إلى الرجال فصدف قريبه أبوبكر الذي جعله النبي محمد صلى الله عليه وسلم خليفة. وزعم ثيوفانس أن النبي صلى الله عليه وسلم مكث يدعو إلى دينه سراً عشر سنوات، ثم انطلق هو وضيخته وفرضوا سيادتهم على يثرب ونشروا ملتهم بالحرب لمدة عشر سنوات، ذلك أن محمداً- على حد قوله - أخير أصحابه أن من يقتل عدوا يدخل الجنة ومن سقط قتيلاً أمام عدوه دخل الجنة. وأن الجنة مليئة بالمذات الجسدية كالحجر والنساء وأنهار من خمر ولبن

وعسل وأن الجنة مليئة بالمسرات الدائمة التي لا تنتقطع. وذكر ثيوفانس أن محمداً صلى الله عليه وسلم أمر أتباعه أن يحسوا بعضهم بعضاً وأن يعودوا المرض وشققوا على المسكين وأن ينصروا المظلوم^(١١).

أما نيقetas البيزنطي Nicetas of Byzantium الذي عاش في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي فقد كتب مؤلفاً زعم أنه تفتيد للقرآن الكريم. ذلك أن الإمبراطور البيزنطي سيخاويل الثالث (٨٤٢ - ٨٦٧م / ٢٢٧-٢٥٤م) تلقى مقالين من المسلمين لتندان مزاعم النصراني بأن لله جل وعلا ابن يشاركه في أسمائه وصفاته ويطلق مقولة الأمانيم الثلاثة فكلف الإمبراطور نيقetas البيزنطي بالرد عليها. فقام نيقetas بتأليف رده الذي وصف بأنه دحض للكتاب المزدب- بزعمه الباطل- من قبل موعمت Moamet العربي، ويبدو أن نيقetas لم يكن منضلاً في اللغة العربية فقام حسب الاطلاع على القرآن، وقام باستعراض سورة من سورة البقرة إلى سورة الكهف. وكل سورة بحسب الاطلاع على القرآن، وقام باستعراضها مثلما هو رصها في القرآن- ثم يذكر اسمها. وأصدر حكمة الباطل بأن القرآن يصور الله- جل وعلا- على شكل كروي كامل أو على شكل مطرقة معدنية مطروقة في السماء. ويبدو أن نيقetas اقتبس هذا الزعم من المقالة الأسيانية التي سنشير إليها بعد قليل. ثم أخذ يستخر من المسلمين على مناصرتهم لهذا التصور المادي- بزعمه- وقال بأن موعمت (محمد صلى الله عليه وسلم) فاد المسلمين ليهيدوا في مكة وثناً مصنوعاً على غرار آفروديت Aphrodite -إلهة الحب والجمال عند الإغريق- وأنه جعل الشيطان رباً للخلق، وظل يؤكد على أن دين موعمت Moamet دين وثني وأن أتباعه مجرد جماعة من الوثنيين. وكان في كل سورة يناقشها بوجه السب والشتم للنبي صلى الله عليه وسلم- زاعماً- أنه هو الذي وضع القرآن وشحنه بالأساطير. وأنه أمر أتباعه بتقل من جعل شريكاً في جاني الله، ولذلك وقع معظم ذلك القتل على المسيحيين الذين يمجدون المسيح ابن الله - بزعمه- وأخذ نيقetas يحاول تفتيد بعض نصوص القرآن وتقصصه عن طريق مقارنته بنصوص المعهدين القديم والجديد، ويبدو في هذا متأثراً برأي يوحنا الدمشقي، فزعم على سبيل المثال أن إبراهيم الخليل لم يصل إلى مكة ولم بين الكعبة مثلما ذكر القرآن، لأن سفر التكوين لم يذكر ذلك. كما حاول نيقetas أن يستدل على صدق عقيدة الثالوث المسيحية ببعض آيات القرآن وتأويلها حسب عقيدته. واختتم حديثه بالتأكيد على أن الذي كان يعبده موعمت Moamet ويدعو إلى عبادته إنما هو

الشيطان نفسه^{١١٦}. ولحق أن كل آراء نيقتاس لاتعدى هذا الهذيان ، وقد أوردناها لتري الأثر الذي أسهبت به في صياغة الرزية الأوربية تجاه الإسلام والمسلمين خلال العصور الوسطى.

ولم تقتصر الرزية البيزنطية المعروضة تجاه العرب والمسلمين على الهجوم الحاد على دينهم ودينهم صلى الله عليه وسلم، بل إن الاسم الذي أطلقوه على العرب المسلمين يتضمن التحقير والإهانة ، بقوله المستعربى عن الإمبراطور البيزنطى نيقفور الأول (٨٠٢-١١١١م / ١٨٦-١٩٥هـ) وأنكر على الروم تسميتهم العرب، سارقينوس (Saracens) ، تفسير ذلك عبيد سارة طيناً منهم على هاجر وأبناها اسماعيل وأبناها كانت أمة لسارة ، وقال تسميتهم عبيد سارة ككذب ، والروم إلى هذا الوقت - أى زمن المستعربى - تسمى العرب سارقينوس^{١١٧}.

وله الكلمة تعلق باللغة اليونانية الساخرة - في العصر البيزنطى - Sarakenos قائماً نظماً كتبها المستعربى، وفي اللغة اللاتينية الساخرة - في العصور الوسطى - Saracenus . وهذه الكلمة هي الشائفة كما هو معروف للسورخين - في سائر المصادر اليونانية واللاتينية التي تحدثت عن العلاقات مع العرب والمسلمين. وتشير توماس اللغات الأوربية إلى أن Saracen التي تعنى عربى - أو مسلم مأخوذة من سارة زوجة إبراهيم المذكورة في الكتاب المقدس ، وكلمة Saraceni تأتي بمعنى سخرية أو تهكم وهي تعنى في القاموس كلمة جارمة ساخرة تهدف إلى الاتعاض من الشر، الذي تطلق عليه أو التفرقة، والفعل الاغريقي الأصلي للكلمة هو Sarkazein ومعناه بعض شفيه من الغيظ^{١١٨}.

وإذا ما انتقلنا إلى أوروبا خلال العصور الوسطى لنفحص الرزية الأوربية في تلك العصور تجاه العرب والإسلام، نجد وليبالد Willihad (. . ٧٨٧م / ٨٤-١١٧هـ) الراهب الأهلر سكسونى الذى قام بحدود بارذ في تفسير القبائل الجرمانية الشمالية يقوم بحجة إلى بيت المقدس سنة ٧٠٢ هـ / ٧٢٠م ويكتب رواية مفصلة عن إقامته في بلاد المسلمين الذين وصفهم بالوثنيين Saracen Pagans . وقد دوتت الراهبة هوجبورك Hugoburc قصة حبيته، ودوت أنه ذهب في رحلة أخرى إلى الشرق للقى مصرعه شهيداً - بزعمها - وليس بسبب تهبيره بالدين المسيحى، بين الوثنيين - تقصد المسلمين - بل بسبب تهريب بعض البلسم غير جمر ك صور^{١١٩}.

أما بيده من نورثمبريا Bede of Northumbria في شمال إنجلترا (ت٧٣٥م / ١١٧هـ) الذى كان معاصراً للفتح الإسلامى للأندلس وللتفوحات الإسلامية في جنوب فرنسا، فيصف المسلمين باعتبارهم أعداء المسيح عليه السلام، وذلك في واحد من شروحه للكتاب المقدس، ويأثر على متراله - فيما بعد - بعض الكتاب الأوربيين فوصفوا المسلمين تكراراً بأنهم أعداء المسيح والمسيحية وأنهم مفسدون بالكفر، نحو الرب^{١١٦}.

وفي أواخر القرن الثامن الميلادى ، أو أوائل القرن التاسع / أواخر القرن الثامن الهجرى ، ظهرت مقالة في أسبانيا هي عبارة عن نص هجومى بنى، على النبى محمد صلى الله عليه وسلم عُرفت باسم المقالة الأسبانية عن محمد Mabmeth Note on Spanish ولا يعرف كاتبها ويروج ناشرها دياز Diaz أنها من عمل أحد النصارى الشعرين . والمقالة تصور النبى محمد صلى الله عليه وسلم بصورة مجافية للذوق ومعاكسة تماماً لصفاته، فترجم - زوراً وبهتاناً - أنه كان كاذباً مبتدعاً شهواتياً ، وأنه دعا غيره المتوحشين إلى أن يتخطوا عن الوثنية ، وأن يعبدوا إلهاً مادياً في السسا، على شكل كمر مادية Deum Corporeum . وترجم هذه المقالة الزائفة أن إبليس ظهر لمحمد Mabmeth مدعياً أنه الملك جبريل، وأخبره أن الرب أرسله ليبشر العرب بما كان قد سمعه في مدارس المسيحيين ويدعوهم إلى عبادة ذلك الإله المادى فى السسا . وقدر عبادة الأوثان . وترجم المقالة الهذبية أن ماهميت Mabmeth عندما مات تعفنت جثته فقامت الكلاب بالتهام الجثة العفنة^{١١٧}.

ويجدر أن نشير هنا إلى أن جميع الكتاب الذين كتبوا عن محمد صلى الله عليه وسلم بصورة شديدة الطعن لم يستطيعوا أن يلفظوا أو يكتبوا اسمه بشكل صحيح فلاجد في اسمه حرف الدال D الذى يُعد ركناً أساسياً فى اسمه . وأخرف موجود فى اللغة اليونانية ، واللاتينية وسائر اللغات التي نترجم منها، نهم يشتمون ميوميث Muameth وموعث Moameth ، وماهث Mabmeth ، وما هو ميوت Mabometh ، وما كميوتس Macome-tus ونحو ذلك . وهنا يذكروا بتزول سورة آتيت بدأ نبى لهب ونبأ حين جات أم جميل بنت حرب، امرأة نبى لهب، وهى تُششد : مُدَّتْ أَبِينَا، وويته قلبنا، وأمره عصينا ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فى المسجد ومعه أبو بكر رضى الله عنه، فسألت أبا بكر إن كان النبى قد هجاه ، فنفى ذلك، وكان الكفار من قرىش من شدة كراهيتهم للنبى صلى الله عليه وسلم لايسمونه باسمه الدال على المدح فيهدولون إلى ضده، فيقولون مذمم . وإذا ذكروه بسوء، قالوا فعمل الله يذمم ، ومذمم ليس هو اسمه ولا يعرف به فكان الذى يقع منهم فى ذلك

مصرفاً إلى غيره. وكان النبي صلى الله عليه وسلم يفرح لأن الشركيين يسبون مذنباً فيقول :
 «المتعمجون كيف يصرف الله عنى شتم قريش ولتقتهم ! يشتون مُذنبًا ، ويلعنون مُذنبًا ،
 وأنا محمد» (٢٧٨). وهكذا سار أولئك الكتاب الأوربيون وغيرهم على غنى كفار قريش فهم
 يشتمون موصفت وموميث ، وماهمت. وما هو موميث ، وما موميثوس ، حيث صُوِّرُوا
 عن اسمه الحقيقي الدجال عليه وهو محمد صلى الله عليه وسلم .

وفي سنة ٨٥٨م / ٤٤٤هـ انتقل من قرطبة ، في أسبانيا إلى غرب أفريقيا نص من أيام
 المسيح ، كتبه ثلاثة من التصاري الأسبان هم جورج Aurelius واثاليا
 Nathalia . واشتمل النص على هجوم حاد على العرب والإسلام ونفى الإسلام ، فوصف
 الإسلام بأنه العقيدة الضالة ، وخذعة الشيطان الماكرة . وأن الإسماعيلية (أي العرب أبناء
 إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام) يُجَنُّون نبيًا كاذبًا ، صلحوا أنه من خلاله يكون طريق
 الخلاص ، وأن نبي المسلمين إنما هو - بزعمهم - غادر بطيحه ومزمن بيليس ، وهو وكيل المسيح
 الدجال ، والمستنق لكل الرذائل ، والتي سوف يُلقى به في جهنم ، ومن خلال تعاليمه العقيدة ،
 كتب على أتباعه عذاب النار السرمدي وأن الذي تراه ، له في هيئة ملال إنما هو
 الشيطان (٢٧٩) .

ويكفي في ضوء هذه النصوص القليلة وأمثالها أن تصور مدى ما يمكن أن تحدثه لدى
 المجتمع الأوربي من تعصب وكراهية للإسلام والمسلمين ، الأمر الذي يفسر الكثير من الظواهر
 والملاح التي ارتكبتها الأوربيون بحق المسلمين سواء في المناطق التي استولوا عليها من
 المسلمين في الأندلس أو في جزائر البحر المتوسط أو في بلاد الشام عند مجيء الحملة
 الصليبية الأولى -

ويجد رزية كارولنجية مفرجة عن الإسلام والمسلمين عند الكاتب اللاهوتي الكارولنجي
 باسكاسي راديرت Paschasius Radbertus الذي كتب في منتصف القرن التاسع الميلادي /
 الثالث الهجري ، رسالة يفسر فيها الآيات ١١-١٤ من الإصحاح الرابع والعشرين من العجبل
 متى التي يتوله نصها : «ويقوم أنبياء كذبة كثيرون ، ويضلون كثيرين ، ولكن الإثم يريد
 محبة الكثيرين ، ولكن الذي يصير إلى التنهى فهذا يخلص . ويكرر إشارة للآيات هذه ، في
 كل المسكونة ، شهادة لمسيح الأمم . ثم يأتي للتنهى ، فقام باسكاسي بشرح هذه الآيات
 وضرب الأمثلة بالمسلمين . فزعم أنهم قد ضلوا بواسطة بعض الأثماء الكذابين ، وأنهم ألفوا
 لأنفسهم شريعة من العهدين القديم والجديد ، وأنفسوا كل شيء بدعوى عبادة الله الواحد

الأحد ، بحيث أصبحوا غير مستعدين للإتفاق لا مع المسيحيين ولا مع اليهود في أية نقطة .
 وأن طردهم ينجمه إلى إخضاع العالم بأسره تحت حكمهم . ثم يشير بصورة ملغية إلى تسامح
 المسلمين مع دعاياهم وضلعهم الحرة الدينية لهم فيقول : إنهم لا يبالون بعبادة الناس للرب وفق
 عقيدتهم طالما أنهم يُدْعَوْنَ لحكمهم . ثم يزعم أن المسلمين اتخذوا لأنفسهم طريق الإثم ، وأن
 المسيح الدجال سوف ينزل أو يولد عن طريقهم (٢٨٠) .

وبعد سنة ٢٥٩هـ / ٨٧٣م أصبح في مقدم الكتاب الأوربيين الكاثوليك أن يقرؤوا
 باللاتينية الكثير من الناعم الباطلة عن وثنية المسلمين . والتي أصبحت الموضوع البارز في
 الهجمات البيزنطية الجديدة المضادة للإسلام والمسلمين ، بما فيها مؤلفات يوحنا الدمشقي
 وثيوفانس وجرمانوس وغيرهم . ذلك أنه في تلك السنة شرع أنسطاسيوس - Anastasius
 أول أمين مكتبة البلاط البيزنطي - في ترجمة أعمال المجمع المسكوني لسنة ٧٨٧م / ١٧١هـ الذي
 قُدم المودة إلى عبادة الأيقونات ، وتضمنت أعماله وصلاً للرب الإسلامي في تحطيم الصور
 والتماثيل الدينية ، كما ترجم ما كتبه جرمانوس من القسطنطينية ، وثيوفانس ، وكل ذلك
 أوجه أنسطاسيوس في مؤلف بعنوان Chronographia Tripertita - ولا تزال توجد من هذا
 المؤلف مخطوطات عديدة - ويقدم أنسطاسيوس بعض تعاليم شهرة المسلمين ، مثل مساعدة
 المريض وذيارته ، والتأخي بين الناس وأن يحب المرء للآخرين ما يحبه لنفسه . ويذكر
 أنسطاسيوس أن الإسلام يحث أتباعه على شن الحرب القلعة ودعد من يقتل عدوه أو سقط
 أمامه بالمقاتل الجسدية في جنة الفردوس . ويقدم أنسطاسيوس عقيدة بوصفها هرطقة ، متبعاً
 في ذلك رزية الكتاب البيزنطيين (٢٨١) .

أما الزاهرة الألمانية رونسفينا من جاندرشم Hrosvitha of Gander sheim الشريفة
 حوالي سنة ٣٩٢هـ / ١٠٠٧م ففي روايتها لتسجد مريم العذراء .. ترجمت لشباب غالي يهتفي
 بجلالهموس Pelagius ، كان قد اشترك في فئسة المستعربين في قرطبة ، وأعدده المسلمون
 بسبب تهجمه على الإسلام ونفى الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم سنة ٤٠٨هـ / ٩٢٠م ،
 ورفضه الكنيسة إلى درجة قدس ، فترجمت له رونسفينا تحت عنوان «آم القدس
 بلاجيوس» وفي حديثها عنه صورت المسلمين على أنهم وثنيون حقيقيون يعملون أعمالاً
 مصنوعة من الذهب والرخام ، وتذكر في حديثها أن المسيحيين في أسبانيا ممنوعون بسبب
 عقوبة الموت أن يسيرا الآلهة المصنوعة من الذهب التي يعيها الحكام المسلمون (٢٨٢) .

وفي رسالة بحث بها البابا جيوجورجى السابع (٧٣٦-١٠٨٥م / ٤٦٥-٤٧٨هـ) سنة ٤٦٩ هـ / ١٠٧٦م إلى الأمير روجر صاحب صقلية حثه فيها على نشر النصرانية بين المسلمين الذين وصفهم البابا بالوثنيين (١٢٦).

وحيث قام البيازنة والجنوية وحلفاؤهم في سنة ٤٨١هـ / ١٠٨٧م بحملتهم الشهيرة على شمال أفريقيا ، ظهرت نصيحة لشاعر بيزنطي مجهول يُسجد فيها الانتصار لفرقة علي المسلمين الذين حلت بهم الهزيمة . فيصف الشاعر المسلمين بأنهم كانوا - بزعمه - يتضرعون إلى ملاكومات Machumat - بقصد محمد صلى الله عليه وسلم - الذي بخيائه قذف كل العالم إلى القوضى ، والذي ابتدع هرطقة أقوى من هرطقة أريوس ، لأنه لا يعتقد في الثالوث ولا يؤمن بيسوع باعتباره كلمة الله (١٢٧).

ويضيف البابا ايربان الثاني (١٠٨٨-١٠٩٩م / ٤٨١-٤٩٢هـ) رسماً جديداً للمسلمين فيصفهم بالهمجيين والوحشيين ، وذلك في رسائله التي كان يبعث بها منذ سنة ٤٩٢هـ / ١٠٩٩م إلى الأمراء - والفرسان بهدف تهيئة الأريبيين لصلحة الحرب الصليبية التي أثارها . ووزم في تلك الرسائل أنه ينبغي عليهم تحرير الكنائس الشرقية من الهمجيين المسلمين الذين أنزلوا - بزعمه - الاضطهاد بالمسيحيين (١٢٨) . ويظهر صدى رؤية البابا ايربان الثاني فيما قاله الشفيقان جيوفريدو Gaufredus وجيوغو Guigo عندما باعا منزلها في ٢٤ أغسطس ١٠٩٦م إلى دير القديس فيكتور Victor بربهاها ولكن يذمها مع الحملة الصليبية إلى بيت المقدس ، بهدف الحج ، وحماية الرب . ويخمان الحراسة البغيضة للوثنيين - بزعمهم - الذين اندفعوا إلى الخارج نحو شعوب مسيحية لا تعصى بشعورهم وبأسرورهم وقتلونهم بغضب وحس (١٢٩) .

ولم تقتصر تلك الرؤية على رجال الدين بل لجدها حتى بين العلمانيين ، فقد ذكر الترخ النورمانى أوردريك فيتاليس Oudricus Vitalis أن أدبل Adele ابنة وليم الفاتح وزوجة ستيفن كونت بلوا Stephen of Blois ، التي فر من أمام أسوار انطاكية زمن الحملة الصليبية الأولى ، ولقد العار سبب فراره ، أخذت أدبل تحفظ عليه حتى يشترك في حملات سنة ١١٠١م / ٤٩٤هـ وما قالته له : استجمع الشجاعة ودافعاً عن ما كنت معروفًا به في شبابه ، وخذ قوتك في قضية نبيلة من أجل إنقاذ آلاف المسيحيين نظرًا لأوجهه من نطاعة الوثنيين والإذلال الشهير لدينهم البغيض (١٣٠) .

أما لاندولف ساجاكس Landolf Sagax الذي اعتمد على ترجمة أمين المكتبة الباهية أنسطاسيوس لرواية المؤرخ البيزنطى ثيوفانس فيكتور بعض ما قاله ثيوفانس ، فيقدم النبي محمداً صلى الله عليه وسلم على أنه كان رسولاً زائفاً ثم يقول : إن من تعاليمه أن الملائم الذي يقتل عدوه أو يسقط أمامه يدخل جنة الفردوس ، وأن جنة الفردوس مليئة بالملائم الجديمة ، وأن الناس يجب أن يتعلموا بالشفقة على بعضهم البعض ، وأن يساعدوا الضعيف ، ويوردوا المريض (١٣١) . ثم يأتي مؤرخ آخر هو فورتيراف أوف ميكلسميرغ - Friulf of Michelberg (المترجم سنة ١٠٣٠م / ٤٩٦هـ) فيعتمد على لاندولف ولكنه يقلل الوصف عن الملائم الجديمة والتعظيم بالجنة ، ويحذف تماماً الإشارة إلى الشفقة أو قيادة المريض ومساعدة الضعيف ، التي يمكن للتقوى المسيحية أن يستحسنها ويستبدل ذلك بالقول : إن تعاليم محمد صلى الله عليه وسلم وعقيدته ، تيلو سارة وحسنة للمجائين - بزعمه - ويورد سيجبيرت أوف جيمبلوكس Sigibert of Gembloux (المترجم سنة ١١١٢م / ٥٠٦هـ) الإشارات عن الحرب القلعة والجنة ، ويكتب - مثل فورتيراف الحديث عن الشفقة والساعدة ، ثم يضيف على مؤلفه ما يدل على حقدته وجهله فيقول : هنا هو محمد الذي يقدم له الوثنيون الأرومية ، حتى اليوم . وبذلك يكرر فكرة كانت شائعة بين الكثير من الأوربيين في العصور الوسطى مفادها أن المسلمين يهدون محمداً صلى الله عليه وسلم بوصفه إلهاً (١٣٢) .

أما هو الفلابيغنى Hugh of Flaviigny الذي تحصل مؤرخته إلى سنة ١١٠٢م / ٤٩٥هـ فعلى الرغم من أنه اعتمد كثيراً على مؤرخة أمين المكتبة الباهية أنسطاسيوس ، فإنه عند حديثه عن الإسلام وضم الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم ، ساق بعض العبارات الغريبة التي يبدو أنه استقاها من المقالة الأسبانية ، ثم يشير - معتدداً على أنسطاسيوس - إلى الحرب المقدسة وإلى الملائم بالجنة ، ويصف النبي صلى الله عليه وسلم - الذي يسميه موهمت Muehner بالرسول الكاذب ، ويؤزم أنه أورب آيات من العهدين القديم والجديد في الشريعة الجديمة التي جاء بها (١٣٠) .

على أن مثل هذا الجهل اللطيف بالإسلام والمحمد على نبي الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم ، الذي ساد بين كثير من الكتاب الأوربيين في العصور الوسطى ، لا يعني أنه لم توجد أبداً كتابات تصنف في جزء منها بتزوير يسير من القوم والوضوح عن المسلمين وبيتهم محمد صلى الله عليه وسلم ، فقد وجد القليل من الكتاب اتسمت بعض كتاباتهم بشئ ، من اللهم ومنهم - على سبيل المثال - جيوروت أوف نوجنت Gubert of Nagent الذي كتب في أوائل

القرن الثاني عشر الميلادي قتل : ابن المسلمين لا يعطون مبعثاً صلى الله عليه وسلم باعتباره إلهاً كما يعتقد بعض الناس ، بل بوصفه رجلاً عادلاً أرسلت بواسطته الشرائع الإلهية (١٣١) . وخلق مع جوديرت أو ينقل عنه الموزج وليم أوف مالمسبري William of Malmesbury في سنة ١١٣٧م / ٥٢١هـ . أن المسلمين يعجلون مبعثاً صلى الله عليه وسلم ليس بوصفه إلهاً منطلقاً يعتقد بعض الناس ، بل بوصفه رسول الرب الأعلى ، وفي سنة ١١٣٦م / ٥١٣هـ . يصف وليم أوف مالمسبري المسلمين واليهود والمسيحيين باعتبارهم يملكون يختلفون بالجهاد الإلهي جميعاً يعبدون الرب الأب الحقيق (١٣٢) . أما أوتو أوف فرايزنجين Otto of Frisingen فيكتب في سنة ١١٥٠م / ٥٤٥هـ مبيئاً ارتباطه وشكته في رواية سمعها مفادها أن المسلمين حاولوا أن يكرهوا أسيراً صليبياً على عبادة أصنامهم ، لأشد يعرف أن جميع المسلمين يعبدون الله الواحد (١٣٣) .

لكن هذه الرؤية المعتدلة تجاه الإسلام والمسلمين وتبهم صلى الله عليه وسلم لم يُتَقَرَّر لها الانتشار بين معظم الكتاب الأوروبيين في العصور الوسطى فقد ظل الجهل والتخلف والتشويه المتعمد هو المسيطر على كتاباتهم . وكان المسلمون في تلك الكنائيات يُصَوَّرُون على نطاق واسع باعتبارهم وثنيين . فالأستاذ البرليني أزو Azo (١١٥٠-١١٦٢م / ٥٤٥-٥٥٧هـ) الشهير في القانون المدني يكتب في تعليقه على قوانين جستنيان ، بأن الوثنيين المسلمين - بزعمه - يعبدون إلهة لا تخصص وهي في الواقع - بزعمه - معبودات من الشياطين (١٣٤) . وتأثر بهذه الرؤية هوستينسيس Hostiensis (١١٧٠-١٢٢٧م / ٥٦٨-٦٦٨هـ) وهو من المحققين المشهورين على الفتاوى البابوية فيذكر في تعليقاته أن المسلمين يعبدون إلهة ومعبودات وغارث لا تُعَد ولا تُحصى ولا يقبلون العهد الجديد ولا القديم (١٣٥) .

ومن عجب أن هذه الرؤية الخاطئة والجهل الناضج والتعصب الأعمى تجاه الإسلام والمسلمين يتسرب حتى إلى بعض من شاركوا في الحرب الصليبية وعاشوا في الشرق ، يُخَرِّضُ أنهم عرفوا المسلمين عن قرب . فعلى سبيل المثال ، فوالتشر أوف شارتر Fulcher of Charters الذي شارك في الحملة الصليبية الأولى . وعاش في بيت القليس لأكثر من ربع قرن يزعم أن المسلمين مارسوا الصلاة داخل قبة الصخرة لوثن منصوب يدهم ماهوميت Mahomet - يقصد مبعثاً صلى الله عليه وسلم - ثم يشجب وينهجم على شريعة المسلمين ويصفها بالوثنية (١٣٦) .

أما وليم الصوري William of Tyre الذي ولد في الشرق في بلاد الشام سنة ٥٢٤هـ / ١١٣٠م وعاش حتى عصر صلاح الدين الأيوبي وأصبح أشهر مؤرخ لمملكة بيت المقدس الصليبية ، فيبدو من حديثه عن ظهور الإسلام وبعثة النبي صلى الله عليه وسلم أنه قد تأثر بالرسالة القبيحة لعبد المسح الكندي فتبنى بعض الأنماط الفاحشة والافتراءات الواردة فيها ، وجاء في مستهل الكتاب الأول من مؤلفه : وفي زمن الإمبراطور هرقل وطيفاً للروايات والتواريخ الشرقية حلفت معتقدات محمد الضارة - بزعمه الباطل - موطن ، قدم واسع لها في الشرق . وهذا هو أول أبعاد الشيطان المعلن بالكتب أنه رسول مُرْسَل من الله ، وبذلك أُضِلَّ بلدان الشرق خصوصاً بلاد العرب . والهدية السامة التي نُدعها اختزلت إلى حد بعيد المناطق التي استختم فيها خلفاء السيف والعنف بدلاً من التبشير والنصح ، لإجبار الناس ، مهما كانوا معارضين ، ليعتقدوا المعتقدات الخاطئة للرسول . وخلال حديثه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه يصف عقيدة النبي محمد صلى الله عليه وسلم مرة بالزائفة ومرة أخرى بالكريهة (١٣٧) .

وفي سنة ١٢٠٤هـ / ١٢٠٤م أرسل إمار Aymar بطبروك بيت المقدس وفيليب أول لوي بليسيز Philip of Le Plessiez ، رئيس الدارية ، والفرنسي Altonso رئيس الاستبارة . تقريراً من عكا إلى البابا إنوسنت الثالث (١١٦٨-١٢١٦م / ٥٩٤-٦١٣هـ) عن الأحوال في الشرق ، وذكر فيه أن المسلمين يزودون برصياً ويحبون ولهم مبعثاً ، فأما مثلها بمبيد المسيحيين المسيح في كنائسهم . ولم يستطيعوا في ذلك التقرير أن يكبروا اسم مبعث صلى الله عليه وسلم بشكل صحيح فأطلقوا عليه ماجوميث Magometh (١٣٨) .

وقد بلغت الكراهية للإسلام والمسلمين في أوروبا خلال العصور الوسطى درجة خطيرة ، حتى إنه عندما قامت حركة الترجمة للكتب العربية إلى اللاتينية في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي ، في شتى المعارف والفنون ، أخذ المترجمون من مدرسة طليطلة وغيرها يُقدِّمون مرادهم المترجمة بوصفها عربية وليس بوصفها إسلامية ، فهي في نظرهم : كتب العرب ، وأثار العرب ، وأساندة العربية . لأن كلمة عربية وعربية تُشير إلى عنصر لغوي أو عرقي ، أما كلمة إسلامي فهي تشير إلى الدين النافس النصرانية ، والعدو اللبوة لها في نظر رجال الدين النصارى (١٣٩) . ولأنك في أنه كان لتلك الكتابات التي أشرنا إليها آنفاً وأمثالها ، أثرها الواضح في تغيير التصاري في القرب الأوربي من كلمة إسلام وإسلامي ،

ولذلك صار لزماً على المترجمين أن يقدموا ترجماتهم من كنوز الحضارة الإسلامية في شتى ميادين العلوم والآداب باعتبارها عربية وليست إسلامية وذلك لتلقى القبول والعناية في أوروبا. ومنهم على سبيل المثال، الأسباني بدرو ألفونسو Pedro Alfonso الذي كان يهودياً ثم تنصر في سنة ١١٠٩م / ٤٩٩هـ. والذي قام بترجمة معارف المسلمين. لاسيما في مجال الفلك. إلى اللاتينية. وقد هاجر ألفونسو إلى إنجلترا وعمل طبيباً في بلاط ملكها هنري الثاني وأشرف على ترجمة جداول الخوارزمي التي قام بها الإنجليزي أديلارد الباثي Adelard of Bath. وقام بدرو ألفونسو بتأليف مجموعة قصصية مساهم: تهليل رجال الدين ، Disciplina Clericalis ، وكان هدفه من المبروعة أن تكون في متناول رجال الدين لاستخدامها في وعظ الجماهير المسيحية. وعمل قصصه على لسان رجل مسلم أطلق عليه اسم «العريس» حيث جعله يتحدث وهو على فراش الموت فيعظ ابنه ، ويقص عليه العديد من القصص والأمثال . وقد استقى بدرو ألفونسو قصصه عن كتب الأدب العربي مثل «كليلة ودمنة» وغيرها. وهو يصور البيئة الإسلامية في العصور الوسطى، مثل حكاية تاجر من عمريين أحدهما بغدادى والأخر مصري يخابها في الله حتى الموت. وقصة عريس من الأندلس ذهب إلى مكة لأداء لريضة الحج فأودع ثروته عند رجل مصر ، وقصص حجاج عرب يشجعون في رحلة للحج إلى مكة، وقصص حجاج نصارى يشجعون في الحج إلى روما. وكل قصص بدرو ألفونسو وحكاياته تقدمها على أنها عربية وسلب عنها الصيغة الإسلامية وذلك لكي يجعل لها القبول لدى رجال الدين ولدى الجماهير المسيحية في أوروبا إبان العصور الوسطى (١٤٠١).

وقد كتب بدرو ألفونسو رسالة زعم فيها أنه يُقَدِّم الإسلام . واعتمد فيها على رسالة عبد المسيح الكندي فيما يتعلق بالشي محمد صلى الله عليه وسلم . وشكلاً فعل الكندي في رسالته عندما جعلها على هيئة حوار بين بطرس المسيحي وبين موسى اليهودي. أو معاينة ألفونسو صاغ رسالته على هيئة حوار بين بطرس المسيحي وبين موسى اليهودي. أو معاينة أخرى، بينه هو عندما أصبح مسيحياً جديداً. وبينه هو عندما كان يهودياً في الماضي . وشكلاً فعل الكندي من ألفونسو هجوماً سفهاً على الإسلام ونفى الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم. بل يمكن اعتبار رسالة ألفونسو مجرد إعادة صياغة لما كتبه الكندي. وقد حظيت رسالة ألفونسو بانتشار واسع في أوروبا طوال العصور الوسطى وأصبحت هوراً مهماً في زيادة روح الحق والتعصب تجاه الإسلام والمسلمين . وكانت من المصادر الأساسية التي شكلت وجهة النظر

القديمة إزاء الإسلام ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم منذ القرن الثاني عشر الميلادي وما بعده (١٤١١).

ومن أعجب وأغرب الآراء تجاه الإسلام ونبي الإسلام صلى الله عليه وسلم في أوروبا خلال العصور الوسطى تلك التي صدرت عن جواكيم الفلورى (١١٣٥ - ١٢٠٣م / ٥٢٩-٥٩٩هـ) Jouhaim of Flora رئيس دير كورازو Corazzo في صقلية ، وأشهر راهب أوديسي عاش بالقرن الثاني عشر الميلادي / السادس الهجري . وقد زعم أن الروح القدس تراءى له في يوم سبت من سنة ١١٦٠م / ٥٥٥هـ وأخبره بأقرب معنى . ملكوت الرب وحدوث التجهيد الروحي الكامل للجسد البشري وانتشار الدين المسيحي في سائر أرجاء الأرض. وكان أن حازت آراء ومعتقدات جواكيم الفلورى تأثيراً واسعاً على الأجيال التي ظهرت بعده في أوروبا، وكان القائد المهتم للرومان والمشرعين الفرنسيين كان لاسيما الرومان الرومانيين الذين اتخذوا الفخر والزهو والتعشق وسيلة لتحقيق أهدافهم الرامية إلى نشر الدين المسيحي في سائر أرجاء الأرض (١٤٢). وقد عرف جواكيم الفلورى - بحكم وجوده في صقلية- أن المسلمين يعتقدون في إله واحد ويحتمون محمداً صلى الله عليه وسلم رسولاً ومبشراً وتنبأ . لكنه زعم - زوراً وهجلاً - أن تعاليم ماهوميث Mahometh مجرد هرطقة تدافع عن الشهرة باعتبارها السعادة العظيمة والعظيمة الإلهية (١٤٣). وهذه الرزية كانت معروفة وشائعة في أوروبا في العصور الوسطى، سواء من جانب كتّاب سفر جواكيم الفلورى أو لينا كتبه النصارى الشرقيين والبيزنطيين وترجم إلى اللاتينية فردد، الأوربيون في كتاباتهم . لكن الإضافة الجديدة والمعجبة التي جاء بها جواكيم هي تفسيره للآيات العشر الأولى من الإصحاح الثالث من رؤيا يوحنا اللاهوتي بالعهد الجديد الذي يقول نصه : « ثم وقعت على رجل اليشم . فرأيت وحشاً طالماً من البحر له سبعة رؤوس وعشرة قرون وعلى قرنيه عشرة تيجان وعلى رؤوسه اسم محمد يرف . والوحش الذي رأيت كان شبه ثور ولواتمه كقتران ديب وقفه كقف أسد وأعطاء الذين قدرته وعرشه وسلطاناً عظيماً . ورأيت أمد رؤوسه كأند منبرج للموت ويوحده المبيت قد شفى . وتعجبت كل الأرض وراء الوحش وسجدوا للذين الذين أعطى السلطان للوحش وسجدوا للوحش قائلين من هو مثل الوحش من يستطيع أن يحارب . وأعطيناً نسا يتكلم بعظائم ويجاديف وأعطين سلطاناً أن يفعل اثنين وأربعين شهراً . ففتح فمه بالنجديف على الله ليجدف على اسمه وعلى مكنته وعلى الساكنين في السماء . وأعطين أن يصنع حرباً مع القديسين

وخطبهم وأعطى سلطانًا على كل قبيلة وسائر رامة . فوجد له جميع الساكنين على الأرض الذين ليست ألسانهم مكتوبة منذ تأسيس العالم في سفر حنوخ الحروف الذي ذُبح . من له أذن فليسمع . إن كان أحد يجمع شيئًا فإلى السبي يذهب . وإن كان أحد يقتل بالسيف فينبغي أن يقتل بالسيف . هنا صبر القديسين وإيمانهم . ويُفسر جواكيم الفلوري تلك الرؤوس السبعة للوحش بأن الرأس الأول يشير إلى مبرود الكبير الأرمي ملك اليهود الذي بنى المعابد للأصنام الرومانية في فلسطين ، والرأس الثاني إلى نيرود . الذي اضطهد المسيحيين ، والرأس الثالث إلى قسطنطينوس بن قسطنطين الذي اعتنق الأيوبية وناصرها بقوة . أما الرأس الرابع - بزعمه - فهو يشير إلى محمد Mahometh صلى الله عليه وسلم ، حيث اضطهد المسلمون تحت حكمه المسيحية في عصرها الرابع . والرأس الخامس يشير إلى عبد المؤمن ، مؤسس دولة الموحدون في المغرب ، والرأس السادس ، هو صلاح الدين . أما الرأس السابع فهو المسيح الدجال الذي وكف فعلًا - بزعمه - وسوف يجلس على الكرسي البابوي في روما . وأن عصر ظهور المسيح الدجال وسقوطه سوف يبدأ في سنة ١١٩٩م (١٤١١هـ).

ولم يذهب تفسير جواكيم سلبًا في أوروبا إبان العصور الوسطى فقد كان لرؤيته وشروحه أثر حتى على أعلى مستوى ، فقرأ البابا إنوسنت الثالث الذي أخذ في سنة ١٢٦٣م / ٦١٠هـ ينصو إلى شن حملة صليبية جديدة ضد المسلمين يشير إلى محمد صلى الله عليه وسلم (الذي يسميه Machometes) وأتباعه المسلمين هم الوحش ذو السبعة رؤوس الذي طلع من البحر في رؤيا يوحنا اللاهوتي (١٤١١). وقد انتشرت أفكار جواكيم وتفسيراته بين بعض المبشرين الفرنسيسكان في القرن الثالث عشر لاسيما الذين وفدوا على الشرق ١٤١١ . بل ويحكى أن فلس بعض صدى تفسير جواكيم الفلوري حتى في القرن العشرين ، فها هو الدكتور صمويل فيزير يصف الإسلام بأنه العقول العقيدة الذي لمدة ثلاثة عشر قرنًا تجدي جسدي الرب القوي (١٤٧٦) . ليس هذا فحسب ، بل وفي خضم الدعوات التي كان يقوم بها رجال الدين والرهبان في أوروبا خلال العصور الوسطى لشن حرب صليبية جديدة ، كان الخطاب اللبني الموجه إلى الجماهير الأيوبية يتضمن تشبيه النبي محمد صلى الله عليه وسلم بالمسيح الدجال . أو المهد له . أو باعتباره المسيح الدجال نفسه (١٤١١).

وتجد الزاهد المتصور ولويس الطرابلسي William of Tripoli الذي وكف وعاش في الشرق الأيمن صبيحين . والتحق بطائفة الرهبان اللومنيكان وتعلم اللغة العربية وقام ببعض

الفتاوات إلى أرمينية الصغرى وإلى المنصور محمد حاكم حماة ، ونشر بالتصيرية بين المسلمين الخاضعين للصليبيين في بلاد الشام ، بولف في دير الرهبان اللومنيكان في عكا سنة ١٢٧٣م / ٦٧٢هـ . تعريفًا باللاتينية عن الإسلام ونسب الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم . وكان هدفه من مقاله تعريف الأوروبيون بالإسلام . ويوضح هدفه وتشريده من عنوان المقالة نفسها حيث جعلها بعنوان «بيان بالإسلام وفيه الكاذب ما هو ميت» De Statu Saracenor وكان عنوان المقالة um de Mahomete Pseudopropheta ويتضح من المقالة أنه استقى بعض مرادها من رسالة عبد المسيح الكندي فيسوس سيرة النبي صلى الله عليه وسلم . ويؤمن أن أصحابه دورًا ما سمعوه منه كتابًا . وبعد موته أرادوا أن يضعوا كتابًا شاملًا يتضمن كل عقائده وشرائعه . فكلّفوا أحدهم للقيام بذلك العمل . فعجز أن يقوم بذلك العمل في صورة كاملة ، فطلبوا من النصارى واليهود الذين اعتنقوا دين ما هو ميت Mahomete أن يساعدوه . فقاموا باختيار نصوص ملازمة من العهدين القديم والجديد ، ولفقوا بينها وأدمجوها مع أقوال ما هو ميت - Mihomeite ، فجاء الكتاب على مستوى كبير من الخيال والإعجاز البلاغي . ويبدو أن هدف ولهم كان حث الأوروبيين على مساعدة المبشرين ، فزعم أنه أدخل في النصيرية وعد ألف مسلم . وذهب أن شرعة الإسلام على وشك الانهيار والستورط وأن المسلمين أنفسهم مقتنعون بأن دينهم محكوم عليه بالانقراض . وأنهم أصبحوا كالتعبئة الضعيفة التي تتطلع إلى المصيرية ، وأنهم على وشك أن يدلفوا إلى حظيرة المسيح (١٤١١) .

وكان لقالة ولويس الطرابلسي تأثير على وجهة النظر الأيوبية تجاه الإسلام والمسلمين في العصور الوسطى ، يدلل اعتماد الرحالة الانجليزى سيرجون مانديفل - Sir John Mandeville عليها في وصفه للإسلام والمسلمين حين قام برحلته إلى الشرق في القرن الرابع عشر الميلادي / الثامن الهجري (١٤٠١) .

أما ريكولدو أوف مونت كروس Ricoldo of Monte Croce (١٢٤٠ - ١٢٦٧م / ٦٤٢ - ٧٧٢هـ) فقد ولد حوالي سنة ١٢٤٠م في مونت كروس في جوار فلورنسة في إيطاليا . والتحق بطائفة الرهبان اللومنيكان في دير فلورنسة ، وتعلم حتى صار أستاذًا للفنون والآداب في دير سانت كاترين Convent of St. Catherine في بيزا في سنة ١٢٧٢م / ٦٧١هـ وعاصر تساقط العقائل الصليبية ببلاد الشام في أيدي المسلمين (١٤١١) . وقد سافر إلى الشرق فوصل عكا ثم غادرها في سنة ١٢٨٩م / ٦٨٨هـ متوجهًا إلى النسيك حيث تجرد في أرمينية .

صحيح ولا عبارات موزونة كتلك التي جاءت في الكتب المقدسة (١٥١) ، أي أن ريكولنو حاول أن يجعل من بلاغة القرآن الرفيعة وأعباءه اللغوية القوي وسمو عبارته وتفرده أسلوبه دليلاً على علم صدقه !! وهنا من أعجب وأغرب الهنجان .

والحق أن ريكولنو مونت كروس لم يشاهد على أرض الواقع الكثير من الفضائل التي تشيخ بها المسلمون بفضل دينهم ، ومع ذلك لم يستطع أن يفتح عينيه على حقيقة دين الإسلام الذي أمر بهذه الفضائل (ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور) فما له من ذلك أنه قال إنه «سوف يتحدث عن أعمال محددة تنصف بالكمال تصف بها المسلمون ، هي أكثر عاراً على المسيحيين منها مدحاً لأركان الوثنيين» يقصد المسلمين - فمن الجدير بالثناء ، والذكر خصائصهم للبرائة ، وأخلاصهم في إيمانهم بدينهم ، وخشوعهم في صلاتهم ، وعنايتهم بصومهم ، وشفقتهم بالفقراء ، وصواربهم التي يوصون بها قبل موتهم ، والتي يشترطون فيها أن يُكفَى بها الأسرى الذين وقعوا في أيدي المسيحيين ، ما أروع توقيرهم لإسم الأثرية وقارهم الشديد ، واحتشامهم في مشيهم ، ووقوفهم وجلوسهم ، وعلوية معاشرتهم للغير ، وحسن ضيافتهم البالغة حد الكمال ، والسلام الذي يصونونه مع بعضهم البعض ، ثم يختم إعجابهم بفضائل المسلمين بالقول: «إن هذه الكلمات المذكورة آنفاً لا تسجلها لأجل إطراء المسلمين بل من أجل إبحال المسيحيين الذين يكرهون أن يصلوا شيئاً من أجل قانون الحياة ، بينما أولئك اللاعين - يقصد المسلمين - يفعلون ذلك من أجل قانون الموت» (١٥٢) .

وفي الوقت الذي أورد فيه ريكولنو تلك الكلمات السابقة عن سلوك المسلمين وتعاليمهم في واقع الحياة ، شن هجوماً عنيفاً وشرساً على الشريعة الإسلامية ، فربماها بالاضطراب ، والنظام والتناقض وعدم الثبات ، وهاجم الفقه الإسلامي لبروحه أنه قال مشيراً إلى ما يتعلم به المسلمون من فضائل : «وهذه الأعمال الصالحة استطاعت أن تحيا داخل ذلك الفقه القادر بطبعه» (١٥٣) ، والصعب كل الصعب من ريكولنو مونت كروس ، هو تفرقة بين عقيدة المسلمين وشرعيتهم وبين سلوكهم ، الذي لا يمكن أن يفتح إلا من تلك العقيدة والشريعة التي رعهم وهدتهم على ذلك السلوك الربيع الذي أشار إليه ، وهكذا يتضح أن ريكولنو لم يستطع أن يتخلص مما تعلمه ونشأ عليه من حقد وكراهية للإسلام ونسب الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم ، فحت تأثير تلك الصورة البشعة التي رسمتها كتابات أسلافه السابقين ، ثم اختلط بالمسلمين ، فشهد ولمس سلوكاً ومعاملة لا نظير لهما ، فلم يجد مناصاً للتخلص من ذلك

ثم ذهب إلى قونية في آسيا الصغرى للتبشير بالكاثوليكية ، ثم غادرها إلى تبريز وأقصى فيها ستة أشهر داعياً إلى الكاثوليكية من خلال مترجم ، وهو أول أوروبي تغفلت بصق داخل البلاد الإسلامية ، ومن تبريز أرسل إلى مراغة ثم عاد إلى كروستان فوصل إلى الموصل ومنها التحد إلى بغداد ، وشرع في تعلم اللغة العربية العربية ، وقد أجرى اتصالات عديدة مع بعض الطلاب المسلمين الذين استقبلوه بحفاوة في بيوتهم باعتبارهم رجل دين لاعلاقة له بالحروب الصليبية الشريعة ضد المسلمين ، وحضر حلقات الدروس في المدارس الإسلامية في بغداد ، وحاول أن يقوم بترجمة القرآن الكريم إلى اللاتينية إلا أنه شعر بالمعجز - فيما يبدو - فتخطى عن محاولته (١٥٤) ، وخلال إقامته في بغداد سمع بسقوط عكا في أيدي المسلمين سنة ١٢٩٠هـ / ١٢٩١هـ ، وشاهد بعض الأسرى النصاري الذين أرسلوا إلى بغداد وبينهم عدد من الرهبان اللوثريكيكان ، كما شاهد بعض الفئات التي وقعت بأيدي المسلمين وجاء بها التجار لبيعها في بغداد وضمتها بعض الأختار القديمة عند النصاري وبعض كتبهم الدينية ، فاشترى بعض تلك الأختار للاحتفاظ بها ، وكان لذلك الكوارث التي حلت بالمصليبيين أسوأ الأثر في نفسه (١٥٥) ، ويبدو أن سقوط عكا ترتب عليه دخول بعض النصاري في الإسلام الأمر الذي أصاب ريكولنو بالإحباط فكتب رسالة إيجابية تنصف بالألم والحارة الكافئة في صدوره يزعم أنه وجهها إلى الرب ، وفيها يشكو أنه لا ومنيك القتالي ، ولا قنيس الأسي ، ولا لوس التاسع ، ولا الملوك الآخرين ، ولا البارونات محجوا في قهر اخوان ماكروميت Marchette (لم يستطع كتابة اسم القيس محمد صلى الله عليه وسلم بشكل صحيح) ، بل على العكس قائماً ، كان مستعراً بلتهم المسيحيين ويكرههم على أن يتبرأوا من دينهم (١٥٦) .

وقد كتب ريكولنو أوف مونت كروس مؤلفات مختلفة ضمتها مؤلف أطلق عليه دحض القرآن بزعمه "Confutation Alcorani" وما جاء في الكتاب من ههنا وهناك مستمدة في مجملها من رسالة الكندي ومروحا الدمسقي وشيرفانس ونيقناس البيزنطي ، وما أضافه الكتاب الأوربيون إلى افتراءاتهم عبر قرون ، لا سيما وصف المسلمين بالوثنيين ، فيزعم - زوراً وبهتاناً - أن الإسلام مجرد فدعة شيطانية بعين قدرته على إيقاف انتشار المسيحية ، وأن الوثنيات بدأت تنهار أمام المسيحية ، وأنه ليس في مقدوره دحض شريعة موسى والمجمل عيسى ، فابتدع ذلك الدين ليكون وسطاً بين النصرانية واليهودية ، وزعم ريكولنو أن القرآن ليس قانون الله ، نظراً لأن أسلوبه - بزعمه الباطل - لا يطابق الأسلوب الإلهي ، الذي لا يوجد فيه

التناقض الذي حصل داخل نفسه سوى بالتفريق بين الإسلام كعقيدة وشرعية وبين تطبيق المسلمين لتلك العقيدة والشرعية في واقع الحياة.

وقبل أن نختم الحديث عن ريكولدو مونت كروس نشير إلى أن كتابه دحض القرآن بزعمه - قد أُنشئ في القرن السابع عشر الميلادي من قبل منشور يدعى الكونت روس ، كتب كتاباً وجعل عنوانه قرآن محمد - بزعمه - Alcoran of Mohamed وقد أشار الأستاذ الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور، إلى أن الكونت روس هذا ومن الإسلام وتبني محمد صلى الله عليه وسلم بأشع التهم، ثم اضطر إلى الاعتراض بأن عقيدة الإسلام تكمن في روحه ومبادئه وشرعيته وأسلوبه فقال : ولو قرأ المسيحيون باهتمام شرعية المسلمين وتاريخهم وتبنيوها ، لاستولى عليهم الخبايا حين يشاهدون إلى أي حد يعرّض هؤلاء المسلمون على عبادتهم ومدى تقراهم وتصديقهم ، وإلى أي حد هم متفانون في إخلاصهم ، فاعتنق في مساجدهم ، وإلى أي حد هم مطيعون لرئيسهم الروحي ، وإلى أي حد هم مهتمون بإعادة أوقات الصلوات الخمس في كل يوم ، حيث يتواجدون مهتماً تكن شاغلهم. ما أشدّ مراعاتهم لصلواتهم من الفجر حتى المساء طول أيام الشهر بلا انقطاع ، ما أكثر تواد المسلمين وتراحمهم، وما أعظم ما يرى من عنايتهم بالفقير ، في زلهم ، سواء بالفقير أو النازح المسافر ، لو تأملنا عاداتهم ونزاهتهم وسائر فضائلهم الخالقة ليجلنا من جهونا . سواء في عبادتنا أو تراحمنا ، ومن جورنا وإفراطنا وتعسفنا ، فلا ريب أن هؤلاء القوم سينبسون الحجوة علينا ، ولا شك أن عبادتهم وتقواهم وأعمال الرحمة فيهم هي الأسباب الرئيسية لنصر الدعوة المحمدية (١٨) . وعندما نتأمل عبارة الكونت روس هذه نجد أنها عبارة ريكولدو مونت كروس بشخصها ولحسها مع بعض الإضافات والتعديب والتعوير. وهذا دليل يوضح حقيقة كبرى مهمة لا بد من دمج المستشرقين بها: وهي أن الكثير من كتاباتهم الوجهة لقد شرعة الإسلام ونسب الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم إننا هي آراء منتحلة ومقتولة عن أولئك الكتاب الخاطئين الأوائل ، نقلها المستشرقون في العصور الحديثة ونسبوها إلى أنفسهم وقدموها في كتاباتهم، مما يسقط عنها الصفة المطلوبة المعايمة.

أما ريكولدو (١٧٣٢-١٧١٥ هـ / ١٢٣٥-١٣١٥ م) أشهر مُنصرٍ ارتحل إلى بلاد المسلمين في العصور الوسطى، فلا يقل تأثيراً برسالة الكندي عن سابقه. ففي الفصل السادس من كتابه "L'iper de Fine" يؤكد على أنه يجب أن يشتمل الجيش الصليبي السجدة لاسترداد البلاد المنقصة من المسلمين، وعلى طائفة من المبشرين الماهرين اللوثوقين، والمسلمين لطرق

الخلاص، رجال ينبغي أن يكونوا مسلمين بالقانون والطب والجراحة. فيعتنون بالرضى والجرحى، ويعين على جميع رجال الدين بالطائفة أن يتعلموا اللغة العربية، ويترسون على وجه الخصوص الكتاب الذي صنعه الكندي لكي يحضروا دين ماكومستوس Macomstus (١٥١١-١٥١٠) بقصد محصلاً صلى الله عليه وسلم - ليس هذا وحسب بل يذكر ريكولدو أنه يجب على المبشرين عند نجاح الحملة الصليبية - التي كان يدعو إليها - وهم يتجادلون مع المسلمين أن يجوروا أولئك المسلمين طوعاً أو كرهاً على أن يقرأوا رسالة الكندي (١٥١١). ويظهر تأثير ريكولدو الشديد برسالة الكندي من انتحاله لبعض فقراتها الباطلة حتى في ملاحظاته التي عقدها مع المسلمين في شمال أفريقيا، بقية تحميهم إلى النصرانية فقد قال مخاطباً المسلمين: وأعدكم إذا أنتم تخلّصتم عن شريعتم الشيطانية الزائفة، والتي انتشرت عن طريق السيف والقوة وحدها ، وإذا أنتم نيلتم عقيدتي، فإنني أعدكم بالحياة الصمدية للدين المسيحي الذي انتشر بواسطة التبشير وعن طريق سفك دماء الشهداء القديسين (١٥١١) .

ويجد أحد المهجج الألمان وهو لاورلف فون سوخيم Ludolph von Suchem يزور الشرق في القرن الرابع عشر الميلادي / الثامن الهجري ويقبض خمس سنوات بين ١٣٣٦-١٣٤١م / ٧٣٧-٧٤٢ هـ ثم يصف رحلته ويحدث عن الأمم الشرقية ويكتب مختصراً عن الإسلام يعيد فيه على ريكولدو مونت كروس، ثم يضيف متحدثاً عن ظهور الإسلام ، أن راعياً من الطائفة الهندكسية يدعى سرجيوس Sergius ، فشل في الحصر على منصب أو مقام رفيع في روما، فأرجل إلى الجزيرة العربية - بزعمه - سنة ٦٢٠ م وأملى القرآن (الذي يسميه بالترينوم Alit-rinum) على ماجومستوس Magomstus (١٥١١) - بقصد محصلاً صلى الله عليه وسلم.

والحق أنه قد ظهر كتاب كتهرون كتبوا عن الإسلام في العصور الوسطى لاسيما في القرون التالية حتى عصر النهضة الإيطالية ، ولا يسع المجال هنا للإشارة إلى كل كتاباتهم . ولكنها لا تخرج عن الإطار الذي أشرنا إليه . وفي ضوء ما سبق يمكن أن نختم بحثنا بالمخاتق التالية: أولاً : إن الجزء الرئيس من تلك التهم والافتراءات الباطلة التي قال بها الكتاب البيزنطيون والأوروبيون في العصور الوسطى، ثم ديدة مستهلكة قال بها المشركون من كبار قورش منذ بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، فعلى سبيل المثال تهمة أن القرآن إنفا هو من عمل الشياطين ، تهمة قال بها المشركون ، فرد الله سبحانه وتعالى بقوله : (وما تنزلت به الشياطين . وما ينبغي لهم وما يستطيعون . إنهم عن السمع لمعزولون) . ثم أخبر الله جل وعلا على من تنزل الشياطين فقال : (هل أتيتكم على من تنزل الشياطين . تنزل على كل

أفكك أوثيم . يلتزم السمع وأكثروهم كاذبون) (١٧١) . وقال تعالى : (وما هو بقول شيطان رجيم) (١٧٢) . ونهية أن محمداً صلى الله عليه وسلم كان رسولا كاذبا وأنه هو الذي اختلق واقتصرى القرآن من عنده، تهمة قال بها كفار قريش أيضاً وسجل القرآن هذه التهمة الباطلة فقال تعالى: (وعصبروا أن جاءهم منفر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب . فصل الآلهة إلا واحداً إن هذا لشيء عجيب . وانطلق الملائ منهم أن أمشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد . ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق) (١٧٣) . ورواه الله تعالى على هذه القرية فقال سبحانه : (وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لأولئك فيه من رب العالمين . أم يقولون افتراء قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين) (١٧٤) . وقال تعالى: (إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله أولئك هم الكاذبون) (١٧٥) . وتهمة أن النبي محمداً صلى الله عليه وسلم تعلم من اليهود والنصارى، تهمة أيضاً قديمة مستهلكة قال بها المشركون حين زعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم يتعلم من غلام نصراني كان في مكة . فسجل القرآن تلك التهمة وفندها . قال تعالى : (ولقد تعلم أنهم يقولون إنما بعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين) . وقال تعالى : (وقال الذين كفروا إن هذا إلا لهجة افتراء وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلماً زوراً) (١٧٦) . وكذلك تهمة أن القرآن أساطير الأولين وأنها أمليت عليه تهمة قال بها كفار قريش . قال الله تعالى : (وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً) (١٧٧) . وكذلك تهمة أن النبي صلى الله عليه وسلم أضل أتباعه، تهمة قال بها المشركون فسجلها القرآن الكريم، قال تعالى : (إن الذين أجمعوا كانوا من الذين آمنوا يضحكون . وإذا مروا بهم يتغامزون وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا لكهين . وإذا رآهم قالوا إن هؤلاء لضالون) (١٧٨) . وتهمة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان مصاباً بمرض عيسى أو بالمجنون تهمة قال بها كفار قريش وسجلها القرآن الكريم، قال تعالى : (وإن يكاه الذين كفروا ليزلقوك بآصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون إنه لمجنون) (١٧٩) . وقال سبحانه : (وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون) (١٨٠) . والأمثلة على ذلك كثيرة في القرآن الكريم . ولايات قفاضة تلك التهم تحدى الله سبحانه وتعالى المشركين أن يأتوا بمثل القرآن أو بعشر سور من مثله أو بسورة من مثله ، وثبت عجزهم ، بل المعجز قائم على كل البشر إلى الأبد، قال تعالى: (قل لمن اجتمعت الآتس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً) (١٨١)

ثانياً : أن في تلك الشتام والافتراءات التي قال بها الكتاب ورجال الدين الأديبون طويال القصور الوسطى وما تلاها . دليل ساطع على صدق القرآن وصدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم . ذلك أن القرآن أخير بذلك الأذى الذي سوف يسمعه المسلمون من أهل الكتاب قبل وقوعه . قال تعالى: (استلون في أموراتكم وأنفسكم ولستمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً وإن تصبروا وتسقوا فإن ذلك من عزم الأمور) (١٨٢) . فهذه الآية تحوى إجماعاً تاريخياً فريداً إذ أخبرت بحوادث وقائع تاريخية لم تكن قد حدثت عند نزولها على النبي محمد صلى الله عليه وسلم . وما أوردناه في هذا البحث يكشف جزاً ما أخبرت به الآية فقد اطلعنا على قسم من ذلك الأذى الكثير الذي أخبر الله سبحانه وتعالى المسلمين أنهم سوف يسمعونه من أهل الكتاب . وهذا أمر واحد من أمور كثيرة أخبر القرآن الكريم بأنها ستقع ووقعت فعلاً ، وأخير النبي صلى الله عليه وسلم بحوادث ستقع ووقعت فعلاً مثلما أخبر .

ثالثاً : إن الكثير من ما كتبه المستشرقون في المصور الحديثة . حول ظهور الإسلام ورسالة محمد صلى الله عليه وسلم وما أوردوه في تلك الكتابات من مزاعم باطلة . مثل دعوى أن الإسلام انشرب بحد السيف وأن محمداً صلى الله عليه وسلم تعلم من بعض الرهبان مثل الراهب يحيى ، أو أنه اطلع على العهدين القديم والجديد . وما حوته كتاباتهم من نقد للقرآن ولشريعة الإسلام ووصفها بالاضراب وعدم الثبات . إننا هي نهم مغفولة ومنحولة من كتاب المصور الوسطى . ويمكن مقارنة ما كتبه المستشرقون مع تلك التهم القديمة لتكتفى بالحقيقة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيداً .

وفي الختام لا بد من طرح هذا التساؤل وهو:

هل أسهمت تلك الرؤية الأوربية الوسيطة في صياغة الرؤية الغربية المعاصرة تجاه العرب والإسلام ؟؟؟

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

Dumbarton Oaks Papers 18 (1964), pp. 121-124; Khoury, A. "Polemique Byzantine Contre L'Islam (VIII- XIII^es)", Leiden, 1972, pp. 338-341; Eichner, W. "Die Nachrichten über den Islam bei den Byzantinern", *Der Islam* 23 (1936), pp. 234-241; Kedar, Crusade and Mission, p. 21.

١٣- السمرى: التيه والإقرار، ص ١٤٣.

١٤- نظر القواميس التالية:

Webster's Third New International Dictionary of the English Language, London, 1961; Webster's Seventh New Collegiate Dictionary, Springfield, Massachusetts, U.S.A., 1965; The Shorter Oxford English Dictionary, Oxford, 1964; The American College Dictionary, New York, 1963.

15- Via Willibaldi episcopi Eichstensis, Editiones. O. Holder-Egger (1887) in *MGH SS* 15, i: 86-106, pp. 94-95.

16- *Venerabilis Bedae Opera Quae Supersunt Omnia*, Editor, J.A. Giles, vol. 8 (London, 1844), p. 185; *Registrum Johannis Papae VIII*, Editor, E. Caspar (1928) in *MGH Epist.* 7: 20, 29-204, 267-268.

17- M.C. Diaz, Y Diaz. "Los Textos Antimohamedanos más antiguos en Códices Españoles", *Archivos D'histórie Documentale et Littéraire du Moyen Age* 45 (1970), pp. 153, 157-159.

١٨- صحیح البخاری فتح الباری، ط. القاهرة ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م، ج١، حديث رقم ٣٥٣٣، ص ٩٤، ٩٥، ٩٤٥، ٩٤٦؛ السمرى: السيرة النبوية الصحيحة، ط. الهيئة العامة للثقافة، ١٩٩٦، ج١، ص ١٤٧-١٤٨.

19- Kedar, Op. cit., pp. 31-32.

20- Pseudo-Basilii Rabbulatus, *Expositio in Mathiam*, BN Lat. 12298 (Sec. XII), fol. 8 L^v, f1

120: 804.

٢١- Anastasius Bibliothecarius, *Chronographia Trpennia*, in *Theophrasti Chronographia*.

- 1- D. J. Salus, *John of Damascus on Islam*; "The Heresy of the Ishmaelites" Leiden, 1971; B. Kuttler, editor: *Die Schriften des Johannes von Damaskos*, vol. 4, *Liber de heresibus: Opera Polemica, Patristische Texte und Studien* 22, New York, 1981, p. 16.
- 2- Kedar, Benjamin Z, *Crusade and Mission European Approaches Toward The Muslims*, (Pelacetan, 1988), pp. 39-40.
- 3- *The Encyclopedia of Islam*, New Edition, vol. V, (Leiden, 1979), p. 120.
- 4- *Ibid*.
- 5- J. Munoz Sendino, "Al-Kindi Apologia dei Cristianismo" in *Miscelanea Comillas*, 11-12, Comillas, Santander, 1949, pp. 337-460; W. Muir, *The Apology of Al Kindi Written at the Court of Al Ma'mun in Defence of Christianity Against Islam*, London, 1882, p. 17-58; G. Troupeas, *Literature Arabe Chrétienne du X au XII Siecle*, " Cahiers de Civilisation Médiévale" 14, 1971, pp. 1-20.
- 6- Gutiruh, A. *Ramon Lulls Kreuzzugsideen*, (Berlin and Leipzig, 1912), p. 88.
- 7- *The Encyclopedia of Islam*, vol. v, p. 121.
- 8- *Munoz Sendino*, Op. cit., pp. 422-423.
- 9- Vasiliev, A.A., "The Iconoclastic edict of Caliph Yazid II, A.D. 721 in Dumbarton Oaks Papers, No. 9-10 (1956), pp. 24-47.
- 10- Kedar, Op. cit., p. 33.
- 11- Theophrastis, *Chronographia*, in *Corpus Scriptorum Historiae Byzantinae*, (Boonae, 1839), pp. 514-527.
- 12- Nicetae Byzantini *Philosophi Confutatio Falsi Libri Quem Scripsit Mohammedes Arabs*, in PG 105: 707-708, 775-779, 793; Meyendorff, J., " Byzantine Views of Islam "

35 - Hrotsvitha, *Summi Aurea*, to 5.5 (Venice, 1574), Col. 1523.

36 - *Funkler of Clunio*. A History of The Expedition to Jerusalem (1095-1127) trans. by Frances Rita Ryan (Sisters of St. Joseph) ed. with An Introduction by H.S. Funk, Kohnsville, 1969, pp. 118, 122.

37 - William of Tyre. A History of Deeds done beyond the Sea 2 Vols. Translated by Emily and Babcock and A.C. Khey (New York, 1976), Vol. 1, pp. 60 - 61.

38 - Thorp, P.A., *Criticism of the Crusade: A Study of Public Opinion and Crusade Propaganda* (Philadelphia, 1975), pp. 8-10.

39 - Metlitzki, Dorothee, *The Matter of Araby in Medieval England* (London, 1977), pp. 29, 49, 54, 250 note 134; C.S.F. Burnett, *A Group of Arabic - Latin Translators Working in Marrakech in the Thirteenth Century*, "Journal of Asiatic Society, 1977" p. 90.

Pedro Alfonso, *Disciplina Clericalis*, Editors A. Hülke and W. Soderhjelm, *Acta Societatis Scientiarum Fennicae*, 36, 4 (Helsinki, 1911), pp. 14 - 29; H. Naumann, "Der Wille und der eulc. Heide" in *Vom Werden des deutschen Geistes: Festgabe Gustav Ehrismann*, Editor, P. Mecker and W. Staurtner (Berlin and Leipzig, 1925), pp. 80 - 101.

41 - *Corpus Scriptionum Mazrabiarum*, Editor J. Gill, 2 Vols. (Madrid, 1973), 1, 281 - 282 (= PL 157; 595 - 606).

42 - Painter, Sidney, *A History of The Middle Ages*, 284 - 500 (London, 1979), p. 420; *The Cambridge Medieval History*, Vol. VI (Cambridge, 1980), p. 654.

43 - E. Bouwsier, Editor, *Traictatus Super Qualiter Evangelia di Gioacchino da Fione* (Rome, 1930), p. 262; *Joachim of Fiore: Expositio in Apocalypsim* (Vulnic, 1977, Reprint, Frank Funn, 1964), pp. 104, 130A, 163C, 167d.

44 - Joachim of Fiore, *Expositio in A. Neidysim*, pp. 104c, 116c, 134b - 135a, 162d-165a, 196a, 197a; *Benedict of Psalteriographi. Gesta Regis Henrici II* (ed. Stubbs), 2 Vols, Rolls Series (London, 1867), pp. 151-155.

Editor. C. de Boer, 2, pp. 31-346; Laehr, G. "Die Briefe und Prologe des Bibliothekars Augustinus "Neues Archiv der Gesellschaft für Alte Deutsche Geschichtskunde 47 (1927-1928), pp. 429-432.

22 - Passin, S. Felngi, Lines 36-58, in *Hrotsvitha Opera*, Editor, P. Winterfeld (1902), in MGH Ser. Germ. 34 : 53; M. Gamsalva Weigand, Trans. *The Non-Dramatic Works of Hrotsvitha* (St. Meinrad, 1956), p. 131; Kedar, *Crusade and Mission*, p. 10.

23 - *The Register of Gregory VII*, Editor, E. Cusar (1920), in MGH EPP. Ser 2.1 : 272

24 - Kedar, *Op. cit.*, pp. 85-86.

25 - H. Hagenmeyer, *Die Kreuzzugsbriefe aus den Jahren 1088-1100: Eine Quellen-sammlung Zur Geschichte des Ersten Kreuz-zuges* (Hinsbruck, 1901), pp. 136-138.

26 - *Cartulaire de l'abbaye de Saint - Victor de marseille*, Editor, B. Guenard, vol. 1 (Paris, 1857), p. 167; *Recueil-des Chartes de L'abbaye de Cluny*, Editors, A. Bertrand and J. Vaisset, *histoire General de Langueles*, vol. 3 (Touloude, 1875), p. 748.

27 - Odoericus Vitalis, *Ecclesiastical History of England and Normandy*, Translated by Thomas Forester (London, 1853 - 1860), 10, p. 119.

28 - Landolfus, *Sagax*, (*Historia Romana*), Editor, A. Crivellucci, Vol. I (Rom, 1912), p. 134; Kedar, *Crusade and Mission*, p. 86.

29 - Kesar : *op. cit.*, p. 86.

30 - *Fluch of Flavigny*, Chronicon, Editor, G.H.Pan (1848), in MGH 588, p. 323.

31 - Guibert of Nogent, *Gesta Dipre Francos*, 1, 3, in *RIC. Flocc.* 4, p. 150.

32 - William of Malmesbury, *Digest of Aincin. excerpt*, Edited in R.M. Thomason, "William of Malmesbury and Some Other Western on Islam." *Medievalia et Humanistica* NS 6 (1975), pp. 181 - 182.

33 - *Oronis episcopi Fisingensis Chronica sive Historia de duabus civitatibus*, VI, 7, Editor, A. Hofmeister (1912), in MGH, Ser. rer. Germ. 45 : 317.

34 - Azo, *Summa Aurea*, to Col. 11 (Lyons, 1557), Col. 7a. Cf. Russel, *The Just War*, p. 498, 451.

59 - Clotrou, A. "Ramon Lulla Kreuzzugsideen", p. 88.

60 - Kedar, op. cit., p. 195.

61 - Zwemer, op. cit., p. 109.

62 - Abyz, op. cit., pp. 168 - 171.

٦٣ - الشعراء : ٢١ - ٢١٢ .

٦٤ - الشعراء : ٢٢٨ - ٢٢٣ .

٦٥ - التكوين : ٢٥ .

٦٦ - ص : ٤ - ٧ .

٦٧ - يونس : ٣٧ - ٣٨ .

٦٨ - النمل : ١ - ٥ .

٦٩ - النمل : ٣ - ١٠ .

٧٠ - القرآن : ٤ .

٧١ - القرآن : ٥ .

٧٢ - لطفين : ٢٦ - ٣٧ .

٧٣ - القلم : ٥١ .

٧٤ - الحجر : ٦ .

٧٥ - الإسراء : ٨٨ .

٧٦ - آل عمران : ١٨٦ .

في الميم الفمالي ذكره بضم سين في نسخة
 ١٨٦٤ م. وفي نسخة آخرها الفمالي بضم سين في نسخة
 ١٨٦٥ م. وفي نسخة آخرها الفمالي بضم سين في نسخة
 ١٨٦٦ م. وفي نسخة آخرها الفمالي بضم سين في نسخة

45 - Altouf Center " Innocent III and the Distinctive Clothing of Jews and Muslims " in Studies Medieval Culture, Editor: J. R. Sommerfeldt, Vol. 3 (Kalamazoo, Mich, 1970), pp. 92-96.

46 - Daniel, E.R., The Franciscan Concept of Mission in the High Middle Ages (Lexington, Ky, 1975), pp. 87-98 .

47 - Zwemer, S.M., Rayinnul Lull First Missionary to the Moslems (New York and London, 1902), p. 148 .

48 - Paul Alphandery, " Muhammad - Auicheist dans le Moyen Age Latin " in Melanges Hartwig Derenhoury (Paris, 1909), pp. 263 - 265 .

49 - Wiltiam of Tripoli, " De Stati Saracenicorum et de Mahomete Pseudopropheta " in H. Fritz, Kulturgeschichte der Kreuzzuge (Berlin, 1883), pp. 575 - 598 .

50 - Mandeville's Travels, Texts and Translations, Editor M. Lests, Haklyt Society, 2, 101 - 102 (London, 1953) Vol. 2, p. 453 .

51 - Abyz, Aziz S, The Crusade in The Later Middle Ages, (New York, 1970), pp. 158 - 159 .

52 - Baldwini, Marshal, W, " Missions in The East in The Thirteenth and Fourteenth Centuries " in Sennon, K.M., A History of The Crusades, Vol. V (Wisconsin, 1985), pp. 463-464 .

53 - Abyz, op. cit. p. 159 ; Marshal, op. cit., p. 464 .

54 - Robert R, Editor, " Lettres de Ricoldo Mont Croce " Archives de L'Orient Latin 2 (1884) pp. 268-269 .

55 - Francis Ricoldi de Monte Crucis Liber Perginationalis, in J.C.M. Laurent, Editor, Perigrinatioes medii Quatuor (Leipzig, 1864), pp. 130 - 135; Robert R, " Lettres de Ricoldo de Monte Croce AOL, 11-2 (1884), pp. 258-296.

56 - Francis Ricoldi de Monte Crucis, op. cit., pp. 131 - 135 .

57 - Ibid; Baldwin, op. cit., p. 465 .

٥٨ - محمد عبد الفتاح عاشور، الإلح والتعريب، في كتاب: «موت في تاريخ الإسلام وحداوته»، ط. القاهرة، ١٩٨٧م، ص. ١٣٠، ١٣١، ١٥٥، حاشية رقم ٢٩، ص. ٣٠.

البرديات العربية بجامعة هايدلبرج بألمانيا

تفيد :

تعتبر ألمانيا ثالث دولة أوروبية كانت لها عناية خاصة بالبرديات العربية من حيث الجمع والاقتناء - فقد سبقتها في ذلك فرنسا وإيطاليا على يد قنصلها بروناردو دروفيتي Bernardo Drovetti - الذي استطاع سنة ١٨٢٤م شراء برديات عربية عشر عليها بعض الفلاحين داخل جيرة فخارية في منطقة سقارة ، وبالتحديد في دير أبي حميس . وعندما عجز عن فهم محتوياتها قدهما البارون الفرنسي سلفستر دي ساسي Silvester de Sacy لدراستهما . وبعد ذلك بوقت قصير تمكن قنصل بريطانيا في مصر يدعى هنري سالت Henry Salt (١) ، من إقناع برديتين عربيتين أخريين أهداهما إلى الملك لورنس الشامن عشر . وصلت هاتان البرديتان أيضاً إلى البارون سلفستر دي ساسي في فرنسا في ١٨٢٤م . وفي العام التالي تمكن سلفستر دي ساسي من نشر هذه البرديات في مجلة العلماء سنة ١٨٢٥م . وبذلك يعتبر البارون سلفستر دي ساسي مؤسس علم البرديات العربية منذ عام ١٨٢٥م (٢) . وعقب نشر هذه البرديات تنبه المستشرقون في كل أوروبا إلى

١ - بحث بالعربي الأعلى للاكاد ومشرط على البرديات العربية ببار الكتب .

١٥ - James T. Jackson, *The History of Protestantism in the Middle East*, London, 1908, pp. 100-101.

١٦ - Ernest S. R. The *Franciscan Conversion of Muslims in the Middle East*, London, 1908, pp. 100-101.

١٧ - Ernest S. R. *The Franciscan Conversion of Muslims in the Middle East*, London, 1908, pp. 100-101.

١٨ - Ernest S. R. *The Franciscan Conversion of Muslims in the Middle East*, London, 1908, pp. 100-101.

١٩ - Ernest S. R. *The Franciscan Conversion of Muslims in the Middle East*, London, 1908, pp. 100-101.

٢٠ - Ernest S. R. *The Franciscan Conversion of Muslims in the Middle East*, London, 1908, pp. 100-101.

٢١ - Ernest S. R. *The Franciscan Conversion of Muslims in the Middle East*, London, 1908, pp. 100-101.

٢٢ - Ernest S. R. *The Franciscan Conversion of Muslims in the Middle East*, London, 1908, pp. 100-101.

٢٣ - Ernest S. R. *The Franciscan Conversion of Muslims in the Middle East*, London, 1908, pp. 100-101.

٢٤ - Ernest S. R. *The Franciscan Conversion of Muslims in the Middle East*, London, 1908, pp. 100-101.

٢٥ - Ernest S. R. *The Franciscan Conversion of Muslims in the Middle East*, London, 1908, pp. 100-101.

٢٦ - Ernest S. R. *The Franciscan Conversion of Muslims in the Middle East*, London, 1908, pp. 100-101.

٢٧ - Ernest S. R. *The Franciscan Conversion of Muslims in the Middle East*, London, 1908, pp. 100-101.

٢٨ - Ernest S. R. *The Franciscan Conversion of Muslims in the Middle East*, London, 1908, pp. 100-101.

٢٩ - Ernest S. R. *The Franciscan Conversion of Muslims in the Middle East*, London, 1908, pp. 100-101.

٣٠ - Ernest S. R. *The Franciscan Conversion of Muslims in the Middle East*, London, 1908, pp. 100-101.

٣١ - Ernest S. R. *The Franciscan Conversion of Muslims in the Middle East*, London, 1908, pp. 100-101.

٣٢ - Ernest S. R. *The Franciscan Conversion of Muslims in the Middle East*, London, 1908, pp. 100-101.

٣٣ - Ernest S. R. *The Franciscan Conversion of Muslims in the Middle East*, London, 1908, pp. 100-101.

٣٤ - Ernest S. R. *The Franciscan Conversion of Muslims in the Middle East*, London, 1908, pp. 100-101.

٣٥ - Ernest S. R. *The Franciscan Conversion of Muslims in the Middle East*, London, 1908, pp. 100-101.

٣٦ - Ernest S. R. *The Franciscan Conversion of Muslims in the Middle East*, London, 1908, pp. 100-101.

٣٧ - Ernest S. R. *The Franciscan Conversion of Muslims in the Middle East*, London, 1908, pp. 100-101.

٣٨ - Ernest S. R. *The Franciscan Conversion of Muslims in the Middle East*, London, 1908, pp. 100-101.

٣٩ - Ernest S. R. *The Franciscan Conversion of Muslims in the Middle East*, London, 1908, pp. 100-101.

٤٠ - Ernest S. R. *The Franciscan Conversion of Muslims in the Middle East*, London, 1908, pp. 100-101.

١ - Ernest S. R. *The Franciscan Conversion of Muslims in the Middle East*, London, 1908, pp. 100-101.

والأميريين وأخميم وغيرها - وبعد ذلك تمكن من إقتناء مجموعة أخرى عددها تقريباً ١٠٠٠ بريدية لنفسه ، حيث كان يرغب في دراستها ونشرها باسمه . ولكن الأقدار لم تجعله لتحقيق هذه الرغبة فقد عاجلته المنية وتوفي سنة ١٩٠٣ م ، وظلت مجموعة البردي التي جمعها رابنهارت محفوظة في مدينة ميونيخ München . وبعد فتح وثراؤه وصيته ، لوحظ أنه قبل موته أوصى بأن تتوزل هذه المجموعة إلى صديقه شوت Fr. Schott الذي كان يشغل منصب مدير مكتبة جامعة هايدلبرج . وروعا رابنهارت إلى كتابة هذه الوصية لإدارته للقيمة التاريخية لهذه المجموعة فترغب في إهدائها لصديقه الحميم شوت Fr. Schott الذي كان يحسب المكتبات ويحرص على حفظ اللقائات الثقافية والتراثية الهامة فأهداها له كي يضمن عدم خروجها من ألمانيا في هذه الفترة التي تسابقت فيها العديد من الدول الأوربية إلى جمع وإقتناء البرديات . ولم تفسر شهر تلبية بعد وفاة رابنهارت حتى رغب صديقه الوفي Schott في إهداء هذه المجموعة إلى جامعة هايدلبرج لتكون في متناول الباحثين والتاريخيين ، فأهداها للجامعة في ١٥ يونيو سنة ١٩٠٤ ، وبذلك يمكن القول أن رابنهارت قد أحسن التصرف قبل وفاته بإهداء هذه المجموعة لصديقه شوت Schott لمعرفة الدقيقة بمدى حرصه على حفظ اللقائات التاريخية الهامة وعدم التفريط فيها بالبيع والتفديد وإشاره للمصلحة العامة عن النفعة الشخصية - ولقد ظهر ذلك واضحاً في قيام شوت Schott بإهداء هذه المجموعة لجامعة هايدلبرج حتى تكون النفعة شاملة لكل الباحثين والتاريخيين في ألمانيا وأوروبا . وأحسنت الجامعة حين أطلقت اسم هلمن الرجلين على هذه المجموعة اعترافاً بفضلهما في جمع وإقتناء وحفظ هذه المجموعة . لذلك أطلقت جامعة هايدلبرج على هذه المجموعة اسم مجموعة شوت - رابنهارت (PSR) Papyri Schott-Reimharth وبعد ذلك بحوالي عشر سنوات أرسلت جامعة هايدلبرج بالاتفاق مع الجمعية العلمية بفرايبورج Freiburg لجنة لائبة لعمل سلسلة من التنقيحات الأثرية في بعض مدن ومقرى مصر للبحث عن الآثار بها - ومنها بالطبع لقائف البردي - وعادت هذه البعثة سنة ١٩١٤ بكليات هائلة من البرديات أضيفت إلى باقي المجموعة المحفوظة في جامعة هايدلبرج^(٦).

وكان أن توالت الإضافات والزيادات إلى هذه المجموعة ، فأضاف الدكتور أدولف جرههان عدداً من البرديات من أبرزها (٥٩) بريدية عربية بالغة الأهمية عشر عليها في مدينة القسطنطينية ، وكان قد اشتراها من بعض التجار في مصر سنة ١٩٢٤ م^(٧) ، وفي نفس هذا العام قام

أحسب هذه الوثائق النادرة ، فعكف فريق منهم على أقتنائها وعكف فريق آخر على دراستها وتحليلها . ثم جاء بعد ذلك الدور الألماني في المرتبة الثالثة بعد فرنسا وإنجلترا ، إذ ذكر السنديروني الألماني شفاينفورد أنه في صيف عام ١٨٧٧م ، عثر بعض الناجين في مصر على أكوام من ورق البردي في الخراب المهجورة من أطلال مدينة أرسينوه ، ومكانها الحالي مدينة كوم فارس ، فتنبه لأهميتها التاريخية والعلمية فتصل ألمانيا في مصر آنذاك ويسمى جورج ترافرز G. Travers ، وقام بشرائها مع مجموعة أخرى كان قد تم العثور عليها في شتاء العام نفسه في أطلال كوم الحجازية بمدينة الفيوم ، وأرسلها جميعها إلى متحف برلين (٤٣) . وكانت هذه هي الهدايا الأولى للتحاية بالبرديات المصرية من قبل بعض الدول الأوربية ، عملة حسب الترتيب في فرنسا ثم بريطانيا ثم ألمانيا .

أولاً : مجموعة البرديات العربية بمعهد البرديات بجامعة هايدلبرج - مجموعة شوت وراينهارت PSR :

تعتبر مجموعة البرديات العربية بمعهد البرديات بجامعة هايدلبرج بألمانيا ثاني أكبر مجموعة برديات عربية في أوروبا ، بعد مجموعة الأرشيدوق رايتر المحفوظة في المكتبة الوطنية بالنمسا . وذلك من حيث الكم العددي تقريباً . ذلك أن عدد البرديات العربية في فهرس هذه المجموعة وصل من رقم ١ - حتى رقم ٣١٩٩ (PSR. Arab. No. 1 - 3199) - هذا بالإضافة لمجموعة بردية أخرى متنوعة تنسب إلى عصور مختلفة - مصري قديم ، يوناني ، لاتيني ، عبري ، فارسي ، آرامي ، سرياني ، قبطي . قطع متنوعة من شقف الفخار . أوستراكا - (٤٤)

وفي واقع الأمر يرجع الفضل في إقتناء هذه المجموعة إلى الدكتور كارل راينهارت C. Renhardt - الذي عاش في مصر فترة زمنية طويلة منذ ١٨٩٤ - حتى عام ١٨٩٩ م . وأثناء هذه الفترة لفتت أنظاره لقائف البرديات مبعثرة في العديد من القباير لايفلت إليها المصريون هنا بالإضافة لتواجدها بكثرة لدى تجار العاديات وهواة جمع الآثار - من مستشرقين وقناصل دول أوربية وغيرها . وفي يوم ٢٠ يونيو سنة ١٨٩٧م (٥) - أي قبل مغادرته مصر بعامون تقريباً - استطاع أن يشتري اللقمة الأولى من برديات هذه المجموعة لحساب جامعة هايدلبرج . وكانت عبارة عن لقائف متنوعة من أماكن مختلفة في مصر مثل الفيوم

عبارة عن مجموعة خطابات ووسائل ونصوص أدبية أُطلق عليها عنوان : "خطابات صربية
Arabische Briefe" وأرفق بملء الدراسة نقوصاً برؤية أخرى من مجموعة هامبورج
Hamburg .

هـ - وبالإضافة إلى ذلك عكف بعض الباحثين قديماً وحديثاً على دراسة فؤاد مختارة من
نصوص بعض برديات شوت - وابنهاوت فقامت الدكتورة كابلومي Frau.Dr. Kablomi بي
أعوام ١٩٦٠ - ١٩٦٥ م بدراسة نصوص من برديات هذه المجموعة كتبت باللغة الهيراطيقية،
صلت بها على درجة الدكتوراه .

كذلك قام الدكتور أحمد شلي^(١١٦) بين أعوام ١٩٦٢ - ١٩٦٤ م بدراسة فؤاد مختارة
أيضاً من برديات هذه المجموعة باللغة العربية تحت إشراف البروفيسور ألبرت ديتريش .

وفي العصر الحديث قام بعض الباحثين العرب أمثال الدكتور فالح حسين الأستاذ بقسم
التاريخ - كلية الآداب بالجامعة الأردنية بحسان^(١١٧) . بدراسة فؤاد مختارة منها على فترات
زمنية مختلفة . وأيضاً قام الباحث الدكتور جاسر أبو صفية الأستاذ بقسم اللغة العربية
بالجامعة الأردنية بدراسة فؤاد مختارة من بعض نصوص برديات هذه المجموعة^(١١٨) .

ومن ناحية أخرى كان لي شرف زيارة هذه المجموعة عدة مرات إيمانها للاطلاع على فؤاد
مختارة منها . وفي الزيارة الأخيرة عام ١٩٦٧م - تمت بعمل نفوس شامل لعدد (١٢٥)
بردية عربية من برديات هذه المجموعة^(١١٩) .

و - هناك أيضاً دراسة موسعة لعدد من برديات هذه المجموعة نشرها الباحث فازنريوم
Werner Diem في دراسة أطلق عليها اسم : "رسائل عربية على البرديات والدفق من
مجموعة البرديات بجامعة هايدلبرج" تضمنت نشر حوالي (٣٥) نصاً من هذه المجموعة مع
عدد من اللوحات ، وكانت غالبية النصوص التي نشرها عبارة عن رسائل للاطنتان وطلب
حوادث ... وغيرها^(١٢٠) .

ز - كذلك قام البروفيسور الدكتور رنهف جورج خوي - أستاذ ورئيس قسم الدراسات
الشرقية بجامعة هايدلبرج بألمانيا والمشرق على البرديات العربية في أوريا ، بدراسة فؤاد
مختارة من برديات هذه المجموعة - نشرها في عدة دراسات من أبرزها صحيفة عميد الدين
لهيعة ، كما نشر الدكتور رنهف جورج خوي عدداً من البرديات الأخرى من هذه المجموعة من

الدكتور جيرهان بايداعها جامعة هايدلبرج لتنافس مجموعة الأريستوق رايتز المحفوظة في
المكتبة الوطنية بالنمسا - وخاصة من ناحية ترغ المدن التي تنسب إليها هذه البرديات - مثل
النسطاط والفيوم والأمستونين والبهنسا وأخميم وجبلين وكوم إنشقاو وأدفرا والألكندرية ...
وغيرها .

ثانياً : الجهود العلمية في نشر وتصنيف وفهرسة برديات هذه المجموعة :

أ - أول من عنى بنشر بعض برديات هذه المجموعة هو السنشون الألماني كارل هنري بيكر
الذي كان يشغل منصب مدير جامعة هايدلبرج ثم أصبح بعد ذلك وزير المعارف في ألمانيا -
فقد قام سنة ١٩٠٦ بنشر أول نصوص من هذه المجموعة وهي عبارة عن برديات تنسب للمهد
الأمرى ، وخاصة زمن الوالي الأموي قبة بن شريك العيسى . ٩٠ - ٩٦ هـ / ٧٠٩ - ٧١٥ م .

وبعد ذلك بعامين نشر أيضاً برتوكولا بالتصعيد في صيف سنة ١٩٠٨ م . هذا بالإضافة
لدراسات أخرى حول برديات هذه المجموعة بعضها يتعلق بالديوان وقرائنات الولاة والعمال
للخلفاء ، وبعض نصوص إيصالات الجزية والخراج ... وغيرها . كذلك ألقى كارل هنري بيكر
سلسلة من المحاضرات الجامعية في مجال التاريخ والحضارة الإسلامية من خلال دراسة فؤاد
مختارة من نصوص هذه البرديات الهامة^(٨) .

ب - وبعد ذلك عكف المستشرق د . بيلابل Dr. Bilabel بالاشتراك مع د . جراف Dr.
Graf وه . أدولف جيرهان Dr. h. Grohmann على دراسة عدد من برديات هذه المجموعة
ونشروا هذه الدراسة في كتاب هام يتعلق بالسمر والشهوة عند العرب وتم طبع هذا الكتاب
سنة ١٩٢٤م^(٩) .

ج - ومن ناحية أخرى قام الباحث الدكتور سايدل Dr. Suidel الذي كان يشغل منصب
رئيس قسم البردي بمكتبة جامعة هايدلبرج بألمانيا بعمل دراسة موسعة لبعض نصوص هذه
المجموعة ، ولكنه وافته المنية قبل نشر هذه الدراسة حيث توفي في حادث سقوط طائرة أثناء
عودته من تركيا في أواخر سنة ١٩٥٩م^(١٠) .

د - أيضاً قام الدكتور ألبرت ديتريش Prof Dr. A. Dietrich الذي يشغل منصب مدير
معهد الدراسات العربية والإسلامية بجامعة جوتينغن - بنشر بعض برديات هذه المجموعة في
دراسة أطلق عليها اسم (الطب عند العرب) - ثم نشر مجموعة أخرى من هذه البرديات

بينها يردية وهب من منبه (حديث داود) ، ومغازي الرسول ﷺ (١٦٦) ، ويظهر بالذكر أن هذه اليرديات يرجع تاريخها إلى سنة ١١٠ هـ / ٧٢٨ - ٧٢٩ م بالإضافة إلى بحوث أخرى حول هذه المجموعة .

وتجسر الإشارة أيضاً إلى أن الجامعة العبرية في فلسطين المحتلة كانت قد أرسلت سنة ١٩٦٨ م (١٧٧) إحدى الهاجئات لمرآة بعض هذه اليرديات كتبت بلفظين عربية وعبرية .

ثالثاً : لمأذج مخفارة من يرديات هذه المجموعة تنشر لأول مرة :

من أبرز مميزات مجموعة شروت وإنبهارت أنها متنوعة الموضوعات ، فمنها العقود بشي أنواعها (زواج - بيع - شراء - إيجار - صل - ...) هنا فضلاً عن إيصالات الجزية والفراج ، ونصوص السير والمغازي ، وبعض النصوص الأدبية ، وأوراق تتعلق بالسحر والشعوذة والوصفات الطبية ، وبعض سحر وآيات من القرآن الكريم ، وقرآت من بعض الأحاديث النبوية الشريفة . أيضاً تضم هذه المجموعة الهامة والنادرة بعض الأوراق التي كتبت بلختين ، من بينها يرديات عربية / يونانية ويرديات أخرى كتبت بالعربية والعبرية ، مما أطلق عليه أوراق الجينسيونة (١١٨) . وغيرها كثير ومتنوع ، يغطي فترات زمنية كبيرة بداية من عهد الخلفاء الراشدين حتى العهد المملوكي .

ونظراً لتعدد موضوعات هذه المجموعة فإنتى اخترت فمأذج من موضوعات مختلفة تنشر لأول مرة .

١ - كشف مصطب اموال مختلفة ؛
هذا الكشف عبارة عن يردتين تحمل كل واحدة منهما رقم سجل مختلف عن الآخر - ولقد لاحظت تشابه أسلوب الكتابة في كلا النصين من خلال الاطلاع على المجموعة كاملة بمعهد اليرديات - جامعة هايدلبرج بألمانيا في صيف عام ١٩٩٧ م . ويوما أخطأ الفهرسون والمصنفون اللذين قاموا بتسجيل هذه اليرديات فأعطوا كل جزء رقم سجل مختلف عن الآخر ، فاليردية الأولى تحمل رقم سجل (PSR Heid inv. Arab 848) أما الجزء الآخر فيحمل رقم سجل (PSR Heid inv. Arab 756) . وللاحظ أن بداية الكشف كتب بقلم دتيق السن (ربيع) بينما نهاية الكشف كتب بقلم سيك ، كما هو واضح في الصورة المرفقة (١٩٩) . متاسها ١٨٠٥٠٧٠٢٠٥٨م واليردية غير مؤرخة ، وغير معلوم مكان العثور عليها .

نص اليردية : القسم الأول : (PSR Heid inv. Arab 848) :

- ١ - بسم الله الرحمن
- ٢ - وبيع فلوس ودفاجع
- ٥ - خمسة اللواتيق
- ٦ - ديفر ودوهين
- ٧ - بستة وعشرو
- ٨ - وصلئ الله عشره
- ٩ - ثلثة ونصف
- ١٠ - اللذي وصلئ إلى من المسجد .
- ١١ - ودوهين بيد عبد الآخر أبياسي
- ١٢ - بيد حمدان وأيضاً ثلثة ونصافج

القسم الأيسر :

(PRS Heid inv. Arab 756)

- ١ - بسم الله الرحمن
- ٢ - الرحيم
- ٣ - ٤ - الله
- ٥ - وبيده دينارين غير قيراط
- ٦ - وأيضاً دينار بيد ربيعه
- ٧ - ٨ - ٩ - وصل الله ثلثة الدنيا (ر)
- ١٠ - واشترت قبح
- ١١ - دوهماً الباقئ له
- ١٢ - دوهين بيد بكر
- ١٣ - دينا

تحليل نص اليردية :

يلاحظ أن اليردية كتبت بأسلوب خط التعمير الخفيف ، وبأسلوب كاتب واحد ولكن بقلبين مختلفين ؛ أحدهما بقلم ذي سن وتقي في مطلع نص اليردية ، السطور من (١-٨) ، بينما باقي السطور كتبت بقلم سيك السن ، السطور من (٩-١٢) . ظهر اليردية خالي من الكتابة ، ونص اليردية يتعلق بكشف حساب أموال مختلفة ، وما كان كشفاً خاصاً بأمر تجارية ومالية متنوعة . أيضاً يلاحظ أن البسلة منفدة مرتين في اليردية إحداهما في أقصى اليمين للنصف الأيمن من نص اليردية ، بينما البسلة الأخرى منفدة على يسار النصف الأيمن ، وهي مكتوبة على سطرين في مطلع اليردية .

ويلاحظ كذلك أن الإجماع قليل في اليردية ، لا يتضمني بعض كلمات وحروف مختلفة ، مثل حرف الحاء في كلمة (خمسة) في مطلع السطر الخامس ، وحرفي التود والياء في كلمة

وأجزاؤها المختلفة مثل النصف دينار والثلث والربيع في نصوص العديد من بريدات دار الكعبة المصرية بالقاهرة (٢٣). إحداهما بريدية تحمل رقم سجل (٣١٠ على الظهر) تنسب أيضاً للقرن ٣ هـ / ٩ م ، وموضوعها "مذكرة بخصوص بيانات حسابية تقابل مبالغ أخرى". أطوالها ١٥,٥ x ١,٣ سم. وردت الدنانير وأجزاؤها في نصوص السطور (١-٤) بهذه الصيغة :

١ - وما ضمن لى نصور بن الفتح

٢ - خصنة عشر أرباب .

٣ - وعنده لنفسه ثلثى دينار .

٤ - وما الضمن لى نصور بن الفتح

٥ - خصنة عشر أرباب .

٦ - وعنده لنفسه ثلثى دينار .

٧ - وما الضمن لى نصور بن الفتح

٨ - خصنة عشر أرباب .

٩ - وعنده لنفسه ثلثى دينار .

١٠ - وما الضمن لى نصور بن الفتح

١١ - خصنة عشر أرباب .

١٢ - وعنده لنفسه ثلثى دينار .

١٣ - وما الضمن لى نصور بن الفتح

١٤ - خصنة عشر أرباب .

١٥ - وعنده لنفسه ثلثى دينار .

١٦ - وما الضمن لى نصور بن الفتح

١٧ - خصنة عشر أرباب .

١٨ - وعنده لنفسه ثلثى دينار .

١٩ - وما الضمن لى نصور بن الفتح

٢٠ - خصنة عشر أرباب .

٢١ - وعنده لنفسه ثلثى دينار .

٢٢ - وما الضمن لى نصور بن الفتح

٢٣ - خصنة عشر أرباب .

٢٤ - وعنده لنفسه ثلثى دينار .

٢٥ - وما الضمن لى نصور بن الفتح

٢٦ - خصنة عشر أرباب .

٢٧ - وعنده لنفسه ثلثى دينار .

٢٨ - وما الضمن لى نصور بن الفتح

٢٩ - خصنة عشر أرباب .

٣٠ - وعنده لنفسه ثلثى دينار .

(الدرايق) في السطر الخامس أيضاً ، وحرفى الشين والياء في كلمة (اشترت) في نهاية السطر السابع من الجزء الثاني للبردية التي تحمل رقم سجل (Arab 756 inv. PSR). ولقد ورد بالبردية ذكر للعملة بشئى أنواعها "الدنبار والدرهم والفلس والدائق والقرواط" وجميع هذه الكلمات تتعلق بالأموال وأجزائها التي استعملت في العصر الإسلامي .

١ - فالدينار : كما هو معلوم اسم وحدة من وحدات السكة الذهبية اشترقه العرب من اللفظ اليونانى اللاتينى ديناريوس أوريوس Denarius aureus (٢٠) ، وهو لفظ مشتق عن الروم من كلمة Deni بمعنى عشرة . وقد عرف العرب هذه العملة الرومانية الذهبية وتعاملوا بها قبل الإسلام وبعد . ودوره هذا اللفظ (الدينار) في القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿ ومن أهل الكتاب من إن تأتته بقسطاً فأنه يفتنهم من إن تأتته بدينار لا يزدفه إليك إلا ما دمت عليه قالماً ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل ويقولون على الله الكتاب وهم يعلمون (٢١) .

أما من ناحية شكل الدينار البيزنطى فإنه مستدير الشكل . يحصل على أحد وجهيه صورة الإمبراطور البيزنطى . وتحيط الإشارة إلى أن الدنانير الذهبية البيزنطية عاصرت الدرهم الإسلامية زمن الرسول الكريم ﷺ . وكانت تحمل صورة الإمبراطور البيزنطى « هرقل » ، وقد أو صورته وعلى جانبيه ولداً " هرقليانوس وقسطنطين " وإلى جانب كل منهما صليب . بالإضافة إلى دجوه صليب آخر يتوج الرأس . وعلى الوجه الآخر للدينار بلاخط وجود نقش صليب قائم على مدرجات أربعة مع بعض العبارات المسجحة . وكذلك مكان الضرب بالأحرف البرنانية واللاتينية . وهدير بالذكر أيضاً أن الدنانير الذهبية كانت لها أجزاء مختلفة مثل قطع النصف دينار Semis والثالث دينار Tremis والرابع دينار Quadrans . وجميع هذه الأجزاء وردت في نصوص البرديات العربية . منها بريدية محفوظة في مجموعة شوت - رينهارت (PSR) بمعهد البرديات بجامعة هايدلبرج بألمانيا برقم سجل (inv. PSR 120 Arab) تنسب للقرن ٣ هـ / ٩ م أطوالها ٤,٥ x ٤,٥ سم ، وموضوعها " خطاب شخصى للاطلستان وطلب حوائج مختلفة " . وقد ورد ذكر الدنانير وأجزائها في نصوص السطور (٦-٨) بهذه الصيغة :

" وأعلستنا في كتابك أكرمك الله أنك قبضت من أحمد بن قاسم خمسة وأربعين دينار - وقبضت من أصحاب حمدون الأسم عشرين دينار وقد كان خالى حفظه الله قبض من أصحاب حمدون - مائة ... دينار ... والنصف دينار " (٢٢) . وبالإضافة إلى ذلك وردت أيضاً الدنانير

أيضاً هناك برديات عربية أخرى وردت بها الدراهم وأجزائها المختلفة كالنصف درهم والثلث والثلثين والربع ضمن نصوص بعض برديات مجتمعة الأرشيدوق راينر في نيبينا بالنمسا إحداهما برقم سجل (PERF No. 832) (٢٩). وما يجدر الإشارة إليه أن الدينار كان يعادل ٢٤ درهماً ، إلا أنه في بعض الأحيان كانت قيمة الدينار تعادل ٢٢ أو ٢٥ درهماً . وقد أشارت إلى ذلك نصوص بعض البرديات العربية منها :

أ - بردية عربية محفوظة في مجموعة الأرشيدوق راينر بليبينا برقم سجل (PERF. No.) 771 ، تنسب للقرن ٣ هـ / ٩ م ، وردت بها عبارة أشارت إلى أن الدينار كان يعادل ٢٥ درهماً . وفي بردية أخرى بنفس المجموعة أيضاً برقم سجل (PERF. No. 83) وردت بها عبارة تذكر أن الدينار كان يعادل ١٧ درهماً كجلاً .

ب - ورد أيضاً في بردية أخرى محفوظة في مجموعة الأرشيدوق راينر في ليبيا برقم سجل (PERF. No. 1034) عشر عليها في مدينة القيوم أن الدينار كان يعادل ٢٣ درهماً .

٣ - الفليس : ورد أيضاً في نص البردية ولكن في السطر الثالث من الجزء الأيمن فقط بهذه الصيغة (ربيع فلوس ودفع ا . والفليس كما هو معلوم عملة معدنية مساعداة لترقى لمستوى الدينار والدرهم . وهو لفظ اشتقه العرب من الكلمة اليونانية Fellis . وكان يرمز لقيمة القلعة بالحرف الأبعدى اليوناني M على أحد وجهي الفليس . أما الوجه الثاني من الفليس فكان يحمل صورة الإمبراطور البيزنطي المعاصر . ويجدر بالذكر أن العرب اعتصموا بضرب هذا النوع من العملة على الرغم من تواجدها ، نظراً لأنها تساعد على تبسيط حركة البيع والشراء . وكذلك إجراء المعاملات المالية والتجارية البسيطة ، ولقد اهتم العرب بتقوُّش هذه العملة ، وكذلك بأوزانها ، عن طريق صنع صمغ مقطرة بالقراريط والحراريب لضبط أوزانها شأنها في ذلك شأن الدينار والدرهم . وعلى الرغم من اختلاف القيم النقدية لهذه العملة في أقاليم الدولة الإسلامية حيث تم ضربها في العديد من المدن الإسلامية مثل : بعلبك وحمص ودمشق وطبرية وفلسطين والأكتندرية ... وغيرها . وكانت النسبة الشرعية بين الفلوس والدراهم ١/٤٨ ، أى أن كل درهم كان يقدر بـ ٤٨ فليس (٢٠) . ورد ذكر الفليس في العديد من نصوص البرديات العربية إحداهما بردية محفوظة في دار الكتب المصرية بالقاهرة موضوعها (قائمة البرديات العربية إحداهما بردية محفوظة في دار الكتب المصرية بالقاهرة موضوعها) قائمة بملفوظات في شهر طوبة لعدة أشخاص (يحمل رقم سجل (٢٥٥) طولها ١٣٨ سم x

١٠٨ سم تنسب للقرنين ٢-٣هـ / ٨-٩م . ورد ذكر الفليس في السطرين (١-١١) من نص البردية بهذه الصيغة :

إلى أمير كان مع فيندر - الساك في إخراج أراج الخشب فليس ٤٨ - ٦

وذكر الدكتور أدولف جروهان أن أقدم فليس عربي خالص هو الفليس الموزج بسنة ٨٧هـ / ٧٠٦م ، ثم بعد ذلك توالت ضرب الفلوس في عهد الخلفاء والولاة الأمويين والعباسيين ، وما تلاه من صعود بعد ذلك ، وتجدر بالذكر أيضاً أن القيم النقدية للفلوس كانت تتغير من حاكم لآخر حيث اختلفت في الحجم والوزن على مر العصور ، وحتى في فترة حكم الوالي نفسه . وقد حصرها الدكتور أدولف جروهان في حوالي ٢٢ قيمة نقدية معروفة وموثقة ، وذكر على سبيل المثال أن الفليس الكبير كان يساوي ٣٠ خروية وكان الوزن الحقيقي ٥.٨٣٧ جم ، وهو متزوج بسنة ١١٩هـ . وهناك أيضاً فليس كان وزن ٢٢ خروية وكان وزنه الحقيقي ٦.٢٨٥ جم ، وفليس آخر كان وزن ٣٣ خروية ووزنه الحقيقي ٦.٤٤٧ جم ، وفليس آخر كان وزن ٣٦ خروية إلى أن ذكر الفليس الذي كان وزن (١٣) خروية وكان وزنه الحقيقي ٢.٥٢ جم (٢٢) . والخروية تحتوي على ٣ أو ٤ حبات من القمح (٢٣) . وكانت تساوي أربع حبات شعير حسب الوزن العاصم . ويلاحظ أن الخروية لا تعنى وحدة لقياس الوزن فقط بل هي جزء من الدرهم أيضاً يقدر $\frac{1}{19}$ بالعمد . وقد ورد ما يقيد ذلك في نصوص بعض البرديات العربية المحفوظة في مكتبة الدولة وجامعة هامبورج ، والتي نشرها المستشرق ألبرت ديرتش (A. Dietrich) إحداهما بردية برقم سجل (١١) على كتابة الظاهر في السطر (٢٠) ، حيث وردت بها عبارة (درهم وثلاث خرويب ا .

وقد أشار كل من السبوطي والتفندي إلى أن الدرهم كان يساوي ٤٨ فليلاً حتى آخر عهد السلطان محمد بن تلاويذ (١٣٥١) . وعارض الدكتور جروهان هذه النسبة وذكر أنها ليست عبارة عامة الصحة ولا تتفق مع العصر الذي تنسب إليه ، وذلك اعتماداً على نصوص العديد من البرديات العربية التي وردت بها معلومات هامة عن مقادير العملات والسلع وأجزاء هذه العملات وغيرها (٣٦) .

٤ - الدائق : ورد هذا اللفظ ضمن نصوص البردية في السطر الخامس بهذه الصيغة 'خسة الدوايق' (٣٧) . والدائق مشتقة من كلمة (دانه) الفارسية بمعنى حبة ، وقد وردت هذه الكلمة أيضاً ضمن نصوص العديد من البرديات العربية إحداهما بردية محفوظة في دار

سجل (BAU. No. 8015) يرجع تاريخها إلى سنة ٢٦٠ هـ . كما ورد أيضاً ما يؤيد هذا المعنى ضمن نصوص بردية عهية أخرى محفوظة في مجموعة جنن رايلاندز بمدينة مانشستر في إنجلترا مؤرخة بعام ٢٧٩ هـ برقم سجل (٤) .

هذا ويلاحظ أن كلا النصين اللذين وردا في البرديتين السابقتين يدل على وضحة على أن أي صحر كان يدفع لبيت المال في الفترة التي بين سنتي ٢٦٠ - ٢٧٠ هـ اتخذت أساساً لتحويل العملة الذهبية إلى عملة فضية كان سعر ثابتاً ١ : ٢٤ (٤٢) .

وما نجد الإشارة إليه أن نصوص بعض البرديات العربية قد وردت بها معطومات عن مقادير أخرى للقبراط . فأحياناً كانت تزد عبارة (قطع مشرفي) ضمن نصوص بعض البرديات ، وفي نصوص بردية عربية محفوظة في دار الكتب المصرية بالقاهرة تسب للقرن ٣٩٠ هـ / م . موضوعها (حساب خاص بضرائب) . وهي بردية تحمل رقم سجل (٣٥٧) . وردت بها هذه العبارة ضمن نصوص لسطر الثامن : " قطع مشرفي " . والقطع هنا تشير إلى جزء صغير من عملة تزن قبراطاً أو طموجاً بل تزن حبة اقتطعت من درهم أو دينار (٤٣) .

ولقد ورد ذكر القبراط والقراريط ضمن نصوص العديد من البرديات العربية سواء المحفوظة في المجموعات العالمية أو برديات دار الكتب المصرية بالقاهرة . إحداهما بردية تسب للقرن ٤٥٠ هـ / م . موضوعها (حساب تاجر خلال) تحمل رقم سجل (٨٣١) . عشر عليها في مدينة الأشمونين ، ورد اللفظ ضمن نصوص السطور ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ٢٤ ، ٢٦ (منها عبارة : " شعير خمسة إلا قمحون الكيل خمسة وبيات الثمن دينار ونصف قبراط " .

وعبارة " شعور بن الخلال فتين الثمن دينارين وقبراط " (٤٤) . كذلك ورد اللفظ ضمن نصوص بردية عربية أخرى محفوظة في مجموعة دار الكتب المصرية بالقاهرة برقم سجل (١١٨) ، موضوعها ١ تذكرنا حساب (تسب للقرن ٣ هـ / م . وقد ورد لفظ القبراط وأجزائه ضمن نصوص السطر (٤) بهذه الصيغة (يتبع نصف قبراط زني داتق) (٤٥) .

٢ - جزء من رسالة أم لولدها :
هذا الجزء من الرسالة بحمل رقم سجل (PSR. Heid. inv. Arab. 546) أطروالها اسم ١٨٥٠٥٠٠٠٠ . بها بعض التفوي رخاصة في جزئها الأيمن ، رغا نتيجة الظن والقرد للتفكر

الكتب المصونة بالقاهرة ، موضوعها (تذكرة قصيرة خاصة بحساب) تحمل رقم سجل (٢٩٨) على الظاهر ، وتسب للقرن ٣ هـ / م . طولها ٩٦٨ سم وعرضها ٥٠٢ سم . ووردت الكلمة في نصوص السطور (٥-٨) : " غلام مزاحم ستة دراهم إلا داتق " (٢٨) .

ونجد الإشارة إلى أن لفظ (الحية) مرتبطة ارتباطاً وثيقاً مع سعر الفضة ، والحية تعادل $\frac{٥٤}{١٠٠}$ من الدرهم . ولقد وردت معطومات بالغة الأهمية عن ارتباط الدرهم بالفضة بأوزان الحية ، ضمن نصوص بردية عربية محفوظة في مجموعة برلين برقم سجل (١٢٨٠٣) ، وذلك ضمن نصوص الظاهر ، في السطور التالية :

السطر ٣ ، ٥ : داتق وجيتين
السطر ٦ : ثلث درهم وثلث حبات
السطر ٩ : نصف درهم وجيتين
السطر ١١ : ربع درهم (م) إلا حية .

وهناك بردية أخرى محفوظة في دار الكتب المصرية بالقاهرة برقم سجل (١١٨) على الظاهر السطر (٩) وردت بها هذه العبارة : (داتق غير حية) ، كما وردت أيضاً ضمن نصوص بردية عربية أخرى محفوظة في مجموعة الأرشيبولوق رابنر في فيينا بالنسبة برقم سجل (PERF. No. 901) السطر (٩) بهذه العبارة (خمسة دراهم غير سبع حبات) (٣٩) .

وفي واقع الأمر أن الدرهم كان يساوي ٩ داتق ، والداتق كان يعادل نحو ستة مليمان (٤٠) .
٥ - القبراط : القبراط كلمة معربة من الكلمة اليونانية Keration حيث تم اقتباسها وتحولت إلى Carat ، والقبراط جزء من الذهب الإمبري . يوزن جزءاً رايماً وعشرين من مجموع الثقل لبرج المعدن ، ولا يتخذ القبراط إلا لوزن القاس ، والدرم . وبعض الأبحار الكروية (٤١) .
ولقد ورد هذا اللفظ ضمن نصوص البردية التي نحن بصددها في السطر الخامس من البردية اليسرى التي تحمل رقم سجل (PSR. Heid. inv. Arab. 756) بهذه العبارة (وبعد دينارين غير قبراط ١ . والقبراط السراحد كان يعادل $\frac{١}{٢٤}$ من الدينار و $\frac{١}{٢٥}$ القبراط كان يعادل $\frac{١}{٢٤}$ من الدينار وهو أيضاً يساوي داتق أو $\frac{١}{٢٥}$ درهم . وقد ورد ما يؤيد ذلك من خلال نصوص برديتين عريشيتين إحداهما محفوظة في مجموعة برلين بالمانيا برقم

بها . كتبت بخط التحرير المخفف وحبر أسود ، لونها بني فاتح ، فقد الجزء السفلي منها . لم يتبق منها سوى بداية الخطاب في ٦ أسطر ، بينما الظهور به سطر واحد فقط .

وتجدر الإشارة إلى وجود بعض الأعيان في عدد من حروف البردية مثل كلمة (الرحمن) في البسطة السطر الأول ، وكلمة (يا أيها) في منتصف السطر الثالث . ويلاحظ أن الكتابة منقذة بشكل ألقى على ألياف البردية من السطر (١ - حتى سطر ٤) بينما السطرين (٥ ، ٦) كتب بشكل رأسي على هامش الجانب الأيمن من البردية . والرسالة غير مؤرخة وغير معلوم مكان العثور عليها ، ولكن أسلوب الكتابة ربما يشير إلى كتابتها في القرنين ٢ - ٣ هـ / ٨ - ٩ م لتشابه أسلوبها الكتابي مع برويات أخرى شبيهة تنسب لهدم الفترة الزمنية : والرسالة تتضمن عبارات التحية والسلام والاطمئنان والدعاء . بينما يلاحظ على الظاهر أن النص تضمن سطرًا واحدًا فقط كتب بطريقة عكسية لنص الوجه ، أي أن الكاتب قلب البردية وكتب هذا السطر .

نص جزء الرسالة :

الوجه

Recto

- ١ - بسم الله الرحمن الرحيم
- ٢ - حفظك الله وأبتك وامتنع بك وأبقا النعمة
- ٣ - عليك صحت منك بأنتي من حين ذهب
- ٤ - (إذ ألقى كتاب بإيد) رسول واثنين
- ٥ - الحمد لله وحده
- ٦ - وجعل وتناخته

الظهر

Verso

- ١ - إلى يحيى أبقا الله من أمه (٤٦) .
- ٢ - الجزء الأخير من خطاب تتضمن أسماء بعض الشهود المؤرخ في جمادى الأولى سنة ٢٢٧ هـ : هذا الجزء من الخطاب عبارة عن قائمة عقد وردت به بعض أسماء الشهود بحصل رقم سجل PRS. Heid. inv. Arab. 129) أطواله ٢٤,٥ سم × ١٠ سم حافته جيدة ، بينما جزؤ العلوي قد فقد أغلبه .

وقد كتب بأسلوب الخط اللين ، غير معجم في كل كلماته وحروفه ، غير معلوم مكان العثور عليه . لون الورقة بني فاتح ، كتبت بحبر أسود ، عند السطور المتبقية من هذا الجزء

من الخطاب (٤) سطر . الظاهر خالي من الكتابة . ويلاحظ وجود تناخل في العديد من الكلمات . ومثل هذه الحافة شائعة في العديد من الخطابات والمكاتب المنقذة بين الأمالي - خطابات شخصية - للسلام والاطمئنان والتحية ونضاً ، للدين وطلب الخواص ... وغيرها ، وذلك خلال القرنين ٣ - ٤ هـ / ٩ - ١٠ م . ومن الكلمات المتداخلة في هذا الجزء ، من الخطاب ، كلمتا (وكتب شهادته) في منتصف السطر الثاني من الخطاب .

نص الخطاب (الوجه) Recto

- ١ - (شهادته) محمد بن زيد بن يحيى على أقرار عبد الله بن الحرث .
- ٢ - يجمع ما في هذا الكتاب وكتب شهادته في جمادى الأولى من سنة أربع وسبعين .
- ٣ - وماتين شهد محمد بن يحيى بن أسحق على مثل ذلك (١٢٦) .
- ٤ - والحرثي بن شعيب بن الحرثي على مثل ذلك .

العلامة المرجحة في نهاية السطر الثالث \odot تعتبر خاتمة لكتابة هذا السطر . وقد وردت مثل هذه العلامات والرموز في العديد من نصوص البرديات العربية .

٤ - برنية عربية تتضمن آيات من سورة الفيل :

هذه البردية النادرة تضمنت آيات من سورة التمل في كتابي الوجه والظهر ، كتبت بحبر أسود تحمّل رقم سجل (PSR. Heid. inv. Arab. 458) أطوالها ١٧ سم × ٩ سم منقذة بأسلوب خط التحرير المخفف . طريقة كتابتها تشير إلى كتابات القرنين ٢ - ٣ هـ / ٨ - ٩ م ، غير معجمة في كل كلماتها ، غير معلوم مكان العثور عليها . فقد أغلب الورقة وخاصة من جزئها الأيمن . الكتابة المتبقية تتضمن بعض آيات من القرآن الكريم من سورة التمل . الآيات من رقم (٤٠) حتى الآية رقم (٤٥) في كتابة الوجه ، بينما كتابة الظاهر تتضمن الآيات من رقم (٤٧) حتى الآية رقم (٦٠) من نفس السورة . ويلاحظ أن الآيات القرآنية الكريمة التي وردت في وجهي البردية لم يرد بها نواصل الآيات الكريمة المتداة وإنما كتبت الآيات في البردية بشكل متصل .

ترجع أهمية هذه البردية إلى أنها انتصرت في نصوصها على آيات من القرآن الكريم . وكما هو معلوم فإن كتابة القرآن الكريم على أوراق البردي يعد أمراً نادراً جداً (٤٨) ، لأن أغلب ماتم تدوينه من كتاب الله تعالى كان على الرق ، وأغلب ما وصلنا من كتاب الله

يختلف عن كتابة الرجم ، والبردية متدرجة بسنة ٣٢٨ هـ ، غير معلوم مكان العثور عليها .

نص البردية :

الوجه Recto

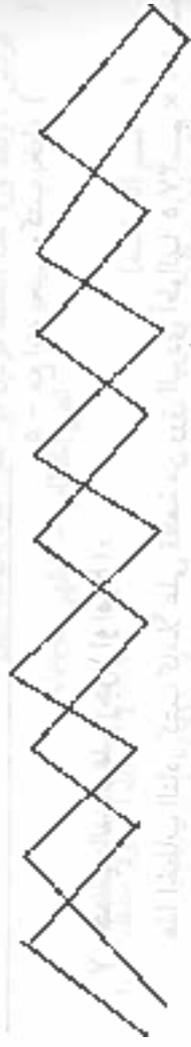
- ١ - (بأرقم السنة ثمان وعشرين وثلاثمائة) - ٢ - (بشار أبي الظفر أطل بقاه
- ٣ - (بشار بن أبي فهو مائة دينار واحد) - ٤ - (ثمنائة عشر معموله
- ٥ - (مسائة ثمان وعشرين وثلاثمائة) - ٦ - (مسائة تسعة وعشرين وثلاثمائة

الظهر Verso

- ١ - دفع رسال -
- ٢ - أن المال
- ٣ - مهدي
- ٤ - وثلاثمائة
- ٥ - اهد (إبراهيم)

٦ - ورقة تتضمن (خروقة عربية " نباتية وهنسية " :

ورقة كأغده صغيرة : رجا كانت قطعة من كشاف أو سجل ، أطرافها ٩,٥سم x ٦,٥سم ، تحمل رقم سجل (60) PSr. Heil, inv. أبرز ما يميزها وجود رسم زخرفي في الوجه Recto عبارة عن رسمين العلوي يثل زخرفة حلزونية متفردة بهذا الشكل .



بينما الرسم السفلي عبارة عن أشكال وورقات نباتية داخل شرط (إبريز) طوله ٣,٥سم عرضة ١ سم . ومثل هذا الشكل نراه متفرداً على العديد من القطع الفنية وخاصة الحشرات الخشبية للصابون والأبواب . بعضها محفوظ في متحف الفن الإسلامي بالقاهرة (٤٩) . من بينها قطع متنوعة من الحشرات الخشبية مجسمة في أطباق نحسية سفاسية

تعالى على يدق البردي كان عبارة عن بعض آيات من القرآن وسط نصوص متنوعة مثل العفوة (وخاصة عقود الزواج ونص المنازعات ومجالس الصلح وقضاة الدين ووثائق الوثوق والهبة وعقوبة الرقبة ... وغيرها . أو ربما أوراق بها بعض أجزاء من السور القرآنية) .

نص الوجه Recto

- ١ - أنا أتيك به قبل أن تقوم من مقامك (ك) - ٢ - (علمام من الكتاب أنا أتيك
- ٣ - مستقراً عنده قال هنا من فضل
- ٥ - نظرت أتهدي أم تكون من الذيرين (ن)
- ٦ - (عرفت) لك قالت كانه هو
- ٧ - (مسليمان) وصلها ما كاذنت (ت)
- ٨ - (كافران) قيل لها ادخلي
- ٩ - (عدان) ساقها قال إنه صدح (ج)
- ١٠ - وأسلت مع ملبد (جان)
- ١١ - (صد) أنا أن أعيده (وا)

الظهر Verso

- ١ - (يوهان) قال طائر كم عند الله بلى أتعلم (م)
- ٢ - (الوليد) ما شهدنا مهلك أهله وأنا لصاه (قون) - ٤ - (بشعرون) فانظر كيف كان عاقبة مد (كرمها
- ٥ - (بوتهم) خارية يا ظلمادوا (ا)
- ٦ - (أصرا) وكانوا يتقون ولادوا (ا)
- ٧ - (بصرون) أنكم لعادون (ن)
- ٨ - (بهبوران) فما كان جواب قوما (عد)
- ٩ - (أنا) من يتظفرون فأخبينا (د)
- ١٠ - (عليهم) مطراً فساء مطر (المنفون)
- ١١ - (أص) خط (ن) الله خير (أما)
- ١٢ - (مطاني) السلاوات (ت)

٥ - جزء من إيصال يدفح أموال مؤرخ بسنة ٣٢٨ هـ :

هذا الجزء من إيصال رقم (157) PSR. Heil, inv. arab. كتب على قطعة من ورق البردي أطرافها ١٧ سم x ٦,٥ سم . حالتها جيدة جداً على الرغم من فقدان قسم كبير منها . كتب الإيصال بخط التعمير المنخف ، ويحبر أسود على عرض ألياف الورقة . كتابة الظهور كتبت بخط فلم سميك . وجه الورقة يحتوي على كتابة عربية خاصة قوامها أجزاء من ستة سطور (نهاية السطور) ، بينما الظهور يحتوي على بدايات (٦ سطورا) رجا يتعلق بموضوع آخر

(أخشي) في السطر (٤) حيث أعجم حرف الشين في هذه الكلمة فقط . وبالإضافة إلى ذلك يلاحظ وجود شكل نجمة سداسية الأطراف في نهاية السطر (٩) من نص البردية . عدد سطور كتابة الظهر (١٣ سطراً) ، وما يلتقظ النظر في هذه البردية هو نصها الذي يعتبر شاذاً عن سائر نصوص الخطابات التي وردت عادة في البرديات ، فالعبارات جميعها تتعلق بالدعاء على شخص معين وقتئذ الشر والهلاك له (٥٠) .

وكما هو معلوم فإن العديد من نصوص البرديات العربية وخاصة تلك الرسائل العبادية بين بعض الأفراد للإطنتان والسلام وتلقى السعادة ودوام التوفيق والمعاقبة من الرسائل السعادة في القرون الثلاثة الأولى للهجرة ، ومنها خطاب محفوط في مجموعة شرت وأبهارت بمعهد البرديات بجامعة هايدلبرج برقم سجل (PSR. Heid. inv. 284) تنسب للقرون ١١/هـ ، ١١م ، تقرأ في نصوص هذه العبارات - بعد البسملة - في السطور (١-٣) - أطال الله بقالك وأدام عزك وكرامتك وتأيدك وسعادتك وأتم نعمت عليك زاده في فضله وإحسانه إليك وجعل لفسحه لديك وعندك برحمته (٥١) .

وعلى القريض تماماً من هذا النص تقرأ في البردية التي نحن بصددها عبارات أخرى تتضمن الوعد للشخص معين يدعى (قرشيته) بعلوم دخله الجنة ويهلكه ... وغيرها من العبارات التي تعبر عن بغض وكراهة لهذا الشخص . وما لجرم أوتكبه أو أتم اقترله في حق بعض الأشخاص أو شخص معين (رجل أو امرأة) فكأن له هذا الخطاب النادر في نصه . وربما كان هذا الشخص امرأة لأن اسمها كما يرد في نص البردية (قرشية) نسبة لقبيلة قريش ، ولقد ورد هذا اللفظ مرتين في نص البردية لسطين (٧ - ١١) .

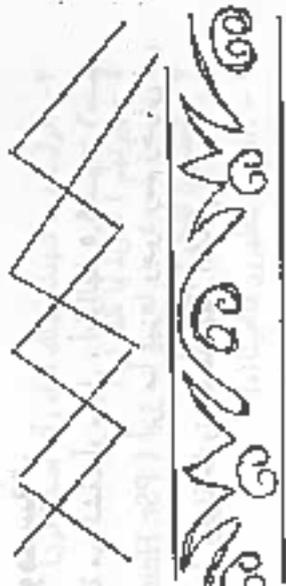
نص الخطاب - الظهر Verso

- ١ - بسم الله (هـ)
- ٢ - لا أتقاك الله ولا حفظ (هـ)
- ٤ - (٧) ستترك ولا أخشي
- ٦ - ولا أدخلك الجنة
- ٨ - ولا أتترك الجنة أبها
- ١٠ - غير
- ١٢ - واللحن كلهم .

الشكل ، عليها زخارف نباتية بارزة منفلة بأسلوب المنقر على أصفاق مختلفة تحمل رقم سجل (٤٠٩) (القاعة رقم ٨) سجلات متحف الفن الإسلامي بالقاهرة أطوالها ٧٧سم x ٧٦سم . ترجع للقرن ٦ هـ / ١٢م . والزخارف النباتية الواردة في هذه الورقة شبيهة أيضاً بالخطوط الزخرفية السفلى والعلوى المنفذ على الألواح الخشبية من مجموعة بيمارستان قلادون ، إعدادها محفظة في متحف الفن الإسلامي برقم ٢٤٦ - (القاعة رقم ٤) أطوالها ٣٠سم x ٤٣سم . وفي واقع الأمر إن وجود رسوم هندسية ونباتية ضمن بعض نصوص الأوراق والوثائق التاريخية تعتبر من الحالات الهامة والتأخرة ، وذلك لأن غالبية ما كتب على أوراق البردي في العصر الإسلامي كانت عبارة عن عقود يشترى أنواعها (زواج - شراء - إيجار - عمل) أو رعا كانت كسوف حسابية أو قوائم سلع وحاصلات زراعية وإيصالات جزية وخراج ... وغيرها . أما وجود رسوم ونقوش زخرفية فتعتبر من الأمور النادرة في وثائق ونصوص البرديات العربية بصورة .

نص الورقة ورسومها الفنية

الظهر



الوجه

- ١ - () يد عليه
- ٢ - () أن لك مباحدا
- ٣ - () حائل نبعمله
- ٤ - () يد لك متباهيه
- ٥ - مع أنه يحس وكتب بخطه ()

٧ - خطيب السماء على رجل (أو امرأه) :

هذا الخطاب النادر كتب كاملاً على قطعة من ورق البردي أطوالها ٧٧.٥سم x ١١سم تحمل رقم سجل (PSR. Heid. inv. 553) كتب الخطاب على ظهر الورقة Verso بينما وجه الورقة تضمن موضوعاً آخر نشره الباحث لارزدهم في بحثه السابق الإشارة إليه (٤٩) والبردية حالتها جيدة إلا من بعض التضرفات البسيطة في أليافها . ولكن النص مكتمل تقريباً - وهي غير مؤرخة وغير معلوم مكان العثور عليها - وأسلوب كتابتها يشير إلى خطوط القرنين ٧-٨هـ / ١٣-٩م . والبردية غير معجزة إلا في بعض الكلمات منها كلمة

التجارب والتطبيقات ١

١ - انظر في ذلك ما كتب المستشرق جيرولامى في كتابه :

Giovanni d'Alramansi. A Brief account of the researches and discoveries in upper Egypt made under the Direction of Henry Salt. London. 1836.

2 - Silvester de Sacy: Journal des Savants, Paris 1825, pp. 462 - 473.

٣ - د. أحمد الشامي : أوراق البردي العرسي مصدر أصل للتاريخ الإسلامي ؛ وانظر أيضاً : Österreichische Mousseuschrift für den Orient, B. XI, 1885, p. 161 ; Grolmann. A: Einführung u. Christenenthum, p. 21, 43.

٤ - تجدر الإشارة إلى أن مجموعة البرديات بمعهد البرديات بجامعة هايدلبرج "مجموعة ثورت واينهارت" مشتملة المصدر التاريخية ويأتيها كالتالى :

البردى العرسي (٣٦٩٩) بردية - البردى الآرامى برديان - البردى الديوطيقى عدد (٤٨١) بردية البردى العبرى عدد (٣٣٦) بردية - البردى الهيراطيقى عدد (٢٤٦) بردية - البردى القبطى عدد (١٦٣-١٦٤) بردية - البردى اللاتينى عدد (١٣٦) بردية - البردى القوامى (٩٦) بردية - البردى السريانى عدد (١٥٦) برديات - قطع فخار "أوستراكا" عدد (٧٥٩) قطعة .

البردى البروتانى عدد (٢٠٠ - ٥٠) بردية - بردى يونانى / ديوطيقى عدد بردية واحدة - بردى قبطى / يونانى عدد (٤٩) بردية - بردى عبرى / يونانى عدد (١٣) برديات - نصوص بردية - بروثوكولات Prou-

zilschiff عدد (٢٧) بردية .

٥ - جدير بالذكر الإشارة إلى أنه نظراً لكثرة لائق البردى العرسى سميت من مصر في هذه الفترة أن أطلق (ف . ج . كتيون) في كلمة الانفتاح التى ألقاها في أعمال المؤتمر العلمى الخامس لعلم البردى الذى عقد في مدينة أكسفورد بإنجلترا في (٣٦ أغسطس سنة ١٩٣٧) ، أطلق على عام ١٩٧٧م عام الكاردينالية بالنسبة لعلم البردى العرسى . ويقصد بهذه التسمية تسميد هذا العلم ووصوله إلى النور ، وذلك لكثرة ما تم النشر عليه من لائق البردى فى كل أوقا : د. أحمد الشامى : المرجع السابق ، ص ١٣٩ ، حاشية (٩) .

٦ - للاطلاع على الاتفاقيات البرية بين الجامعة العلمية بفرانكفورت Freiburg وبين جامعة هايدلبرج للاتفاق على بحثه الحفائر والتطبيقات الأثرية فى مصر ، واقع الأرشيف التوثيقى بجامعة هايدلبرج . قسم البرديات - سنة ١٩١٤م ، حيث أودعت الاتفاقية بسجلات الجامعة .

٨ - جزء من خطب وردت به عبارة (أمير المؤمنين) مؤرخ بسنة ٣٣٣ هـ :

هذا الجزء من الخطاب كتب على قطعة من ورق الكاغد أطوالها ٦,٥ أمتار ٩ سم تحمل رقم (PSR. Heid. Arab. 558) كتبت بأسلوب الخط اللين فى ٤ سطور . ظهر البردية خالى من الكتابة والخط بالغ الدقة والاتقان حيث أعطى الكاتب كل كلمة حقها فى الوضوح . وعدم الكاتب كذلك إلى فصل الكلمات ، فلم تتداخل كما هو شائع فى غالبية نصوص البرديات العربية . والورقة عبر معلوم مكان العنبر عليها وهى مؤرخة بعام ٣٣٣ هـ وهذه الفترة تعاصر الخليفة العباسى (المتقى أمير المؤمنين) وكان واليه على مصر آنذاك الإخشيد محمد بن طغج صاحب مصر والبلاد الشامية . وفى هذه السنة أيضاً توفى الخليفة العباسى المتقى . وكانت مدة خلافته ثلاث سنوات وخمسة أشهر وعشرين يوماً . ثم بويع بالخلافة من بعده للخليفة المستكفى بالله أئى القاسم فى العشر الأواخر من شهر صفر فى سنة ٣٣٣ هـ (٥٢٦) .

ولقد ورد بالبردية لقب أمير المؤمنين ضمن نصوص السطر الثالث فى بدايته ، وهو من الألقاب المركبة على لقب (أمير) وهو ثابى ألقاب الخلفاء . حيث جاء بعد لقب (خليفة) . وأول من تلقب بلقب (أمير المؤمنين) هو الخليفة الراشد عمر بن الخطاب . فلقب أمير يعنى ولاية عامة بينما لقب المؤمنين بضمى على هذه الولاية الصفة الدينية إلى جانب منته السياسية (٣٦) . ويلاحظ أيضاً وجود عبارة (بركة من الله) فى نهاية السطر الثالث من نص الورقة وهى عبارة شائعة على العديد من قطع الفنون الإسلامية مثل قطع الخزف الإسلامى . وكذلك يلاحظ ورود عبارة أمير المؤمنين صلوات الله عليه وهى من العبارات القادر ورودها فى نصوص البرديات العربية عموماً .

نص البردية : الوجه Recto

١ - (بسم الله الرحمن الرحيم

٢ - (بسم الله الرحمن الرحيم بركه من الله

٣ - أمير المؤمنين صلوات الله عليه لا أمر لعبد

٤ - سنة ثلث وثلثين وثلثمائة .

٧ - د. عبد العزيز الدالي : البرديات العربية ، مكتبة الشاطبي ، مصر سنة ١٩٨٣ م ، د. عاتقة عبد الرحمن : ذخائر البردي مكتبة فيسا : أثيريتا . وضع باللغة العربية بحياية المستشرق شيراتوف بوسكو ١٩٩٦ م ، ص ٢٧ .

8 - C.H.Becker : Veröffentlichungen aus des Heidelberger Papyrus-Sammlung III; Papyri Scholia - Reinhardt, Heidelberg 1906 . : C.H.Becker : Arabische Papyri des Aptroditofundes " Zeitschrift für Assyriologie und Verwandte Gebiete " B.XX; 1906- p. 68-104 ; C.H.Becker: Neue arabische papyri des Aptroditofundes, der Islam 11, 1911, p. 245-268 .

٩ - د. أحمد الشامي : المرجع السابق ص ١٢٦ .

١٠ - جدير بالذكر أن إحدى البعثات في مكتبة جامعة هايلبرج بألمانيا وهي التي لورا لورا Engel-Lera وكانت تشمل ترجمة وصيانة البرديات بحسب البردي بجامعة هايلبرج - قامت بتسلم جميع الأبراق التي تركها الدكتور سايدل Seidel والتي كانت تتضمن دراسات حول بعض نصوص هذه المصروحة إلى أقارب الدكتور سايدل - ولقد عهد الدكتور وشيخو سايدر Richard Seydler أصبح مدبراً لهذا القسم بالإضافة لعمله أستاذاً بجامعة هايلبرج في شعبة البرديات اليونانية . بنشر هذه الدراسة .

١١ - يعمل حالياً أستاذاً للتاريخ الإسلامي - بكلية الآداب - جامعة الزقازيق .

١٢ - من الأبحاث التي نشرها الدكتور صالح حسين والتي استلهم بعض مادتها من بعض نصوص البرديات العربية بحث الذي نشر في مجلة العلوم الإنسانية بالجامعة الأردنية - عمان - المجلد ٢٢ ، العدد ٤ ، سنة ١٩٩٥ م " القولة العربية الإسلامية والأرض المنقومة خلال الفترة الراسدة " بحث الذي نشر في مجلة مجمع اللغة العربية الأردني ، العدد (٤٠) ، عتادى الأول ، شوال سنة ١٤١٦ هـ والذي نشر تحت عنوان : تعريف بالروايق البردية العربية وأهميتها في دراسة التاريخ الإسلامي .

١٣ - قام الدكتور جاسر أبو صافية بدراسة بعض بروديات هذه المجموعة من خلال بعض أبحاثها ومنها اللغة والنحو والصرف والهجاء ، في البرديات الأموية " نشر في مجلة مجمع اللغة العربية الأردني العدد رقم ٦٠ ، لسنة ١٩٩٦ م ، وبحث الآخر الذي حصل عنوان " جهود السننورين في دراسة البرديات العربية ونشرها " نشر في جامعة اليرموك الأردنية - مجلة الأدب والفنون - العدد الثاني عشر - العدد الأول سنة ١٩٩٤ م .

١٤ - محمد الإشارة إلى أن الدكتور أدولف جورهسان قد قام بتصنيف وقهرسة بروديات هذه المجموعة والتي إلى رقم سجل (١٥٤١) مع نهاية عام ١٩٣٤ م ، ثم قام الدكتور أحمد الشامي باستكمال التصنيف إلى رقم [١٧٩٤١] بين عامي ١٩٦٦ - ١٩٦٣ م ؛ ولقد تمت " كتاب البحث " بعمل مشروع فهرس شامل للبرديات العربية بجامعة هايلبرج مؤلفاً من قبل الهيئة الألمانية للتبادل العلمي الأكاديمي (DAAD) في صيف سنة ١٩٩٧ م ، لاقتراح هذا الفهرس في جزء الأول بالتعاون مع الهيئة العامة لدار الكتب والروايق القومية بالقاهرة ، حيث أقوم بالإشراف على البرديات العربية بها .

٥ - سجلت مفاردي محمد : الفهرس الشامل للبرديات بجامعة هايلبرج بألمانيا ، الجزء الأول ، تحت الطبع ، دار الكتب المصرية .

IS - Werner Dleim : Arabische Briefe auf Papyrus und Papier aus der Heidelberger Papyrus-Sammlung, Wiesbaden, 1991 .

١٦ - هذه البردية تحمل رقم سجل (53 - 50 PSR, Heid. inv. Arab. 23 الشروحات . في (٤٢٢١) سطرًا من نصوص الصحيفة . حديث داود يعمل رقم سجل (PSR, Heid. inv. Arab. 23) أما مفاردي الرسول فليكن فإنه يعمل أيضًا نفس رقم السجل ، انظر في ذلك :

Rauf G. Khoury: Walth. B. Munchihh, Wiesbaden, 1972 .

١٧ - د. أحمد الشامي : المرجع السابق ، ص ١٢٢ .

١٨ - تضم المجموعة بروديات مشفرة اللغات منها بروديات يونانية ديوطيقية وعدد (٤١) برودية قبطية يونانية ، وثلاث بروديات عربية يونانية وحوالي (١٥) برودية عربية عبرية ، عدد كبير من بروديات هذه المجموعة لم يدرس ونشر حتى اليوم .

١٨٩ - يلاحظ أن البردية مجهزة إلى جزئين متصلين كما هو واضح في الصورة وتجد الإشارة إلى أن ملاحظتي هذه قد أهدتها للبروتيسور الدكتور هاجي هورن Hagi Dom مدير معهد البرديات بجامعة هايلبرج ، فقام على الفور بتسجيل هذه الملاحظة وأرشف الجزئين في لوحة واحدة ، حتى يكون نص البردية مكتملاً .

٢٠ - عمان علي حلاق : تصويب النقود والدواوين في العصر الأموي . دار الكتاب اللبناني ، دار الكتاب المصري ، سنة ١٩٧٨ ، ص ١٢ - ١٣ .

- ٢٨ - د. جوهان : المرجع السابق ، ج ٦ ، ص ١٣٩ .
- ٢٩ - د. جوهان : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٢٠١ .
- ٣٠ - ذكر هذه العبارة الدكتور حسن إبراهيم حسن - الذي ترجم المجلد الثالث لكتاب الدكتور أمركل جوهان - أوراق البردي العربية بدار الكتب المصرية سنة ١٩٥٥ . حيث أشار إلى أن الدائق كان يعادل نسخة مبهيات بمئة سنة ١٩٥٥ م .
- ٤١ - الأب إستامر ماري الكرملي : التفرد العربية وعلم النبات ، حاشية ١ ، ص ٢٨ .
- ٤٢ - د. جوهان : المرجع السابق ج ٣ ، ص ٢٠١ .
- ٤٣ - هـ ، سربير ، المراد الإثنائية لتاريخ التفرد والمعادن الإسلامية المطة الأسبوعية للترسية رقم (٢٦) ج ١٩ ، ص ٢٥ .
- ٤٤ - د. جوهان : المرجع السابق ، ج ٤ ، ص ٢٢٩ .
- ٤٥ - د. جوهان : المرجع السابق ج ٤ ، ص ١٦٨ .
- ٤٦ - لتفرد الورقة المرفقة ، لوحة رقم (٢٦) .
- ٤٧ - انظر الورقة المرفقة ، لوحة رقم (٢٦) .
- ٤٨ - يتضح ذلك من خلال قوائم المجموعات الوردية العمالية ولعل أبرزها مجموعة الأوشيدوق راينر في كيبنا بالنمسا ومجموعة ثروت وإينهاوت بجامعة هايلبرج بألمانيا ومجموعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ، وغيرها من المجموعات العمالية حيث لم يرد في قوائم هذه المجموعات ما يشير إلى وجود ورديات كاملة تضمنت سوراً من القرآن الكريم .
- ٤٩ - د. محمد مصطفى : صحف الفن الإسلامي ، دليل موجز ، طبع بالقاهرة سنة ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م ، ص ١٧ ، ٤٣ .

50 - Werner Diem : op. cit., p. 120 .

51 - Werner Diem : op. cit., p. 175 .

٥٢ - ابن كثير (أبو الفداء) الحافظ بن كثير (ت ٧٧٤ هـ) : البداية والنهاية ، طبع دار الفكر بيروت سنة ١٤٠٢ هـ إلى ١٩٨٢ ، المجلد ٦ ، ص ٢١٠ .

٥٣ - د. حسن الباشا : الانقلاب الإسلامي في التاريخ والزمان والآثار ، طبع دار النهضة العربية بالقاهرة ، سنة ١٩٧٨ ، ص ١٦٤ .

٢١ - القرآن الكريم - سورة آل عمران آية رقم (٧٥) .

22 - Werner Diem : Arabische Briefe auf Papyrus und Papier aus der Heidelberger Papyrus-Sammlung, Wiesbaden, 1991, p. 149 .

٢٣ - د. جوهان ، المرجع السابق ، ج ٥ ، ص ١٢١ .

٢٤ - د. ناصر القنطري : الترم الإسلامي ، مطبوعات مجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ١٩٧٠ م ، ج ١ ، ص ١ .

٢٥ - حسان حلاق ، المرجع السابق ، ص ١٥ - ١٦ .

٢٦ - صورة يوتف آية رقم (١١١) .

٢٧ - محمد باقر الحسيني : تطور التفرد العربية ، ص ١٩ : Catalogue des Monnaies ; H.Lavonx: La Bibliothèque Nationale Khalfes Orientaux P. I. voc. Paris, 1887 .

٢٨ - د. جوهان : المرجع السابق ، ج ٦ ، ص ١٩ .

29 - Grohmann, A : Texte Zur Wirtschaftsgeschichte Agyptens in Arabischer Zeit,

Arch. Or. VII, 1935, No. 20, p. 46 ; A.V. Krennmer : über des Einnahmebudget des Abbasiden-Reiches Vmt Jahre 306 H. (918-919) Akad. Wien, Denkscher. xxv 1.P.7 .

٣٠ - د. عبد الرحمن لحي : صنع السكة في فجر الإسلام ، ص ٤٠ : التفرد العربية ، ص ١١ .

٣١ - د. جوهان : المرجع السابق ، ج ٦ ، ص ١٥٨ .

٣٢ - د. جوهان : المرجع السابق ، ج ٦ ، ص ١٥٧ - ١٦٦ .

٣٣ - السيوطي : حسن الماضرة ، ج ٢ ، ص ٢٢٦ : القنطري : صبح الأعي في صناعة الإنشاء ، ج ٢ ، ص ٤٤٢ .

34 - A. Dietrich: Kunde des Morgenlandes, Kz. 11/3, p. 47 .

٢٥ - السيوطي : حسن الماضرة ج ٢ ، ص ٢٢٧ : القنطري : صبح الأعي في صناعة الإنشاء ، ج ٢ ، ص ٤٤٢ .

٣٦ - د. جوهان : المرجع السابق ، ج ٦ ، ص ١٦٥ .

٣٧ - الأب إستامر ماري الكرملي : التفرد المرجع وعلم النبات ، ص ٢٧ .

بسم الله الرحمن الرحيم
 سنة 1001 هـ
 سكت من طابعتي كبريت
 ايل طابعتي كبريت

البردية الثانية : (جزء من رسالة أم الوليد) بحصل رقم سجل (PSR. Heid. inv. Arab. 546) ظهور - Verso

ملحق الروعيات

بسم الله الرحمن الرحيم
 سنة 1001 هـ
 سكت من طابعتي كبريت
 ايل طابعتي كبريت

البردية الأولى : (كتف حساب أمال مختلفة) بحصل رقم سجل (PSR. Heid. inv. Arab. 484) ظهور - ظهر (PSR. Heid. inv. Arab. 756)

Handwritten Arabic text in a cursive script, likely a fragment of a larger document. The text is densely packed and appears to be a list or a set of instructions.

الهدية الثالثة : (جزء من خطاب تضمن أسماء بعض الشهرذ مؤرخ بسنة ٢٧٤ هـ)
تحصل رقم سجل [PSR. Heid. Inv Arab. 129]

Handwritten Arabic text in a cursive script, continuing the list or instructions from the previous page. The text is arranged in several columns and includes various names and terms.

الهدية الرابعة : (آيات من سورة النمل)
تحصل رقم سجل (PSR. Heid. Inv Arab. 546)
وجه ظهر (Verso) - Recto

بسم الله الرحمن الرحيم
 الحمد لله رب العالمين
 والصلاة والسلام على
 سيدنا محمد وآله
 أما بعد
 فإني أفتي بغير
 حجة ولا برهان
 على من يدعي
 أن الله تعالى
 خلق السموات
 والأرض في ستة
 أيام

الحمد لله رب العالمين
 والصلاة والسلام على
 سيدنا محمد وآله
 أما بعد
 فإني أفتي بغير
 حجة ولا برهان
 على من يدعي
 أن الله تعالى
 خلق السموات
 والأرض في ستة
 أيام

الهرودية السادسة : (ورقة كاغذ - تتضمن زخرفة عربية إسلامية)

تحميل رقم سجل (PSR. Dehd, 414 Amb. 160)

وجه Recto - ظهر

الحمد لله رب العالمين
 والصلاة والسلام على
 سيدنا محمد وآله
 أما بعد
 فإني أفتي بغير
 حجة ولا برهان
 على من يدعي
 أن الله تعالى
 خلق السموات
 والأرض في ستة
 أيام

الحمد لله رب العالمين
 والصلاة والسلام على
 سيدنا محمد وآله
 أما بعد
 فإني أفتي بغير
 حجة ولا برهان
 على من يدعي
 أن الله تعالى
 خلق السموات
 والأرض في ستة
 أيام

الهرودية الخامسة : (جزء من إيصال مطبوع أموال متوخ سنة 1228 هـ)

تحميل رقم سجل (PSR. Hehd, inv Amb. 157)

وجه Recto - ظهر

...
 ...
 ...
 ...
 ...

...
 ...
 ...
 ...
 ...

...
 ...
 ...
 ...
 ...

الهوية الثامنة : (جزء من خطاب دروت به عبارة "أسر الفوتين" مؤرخ سنة ٣٢٢ هـ)

تحصل رقم سجل (PSR, Heid. inv Arab. 558)

...
 ...
 ...
 ...
 ...

الهوية التاسعة : (خطاب بالدعاء على رجل أو امرأة وثقى الشر له - لها)

تحصل رقم سجل (PSR, Heid. inv Arab. 553)

١٢ - د. عائشة عبد الرحمن : ذخائر البردي المصري بكتبة نيبنا - أيرينا . طبع بعناية المستشرق شريباتوف ، باللغة العربية ، موسكو سنة ١٩٦٦م .

١٣ - د. عبد العزيز العالقي : البرديات العربية . مكتبة الخانكي بالقاهرة . سنة ١٩٨٣ .

١٤ - د. فالح حسين : تصريف بالوثائق البردية العربية وأصبتها من دراسة التاريخ الإسلامي ، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني ، العدد (٤٠) ، جمادى الأولى وشوال ١٤٤١هـ .

١٥ - محمد مصطفى : منصف الفن الإسلامي ، دليل موجز . طبع بالقاهرة ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .

١٦ - ناصر التشندي : القهرم الإسلامي . مطبوعات المجمع العلمي المركزي بتباد . سنة ١٩٧٠م .

ثالثاً : المراجع الأجنبية :

17 - Becker C.H. : Veröffentlichungen aus des Heidelberger Papyrius-Sammlung III; Papyri Sebou - Reinlandt, Heidelberg 1906.

- Becker C.H. : Arabische Papyri des Äthiopiendruckes. " Zeitschrift für Assyriologie und Verwandte Gebiete " B.XX: 1906.

- Becker C.H.: Neue arabische papyri des Aethiopiendruckes, Der Islam II, 1911.

18 - Commais J'Albanais: A Brief account of the researches and discoveries in upper Egypt made under the Direction of Henry Salt, London, 1836 .

19 - Gombouza . A. : Texte Zur Wertschätzungsgeschichte Agypens in Antikescher Zeit, Arch. Or, VII, 1935.

20 - Kremener A.V. : über des Einmaldrucke der Abhyriden. Rendies Von Jahre 306 H. (918-919) Akad. Wien.

21 - Leveau H. : Catalogue des Manuscrits Musulmans de la Bibliothèque Nationale Khalifés Orientaux P.I, vol. Paris, 1887 .

22 - Raif. C. Kilmory; Walth, B. Mumukhith, Wiesbaden, 1972 .

23 - Silvester de Sacy; Journal des Savants, Paris 1825.

24 - Werner Dien : Arabische Briefe auf Papyrius and Papier aus der Heidelberger papyrus-Sammlung. Wiesbaden, 1921 .

المصادر والمراجع العربية والأجنبية :

أولاً : المصادر العربية :

١ - السيريني (عبد الرحمن بن أبي بكر) ت ٩١١ هـ / ١٥١٣م : حسن العاصم في أخبار مصر والقاهرة ، تحقيق محمد أبو الفضل ، مطبعة الحلبي بالقاهرة . سنة ١٣٢١هـ .

٢ - التلاشيني (أبو العباس أحمد بن علي) ت ٨٢٦ هـ / ١٤٢٣م : صحيح الأعمش في صناعة الإنشاء طبع دار الكتب القومية بالقاهرة ، سنة ١٩٦٧م ، ١٩٦٨م .

٣ - ابن كثير (أبو القبا ، الملقب بن كثير) ت ٧٧٤ هـ : البداية والنهاية ، طبع دار الفكر بيروت سنة ١٤٠٤هـ إلى ١٩٨٢م .

ثانياً : المراجع العربية :

٤ - د. أحمد الشامي : أوراق البردي المصري . مصدر أصل لتاريخ الإسلام ، مجلة الفريخ العربي ، العدد التاسع ، ١٩٧٨م .

٥ - د. أولف جروهان : أوراق البردي العربية بدار الكتب المصرية ، طبع دار الكتب المصرية بالقاهرة ، ج ١ - ٩ ، القاهرة سنة ١٩٦٥م .

٦ - الأب إنسان ماري الكرمي : القرد العربية وعلم النباتات ، طبع القاهرة ، سنة ١٩٢٩م .

٧ - د. جاسر أبو صنية : جهود المستشرقين في دراسات البرديات العربية ونشرها ضمن أبحاث جامعة اليرموك بالأردن ، المجلد ١٢ ، العدد ١ ، سنة ١٩٩٤م .

٨ - د. حسنان علي حلاق : تصريف القرد والدواوين في العصر الأموي ، دار الكتاب اللبناني - دار الكتاب المصري ، سنة ١٩٧٨م .

٩ - د. حسن الباشا : الأقباب الإسلامية في التاريخ والرتائق والآثار ، طبع دار النهضة العربية بالقاهرة ، سنة ١٩٧٨ .

١٠ - سوليس ، هـ ، المواد الإضافية لتاريخ القرد والحدائق الإسلامية ، مجلة الأسرة الفرنسية رقم ٧ ، ج ١٩ ، سنة ١٩٨٢م .

١١ - د. عبد الرحمن قيس محمد : صنع السكة في الإسلام ، مجموعة متحف الفن الإسلامي بالقاهرة ، طبع دار الكتب المصرية بالقاهرة ، سنة ١٩٥٧م : موسوعة القرد العربية وعلم النباتات ، الجزء الأول - فهرس السكة العربية - صنع دار الكتب المصرية بالقاهرة ، سنة ١٩٦٦م .

شمس العرب تسطع على بالمره

يقول الجاحظ (ت ٨٦٩م) إن العرب قد استرعوا الفكر الهندي والفارسي واليوناني ، ولم يكن دورهم مجرد الحفاظ على هذا التراث القديم من الضياع ، وإنما أضافوا إليه الشيء الكثير في مزاينة كلها أصالة ، طورت من هذا التراث وصححت العديد من مساقاته . ويعترف العلماء في الغرب بأن هذا الفضل العربي هو الذي ساعد في ظهور النهضة في أوروبا في القرن الخامس عشر للميلاد ، والذي لولاها لتأخرت هذه النهضة الرئيسية بضعة قرون .

لقد ظهرت الجامعات في كنف الحضارة العربية الإسلامية منذ وقت باكر في العصور الوسطى ، فلقد تأسست جامعة الأزهر الشريف في القرن العاشر في القاهرة ، والتي صارت قبلة طلاب العلم والعلماء من مختلف بقاع الأرض ، كما آتت الجامعة النظامية في بغداد في القرن الحادي عشر على يد الوزير النابخ نظام الملك الذي اضطلع بتدبير مقاليد الحكم للسلطين السلاجقة . ثم ظهرت جامعات أخرى مشاهرة في كل من نيسابور ودمشق ، وبيث المقدس ، والإسكندرية . ووصلت المؤسسة الجامعية كمالها عند إنشاء الجامعة المستنصرية (سنة ١٢٢٤م) ، التي حوت كليات أربع ، واحدة لكل من اللغاب الأربعة . تسع ٧٥ طالباً

• أستاذ تاريخ العمود الوسطى - كلية الآداب - جامعة عين شمس .

تتمتع بالبريد و...
١٩٦٩م - ١٩٧٠م

١- السيرة...
٢- ...

٣- ...
٤- ...

٥- ...
٦- ...

٧- ...
٨- ...

٩- ...
١٠- ...

١١- ...
١٢- ...

١٣- ...
١٤- ...

١٥- ...
١٦- ...

١٧- ...
١٨- ...

١٩- ...
٢٠- ...

٢١- ...
٢٢- ...

٢٣- ...
٢٤- ...

٢٥- ...
٢٦- ...

٢٧- ...
٢٨- ...

وقد توثق فلاسفة القرن الثامن عشر طويلاً عند مسألة " النفس " أو " الروح " كما وردت عند أرسطو وأتباع الأفلاطونية الجديدة . ففترقوا بين النفس الطاهرة النقية التي تنصف عن متاع الدنيا وشهواتها ، وبين النفس الشهوية التي تتصاع لطغيان الجسد . كما ربط هؤلاء العلماء ، بين عالم الحس وعالم الإدراك العقلي المجرد . كما تربط بين الجسد (المحسوس) ووصفنا له بالخشنة (المجرد) .

أما الجسدال فهو جمال النفس وليس الجسد . لأن الجسد إلى فنا ، ونحلل ، ولا يبقى إلا النفس التي لا تمتلئ ولا تفسد .

وحدثنا الشهرستاني (ت١٤٥٣م) أن بعض الباحثين في مدرسة الإسكندرية القديمة قد خلط بين أفكار أفلاطون وأرسطو في أكثر من موضع . ونحن أن الفضل في إزالة هذا اللبس يرجع إلي ابن رشد . كما يرجع إليه الفضل في مصالحة الإيمان مع العقل في كتاب : " فصل المقال في موافقات الحكمة والشرائع " الذي قام بترجمته إلى اللاتينية ما بكل سكوت (حوالي ١٢١٧م) ، والتي نقل عنه توما الأكويني في كتابه بعنوان " Quaestiones Disputatae " .

أما العالم ابن سينا (٩٨٠ - ١٠٣٧م) ، فإلى جانب كتابه المرموق " القانون في الطب " الذي ترجم إلى اللاتينية وصار المرجع الأساسي في كل الجامعات الأوروبية طيلة العصور الوسطى ، فإنه أيضاً قدم شرحاً لأرسطو . كانت عبدة الأثر على العقل الأودسي . فلقد نقل الغرب اللاتيني عن ابن سينا فكرته عن " القدرات " وترجمها علىأزهم إلى كلمة (Intentió) ، أي ما يدرك بملكة العقل . تليجاً من الجزئي ووصولاً إلى الكلي الخافض ، من المحدود إلى اللامحدود .

وإذا انتقلنا إلى مجال الأدب نجد تأثيرات عربية واضحة في شعر الناجاة ، والشعر الشعبي . والحكم والأمثال التي أخذت تزدهر في بلدان أوروبا في القرن الثامن عشر . كذلك أروع الغرب اللاتيني بصفة خاصة بحكايات ألف ليلة وليلة ، كما هو واضح في " الكوميديا الإلهية " للشاعر الفلورنسي دانتي ، وفي حكايات بوكاشير (ديكاميرون) : وفي " حكايات كنتيرى " لشوسر : وفي بعض مسرحيات وليم شكسبير .

ولعل أكبر التمسكين للثقافة العربية الإسلامية كان ألفونسو العاشر ملكة قشتالة ولبون والذي لقب لهما " بالمكسيم " (El-Subio) ١٢٥٢ - ١٢٨٤م) . فلقد أخذ على عاتقه

مجت رعاية أعدد العلماء . وكان الأساتذة ينقلون وروايت ثابتة ، كما كان التعليم بالهجان ، مع صرف إعانة شهرية للدارسين . هذا إلى جانب وجهات الطعام المعجانية ، التي كانت تقدم لجميع الطلاب . أما مكتبة الجامعة فكانت عامرة بنواهر الكتب في مختلف فروع المعرفة ، وكانت الجامعة تمد الطلاب بالورق والأخبار اللازمة ، والأقلام لتيسر عليهم الاتقياس من المخطوطات وصياغة أبحاثهم .

والجدير بالذكر أن أول كلية للطب ظهرت في أوروبا كانت في مدينة سالرنو (القرن العاشر) على أكتاف العلماء العرب . ويعترف جون من سالرنودي (القرن ١٧م) بأن الأوربيين قد تعرفوا على التراث الفلسفي الكلاسيكي عن طريق العلماء العرب ، سواء في صقلية أو بلاد الأندلس (١١) .

وقد نقلت الجامعات التي أنشئت في مختلف البلدان الأوروبية نظام المعاضرات ، وعلاقة الأساتذة بالطلاب ، وفكرة التفرغ للجامعة والتمتع الدرامية عن الجامعات العربية . ويكفي أن مصطلح " البانس " الأودسي هو ترجمة حرفية للمصطلح المرعى " اجازة " (١٢) .

هذا وقد ظلت أوروبا قرابة الألف عام في العصور الوسطى لا تعرف شيئاً عن المعلم الأزل أرسطو ، حتى ترجمت بحوث العالم الفيلسوف ابن رشد (١١٢٦ - ١١٩٨م) وشرحه لأرسطو عن العربية إلى اللسان اللاتيني . كما يعترف بذلك توما الأكويني نفسه .

ولقد بدأ الاهتمام بالفلسفة اليونانية وعظمتها من الضياع في العصر الذهبي للخلافة العباسية . على عهد الخليفة المأمون في " بيت الحكمة " الذي أسسه في بغداد . ومن هذه المدرسة برزت أسماء كبار الأعلام من أمثال : حنين بن اسحق (٨٠٩ - ٨٧٣م) الذي تنقل بين بغداد ودمشق وفلسطين والإسكندرية ، وهو الذي قام بترجمة " المقررات " ، الفينيقا ، و الأفلاق " لأرسطو إلى اللغة العربية . كذلك قام حنين أيضاً بترجمة أعمال أفلاطون : " الجمهورية ، ولقواتين ، وكيمابوس " إلى العربية . أما ابنه اسحق فقد ترجم " الميتافيزيقا " و " شروح أفروديزيماس " إلى العربية . أما أبو يوسف بكتوب بن اسحق الكندي (ولد سنة ٨٥٠ في الكوفة) فقد قام بترجمة " شروح يوزفيريوس " " لساعةية " أفلاطون السكندري رائد الأفلاطونية الجديدة ، الذي كان من أبناء صعيد مصر (قرن ٣ م) . هذا وقد قام جيرارده من كيوينا (قرن ١٢م) بترجمة أعمال الكندي في الرياضيات ، والفلك ، والكيمياء . والبصريات إلى اللغة اللاتينية ، لنشبح بمد ذلك في مختلف الأروقة العلمية الأوربية .

رأيات الخيال (المهرة) ليضيفها إلى حديقته الذاخرة . وإلى فردريك يرجع الفضل في بدايات اللهجة الصقلية المحكية ، تحت تأثير العامية العربية . وقد كتب بهذه اللهجة الجديدة " زجلا غزليا موجهها إلى " سيدته الجميلة " " dolce mia donna " : مؤثما بقوله " من خادماك الميم " Sua Servidome .

وكان بلاط فردريك في بالرمو أشبه ما يكون بالأكاديمية . وقد تجلج من حوله علماء عصره الذين كانوا يعرفون العربية ويفترقون منها ترجمات لا حصر لها ولا عد . وفي هذه الكوكبة نذكر : برنارد من بالرمو ؛ يعقوب من كايرو ؛ هرمان من سالزا ؛ بيرو ديلا فيجنا ؛ تيودور القيلسوف ؛ ابن سليمان ؛ بطرس الأسباني ؛ بيون الغرمس ؛ ليوناردو من بيزا ؛ روجر من أميكس ، يعقوب بن أماري ؛ يعقوب من صورا ؛ ثم مايكل سكورت .

والأخير مايكل سكورت (ت ١٢٣٦م) كان قد تلقى علومه في أسبانيا على يد علمائها العرب ، ثم التحق ببلاط فردريك في بالرمو ، ليصبح عالم " التنجيم " لصاحب الجلالة الإمبراطور . وكان سكورت متضلعا في العربية ، وقد ألف في الفلك ، والتنجيم (Liber in)
 كما أنه قام بترجمة العديد من الكتب العربية في الكيمياء ، والجغرافيا الطبيعية ، والأجرام السماوية . وكان يعطو للإمبراطور أن يدخل مع سكورت في جدل ساخن حول قضايا مليئة بالذائق ، عن الجحيم ، وأظهر ، وفردوس النسيم ، وعن غرائب الطبيعة ، والعقائير ، والبراكين ، والزلازل ، وغيرها من الأمور والظواهر الطبيعية والسياسية .

وكان فردريك لا يثق في أي من أطبا ، القرطبية ، ولذا فإنه أحاط نفسه بشلة من الأطباء العرب ، الذين جمعوا في تركيب خلطة طبية يخالب بها صاحب الجلالة تقلصات معدته . إذ كان يعاني كثيرا من سوء الهضم .

والمعروف عن فردريك الثاني أنه قام بحملة صليبية قلبه العمد إلى بيت المقدس ، تحت إلهام البابوية ، وفي يوم الأحد الثامن عشر من مارس سنة ١٢٢٩م للميلاد ، دخل فردريك كنيسة القيامة ، وقد أسر آل تقي الأجراس ، أو تشد الثرائيم . ثم تقدم نحو " اللبح " وتناول تاجا ونوج به رأسه . ثم ألقى في الجمهور الحاضر من كهنوت وعلمايين كلمة وصف فيها الصليبيين بأنهم نطيط من الخنازير (١٤) . ووقعت الكلمة على أذان سامع سرفع الصاعقة؛ إذ كانت الرسالة موجهة إلى عدوه الألد الهابا وبلاطه في روما .

ترجمة العديد من أمهات الكتب العربية إلى اللسان اللاتيني والإبانية الوسيطة . ولأندوسر نفسه كتابات نشرية تتضح فيها المؤثرات العربية في الأسطورية والنبية والخيال . ومن أعمال الملك ألفونسو نذكر : " القنتة " (Las Siete Partidas) ؛ و " التاريخ العام " (Grand e general Estoria) ؛ و " الحروبانية " (Cronica) ؛ و " فضائل الأحجار الثمينة " (Lapidario) ، إلى جانب الجداول الفلكية .

وقد شهدت نفس الحقبة التاريخية سراد " الشعر الغنائي " (Cantigas) ؛ والأودا الموسيقية ، والموشحات ، والشعر الشعبي (Villancio) في أسبانيا نقلا عن العرب . وهذه الأخيرة - فلاكيكو - هي الأساس التي تولدت عنه " أناشيد أعياد الميلاد (Christmas Carol) ، ومذائح السيدة المذرا ، في كل ربوع أوروبا .

أما دون خوان ماتريل (١٢٨٢ - ١٣٤٩م) فقد نظم قصيدة بعنوان " Poema de Yugal " بالأسبانية في حروف عربية ، وهي قصيدة ذائفة بالقصص الشرقي ، وتجمل كل منها حكمة ودرسا أخلاقيا ؛ ثم جاء خوان رويث ات (١٣٥١م) ، وهو من رجال الكهنوت في أسبانيا ، ليكتب كتابا عن " الحب الحقيقي " (Libro de buen amor) ، وفيه حنو على بسطا ، القوم ، والهالمشبين في المضحع الأسباني ، والسواجين من أهل الطرب والرقص والغناء ، وما يقع بينهم من آثام العشق والرول ، على شاكلة أشعار " الشطار والمعيارين " .

وسجل التاريخ للإمبراطور الألماني فردريك الثاني هو هينشارت (١١٩٥ - ١٢٥٠م) (٣١) سيد صقلية وديوث النجاج الإمبراطوري الألماني ، أنه كان متسبا بالمحضارة العربية وأطوب حياة أهلها . ففي سنة ١٢٢٤م قام بإنشاء جامعة نابلي وفق مرسوم ملكي ، ثم وضع مدرسة الطب في سالرنو تحت رعايته ، حيث كان الطلاب والأساتذة يعتمدون اعتمادا كليا على المراجع العربية في ترجمة لاتينية .

كما أقام فردريك متجما في منطقة لوكيرا ، حيث تجلج من حوله كوكبة من العلماء المسلمين في مختلف فروع العلم والمعرفة . والذنون والموسيقى . وقد كان هذا الإمبراطور الشاب يجيد الحديث بتسع لغات ، والكتابة بست منها ، وقيل إنه كان لا يلمن في العربية . بل ويصوب الأخطا ، التصوية شفاة وكتابة . وكانت لفردريك هوية تدر بها القوم في أوروبا ، فلقد احتفظ بعديقة ضخمة للعبوان من كل جنس ، وكان مغرما بالصقور وواختها . وقد بعث إليه صديقه السلطان الكامل الأيوبي ، ابن أخ السلطان صلاح الدين ، بعلم من النوق

الهوامش :

- 1 - "Philosophia arabico-deiuncta est".
- 2 - "Lacinia docendi".
- ٣ - فردريك هو ابن عمى السادس من زوجته التويماندية كونستانس ، وقد تمرد وترجع عن صفة كنيسته ككنيسة الحضارة العربية الإسلامية . أبرزت به البابوية قرار البرلمان مرات ثلاث : سنة ١٢٢٩م على يد البابا هونوريوس (٣) ؛ وأخرى على يد البابا جيرجى التاسع سنة ١٢٣٩م ثم مجمع ليرن ؛ ومرت تالفة على يد البابا إنوسنت الرابع سنة ١٢٤٥م . قرئ في ١٢ ديسمبر ١٢٥٠م بلده ليرنيتو .
- 4 - Sus; Svarius (Swine - herd).
- 1 - Cautlmann, A. and Arnold, T., The Legacy of Islam. Oxford, 1931.
- 2 - Cambridge History of Islam, Vol. II, Cambridge, 1948.
- 3 - Gibb, H. and Brown, H., Islamic Society and the West. Oxford, 1950 - 57.
- 4 - Brockelmann, C., History of the Islamic Peoples. London, 1948.
- 5 - Campbell, D., Arabian Medicine, 2 vols. London, 1926.
- 6 - Gruner, O., A Treatise on the Canon of Medicine of Avicenna. London, 1930.
- 7 - Previc - Orton, C.W., A History of Europe 1198 - 1378, London, 1964.
- 8 - Huzinga, J., The Waning of the Middle Ages, 1965.

وشمرت البابوية وترايبها عن صواعدهم ، فراحت تكيل التهمة بعد الأخرى لشخص الإمبراطور . كما أشاعوا في مختلف الأروقة الأوروبية أن فردريك قد تردى في " الزندقة " ، وبأنه قد تزوج من خصمين امرأة مشرقية ، وبأنه إنجا بكثر من الاغتسال بالماء لئيل نهار لإحسانه " بعدم نظافته " .

وفي صيف ١٢٣٤م ، عندما كان فردريك في أبوليا بإيطاليا ، تلقى من صديقه السلطان الكامل هدية بالغة الثخامة في شكل قبة مساوية فلكية تسبح في أفلاكها الكواكب المتصوغة من الجواهر والأحجار الشسنة ، في مسارات من الذهب الخالص . ولقد اتهم الإمبراطور بهذه الملقبة الكريمة . وراح يعلن في كل مناسبة أن هذه القبة هي أعظم كنوزه على الإطلاق . كما عبر لسفراء السلطان الأيوبي عن جميل امتنانه بهذا الكثر الثريد في نوعه ، ثم احتفل معهم احتفالاً مهيباً برأس السنة الهجرية ، التي تصادف أن توافق مع وجود هؤلاء السفراء في بلاط الإمبراطور .

هذا وقد أصدر فردريك مجموعة قوانين سنة ١٢٣١م . تحت عنوان " Liber Augustalis " أو " دساتير بلفي " ، والتي يتضمن منها التأثير العربي الإسلامي فيما يتصل بترايين اللقائيس والأوقاف ، ومراقبة الأسواق على طريقة " الحسبة " ، والضريبة على خراج الأرض ، والمكوس ، وغيرها كثير .

ويخص هذا الإمبراطور الفن . وقد شبعته البواتر الكعسبة بوصمة " الزنديق الأكبر " ؛ بينما بكاه مريدو وأجابه على أنه " أعجوبة الدنيا " (Slapori mundi) . لقد كان فردريك الثاني سابقاً لزمانه ، مترقفاً عن التعصب الأعمى المقيت وقصر البصر الذي كان من سمات أوروبا في عصور الظلام لألف من السنين .

هذا وقد أصدر فردريك مجموعة قوانين سنة ١٢٣١م . تحت عنوان " Liber Augustalis " أو " دساتير بلفي " ، والتي يتضمن منها التأثير العربي الإسلامي فيما يتصل بترايين اللقائيس والأوقاف ، ومراقبة الأسواق على طريقة " الحسبة " ، والضريبة على خراج الأرض ، والمكوس ، وغيرها كثير .

أحد حياة ناصر الحجري (١٠)

بين دولة سلاطين المماليك وأوروبا وآخر العصور الوسطى

انفردت الحضارة الإسلامية التي شهدها مجتمع سلطنة المماليك في مصر والشام بمميزات خاصة . ولعل السبب في هذا التميز هو الظروف المختلفة التي أحاطت بظهور سلطنة المماليك . ويأتي تأثير الحروب الصليبية التي حمل فيها السلاطين المماليك الأتراك راية الجهاد الإسلامي على رأس الأسباب التي أثرت في اكتساب هذه الحضارة طابعها خاصاً . كما أن إحياء الخلافة العباسية في مصر بعد أن انهارت بسقوط بغداد سنة ١٢٥٨م تحت أقدام المغول أعطى المماليك صبغة شرعية فريدة . علاوة على ذلك كان لهجرة الجماعات الذمية من المدن العربية والأجنبية إلى مصر أثر كبير في ظهور تأثيرات حضارية مختلفة في بلاد النيل .

والواقع إن الإسلام بقوته الدينية العنقادية ، والشريعة الاجتماعية . ومهادنه الأساسية ساعد على بناء دولة إسلامية متراصة الأطراف ، محصنة الحدود ، هزمت جيوشها الفرس والروم واللاتين . غير أن طبقات المادة ، والصالح الخاصة ، والرغبة في السلطة والسلطان أضعف كيان الدولة الإسلامية في أواخر العصور الوسطى فأصبحت عدة دولات تتطاحن من أجل مصالح آنية لاتبث أن تزول .

١٠ - أستاذ تاريخ العصور الوسطى - كلية الآداب - جامعة الكويت .

كذلك من الأسود التي ظهرت قوية بظهور الإسلام . ثم ضعفت مع طغيان المنصر المادي في أواخر العصور الوسطى عامل " الجهاد الإسلامي " ولعل أصدق مثال على ضعف روح الجهاد الإسلامي تدريجياً أن فتح جزيرة صقلية على أيدي الأغالية المسلمين استغرق عشرين عاماً أي ما يعادل الفترة الزمنية فاتها التي استغرقتها فتح شمال إفريقيا بجمع أقاليمه في عهد الفتوحات الإسلامية الأولى ...

وهكذا بات الإقبال على الجهاد ضئيلاً ، واقتصر على النطاق الشمالي من حدود الدولة الإسلامية التي كانت تعرف باسم " الأريظة والشعور " . وهكذا حتى بدأت الحملات الصليبية فقد إلى مصر والشام في أواخر القرن الخامس للهجرة (الحادي عشر للميلاد) أيقظت روح الجهاد لدى جميع المسلمين حاكماً ومحكوماً من أجل الدفاع عن الإسلام والمسلمين استجابة للآية الكريمة : { قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } صدق الله العظيم (١١) .

لقد أفاق المسلمون في ذلك الحين ، وأدركوا أن المحافظة على الإسلام وورثته لا يأتى إلا من خلال وحدتهم تحت راية الجهاد في سبيل الله . بل إن الرغبة في الجهاد الإسلامي تفاعلت لتشمل فتوحات المهالك لجزر البحر الأبيض المتوسط . وعلى الرغم من أن وظيفة الخليفة في الجيش اقتصرت في ذلك العصر على المهالك وحدهم دون أهل البلاد في مصر والشام ، إلا أن هذه المشغول أبت إلا المشاركة في أعمال الجهاد الإسلامي ضد الأخطار الأجنبية ، وتغلقت هذه المشاركة في ظاهرتين بارزتين ، الأولى مادية بالتسرع بما يستطيعه كل فرد من مال وغازا (١٢) . والثانية ذاتية من خلال الإسهام في فعاليات المقاومة الأهلية ضد الأعداء كما حدثت سنة ٦٩٩ هـ / ١٢٩٩م - عندما تتبع الناس بديار بكر التتار ، فقتلوا منهم خلقاً كبيراً (١٣) .

وقد ولدت دولة سلاطين المهالك في منتصف القرن الثالث عشر للميلاد في ظل أحوال اقتصادية ساعدتها على الانطلاق على المستوى التجاري الدولي ، فنشط السلاطين المهالك في إنغرا . تجار الشرق على جلب بضائعهم إلى موانئ ، ونعمود مصر والشام ، شجعوا تجار أوروبا على التردد على الأسواق الملكية لشراء . حاصلات الشرق ، حتى زادت أعداد من أتى إلى الأسواق الملكية منهم بشكل كبير . وقد حرصت الممالك الأوروبية وبخاصة المدن الإيطالية على أن تخصص اتفاقاتها الاقتصادية مع سلطنة المهالك هدف ضمان امتيازات خاصة

للتجار من رضاها في الشعوب والمدن الملكية في مصر والشام . وتطبيقاً لمواد الاتفاقات الاقتصادية بين هذه الدول المتماثلة جعل التجار الأراغونيين على سبيل المثال على إدخال سفنهم وبضائعهم إلى سلطنة المهالك بسهولة ، دون التعرض لشدة رجال الجمارك ، أو دفع ضرائب باهظة إلى جانب تغلظ بحرية وأمان بين موانئ . الدولة ومنها التجارية وأسواقها المتعددة في مصر والشام ، وفي نفس الوقت تحققت للتجار المسلمين الامتيازات فاتها في شعور وموانئ ، مملكة أراغون (١٤) . كذلك زاد تهادل السفراء . والرسائل الواسعة بالهدايا القيمة بين سلطنة المهالك والإمبراطورية البيزنطية (١٥) ، وكذلك المدن الإيطالية ، وممالك أراغون ، وقشتالة ، وصقلية (١٦) .

وقد عنى سلاطين المهالك بحسن معاملة التجار القادمين إلى الفخور ، فيذكر القافندي نسخة رسالة بعث بها السلطان قلاوون لناصر الإسكندرية يحثه فيها على حسن معاملة التجار ، وتسهيل معاملاتهم ، وتأمين سلامتهم من أجل زيادة واردات الخزائن السلطانية من التجارة الخارجية مع هولاء - التجار الأجانب (١٧) . ومن جانب آخر كانت السلع الشرقية تلقى رواجاً في أوروبا في العصور الوسطى وبخاصة التوابل ، والكافور ، والفلل ، والبخور ، والعطور ، والمعادن ، والمنسوجات الخيرية . وكان أبرزها وأكثرها طلباً في أوروبا القفل ، حيث اشتدت الرغبة في الحصول عليه أكثر من أي تابل آخر على الرغم من ارتفاع ثمنه ، وكانت مصادر الهند ، والشرق الأقصى ، وشرق إفريقيا (١٨) . وبذلك أدى نحو التهادل التجاري بين الصليبيين والمسلمين في مصر والشام إلى قيام علاقات تجارية نشطة ونقي معاهدات دولية بين سلطنة المهالك والممالك الأديبية المسيحية ، واستمر هذا النشاط في أعقاب سقوط آخر معقل صليبي في بلاد الشام دون أن تصير هذه الممالك الأديبية أدنى اهتمام للأمر والمراسيم التي أعلنتها البابوية لوقف العلاقات الاقتصادية مع المسلمين (١٩) . وقد بلغ عدد التجار الأديبيين في مصر في القرن الرابع عشر الميلادي ثلاثة آلاف تاجر (٢٠) . من البندقية وجنوة وفلورنسا وبيزرة وقطالونيا وأراغون ثم فرنسا في فترة لاحقة . كذلك سمحت السلطنة الملكية في مصر للمدن التجارية الأوروبية مثل البندقية وجنوة وبيزرة وقرشونة ومارسيليا أن تقيم محاكم تابعة لها للتفصل في الخلافات بين تجارها حسب قوانينها القضائية (٢١) .

وبذلك استطاع هؤلاء التجار الأديبيين أن يوفروا لأنفسهم أسواقاً رابحة لتصرف بضائعهم وتحقيق الأرباح الطائلة . كما استطاعت تلك المجموعات المختلفة من التجار أن تعيش في راحة ورفاهية في أحيائها الخاصة ، حيث توفر فيها كل ما يحتاجون إليه (٢٢) . وقد وجد في

ولم تقتصر العلاقات الدبلوماسية من أواخر القرن الثالث عشر على الاتصالات بين هذه الممالك وسلطنة المماليك ، فقد تلا ذلك قدوم مسولين من قبل ملك قشتالة سنة ٦٨١ هـ / ١٢٨١ م إلى لشبونة فلادورون ومعهما هدية شبيهة من الخيل والبغال ، حيث انفتحت الدولتان على عقد معاهدة صداقة تم إبرامها في ذات السنة (١٦٦) . بل إن ملك أراغون ألفونس الثالث لم يتردد في الإقتراب عن سبعين من الأسرى المحتجزين في بلاده منذ زمن بعيد تأكيداً لحسن نواياه في توثيق العلاقات الطيبة مع سلطنة المماليك (١٦٧) .

وهكذا يظهر واضحاً حرص الممالك الكاثوليكية الأيبانية على دعم علاقاتها مع سلطنة المماليك عن طريق إرسال السفراء ، ومحاولون بالهدايا الشبيهة ، ومفروضون لعقد الاتفاقيات التجارية ، والمعاهدات السياسية بشكل يحقق الكثير من المنافع المشتركة لجميع الأطراف المتعاهدة . ومع تلاحق مراحل تلاشى الوجود الصليبي وسقوط معاقله وحصونه ، شملت نصوص الاتفاقيات الدولية هذه استعداد تلك الممالك المسيحية للوقوف إلى جانب سلطنة المماليك في حالة تعرضها لأي خطر يأتي من أوروبا الكاثوليكية (١٦٨) .

وكان أن عقد الملك الأغراني جيسس الثاني المعاهدة الدبلوماسية الثانية مع سلطنة المماليك سنة ٩٩٢ هـ / ١٢٩١ م في أعقاب انتصار السلطان الأشرف خليل بن فلاورون في فتح عكا آخر معقل صليبي كبير على ساحل الشام (١٦٩) . وكانت سلطنة المماليك حرصت على تقوية علاقاتها بهذه الممالك الأيبانية ، إما بنافع حماية المدن الأيبانية التي وقعت قبل تلك الفترة بقليل تحت السيطرة الأيبانية ، وإما لتحقيق مكاسب مادية عن طريق توطيد علاقتها التجارية معها . ونشجع حركة التبادل التجاري ، وفتح أسواق جديدة بصفة دائمة في المدن والقرى . وروما اعتقد السلاطين المماليك أن وجود حليف صديق لهم من الممالك الأوربية الكاثوليكية سيحدث دون شك شرخاً عميقاً في الوحدة الأوربية وأهدافها السياسية والعسكرية والاقتصادية في الشرق الإسلامي . كما يحقق لهم مكاسب اقتصادية كبيرة . ومن جانب آخر يظهر حرص تلك الممالك على تسهيل حج وعابها للمسيحيين إلى القدس الشريف ، وعقد المصفقات التجارية المربحة ، وتوثيق العلاقات السياسية مع ضمان تنفيذ شروط الهدايا السلمية من خلال عقد هذه المعاهدات الدبلوماسية مع أكبر قوة إسلامية في تلك الفترة . وهنا يوضع الرغبة الشديدة لدى هذه الممالك في عقد الصلح مع سلطنة المماليك تحقيقاً لكثير من المصالح المشتركة معها . بل إن تلك المعاهدات التي عقدت بين الممالك الأوربية وسلطنة المماليك تضمنت كثيراً من الشروط التي كان عليها السلاطين المماليك على

الأسكندرية عدد من التفاصيل يتلون الدول الأوربية التي يأتي مجازها إلى سلطنة المماليك لممارسة النشاط التجاري ، ومن بين هؤلاء اقتنصل البندقى الذي التقى به الراهب مارينو أسبروسينو Mario Esposino في أبريل سنة ١٣٢٤ م أثناء قيامه برحلته إلى مصر (١٦٦) . وقد أدى التبادل التجاري بين العرب والفرنجية إلى ظهور الكثير من الكلمات الأجنبية في اللغة العربية المتداولة مثل كلمة فندق ، وقنصل ، وقنصارية ، وغيرها (١٦٤) .

ولاشك في أن العلاقات الدولية أو العلاقات السلمية الرسمية التي أخذت تنمو تدريجياً في أواخر عصر الوجود الصليبي في بلاد الشام كانت أبرز النتائج المثمرة التي تكشف عن الحروب الصليبية . ذلك أن بعض الممالك الأوربية شرعت في اتباع سياسة جديدة تتناسب مع مصالحها بعيداً عن روح العداة التي فشلت في استرداد الأراضي المقتسة . إند عصر جديد من العلاقات الدبلوماسية والسفارات الرسمية بهدف إلى إبراء قواعد علاقات قائمة على الثقة والإخلاص مما يهود بالخير على المصالح الداخلية والخارجية في مختلف مجالات التعاون المشترك في الميادين الاقتصادية والسياسية والعسكرية . لقد كان لدولة سلاطين المماليك شرف زعامة حركة الجهاد الإسلامي لتخليص البلاد الإسلامية من أيدي الصليبيين . وقبل أن تنضم سلطنة الانتصارات الإسلامية ضد الوجود الصليبي في الشام بدأت سفارات ممالك أراغون ، وقشتالة ، وصقلية تند على بلاط سلطنة المماليك من أجل إقامة علاقات ودية جديدة مبنية على الصداقة والتفقة . وكانت أنها انتصارات السلطان لشبونة فلاورون (٦٧٨ - ٦٨٩ هـ / ١٢٧٩ - ١٢٩٠ م) على الصليبيين في الشام فد بلغت الغرب الأندلس ، وخاصة بعد أن تم له فتح المرقب سنة ١٢٨٥ م ، واللاذقية ١٢٨٧ م وأخيراً طرابلس سنة ١٢٨٩ م . ومن ثم أدركت الدول الأوربية أن الحملات الصليبية لم تحقق الأمل التي سيطرت على عقول الزعامات الأوربية الوسيطة ، وأنه آن الأوان لها أن تنتهج سياسة التقارب الدولي مع صاحبة السلطة في العالم الإسلامي . الأمر - الذي يوضع بشكل مؤكد حدوث تغييرات جذرية في طبيعة الأوضاع السياسية ، والمصالح الاقتصادية ، والعلاقات الاجتماعية . وبدأ يهيم للعيان تيار روابط الصداقة ، وصلات المودة بين هذه الدول والدولة الإسلامية بغض النظر عن الاختلاف العقائدي ، أو الأضلاع العسكرية . وعلى الرغم من أن الوجود الصليبي كان مازال قائماً في بلاد الشام في عهد السلطان فلاورون ، إلا أن وقتاً من قبل ملك أراغون ألفونس الثالث ، وملك صقلية جيسس - قدم إلى البلاط الملكي لعقد آراء معاهدة بين سلطنة المماليك وهاتين المملكتين (١٦٥) .

ملوك هذه الدول ، والتي تختم إلى حد كبير مصالح سلطنة المماليك خاصة في تلك الحقبة من التاريخ التي شهدت انكماش الخطر الصليبي .

وهكذا أدرك زعماء القرن الرابع عشر الميلادي عدم جدوى الحروب الصليبية ، بل وأهمية الاتفاقيات الدولية لتحقيق الأهداف المأمولة بطرق سلمية وأساليب ودية . وبذلك ظهر عصر جديد من العلاقات الدولية والمسافرات الرسمية بين هذه البلاطات لتتلاقى إلى تسجيل حقيقة تاريخية مختلفة في أعمالها وآمالها ، وقد شملت العلاقات الدبلوماسية في سلطنة المماليك دول الشرق الإسلامية ودول الغرب المسيحية . وما زاد هذه العلاقات عمقاً وتأصيلاً إيمان سلاطين المماليك بأثر علاقات السلام . وروابط المودة ، في تحقيق قوائم جليظة للدول المتعاهدة ، في حين لم تجلب الحروب في مبادئ القتال سوى الهزائم والخسائر . مع نطمعهم إلى أن تحقق تلك الرغبات الصادقة أسس التعاون الاقتصادي ، كما نتج عنها لكثير من مجالات العمل البناء بين الدول المتعاهدة . ونتيجة لذلك سجل التاريخ حقيقة نشطة من الاتصالات الدولية في العصور الوسطى بين دول الشرق الإسلامية ، ودول الغرب المسيحية . ويكفي أن نستشهد هنا برواية القريزي عند ذكر أحداث سنة ٧١٦هـ / ١٣١٦م إذ يقول : " وفيها قدمت رسول أريك ورسول ملك الكرج ورسول طغاي قروب أريك بهبايا ، فأجيبوا وسيرت إليهم الهدايا . فاجتمع في هذه السنة ثمانية رسل وهم جويان ، وأبي سعيد ، وأريك ، وطغاي ، وصاحب برشلونة ، وصاحب النربة ، وملك الكرج ، وكلهم يبذل الطاعة ، ولم يفتق في الدولة التركية مثل ذلك " (٢٠) .

وفي سنة ٧٢٥هـ / ١٣٢٥م شهد البلاط المملوكي قدوم سفراء الإمبراطورية البيزنطية ، وملكة أراغون ، وأرمينية الصغرى وملكة سفول القفجاق ، وملكة سفول فارس ، وملكة النوبة ، وملكة جورجيا (٢١) من أجل توطيد العلاقات مع سلطنة المماليك ، وتحقيق الاتفاقات السياسية ، والامتيازات الاجتماعية ، والمصالح الاقتصادية . ويلاحظ أنه كان بين هؤلاء الرسل شخصيات تمثل البابا يوحنا الثاني والثمسين . تؤكد رغبة البابوية - زعيمة الدعوة الصليبية والحملات العسكرية ، في بناء علاقات مودة وسلام مع سلطنة المماليك . وتبع البابوية في نهجها الجديد هذا ملك فرنسا شارل الرابع ، حيث أرسل سفراءه إلى بلاط الناصر محمد في مبادرة طيبة من أجل إقامة علاقة صداقة متبادلة تختم أهدافاً مشتركة .

ومن ثم يمكن القول بأن هذه المسافرات قد حققت الكثير من الأهداف التي جاءت من أجلها ، إذ كان السلاطين يملكون الجهد في هنا المنضار حرصاً على الروابط الطيبة التي

تربطهم بهذه الدول . لقد شهدت حقبة أضعفلال وسقوط المعازل الصليبية في ساحل الشام بداية عصر جديد من هذه العلاقات الدولية التي كانت تهدف إلى إرساء قواعد جديدة قائمة على الثقة والإخلاص لما فيه خدمة المصالح المشتركة بين مجتمعات هذه الدول .

كذلك من الظواهر الجديدة بالذكر والتي صاحبت قيام العلاقات الدبلوماسية بين سلطنة المماليك والممالك الأوروبية المسيحية في أواخر الحروب الصليبية في القرن الثالث عشر الميلادي ثم في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلادي بين تطوير القواعد والأنظمة التي حددت منهاج التبادل الدبلوماسي بين هذه الدول ، سواء على مستوى تحديد قواعد العلاقات الإنسانية وفقاً لما تقتضيه مبادئ الشريعة الإسلامية ، أو في موضوع اختيار هؤلاء السفراء المسلمين لبلادهم ، أو فيما يتعلق بطبيعة النهج والأسلوب والأنماط التي تضمنتها تلك الوثائق الدبلوماسية ، سواء أكانت معاهدات سياسية ، أو امتيازات اجتماعية ، أو اتفاقيات اقتصادية وهو ما يعرف في تاريخ العلاقات الدولية بـ " البروتوكولات الدبلوماسية " .

بالإضافة إلى ذلك تركت تلك العلاقات الكثير من الآثار على المجتمع الأوربي ، فظهرت الوحدات القومية في ظل تفوية السلطة المركزية لمملك أوروبا ، في حين أخذت السلطة البابوية في الاتسار والضعف ، حتى لم يعد هناك من بين ملوك أوروبا من يكثرت بصورته في من المراسيم البابوية ، وبخاصة تلك الداعية لقطع العلاقات التجارية وصحارية الدول الإسلامية . وازداد اهتمام المدن الأوروبية التجارية بمصالحها الاقتصادية مع المسلمين مما أفضى اقتصادياتها الداخلية حتى تطلب الوضع إنشاء المصارف . وتأمين طرق الملاحة ذات خطوط منتظمة تربطها بلدان الشرق الإسلامي . علاوة على ذلك ساعد تدفق العلوم والدراسات العلمية الإسلامية على أوروبا الغربية ابتداء من القرن العاشر الميلادي على عمق إقدامها من انصائها المباشر بالمجتمع الإسلامي ، وهو الوضع الذي أدى إلى ازدهار العلوم والدراسات العلمية في دول أوروبا ابتداء من القرن الثالث عشر الميلادي . ويظهر هنا واضحاً في تقديمهم بإنشاء المدارس في مجتمعاتهم على غط المدارس الإسلامية . وقد استفادت دول أوروبا الغربية من تفوق علماء المسلمين في الطب ، ومن كتبهم في وصف الأمراض ، وطرق علاجها ، وأنواع الأوبئة المناسبة لكل داء ، وكذلك في تأسيس المستشفيات الطبية وفقاً لنظام البيمارستانات في البلاد الإسلامية .

كذلك كان لقرنات العلماء العرب في الهند ، والعبيران ، والمغادين ، والفلك ، والرياضيات ، والكيمياء ، وحساب الفلك ، والهندسة ، والموسيقى آثار إيجابية بأداة في مظاهر الحضارة الإسلامية .

- ١٩ - الحصى : العلاقات بين سلطنة أماليك والممالك الأسيانية ، ص ٩٤ - ٩٧ .
- ٢٠ - القريزي : السلوك ، ج ٢ ، ص ١٦٣ - ١٦٤ .
- ٢١ - المصدر السابق ، ص ٢٥٩ .
- المصادر والمراجع :**
- أولا ، المراجع العربية :
- أبو شامة : شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل القفسي : الروميين في أخبار المولفين ، جزآن ، نسخة مصورة ، دار الجيل ، بيروت .
- ابن أبياس : محمد بن أحمد (ت ٩٢ / ١٥٢٤م) ، بتائع الزهور في روائع الدهور ، ٣ أجزاء ، القاهرة ، ١٨٩٣ - ١٨٩٦م .
- ابن تغري بردى : أبو العباس يوسف (ت ٨٧٤ هـ / ١٤٧٠م) : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ١٢ جزء ، القاهرة ، ١٩٢٩ - ١٩٥٦م .
- جوزيف : نسيم يوسف : الوحدة وحرركات اليقظة العربية بين العصور الصليبية ، الطبعة الأولى ، الإسكندرية ، ١٩٦٦م .
- ابن حنبل : أحمد بن علي (ت ٨٥٧ هـ / ١٤٤٩م) : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، ٥ أجزاء ، القاهرة ، ١٩٦٦ .
- الحصى : حياة ناصر :
- ١ - العلاقات بين سلطنة أماليك والممالك الأسيانية في القرنين الثامن والتاسع الهجريين / الرابع عشر والخامس عشر الهجريين ، الكويت ، ١٩٨٠م .
- ٢ - السلطان ناصر محمد بن علاوة ونظام الوفاق في عهده مع محبتي ونشر وثيقة وفاق مريالوس ، الكويت ، ١٩٨٢م .
- ٣ - السياسة الصليبية للملك القدس لويس التاسع ، الطبعة الأولى ، الكويت ، ١٩٨٤م .
- ٤ - أمراء العمامة في حكم الممالك ٩٨٧ - ١٢٧٩ هـ / ١٣٧٩ - ١٣٨٢م (دراسة في الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية) ، الطبعة الأولى ، الكويت ، ١٩٨٤ ، والطبعة الثانية صدرت في عام ١٩٩٤م .
- ٥ - دولعات في تاريخ سلطنة أماليك في مصر والشام ، الطبعة الأولى ، الكويت ، ١٩٨٦م .
- ٦ - مصدر من الحضارة العربية الإسلامية في سلطنة المماليك ، الطبعة الأولى ، الكويت ١٩٩٢م .

الهوامش :

- ١ - سورة البقرة ، الآية ١٩ .
- ٢ - القريزي : السلوك ج ١ ، ص ٩٠٦ - ٩٠٧ : ابن تغري بردى : النجوم ، ص ١٢٤ - ١٢٢ : ابن أبياس : بتائع الزهور ، ج ١ ، ص ١٤٣ - ١٤٤ .
- ٣ - القريزي : السلوك ، ج ١ ، ص ٩٠٣ : انظر كذلك ابن تغري بردى : النجوم ، ج ٨ ، ص ١٢٩ - ١٣٠ .
- ٤ - ابن حيد الظاهر : تشريف الأيام والعصور ، ص ١٦٢ : عنان : مصدر الإسلامية ، ص ١٦٩ ؛ Santon, Los Documentos Arabs Diplomático, pp. 337 - 338 .
- ٥ - القريزي : السلوك ، ج ٢ ، ص ١٦٢ - ١٦٤ .
- ٦ - القريزي : السلوك ، ج ٢ ، ص ١٦٤ - ١٦٥ ، أبو القفا : المختصر ، ج ٤ ، ص ٩١ ؛ Santon, Los Documentos Arabs Diplomático, pp. 361-362: Abu. Egypt and Aragon, pp.44.
- ٧ - القلشندي : صبح الأعشى ، ج ١١ ، ص ٤٧ - ٤٨ .
- ٨ - عاشور : العصر المماليكي في مصر والشام ، ص ٢٩٢ : طرق التجارة الدولية ، ص ١١٧ .
- ٩ - الحصى : العلاقات بين سلطنة أماليك والممالك الأسيانية ، ص ٣٥٤ .
- ١٠ - Kamunera, Le Règne et Le status des Émirgans en Egypte, p. 17 .
- ١١ - Abuja, The Crusade In the Later Middle Ages, p. 115.
- ١٢ - الحصى : العلاقات بين سلطنة أماليك والممالك الأسيانية ، ص ٢ .
- ١٣ - Mario Esposito, Itinerarium Symonis Sennonis Ab Hybernia Ad Terram Sanctam, p. 75 .
- ١٤ - ماجد : العلاقات بين الشرق والغرب ، ص ٢٢٤ - ٢٢٥ .
- ١٥ - ابن عبد الظاهر : تشريف الأيام والعصور ، ص ١٥٦ .
- ١٦ - المصدر السابق ، ص ٥٠ .
- ١٧ - المصدر السابق ، ص ١٥٦ .
- ١٨ - المصدر السابق ، ص ١٥٩ - ١٦٠ ، انظر كذلك : Santon, Los Documentos Arabs Diplo- matico, pp. 339.

- القزويني : أحمد بن علي (ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤٢ م) :
- ١ - المواظف والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، (المخطط القزويني) ، جزآن ، القاهرة ١٨٥٣م .
- ٢ - السطوك لفترة هول اللران ، ج ١ ، ٢ ، تحقيق : محمد مصطفى زيادة ، ج ٣ ، ٤ ، تحقيق : سعيد عبد الفتاح عاشور ، القاهرة ، ١٩٣٩ - ١٩٧٦ م .
- ابن منذر ، أسامة : الاعتبار ، حرره : فهد بن حنن د.ف. ، بيروت ، ١٩٧٠ م .

قائماً ، مصادر ومراجع أخرى :

- Alarcou Y Santhon, Maximiliano and Roman Gurcin De Litares : Los Documentos Del Arebive de La Corona De Aragon, Madrid, 1940 .
 - Ariva, Aziz Suryal :
 - 1 - Egypt and Aragon, Leipzig , 1938 .
 - 2 - The Crusade in the Later Middle Ages, London, 1938 . - Esposito, Mario : Itinerarium Symonis Semeonis Ab Hybernia Ad Terram Sanctam, Dublin, 1960 .
 - Al-Hajji, Hayal Nasser : The Internal Affairs in Egypt During the Third reign of Sul tan AL-Nasir Mu'ammal B. Qalawun, 709 - 741 A.EU 1309 - 1341 A.D., Second edition, Kuwait, 1995 .
 - Kammerer A. Albert, Le Regime et Le Status des Etrangers en Egypte, Tom 15 , Cairo, 1929 .
- Poljak , A.N. :
- 1 - Feudalism in Egypt, Syria , Palestine and Lebanon, London, 1939 .
 - 2 - Some notes on the Feudal System of the Mamluks. Journal of the Royal Asiatic Society, 1937 , pp. 97 - 107 .

- ٧ - أنطاخ من الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في سلطنة المماليك في القرنين الثامن والتاسع الهجريين / الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين . الطبعة الأولى . منشورات جامعة الكويت ، الكويت ، ١٩٩٥ م .
- ٨ - صلحات من تاريخ الكويت في ظل الاحتلال العثماني أغسطس ١٩٩٠ م - فبراير ١٩٩١ م (دراسة وثائقية تاريخية) . الطبعة الأولى . مؤسسة الكويت للتقدم العلمي الكويت ، ١٩٩٥ م .
- ٩ - السلطة والجمع في سلطنة المماليك لفترة حكم اللاتلون المماليك البحرية من سنة ٩٦١ هـ / ١٢٦٢ م إلى سنة ٧٨٤ هـ / ١٢٨٧ م (دراسة تاريخية وثائقية في واقع الممارسات المخططة السلطانية والأسيرية) ، الطبعة الأولى ، منشورات جامعة الكويت ، الكويت ، ١٩٩٧ م .
- العوادري : أبو بكر بن عبد الله بن أيبك (محاضر للناصر محمد بن قلاوون) : كثر القرد وجامع القرد ، ج ٩ ، الفر الثاني في سيرة الملك الناصر ، تحقيق : هـ . ز . ويكر ، القاهرة ، ١٩٦٠ م .
- ونيسان : سليمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة د. البيار العريش ، ٣ أجزاء ، بيروت ، ١٩٦٩ م .
- زكي القناشر ، الملاحقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العرب والإفرنج خلال الحروب الصليبية ، بيروت ، ١٩٥٨ م .
- زهير شتيا : تاريخ سلاطين المماليك ، نشره كارول ف . ويتز شتيا ، لبنان ، ١٩٦١ م .
- عاشور : سعيد عبد الفتاح : العصر المماليكي في مصر والشام ، القاهرة ، ١٩٦٥ م .
- ابن عبد الظاهر : محيي الدين أبو القصل عبد الله (ت ٦٩٧ هـ / ١٢٩٧ م) : تشريف الأوامر والعصود في سيرة الملك المنصور ، تحقيق : م . كامل ، القاهرة ، ١٩٦١ م .
- علي : عبد العظيم محمود : القرد الصليبي والمالم الإسلامي . الطبعة الثانية ، المطبعة العربية السورية ، ١٩٨٢ م .
- عمر كمال توفيق : الديموقراطية الإسلامية والعلاقات السلطية مع الصليبيين ، الإسكندرية ، ١٩٨٦ م .
- عنان : محمد عبد الله ، عصر الإسلام وتاريخ الخطط المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٩ م .
- أبو القنا : إسماعيل بن علي (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م) : المختصر في أخبار البشر ، ٤ أجزاء ، القاهرة ، ١٩٠٧ م .
- فطحي : نعيم زكي ، طرق التجارة الدولية ومطاراتها بين الشرق والغرب ، القاهرة ، ١٩٧٣ م .
- القلشندي : أحمد بن علي (ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م) : صبح الأعيان في صناعة الإنشاء ، ١٤ جزء ، القاهرة ، ١٩١٣ - ١٩٢٢ م .
- ماجد : هيد النعم : العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ، بيروت ، ١٩٦٦ م .

أحد سليمان الرجل (١٠)

حول علاقة الإمبراطور شارلمان بفلسطين

كانت علاقات شارلمان بالشرق العربي هي علاقة الفرنجية بمعاصرتهم الدرلة العباسية ، وهي علاقات متلازمة يمكن دراستها في سياق دراسة العلاقات بين عالمي الدولتين شارلمان وهارون الرشيد الذي كانت فلسطين إحدى ولايات دولته . ومن ثم يطرر السؤال : هل كانت محوراً وهدفاً في العلاقات بين الجانبين أو أنها قامت بتأني عنها في الوقت الذي اهتم كل منهما بفلسطين وفق إمكانيات والمسئور الذي تبيحه الظروف القائمة والتعبئة الاجتماعية لتلمطين وقتذاك .

لقد أوردت المصادر الفرنجية وحدها ذكر عدد من السفارات التي تبودلت بين الخلفاء في العصر العباسي المبكر وطولك الفرنجية في العهد الكارولنجي . كما ذكرت بعض هدايا الخلفاء إلى ملوك الفرنجة . من ذلك أن بيبين القصير (٧٥٢ - ٧٦٨ م / ١٣٥ - ١٥١ هـ) ملك الفرنجية أرسل سداوة إلى أبي جعفر المنصور عام ٧٦٥م (١٤٨هـ) هي أول السفارات الشخصية بين البلاطين الفرنجيين والعباسي . وكانت أول إشارة إليها هي تلك التي وردت عند من يلحق بتلميذ فريد غارد Frede Gurd الذي كان معاصراً للملك بيبين والخليفة المنصور (١١)

١٠ - لتعداد التاريخ والحضارة بكلية العلوم الاجتماعية - جامعة الإنعام محمد من سعود الإسلامية .

١- ...
٢- ...
٣- ...
٤- ...
٥- ...
٦- ...
٧- ...
٨- ...
٩- ...
١٠- ...
١١- ...
١٢- ...
١٣- ...
١٤- ...
١٥- ...
١٦- ...
١٧- ...
١٨- ...
١٩- ...
٢٠- ...
٢١- ...
٢٢- ...
٢٣- ...
٢٤- ...
٢٥- ...
٢٦- ...
٢٧- ...
٢٨- ...
٢٩- ...
٣٠- ...
٣١- ...
٣٢- ...
٣٣- ...
٣٤- ...
٣٥- ...
٣٦- ...
٣٧- ...
٣٨- ...
٣٩- ...
٤٠- ...
٤١- ...
٤٢- ...
٤٣- ...
٤٤- ...
٤٥- ...
٤٦- ...
٤٧- ...
٤٨- ...
٤٩- ...
٥٠- ...
٥١- ...
٥٢- ...
٥٣- ...
٥٤- ...
٥٥- ...
٥٦- ...
٥٧- ...
٥٨- ...
٥٩- ...
٦٠- ...
٦١- ...
٦٢- ...
٦٣- ...
٦٤- ...
٦٥- ...
٦٦- ...
٦٧- ...
٦٨- ...
٦٩- ...
٧٠- ...
٧١- ...
٧٢- ...
٧٣- ...
٧٤- ...
٧٥- ...
٧٦- ...
٧٧- ...
٧٨- ...
٧٩- ...
٨٠- ...
٨١- ...
٨٢- ...
٨٣- ...
٨٤- ...
٨٥- ...
٨٦- ...
٨٧- ...
٨٨- ...
٨٩- ...
٩٠- ...
٩١- ...
٩٢- ...
٩٣- ...
٩٤- ...
٩٥- ...
٩٦- ...
٩٧- ...
٩٨- ...
٩٩- ...
١٠٠- ...

كذلك برد ذكر هذه السفارة عند عودتها عام ٧٦٨ م ١٥١٦ هـ بعد أن مضى على إيفادها ثلاث سنوات . ولا تشير المصادر الفرنجية إلى زمان مقابلة هذه البعثة للخليفة المنصور أو مكان اللقاء ، أو الغرض الذي ذهبت من أجله ، كما أنها لا تبيّن الطريق الذي سلكته البعثة إلى أرض الخلافة ، وإنما تذكر تلك المصادر فقط أن البعثة الفرنجية عادت إلى بلادها في ١٠ أبريل سنة ٧٦٨ م (١٥١٦ هـ) (٢٧) .

ورداً على تلك السفارة صحب بعثة يبيّن القصور في طريق عودتها مبعوثون من قبل الخليفة المنصور يصلون هدايا للملك الفرنجي . وقد نزل السفراء جميعاً في ميناء مرسيليا وقضوا الشتاء في تلك السنة في مدينة متنز على أحد فروع نهر الراين (في شرقي فرنسا حالياً) ثم قابوا ملك الفرنجة في ١٠ أبريل سنة ٧٦٨ م (١٥١٦ هـ) في مدينة سيلوس على نهر اللوار - في فرنسا حالياً - وقلم له مبعوثو الخليفة هدايا المتعددة التي لا تعرف أنواعها . وقد لقوا مند حفافة كبيرة وودعهم إلى مدينة مرسيليا ومنها عادوا إلى بلادهم عن طريق البحر (٢٨) .

ولا تصح المصادر الفرنجية التي ذكرت تلك السفارات بشيء عن أهدافها أو تذكر أي نتائج تربت عليها . ويبقى ما ذكره الباحثون من أهداف محتملة لها في ضوء دراستهم للظروف السياسية في ذلك الوقت ، فقد أرجع عدد من الباحثين مثل فاسيليف وككر والبار العريفي بواحد هذه السفارات إلى العداوة القائمة بين الفولنجن المباسية والألموية في الأندلس . فقد غلب عهد الرحمن الداخل على الأندلس واستقل بها وأقام فيها دولة أموية عام ١٢٨ هـ (٧٥٥ م) وفشلت حملة أبي جعفر المنصور على الأندلس بقيادة العلاء بن مغيث الحمصي من ولاية أفريقية سنة ١٤٦ هـ / ٧٦٣ م . فهزمه عبد الرحمن الداخل قرب إشبيلية وقتله مع بعض أصحابه . ويبدو أن المنصور هالته الهزيمة الشنعا ، التي لقبها جيشه . ويرى أنه حصد الله الذي جعل البحر بينه وبين عبد الرحمن الداخل وتأسى على العلاء وأصحابه (٢٩) .

شغل أدى فشل هذه المحاولة إلى أن ينكر المنصور في الاستعانة بالفرجة الذين شاركوه عداوة الأمويين في الأندلس . وإلى أن يرى يبيّن القصور الظروف مواتية لإنهاء علاقات مع الخليفة المنصور على حساب دولة عبد الرحمن الداخل في الأندلس .

إن أول سفارة بين الفرنجة والمباسيين في ذلك العصر بعث بها يبيّن القصور إلى أبي جعفر المنصور عام ٧٦٥ م (١٤٨ هـ) أي بعد سنتين من حملة العلاء على الأندلس وقبول فازلبيف

أن - كلا الطرفين وخاصة الخليفة كان للقاء لعمق قوة الأمويين في أسبانيا - الأندلس - (٣٥) . ويرى أنه بعد تبادل السفارات بين الطرفين - فيما يبدو - أصبح يبيّن القصور حليفاً دائماً للمنصور (٣٦) .

وسير الأستاذ بلكر (Balkler) في نفس هذا الاتجاه ، فيرى من المحتمل وصول خير محاولة المباسيين الفاشلة لقتضاء على عهد الرحمن الداخل إلى يبيّن القصور ، وأن فشل تلك المحاولة ، ربما جعل المنصور أكثر ترحيباً بالسفارة الفرنجية (٣٧) . هنا في حين يقول الدكتور الهياز العريفي : " ولم يكن المقصود بسفارة يبيّن سوى إقامة حلقة من المحادثات ضد أموي الأندلس والأمير البيزنطي " (٣٨) .

وكانت قد وصلت في هذا الوقت إلى ملك الفرنجة رسالة من كوسماس (Cosmas) بطرق الإسكندرية يذكر عنها بلكر : " بأنه لا يبدو مستحيلاً أن الرسالة كانت تحتوي اقترافاً عليه بإرسال سفارة إلى بغداد " (٣٩) .

وقد كان كوسماس من أنصار تقديس الأيقونات ، في حين كان الإمبراطور البيزنطي قسطنطين الخامس (٧٤١ - ٧٥٥ م / ١٢٤ - ١٥٩ م) في تلك الأثناء مخالفاً في معارضة الأيقونات . وقد عارضه في سياسته اليانبات وملكو الفرنجة . ويبدو أن كوسماس أراد أن يبلغ معارضى الإمبراطور البيزنطي وأيد وتأيد لتقديس الأيقونات (٤٠) .

ويطس باروتوك عدم وضوح أهداف السفارات الفرنجية إلى الدولة العباسية ، وطمع تعرض المصادر الفرنجية لذكرها إلا عند عودتها ، بأن ذلك من الأمور العادية إذا وضعنا في الاعتبار أن هؤلاء السفراء ليسوا في الواقع غير تجار (٤١) .

ومن الممكن أن يكون هذا الاتجاه الفرنجي قد وجد تأييداً من نصارى الدولة العباسية ، مما دعم فكرة إيفاد تلك السفارة . كما عززتها ما حظيت به التجارة مع الشرق من صيت دائم ، ووجود تجار من أهل الشام والروم واليهود في القرن الثامن الميلادي في مرسيليا - جنوبي خاتة - استطاع ملوك الفرنجة إلى الحصول على السلع الفسنة عن طريق إقامة علاقات مع خليفة المشرق الإسلامي .

على أن كل ذلك لا يعدل مجرد احتمالات ، مادامت المصادر الإفرنجية التي ذكرت تلك السفارات أو غيرها من المصادر التي أنفختها ، وفي مقدمتها المصادر الإسلامية لا تصحح بما

وفي تلك الأثناء ، كانت دولة الفرنجة في غفلة (فرنسا) قد بلغت أوج مجدها أيضًا حين حكم شارلمان (٧٦٨ - ٨١٤ م / ١٥٦ - ١٩٩ هـ) ، الذي يذكر أبنهاره أن من سمات عظمته ومجده كسب احترام العديد من الملوك والسوى إلى مصداقهم بمراستهم والتحاليف معهم (١٥) .

ونظب أن تكون الشهرة التي ذاعت عن عظمة هارون الرشيد ودولته قد تزامت إلى مسامع شارلمان فرام الاتصال به ونظب وده .

وتحدثت المصادر الإفرنجية عن أن شارلمان أرسل أولى سفاراته إلى الخليفة هارون الرشيد في سنة ٧٩٧ م (١٨١ هـ) ، وكان معوثوه هم لاتفريد Lantifrid وميجموند Sigimund وأسحاق وهو تاجر يهودي تولى الترجمة في هذه السفارة (١٦) .

ويرويح فاسيليف أن هنا التمريم [أي إسحاق] كان تاجرًا كثيرًا ما عمل من قبل في جلب بعض السلع الثمينة من فلسطين إلى شارلمان (١٧) .

ولا تعرف من المصادر الفرنجية ما إذا كان هذا التمريم التاجر من يهود الأندلس وله صلاته ببلاد الفرنجة ، أو من يهود الشرق الإسلامي ، أو من التجار الرواقية اليهود - القناديين إلى الدولة العباسية من بلاد الفرنجة - والذين ذكر ابن خردادبة عنهم أنهم يسافرون بين الغرب والشرق وبالعكس لأجل التجارة (١٨) وقد حملوا التاجر وقتلك إلى كل من بغداد ومدينة أفسس لاشامل (آخن) عاصمة الفرنجة .

كذلك لا نوردنا المصادر الفرنجية نفسها بشيء عن مكانة الرحلين الآخرين في البلاط الفرنجي ، كما أننا لا نعرف بالضبط وقت مناصرة تلك السفارة بلاد الفرنجة ، أو وقت مقابلتها للخليفة ، وإنما نعرف سنة إرسالها لحسب ، كما نعرف أن ورجع السفارة إلى شارلمان كان في سنة ٨٠١ م (١٨٥ هـ) أي بعد أربع سنوات من مفادتها بلاد الفرنجة .

فإذا كانت هذه السفارة كد استغرقت نصف السنة التي أمضتها خارج مملكتها - وهي أربع سنوات في الذهاب ومثل ذلك في العودة - كما استغرقت سفارة أخرى من شارلمان للرشيد أربع سنوات أيضًا - فإنها تكون قد وصلت إلى الخليفة في عام ١٨٣ هـ (٧٩٦ م) أو في النصف الأول من عام ١٨٤ هـ (٨٠٠ م) وكان وقتئذ مقبلاً في مدينة الرقة ، ثم انتقل في السنة التالية إلى بغداد . ويذكر أبنهاره أن غرض هذه السفارة كان الحصول على قيل من عند الخليفة (١٩) .

بزيد شيئًا منها . ولكن من المؤكد أنه لم يكن لهذا الاتصال أي نتائج ملموسة مثل قيام تحالف بين العباسيين والفرنجية كما يرى بلكر (٢٢) ، والهاز الميرني .

ويلاحظ أن نشاط الملك يمين في إيفاد السفارات كان كبيرًا ، ولم يكن مقصورًا على التصور وحده ، ففقد أرسل سفارة إلى الإمبراطور البيزنطي قسطنطين الخامس في عام (٧٥٧ م / ١٤٠ م) - وفي عام ٧٦٥ م - وهو العام الذي أرسل فيه يمين سفارته إلى التصور - وصلت إليه سفارة من الإمبراطور قسطنطين الخامس . ويبدو أن مهمة هذه السفارة تناولت مشكلة اختلاف في تقديس الأيقونات ، وكان الهايا بول الأول (٧٥٧ - ٧٩٧ م) قد حدث الملك يمين القصير على مراعاة آراء البابوية فيها ، ولعل دعوة اليايا إلى عقد مجمع ديني في روما في ذلك الوقت الذي كانت فيه سفارة قسطنطين الخامس عند يمين ، إذا دفعت إليها الرغبة في مناقشة ما طرحه السفارة البيزنطية (٢٣) .

وفي ضوء هذه الاتصالات البيزنطية الفرنجية التي عاصرت تبادل الفرنجة السفارات مع العباسيين ، يمكن استبعاد الاحتمال بأن يكون هدف هذه السفارات هو حصول الفرنجة على مساندة العباسيين ضد البيزنطيين الذين كان لهم ميول أو أكثر في بغداد في ذلك الوقت ، إذ تسهب المصادر الإسلامية في أخبار سفور بيزنطي إلى الدولة العباسية بعد اتصال بنا . عاصمتها بغداد في عهد التصور (٢٤) . وهو ما يستتبع عند مناقشة علاقة شارلمان وهارون الرشيد .

السفارات المتبادلة بين الرشيد وشارلمان :

ونبنا يلي عرض للسفارات المتبادلة بين الإمبراطور شارلمان والخليفة هارون الرشيد ، كما أوردتها المصادر الإفرنجية المعاصرة لها ، تعقيب مناقشة لتقاصد هذه السفارات وآراء الباحثين فيها .

١ - سفارة شارلمان الأولى إلى الرشيد ٧٩٧ م / ١٨١ هـ :

بلغت الدولة العباسية في عهد هارون الرشيد (١٧٠ - ١٩٣ هـ / ٧٨٦ - ٨٠٨ م) أوجها في الاتساع والرخاء والتقدم كما هو معروف ، ووطن ذكرها الأفاق ، وغدت بغداد حاضرة مصرها ، إذ فاقت قرطبة في الأندلس ، وانامت القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية ، ووجد إليها الملما ، من أنحاء العمورة ، كما جلبت لها السلع التجارية المختلفة من أقصى الشرق ومن بلاد الفرنجة في غرب أوروبا .

إلى نتيجة (١٢٦١). ومن المحتمل أنه عزَّزَ على الإمبراطور البيزنطي أن يوجد منافس له يحمل اللقب الإمبراطوري الروماني في الغرب لأول مرة في التاريخ بعد انقضاء الأباطرة إلى القسطنطينية ، كذلك عكَّزَ صلوات العلاقات بين الدولتين تنازعهما على إقليم بالانشيا على خليج البندقية وقتذاك ، بالإضافة إلى ما عرف به تقصير من صلف وتشدد أدى به إلى معارضة الرشيد - وهو على غير وفاء مع شارلمان - فضلاً عن معارضة ملك البغار كروم بما أدى إلى مقتله عام ١١١٠م (١٢٧١). وقد خلفه الإمبراطور ميخائيل الأول (٨١١ - ١١١٣م) فبعث رسله إلى مدينة أكس لاثايل (آخن) عاصمة الفرنجة في أبريل سنة ١١١٢م الذين خاطبوا شارلمان بوصفه إمبراطوراً (١٢٨١). وفي العام التالي بعث شارلمان رسالة إلى الإمبراطور البيزنطي يحث فيها عن تقديره ويعلن أن السلام - تبعاً لهذا - قد حل بين الإمبراطوريتين الشرقية والغربية ، كما أن النزاع حول مقاطعة بالانشيا ومدينة البندقية قد حسم في تلك الفترة وتنازل عنهما شارلمان لبيزنطة (١٢٩).

وبهذا نرى أن دولة الفرنجة كانت طيلة ثلاثة وثلاثين عاماً - وهي فترة السفارات بين الفرنجة والعباسيين كما تحدثت الروايات الفرنجية - على وفاق مع الدولة البيزنطية في مسألة الأيقونات وفي المجال السياسي ، وقد تهودت الرسل والهدايا ، عدا ذلك التقدير الذي اعترى علاقتهما زمنًا قصيرًا في عهد نففور . وسرعان ما زال في عهد خلفه وبلغ الوفاق مداه عندما اعترفت الدولة البيزنطية بشارلمان إمبراطوراً في الغرب المسيحي في عام ١١١٢م . وأعقب ذلك أن أرسل الإمبراطور البيزنطي تيوفيل (٨٢٩ - ٨٤٢م) بعد زمن ليس يتأخريل سفارة إلى الإمبراطور ليرس التي إمبراطور الفرنجة (٨١٤ - ٨٤٠م) وعلى رأسها تيودور أسقف مدينة خلقيدونية يطلب فيها عونه ضد الدولة العباسية ، بعد هزيمته على يد الخليفة المتعصم في موقعة عمورية عام ٢٢٣هـ (٨٣٩م) (١٣٠). كما طلب معاونة دوقية البندقية بأسطول يساعده في حربه ضد الأغالبة في جزيرة صقلية ، وكانوا تابعين للدولة العباسية (١٣٦).

وهكذا يبدو من تتبع العلاقات الفرنجية البيزنطية في تلك الفترة أن من المستبعد جداً أن يعقد الفرنجة حلفاً مع العباسيين وقتذاك ضد بيزنطة أو أن تجتمعهم هذه الصلحة المشتركة لقيتبالان السفراء ، ليعتدق هذه الغاية . وهكذا انتهت حجة لراي هولاء المؤرخين ، وعلى رأسهم بكلر عن أن السفارات بين شارلمان وهارون الرشيد - ولاسيما السفارة الأولى في عام ٧٩٧م (١٨١هـ) - كان لها عدة أهداف من بينها " عقد لوائح مع هارون الرشيد وإيجاد نوع

٢ - سفارة الرشيد الأولى إلى شارلمان سنة ١٨٠م / ١٨٥م =

تذكر المصادر الفرنجية أن شارلمان ظل يجهل أخبار سفارته الأولى حتى عام ٨٠١م (١٨٥هـ) حين أتاه رسولان من قبل الخليفة الرشيد وأخبراه أن اثنين من أعضاء سفارته قد ماتا في الطريق وهما لتفريد وسجبرند ، أما إسحاق فيهر فإدم بصحة الفيل (٢٠٠).

ولم تذكر الحوليات الملكية (Annales Francorum) التي انفردت بخبر سفارة الرشيد إلى شارلمان اسمي رسول الخليفة ، وإنما ذكرت أن أحدهما فارس من الشرق يمثل الخليفة والآخر عمري من إفريقية يمثل الأمير إبراهيم بن الأخطب وألبيها من قبل الخليفة (٢١١). ويبدو أنها كانت رداً على سفارة شارلمان الأولى له .

وجاءت سباسة إيرين في الرجوع إلى تقديس الأيقونات منذ أن صارت وصية على عرش بيزنطة عام ٧٨٠م نيابة عن ابنتها قسطنطين السادس ، محققة اتفاق بيزنطة مع دولة الفرنجة اليابوية في هذه المسألة (٢٢٢) .

وقد أرسلت إيرين بعثة بيزنطية إلى شارلمان سنة ٧٨٧م خطبة أبته لانيتها قسطنطين ولم تتم هذه الخطبة (٢٢٣). وفي عام ٧٩٧م - وهو العام الذي وصلت فيه أول سفارة من شارلمان إلى الرشيد - أرسلت إيرين سفارة بيزنطية إلى شارلمان لحل الخلافات بين دولتيهما حول مقاطعتي إيسيريا ودالماتيا على خليج البندقية ، ويرى بكلر Bukler أن ثيو كسيوس حاكم صقلية البيزنطي وصل إلى إكس لاثايل (آخن) في تلك السنة ليطلب دعم الفرنجة لبيزنطة في مواجهتها الرشيد (٢٢٤) .

ثم أرسلت إيرين بعثة أخرى في عام ٨٠٢م إلى شارلمان تقترح زواجهما حتى يساعد ذلك على وحدة الدولتين (٢٢٥) .

وهكذا نرى أن بيزنطة كانت على علاقات طيبة مع الفرنجة ، أو علاقة يتخفى معها الخطر على الأقل طوال عهد إيرين الذي استمر ٢٢ عاماً بين وصية على العرش ومنفردة به . وبالتالي لم يكن ثمة داعٍ لأن يعقد الفرنجة تحالفاً مع العباسيين ضدها أو يتفاوضوا معهم في هذا الشأن للضغط على بيزنطة وإبعاد خطرهما عنهم .

ولما اعتلى تقدر العرش البيزنطي (٨٠٣ - ٨١١م) استمرت روح التفاهم بين البيزنطيين والفرنجة ، وجررت بينهما مفاوضات حول الاعتراف بلقب شارلمان الإمبراطوري وإن كانت لم تزود

من التصاون، فيما يتعلق بمصالحهما المشتركة بحيث يعق شارلمان ضد أسبانيا (الأندلس)
وعارون الرشيد ضد الإمبراطورية البيزنطية - (٣٢١).

موقف العباسيين من الدولة الأموية في الأندلس والمكس :

وإذا كانت علاقات الفرنجة والبيزنطيين وقتذاك لم تستدع قيام تحالف بين الفرنجة
والعباسيين ضد البيزنطيين ، فهل ترى كانت الدولة الأموية في الأندلس في ذلك الوقت تمثل
خطراً على العباسيين والفرجة إلى حد يستوجب عقد التحالف بينهما لمواجهةها وضادوا
السفارات لهذا الغرض ؟ .

لقد اكتفى أبو جعفر المنصور على أثر تأسيس عبد الرحمن الداخل الدولة الأموية في
الأندلس سنة ١٢٨ هـ ، بإرسال العلاء بن مغيث اليحصص على رأس حملة عام ١٤٩ هـ إلى
الأندلس ، فكان مصيره الهزيمة والقتل . فلما بلغ المنصور ذلك قال : الحمد لله الذي جعل
البحر بيننا وبين هذا الشيطان - (٣٢٢)

بل إن الأندلسه العلويين استطاعوا إقامة دولتهم (١٧٢ - ٣٦٤ هـ) في المغرب
الأقصى ، كما أقام الرستميون (٣٦٤) وهم من الخوارج الإباضية دولتهم (١٢٨ - ٢٩٧ هـ) في
المغرب الأوسط . وأما تدارك الصباسيون ولاية القرية التي اضطرت أمرها في تلك الفترة ،
وأصطرا ولايتها لإبراهيم بن الأعلمب في عام ١٨٤م ولأبنائه من بعده (٣٥٠) ، حتى يجمعهم
ذلك على مجابهة تلك القلائل مع بقائهم على الولاة للعباسيين .

وليس ثمة خير في أي مصدر عن مشروع هجرك عباسي من الجنوب يدعس هجرك لفرجين من
الشمال لهاجمة الدولة الأموية في الأندلس ، ولا عن مشروع منفرد من أي من الجانبين لهذه
الغاية وقتذاك .

كذلك ليس ثمة خير عن أية معارضة من جانب الأمويين في الأندلس وقتذاك لهاجمة الدولة
العباسية أو حتى مهاجمة ولاية إفريقية الموالية للعباسيين والقرية منهم . كذلك لم يكن ثمة
وفاق مطبوعة الحال بين الدولة الأموية في الأندلس ودولة الأدارسة العلويين بالمغرب . ولقد ظل
بنو أمية في الأندلس يتلقون بالإمارة طيبة قرين من الزمان بعد قيام دولتهم احتراماً لروعة
الحلقة الإسلامية نسياً ، ولم يتلقوا بالخلقة إلا في عهد عبد الرحمن الناصر (٣٠٠ -
٣٥٠ هـ) بعد أن رأوا عوامل التصف تدب في أخلاقه العباسية ، ورأوا القاطنين الخارجين

على العباسيين قد تلقوا بالخلقة . وهم شعبة ، فرط الأمويين أنهم أمي يلقب بالخلقة . وقد
بلغت دولتهم أوجها وأصبحت من أعظم دول الإسلام في ذلك الوقت . فبدأ أصدنا إلى ذلك
العامل الشرعي ، فابتا ليعهد من القبول أن تحالف العباسيين مع القرية التصاري ضد
الأمويين المسلمين بالأندلس ، ولايسا إذا أذخنا في اعتبارنا ما يروي عن شخصية عارون
الرشيد بنفسه ، الذي ذكر عنه أنه كان يخبر عائداً ورجع عائداً (٣٦١) ، وأنه كان مكسباً على
خودته في غزواته للدولة البيزنطية لفتح مدينة هرقله (غار حاج) (٣٧٦) ، وأنه كان يقرب
القضايا ، والزهاد مثل أبي يوسف صاحب أبي حنيفة وأبي معاوية الضرير والفضيل ابن
عياض (٣٨٠) . بل روى أنه كان يصل في بعض أيامه أكثر من مائة ركعة (٣٩٠) . فهل يتوقع
من خليفة هذا طابع شخصيته أن يستمدى شارلمان التصرائتي الذي كان يباهي بجهوده في
سبيل التصرائية والتفسير وأنه حاميتها ، على مسلم الأندلس مهسا بلغت مرارة عدا
العباسيين لهم ؟ .

إن يارتولد ليرى بحق استبعاد حدوث ذلك التحالف في عهد الإسلام الأولى من جانب
الخلقة العباسيين ، وهم الذين ظلوا على وعى دائم بما يجره الإقدام على موالاة الكفار من
جنود بلخ بجزهم في دار الإسلام (٤٠) .

كذلك كان ملوك القرية يعتبرون من عدا التصاري وثنيين ولا تختلف نظرتهم إلى الخليفة
العباسي ومسلمي دولته عن نظرتهم لمسلمي الأندلس .

موقف القرية من الدولة الأموية في الأندلس :

في عهد تيرى الربع (٧٢٠ - ٧٣٧م) - أحد ملوك القرية الميرفتيين الضماك -
أخذت بعض أقاليم جنوب بلاد شمال في التمرد وشرعت في محالفة المسلمين بالأندلس ،
ودفعت هذه الأعمال شارل مارتل - حاجب القصر الفرنجي - أن يقوم بحملة عام ٧٣٩م
(١٢٢ هـ) على تلك الأقاليم للقضاء على ثودها وتأكيد ولايتها للقرية (٤١) .

ومن ناحية أخرى فقد آرد القرية الخارجين على الدولة الأموية بالأندلس ، ومن هؤلاء
سليمان بن يقطان الكلي - المعروف بالأعرابي - وأبي برشلونة ، والحسين بن يحيى الأندلسي
والى مدينة سرقسطة الذين تحالفا على الانتقاض على الأمير عبد الرحمن الداخل سنة ١٥٧ هـ
/ ٧٧٣م ، وأسرا قائده تغلبه بن عبيد الذي بعثه عبد الرحمن لإخضاعهما . وقد ذهب

سليمان بن يقطان إلى شارلمان في مدينة بادربورن Paderborn - شالي غربي ألمانيا حالياً - عام ١٦٠هـ (٧٧٧م) وأقرح عليه غزو الأقاليم الأندلسية الشمالية ، وتعهد بمعاقبته وتسلم المدن التي يملكها هو وصنودوه له (١٤٢) ، وليس شارلمان وعروة الزواليين الخارجيين ، ووصل إلى سرقسطة عام ٧٧٨م (١٦٢هـ) وهو يؤمل أن يفتح ليهونها له ، إلا أن ذلك لم يتحقق رغم حصاره للمدينة ، فقد قاومت بشدة واضطر إلى الاتصاحاب والرجوع إلى مملكته ، بعد أن فقد قائده رولان في أثناء هجوم شنه المسلمون والشكس على مؤخرة جيشه أثناء عودته (١٤٣) ، لكن تأييد شارلمان للخارجيين على الدولة الأموية في الأندلس من المسلمين للاستعانة بهم على تحطيم تلك الدولة شيء ، ومعاقبة الخليفة الإسلامي نفسه شيء آخر ، فقد كانت تلبية شارلمان لرغبات الخارجيين على الدولة الأموية تنفي تماماً مع زعمه الدينية وسياسة إزاء الأندلس الإسلامية ، إذ كان يطبع في توسيع رقعة دولته ونشر المسيحية خلف جبال البرانس ، كما فعل ذلك مع الأتار والسكسون في الشرق والشمال الشرقي ، وكان مهتماً بنشر المسيحية ووعايتها في ذلك الوقت (١٤٤) .

وهناك عدد من أساقفة طليطلة في هذه الأثناء كانوا على اتصال مستمر بنصارى أوروبا ، وكانوا يكاتبونهم ويشيرون شعورهم الديني ضد المسلمين (١٤٥) ، ويرى أحد مؤرخي الكنيسة في القرن الثامن عشر الميلادي أن حملة شارلمان على سرقسطة ساقفة الذكر كانت تستهدف معارفة الكنيسة (أو انقصارى التابعين لها) ضد أحكام المسلمين (١٤٦) ، هذا وإن كان بكلر يرى أن ظهور الروح الصليبية في حروب الفرنجة مع مسلمي الأندلس جاء بعد عام ٨٤٠ في عهد لويس الثقي (١٤٧) ، ولحق أن شارلمان كان مهتماً كل الاهتمام بالمسيحية ونشرها ، وقد أكد له الهيا هادريان الثامن (٧٧٢ - ٧٧٥م) أن فكرة الحرب ضد الوثنيين هي رسالته التي اختص بها ، فأعد شارلمان نفسه لحملة الكنيسة سواء على نهر الألب (في ألمانيا حالياً) أو على نهر الألب في شمال شرق الأندلس (١٤٨) .

ترى هل يتوقع من شارلمان في ظل هذا المناخ المشجع بالروح الصليبية أو القرب منها أن يقم علاقات مع الخليفة العباسي الرشيد بهدف القضاء على الأمويين ؟ .
لو كان شارلمان قصد حقاً معاقبة الرشيد ضد الأمويين لبعث سفارته له قبل بداية حملته على أراضي الدولة الأموية بالأندلس عام ٧٧٨ م (١٦٢م) أو قروب ذلك التاريخ ، وليس بعد تلك الحملة بمشورين عاماً عندما بعث أول سفارة له إلى هارون الرشيد عام ٧٩٧م (١٨١هـ) .

ويرى بكلر أن فشل حملة شارلمان على سرقسطة عام ٧٧٨م (١٦٢هـ) قد جعله يصعد إلى محاولة إقامة علاقات دبلوماسية مع العباسيين ، تابعة لسياسة والده ببيين القصر الذي أرسل سفارة إلى الخليفة المنصور من قبل (١٤٩) ، ربما أمكن تسهيل هذا الرأي لو أن ذلك الاتصال أعقب فشل تلك الحملة المشار إليها مباشرة ، لكن مرود عشرين عاماً بين تلك الحملة وبداية ذلك الاتصال يهدم أساس الرأي المذكور .

بلى إن تقرى يذكر أنه قد جرت مفاوضات بعد رقعة سرقسطة بين شارلمان وعبد الرحمن الداخل بشأن الصلح والمصاهرة ، فمن الصلح بينهما ولم تتم المصاهرة (١٥٠) ، وأما كان نصيب هذه الرواية من الصحة فإنها تومس إلى تحسن في العلاقات بين الدولتين الأموية والفرنجية قبيل إرسال شارلمان سفارته الأولى إلى الدولة العباسية .

وفي تلك الفترة جرت دعوة عبد الرحمن بن حبيب القهري المعروف بالصقلي للعباسيين بالأندلس ، وصحارية عبد الرحمن الداخل ، وقد طلب ابن حبيب مزاورة ابن يقطان الأغراني حليف شارلمان من قبل ، لكن هذا رقص تأييد الصقلي الذي كان مصبره الهزيمة تم الانحنياال بعد ذلك (١٥١) .

وهكذا لم يكن في موقف الفرنجة من الدولة الأموية في الأندلس والعكس ، ما يشير إلى وجود حاجة لقيام محالف بين العباسيين والفرنجة ضد الأمويين في الأندلس .

ولحق أنه لا معنى لما يقوره فاسيهيف - في ظل ما سبق - من أن الأمويين في إسبانيا قد لعبوا دوراً هاماً في تدعيم العلاقات بين خلفاء الشرق وبين حكومات الإنرج ، وبكلمة أخرى بين الإسلام والمسيحية (١٥٢) ، ولو كان ذلك قد حدث فعلاً وقامت السفارات بين العباسيين والفرنجة فإنها لم تتحقق قط عن أية نتائج حقيقية ذات دينة في هذا القهوم .

ويتضح بعد دراسة علاقة كل طرف بالأخر على حدة أننا نقتنع ظروفها وواقعها ، أن صلوات كل طرف لم تتجاوز ما يحقق مصالح ذلك الطرف ويفيد الجانب الأخر أحياناً ، إلا أن الطرفين لم يكن يخلدهما أن ذلك كله يكون على حساب طرف ثالث سلباً أو إيجاباً .

وعلى الرغم من ذلك استنتج بكلر من دراسته للعلاقات بين الرشيد وشارلمان نتائج خطيرة ، منها قوله أن محالف الخليفة العباسي والملك الكارولنجي قد ترتب عليه أن يصبح شارلمان تابعاً للخليفة وأمبر فتح له في الأندلس ، ويقول " إن شارلمان أصبح أميراً للفتح على أسبانيا (الأندلس) ووالياً على القدس ضمن سيادة الخليفة العباسي (١٥٣) .

بل إن ثمة فريق آخر من الباحثين اتجه إلى تقي أي طابع سياسي عفا حدث من اتصالات بين الدولة العباسية ودولة القرظية ، وأما مجرد صلات تجارية فحسب ، ومن هؤلاء ، بارتولد وعبد العزيز الدودي وحسين مؤنس وناورق عمر وآخرين (١٦٢) ، وهم مؤرخون مشهورون تحظى دراساتهم وأدراؤهم بالثقة والمكانة العلمية .

ومن الواجب ألا نحصل نصوص المصادر القرظية ما لم تتضمن أو تشير إليه والأولى أن تلك السفارات كانت للمجاملة وأقامة العلاقات الودية ، والتعريف بالدولة وعاهلها ، وهو ما يبدو أن الإمبراطور أخرج إليه من أخطيفة . لا سيما أن تلك السفارات بدأت تبيل تبرج شارلمان وإمبراطوراً واشهرت بعده مباشرة ، وكانت سمعة الدولة العباسية لدى عهد الرشيد قد طرقت الأفاق . كذلك فإن قدوم أفراد من رعابا دولة القرظية للتجارة في المشرق الإسلامي ، أو لزيارة بيت المقدس هو حقيقة لا مرأ ، فيها أيضاً .

وحصر تلك الاتصالات في هذه الفترة المحدودة للقبولة قد يفسر إغفال المصادر الإسلامية لها قائماً ، لعدم انتشار أخبارها أو قللة أهميتها .

ويورد بعض الباحثين اعتماداً على مصادر متأخرة - فيما يبدو - أصنافاً أخرى من هدايا الرشيد لشارلمان منها شطرنج وقرن من العاج ، وشمعانات من البرونز محلاة بقطع من الزجاج المختلف الألوان عليها صورة كسرى الأول بتاجه (١٦٣) .

وقد عرف المشرق الإسلامي هذه المنجحات منذ القرن الثاني الهجري (٨م) فصاعداً . ولتتبع لكتب الحسبة وأحكام السوق وكتب البلدان الإسلامية نجد ذكر هذه السلع فيها في مواضع متعددة . كما توردنا المصادر الإسلامية ضمن ما كان يتهدى به الملوك في ذلك الوقت ، كالهيايا المتبادلة بين بعض الخلفاء العباسيين والأباطرة البيزنطيين . وقد أهدى الرشيد الإمبراطور البيزنطي تقويم بعد معركة هرقل عام ١١٩هـ (٨٠٥م) سرادقاً وخطوطاً وأصنافاً أخرى (١٦٤) .

ويبقى الحذر من نسبة أي صنف من الأصناف السابقة إلى هدايا الرشيد إلى شارلمان ، ما لم توردنا الحوليات الملكية أو أبنهارد ، حتى ولو تجاوزنا عن تناوئتها في ذكرها ، وما عداها من مصادر قرظية قد يكون من نسج كتاب القصص المحلية في المعصور الوسطى ، وما لفتهم في أنواعها .

ويعزز بكل مزاعمه بأن شروط إمارة القنق عند الماردى تنطبق على شارلمان . فهو يذكر أن مهام أمير القنق هي الفوز خارج دار الإسلام ، وأنه يجوز إسناد مثل هذه الإمارة إلى غير المسلمين (٥٤) .

وقد وهم بكلر في ذلك ، فالإسلام على رأس شروط إمارة القنق عند الماردى . سواء أكانت تلك الإمارة عامة أو خاصة . يقول الماردى : " والإمارة على الجهاد مخصصة بقتال المشركين وهي على ضربين : أحدهما أن تكون مقصورة على سياسة الجيش وتدير الحرب ، فيعتبر فيها شروط الإمارة الخاصة (٥٥) . ويقول بشأن الإمارة الخاصة : ويعتبر في ولاية هذه الإمارة الشروط المعتبرة في نزاة التنفية وزيادة شرطين عليها هما الإسلام والحرية " (٥٦) .

أما الضرب الثاني من الإمارة على الجهاد ، فيقول عنه الماردى : " أن يغرض إلى الأمير فيها جميع أقسامها من قسم الفئام وعقد الصلح ، فيعتبر فيها شروط الإمارة العامة (٥٧) . وتعتبر في الإمارة العامة شروط الإمارة وأهها الإسلام " (٥٨) .

وقد اتبرى الدكتور مجيد خديوي لمعارضة نظرية بكلر هذه وقرر أنها ضعيفة من الناحيتين التاريخية والفقهية ، فهو يقول : " أما من الناحية التاريخية فالمصادر والمستندات الأولى لا تسوغ للباحث أن يقرر حوادث لا تذكر ولا تشير إليها المصادر المعاصرة إلى حادثة أو حقيقة تاريخية . فكيف يصح للباحث أن يفرضها فرضاً دون أن تشير إليها المصادر ولو بالواسطة ، وهذه قاعدة عامة في أصول البحث يسر عليها كل باحث مدقق . ونظرية الأستاذ بكلر من المفترضات التي لا تؤيدها المصادر والمستندات المعاصرة على الإطلاق ... أما من الوجهة القانونية فنظرية بكلر لا نقل ضعفاً عن وجهتها التاريخية لأنها لا تتفق والقواعد العامة في الشرع الإسلامي . فيكلر يقرر أولاً أن الخطيفة اعترف بالإمبراطور أمير نفع على أسيانها (الأندلس) وثانياً أنه عين الإمبراطور رانياً على القدس . ولا يخفى أن أمير القنق هو عامل خليفة المسلمين للقيام بالقنق ونشر الدين خارج دار الإسلام " (٥٩) .

ومن هنا مال بعض الباحثين مثل راسبمان والياز العريضي إلى قصر أهداف سفارات شارلمان والرشيد على المجاملة والرغبة في قيام علاقة ودية . ولم يجعل لها أي نتائج سياسية (٦٠) . خلافاً لما ذهب إليه فاسيليف وكلر فيما سبق .

ويجمل مصطفي شاكر إلى أن تلك العلاقات تمت بين الأغلبية والقرظية . ومن البديهي أن يتكلم هؤلاء الولا باسم خلفتهم عندما يخاطبون ملكاً آخر (٦١) .

وقد أخاف راهب القديس جال في سيرة شارلمان في أواخر القرن التاسع الميلادي لما أورده أبنهاره والحواليات الملكية عن هدايا الرشيد إلى شارلمان ، سائر السلع الشرقية المعروفة على سبيل الهياطة ، ولأجل تعظيم قدر شارلمان المهدي إليه (١٩٤) . بل كتب أحد الرهبان قصة خيالية في سنة ٩٢٥ م (٣١٣هـ) ذكر فيها أن ما يوجد من قطرات (الدم المقدس) في ديرها عليها إليه أحد المسلمين .

وتعرض بعض الناحف والأديرة الأوربية في أيامنا تحملاً تذكر أنها كانت ضمن هدايا هارون الرشيد إلى الإمبراطور شارلمان ومنها : ثمن من العلاج على شكل بودا وشعائى شركات من الإنجيل الذي وضع على رأس المسيح عليه السلام عند صلبه - كما يزعم النصارى - وهذه كلها محفوظة الآن في مدينة أخن (٦٦١) (إكس لا شابل) في ألمانيا الاتحادية .

وتعرض مدينة فيينا سبباً وشعمان عليهما صورة كسرى يتواجه مرسوماً على زجاج في شكل بلورى وشطرنج وهما محفوظان في دير القديس ديزينس . وليرتق من الذهب يوجد في دير بالقرب من فاليس (١٩٧١) .

والإنجيل المشار إليه سابقاً اكتشف في مدينة القدس في أواسط القرن السادس الميلادي أي قبل مولد رسول الإسلام ﷺ ، وشاهده الراهب بيرنارد عندما زارها في عام ٨٦٥م أي بعد وفاة الخليفة الرشيد والإمبراطور شارلمان . ويبدو أنه وصل إلى أوروبا بعد أن انتقل إلى القسطنطينية في القرن الحادى عشر الميلادي (١٦٨) . ومثل هذه الهدية لو صيغ خيرها لكان من الأولى أن تكون ضمن هدايا بطريق بيت المقدس إلى شارلمان لا ضمن هدايا الخليفة المسلم .

ومن تلك الهدايا أيضاً آلة أرغن . وقد كتبت ستيلانى دى جنلير (Stephanie de Gen) كتاباً (في روايتها (فرسان العراق) في القرن الثامن عشر الميلادي أن آلة أرغن كانت ضمن هدايا الرشيد إلى شارلمان (١٦١) . وأخذت هذه الفكرة أيضاً ريمالت (Rimbault) في كتابه تاريخ الأرغن (١٧٠١) بجانب عدد آخر من الباحثين وهي فكرة تبدو بعيدة عن الحقيقة .

وقد درست الأستاذة روبنز باترمان (Robbins Biternann) ما تناقله الهمض عن هذه الهدية وانتهت إلى أنها من نسج الخيال . وأكدت أن جميع المصادر الغربية مثل المريبات وكتاب أبنهاره لم تزد فيها أدنى إشارة إلى الأرغن ، وأن جينلير قد اخنط عليها لفظ الساعة الماثبة في المصادر الغربية بلفظ الأرغن المائى (١٧١) .

ويبدو أن الأرغن لم يعرف في المشرق الإسلامى إلا بعد ذلك الزمن ، لكنه كان معروفاً في أوروبا والبوله البيزنطية في وقت مبكر من القرن الوسطى . ويذكر ابن النديم (ت ٤٢٨هـ) أن من الكسب التى ترجمت عن اليونان كتاب فى الآلات الصوتية المسماة بالأرغن البرقى والأرغن الترمى ، ولم يعده تاريخاً لترجمتها (١٧٢) .

ومن المؤكد أن البلاط الفرنجى كانت توجد فيه آلة أرغن قبل أن تصل إليه أية هدية من الخليفة ، وكان الإمبراطور البيزنطى قسطنطين الخامس قد أهدى آلة أرغن إلى الملك الفرنجى بييين القصر ، كما أمر شارلمان نفسه بصنع أرغن لانه لوس القصر (١٧٣) .

على أنه من الممكن أن يكون التجار - ولايسا اليهود منهم الذين عرفوا بشاطهم في ذلك الوقت - قد جلبوا إلى بلاد أوروبا كثيراً من سلح الشرق الصينى منذ وقت مبكر . ومنها ما قد يظهر ضمن معروضات بعض الناحف والأديرة الأوربية حالياً ، فكلمها معروفة في منتجات الشرق الإسلامى . لكن هذا لا يبنى أنها كانت ضمن هدايا الرشيد إلى شارلمان .

وكان إسحاق - مترجم سفارة شارلمان الأولى إلى الرشيد - أحمد أنك التجار اليهود . وقد جلب إلى شارلمان قتل إيفاده إلى الرشيد بعض السلع النادرة والشمبة في فلسطين (١٧٤) .

وربما تسربت إلى متاحف غرب أوروبا في عصور متأخرة هدايا الخلفاء المباسين إلى الأباطرة البيزنطيين ، مثلما انتقلت بعض تحف الشرق وتزاده العتقة العريقة إليها في العصر الحديث بطرق مختلفة ، واعتبرت هذه ضمن هدايا الرشيد لشارلمان ، بل يرى بارتولد أنه من المحتمل أن شارلمان نفسه قد حصل على بعض الهدايا الموجهة أصلاً للإمبراطور البيزنطى ، أما كيف حدث ذلك فإن البحث في هذه الفرصة لايجدى نقماً بسبب ندرة الآلة في المراجع ومن ثم فلايمكن التبدل على صحتها - (١٧٥) .

ومهما يكن فإن هذه الهدايا تدل بوضوح على تبحرها الفنية الرقيقة التى تناسب مقام الملوك ومتطلبات بلاطاتهم ، كما تدل على ما بلغه الشرق الإسلامى في العهد العباسى من شأربعيد في التسليم المضارى ، وما كان يقدمه إلى الأتراك العالمة من صناعات ومنتجات راقية نسبتة تهادها الخلفاء والأباطرة ، أو حرصوا على اقتنائها بطريقة من الطرق لنفاسها وإعجابهم بها . ولا تذكر المصادر الغربية شيئاً عن هدايا شارلمان إلى الرشيد مقابل ما تلقى من هدايا الخليفة عما يعث على الحيرة أيضاً .

وربما كانت السيوف الفرنجية الشهورة من جملة هدايا شارلمان لهارون الرشيد . فقد اشتهرت بلاد الفرنجة بسببها . وأشار إلى ذلك ابن خردادبة عند ذكره السلع المعطوية من بلاد الفرنجة (٧٦) . كما أن ابن النديم (٣٨٠ هـ) الذي وصف كتابه الفرنجة قد شاهدا على السيوف الفرنجية التي يحصل أنه رأها في بغداد (٧٧) . وقد ذكرت المصادر الإسلامية أن برنابنت فيليب الأرتاري (٧٨) أهدت إلى الخليفة العباسي المكتفي بالله (٢٨٩ - ٢٩٥ هـ/ ٩٠٢ - ٩٠٧ م) في عام ٢٩٣ هـ (٩٠٥ م) خمسين سنبًا مع مجموعة من التبروس والرماح (٧٩) .

والإشارة السالفة هي أول ما اشتملت عليه المصادر الإسلامية من ذكر علاقات البرية العباسية مع دولة الفرنجة فيما هو معروف منها لنا حتى الآن . كذلك ذكرت المصادر الفرنجية أخبار السفارات المتبادلة بين الخلفاء العباسيين وطوك الفرنجة . فذكرت أيضًا خبر بعثات مشابهة بين شارلمان وفرنجة بيت المقدس . وإن كانت لا توجد أية إشارة لهذه البعثات في المصادر الإسلامية والنصرانية الشرقية ، كما أنه لم يعثر على سجلات لبطركية بيت المقدس عن تلك الفترة . ويعتبر ونسيان ذكر المصادر الفرنجية لها هي الشهادة المباشرة على تلك البعثات (٨٠) .

ولا يوجد - لدينا - ما يوضح ما إذا كان البطارقة الذين كانت صلوات شارلمان من الكاثوليك أو الأرثوذكس . ولكن صلة بطارقة بيت المقدس في هذه الفترة ببابوية روما وشارلمان يرجع أنهم من الكاثوليك . وقد يفسر ذلك سكوت المصادر النصرانية الشرقية عن ذكر أخبار تلك البعثات المتبادلة بين البطارقة وشارلمان اختلافها مع الغرب النصراني .

أهداف البعثات بين شارلمان وفرنجة بيت المقدس وآراء الباحثين حولها :
لا نجد في المصادر الفرنجية إشارات واضحة لأهداف تلك البعثات . وإنما نجد إشارة غامضة إلى ملكية الموقع المقدس ذكرها إنبهارد .

وقد اختلفت الآراء حول أهداف تلك الاتصالات بين شارلمان وكنيسة بيت المقدس . وانقسم الباحثون في هذا الصدد إلى فريقين :

فريق توسع في تناول الروايات عن تلك البعثات المتبادلة بين فرنجة بيت المقدس وشارلمان وبين الرشيد وشارلمان . وخرج ما قد يسمى بنظرية حصول شارلمان على حماية الأماكن المقدسة

في فلسطين . ومن أبرزهم بريه Brehier المرح المعاصر المختص بالتاريخ الكنسي (٨١) وفاسيليف (٨٢) وبكسر Buckler مع توسع الأخير في تلك النظرية (٨٣) .

أما الفريق الثاني فقد تقيد بحرفية الروايات عن تلك البعثات المتبادلة بين فرنجة بيت المقدس وشارلمان ورأى أن الظروف التي تمت فيها تلك البعثات تمارض ماجا . في نظرية الحماية التي خرج بها الفريق الأول .

ومن أشهر القائلين بذلك بارتولد وروسيان وجوانسون وعبد العزيز الدوري وحين مؤنس ومجيد خديوي وآخرون (٨٤) .

وفيما يلي مناقشة للرأي القائل بما يسمى بنظرية حماية شارلمان على الأراضي المقدسة في ضوء اعتراض وقائع الاتصالات بين كنيسة بيت المقدس وشارلمان .

أ - بالنسبة لبعثة كنيسة بيت المقدس الأولى إلى شارلمان :

وصل إلى الهلاط الفرنجي سنة ٧٩٩ م / ٨٠٣ هـ مبعوث من البيطريق جاردجوس بطريق بيت المقدس في الوقت نفسه الذي كانت فيه سفارة شارلمان الأولى للرشيد في المشرق . ويرى بومبييه (Bihier) أن هذا المبعوث إنما أرسله البيطريق ليقنع شارلمان بقبول مهمة حماية النصراني في فلسطين وبشي افتراضه على ما كان عليه النصراني هناك في ذلك الوقت من حال غير مرضية (٨٥) .

ولا نشير انشويات الملكية وأنبهارد إلى أي مطالب تقدم بها هذا المبعوث إلى شارلمان . فيما عدا أنه حصل له بعض الهدايا من (القبر المقدس) . وقد تقبل الإمبراطور ذلك الهدايا أحسن قبول . ورد الجميل بأن بعث زكريا - أحد قسس بلاطه - مرافقًا للمبعوث البيطريقي عند عودته ومصحلاً بالهدايا إلى بطريك بيت المقدس (٨٦) .

رلم يكن وضع النصراني في فلسطين - في ضوء ما ذكرناه عن حالة النصراني في الدولة العباسية - يستدعي من البيطريك أن يطلب حماية ملك الفرنجة . كما أن البيطريك جاردجوس لا يدرك أن اتصاله بملك الفرنجة لهذا الغرض من شأنه أن يفضب السلطات الإسلامية . وقد تنعكس آثاره على رعايا الخليفة من النصراني . ويعلم أن سلطه البيطريك إيطاليا الثاني (٧٧٠-٧٧٧ م / ١٥٤ - ١٥١ هـ) نفى إلى بلاد فارس بناء على وشاية أبلغت

التاريخي ، وأنه لاعلاقة البتة لها بالعلاقة بين الإمبراطور والمخليفة ، وأن كلاً منهما كانت له علاقة مفردة بها فهي مقدسة عند الجانبين ، لأن أي تلازم بين العلاقة بها والعلاقة مع الخليفة سول بلقي الحسيح .

إن ما يمكن أن يكون قد حدث من الاتصالات بين شارلمان وهارون الرشيد إذن لا يبدو أن يكون مجرد تبادل محدود بين المباسمين والفرنجية ، مقصور على الجمالة وتبادل الهدايا ، من قبيل ما جرى - ونفسه في سباقه ونظائره - بين الخلفاء العباسيين الأوائل والأباطرة البيزنطيين أو ملوك الهند والصين ، وما أهدد ذلك من مفاهيم التحالف السياسي والعسكري ، وسياسة المعابر ، وموازين القوى والحماية والتبعية التاريخية لهذا الجانب أو ذلك بغية توظيفها في المعركة والسيطرة لأحدهما في التاريخ الحديث ، وغير ذلك من مفاهيم عصرنا الحاضر ومحاولة إسقاطها على عصر تلك العلاقة ، والنظر من خلالها كإداة في تفسير أحداثها .

والأمر الآخر أن نعلق الملاحظات التاريخية الموجزة ، والمعاضرات التاريخية العامة ، والمقررات المترتبة من الإشارة إلى مواضيع الخلاف بين الفرنجين في مثل موضوع علاقة الرشيد بالفرنجية أو علاقة الفرنجية بفسطين فهي لا تمتصها وإنما تترك ذلك للقرارات المتعمقة وأهل الاختصاص .

١٦٢ - ...
١٦٣ - ...
١٦٤ - ...
١٦٥ - ...
١٦٦ - ...
١٦٧ - ...
١٦٨ - ...
١٦٩ - ...
١٧٠ - ...
١٧١ - ...
١٧٢ - ...
١٧٣ - ...
١٧٤ - ...
١٧٥ - ...
١٧٦ - ...
١٧٧ - ...
١٧٨ - ...
١٧٩ - ...
١٨٠ - ...
١٨١ - ...
١٨٢ - ...
١٨٣ - ...
١٨٤ - ...
١٨٥ - ...
١٨٦ - ...
١٨٧ - ...
١٨٨ - ...
١٨٩ - ...
١٩٠ - ...
١٩١ - ...
١٩٢ - ...
١٩٣ - ...
١٩٤ - ...
١٩٥ - ...
١٩٦ - ...
١٩٧ - ...
١٩٨ - ...
١٩٩ - ...
٢٠٠ - ...

صنة للاعلاقة العباسية ، وظل هناك زمناً طويلاً (٨٧) ، ويذكر بارتولد أن التطويق اليحموم كبرياك قد اتهم أيضاً في تلك الفترة بالتجسس لصالح البيزنطيين (٨٨) . ولا يملك الدراس النصف لكافة الحماية الشرعية المزعومة على الأماكن المقدسة أن يحجب تساؤلاً بغرض نفسه بقوة :

ترى هل فكرة المناهة أو الاعتقاد بحصول شارلمان على حماية فلسطين في الربع الأول من القرن التاسع الميلادي تنمشى أو تلتقى مع سياسة الاستعمار الحديث البريطاني أو الفرنسي في المنطقة ؟ وهل هدف بعض المستشرقين من منادائه بالحماية الشرعية الفرنسية لفلسطين بناء على اتفاق مع الخليفة العباسي هرون الرشيد ، بعد أن فشل الغزو الصليبي في تحقيق ذلك بالقوة فيما بعد ، هو إيجاد سند ووصيد من السرايين التاريخية لحماية استعمارية حديثة في المنطقة التي تشمل على الأراضي المقدسة أو تجاورها عن قرب . وهذا قد يكون القصد الحقيقي للمنادين بالحماية السالفة في آرائهم .

إنه من الملاحظ أن تلك الدراسات ظهرت في إبان الوجود الفرنسي والإنجليزي في سوريا وفلسطين ورسم بعضها بما يومي ، إلى شيء من تحقيق تلك القاية (٨٩) .

إن تلك الدراسات - إن لم يكن ذلك - فقد صدرت بتأثير شعوري أولاً شعوري من العاطفة الدينية نحو الأماكن المقدسة في فلسطين ، وعن رواب الأحاسيس الصليبية المفرقة في العصور الوسطى والتي لازتلال كوامنها في النفوس تملن عن نفسها في الفكر الأوربي الحديث بصورة أو أخرى .

إن بطريركية بيت المقدس كانت في أواخر القرن الثامن وخلال القرن التاسع الميلادي على اتصال وثيق بالبابوية في روما بطبيعة الحال بحكم وجودها في بيت المقدس ، المدينة المقدسة لدى النصارى .

كما كانت على علاقة طيبة مع الإمبراطور شارلمان وغيره من القوى النصرانية ، ولد استقادات من إعاناته المالية . لكن نظرية الحماية المزعومة لشارلمان على الأماكن المقدسة قامت على التخمين والتخيل بتأثير العاطفة الدينية أو غيرها لدى النصارى نحو بيت المقدس في مختلف العصور ، وما أصدق وصف الأستاذين جورانسون ورتسيمان لتلك النظرية بأنها أسطورة (٩٠) . وبالتالي فهي تعرض بأطلانها في بحر الخيال وتجاهل الحقائق العلمية والواقع

البواشي :

- ١ - بارتولد : دراسة في تاريخ فلسطين في العصور الوسطى ، ترجمة عزيز حنّاد ، ص ٧٨ .
- 2 - Franconi : " The Alleged Frankish Protectorate in Palestine " American Historical Review Vol XXXII, (Jan. 1927) p 242 .
- Buch : ٧٩ : المرجع السابق ، ص ٧٩ .
- ٣ - المراجع السابقة ، ص ٧٩ .
- ٤ - ابن عسّار : البيان المغرب ج ٧ ، ص ٤٧ : ابن الأثير ، ج ٥ ، ص ٤٧٥ .
- ٥ - خاسبيليط : شارلمان وهاون الرشيد ، ص ٧٧ ، نقلًا عن بارتولد ، المرجع السابق ، ص ١١٤ .
- ٦ - المرجع السابق ، ص ٧٩ ، نقلًا عن بارتولد : المرجع السابق ص ١١٥ .
- ٧ -

Buckler, op. cit., p. 9.

٨ - الباز العريض : بعض معالم عهد شارلمان ، المجلة التاريخية ص ٨ ، ١٩٥٩ م ، ص ١٤٢ .

٩ -

Buckler, op. cit., p. 9.

Buckler, op. cit., p. 8.

١١ - بارتولد : المرجع السابق ، ص ١١٢ .

١٢ -

Buckler, op. cit., p. 7.

١٣ -

١٤ - ابن الفراء : رسل الملوك ص ٧٥ - ٦٩ : المهدي ، الزيد - والكتاب ص ١٢٢ .

١٥ -

Einhard : The life of Charlemagne pp. 42 - 43 .

١٦ - Runciman : " Charlemagne and Palestine " English Historical Review, Vol. 1 - Oct - 1935, p. 607 .

١٧ - خاسبيط : شارلمان وهاون الرشيد ، ص ٨٣ . نقلًا عن بارتولد ، المرجع السابق ، ص ١٢٥ .

١٨ - ابن خردادبة : المسالك والممالك ، ص ١٥٢ - ١٥٤ .

عن التجارة الرقائنية وأصل تسميتهم ودورهم في التجارة آنذاك انظر الفصل الخامس من رسالة الباحث

للماستر : العلاقات السلبية بين القوة العباسية وأوروبا في العصر العباسي المبكر ، كلية العلوم

الإجتماعية ، الرياض ، ١٤٠٢ هـ .

Einhard : op. cit., p. 42 .

Jouranson : " ASilleged Frankish ... " p. 244 .

١٩ -

٢٠ - بارتولد : المرجع السابق ، ص ٦٩ - ١١٧ .

٢١ -

٢٢ - بيزن : الإمبراطورية البيزنطية ، ص ٥٨ .

٢٣ -

Buckler, op. cit., p. 15.

٢٤ -

Buckler, op. cit., p. 20 .

٢٥ - ويلز : شارلمان ص ١٨٦ ، ٢٠ ، ٢١ .

٢٦ -

٢٧ - الباز العريض : القوة البيزنطية عاشر ، ص ٢٢٤ .

٢٨ -

٢٩ - عبد القادر البيرسيف : الإمبراطورية البيزنطية ص ١٧٢ ، تبني عاقل : الإمبراطورية البيزنطية ، ص ١٨٢ .

٣٠ -

٣١ - خاسبيط : تاريخ العصر الوسيط ج ١ ، ص ١٧٨ : نبيه عاقل : المرجع السابق ، ص ١٨٤ .

٣٢ -

٣٣ - فازيليك : العرب والروم ص ١٦٢ .

٣٤ - نفسه .

٣٥ -

Buckler, op. cit., p. 22.

٣٦ -

٣٧ - ابن عسّار : البيان المغرب ج ٧ ، ص ٥٧ : ابن الأثير ج ٥ ، ص ٥٧٥ .

٣٨ -

٣٩ - الرستومين : طائفة من الحجاج الإباحية حكموا مدينة تاهرت في المغرب الأوسط من عام ١٣٨١ - ١٣٩٧ هـ وأنشئ أمرانهم عبد الرحمن بن رستم . وظلت إمارتهم قائمة حتى قضى عليها الفاطميين ، انظر ابن عسّار : المرجع السابق ج ١ ، ص ٥٧ : عاقل ، بول ، الدولة الإسلامية ج ١ ، ص ١١٨ .

٤٠ -

٤١ - ابن الأثير ، ج ٦ ، ص ١٥٥ - ١٥٦ .

٤٢ -

٤٣ - الطبري ، ج ٨ ، ص ٣٤٧ .

٤٤ -

٤٥ - المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ٣٢٩ .

٤٦ -

٤٧ - الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، ج ١٤ ، ص ٨ .

٤٨ -

٤٩ - المصدر السابق ، ج ١٤ ، ص ٦ .

٥٠ - بارتولد : دراسات في تاريخ فلسطين في العصور الوسطى ، ترجمة عزيز حنّاد ، ص ١١٧ - ١١٨ .

Ruicimin: "Charlemagne and Palastines pp. 618 - 9.

- ٦٠ -
 - الهياز العريش : بعض معالم عهد شارلمان ، المجلة التاريخية المصرية ، مجلد ٨ عام ١٩٥٩ ، ص ١٤٨ - ١٤٩ -
 - بهير تولىبني : القبر ، ص ٢٨٢ . نقلًا عن بارتولد ، ص ٥٧ : عيد الجبار جومارد : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٨٢ .
 - ٦١ - مصطفى شاكر ، دولة بني العباس ج ٢ ، ص ٦ - ٤ - ٤٧ .
 - ٦٢ - بارتولد : دراسات في تاريخ فلسطين في العصور الوسطى ، ص ١٠٢ . الشرق ، العصر العباسي الأول ، ص ١٥٦ : مدينة مؤنس : المسلمون في عرض البحر المتوسط ، المجلة التاريخية المصرية ، ج ١ ، ص ١٩٥٦ ، ص ١٦٤ : فاروق عمر : بحوث في التاريخ العباسي ، ص ١٩٤ - ١٦٥ .
 - ٦٣ - بارتولد : دراسات في تاريخ فلسطين في العصور الوسطى ، ص ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٧ : أحمد أمين ، هارون الرشيد ، ص ٢٠٢ : عيد الجبار جومارد : هارون الرشيد ج ٢ ، ص ٣٨٣ : الحور : حضارة الإسلام في دار السلام ، ص ٢١٤ : ذوق الله مشروبوس : تاريخ دول الإسلام ج ١ ، ص ١٠٤ : عنان : مواقف حاسمة ، ص ٢١٩ .
 - ٦٤ - الطبري : ج ٨ ، ص ٢٢١ .
 - ٦٥ - بارتولد : المرجع السابق ، ص ١٤٠ : الهياز العريش : بعض معالم عهد شارلمان ، المجلة التاريخية المصرية ، مجلد ٨ ، ١٩٥٩ ، ص ١٥٠ .
 - ٦٦ - بارتولد : المرجع السابق ، ص ٧٢ .
 - ٦٧ - بارتولد : المرجع السابق ، ص ٧٧ .
 - ٦٨ - المرجع السابق ص ٧٧ - ٧٨ . وهناك حكاية خيالية أيضًا حول هذه الشوكات وضعت في القرن الحادى عشر الميلادى مداهما أن شارلمان زار بيت القلمس والقسطيطنية وأحضر معه شوكات الإكليل الشار إلى أهلاء ، انظر بارتولد ، ص ٧٢ .
 - ٦٩ - Ibid .
 - ٧٠ - Bittermann . " Harun At-Rashid's gift... " p. 215 . 6 .
 - ٧١ - Bittermann : " Harun At-Rashid's gift of an Organ to Charlemagne . p. 215 .
 - ٧٢ - ابن النديم ص ٣٢٩ . انظر أيضًا : فاروس : التوسقي ، فرائد الإسلام ، نشر أوتولد ، ترجمة جرجيس فتح الله ، ص ٥٢٧ - ٥٢٩ .
 - ٧٣ - Bittermann : " Harun Al-Rashid's gift... " p. 217 .
 - ٧٤ - فالبليغ : شارلمان وهارون الرشيد ، ص ٨٢ ، نقلًا عن بارتولد : المرجع السابق ، ص ١٢٤ .
 - ٧٥ - بارتولد : المرجع السابق ، ص ١٤٠ .
 - ٧٦ - ابن خردادبة ، ص ١٥٣ .

- Buckler, op. cit., p. 67 .
 - ٤١ -
 الهياز العريش : بعض معالم عهد شارلمان ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد الثامن سنة ١٩٥٩ ص ١٤٤ : طرخان : المسلمون في أوروبا ص ١٩ .
 - ٤٢ - ابن الدلائس ، فصرص عن الأندلس من كتاب توضيح الأخبار وتوضيح الآثار ، ص ٢٥ - ٢٦ : ابن الأثير ج ٦ ، ص ١٤ . Buckler, op. cit., p. 9 .
 - ٤٣ - Buckler, op. cit., p. 34 . ابن الأثير : ج ٦ ، ص ١٤ : عنان : دولة الإسلام في الأندلس ج ١ ، ص ١٦٨ - ١٧٠ . عيد الرحمن الجهمي : التاريخ الأندلسي ، ص ٢١٨ - ٢٢٩ .
 - ٤٤ - Einhardt, op. cit., p. 54 - 55 .
 - ٤٥ - الهياز العريش : بعض معالم عهد شارلمان ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد الثامن ١٩٥٩ م ، ص ١٤٤ .
 - ٤٦ - Buckler, op. cit., p. 12-13 .
 - ٤٧ - Buckler, op. cit., p. 12 .
 - ٤٨ - الهياز العريش : بعض معالم عهد شارلمان ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد الثامن ١٩٥٩ م ، ص ١٤٤ .
 - ٤٩ - Buckler, op. cit., p. 13 .
 - ٥٠ - القرى : فتح الطب ، ج ١ ، ص ٣١ .
 - ٥١ - ابن خنوزي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٥٦ .
 - ٥٢ - فالبليغ : هارون الرشيد وشارلمان ، ص ٧٧ . نقلًا عن بارتولد ، المرجع السابق ، ص ١٦٨ .
 - ٥٣ - Buckler, op. cit., p. 35 .
 - ٥٤ - Buckler, op. cit., p. 34-35 .
 - ٥٥ - الحاردي ، الأحكام السلطانية ، ص ٢٥ .
 - ٥٦ - الحاردي ، المصدر السابق ، ص ٢٥ : أبرهملى الزراء : الأحكام السلطانية ، ص ٣٧ .
 - ٥٧ - الحاردي ، الأحكام السلطانية ، ص ٥٣ .
 وقد ذكر الحاردي أنه يجيز إستاذ رزارة التتليبه لقمي - ولم نقل لعاهد أيضًا - فطعل هلا هو ما أروع يكلر في اللبس إذا لم يقطن إلى استعرااله الحاردي في الإمارة الخاصة بزيادة شروطين كيهما عن وزارة التتليبه هما الإسلام والحرية - الحاردي ، ص ٢٧ .
 - ٥٨ - المصدر السابق ، ص ٢٦ .
 - ٥٩ - مجيد خندوي : المرجع السابق ، ص ٥٥ - ٥٦ .

التأثيرات الحضارية المتبادلة بين المسلمين والصليبيين في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر للميلاد

أثبت كثير من المؤرخين المحدثين أن الحروب الصليبية لم تكن حربياً متصلة وإنما تخللتها فترات سلم كثيرة، ومنها تعددت أعراضها وتباينت درافتها فقد كانت مجالاً واسعاً للتقاء الشرق العربي الإسلامي بالغرب الأوربي المسيحي، حربياً وحضارياً على أوسع نطاق (١١). وفي حقبة الأمر اختلعت الآراء حول طبيعة المجتمع الصليبي في الشرق، فوجد فريقاً من المؤرخين المحدثين يرى أن الصليبيين قد تراسلوا مع مجتمعاتهم في الشرق وكيفوا أرضاءهم وفق اتجاهاته فظهر مجتمع جديد له سماته الخاصة امتزجت عناصر امتزاجاً تاماً، وحلت العلاقات الودية بين الصليبيين والمسلمين محل العداء أحياناً بما يعد دليلاً على ولادة مجتمع صليبي - شرقي وظهور تقاليد جديدة في مجتمع الصليبيين في الشرق (١٢).

بينما يرى فريق آخر من المؤرخين أن السمة الأساسية في المجتمع اللاتيني في الشرق هي تسلط طبقة أرستقراطية عسكرية على مجتمع السكان الوطنيين وأن هذه الطبقة استغلت الشعوب الخاضعة لها اقتصادياً وأن لم تدخل هذه الطبقة من جانبها سوى تعديلات طفيفة على الحياة اليومية لأهل البلاد من المسلمين والمسيحيين الشرقيين على السواء (١٣). وللوهلة

١١ - طبرس تاريخ العصر الرطبى - كلية الآداب - جامعة الإسكندرية.

١٧ - ابن النديم : الفهرست ، ص ٢٢ .

٢٨ - برتانهيت الأوتاري أو برغا كوتاري أوفسيديريا ، ولدت سنة ١٢٦٠م (١٢٤٦هـ) وتوفيت سنة ١٣٢٣م عاشت في روما وذكر أنها كانت ملكة فيها رتقب إلى البيت الكارولنجي ، انظر : د .

سامس الدهان ، الهدايا والتحف للخالفين ، هادس ص ١٦٥ : يارتوك : المرجع السابق ، ص ١٢٩ .

٢٩ - الرشيد بن الزبير : للبخاطر والتحف ص ٤٨ - ٤٩ : ابن النديم : الفهرست ، ص ٢٢ : الخالديان : الهدايا والتحف ص ١٦٥ - ١٦٨ : الفزولي ، مصالح السرور ج ٢ ، ص ١٣٥ .

- ٨٠ - Runciman : op. cit., p. 607 .

٨١ - Brehier : Les Origines des Roppon entre la France et Syrie Le Proccentral de Charlemagne pp. 15 - 19 ; In Joranson : " Alleged Frankish..." p. 241 .

٨٢ - فاسيليف : هادوية الرشيد وشارلان ، ص ١١٤ ، نقلًا عن يارتوك : المرجع السابق ، ص ١٥٧ - ١٥٨ .

- ٨٢ - Buckler, op. cit., p. 27-31 .

٨٤ - يارتوك : المرجع السابق ، ص ١٠٣ ، ١٧٠ ، ١٧٠ : Runciman : " Charlemagne and Palestine " p. 261 .

الأولى ج ١ ، ص ١٥٦ : صين مزي : اللطون في حوض البحر المتوسط . المجلة التاريخية المصرية م ٤ ، العدد الأول عام ١٩٥١ ، ص ١٦٦ - ١٦٤ ك مجيد خديوي : المرجع السابق ، ص ٩٠ : زهني الداية : هادوية الرشيد وشارلان حل بينهما علاقة ؟ مجلة الهلال مايو ١٩٣٢ ، ص ٩٧ .

- ٨٥ - Brehier, op. cit., p. 25 .

- ٨٦ - Runciman : " Charlemagne and Palestine pp. 609 .

٨٧ - شليق جاسر محمود : العلاقة بين اللطون والمسيحية بالقدس ، ص ٦٨ .

- ٨٨ - يارتوك : المرجع السابق ، ص ٩٩ .

- ٨٩ - من هذه المراسلات :

- Brehier : Les Origines de Rappors entre la France et Syrie : le protocole de Charle-magne, Chambre de commerce de Marseilles, 1919

- La Situation des Clericars de Palestine a la fin Charlemagne in the Moyen Age XXI Paris 1919 .

- Buckler : Harun' l-Rashid and carles the great, Massachusetts, 1931 .

Joranson : " Alleged Frankish..." p. 261 .

ثانياً : أن الهدف الاقتصادي كان ضمن أهدافهم . بل هو أهمها منذ البداية (١٢٢) ، والدليل على ذلك نستطيع أن نقدمه من خلال إتقا ، نظرة على تكوين الإمارات الصليبية ، فظالما تردد في كتابات المؤرخين المحدثين أن للصليبيين حرصاً على ربط إماراتهم بأوروبا ليضمنوا وصول الإمدادات إليهم من جيوش وتكوين وخلافه . حقيقة أن هذا التفسير يبدو صائباً ولكن لنا أن نساءل ، لما لم يتم الاستيلاء على أكبر الموانئ ، على الساحل الشامى ، مينائين أو ثلاثة أو أربع موانئ ، على الأكرس ، ولماذا كان حرص الصليبيين على الاستيلاء على كل موانئ الساحل الشامى ، وللإجابة على هذا التساؤل المطروح ، نستطيع أن نستنج أن الصليبيين إنما أرادوا السيطرة على التجارة الآتية من الشرق واحتكارها (١٢٣) ، وهذا من شأنه منحهم موارد مالية كبيرة تساعد في زيادة قوتهم وتقوية دفاعاتهم ، ويؤكد هذا التفسير من جانبنا ما فعله ملوك بيت المقدس الأوائل لتدعيم المملكة ، فنجدهم يلدوين الأول صاحب نظرة استيطانية بعيدة المدى ، وكان يعرف جيداً أن موارد المملكة المالية قليلة ، فعمل على السيطرة على الصحراء الممتدة جنوبي البحر الميت وحتى خليج العقبة وراعى عمية ونض حصن الشويك (١٢٤) سنة ١١١٥م ليحقق له السيطرة على المنطقة ثم بنى في أيلة على ساحل خليج العقبة قلعة حصينة للتحكم في الطريق البرى للتراقل بين مصر والشام في سنة ١١٢٦م (١٢٥) ويمكنه هذا من عزل مصر عن بقية القرى الإسلامية . وبدأ رحلته الاستكشافية لهاجمة مصر ، ووصل بالفعل على رأس قوة صغيرة في سنة ١١١٨م إلى حدود مصر فاستولى على القوما

وروصل إلى مصب نهر النيل ولم يبق له سوى رمضه وفعلاً تولى قروب العريش وهو في طريق العودة (١٢٦) ، فعمل ما قام به بلدوين الأول من سيطرة شبه كاملة على طريق التراقل التجارية بعدد من قبيل الدفاع عن مملكته ضد المسلمين المهابرين فقط . ثم كان لغرض آخر . من الواضح أنه كان يسمي إلى مكسب مادي وقد تحقق له ذلك بالفعل .

ثم جاء بلدوين الثاني (١٢٧) من بعده وأهتم باتعاش أموال المملكة اقتصادياً فسمح لجميع الغربيين بحرية نقل البضائع والسلع بين المملكة وغيرها ، منها ، وإليها (١٢٨) ، ثم أعطى جميع الطوائف حرية دخول بيت المقدس والتجارة فيها من سوريان وأرمين وأغريق بل والعرب أيضاً ، فقد صار لهم الحق في حمل القمح والشعير إلى المملكة دون دفع رسوم على بضائعهم بالوثيقة المؤرخة في سنة ١١٢٠م (١٢٩) ، بالإضافة إلى ذلك تجاوز بلدوين عن الرسم المقررة على الكابيل والموازين وبذلك حقق رواجاً اقتصادياً لمملكة بيت المقدس والتي لم تقصر

الأولى نستطيع أن ندركه أن الرأي الأول إذاً يحصل في طبيعته نظراً لقل واقعية لأن ، مساندة الامتزاج التام بين عناصر مجتمع شديدة التباين متعددة الجنسيات أمر يقرب من الخيال ، وإن كانت الآلة المستخدمة لدى أصحاب هذا الرأي مستمدة أكثرها من كتاب الاعتبار لأشامة بن منقذ والرحالة ابن جبير . وقد تم تفسير بعض مظاهر الحياة اليومية الإنسانية على أنها نتوح من الامتزاج بين طبقات المجتمع وظهور حضارة خاصة به ، متناسين الخلفية الحضارية لهذا المجتمع المتباين والذي كان يتألف من أغلبية مسلمة ، فألفت هي الأخرى من جنسيات متعددة منها القبائل العربية (١٢) والأكراد (١٤) والتركمسان (١٦) والأكراد (١٧) هذا علاوة على الطوائف المذهبية الدينية (١٨) والمسيحيين الشرقيين وفتاتهم المختلفة من بيوزنطيني (١٩) وبعاقية (٢٠) وسوريان وساطرة (٢١) وسوارنة (٢٢) وأرمين (٢٣) وأقباط ويهود وسامريين (٢٤) . وفي مقابل هذه الفئات كان المجتمع الصليبي أيضاً يتكون من طبقات مختلفة غير متألقة أو متجانسة ، ظلت متميزة بقوارق واضحة فنجد طبقة أرسقراطية حاكمة من النبلاء والفرسان قليلة العدد (١٥٥) ، وطبقة العامة من المخابرين (١١٦) وطبقة الأفرانج (١١٧) وطبقة اليهودجوازيرة (الأحرار) (١١٨) وطبقة رقيق الأرض أو الأثخان (١١٩) . وقد كان على الطبقة الحاكمة مهمة الدفاع عن ممتلكاتها ومحاولة زيادة رقة هذه الممتلكات على حساب القرى الإسلامية المحيطة بها والحرصه بها أيضاً ، فمسألة استقرار الصليبيين في الحكم كانت مرهونة بصورة ونسبة بما يملكونه من أراض ، تكون مصدراً لقوتهم حسب نظامهم الإقطاعي الغربي ، فكان امتلاك الأراضي بالنسبة لهم هو الدافع الأساسي لحروبهم أكثر من حاسنتهم الدينية ، فهم يحتاجون لإقطاع جزء من هذه الأراضي لتابعهم الذين يقدمون في مقابلها الخدمات العسكرية (١٢٠) .

ومن هنا تأتي مناقشة الرأي الآخر الذي يقول بتسلط طبقة أرسقراطية عسكرية حاكمة قليلة العدد على جماهير السكان الوطنيين كما سبقت الإشارة وأن الترتيبات التي اتخذها الصليبيون تعتبر غير عامة أبداً للحياة اليومية (١٢١) .

في الحقيقة لا يمكننا قبول هذا الرأي لاعتبارات كثيرة ، أولها : أن الصليبيين عندما جاؤوا في حملتهم الأولى ، كان معيبتهم بقصد تكوين إمارات لا تبينة في الشرق - وهذه الكيانات الصليبية جاءت أكبر دليل على ما هدف الصليبيون إليه وكان على هذه الكيانات أن تتعامل مع أهل البلاد الأصليين الذين كانوا يتلون الخلفية العظمى ، معاملة معتدلة حتى نستطيع

ليكونوا عنصرًا مواليًا لهم .

تجارها على حركة مرود من بلد إسلامي إلى بلد إسلامي آخر ، فقد أصبح البلد بعد قليل مركزاً كبيراً للمبادلات بين الشرق والغرب (٣٠) حقيقة كان موقع المملكة بعيداً عن الطرق التجارية الواصلة بين الشرق والغرب ، فبضائع الشرق التي كانت تسلك هذه الطرق لتصل إما إلى شمال سوريا أو إلى شمال مصر ، ولكن هناك ميزة كبيرة تعرض ذلك قدمشق المستودع الكبير الذي ترد إليه منتجات الشرق كله بكميات هائلة تقع خلف المملكة وعلى مسيرة بضعة أيام من موانئها التجارية (٣١) ، ويمكن لنا تفسير سياسة التحالف بين دمشق في عهد معين الدين أئو والملك فولك الأنجوى ، بأنها كانت تخدم المصالح الاقتصادية وفي نفس الوقت الذي تخدم فيه الدفاعات ضد عماد الدين زنكي ومن بعده نور الدين محمود ؛ واستأنف الملك فولك سياسة ملوك بيت المقدس التي تهدف إلى تأمين مواقع الصليبيين شرقي البحر الميت من أجل إحكام السيطرة على طرق القوافل بين مصر والشام وشبه الجزيرة العربية ، فأمر بتشييد حصن الكرك على تل صحراء البترا ، تسيطر بذلك على الطريق الوحيد المتعددة من مصر وغربي بلاد العرب إلى بلاد الشام ، ولم يكن يعدد كثيراً عن مخاضات نهر الأردن الأدنى (٣٢) .

ثم بعد ذلك نرى أزمة الملك فولك وابنه بلودين الثاني تحافظ على علاقتهما الطيبة مع أمير دمشق وفي نفس الوقت ترسل لقادة الحملة الثانية الملك لوس السابع والإمبراطور كوزراد الثالث وتقدمها بفرص الحصار على مدينة دمشق (٣٣) بفرض استقاطها ؛ وفي حالة نجاحهم في ذلك سوف يؤدي إلى فائدة مزدوجة ، تخدم الأغراض الدفاعية من ناحية وتحقق الفائدة الاقتصادية من ناحية أخرى وتصبح المملكة المتحصنة في بضائع الشرق وقد رأينا كيف اشتدت قبضة الصليبيين على طرق القوافل التجارية وكيف تسبب حصن الكرك والقيويد في مضايقات للقوافل التجارية ، وبعد ذلك رأينا ريتودي شاتيون (أرنط) يحارب السيطرة على تجارة البحر الأحمر ، وهذا دليل على أن الصليبيين قد تنهوا إلى المكانة التي احتلتها تجارة البحر الأحمر ؛ فعاولوا تحطيمها (٣٤) .

عما سبق نستطيع أن نقول أن الطبقة الحاكمة الصليبية كانت عليها مهمة مزدوجة ؛ دفاعية توسعية واقتصادية ؛ وبدون الناحية الاقتصادية ، لا يمكن لهم الإبقاء على القدرة الدفاعية ؛ فكان لابد لهم أن يتجهجراً نهجاً حسناً مع أهالي البلاد التابعين لهم بالتعامل معهم كان ضرورة اقتصادية لأصحاب الانطاعات ؛ لذلك عمل الصليبيون على الحفاظ على نظم

المحاسبية والتسجيل التي كانت سائدة في بلاد الشام بحيث تؤمن لهم هذه النظم ربحاً يجزونه من السكان المحليين ؛ في مقابل تركهم لهم قدراً لا بأس به من الحرية في ترتيب شئونهم المحلية (٣٥) .

ثالثاً : أن التجار الإيطاليين كانوا في بادئ الأمر متخوفين من الحملة الصليبية الأولى فهم من ناحية غير راقين من نجاحها ، ومن ناحية أخرى كانت لهم مصالح تجارية مع المسلمين في شرق البحر المتوسط ، وعندما تيقنوا من نجاح الصليبيين في تكوين مستعمراتهم في بلاد الشام ، عرضوا مساعدتهم الحربية لإسقاط المدن الساحلية التي لم تكن قد سقطت بعد ، في مقابل الحصول على امتيازات تجارية كبيرة تتراوح بين إعفادات ضريبة والخصول على جزء يساوي ثلث دخل المدينة المراد إسقاطها من المكوس أو امتلاك ثلث المدينة مثلما حدث في صوود وأحياناً وصلوا إلى امتلاك مدن بكاملها مثلما حدث في جبيل وأن يكون لهم في كل مدينة حتى خاص بهم وفرن وكثيرة (٣٦) ويمكننا اعتبار هذا أحد الأدلة التي تؤكد على أهمية الناحية الاقتصادية بالنسبة للوجود الصليبي في بلاد الشام ، ومن أجله عقدت المعاهدات مع التجار الإيطاليين والتي أتاح لهم ثلثاً كبيراً من القوة وامتلاك عدد كبير من المدن والأراضي التي أسهمت إسهاماً كبيراً في زيادة الثروة ؛ ومع ذلك فقد وجدنا بعض المؤرخين المحدثين يقلل من الأهمية التجارية للإمارات الصليبية مع الإشارة في الوقت نفسه إلى فقدان الباعث الاقتصادي في الحملات المتأخرة (٣٧) ، وربما اعتمدوا في رأيهم على أن الإمارات الصليبية في الشرق اللاتيني لم تكن بطبيعتها غنية ، باستثناء بعض مناطق مثل سهل مرج عامر وشاورن وأريحا ، والسهل الساحلي الذي يقع بين جبال لبنان والبحر ، وادي البقاع ، وسهل أنطاكية ، إلى جانب الإقليم الواقع وراء نهر الأردن وسوران ، والبقاع (٣٨) ، وربما نسي أصحاب هذا الرأي أن منطقة الشام تحفل بالمرعى الجيدة وأشجار الزيتون وأشجار الفواكه وسائر الخضروات ، وقصب السكر الذي تعلموا استخراج السكر منه من السكان المحليين ، وفي خلال القرنين الثامن عشر والثالث عشر كان السكر في أوريا يجلب من الشرق الإفرنجي (٣٩) .

وعلى هذا نستطيع القول بأن النشاط التجاري كان موجوداً منذ البداية وسار بجانب التوسع الاستيطاني ؛ وحرص كل من الصليبيين والمسلمين على استمرار النشاط التجاري ، فكانت التجارة تعبر المراكز الحربية بقدسي اتفاقيات معاهدة حرص فيها الجانبان

لحكوماتها ، وصقلت من علكة بيت المقدس على استقلالها التام مع متعهم إغفاءات ضريبة على مناجرتهم وكانت لهم أحياءهم الخاصة بهم ومحاكمهم ومكاتبهم وموانئهم وفنادقهم (١٤٨) . وقد حصل تجار مرسيليا على امتيازات تجارية مشابهة للإيطاليين في فلسطين ؛ وفي القرن الثاني عشر ظهرت أساطيل إنجليزية تجارية مشابهة للإيطاليين في فلسطين ؛ وفي القرن الثامن عشر ظهرت أساطيل إنجليزية وفلسطينية وألمانية وفرنسية ونروجية في البحر المتوسط وحصل تجار مونتيليه في الشام على إعفاءات وصارت لهم قنصل في عكا وطرابلس . وناقس السوربان والأرمن واليهود الجمهوريات الإيطالية في الشرق . والسلمون أيضاً كانت لهم بيوت تجارية في المدن الصليبية (١٤٩) .

وعلى الرغم من الامتيازات المفضلة التي حصل عليها الإيطاليون من الصليبيين في بلاد الشام إلا أن اهتمامهم بالتجارة مع مصر ظل مستمراً ؛ فكانت صفقاتهم التي عقبوها في الإسكندرية تفوق ما كان لهم من صفقات في بلاد الشام ، لذلك لم يتأثر الإيطاليون كثيراً بطرد الصليبيين من بلاد الشام (١٥٠) . وليس معنى هذا أن تغطي دور الحروب الصليبية في ازدياد ثروات المدن الإيطالية وتخصسها في تلك الفترة . ولكن ما قام بين المدن التجارية جنوة وبيزا والبندقية ورتلونة وفابريون وغيرها من منافسات وصلت إلى حد المعارك في أحياء عكا وشوارعها والتدخل في الشؤون السياسية لقوى الصليبيين في بلاد الشام أثر تأثيراً سلبياً على التجارة والوجود الصليبي نفسه في بلاد الشام (١٥١) . وتستطيع أن تعدد ذروة النشاط التجاري في الشرق الأخرى في السنوات العشر السابقة لاستيلاء صلاح الدين على بيت المقدس وحتى الثلث الأول من القرن الثالث عشر . حيث اتحد العالم الإسلامي وساد به الرخاء وعقد الصليبيون الصداقات والمعاهدات مع جيرانهم المسلمين (١٥٢) . ومن اللوان ، التجارية ذات الأهمية في بلاد الشام ميناء عكا الذي بعد أنشط موانئ الشام . وأيضاً ميناء صور الذي يفوق ميناء عكا امتاضاً وأماناً إلى جانب ميناء اللاذقية الذي يعد من أحسن الموانئ الصالحة طوال السنة . وميناء طرابلس الذي كان له أهمية كبرى في تجارة الشام الخارجية والداخلية ، وميناء بيروت المنار (١٥٣) .

وقدنا الوثائق بكميات وأثرع التاجر الشرقي التي تزد إلى الشرق اللاتيني منها المنسوجات الحريرية والقطنية والنوابل المختلفة (١٥٤) . وكانت هذه التاجر يقلها المسلمون والمسيحيون الشرقيون في وسط وجنوب الشام أما في الشام فقد نقل التاجر إلى ساحل أنطاكية تجار بونابرون وأرمن . وقد لقي التجار معاملة طيبة فسمح للمسلمين بتأدية شعائرتهم

الصليبي والإسلامي على تأمين التجارة ، ولعل ما أشار إليه الرحالة ابن جبير أثناء رحلته من استمرار التجارة بين المسلمين والصليبيين أكده دخول قراقل المسلمين بلاد الصليبيين حتى في أوقات الحروب (١٥٠) . وهو أمر واضح وصريح في أحد بنود اتفاقية الرملة التي عقدت بين صلاح الدين الأيوبي وريتشارد قلب الأسد في عام ١١٩٢م والتي أعطت للتجار المسلمين والصليبيين الحق في المرور للتجارة كل في بلاد الآخر . وقد رحلت جماعة من تجار المسلمين للتجارة في يافا (١٥١) . وبعد موت صلاح الدين عقد بناؤه مع الصليبيين في بلاد الشام الاتفاقيات التي حرص فيها الطرفان على توفير الأمن للتجارة والتجار (١٥٢) .

وعلى المورخون ذلك بأن الصليبيين في بلاد الشام قد نواصروا مع ظروفهم في الشرق وغلبت عليهم عادات وتقاليدهم جديدة في الشرق واعتادوا الحمول والكل والبزخ وأظهروا الرغبة في التعايش مع المسلمين في سلام . وقد ساعد هذا في نظرم على ازدهار التجارة ، فعلى النشاط الاقتصادي محل الحروب (١٥٣) . رجعت دولة المماليك ، فوجد الصليبيون في يافا وبيروت الاتفاقيات التي من شأنها حماية التجارة وتأمين طرقها ؛ وعقد فريق عكا ومعلموا الاستحارة والدارية هدنة مع السلطات المصنود سيف الدين قلاوون عام ١٢٨٣م لحماية جميع التجار في عكا وصيدا وعلية (١٥٤) ومعنى هذا أن النشاط التجاري في بلاد الشام كان له أهمية كبرى سواء للصليبيين أو للمسلمين والصليبيين منذ البداية . وكنا يعرف أن الأسباب الرئيسية لوجود علاقات سلمية بين المسلمين والصليبيين منذ البداية . وكنا يعرف أن الصليبيين قد اعتدوا على الأساطيل الإيطالية في السيطرة على المنافذ البحرية للساحل الشامي في مقابل منحهم الامتيازات التجارية ، فأسهم الجيرة في الاستيلاء على أرسوز وعكا ثم طرابلس وجيبيل وغير ذلك من مدن الساحل الشامي وحصلوا في مقابل ذلك على الامتيازات التي طالبوا بها قبل إسقاط أي مدينة ؛ وكانت مستعمرة الجيرة في جيبيل أكبر دليل على الامتيازات المفضلة التي حصل عليها الجيرة (١٥٥) . وكذلك حصل البيازنة على امتيازات تجارية نظير مساعدتهم لتكره في أخذ اللاذقية من بيزنطة ، وتشمل الامتيازات منحهم ميناء في كل من مدينتي اللاذقية وأنطاكية وإطلاق حرية التجارة مع الإغناط من الصرايب في كل البلاد البازنة له (١٥٦) . وصلت أيضاً البندقية على امتيازات كبيرة نظير اشتراكها في الاستيلاء على صيدا وإسقاطها صور وعقلان (١٥٧) . وهكذا أصبح التجار الإيطاليون أصحاب السيادة في نقل الحاصل الشرقي من موانئ الشرق وموانئ الغرب وبالرغم من ذلك فإن المستعمرات التجارية الإيطالية ببلاد الشام كانت تدين بالولاة والإغلاص

الدينية في المدن المسيحية . وكان بينا - عكا خانات لتزولهم وأحياناً كانت الأسر المسيحية تستضيف بعض التجار . وكان البيع يتم مباشرة بين التجار الإيطاليين والمسلمين . وقد وجد إلى جانب الإيطاليين تجار مغاربة من شمال غرب إفريقيا في عكا يشتركون بضائعهم من المسلمين (١٥٥) .

ومثلت انشرايل الأهمية الأولى بين السلع التي اعتاد الغرب الأوربي استهلاكها في حفظ الأطعمة أو كعقار طبي ومنذ الحروب الصليبية صارت من الضروريات التي لا يمكن الاستغناء عنها وكان قصب السكر غير معروف في أوروبا قبل الحروب الصليبية . فتعلم الصليبيون طريقة استخراج السكر من القصب من السكان المحليين وانتشرت طرابلس وبيروت وصور بزراعته وتعد صور المركز الرئيسي لصناعة السكر (٥٦) . ومن السلع التي كانت تزد من الشرق الأقصى إلى بلاد الشام . العطود والبخور مثل عود التد والمسك وخشب الصندل والعنبر واللادن والمصطكي وقد احفكر الهنادقة والجنية تجارة الخشب (٥٧) .

وقد ذاع صيت الشام في صناعة الزجاج والتحف الزجاجية واحتلت صور المكانة الأولى لصناعة الزجاج اللوزن ولبها حلب ودمشق وأنطاكية (٥٨) ؛ وأعجب الأوربيون بقطن الشام لجودته . ومركز زراعته مدينة حلب وحماه محصورة أراضيها . واستوردت أوروبا كميات كبيرة من الأقمشة الحريرية والقطنية من الشام ولقطة بالذهب والفضة والقصب والقطنية والأطلس والتي تفرقت على السروجيات القرية (٥٩) ومن الصناعات الهامة التي وجدت في بلاد الشام على زمن الحروب الصليبية صناعة الورق حيث اشتهرت مدينة دمشق بها وكانت سوريا رئيسياً لتجارة الورق (٦٠) . وأيضاً صناعة الصابون والتي انتشرت في أنطاكية وطروموس وعكا (٦١) . واقتبس الصليبيون صناعة الحلوى المنقوشة من الشرق وجلبوا التحف الفنية والمسيحية والسماج والصليان والمصابيح الذهبية والصور والأيقونات من الشرق (٦٢) . أما بالنسبة للسلع التي كانت تأتي من الغرب الأدنى إلى بلاد الشام فكانت تشتغل في الثروات الطبيعية والحاصلات والمواد الخام مثل الحديد والنحاس والصور والخشب والرقيق . واحتكر البنادقة والجنوية تجارة الرقيق الذي ضم أجناساً مختلفة مثل القوقازي والفارسي والهندي والديلمس واليوناني والرومي والأرميني والنوبي وكانت عكا في الساحل الشامسي من أهم أسواق بيع الرقيق (٦٣) .

وقد بلغت حركة الملاحة البحرية للقادة إلى موانئ الشام على زمن الحروب الصليبية ووجهة عالية من الازدهار والنشاط . ونشطت حركة نقل الحجاج بعد قيام الكيانات الصليبية بهلال الشام . واستخدمت في ذلك أساطيل المدن التجارية الإيطالية . ودعا يرجع الفضل في تقدم قوانين الملاحة البحرية إلى الحروب الصليبية التي وضعت في عهدها الأصول الأولى للقانون البحري التجاري وتنظيم العلاقة بين البحارة والمسافرين (٦٤) .

إلى جانب هذا ظلت بلاد الشام منطقة عبور للتجارة الشرقية والغربية وعرف هذا النظام باسم تجارة العبور أو الترانزيت ؛ وحصل أمراء الشرق الإفرنجي على موارد بالغة الضخامة من المتاجر التي اجتازت بلادهم (٦٥) . وبالرغم من هذا النشاط التجاري الكبير . فإن نصيب لايمين الشرق من أرباحها كان ضئيلاً وذلك بسبب التنافس الذي اشتد بين المجاليات الإيطالية واتخاذها الموانئ البحرية ساحة للمعارك (٦٦)؛ حتى لو حافظ الإيطاليون على السلام فيما بينهم فإن دخل حكومة الشرق الإفرنجي من النقد لم يكن كبيراً ؛ وذلك لأن الملوك قاموا ببيع أغلب أراضيهم من العشر الخاص بهم من مكوس الموانئ . إلى أتباعهم أو إلى الكنيسة أو إلى الأطراف الدينية العسكرية ؛ فلم يبق لهم إلا اندرا ضئيلاً ؛ فكان أمراء أنطاكية وكونتات طرابلس يزيدون قليلاً عن ملك بيت القدس في الشرى . وإلى جانب هذا فقد حاز السادة الإقطاعيون من الشرى ما يكفي للمعيشة في بزخ من أمثال أسرة أيلين في بيروت الذين كانوا يمتلكون ساحم الحديد القرية منها ؛ وأسرة مونتفرات سادة صور بما كانوا يملكونه من مصانع السكر (٦٧) .

وقد تردد في كتابات الرحالة الغربيين وصف الطبقة البرجوازية الفرنجية بأنهم يتصرفون بالرخاء . وقد نسر النورخون المحدثون ذلك الأمر بأنه يدخل ضمن المظهر الخارجي فقط فالذين في الشرق كانت تفرق مدن الغرب في النظافة والجودة والعمارة . وكان يوسع سكانها شراء الملابس الحريرية وأن يستعملوا العطور والتوابل بأنسان لم يكن يتقدر عليها في الغرب سوى الناحر بالغ الثراء . ذلك لأن أمثالها في الغرب أغلى بكثير من الشرق (٦٨) .

على كل حال استمتع هذا النشاط التجاري وجود عملة نقدية . فنجدها ملك بيت القدس وأمرأه أنطاكية وكونتات طرابلس . أمراً بضرب الدنانير الذهبية التي كانت تعرف باسم الدنانير الإسلامية ؛ في الوقت الذي لم يكن في الغرب الأوربي عملة ذهبية سوى في صقلية وإسبانيا الإسلامية . حيث كانت النقود تسلك من الفضة . وتهدر هذه الدنانير الذهبية تقليداً

للدينار الفاطمي إلا أنها لم تحتو سوى على نشأ ما تحتويه الدنانير الفاطمية من الذهب ، وقد عرفت هذه الدنانير عند المسلمين بالدنانير الصورية وانتشر تداولها ، ثم أخذ يظهر النقد الذهبي عالي الجودة في المغرب الأندلس أثناء القرن الثالث عشر (١٢٦١).

وقد امتدح هذا النشاط التجاري والمصلحة النقدية في عصر الحروب الصليبية وجود المصارف للمعاملات المالية ، وكان لعظم الجمهوريات الإيطالية التجارية في القرن الثاني عشر ينوك ضخمة لها فروع في جميع أنحاء مراكز نشاطهم التجاري في الشرق والغرب لتسهيل التعامل التجاري والتقدمي وغير التقدمي من السندات وخطابات الاعتماد بالشركات . وقد زاولت الطوائف الدينية العسكرية بهلاء الشام أعمال الصرافة إلى جانب نشاطهم الحربي ضد المسلمين ، وعرف الدارونية نظام الإبداع والسحب والودائع النقدية والعينية انتقلها من مكان إلى آخر ، وعرف الدارونية نظام الإبداع والسحب والودائع النقدية والعينية الشخصية ، وأصلحوا المعاملات المالية . وقد اشتهروا أيضًا بممارسة عملية إقراض الأموال بالقوائد المرتفعة ، وأولاهم المسلمون تقديراً واستناداً من خدماتهم (١٧٠).

وبعد النشاط التجاري المصدر الأساسي للموارد المالية ، والتي كانت تحصل كضرائب على السلع أو رسوم مرور للتجارة إلى جانب الضرائب التي كانت تفرض على الصناعات المحلية والمنتجات الزراعية والأسواق وعلى التجار التجار أيضاً ، كما فرض الصليبيون الضرائب كأحدى ضرورات الحرب وإقامة الأسوار أو ترميم الحصون (١٧١) . وأثرت الحروب الصليبية في تطور نظام الضرائب في أوروبا فالنظام الضريبي الذي كان سائداً في الشرق الإفرنجي يعتبر نواة للنظام الضرائبي الحديث (١٧٢) .

على أية حال ظل التبادل بين المدن الإيطالية وبين الشرق الإسلامي قائماً بعد أن استعاد المسلمون أراضيهم وطرد بقايا الصليبيين من الشام . وعقدت الأسواق المنفردة التي كان يقدها إليها التجار دون النظر إلى الجنس أو الدين ، وظل توافد التجار في مواعيد ثابتة فيما عرف باسم الأسواق الرسمية في بلاد الشام ، وحمل الحاضر إلى المغرب الأندلس (١٧٣) وإلى جانب هذه الأسواق الموسمية وجدت الأسواق الدائمة بهلاء الشام ، وقد عينت المدن التجارية الإيطالية للتواصل التجاريين لرعاية التجار ومواطنيهم وكان للتواصل صلاحية رئاسة المحاكم الخاصة بهم لحسم الخلافات التي تنشأ فيما بينهم ، وكانت وظيفة القنصل يتم تجديدها كل ثلاث سنوات وفي أحيان كثيرة كان يوجد أكثر من قنصل مجازي في المركز التجاري الواحد (١٧٤) .

ومن التؤكد أن مجارة الشرق الأدنى خلال الحروب الصليبية قد حظيت بنهضة كبيرة لم تكن لتحلم بها من قبل . وكان التجار الغربيون يجدون في بلاد الشام منتجات الشرق كد على وجه التحديد ، فلم يكونوا مضطرين من أجل الحصول عليها القيام برحلات طويلة إلى قلب المسلمين ، أما بعد الحروب الصليبية والتواجد الصليبي في بلاد الشام أصبح التجار وكأنهم في أوطانهم يستعرون بالمزايا التجارية التي منحها لهم الصليبيون (١٧٥) . وإن كان لبعض يرى أنه ليس للصليبيين في بلاد الشام علاقة بتطور التجارة الأندلسية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر ، واستند في ذلك الرأي إلى أن منتجات الشرق من الحرير والسكر والشرايط وغيرها ، كانت تصل إلى أوروبا قبل الحروب الصليبية (١٧٦) ؛ صحيح أن التاجر الشرقية كانت تصل إلى أوروبا قبل الحروب الصليبية كما يذكر لامونت ولكنها كانت أقل بكثير عما تتدفق على أوروبا بعد الحروب الصليبية حيث نشطت المدن التجارية البندقية وبيزا وجنوة في التنافس على نقل هذه البضائع بكميات هائلة ، فقد أصبح التبادل التجاري في ظل التواجد الصليبي أسهل بالنسبة للتجار الإيطاليين والمسلمين حيث سهل كل فريق منهم كما رأينا مرور التاجر والتجار ومعايشتهم بمعاملة حسنة حتى في ظل المعارك والحروب (١٧٧) .

وإذا انتقلنا إلى المنشآت الصليبية في بلاد الشام ومدى تأثيرها بالمعاصر الإسلامية والبيزنطية التي كانت مرجوة في بلاد الشام ؛ فلابد لنا من الإشارة أولاً إلى القلاع الصليبية التي كانت عليها القيام بعدة وظائف أو مهام ؛ كان أولها المهام الدفاعية ، ومنها ما بنى لغرض الهجوم وأخرى قد بنيت واستخدمت لإحكام السيطرة اللاتينية على مناطق ذات أهمية استراتيجية ، وتحولت إلى مراكز للاستيطان والتطوير الاقتصادي كما استخدمت القلاع أيضاً كمقر ومركز إداري وثكنات للجند (١٧٨) . وكانت القلاع في بلاد الشام مهابة لمقارمة الحصار الذي يفرض عليها وفي نفس الوقت كانت المقر الطبيعي لسيد المنطقة .

وقد احتل الصليبيون القلاع التي كانت تشكل اخدود الشمالية الغربية لبلاد الشام وجنوب أنطاكية في أثناء الحملة الصليبية الأولى (١٧٩) ، وقد منحت القلعة بالنسبة لهم أهمية اقتصادية ربما فانت أهميتها العسكرية ، وذلك نظراً لأن اختلاف طبيعة الحرب في الحملات الصليبية والتي اعتمدت بالدرجة الأولى على شن الغارات والهجمات للقنص على معسكر المسلمين ، لذا كانوا في أشد الحاجة إلى قاعدة مأمونة لمساكنهم الحربية فعدوا إلى إقامة

محصنات مؤقتة يمكنها مراقبة بوابات المدن التي تخرج منها الغارات المتاجرة ، مثلما حدث عند حصار أنطاكية في أكتوبر ١٠٩٧ م ، حين أقام الفرنج برجاً يحميهم خارج بوابة القديس بولس والذي أصبح بعد ذلك حصن مالمجرارد " Malmgrard " والذي تمجدت حاميته غارات المسلمين الفاجحة (١٨٠) ، ثم أقيم معقل ثان في شهر مارس ٩٨٠ م عند بوابة الجسر وثالث خارج بوابة القديس جورج عند السور الجنوبي لأنطاكية (١٨١) ، وكانت هذه المنشآت على هيئة حصن دوير ، وفي أواخر سنة ١٠٠٢ م بنى روبرت سان جيل حصن سان جيل فوق تلة للحجاج مقابل مدينة طرابلس لشن هجومه عليها لإسقاطها (١٨٢) . وكذلك بنى هيو سانت أوسر في سنة ١١٠٧ م قلعة تورون (١٨٣) فوق تل تينين على بعد نحو ثلاثة عشر ميلاً شرقي صور ، لإسقاط مدينة صور . وفي عام ١١١٧ م بنى بلدوين الأول قلعة الإسكندرية على الطريق الساحلي على بعد تسعة أميال من صور بقصد إسقاط صور (١٨٤) . لهذا أمثلة لقلاع بناها الصليبيون بقصد الهجوم . وقد شيد الصليبيون القلاع أيضاً بقصد السيطرة على طرق التجارة ، لشهد بلدوين الأول في أواخر سنة ١١١٥ م حصن الشريك للسيطرة على وادي عربة بإكسليه (١٨٥) ، كما بنى في أيلة على ساحل العقبة قلعة حصينة للتحكم في الطريق البري للتراقل بين مصر والشام في سنة ١١١٦ م (١٨٦) ، وتدخل هذه القلاع ضمن الأغراض الهجومية أيضاً . ويعد سقوط صور قام الصليبيون بناها ، عدة قلاع في الفترة من ١١٣٦ م و ١١٤٩ م في بيت جبرين وتل الصافية وغزة للوقوف في وجه الغارات التي كانت تشنها حامية عسقلان ونجوت إلى أغراض هجومية على مدينة عسقلان نفسها حتى سقطت سنة ١١٥٣ م (١٨٧) . وقد كان لهذه القلاع الجبرية دور آخر غير الهجوم والدفاع فقد حققت تل صافية الظلانية للساحل الريفي ناستروطنت أسر بكاملها إلى جرارها ، مما كان له أثره في زيادة إنتاج الأراضي حولها . وفيما بعد حاول الاستوارية الذين أسند إليهم قلعة بيت جبرين إغرا ، الفرجية بالاستيطان ، وكذلك كان دور قلعة الداروم التي أقامها أمليوك I عموري الأول ، وأصبحت تلك القلاع أداة للفرس اللاتيني في بلاد الشام وأصبحت مناطق آمنة للكثير . ومنت لهم سلطة السيطرة على المقاطعة التي تحيط بها (١٨٨) . وهكذا سعى الصليبيون إلى الاتيلاء على القلاع القائمة بالفعل كما بنوا قلاعاً جديدة في مناطق ممتلكاتهم والمناطق التي تحتاج إلى تأمين أعمال الإدارة والاستعمار ، فإن كانت القلاع قد استخدمت من أجل الدفاع أو الهجوم فإنها في النهاية مرتبطة بالمصالح الإدارية والاقتصادية والاجتماعية (١٨٩) .

وما لا شك فيه أن العمارة الجبرية في بلاد الشام من قلاع وحصون وقت مسيحية الصليبيين إليها كانت أكثر تطوراً وأشد حصانة من القلاع التي عرفوها في أوروبا (١٩٠) . فقد وجد الصليبيون في معظم صوامئ الساحل الشامي حصوناً بيزنطية الطراز حيث مال العرب المسلمون إلى اتباع النماذج البيزنطية ووجدوا أسواراً عربية شيدت قبل وصولهم بدة طولية وكانت قلعة أنطروطوس وجيبيل وديروت وقلعة البحر في صيدا أكبر دليل على ذلك ودرس الصليبيون كل ما صادفوه من العمارة الجبرية وتعلموا منها قدرًا كبيراً وحرصوا في نفس الوقت على أن تكون قلاعهم أكثر متانة وأسهل في الدفاع عنها عما عرفوه في الغرب الأندلس (١٩١) ؛ فاختاروا مواقع قلاعهم في أماكن محصنة طبيعتها ، فوق منحدر عال أو جبل مع زيادة في مسكه الأسوار والأرتفاعات ، وحرصوا أيضاً على اتساع مساحة القلعة لتوفير الحماية لتطعمان الأتعام وللأشنة أثناء الغارات (١٩٢) .

أخذ الصليبيون الكثير من العمارة البيزنطية والعربية ، فاختاروا إلى قلاعهم المداخل والكوى وعرفوا أهمية موضع الأبراج على الأسوار وأضادوا البرج المستدير إلى جانب البرج المربع ، فقد أتاح لهم قوة دفاعية أكبر جمالاً ، مع زيادة في عدد الأبراج الخلفية وقد تغيرت قلاعهم في الشرق بالضخامة وبضع ذلك بشكل خاص في قلاع الاستوارية والدارية حيث تعد قلاعهم في الكرك وعجلب وقلعة الحصن مثلاً عسكرياً تستطيع إيوا ، عدة آلاف من المقاتلين (١٩٣) ، كما استخدم الصليبيون الأسوار الدائرية الزروجة والمزودة بعدد كبير من الأبراج (١٩٤) ، مع موقعها المنيع مناعة طبيعة تزيد من قوة حصانتها وفي القرن الثالث عشر ، حرص الصليبيون على صقل واجهة أسوار قلاعهم حتى لا تتمكن الحركات من الاستقرار عليها ؛ كما أكثروا من استخدام الأسياخ الحديدية فوق الأسوار (١٩٥) ، والمزاعل الخاصة بالرمية والتي اتخذت أشكالاً متعددة مع تقليد المسلمين في فتحات الأبراج المتعرجة بحيث لا يقابل فتحة باب السور الخارجي فتحة باب السور الداخلي كتدبير من التسرية مع استخدام أبواب السر التي عرفها المسلمون (١٩٦) .

وقد وضع القاهر البيزنطي والإسلامي على الرغم من شكل القلاع الأندلسي ، وعمل ذلك الأمر باستخدام عمال وحرفيين محليين ؛ إلى جانب الظروف المناخية والمواد الخام المعروفة والوقت المتوفر لبناء كل هذه العوامل أثرت في طبيعة بناء القلاع الصليبية وأصبح لها طابعها المتأثر بالشرق إلى حد كبير . وقد نقل الصليبيون العائنون إلى أوروبا التصميمات

والأفكار التي تعلموها في الشرق إلى الغرب الأوربي. ووضعت التأثيرات الشرقية في أبنيتهم (١٧٧).

أما بالنسبة للمعمار الدينية مثل الكنائس والأديرة ، فقد حظيت بناحية جمالية في تصميمها ، وزخرفتها ، وأخذوا الكثير من الطرز المعمارية والزخرفية من الشرق مثل الطراز البيزنطي والعربي والتي اكمل تطورها في عصر الخلافة الأموية وما أنصف إليه في العصر العباسي وما اختلف به من فن العمارة الفاطمية الذي تأثر بالفن في شمال إفريقيا ، واستخدم الصليبيون البنائين السوريين والبيزنطيين والأرمن في تشييد وزخرفة هذه الكنائس (١٨٨) . وقد استخدم الصليبيون المواقع والأساسات السابقة مثلما حدث في كنيسة صهيون وأحيانًا يقرمون بتطوير البنى القديمة .

وقد اتخذت كاتهم شكل المستطيل ويقع المزارب في طرفها الشرقي بحيث يدخل في بناء الجدار الخارجي وامتازت بالثانة والصلابة ، فقد استخدموا الأحجار بدلاً من الأختاب لقلتها في الشرق فاستمت كاتهم بالضخامة ، وغلبت البساطة على زخارف الكنائس في القرن الثاني عشر ، واستخدموا أعمدة من الباني القديمة لذلك ظهر تأثير بيزنطي وعبري (١٩١) . وكانت كنيسة القديس بولس في طرطوس أول بناء شبه الصليبيون في سنة ١١٠٤م فجامت على غط الكنائس في شمال فرنسا ؛ ثم أضاف الصليبيون إلى كنيسة المهدي التي شيدها قسطنطين الكبير وأعاد عمارتها جستينان ، أضافوا بناء دبر على النمط القوطي ؛ وأضافوا مبنى إلى المدخل الجنوبي على النمط الروماني لتأخر بمقد مديب وحلية نباتية على تيجان الأعمدة ومن الواضح أنه تأثر عربي إسلامي (١١٠٠) . كما ظهر في أبنيتهم الدينية النباتات الشوكية وأوراق الكروم وتيجان الأعمدة التي على هيئة ناب الكلب . كما استخدم الجص في الزخارف على الطراز البيزنطي والعربي وأيضًا استخدموا الفسيفساء في زخارفهم . وقد نقل الصليبيون هذه التصميمات الشرقية إلى الغرب مع تطويرها ثلاث البينة المحلية (١١٠١) .

بعلل واتسيان سبب وضوح التأثير البيزنطي في الفن المستخدم فيها الفسيفساء والجص في الكنائس ؛ بغبرة تعاون الإمبراطور البيزنطي مانويل مع الصليبيين وذلك لاستمرار الاتصال بين الصليبيين وبين الإمبراطورية البيزنطية طوال القرن الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين وقد تأكد هذا التأثير في قصر أسرة إيلين في بيروت وما تحلى به من فسيفساء .

ورخام (١٠٠٢) . وفي الحقيقة أن هذا الفن كان موجوداً في بلاد الشام التي اختلط فيها الفن البيزنطي بإسقاطات الفن الإسلامي وتطوره بحيث لم يلم ذلك اتصال بيزنطي أو غيره ، إذ كان هو الأسلوب المتبع والفن الذي كان يخلقه عمال وصناع من أهل البلاد المحليين .

وفي القرن الثالث عشر تم تشييد كنيسة القديس أندرياس في عكا ، والتي تعد من أهم الكنائس التي شيدت في القرن الثالث عشر ؛ حيث غلب عليها الطراز القوطي واشتهرت بالارتفاعات الكبيرة على الجانبين ، وكانت مضافة بواسطة المائذ الزجاجية من أعلى النوافذ ، ولم يشق من هذه الكنيسة سوى شرفة المدخل التي نقلها إلى القاهرة السلطان الأشرف خليل بن قلاوون حيث زين بها البيمارستان المشهور ببابه القوطي بجوار مدرسة بين القصرين (١٠٠٣) . وقد وجدت في الكنيسة زخارف مزين بها هيئة أوراق اليرسيم حيث تخرق حلقات صغيرة مستديرة لإزالة وعلى ما يبدو أن هذه الزخارف النهائية إنما ترجع إلى تأثير إسلامي .

ويذكر واتسيان أنه وفي خلال القرن الثالث عشر أخذ الطراز الشرقي الإنجيلي يقترب من الطراز القوطي الفرنسي في جزيرة قبرص تحت حكم أسرة لوزيان ، وحينما استخدم صلاح الدين الأيوبي الصناع من أهل الشام لتضعوا التأثير البيزنطي ماقترب من التأثير الغربي القوطي (١٠٠٦) . على أية حال فإن من الواضح أن بلاد الشام خلال فترة الحروب الصليبية كانت تفتح بالمحرمينات الحربية من الطراز الأول والفنون المعمارية الأخرى والتي ما من شك في أنها أخذت من الشرق الكثير وأضافت إليه ما كان معروفًا في الغرب ونتج عن ذلك تآزر وتطور في فن العمارة الحربية والدينية ، ونقلوا خبرتهم وما تعلموه من المسلمين في بناء التماذج والقلاع والحصون إلى الغرب الأوربي ، إلى جانب ما تعلموه من فنون الحرب وطرق الحصار واستخدام المنجنيق والكتبات الهادمة واستعمال السور للقرصان وخبرتهم وإرسال الرسائل عن طريق الحمام الزاجل (١٠٠٥) .

وإذا انتقلنا للكلام عن طبيعة الحياة الريفية والعلاحة بينهم وبين المسلمين الحاضرين لهم وغير الحاضرين من حكام المناطق التي لم تسقط في أيديهم وأيضًا بين باقي فئات المجتمع الشامي الحاضرين لهم ، فقد كان التعامل معهم ضرورة اقتصادية لأصحاب الإنفاعات ، وقد ولد هذا التعامل الريمي نوعًا من التفاهم خاصة خلال نزوات الحرب مع جيرانهم المسلمين والتي كانت تتطلب حشد جميع قوى الصليبيين ما اضطروهم إلى منع المسلمين من وعابهم وغيرهم من الحاضرين لسلطتهم بعض حقوق الإدارة القائمة فضلًا عن ممارستهم عاداتهم

وتقاليدهم الخاصة وكما سقت الإشارة من قبل كانت الضرورة الاقتصادية وطبيعة الاستيطان وراء هذا التعامل . ولعل ما شاهدته الرحالة ابن جبير في رحلته من دمشق إلى عكا سنة ١١٨٤م / ٥٨٠هـ وما لاحظته وهو في طريقه من حصن تينين وعلى طول الساحل : أن المسلمين كانوا يدفعون للصليبيين نسبة من إنتاجهم السنوي إلى جانب ضريبة الرؤوس وضريبة أشجار الفاكهة . وكبعض عدا ذلك فهم أسبأ في مرثتهم بيهرون شترتهم الخاصة وأرضين عن معبشتم . ويضيف ابن جبير أن كل مدن الساحل الشامى التى يملكها الفرنج كانت على هذا الحال (١٠٦٠) . وكان من الطبيعي أن تسيطر العلاقة بين الصليبيين الحكام والمسلمين المعكرومين على هذا النحو . وذلك لصلحة الصليبيين أنفسهم وليس العكس . ولكن ليس معنى هذا أن المسلمين كانواراضين عن العيش تحت حكم الصليبيين الأجانب وسعيهم يحكم هؤلاء المختصين . فقد أكد لنا المؤرخون المعاصرون أن المسلمين حرصوا على المحافظة على صلاتهم مع الدول الإسلامية المجاورة ، وكانوا يتطلعون إلى اليوم الذى يتخلصون فيه من الحكم الصليبي . وذلك على الرغم من أن بعضهم شغل مناصب هامة فى تلك الكيانات الصليبية نقتة من الصليبيين فيهم . ولعل أكبر دليل على ذلك ما فعله ناضى جبهة نيبيل بن منصور الذى عينه يوهيند الرابع أمير أنطاكية فى منصب وزير شؤون المسلمين فى إمارته ومع ذلك فقد ذهب هو وأصحابه إلى صلاح الدين الأيوبي يدعو لأخذ مدينة جبلة واللاذقية ، وكان أول من رفع أعلام المسلمين فى أسوار مدينة جبلة (١٠٧٠) . ومن الأمثلة الدالة على ذلك أيضاً قصة سليمان ابن داود الذى ولد فى القدس وخدم بعد ذلك الخليفة الفاطمى فى مصر . ثم عاد إلى فلسطين ليصبح طبيباً للملك عمورى وظفقه أبناؤه فى هذا المنصب : بينما أصبح ابن آخر له معلماً للقرومية ومدبراً للأمبر بلمون الذى أصبح فيما بعد بلدوين الرابع : فقد قامت بينهم وبين عيسى أحد مستشارى صلاح الدين وثيقة واسلوا صلاح الدين وانضموا بعد ذلك إلى الأيوبيين وظلوا فى خدمتهم (١٠٨٠) .

وقد قامت علاقات ودية بين حكام صليبيين ومسلمين ليس بغرض سياسى ولكنها كانت علاقات خاصة تميزت بالمعاملة والصداقة ، وأكثرت عمق الروابط بين الجانبين . ويحمل كتاب الاعتبار لأسامنة بن منقذ بالكثير من الأمثلة التى تدل على وجود علاقات وروابط اجتماعية بين المسلمين والصليبيين بلاد الشام واتى كانت أمثلةا تبلغ درجة الصداقة الحميمة (١٠٩٠) .

وقد جرت علاقات طيبة بين المسلمين والصليبيين حتى فى أثناء الحارك . فعين يمل الفرغان القتال كانوا يتبادلون الفكاهة واللذة فى فترات الراحة فإذا انتهت هذه الراحة يعودون للقتال مرة أخرى (١١٠٠) .

وقد أظهر صلاح الدين الأيوبي نفسه كرماً ومودة فى معاملة خصمه وشارو قلب الأعداء . حين أرسل إليه الفاكهة والتج والذوا . أثناء مرضه (١١١٦) . فسا كاد ينقى ريشارد . حتى عارذ القتال مرة أخرى . اعترف كتاب الصليبيين بأن أعظم ما فى العرب هى أخلاقهم وما عرف عنهم من كرم ووفاء (١١٢٦) .

وما لاشك فيه أن الاتصال الحضارى بين المسلمين والأوروبيين من خلال الحروب الصليبية . قد أظهر مدى تقم الشرق وأحضارة العربية الإسلامية ومدى تأخر الغرب والحضارة الأوربية خاصة فى مجال الطب . ويضع ذلك من القصة الشهيرة التى رواها أسامة بن منقذ عن الطبيب المسلم الذى أرسله بنو منقذ لمدلواة بعض مرضى الصليبيين كطلب صاحب حصن الشطرة الصليبي وما رآه من جهل كامل بأسور الطب لديهم إذ لم يحاول الصليبيون تعلم شىء من الطب الحلى . على الرغم من أن استغنى الأنطاكى ترجم عن اللغة العربية ألفا ومائتين وسبع وعشرين رسالة فى الطب (١١٢٦) .

وقدنا المصادر الأصلية المعاصرة بكثير من الأمثلة التى تدل على أن الصليبيين بدلوا طريقة معبشتم فى الشرق لينوا عمراً مع الحياة فى الشرق واستخدموا أطبها . والطباخين والحدم والحرفيين والحمال من أهل البلاد . كما تشير المصادر إلى ارتداء الصليبيين الأزياء الشرقية وتقديمهم المسلمين فى استخدام الزوج الملون على نوافذ قصورهم والفسيفساء على أرضياتها ونافذوات المياه والفسيفيات فى ساحات المنازل . كما استخدموا الرقصات فى أترابهم والتديبات فى أعراسهم . وتعلموا الاستحمام فى الحمامات العربية . واستخدموا الصابون فى التنظيف . كما استخدموا السكر والتوابل فى طعامهم . وألقع الكثير منهم عن أكل لحم الخنزير (١١٤٠) . وبعاً رجع ذلك إلى استقرار الصليبيين فى الأراضى الشامية واختلاطهم بأهالى البلاد . وتزاوج الصليبيين بالمسيحيات الشرقيات من أرمن وعباقبة وسوريان . فأتجروا ما عرف بطهية الأتراخ البرلانيون الذين كان لهم ميل للعيش فى سلام مع المسلمين . وكثيراً ما كانوا يظليون مساعدة المسلمين بدلاً من الصليبيين . فقد كانت معابهم التجارية مرتبطة أكثر بالمسلمين . وقد قلدت هذه الطبقة المسلمين فى ملابسهم . وكانت نساؤهم محجيات . ولم يسخروا باختلاط الرجال مع النساء . كما أدتوا لزواجهم بالذهب إلى الحمامات عدة مرات فى الأسبوع والذهاب إلى الكنيسة مرة واحدة فى السنة . ومع مرور الوقت طلت هذه الطبقة الجديدة محل السابقة وقامت بدورها فى خدمة المجتمع الصليبي فى

على أية حال ، فإن ثقافة الصليبيين في الشرق غلبت عليها الثقافة الغربية ولم تتأثر سوى تافه ضئيلاً بالثقافة الإسلامية المحلية ، فبما عدا الفنون ، أما بالنسبة للغة فقد ظل محصوراً في أهل البلاد لتفرضهم فيه كما سبقت الإشارة ، ولم يحاول المسلمون في نفس الوقت معرفة لغة الصليبيين كما نفهم من إشارات أسامة بن منقذ في ذلك الأمر (١١٢٤) .

ويشمل الإنتاج الأدبي للصليبيين أولاً ، في أخباريات والتاريخ وكلها باستثناء ، كتابات ولیم الصوري والتذييل عليه الذي ألفه إرنول مؤلفات ألفها رجال نشأوا بالغرب وكتبوا على نسق الكتابة التاريخية في الغرب . وثانياً : المحصلة الضخمة من المؤلفات القانونية والمصنعة في مجموعة التشريعات القانونية والتي اهتم بها الصليبيون وحرصوا فيها على تدوين أحكامهم القضائية ونظمهم السبائية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية بشكل يماثل ما كان يوجد بالغرب مع تطويعه حسب حاجتهم الضرورية لمبشمتهم في الشرق (١١٢٥) .

وفي القرن الثالث عشر حل محل هذه التشريعات مجموعة أخرى من القوانين عرف منها أربعة مؤلفات ، أولها كتاب فيليب دي نافار الذي تناوله فيه قانون الإقطاع وثانيها كتاب حنا دي إيلين كورت بافا وهو صورة من كتاب فيليب دي نافار ، وثالثها كتاب الملك الخاص بهلاج السلطة الملكية وسلطان بعض الأمراء ، ورابعها كتاب نشأة البورجوازية وتتناول القانون المدني (١١٢٦) .

أما الإنتاج الأخير فيتمثل في الشعر القرمي العاطفي الذي وصف أدق الأحاسيس والمشاعر في قصص البطولات والمعارك ، ووصف شعر العصور الوسطى بأنه كان ابتداعاً صليبياً أظهر التعصب الديني وحكى الكثير عن البطولات الحربية وشعور الشرق . وقد توجد مع الحسلان الصليبية الكثير من الشعراء والفنانيين وأصبح جودة ترمي ذوق اللورين بطلاً أسطورياً ، تناولت القصائد سيرته وسيرة أبناؤه . ومعظم هذه الأشعار قد أقيمت في الغرب وتضمنت بها القرب ومن أمثلتها أشعرة بيت المقدس Chanson de Jerusalem وأشعرة أنطاكية Anitche Chanson d'Antioche والوحيدة التي أقيمت في الشرق هي أشعرة الحقرام Chanson de Chetifs وكتبها مؤلف مجهول تلبية لرغبة ريموند دي براتيه أمير أنطاكية ولم تكمل هذه الأشعرة حتى وافته الشهية في سنة ١١٤٩م ، وتتعلق الأشعرة بمعاصر أنطاكية وتروي قصصاً تاريخية بعيدة عن الدقة عما يشير إلى أن مؤلفها قد قدم حديثاً إلى الشرق الأخرى (١١٢٨) .

بلاد الشام (١١١٥) . أما بالنسبة للمسلمين فلم يتم بينهم وبين الصليبيين عقد زيجات إلا فيما ندر وربما رجع ذلك إلى اعتزاز المسلمين بدينهم وتراثهم وأنهم كانوا يشعرون في قرارة أنفسهم أنهم أرقى حضارة من الصليبيين (١١١٦) .

أما من ناحية النشاط الفكري بين المسلمين والصليبيين ببلاد الشام ، فإن طبيعة المجتمع الصليبي الذي كان يتألف من الجنود والتجار لم يكن صالحاً لإقامة مستوى فكري رفيع . وإن كان قد عرف عن بعض الأمراء ، والنبلاء ، جهل للثقافة والأدب وخاصة التأريخ ، فقد كان بلاديين الأول قصفاً في شيابه وعرف عن بلاديين الثالث وعموري الأول جهلها للثقافة ونسب فروج المعرقة ، وقد كان عموري الأول هو الذي طلب من ولیم الصوري كتابة تاريخ الصليبيين في الشرق (١١٢٧) . كما عرف عن سبط نينين إجادته التامة للغة العربية . وكان حنا دي إيلين نموذجاً لأخير صليبي منحضر من الجيل الثاني ورابعاً للفنون مهتماً بالأدب والقانون (١١٢٨) .

وقد فرضت الحياة السياسية والاجتماعية على الأمراء والنبلاء الصليبيين تعلم اللغة العربية حتى يسهل عليهم التعامل مع المسلمين وتنظيم الإدارة والتجارة ، هذا علاوة على أن طبقة البولنديين كانت على دراية باللغة العربية . وكان المؤلف ولیم الصوري على معرفة تامة باللغة العربية واليونانية واللاتينية . وعلى الرغم من ذلك فقد توجه في صباه إلى فرنسا لكي يتعلم . وقد ألف ولیم الصوري كتاباً عن تاريخ الشرق والغرب يبدأ بظهور الإسلام وحتى عصره ، وتناول فيه الحديث عن الرسول الكريم محمد ﷺ وأمراء الشرق كلهم واعتمد فيه على المصادر العربية واليونانية ، ولكن هذا الكتاب قد لم يبق منه سوى ما نقله مؤرخو القرن الثالث عشر (١١٢٩) .

وقد درس هير - كورت طرابلس - الذي كان وصياً على ملك بيت المقدس عام ١١٧٤م اللغة العربية ودرس أساليب المسلمين وذلك في فترة أجرة في حلب منذ عام ١١٦٥م (١٢٠) . وبالتل كان رينالد سيداً محبها للعلم والدراسة وشغف بشكل خاص بالأدب العربية وكان مطلقاً على بعض التواريخ والأحاديث ، فقد كان لديه مسلم يقرأ له ويغفمه ما غرض عليه (١٢١) .

وكان كتاب الديوان بكثرت باللغة العربية ويتكلمون بها ، كما كان بعض الرهبان يعرفون اللغة العربية (١٢٢) . وقد اهتم جاك دي فيتري أسقف هكا بما كان سائقاً صوله من علوم وتضح هذا من وصفه للأراضي المقدسة واستخدامه النظريات المحلية عن الزلازل ، غير أنه لم يشير إلى مصدر مادته التي استقاها من الجغرافيين المسلمين والمسيحيين (١٢٣) .

وقد أدخل بعض المؤرخين مثل فيليب دي نوفار Philippe de Navarre المسياسي والمؤرخ والمُشرع في تاريخه ضمراً من نظمه امتياز بالحبسية ، وقد نظم شعره بالفرنسية على الرغم من أصله الإيطالي ، ويعتبر أحد رواد الثقافة الفرنسية في الشرق ، وكيليب ناتيل الذي أسر في القاهرة ونظم قصائده عن وطنه (فرنسا) ، غير نبيها عن أحاسيسه ومشاعره في الأسر وحينه إلى وطنه (١١٢٩) ، ومن الأغانى التي انتشرت في عصر الحروب الصليبية الأولى أشعرة رولان Chanson de Roland التي أظهرت شارلمان في ثوبه الصليبي الذي قام بحرب دينية مقدسة ضد مسلمي الأندلس ، وقد دوت هذه الأغنية باللغة الفرنسية الناشئة في أسلوب جميل ، واستغلها رجال الدين في الدعوة للحروب الصليبية ، وعلى ما يبدو أن هذه الأغانى كانت نوعاً من الدعاية الدينية في العصور الوسطى اتخذت شكل اللاحم (١١٢٠) .

وعلى كل حال فلم يتم إنشاء مراكز فكرية للصليبيين في بلاد الشام يوماً يرجع ذلك لخالة علم الاستقراء ، ومن الممكن أن يكون هذا سبباً لعدم تفاعل الثقافتين الإسلامية واللاتينية وقاء ثقافة الفرنج مستوردة من الغرب ، إلا أن هذا لم يمنع انتقال الأفكار العلمية والفلسفية العربية إلى أوروبا عن طريق بعض العلماء الذين زاروا بلاد الشام زمن الحروب الصليبية ، أمثال أدالار الباثي Adalard of Bath الذي درس علوم العرب كعلم الفلك والهندسة وزار كل من مصر وآسيا الصغرى في النصف الأول من القرن الثاني عشر (١١٣١) ، وليرنارد فيبوناشي Leonardo Fibonacci الذي زار مصر والشام وهو أول مسيحي انتغل بعلم الجبر وكان مصاصراً لفرديريك الثاني (١١٩٨ - ١٢٥٠م) وقدم بحشه في الأعمد المرعبة إلى فرديريك (١١٣٤) .

أما على الصعيد الإسلامي فقد تردد كثيراً أن عصر الحروب الصليبية قد اعجاز بالفتور الفكرى في بلاد المشرق الإسلامي ، وعلى الرغم من هذه القوة فقد كان هناك أدب خاص بفترة الحروب الصليبية أو كرد فعل للوجود الصليبي في بلاد الشام ، فقد أحدثت الفايح البشرية البشعة في بيت المقدس وياتى الأماكن التي استولى عليها الصليبيون ، هزات قوية بين الشعراء الذين أنشدوا القصائد في ديوان الخلافة العباسية ومن هذه القصائد ، قصيدة أسى المظفر الأسيودي والتي أوردها ابن الأثير في كتابه (١١٣٣) ، وكثرت القصائد التي تندد بأفعال الفرنج وتقايس القرى الإسلامية من خلافة عباسية وخلافة فاطمية عن المسير لتجدة المسلمين وإخراج الصليبيين وطردهم .

ويعد ظهور الأتراك عماد الدين زنكى وتوالى انتصاراته أفضل عليه الشعراء بتفنون بهذه الانتصارات ، وحفظ لنا كتاب الروضتين غايح من هذه الأتصار التي تجسد عماد الدين زنكى وانتصاره (١١٢٤) ، وعندما خلفه نور الدين محمود واستطاع تكوين جبهة إسلامية موحدة ، قام شعراء المظفكان ابن القسراتى وابن منير بنظم الشعر ليشبها المسلماس في نفوس المسلمين (١١٣٥) ، وعندما انتهى الجهاد إلى صلاح الدين الأيوبي ، وكتب له النصر وطرد الصليبيين من بيت المقدس ، سجل الشعر عراطف المسلمين التي بلغت ذروتها وأشدت هزائنها (١١٣٦) ، وعلى عهد خلفاء صلاح الدين وما اتبع من سياسة السلم والتخريط في بيت القدس ، قام الشعر بديرة في تصوير مشاعر الناس الحزينة وبكائهم على بيت المقدس ، وقد جاء الشعر حاداً معبراً بروعنه وحدته وبعث لإيقظ عن الشعر الذي قيل في مناسبات مفرحة (١١٣٧) .

وقد تبع النثر الشعر في هذا المضمار ولكنه استغرق وقتاً في إجهاء أكثر من الوقت الذي استغرقه الشعر بطيئة الحال ، فكانت الكتابة التاريخية والتاريخ من عمل أرسقراطية أدبية لها حريتها في التعبير عن مشاعر الناس وكتابة الأحداث التاريخية ؛ فكان يقوم بالانتغال بهذا النوع من الكتابة الرزوا ، والكتاب ممن كانوا يسهمون في تدبير سياسة الدولة وكان لهم ضلع كبير في الحروب الصليبية ، فمنهم نرى رسائل القاضي الفاضل وكتبات العماد الأصغرهاني وابن الأثير ، ومحمى الدين بن عبد الظاهر وابن القلاسى وابن منقذ وغيرهم كثيرين ممن تناولت كتاباتهم تاريخ الحروب الصليبية بين المسلمين والصليبيين وأمدتنا بإداة كثيرة ودقيقة عن الوقائع والحروب والمعاهدات والاتفاقيات السلية والهنن (١١٣٨) .

ولعل أهم سمات الثقافة الإسلامية على عصر الحروب الصليبية أنها كانت ثقافة دينية والتي أفاد الأدب منها كثيراً ، فامتاز بصفات القوة والصدق في العاطفة وغلب على الكتابة كثيرة استخدام السجع والمحسنات اللفظية ، وقد انتشرت في كتابة التاريخ وفي الخطابة ، يوماً كان لهذا الفن أثر في الناحية المعنوية والمادية للمسلمين وحروبهم مع الصليبيين لاسترواده أراضيههم ، وتستطيع القول بأن الأدباء والكتاب قد شاركوا في هذه الحروب بأقلامهم وأفعالهم وصدقهم وإيمانهم ، وقد تكون مشاركتهم هذه لا تقل في قوتها وخطرها عما كان يقوم به الجنود والمقاتلين بسيفوفهم في الميدان (١١٣٩) .

الهوامش :

- ١ - سعيد عاشور : لغزراء جديدة على الحروب الصليبية ، تدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٤ م .
ص : ٨١ : راجع أيضاً : تاريخ الحروب الصليبية ، الترجمة العربية ، طبعة ثانية بدون
تاريخ ج ٢ ، ص ٥٩٩ . إذ يتركز على أنه لم يكن بين المسيحية والإسلام نزاع صريح طوال تلك
الفترة ، لطالما حجب هذا النزاع أمورا أكثر أهمية مثل الأهلية للاقتصادية التي دفعت الترويج إلى
إقامة علاقات صداقة مع جيورنهم المسلمين . راجع :

Grousset: (R) Histoire des croisades et du Royaume Franc de Jerusalem, 3 Vol, Paris 1948,
Vol I, pp. 287 - 288 .

فهر يرى أنه خلال الربع الأول من القرن العاشر تأسست فرنسا جديدة في الشرق واستطاعت أن تروسي
فراعدها في بيئة محلية بسرعة وحيوية منغلقة . وأن السياسة لم تكن وحدها السبب في ذلك بل
نتيجة للدلائل الوردية التي كانت تقوم بين الحكام اللاتين والمسلمين - وقد استشهد بحروية بأمانة
كثيرة من كتاب أسامة بن منقذ للدليل على أقواله .

٢ - راجع عقد الآراء - على سبيل المثال في كل من :

Madelin, L. I. L'Empire latin d'Orient, de la Syrie au Ruim, Paris, 1981, pp 2-3; Rey, L.E.G.
Les colonies franque de Syrie au XII^e et XIII^e Siecles, Paris, 1883, pp. 4-74 .

٣ - راجع عن أصحاب هذا الرأي :

Chiffoi: C: Indigenes et Croises, in Syria, XV, 1934, (351-60) p. 359; BEUGNOT: Memoire
sur le regime des terres dans les principautés fondées en Syrie par les Francs a la Suite des
Croisades, in Bibliothèque de L'Ecole des etudes, Ser. 3, IV (1953) 529 - 45; Y(1854) 31
- 57, 226 - 62, 406 - 20 in .

٤ - س . سبيل : فن الحروب والقنائل عند الصليبيين في القرن الثاني عشر (١١٩٣-١١٩٧) ترجمة
العبد الركن محمد وليد الجلال . غلاس للدراسات والترجمة والنشر ، دمشق ١٩٨٥ م ، ص ١٠٥ .

٥ - سكت القبائل العربية بلاد الشام منذ الفتحوات الإسلامية وقبلها - ولم أراهم القرن الحادي عشر
الميلادي أوائل الخامس الهجري طراوت تغيرات على القبائل العربية كان من نتيجتها طرح معظم
القبائل إلى محاذرة إقامة حكم مستقر في أجزاء من بلاد الشام ، مع إهمال النزعة العنصرية واحلال
روح التفاهم بين عناصره . ومن أهم الإمارات التي قامت في بلاد الشام بإمارة مرداس ويتسبون إلى
بني كلاب والإمارة الثانية إمارة بني عمار في طرابلس وأصحاب الإمارة الثالثة هم بنو منقذ في
شيزو هذا غير القبائل المنسبة إلى بني طرس . وبني كلب والتتوفيين والشهبانيين والعقبيين ، أتيد من
المعلومات عن القبائل العربية . راجع : القلقشندي (شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علي أ :

وقد أنشأت بعض الكلمات والمصطلحات العربية إلى اللغات الغربية إلا أننا لا يمكننا
التأكد من أن هذه الكلمات التي أنشأت قد نتجت من اتصال الصليبيين بالمسلمين في الشرق
الإسلامي . حقيقة أن هناك بعض الكلمات التي تؤكد أصلها الشرقي ولكن ينبغي ألا ننسى
المعابر الحضارية الأخرى في صقلية وكريت وأسيانيا (١١٤٠) .

وإذا كان نظرة المسلمين إلى الصليبيين نظرة فيها الكثير من الازدراء ، ما جعلهم يعتبرون
ثقافة الصليبيين وحياتهم أقل منزلة وأقل شأنًا من الحضارة الإسلامية ، ويتضح ذلك من
كتابات المؤرخين الماصرين (الذين اعتبروا الصليبيين أهل كفر والحاد واحتقروا كثيرا) من
عاداتهم وثقافتهم ووصفوها بالناخر وانحفاء . وإذا كانت هذه النظرة سببًا لعدم تلاقي
واستزاج الثقافة العربية مع ثقافة الصليبيين الغربيين على الرغم من الدة الطويلة التي مكثها
الصليبيون في بلاد الشام والتي تروى على القرنين من الزمان . وقد أدرك الصليبيون من
جانهم أن المسلمين أهل كتاب وحضارة تفوق حضارتهم وتبدلت مفاهيمهم تجاه المسلمين وزال
التعصب الديني وحل محله الاختلاط زمن السلم (١١٤٦) . والواقع أن اتصال القرنجة مع شعوب
الشرق أصحاب الديانات المرفقة ، فتح أعين الغربيين على حقيقة أنه من الممكن أن توجد
شعوب ذكية وحضارة متفوقة على حضارة أوروبا الإقطاعية ، ومن الممكن القول بأن التجارة
ساعدت كثيرا على وجود التسامح وتبدل التعصب (١١٤٦) .

ولهل تصرفات الإمبراطور فردريك الثاني إمبراطور ألمانيا وصقلية أكبر دليل على تطود
الفاهيم الصليبية والإسلامية في تلك الفترة . وما لا شك فيه أن التأثيرات الحضارية المتبادلة
بين المسلمين والصليبيين قد أضادت الكثير من المعارف لكل من الطرفين .

Chalcondreop (17). Histoire de la première croisade jusqu'à l'election de Godefroi de Bouillon. Paris, 1962. pp. 294-85.

هم المسجون الروم فقد كانت لهم عسبة في بلاد الشام منهم من يرجع إلى أصل ميثري وهم مرتبطون بالتقاليد الميثريانية ويقال عليهم تسمية الروم الأرثوذكس وكانوا أيضا فئات للمسيحيين الشرقيين إلى الصليبيين بسبب الحرف من تأمرهم ضد الصليبيين وقد استنظام الصليبيين لهارتهم اليومية وتعاملم بالأعمال الخفية التي أتقها الصليبيون من القيام بها . راجع : سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد العربي في العصر الوسيط . ط. ثالث ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٧٨ . م . ١ ، ص . ٤٨٠ .

١٠ - اليمانية من أصل سورياني اعتنقوا الذهب المونوفيزيتي (الطبيعة الواحدة) ويؤمنون بالمعصر الرئيسي بين الطوائف المسيحية الشرقية وبلاد الشام . راجع : Caillet, in Syrie du Nord, pp. 191-192.

١١ - النساطرة مسيحيون شرقيون ينتمون إلى أصل سرياني مثل اليمانية ولكنهم يختلفون عنهم في تفسير طبيعة السيد المسيح عليه السلام فهم يبدون أن الطبيعة الإلهية والبشرية ظلتا متفصلتين في صرح المسيح . وأعدادهم أقل في بلاد الشام ومركزهم الرئيسي في أنشور والمراق . وكان لهم في بيت المقدس رئيس أساقفة يتبع مقر البطريرك الكاثوليكوس الخاص بهم في بغداد وهم يعيشون في طرابلس وعكا وبيروت وجبل راجع : Grousset : Histoire des Croisades. T.I. P. 313.

١٢ - الموارنة معارون أبناء من السريان اعتنقوا الديانة المسيحية منذ البداية وجذبهم القديس مارون بزهدة غالطرا حول في دير القديس مارون القوي شيده على ضفاف نهر العاصي فيمى أقامية . وقد تواجدوا في معرة النعمان وشيزر وحماه وحصى وشح وقسرين في القرن العاشر . وقد منط لفترة الحروب الصليبية للمصر الذهبي للموارنة فكانوا أعين حلالا ويقضون على جميع الطوائف .

راجع : فلهب حتى . لبنان في التاريخ . ترجمة د . أنيس فرحمة ، مراجعة د . نقولا زيادة ، بيروت ١٩٥٩ م . ص . ٢٩٢ .

١٣ - انتشر الأرمن في إقليم فليقية جنوب شرق آسيا الصغرى وبأنشروا أيضا في الرها وفي أرياض تلط بالمر وسنال سوريا في أنطاكية والألفية وزراع وأقامية . وقد وصب الأرمن بالصليبيين منذ مجيئهم إلى أرض الشام . وهم معارون أبناء ، استخدموا لغتهم الأرمينية . وقد عرفت كنيسة الأرمن كنيسة أرمينية رينزطة من جانب الكنيسة اللاتينية من جانب آخر . وقد عرفت كنيسة الأرمن باسم الكنيسة المبرجسوية . راجع : Grousset, pp. 110-112. Cahen, in Syrie du Nord, pp. 191-192. L'empire du Levant. Paris, 1946, p. 311.

صبح الأقبس في صناعة الإنشا . ط. الجزء ١٤ . القاهرة ١٩١٣ م . ص . ٣١٨ - ٣٤٠ - ٣٤١ . ص ٣١٦ . ج ٤ ص ٢٣٦ - ٢٣٢ : محمد كبري على ، خطط الشام . ٦ أجزاء . دمشق ١٩٢٥ . ١٩٢٨ ج ١ ص ٣١٨ . ج ٢ . ص ٢٠ - ٢١ : محمد محمد مرص الشيخ ، الإمارات العربية في بلاد الشام في القرنين العاشر والثاني عشر الميلاديين . ط. أولى . الهيئة العامة للكتاب . ١٩٨٠ م . ص ٦٦ - ٦٧ - ١٩١ - ١٩١ . ٢٠٣ وصفحات أخرى منفردة .

٥ - هاجرت القبائل التركية في الفترة من القرن الثاني الهجري - القرن الرابع الهجري من أقصى إقليم تركستان إلى الغرب واستقرت في إقليم ماوراء النهر وخراسان ، وكانت هجرتهم بسبب سوء الأحوال الاقتصادية أو بسبب التناحر بين القبائل ، ومنهم السلاجقة الذين استقروا في بلاد ما وراء النهر ونسبوا إلى جدهم سلجوق واعتنقوا الإسلام علىذهب السني . ثم دخلوا إلى إقليم بخارى واستولى زعيمهم طغرل بك على نيسابور عاصمة خراسان ٣٨٠ م (٤٢٨ هـ) وكانوا قوماً أشداء متعصبين لقبولهم السني . راجع : ابن الأثير (أبو الحسن عز الدين علي ... الشيباني الجزيري) : الكامل في التاريخ . ١٢ جزء . ط . أولى . المطبعة الأزهرية المصرية ، القاهرة ١٣٠١ هـ . ج ١ . ص ١٩٦ - ٢٠١ . صر الدين علي الحسني : أخبار المرأة السلجوقية . أعنتي بخصيعة محمد إقبال . دار الإقانة الجديدة ، بيروت . ط . أولى ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٤ م . ص ٤٩ - ٥١ .

٦ - يرجع أصلهم إلى قبيلة من الأتراك عاشوا في المنطقة بين بحر الخزر وقرجسجون ، ثم انتقلت جحرج منهم غرباً لتستقروا في تونسية ولصيرية وسانفرسا وشمال الشام . راجع : دائرة المعارف الإسلامية . مادة الأتراك .

٧ - هم قوم أشقاء أغلبهم أهل بدارة وخنزيرة ومكانهم في الغالب في كورستان وأرمينيا وأعلى العراق كالروصل وديار بكر . وقد عاشوا في الشام منذ القسم في شكل جماعات وأقوام دخل وسكن بعضهم المن ولاسيما الجهات الشمالية من الشام . ويطلق الأكراد وصفات الشجاعة والنجدة . راجع : جودهي زيان : تاريخ الصفد الإسلامي . القاهرة ١٩٤٧ م . ج ٤ . ص ٢٠٣ : أحمد أمين زكي : ظهور الإسلام . القاهرة ١٩٤٥ م . ج ١ . ص ٣٦ .

٨ - يقصد بالطوائف القنعية الشيعة من الإسماعيلية والديوز والتسوية وغيرهم . المزيد من المعلومات عن هذه الطوائف راجع : الشهرستاني (محمد عبد الكريم) كتاب الملل والنحل . ٣ أجزاء . القاهرة ١٣٦٨ هـ / ١٩٤٠ م . ج ١ . ص ١٣٧ - ١٤٥ - ٢٢٤ - ٢٢٥ : القلقشندي ، صبح الأعشى . ج ١٣ . ص ٢٧ : عبد الله عثمان ، تلويح الجصيات السرية والحركات الهامة . القاهرة ١٩٢٦ م . ص ٧٧ .

٩ - عاش المسيحيون الشرقيون في جانب المسلمين في ظل الدولة العربية الإسلامية وانتموا بتوسط واتر من التصامح الدين التي مرف به الدين الإسلامي فمارسوا طقوسهم في مكانهم بحرية تامة وقد نظر إليهم الصليبيون على أنهم مشركين على الكنيسة الكاثوليكية وبلغدين . راجع :

١٩ - ففعلت الحروب الصليبية الباب لفسرات الأتراك من الأتراك الذين تركوا أراضيهم للانتزاع في الحروب الصليبية ، وقد دفعهم إلى ذلك الأمل في حياة أفضل من حياة القل في الغرب الأدنى ، وقد قاسى العبيد والأتراك الكثير من الإجحاف والظلم بسبب تصف الصليبيين وجورهم . وقد نصت قوانين ملكة بيت المقدس على أن العبيد والنلاحين والأسرى كانوا ممنوعين لتأتون البيع والشراء . راجع ،

Riethard: Le Royaume Latin de Jerusalem. Paris, 1953 p. 122.

سعيد عاشور : الحركة الصليبية . ج ١ . ص ٤٨٢ - ٤٨٣ .

٢٠ - Le Mont, l'Égypte Méroïtique, in the Latin Kingdom of Jerusalem, 1100 to 1291. Cambridge, Prentice-Hall, 1953, pp. 171-83; Roy, *Crusades*, pp. 257-66; Chalaudon, *Préhistoire*, pp. 346-59; See Chen, *Syrie du Nord*, pp. 465-71.

٢١ - Cahen, C. *Indigènes et Croisés*, in *Syria*, XV 1934, 351-60, p. 359.

٢٢ - راجع : سبيل : المرجع السابق . ص ١٠٥ - ١٠٦ .

٢٣ - لا يستطيع أحد أن ينكر أهمية العامل الاقتصادي في تحريك الحروب الصليبية فكثير من القرنين والجماعات والأفراد الذين أيوا تلك الحركة وشاركوا فيها لم يفعلوا ذلك لخدمة الصليب وحرب المسلمين ولكن كان ذلك جزءاً من ذلك - المال والثروة وإقامة إمبراطوريات ومراكز ثابتة لهم في قلب الوطن العربي . بقية استغلال موارد - راجع : سعيد عاشور : الحركة الصليبية . ج ١ . ص ٣٤ - ٣٧ ؛ ف . هاید : تاريخ البحار في الشرق الأدنى في العصور الوسطى ، ٤ أجزاء ، ترجمة أحمد محمد رضا ، مراجعة وتقديم د . عز الدين فزوه ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٨٥ م ، ج ١ ، ص ١٤٤ - ١٤٨ . قاموس عميد فاسم : الحظية الأيديولوجية للحروب الصليبية . ص ١٠٠ - ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١٠٦ .

٢٤ - قارن :

Thompson, J.V. *Economic and Social History of the Middle Ages*, 2 Vols. London, 1959, Vol. I, p. 302.

٢٥ - عرض الصليبيين خاصة القوي الإيطالية على قطع التجارة بين موافق ، فسلطن الإسلاميه وعصر ما ترتب عليه إضعاف المدن وسقوطها في يد الصليبيين . راجع : سعيد عاشور : شخصية القولة الفاطمية في الحركة الصليبية . مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية . مجلد ١٦ لسنة ١٩٦٩ . ص ٣٥ .

٢٦ - محمد جودفردي دي براون يسبح بمرور قوافل عربية محملة بالبخاخ عبر أراضي ملكة بيت المقدس ويقل معها كثيراً في تحويل جو كبير من هذا التاجر إلى ميناء الملكة (بانكا) . راجع :

Albert of Aix, *Historia Hierosolymitana*, in R.H.C. Occ., Vol. IV, p. 510.

سعيد عاشور : الحركة الصليبية . ج ١ . ص ٢٥٦ ، ٢٥٧ .

١٤ - عاش اليهود خلال العصور الوسطى في كنف المسلمين الذين استناروا معاملتهم وسهروا لهم بحرية العبادة . وقد كره الصليبيون اليهود وتعرضوا للمضايق في بيت المقدس عندما استولى عليها الصليبيون ، وقاموا بحرق مبيدوم الكسب وقضى اليهود مصرعهم محترقون ، ومن خلال رحلة بيلامين الصليبي نستطيع أن نعرف أممالي اليهود وأعدادهم في القرن الثاني عشر في بلاد الشام وعلى أية حال فقد عاش اليهود متحررين في أحياء خاصة بهم وكانوا في وضع أفضل من المسلمين فلم يكرهوا ملابهم وأراضي احتكروا صناعة الألبان وطارها خاصة في صيد وتم يتحسن وضع اليهود إلا بعد استرداد بيت المقدس على يد صلاح الدين الأيوبي الذي سمح لهم بتحويل المدينة .

Rubinton (A.S.) *Histoire de la Palestine*, Paris, 1932, pp. 197-198.

١٥ - الحروب الصليبية . ج ٢ . ص ١٩٦ - ١٩٧ .

والصامريون : فرقة من اليهود اشتدت سبب خلافات طائفية وعقائدية هم عقيدة التوحيد اليهودية ، وهم من الناحية العرقية بقية القبائل من أشد وقادس ، وثالمن هي مدنهم وضاروسين بعضهم الهنض ولذلك يفترضون ، ويتكلمون العربية بلهجة نابلص العاصمة وقيل منهم على معرفة باللغة العبرية لكنها قليلة ومختلف عن لغة اليهود وإن كانت تنفس نفس الأصل . راجع : محمد كرو على : خطط الشام ، ج ٣ ، ص ٢٢٢ - .

١٦ - لم يزد عددهم في ملكة بيت المقدس من ألف من الرجال . ومثلهم من النساء والأطفال ومثل ذلك العدد في إراضي الرها وأنطاكية وطرابلس مجتسعين - وقد عاش الصليبيون من نفس شبيد في العدد بسبب الحروب وفترة الوباء من الغرب . راجع سعيد عاشور : الحركة الصليبية . ص ٤٧٨ - ٤٧٩ .

١٧ - طبقة عامة الممارين من الصليبيين لا يتسبون إلى الفرانك النبلاء وكانوا يؤمنون فرق الشاة في الجيش الصليبي . وبعد استقرارهم في بلاد الشام تودجوا من مصيحات ثريات وبخاصة الأيمن مما أدى إلى ظهور طبقة الأثراخ Palkani قرب منتصف القرن الثاني عشر . سعيد عاشور : نفس المرجع . ص ٤٧٩ .

١٨ - كانوا نتاج التزاوج بين الصليبيين الغربيين والمسيحيين الشرقيين المحليين من أرمن وسريان وتعود الزمن حالت هذه الطبقة للمسلمين وولدت نسلهم نساء المسلمين المعجبات وذهبن للمسامات راجع : 314 . 316 . Grousset : L'empire du Levant pp. 314 . 316 .

١٩ - شكلوا طبقة مميزة في بيت المقدس وهم في الأصل من العامة الذين اشتركوا في الحرب الصليبية برفقة البارونات وأيضاً من الأديبين الذين قدموا إلى بلاد الشام بهدف التجارة . وقد امتدوا في المدن الساحلية وانضم نشاطهم على إقامة الدكاكين وصناعة السلع اللازمة للاستهلاك المحلي وقد احتلت مكانة أسمى من السكان الوطنيين راجع : راسيمان ، ج ٣ ، ص ١١٦ .

Lamb, H. : *The Crusades The Name of Saladin*, London, 1931, p. 135.

Grousset, *Hist. des Croisades*, I, P. 213. - ٢٤
 ٢٥ - رولم الصوري، الحروب الصليبية، ٤ أجزاء، ترجمة د. حسن عيسى القاهرة، ١٩٩٤ - ١٩٩٤ ج ٢، ص ٣١٧.
 ٢٦ - فوشيه دي شارتر (فوشيه الشارترى)، تاريخ الحملة إلى القدس، ترجمة د. زيادة الصبلي، دار الشروق، عسقلان الأردن، ١٩٩٠م، ص ١٦٣، ولهم الصوري : المصدر السابق، ج ١، ص ٣٢٩ - ٣٣٠.

ملكت بلديون الأول في أبريل سنة ١١٦٨م وهو أول من فكر بتدبير في الاستيلاء على مصر لتدعيم السلطنة من جهة والانتفاع بشركة مصر من جهة أخرى .

٢٧ - هو بلديون دي بروه لسيبر الزها عم الملك بلديون الأول واعتلى بلديون عرش بيت المقدس بعد موت بلديون الأول ، فقد وصل إلى مدينة بيت المقدس المشاور مع الملك طيبارة الأماكن القنصة وفي نفس اليوم مات الملك بلديون الأول لتولى العرش من بعده تحت اسم بلديون الثاني (١١٦٨م - ١١٦٣م) .
 راجع : فوشيه دي شارتر ، تاريخ الحملة ، ص ١٨٥ : محمد محمد الشيخ : عصر الحروب الصليبية في الشرق ، الإسكندرية ، ١٩٩٧م ، ص ٢٠١ .

٢٨ - راجع فوشيه ، المصدر السابق ، ص ١٨٩ . : 41 - 540 pp. T.I. Grousset, op. cit.

٢٩ - فوشيه : المصدر نفسه والصيغة نفسها : ولهم الصوري : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٣٦ :

Grousset, op. cit., T.I, pp. 540 - 41 :

محمد محمد الشيخ : المرجع السابق ، ص ٢٠٢ .

Grousset, op. cit., T.I, pp. 540 - 41 .

٣١ - ف . هايد ، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى من العصور الوسطى ، ج ١ ، ص ١٨٥ .

٣٢ - رانسبان ، المرجع السابق ، ص ٣٧ - ٣٧١ .

٣٣ - ميلستد أرملة الملك فريك والوصية على ابنها القاصر بلديون الثالث أرادت الانتفاضة من الحملة الثانية لتحقيق ترميمها في الجنوب راجع : ولهم الصوري : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٢٩٢ :

Stevenson: W.B, *the Crusades in the East*, Beirut 1968, p. 150 .

٣٤ - نعيم زكي : طرق التجارة الدولية ومطاميرها في أوائل العصور الوسطى . ص ١٤٦ . أصدر سلاح الدين الأيوبي أولمو، إلى أخيه العادل الذي أهد لسطولا قريبا وأسند قيادته بحمام الدين لؤلؤ وأعطى تلك المعازلة ، راجع : سبط بن الحمدي (أبو الظفر بن تهورظلي) مرآة الزمان ، الجزء الثامن ، جسر آباد سنة ١٩٥١م ، ج ٨ ، ص ٣٦٩ .

٣٥ - كانت شعوب غروب آسيا تقدم جزء من إنتاجها وتحويلها من بيع المعصون إلى جياة الضرائب أو اللان ، وكانت الحكومات تمنح لروا من الأفراد حق امتناع بملكية ، أو امتياز إدارة منطقة مقابل مبلغ سنوي يدفع لبيت المال ، وقد اتبع هذا النظام غالبا للمستوطنين حتى جرت العادة في النصف الثاني من القرن الحادي عشر على تقليص المقاطعات مقابل خدماتهم الإقطاعية وكان ذلك عرقا شاميا للإدارة السالطونية آنذاك . راجع :

Calvin , *Syrie du Nord*, p. 193; C.F Lurie-Poole, *History of Egypt in the Middle Ages*, London, 1901p. 18 .

Recueil des Historiens Grégois-Oxy, Vol I pp. 272 - 73; Vol IV, pp. 452 - 53 . - ٣٦

Rodricid (ed) *Regesta Regimintevsoly mitani*, 2 vols, In Asbruck, 1893-1904, no. 659, p. 175; no. 661, p. 176; no 665, p. 177, 668, 669, 670, pp. 278-9 :

هايد : تاريخ التجارة ، ج ١ ، ص ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ .

٣٧ - راجع رانسبان : الحروب الصليبية ، ج ٣ ، ص ٥٩٩ ، ٦٠٠ ، وكان :

Calvin Notus Supr L'histoire des Cmslaks et: de L'orient Latin , III dans *Billetin de la Faculte des Lettres des straburg*, May-June 1957 .

حيث يروى أيايا من خاتما الثقيل من الأقمشة التجارية للإمارات الصليبية ، وذكر رانسبان الحملات المتأخرة على أنها بعد الحملة الثانية ، راجع فيه ، ص ٦٠٠ .

٣٨ - Rey, *les Colonies Franques*, p. 245 :

هايد ، ج ١ ، ص ١٦٧ ، ١٨٨ ، ١٨٩ : يشير بوركارد من جمل صهيون إلى الحملات التي تقع حول مدينة طرابلس والتي كانت تدخل لأصحابها في السنة الواحدة ثلثمائة ألف بيزنت ذهبية .

Buehard of Mount Sion, *Description of the Holy Land*, n. P.P. T.S, p. 16 .

٣٩ - هايد : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٨٩ : Rey, op. cit., II, p. 293 :

٤٠ - لهن جبر (أبو الحسين محمد لهن أحمد البنسي) : الرحلة . نشر ولهم وايت ، تحقيق دي غريب ، الطبعة الثانية مطبعة بونل . لوبون ١٩٠٧م ، ص ٢٨٧ - ٢٨٨ .

٤١ - التمزدي (تقي الدين أحمد بن علي) : السلطان . لمرفة ولد المراك ، ج ١ ، ص ١٦٢ ، ١٦٣ (تحقيق د. محمد مصطفى زيادة ، ج ٣ - ٤ - ٦ (أقسام) تحقيق د. سعيد عبد الفتاح عاشور ، ط. القاهرة ١٩٣٤ - ١٩٧٣م ، ج ١ ، ص ١١٠ . Thompson: *Economic and Social History*, vol. 1, pp. 380-81 .

- ٥٢ - ابن جبير : الرحلة ، ص ٢٨٧ : رانسيمان : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٥٤٩ - ٥٥٥ - ج ٣ ، ص ٦٠٩ : قاييه :
- ٥٣ - حلب ودمشق وحمص ، أهم المراكز التجارية التي كانت في أيدي المسلمين . وفي القرن الثالث عشر أخذت أهمية مدن مثل عسقلان وبيروت وأنطليوس زقلت أهمية كل من باغلا وسيدا واللاذقية . ويرجع ذلك للفرز القوي للشرق الأدنى وتحول طرق التجارة . راجع في ذلك :
- ٥٤ - راجع : Ziaeleh : 174 , 175 .
Les Assises de Jerusalem, in R.H.C.S., II p. 173.
- ٥٥ - ابن جبير : الرحلة ج ١ ، ص ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣٠٩ : هاید : المرجع السابق ، ١٨٧ - ١٨٨ ، ص ٦١١ .
- ٥٦ - الأخطري (أبو اسحق إبراهيم - الموف بالكرخي) السالك والمسالك . تحقيق د. محمد جابر عبد العال لطيفي . ط القاهرة سنة ١٩٩١م ، ص ٦١ : القنسى (أبو عبد الله محمد بن أحمد الشافعي) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم . ط . لندن ١٩٠٩م ، ص ١٨٠ :
- ٥٧ - هاید : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٧٩ : 31 : 430 - Vol. 1, pp. 430 - 31 : Thompson, op. cit., p. 135 : Ziaieleh, op. cit., p. 135 :
- ٥٨ - ولم الصويدي ، ج ٢ ، ص ٩١٤ : هاید : المرجع السابق ، ص ١٩١ : ذكرى محمد حسن : القرون الإسلامية ، القاهرة ١٩٤٨م ، ص ٩٠٧ : سعيد عاشور : ألدنية الإسلامية ، ص ١٩٠ - ١٩٢ .
- ٥٩ - 173 , Assises de Jerusalem, II, 173 : هاید : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٨٩ - ١٩٠ .
- ٦٠ - سعيد عاشور : الدنية الإسلامية ، ص ١٨٧ .
- ٦١ - Thompson, op. cit., Vol. I, p. 404
- ٦٢ - سعيد عاشور : النهضة الأوربية في المصور الوسطى وبخاية الحديثة ، القاهرة ١٩٩٠م ، ص ٣٧٧ .

- ٤٢ - ابن رنصل (جمال الدين محمد بن واصل) : منزه الكرب في أخبار بني أيوب ، ج ١ - ٣ ، تحقيق د. جمال الدين الشيبان ، ط . القاهرة ١٩٥٣ - ١٩٩٦م ، ج ٤ ، تحقيق د. حسنة ربيع ، ط . القاهرة ، سنة ١٩٧٢م ، ج ٢ صفحات : ٧٨ ، ١٤٥ ، ١٦٢ ، ١٦٣ وصفحات أخرى .
- ٤٣ - Riāḥi: Le Royaume latin, pp. 273-4.
- ٤٤ - ابن الفرات ١ محمد بن عبد الرزيم ١ تاريخ ابن الفرات ، ج ٧ ، ص ٨ ، تحقيق د. قسطنطين زريق وتجليه عز الدين ، ط . بيروت سنة ١٩٣٩ - ١٩٤٨م ، ج ٨ ، ص ٩٢ ، وذكر المؤرخون أن السب المباشرة للفتح مكا هي يد السلطان الأشرف خليل بن تولايفن هو ثورة جساما من القريج بمكا وتطلب جماعة من تجار المسلمين بدعمهم أن الفريخ الياقطين هم الذين لتلومهم . وقد قُتلت عكا في ١٨ مايو ١٢٩١م / ١٧ جمادى الأولى ٦٩٠ هـ . راجع : ابن الفرات ج ٨ ، ص ١١٠ - ١١٨ : القريني : السرك ، ج ١ ، ص ٧٦٣ - ٧٦٨ .
- ٤٥ - هاید : تاريخ التجارة ، ج ١ ، ص ١٦٦ ، ٤٦٠ - ابن الفلاني : الفصل السابق ، ص ١٦٢ - ١٦٤ : هاید : المرجع السابق ، ص ١٦٢ - ١٦٣ : Grousset : op. cit., vol. I, pp. 359 - 360 .
- ٤٦ - حصل التنازلة على استيلاء رجب من نوعه إذ كان لهم الحق في حصص في كل مدينة من مدن المملكة ، حتى ولو تم الاستلاء عليها بدون مشاركتهم .
- راجع : هاید : المرجع السابق ، ص ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦ . وافق التنازلة على دفع ثلث ما يتقاضونه من الحجاج من الأجر للفرقة الملكية في مقابل أن تصبح لهم ملكية ثلث مدينة صور وعسقلان ، راجع : رانسيمان : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٣٦٨ - ٣٦٩ : سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ٧ - ٥ - ٤ .
- ٤٨ - Stuplienski, Med. History, p. 580; Thompson, op. cit., Vol I, p. 402.
- ٤٩ - Thompson, op. cit., Vol. I, p. 425.
- ٥٠ - توفيق إسكندر : بعثت في التاريخ الاقتصادي . الجمعية المصرية للدراسات التاريخية . القاهرة ١٩٦٦م ، ص ١٧٦ .
- كانت تجارتهم في كل من القسطنطينية والإسكندرية تفوق في حجمها ما كان لهم من مناجم في بلاد الشام وقد مكنتهم هذا النشاط التجاري الضخم من فرض سيادتهم على البحر المتوسط سواء بالاشتراك مع الصليبيين أو بدونهم . راجع : توفيق إسكندر : المرجع السابق ، نفس الصفحة .
- ٥١ - Thompson, op. cit., Vol. I, pp. 420-21 .
- شارل ديبل : الوثيقة جمهورية استرطابية . ترجمة د. أحمد عزت عبد الكريم وتوفيق إسكندر ، القاهرة ١٩٤٨م ، ص ٥١ .

وكانت هذه العملية مصدر دخل للصياغة القادمة بها ، حيث كانوا يتفاوضون عشرة . واشتهر اليهود والمسيحيون الشرقيون كصيارفة .

Fischer, W. J.: Jews in the Economic and Political life of the Medieval Islam, London, 1958, pp. 17-20.

٧١ - نظير صفاوي : الحرب والسلام ، ص ١٨٧ ، حسن عيسى ، تدو الدين والصلبيين ، ص ١٥٦ - ١٥٣ .

٧٢ - محمد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ١٢١١ .

٧٣ - حسن عيسى : المرجع السابق ، ص ١٥٠ .

٧٤ - ٣١ : 30-31, 97; Medieval Cities, Princeton, 1934, pp. 31-33, 97; المرجع السابق ، ص ٢٨٣ ؛ نيلب حسي : تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ج ٢ ، ص ٢٥٧ ؛ لبنان في التاريخ ، ص ٣٨١ .

٧٥ - 30 : 30-31, 97; Medieval Cities, Princeton, 1934, pp. 31-33, 97; المرجع السابق ، ص ٣١ ؛ فايد : تاريخ التجارة ، ج ١ ، ص ١٧٥ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٨٧ .

٧٦ - قارة : 73-71, La Monie, Feudal Monarchy, pp. 171-73; واطر أبط : C. Med. II, Vol. V, pp. 328-29.

كانت أمالتي والبنية هما المبتعان الرئيسيان اللذان أمدتا القرب الأندلس بكميات السلع الكمالية . ويخروج أمالتي من السباق نتيجة للتزو النورمانى لطرب إيطاليا ففوت البندقية في فترة الحروب الصليبية .

٧٧ - فايد : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٧٥ .

٧٨ - 118: 1063-118; Deuchamps, p. les chateaux des croisés ; المرجع السابق ، ص ١٧٥ .
 ٧٩ - 44: 43-44; La Defense du royaume de Jerusalem Paris, 1939 pp. 50-19.

يشير لوفيه دى شارتر إلى أن للاك وبلونى الثانى قد شهد لمة في جبال صيرت نعد من المدينة سنة آيال وذلك لرفض الفلاندين دفع الضرائب وبذلك أجهزم الملك على دفع الضرائب . لوفيه ، المقدم ، ص ٢٢٦ ؛ سليل ، المرجع السابق ، ص ١٠٧ .

٧٩ - 26, p. 26, Le Strange, G. Palestine under the Moslems London, 1890, p. 26.

من هذه القلاع : قلعة صهيون ببرزية وصافيا وبكسواتيل والعليقة . راجع :

Richard, Le Royaume, p. 122.

٩٢ - ٩٣ كرونت صرانب باهظة على مجارة الرقيق . فكان يدخل للصلبيين دخلاً كبيراً من هذه الضرائب القروية على مجارة الرقيق المرجع السابق والعقصة نفسها : حسن عيسى : تدو الدين والصلبيين ، حركة الإيالة والتجمع الإسلامى في القرن السادس الهجرى ، القاهرة ١٩٤٨م ، ص ١٤٨ .

٩٤ - Thompson, op. cit., p. 430.

٩٥ - نعيم زكى : طرق التجارة ، ص ٢٥٧ ؛ فايد : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٦١ .

٩٦ - Continuation de Guillaume de Tyr de 1292 à 1391, Dite du Manuscrit de Rodolphe, in R. H. C. H. Occ. Vol 2 Paris, 1859, p. 444.

٩٧ - Amidi, P. Inneson, Chroniques et Annals et de Strambaldi, ed. Mas Lauris, Paris, 1891 p. 186; La Monie, Feudal Monarchy, pp. 177-174.

٩٨ - لم يكن لطبقه اللاتين البرجوازية في الشرق دود في مجارة الشرق، إذ اقتصر نشاطها على إتاحة الدكاكين وصناعة السلع اللازمة للاهلاك المعلى ولكن في مكانا كان التزوم يتألف من مجار القرب الذين لهم بعض السلطان السياسى، ولكنهم مزولوا أنفسهم عن الجماعات الوطنية وعن الأرتزوكس وفى أنطاكية اتخذ برجوازي أنطاكية من البرنانيين والقربى سبب المسافة بينهما... وعلى ما يبدو أن الأمر فى طرابلس سار على نوع عكاس . راجع :

Richard, G: La Comte de Tripoli sous la Dynastie toulousaine (1120-1187), Paris,

1945, pp. 71-2; CF Calcutta, la Syrie du Nord, pp. 549, pp. 153 ff.

٩٩ - 38-337; Cabon Notes Sure L'Historie des Croisades, III, pp. 337-38; المرجع السابق ، ص ١١٦ - ١٢٠ ؛ راجع : باركرس أولسن : الحروب الصليبية ، ص ٤٥-٤٦ .

لم يسمح للجياليات الإيطالية أو الطوائف الدينية العسكرية بضرب نفوذ ذوقية أو لخدمة ولكن سمح لهم بضرب النفوذ من البرونز لس حاجتهم الخليل . راجع :

La Monte, op. cit., pp. 174; Thompson, op. cit., p. 406;

راتسبان : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ١٦٦ .

٧٠ - 384; Lamb. H: The Crusades, p. 384; المرجع السابق ، ص ٤٤٠ .

كانت الأعمال المصرفية وتداول الأوراق المالية بالشام ترجع إلى القرن العاشر الميلادى ، حيث كان تعبیر السنتجة معروفًا في ذلك الوقت وهى عملية نقل الأموال من مكان إلى آخر لتفادى أخطار الطرق

Dussaud, R. Topographie historique de la Syrie Antique et médiévale, Paris, 1927, pp. 199 - 155 - 2; Calien, Syrie du Nord, pp. 172 - 3.

٨٠ - مؤلف مجهول : أعمال القروية وسياج بيت المقدس ، ترجمة وتطبيق د. حسن حنفي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ص ٩٠ - ٦١ : ١١ ، op. cit. ، Feildon, op. cit. ، p. 11 ; سبيل ، الربع السابق ، ص ٦٠ - ٣٠ .

٨١ - R.H.C. - A) Rairaudus de Aguilers, Historia Francorum que Ceperunt Iherusalem in R.H.C. - A) Hist. Occ; III, 235 - 309, Paris, 1866, p. 247, 248, 250 ;

كاتب مجهول : أعمال القروية ، ص ٦٠ ، ٦١ .

٨٢ - ابن القلاسي : الليل ، ص ١٤٦ : ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ، ص ١٧٢ ؛ قوشية دي شارتر ، ص ١٤٤ ، ١٤٤٤ .

٨٣ - ولسم الصوري ، ج ١ ، ص ٥٢٥ .

٨٤ - ابن القلاسي : الليل ، ص ١٥٩ ، ١٥٩ ، ٢٠٧ : قوشية ، ص ١٩٩ ؛

Albert d'Aix, Historia Hieros dymitana, in, R.H.H. Occ Vol, IVp. 690 .

٨٥ - قوشية ، ص ١٥٧ ، ١٥٨ ، R.H.C.H. ؛

Grousset, Hist. des Croisades, I, p. 213 .

٨٦ - ولسم الصوري ، الربع السابق ، ج ٢ ، ص ٣١٧ ؛ قوشية دي شارتر ، ص ١٥٨ .

٨٧ - ابن القلاسي : القصر السابق ، ص ٢١١ ؛ ابن الأثير ، ج ١٠ ، ص ٣٦٣ - ٢٩٤ ؛

Grausset, op. cit. p. 616 .

٨٨ - مصبول : فن الحرب ، ص ٣١٠ .

٨٩ - سبيل : الربع السابق ، ص ٣١٧ ؛ رانسيمان ، الربع السابق ، ج ٢ ، ص ٩٢٨ .

٩٠ - رانسيمان : الربع السابق ، ج ٢ ، ص ٩٢٧ - ٩٢٨ .

٩١ - Deschamps, Le Crac, pp. 89-103 .

٩٢ - رانسيمان : الربع السابق ، ج ٢ ، ص ٩٢٧ - ٩٢٨ .

لم تكن القلعة في القرب الأقدم سوى برج من نوع خاص واكمل تطوره على يد التترومان ، إلا أنه لم يكن كافياً لتوفير الحماية لهم في الشرق الأخرى لهذا بدأ الصليبيون إلى استعادة أشكال البناء الخاصة بالقلع من البيزنطيين وأطلقوا وتطوروا منهم الكثير . الربع السابق والمصفحات نفسها .

٩٣ - Rey, Architecture des Croiséc, pp. 70 - ٤١, Feildon; op.cit., pp. 29-30 ;

سبيل : الربع السابق ، ص ٣٤٩ .

٩٤ - فكرة الدائر المزوج في الأسوار مستمدة من التحصينات في القسطنطينية وفي مدينة بغداد ، ولكن الاستهارة هم أول من استخدم الدائر المزوج في قلاع مستقلة وراجع :

Rey, Architecture des Croiséc, pp. 70-71 .

٩٥ - رانسيمان ، الربع السابق ، ج ٢ ، ص ٩٣٩ ؛

Feildon, op. cit., pp. 29 - 30; Des Champs le Crac, pp. 279 ff .

٩٦ - ظهر هذا الصائر في بناي القلاع في أديها في قلعة بومارسيس Beaumaris في إنجلترا وقلعة كاروكسون في فرنسا وهنا مأخوذ عن العرب السطون ولكن لاقى لندن حيث يرجع ذلك للبيزنطيين .

Feildon, op. cit., pp. 29 - 30 .

وقد أخذ الصليبيون من السلطنة المشرقيات التي يصرب منها السهام وأيضاً يصب منها الزيت الذي على الحاصرين . وراجع زكي محمد حسن : فنون الإسلام ، ص ٨٦١ ؛ سعيد عاصم : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ١٢٠٧ - ١٢٠٨ .

٩٧ - سبيل : الربع السابق ، ص ٣٤٩ ؛ رانسيمان ، الربع السابق ، ج ٢ ، ص ٩٣٤ .

٩٨ - Deschamps, le Crac, pp. 107 - 224 ; Enlart, C., Les Monuments des Croisécides dans Royaume de Jerusalem . 2 Vols, Paris, 1929 . 7 , II, pp. 96 - 99 ;

رانسيمان : الربع السابق ، ج ٢ ، ص ٩٣٥ .

Enlart, op. cit, pp. 207 - 11, 274 . - ٩٩

Enlart, op. cit, I, pp. 70 - 73 . - ١٠٠

Enlart, op. cit, pp. 70 - 73, 93 ff. - ١٠١

١٠٢ - رانسيمان : الربع السابق ، ج ٢ ، ص ٩٤٧ .

يبدو رانسيمان أن قصر بيروت هنا يعتبر من الاستثناء ، وأن باقي المراكز كان يطلب عليها في القرن الثالث عشر الفطاح الفرنسي .

١٠٣ - عبد الرحمن زكي : القاهرة تاريخها وأثارها ١٦٩٨ - ١٨٢٥ من جيوهر القائد إلى الجيوش ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م ، ص ١١٠ ؛ فارس رانسيمان : الربع السابق ، ج ٢ ، ص ٦٤٩ حيث يذكر أن شرفة الدخلى نفذت على طهيد الإبل إلى القاهرة بمقد الاستيلاء على عكا ، وتم تركيبها لتكون مدخل الجامع الذي شيد تخليفاً للكرسي السلطان الأشرف الذي فتح عكا - يقصد الأشرف خليل بن قلاوون .

١١٦ - أبو خامة : الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٤٢ .

١١٦ - ابن شداد (أبو الحامس يوسف ابن رافع نعيم ابن هبة) حيرة صلاح الدين الصبابة النوار السلطانية والحامس البوسنية ، تحقيق د . جمال الدين الشيال ، خيمة أولى ، القاهرة ١٩٦٤ م ، ص ١٦٩ ، ١٦٨ .

١١٧ - أثوت مصالحة المسلمين للصليبيين فادت إلى تهذيب أخلاقهم وظهور ذلك واضحا بين من هو قريب العهد بالبلاد ويؤيد من حاشر المسلمين مدة طويلة وقد دل لنا أسامة بن منقذ على هذا بقصة طريقة وقعت له في أثناء صلته بالسيد الأقصى وقت خضوعه للصليبيين ، وتعرض له أحد القرمانيين أثناء حملته فاعتذر له فوسان العاقبة وقالوا له إنه حديث العهد فقد وصل من القرب حديثا ، وأجمع أسامة بن منقذ ، الاعتبار ، ١٧٢ حتى ١٧٦ ، سعيد عاشور : أضواء جديدة ، ص ٩٥ .

١١٣ - 38 in p. 1876, O. p. 38 in La Médicine Arabe, Ransiman : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٨١٥ .

١١٤ - أسامة بن منقذ : الاعتبار ، ص ٨٠ ، سجل : المرجع السابق ، ص ٨٣ :

Legion: J. les Français d'Orient - Mer au Moyen-Age, Paris, 1929 pp. 114 - 115.

نظير حسان سعداوى ، الحرب والسلام ، ص ٨٢ وظهير بلخمين الأول في زى شرقى كما وجد على النقود العنقبة صورة تنكريد وهو يرتدى العمامة .

Mod- Key, Colonies, pp. 4 - 14; Mumm, Kingdom of Crusaders, pp. 105 - 6, 120 - 122; Mod- eliv, I. I. L'Expansion Française de la Syrie au Hlan, Paris, 1918p. 21 .

Miller, W. The Latins in the Levant, London, 1908 pp. 523 - 24 .

وقد تعرض البرلاندون ليعجوم كبير ويصغرا بأنهم تخرج للعرصة والنكت وأنهم اعادوا التردد على الحامات الشرقية بل التوجه إلى ساحات المعارك وأن بهم ميلا إلى الترافعية وارتداء الأتواب الناصبة كالنساء وهم كصالي خاملون ، جينا ، ١ ، 524 .

١١٦ - يحتفل كتاب أسامة بن منقذ بالقصص والشكايات التي يلهم منها اعزاز المسلمين بعضهم وتراثهم . راجع : أسامة بن منقذ ، ص ١٦٩ - ١٨١ ؛ فليب حنى : لبنان في التاريخ ، ص ٣٨٧ .

١١٧ - ولم الصردى : المرجع السابق ، ج ٤ ، ص ١٨ - ١٩ ؛ رانسيمان : المرجع السابق ، م ٢ ، ص ٥٨٤ ، ٥٩٤ ؛ ج ٣ ، ص ٨١٧ .

Thompson: J. W. Economic and Social History of the Middle Age, 2, London, 1959, p. 435 :

رانسيمان : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٧٥٨ ، ٥٨٦ ، ٥٨٤ ، ج ٣ ، ص ١١٥ ، ٨١٧ .

١١٩ - نظير حسان سعداوى : الحرب والسلام ، ص ١٨٤ - ١٨٥ .

١١٧ - رانسيمان : الحروب الصليبية ، ج ٢ ، ص ١٥٣ .

١٠٤ - هذا عبارة على أن الحملة الثالثة نقلت معها إلى الشرق عددًا من الفئتين المرتين وإلى جانب ذلك فقد وقع العماء بين الكيبتيين اللاتينية والأرثوذكسية فأدى هذا إلى تباعد الطراز الشرقي والطرز الغربي في رأي رانسيمان ، انظر فيه : ج ٣ ، ص ٦٤٩ وقد جمعت صائت صلاح الدين الأحمس في القاهرة بين قواعد الفن الحرى المداوى في الفروشين اللاتينية والمرتبة البيزنطية . نظير سعداوى : الحروب والسلام ، ص ٢٠٨ .

١٠٥ - كان تأثير الخبرة التي اكتسبها الصليبيون من العمارة الحربية واضحة وعمروا آلات الحصار القوية والتأثيرات الكبيرة على العقائد واختيار الموقع الحامس بالذراع والحصون ، والدليل على ذلك قلعة صائر جبار التي شيدها ريشارد الأول ملك إنجلترا (١١٩٦ - ١١٩٨ م) على نهر السين على جرف شديد الانحدار بلغ ارتفاعه ٣٠٠ قدم ، هذا غير القلاع التي شيدهت في نورماندى والجزيرا ودوستر التي بنيت منها التأثير البيزنطى .

Frey : Britanles, Art, Castle and Ictbaby : Medieval Art, pp. 105 - 106 :

سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ١٢٧ - ١٢٨ .

١٠٦ - راجع : ابن جبير : الرحلة ، ص ٣٠١ ، ٣٠٢ ؛ وأيضا راجع ما فات على صفحات هذا البحث حاشية رقم (١٣٥) .

La Montie, Feudal Monarchy, pp. 177 - 73; Rey, Colonies, pp. 257 - 60 ; Chalandon, Primitive Croisade, pp. 346 - 59 .

١٠٧ - راجع : ابن الأثير : الكامل ، ج ١٢ ، ص ٣ : الأصفهاني (عماد الدين أمين محمد بن حامد) الفتح القسى في الذبح القدس ، تحقيق وشرح وتقديم ، محمد حمزة صبح ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٥٦/٨/١ م ، ص ٣٧٧ ، ٣٧٨ ؛ ابن واصل : مفتح الكروب ، ج ٢ ، ص ٢٥٦ ؛ أبو خامة : الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٢٦ ؛

Galien, la Syrie du Nord, p. 42B; Grousset, op. cit., pp 825 .

وقد توسط قاضى جهة للناظر مع فرنج اللاتينية لتسليمها ، راجع : ابن واصل ، ج ٢ ، ص ٢٥٩ - ٢٦١ .

Galien, op. cit., pp. 351 - 60 .

١٠٩ - بررى أسامة قصة الفارس الحاج الذي حصل بأسامة ولازمه وصار يخدمه أخى - دليل على الثورة والألفة - وعندما عزم على السفر إلى بلاد أروا أن يأخذ ابن أسامة معه وكان يبلغ من العمر أربعة عشر سنة ليحمله الفروسة ، راجع : أسامة بن منقذ ، الاعتبار ، ص ١٦٩ ، ١٧٠ ؛ سعيد عاشور : أضواء جديدة على الحروب الصليبية ، ص ٨١ - ٨٢ .

١٣٢٤ - أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ص ٣٧ - ٣٧ . ومطلع إحدى قصائد الشاعر الخضر بن السلم قسم الطموى :

بمستزملك أيها الملك العظيم * تذلل لك الصحاب وتسلمتهم
أتم تشر أن كلب البروم لنا تبين * أنك الملك الرحيم

وليس بحث آخر يتناول :

أليكسى اللعرج ليدك عسكراً * وأنت يقطع دبرهم كما زعيم .

١٣٢٥ - أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ص ١٨ - ٣٤ .

١٣٢٦ - مدح أسامة بن منقذ صلاح الدين أبو قتادة :

تعمن يا أظفر المظفر أن يبا * في بسط عسكرك ومطرة وندى

لا تفتقر السنننى صنعتك فند * قمت بخرن الجهاد مجتهداً

وجنت أرض العسور وأنتيت من * أبطالهم صبا بجانف الصدا

راجع : الروضتين ، ج ١ ، ص ٢٣٧ .

ومدحه شعراء كثيرون منهم وحيد الأندلس وأحمد المؤمل والسهام الأصفهاني . راجع : الروضتين ، ج ١ ، ص ٢٤٦ ، ٢٤٨ . وصفحات أخرى .

١٣٢٧ - عبد اللطيف حصره : المرجع السابق ، ص ٢٥٦ .

١٣٢٨ - تحفل كتب التاريخ بإداة تاريخية قيمة لمن الرفض وتسجيل الأحداث التاريخية والاقتصادية والاجتماعية وكلها مدون في المصادر المعاصرة للأحداث والتربية من العاصرة حيث حفظ لنا المؤرخون أحداثاً تاريخية استمدوها من كتب فقدت بعد ذلك ومن خلالها عرفنا عنها الكثير .

١٣٢٩ - عبد اللطيف حصره : المرجع السابق ، ص ٢٢٦ - ٢٦٧ .

١٤٠ - سعيد عاشور : المدينة الإسلامية ، ص ٥٦ - ٥٧ .

١٤١ - سعيد عاشور : أضراب جديدة ، ص ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ . وصلحات أخرى ؛ فليب حتى : لبنان في التاريخ ، ص ٣٢٨ .

Hitti, History of the Arabs, p. 659; Thompson; Economic and Social History, Vol. [p.

435 .

Crousset op. cit. D. p. 280 ; Thompson: op. cit. Vol. ٤, pp. 433 - 434 .

- ١٤٢

١٤٢١ - ناله رينالد إعجاب صاح الدين الأندلس ، فندما استند خلف صلاح الدين على قلعة الشنيد ارتفع في عام ١١٨٨م قدم رينالد إلى مسهم صلاح الدين ، وأعلن له عن رغبته في تسليم القلعة وأعلن أنه سوف يعتنق الإسلام . وظهر فيما بعد أنها كانت خدعة لتعطيل صلاح الدين . راجع : أبو المعاصي جمال الدين يوسف بن تشرى بروي ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ١٤٠ جزء ١ ، القاهرة سنة ١٩٢٩ - ١٩٧١ م ، ج ٦ ، ص ٤٢ - ٤٣ .

١٤٢٢ - ابن جبير : الرحلة ، ص ٢٧٥ ، 518 - 519 .

١٤٢٣ - 92 - 91, p. ٤٧, p. ٤٨.

١٤٢٤ - المرجع السابق ، ص ١٨٠ .

١٤٢٥ - استعدت قواتين ملكة بيت المقدس . ومؤلفات حنا هي إيلين وشيليب هي نرفار إلى القنايين الغربيين : La Monie, Feudal Monarchy, pp. 167, 171; Laub, op. cit, 382 .

رائسيان : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٨١٩ ؛ نظير شعراوى : المرجع السابق ، ص ١٨٨ .

١٤٢٦ - باركر : المرجع السابق ، ص ١٢٥ - ١٢٦ ؛ رائسيان : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٨١٩ ؛ نظير شعراوى : المرجع السابق ، ص ١٨٨ - ١٩٠ .

١٤٢٧ - من الشعراء هبون من ياردو Huonof Bonkous وكان له مغامرات عديدة في مصر والشرق ، وروى مؤرخا بان Renaud de Moncu ben

Archev. op. cit. p. 444 .

١٤٢٨ - 400 in - 395 - 400 in : Hairen, le poemes des Croisades, pp. 395 - 400 in - 395 .

ص ٨٢١ . : 576 - 569 - Caheta, op. cit. pp. 569 - 576 .

١٤٢٩ - Grousset: L'Empire du levant, p. 327 .

وتعد المعركة الشعرية التي كتبها ماسر في تسمة آلي بيت لوصف حملة بطرس دي لوزيان على الإسكندرية سنة ١٣٦٥م من الشعر الذي تأثر بالحروب الصليبية المتأخرة إلا أنه من الغالب أن ماسر لم يتم زيارة الشرق أبداً وظهر الشعر القصير الذي كان يبلغ من العصر الخامسة والتاسعين ، وراجع ، شعر نهبغ ، رسالة ماجستير لم تشر بعد ، ص ١٧ .

١٤٣٠ - سعيد عاشور : أرباب العصور الوسطى ، ج ٢ ، ص ٢٤٦ - ٢٤٨ .

١٤٣١ - باركر : الحروب الصليبية ، ص ١٢٢ .

١٤٣٢ - باركر : المرجع السابق ، والصفحة نفسها .

١٤٣٣ - ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ، ص ١١٧ ؛ ابن تشرى بروي : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ١٤٧ ، ومايملها لك عبد اللطيف حصره : أدب الحروب الصليبية ، ذا الذكر العمى ، طبة ثانية ، ١٩٨٤م ، ص ٢١ ، ٢٢ .

وليلة كما جاء في نهاية الأرب للبرقي^(١٨) . بل إن دور مدينة "سوسة" التاريخية كانت ترى من صقلية ، وذلك لارتفاع تلك المدينة الساحلية "سوسة" عن الأرض^(١٩) . كما أن الفتح العربي لصقلية سنة ٢١٢هـ/٨٢٧م^(٢٠) كان مطلقاً من إفريقية (تونس) .

وعدت خروج الجيش الإسلامي الفاتح من إفريقية بدئاً في التأثير الفكري الغربي على صقلية ؛ حيث إن هذا الجيش^(٢١) ضم العديد من العلماء والفقهاء ، إضافة إلى الهندسائين من العرب والبربر ، ومن أبرز هؤلاء العلماء والفقهاء : قائد الجيش الفقيه أسد بن الفرات ، والفقيه محمد بن قادم^(٢٢) .

والحق أن العلماء والفقهاء لم يشاركوا في فتح صقلية زمن الفقيه أسد بن الفرات لحسب ، وإنما بعد ذلك أيضاً ، حيث ساهموا في التصدي لمحاولات البيزنطيين الهادفة إلى احتلال صقلية ، فشارك العلماء أسير صقلية الفاطمي أبا القاسم بن الحسن بن علي في إعادة فتح مدينة مسيني^(٢٣) مرة أخرى في سنة ٣٦٥هـ/٩٧٥م^(٢٤) .

وقد أشارت المصادر إلى عدد كبير من فقهاء القيروان الذين نزلوا صقلية بعد بدء فتحها مباشرة ، وتوفروا بها قبل أن ينسحب المسلمون لفتح الجزيرة كلها سنة ٢٦١هـ/٨٧٤م ، وهذا يدل على حرص هؤلاء الفقهاء على القيام بأواجبهم الديني والعلمي بالجزيرة لئلا يهدمها ومن هؤلاء الفقهاء القيروانيين :

- ١- الفقيه ابن أبي محرز ، أحد فقهاء القيروان الكبار ، وتولى قضاء صقلية وتوفى بها سنة ٢٢٦هـ/٨٣٥م^(٢٥) .
- ٢- الفقيه محمد بن نصر حزم ، أحد أصحاب الفقيه الكبير سحنون بن سعيد ، وكان محمد بن نصر مشهوراً بقوة الحجية ، والقدرة على الجدل ، وحسن الاجتهاد ؛ مما جعل الفقيه سحنون يحله ويحترمه . وتوفى محمد بن نصر بن حزم في حياة سحنون (ت. ٢٤٤هـ/٨٥٤م) بصقلية ، أي قبل السنة المذكورة^(٢٦) .
- ٣- عبد الله بن سهل القيرواني ، أحد أصحاب أسد بن الفرات وسحنون بن سعيد ، واشتهر الفقيه ابن سهل بقوة الحفظ ، والعلم بذهب الإمام مالك ، والعدل في القضاء ، وتوكل قضاء صقلية ، وبها توفى سنة ٢٤٨هـ/٨٦٧م^(٢٧) .
- ٤- أحمد بن محمد الطائفي المروزي يابن الجاني ، وتوفى قضاء صقلية بعد سنة ٢٥٧هـ/٨٧٠م بقليل^(٢٨) .

محاصيل زراعية ، وما أقاموا من مصانع وصناعات ؛ فإن تكونها الثقافي والعلمي تبرزت أخباره وعوامله بين كتب التراجم ، واللغة ، والأدب ، وغيرها . الأمر الذي يدعو إلى ضرورة تتبع هذه الأخبار في المصادر الأصلية ودراستها دراسة علمية تبرز دور الدول العربية وعلمائها في قيام الحركة الفكرية بصقلية ، وتناول جهود الرواد الصقليين الأول في المجالات الثقافية والعلمية المختلفة حتى قيام مدرسة صقلية الفكرية ، واستقلالها عن مصادرها الأولى ، والعلاقات الثقافية بينها وبين المراكز الثقافية الأخرى في العالم العربي .

واعتقد أن الصقليين عنوا بهذا الجانب الفكري فيما أنفوه من كتب عن تاريخ صقلية ، ضاعت ضمن ما ضاع من تراثنا الفكري ، إذ أشارت المصادر العربية إلى بعض الكتب التي صفت في تاريخ صقلية ومنها :

١- تاريخ صقلية لأبي زيد القسري^(٢٩) .

٢- تاريخ صقلية لابن الخزاز^(٣٠) (توفي في القرن الرابع الهجري) .

٣- تاريخ صقلية لابن القطائع^(٣١) (عاش في القرن الخامس ، وتوفى في أوائل القرن السادس الهجري) .

والى جانب هذه الكتب التي كتبها الصقليون عن بلادهم ، كتب غيرهم عنها أيضاً ، كان حوقل الذي أشار في كتابه صورة الأرض إلى كتاب كتبه عن صقلية في عشرة أبواب ، وجمع فيه كل فضائل وروايات الصقليين ورساه كتاب صقلية^(٣٢) .

ويذكر حصر البلاد العربية التي استمدت منها صقلية ثقافتها العربية الأولى ، واقتبس منها تراثها الفكري والعقلي فيما يأتي :

١- بلاد المغرب العربي .

٢- الأندلس .

٣- مصر .

٤- العراق .

أولاً ، دور بلاد المغرب العربي في تكوين صقلية ثقافياً وعلمياً :

لمت بلاد المغرب العربي دوراً كبيراً في مختلف نواحي الحضارة بصقلية ، ساعد على ذلك قربها الجغرافي من بلاد الشمال الإفريقي ، وبخاصة إفريقية التي تبعد عن صقلية مسافة يوم

٢- عبد الله إبراهيم بن الشفي المعروف بابن المؤدب ، وكان مشهوراً بمعرفة الكيمياء ،
 ووصل صقلية فيما بين سنتي (٣٧٩-٣٨٨هـ/٩٨٩-٩٩٨ م) (٢٠١) .
 وإذا كانت المصادر لم تكشف لنا عن كل العلماء الغارية - بخاصة القيروانيين -
 التجريبيين الذين نزلوا صقلية ، فإنه من المؤكد قيامهم بدورهم الكامل في نقل هذه العلوم
 التجريبية إلى صقلية . والدليل على ذلك هو نبوغ عدد من الصقليين في هذه العلوم
 التجريبية - وسأتي ذكرهم - وأشتهار القيروان وقتئذ بالتقدم في هذه العلوم ، ويوجد علماء
 متميزين بها مثل : الطبيب إسحاق بن عمران البغدادي الأصل ، والذي دخل إفريقية (في
 دولة زيادة بن الأغلب (٢٠١-٢٧٣هـ) ومه ظهر الطب في المغرب (٢١١) . وشمل الطبيب
 القيرواني ابن الجزولي (كان موجوداً سنة ٣٥٥هـ/٩٦١م) الذي ورد بشأنه أنه لما توفي وجد له
 مشرون قنطارا من (كتاب الطب) (٢١٢) . ولدينا ترجمة لفقهاء وعالم بالحساب والهندسة وهو أبو
 الطيب عبد النعم بن إبراهيم المعروف بابن بنت خلدون ، ولقد عليه بالقيروان عالم من الرواد
 الصقليين في (العلوم الدينية) ، وهو عبد الحق بن محمد بن عارون السهمي ، ولعله تلقى عنه
 الرياضيات ، والهندسة مع الفقه (٢١٣) . كما لدينا ترجمة أخرى لعالم صقل في العلوم الدينية ،
 وفي الطب والحساب . وهو محمد بن علي بن عمر المازري ، ونزل هذا العالم مدينة "المهدية"
 من إفريقية مدة من الزمن ، ولعله تلقى هذه العلوم على علمائها (٢١٤) .
 وقد أوت الفقه والشوراة الناشئة بالرياسة إلى هجرة الكثيرين منها إلى صقلية ، ومن بين
 هؤلاء المهاجرين : العلماء القنين انتقلوا إلى صقلية ليهاموا في ازدهارها فكريا . وتعد ثورة
 أبي يزيد مخلد بن كيداء المازري (٢١٥) سنة ٣٣٣هـ/٩٤٤م ضد الفاطميين بإفريقية في أواخر
 خلافة القائم الفاطمي وبداية حكم ابنه المنصور - سببا في هجرة كثير من أهل المهديرة إلى
 جزيرة صقلية وطرابلس ومصر (٢١٦) .
 كذلك كان لهجرة بني هلال وبني سليم (٢١٧) على بلاد المغرب سنة ٤٤٣هـ/١٠٥١م تأثيرها
 القوي في هجرة علماء القيروان إلى صقلية ، ومن بين هؤلاء العلماء : أبو علي الحسن بن
 رشيح المعروف بالقيرواني ، أحد علماء اللغة العربية . وقد ترك القيروان بعد تخريبها على
 أيدي الهلاجيين ونزل صقلية وأقام بها حتى وفاته (٢١٨) . ومن هؤلاء أيضا الأديب الكاتب ابن
 شرف القيرواني الذي انتقل من القيروان إلى صقلية ومكث بها مدة قبل أن ينتقل إلى
 الأندلس (٢١٩) .

وتبع هؤلاء العلماء - وغيرهم - في نزول صقلية :
 ٥- سليمان بن سالم القنطان المعروف بابن الكعكالة ، وهو من أصحاب سحنون ، وكان ثقة ،
 كثير الكتب والشيخ ، ياراً بطلبة العلم ، مشهوراً بالفقه ، وتولى قضاء صقلية (فخرج إليها
 ونشر بها علماً كثيراً ، وعنه انشر مذهب مالك بها ، ولم يزل عليها قاضياً إلى أن مات سنة
 ٢٨١هـ/٩٩٤م) (٢٢٠) .
 ٦- دعامة بن محمد ، وتولى قضاء صقلية ، وتوفي سنة ٢٩٧هـ/٩٩٩م (٢٢١) .
 ٧- محمد بن خالد الطرزي ، فقيه ، وتولى قضاء صقلية (٢٢٢) .
 ٨- إسحاق بن أبي النعال ، فقيه ، وتولى قضاء صقلية (٢٢٣) .
 ٩- ميسون بن عمر بن المقلوب ، خاتمة ثلاث سحنون بن سحنون ، وتولى قضاء القيروان
 ومظالمها ، ثم تولى قضاء صقلية ، فخرج إليها يكتبه ، وتوفي سنة ٣١٦هـ/٩٢٨م بعد أن
 عمر مائة سنة (٢٢٤) .
 ١٠- لقمان بن يوسف ، فقيه كبير ، عالم باثني عشر صنفاً من العلوم ، أقام بصقلية أربع
 عشرة سنة (يدرس المونة وأخذها في اللوح) وتوفي سنة ٣١٨هـ/٩٣٠م (٢٢٥) .
 ١١- محمد بن إبراهيم بن أبي صبيح ، فقيه دوح ، وتولى قضاء صقلية ، وتوفي سنة
 ٣٤٥هـ/٩٤٥م (٢٢٥) .
 ١٢- محمد بن سعيد بن شيب ، فقيه تولى قضاء صقلية (٢٢٦) .
 ١٣- خلف بن أبي القاسم الأندلسي المعروف بالبرادعي ، فقيه كبير ، كان عليه اعتماد
 المغرب في الفقه ، خرج إلى صقلية ، فحصلت له بها مكانة عظيمة وألف بها عدة كتب
 (وظارت هذه الكتب بصقلية) وكانت الشافعية في جميع طلق بلدانها بكتابه (التهديب) في
 الفقه ، وتوفي البرادعي سنة ٤٣٠هـ/١٠٣٨م (٢٢٦) .
 وبالإضافة إلى هؤلاء العلماء الغارية - وغيرهم - ممن دخلوا صقلية ونشروا بها العلوم
 الدينية الإسلامية والفقه العربية ، فإن هناك علماء مغاربة آخرون في مجال العلوم الشرعية
 تروءوا على صقلية ، ونشروا بها هذه العلوم ، منهم :
 ١- إسماهيل بن يوسف القيرواني المعروف بالطغلا ، وكان نحويًا ، وعالماً بصناعة
 المعالقير (٢٢٨) ، وغزوا مع إبراهيم بن أحمد الأندلسي (٢٦١-٢٨٩هـ/٨٧٤-٩٠١م) للامنة
 طبرمين (٢٢٩) الحصينة بصقلية .

السرغوسى الصقلى ، وأبو حفص الصقلى (١٤٨) . ومن شيوخ القيروان أيضا السبوري الذي أخذ منه الفقيه الحافظ الصقلى أبو عبد الله محمد بن أبي الفرج المعروف بالزكى ، وقال فيه الشيخ القيروانى السبوري : (ابن أبي الفرج أحفظ من رأيت) والذي قبل فيه : (أقله من كل مالكي) . وقد تلقى الزكى العلم على يد مشايخ القيروان ، الحرقى والسبوري وغيرهما (١٤٩) . كذلك تلقى الفقيه الصقلى الكبير عبد الحق بن محمد بن هارون العلوم الدينية على شيوخ صقلية ، وعلى شيوخ القرويين بناس بالغرب الأقصى (١٥٠) . وعلى شيوخ القيروان (١٤١) بصفة خاصة - نهل الصقلية من العلم الدينى والنهوى ، وكذلك النجديس .

تعقيبات :

١- تبين لى - من خلال الرجوع إلى المصادر الأصلية - أن القيروان لعبت دوراً أساسياً فى توجيه الفكر والثقافة بصفلية ، حيث كانت القيروان تبيع بالعلماء فى العلوم الدينية والفكرية وغيرهما منذ زمن الأتقالية بصفة خاصة (١٥٢) وبعدهم ، وهو ما لاحظته المؤرخون (١٥٣) . وعن طريقها بدأ تيار الرحلة إلى صقلية . وتقدم علما ، أفاضوا على خروجهم من القيروان إلى صقلية الكثيرون - من ذلك ما قيل عن الفقيه القاضى ، ابن أبي معمر (ت ٢٢٠هـ/٨٣٥م) بصفلية عندما خرج إليها : (بأهل القيروان ، لو أراد الله بكم خيراً لما خرج ابن أبي معمر من بين أظهركم) (١٥٤) . وعلى أبدى هؤلاء العلماء ، القبرياتيين ظهر التأثير العلمى بصفلية : فلقد دانت بالذهب المالكي الذي حمله هؤلاء العلماء (١٥٥) . ثم عرفت المذهب الشافعى ، ولقد قال المقدسى : (وكثر أهل صقلية حنفيون) (١٥٦) وعندى أن صقلية تلقت هذا المذهب عن طريق القيروان أيضا الذى عرفته مبكراً بعد أن تعرفت على المذهب المالكي وانتشر بها وبالعرب . ولكن سرعان ما نشأ مذهب أبى حنيفة بالغرب - كما يقول المقدسى - (١٥٧) ومنها انتقل إلى صقلية . لأنه ليس من المعقول أن ينتقل من الأندلس التى لم تعرف سوى المذهب المالكي (١٥٨) . ولم يكن من المعقول كذلك أن ينتقل من مصر التى تدبى بالمذهب الشافعى وبذلك يبقى طريق واحد ، وهو طريق المغرب ، وبالأخص القيروان التى لم تعرف العمومية للمذهب الاثرى أكثر من صنها ، ولا أرفق من أهلها . ليس غير حنفى ومالكي ، مع أفقة عجيبة ، لا تصب بينهم ولا عصبية) (١٥٩) . وهو الأمر الذى تلقت صقلية عن الدوران . فلم أعثر - ضمن ما اطلمت عليه من مصادر - على صراعات مذهبية بصفلية ، وهذا يثبت التأثير القبروانى المذهبى بصفلية . واستناداً إلى المصادر فإن التأثير القبروانى على صقلية فى مجال العلوم الدينية

ولعل صورة أهالى إفريقية على الانتقال منها إلى صقلية طواعة واختياراً . واضطراباً فى بعض الوقت . هو الذى يفسر انتقالهم إلى صقلية سنة ٤٤٣هـ/١٠٤٨م بالرغم من تيمنتها وقتلتها للدرمان ، ولكن الأزمة الاقتصادية التى كانت تمر بها إفريقية وشدة الغلاء بها منذ سنة ٣٧٠هـ/١٠٤٢م دفعت هؤلاء ، إلى الهجرة لصفلية (١٥٠) . وقد نص المقرئى (١٥١) على هجرة عالم كبير من الفقهاء ، والأدباء ، والشعراء والقضاة وغيرهم (تصورت الجزيرة أحسن عماراً) .

وبالإضافة إلى انتقال العلماء من إفريقية إلى صقلية يكتبهم التى ذاعت بها وانتشرت كما حدث مع خلف بن أبى القاسم الأندلسى المعروف بالبرادعى (١٥٢) ، فإن صقلية تمررت على كتب عربية أخرى لم يدخل أصحابها إليها ، وإنما انتقلت هذه الكتب إلى صقلية عن طريق إفريقية كتاب 'مجميد الإيمان وشرايع الإسلام' ليعلى بن عمر (١٥٣) ، والذي كتبه أحمد بن محمد القصرى فى نيف وستين جزءاً وانتقل إلى صقلية من إفريقية رواية المالكي عندما أقام بصفلية مدة ودروس بها . وقال عن هذا الكتاب : 'وقفت على جميعه وقرأته مراراً بصفلية إفريقية (١٥٤) . وأعتقد أن هذا الكتاب لم يكن الوحيد الذى دخل صقلية من كتابات أحمد بن محمد بن عبد الرحمن القصرى الذى اشتهر بكتابة المعبد من كتب شيوخ إفريقية . ومن بين الذين عرفوا بكتابة الكتب أيضاً سعيد بن شعيبان (ت بصفلية سنة ٢٩٥هـ/٩٠٧م) وهو أندلسى الأصل ، دخل القيروان ، ثم هاجر منها إلى صقلية ، وكان عالماً ثقة ، ضابطاً لما يكتب (١٥٥) . كما اشتهر عباس بن عمرو بن هارون الصقلى بالوراقة فعرف بالوراق ، ونزل القيروان سنة ٣١٥هـ/٩٢٧م فلم يزل بها حتى سنة ٣٣٦هـ/٩٤٧م حيث اتصل بالحاكم بن عبد الرحمن ولقى عهد الخليفة الأموى القاصر بالأندلس ، وانتقل إليها وصار من جملة الوراقين ، وعاش حتى عث سنة . وتوفى سنة ٣٧٩هـ/٩٨٩م (١٥٦) .

ومن الكتب التى وجدت بصفلية أيضاً كتاب 'الإصناع والمؤانسة' لأبى حيان التوحيدى . وعنه يقول جمال الدين النطنز : 'وما أحسن ما رأيت على ظهر نسخة من كتاب 'الإصناع والمؤانسة' بخط بعض أهل جزيرة صقلية' (١٥٦) .

وهذا ولم يكتف الصقليةون ، بحيرة العلماء إليهم من إفريقية . وإنما هاجر الصقليةون بأنفسهم إليهم للتعلم على أبدي شيوخ إفريقية . ومن أبرز هؤلاء ، الشيوخ المشاهير الذين كانت له مدرستهم الفكرية الخاصة بهم : أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد اللواتى المعروف بالحرقى المحدث الفقيه الذى وفد إليه بالقيروان لأخذ منه عالمان صقليان بارزان هما أبو القاسم

فقال في هذا الاتجاه ببلاد المغرب العربي^(٢٧٦) ، وهذا - في نظري - امتداد للنمو المغربي بصقلية .

٢- لم يكن التأثير القبراني التجريبي على صقلية ظاهراً في مصادرنا كما هو الشأن مع العلوم الدينية والفلسفة والأدبية ، ولكن - كما سبق ذكره - شهرة القبروان بهذه العلوم التجريبية ، وظهور علماء صقليين في هذه العلوم ، ودخول بعض علماء القبروان في هذه العلوم إلى صقلية - يدل على دور القبروان الكبير في تكوين صقلية علمياً في هذه العلوم التجريبية ، وإن لم يكن واضحاً وضوحاً شديداً كما هو الحال مع العلوم الدينية ثم العلوم اللغوية والأدبية .

٤- كان لدخول الكتب العربية إلى صقلية دور كبير في تكوينها الثقافي والعلمي ، وكانت صقلية - كباقي البلدان الإسلامية - متمطية إلى هذه الكتب التي كانت تكتب وتسخ وتشر وتوزع في ظروف صعبة ، ولا أدل على ذلك من كتاب (المغرب) لخلف بن يوسف بن بطرس الأندلسي الذي دخلت منه نسخة إلى صقلية فقرأ فيها - آنذاك - عبد الحق بن محمد بن هارون الصقلي (ت: ٧٣٣هـ / ١٣٤١م) واستحسنه ، وأراد شراءه فلم يتسّر له ثمنه ، فباع حواتج من داره واشترى (تفلا الكتاب ، وتنافس فيه الناس عند ذلك)^(٢٧٨) .

ثانياً : دور بلاد الأندلس في تكوين صقلية ثقافياً وعلمياً :

باتى دور بلاد الأندلس في تكوين صقلية ثقافياً وعلمياً ثانياً إذا ما قيس بدور القبروان في ذلك ، ولكنه على أية حال يعد دوراً محدوداً في بعض مجالات العلوم الدينية واللغوية ، والشئ اللافت للنظر هو أن مصادرنا أبرزت أثر العلماء الصقليين بالأندلس عن أثر الأندلسيين بصقلية ، أي إنها عندما ترجمت للعلماء الصقليين والأندلسيين فإنها أظهرت تأثير المدرسة الصقلية - بعد ظهورها وإكتمالها - في المدرسة الأندلسية^(٢٧٩) ، ولم تتحدث عن العكس ، مما يشير - فضلاً - إلى التأثير المحدود للأندلس على صقلية ، وهذه الهجرة ليست كهجرة القبروانيين إليها كما ، ونحن تركوا صقلية من الأندلس : سعيد بن شعيبان بن قرة المعروف بأبي الوليد الأندلسي ، الذي صحح بالقبروان وخرج منها إلى صقلية واستوطنها حتى وفاته سنة ٢٩٥هـ / ٩٠٧م وكان كثير الكتابة ، ضابطاً لما يكتب ، بالإضافة إلى كونه عالماً في العلوم الدينية^(٢٨٠) . ومنهم : موسى بن أبي حامد القرطبي الذي تلقى علوم اللغة بالعراق ثم استوطن صقلية (وكان بصيراً باللغة والإعراب)^(٢٨١) وسعيد بن قنصون بن سكرم

كان أسبق وأوضح منه في مجال العلوم اللغوية والأدبية ، فاقد ترجمت المصادر لأصحاب العلوم الأولى أكثر من أصحاب العلوم الأخيرة . ويبدو لي أن المدارس الأخرى : الأندلسية والمصرية وغيرهما قد شاركت المدرسة القبروانية في تكوين صقلية لغوياً وأدبياً كما سيظهر عند الحديث عن دور المدارس الأخرى في تكوين صقلية الثقافي والعلمي . ولعل ما يدعم رأي هو ماورد عن دور العلماء القبروانيين في مجال العلوم الدينية بصقلية من أقوال مثل : (فتخرج إليها ونشر بها - بصقلية - علماً كثيراً ، وعنه انتشر مذهب مالك بها^(٢٨٢) وأقام بصقلية أربع عشرة سنة يدرس الفقه ويأخذها في اللوح)^(٢٨٣) . وكانت المناظرة في جميع بلدانها "صقلية" بكتابه "التهذيب" في الفقه^(٢٨٤) إلى غير ذلك من أقوال تظهر الأثر القبرواني على صقلية في مجال العلوم الدينية وخاصة الفقه .

٤- لم تتأثر العلامات الفكرية بين المغرب - وبالتحديد القبروان - وبين صقلية بقيام الدولة الفاطمية بالمغرب وبحكمها لصقلية منذ سنة ٢٩٧هـ / ٩٠٩م ، فلقد رأينا استمراراً لهجرة علماء القبروان السنة إلى صقلية ، ولرحلة طلاب العلم الصقليين للقبروان ، ولم أعتبر على أي تأثير فكري للشريعة الفاطمية بصقلية ، وهذا لا يفي بوجود صقليين يصلون في الدولة الفاطمية ، وتأثرون بتدبيرها الديني والفكري ، ويستغلون وظائفهم في تهديد المخالفين لهم في المذهب والفكر ، وحدث مثل هذا من صقلية بترانس ووجد معارضة من أهل السنة بها^(٢٨٥) . ولكن الشئ الملاحظ هو معارضة الصقليين للحكم الفاطمي وثروتهم عليه أكثر من مرة^(٢٨٦) بسبب الولاة الفاطميين الظالمين ، ويكفي هنا أن أجدت عن واحد منهم ، هو خليل بن إسحاق والي صقلية للقائم بن عبيد الله المهدي ، وتولى هذا الوالي صقلية لمدة أربع سنوات (٣٢٥-٣٢٩هـ / ٩٣٦-٩٤٠م) قتل فيها العديدين من أهلها ، وعمل بها ما لم يعمل أحد قبله ولا بعده من المسلمين ، حتى فر بعض الصقليين إلى بلاد الروم . وذكر هذا الوالي يوماً مفتخراً بظلمه في مجلس حضره جماعة من رجوه الناس أنه قتل ألف - في رأي الكثيرين - ومائة ألف - في رأي القليل - وأغضب ذلك بقوله : (لا والله إلا أكثر)^(٢٨٧) وهذا الاعتراض من الوالي الفاطمي خليل بن إسحاق بين جرم ولاه الدولة الفاطمية بصقلية بعد المغرب^(٢٨٨) . ولعل هذا التقل قد طال العلماء الصقليين مع الأهالي - وإن لم تصح المصادر بالطرائق المتواترة - ولعلنا كان بسبب مقاومة الصقليين للفكر الشعبي - الذي قاربه تيلهم المغاربة - بل لعل للعلماء المغاربة دوراً في التصدي للفاطميين الشيعة بصقلية ، مثلما كان لهم دور

التحوى القرطبي . الذي كان منمكننا من علوم اللغة ، وألف مختصرات ومطولات في علم العروض ، كما كان له نصيبا من علوم الفلسفة . وقد سجن في أيام المنصور بن أبي عامر (٣٧٦-٣٧٢هـ/٩٧٦-١٠٠٢م) ولما أطلق سراحه ، استوطن صقلية حتى وفاته بها (٣٧٦) .

ومن أهم الهجرات الأندلسية إلى صقلية : هجرة الرغيبين الذين أخرجوا من الأندلس زمن الحكم بن هشام المعروف بالريضي (١٨٠-١٦٠هـ/٧٨٩-٨٢٢م) وتكثروا من نشيخ قرطيش (٣٧٦) (كوت) سنة ٢١٠هـ/٨٢٥م .

ولم يزالوا هنالك سجنين إلى أن تفرقوا (فربح بعضهم إلى الأندلس . واختار بعضهم سكي صقلية . وانتقل بعضهم إلى الإسكندرية) (٣٧٦) .

وعا بين أهمية هذه الهجرة لصلية أن الفقهاء الأندلسيين كانوا يمثلون نسبة من المهاجرين ، حيث اشتركوا في الثورة ضد الحكم الرضي في سنتي : ١٩٠هـ/٨٠٥م و ٢٠٥هـ/٨١٧م ، وكانوا ممن أخرجوا من الأندلس كغيرهم .

وكما انتقل علماء فيروثيون إلى صقلية هروبا من فترة الهلايين ، انتقل كذلك علماء من الأندلس إلى صقلية بسبب الفتنة الكبرى بقرطبة سنة ٣٣٩هـ/١٠٠٨م وثورة الأندلسيين على العامريين المتحكمين في الأندلس وقتئذ . ومن بين هؤلاء العلماء : أبو الملا حسان بن الحسن اليفسادي ، العالم اللغوي الذي دخل الأندلس واتصل بالمنصور بن أبي عامر سنة ٣٨٠هـ/٩٩٠م فأكرم وأقرط في الإحسان إليه . ثم استوزر . فلما وقعت الفتنة بالأندلس قصد صقلية وعاش بها حتى وفاته سنة ٤١٩هـ/١٠٢٨م (٣٧٦) .

وهناك إشارات (٣٧٦) لتزول طلاب العلم الأندلس من صقلية . وهذه الإشارات القليلة تدل على ما سبق الفهاب إليه من تدور الأندلس المحنود كي تكون صقلية ذكريا . ولعل صقلية قد استفادت من الأندلسيين في مجال (الوراقة) حيث عرف عنهم الحلق فيها (٣٧٦) . وقد سبقت الإشارة إلى انتقال عباس بن عمرو الصقلي الروابي إلى الأندلس سنة ٤٣٦هـ/١٠٤٧م وانضمامه إلى جماعات الروابيين الأندلسيين (٣٧٦) .

ولكن هناك كتابا في الفقه لفقهاء أندلسي هو خلف بن يوسف بن بهلول المعروف بالربلي (ت ٤٤٣هـ/١٠٥١م) مفتي بسنية في رفته وعظيها ، وجد رواجاً شديداً بصقلية بعد أن قرأه الفقيه الكبير الصقلي عبد الحق بن محمد بن هارون (ت ٦٦٦هـ/١٢٧٣م) . وقيل عن هذا الكتاب : (من أراد أن يكون فقيها من ليده تعليه بكتاب الربلي) (٣٧٦) . وعندي أن هذا

الكتاب دخل صقلية بعد اكتمال مدرستها الفكرية ، والفقهية بصفة خاصة ، فهو لم يسهم في تأسيس وتقيام هذه المدرسة ، وإنما في تشييدها وازدهارها ، وما حدث من الإقبال على هذا الكتاب بصقلية يدل على عظم النشاط الثقافي بها . وكتاب (التقريب) لابن بهلول الأندلسي يشبه في رواجه بصقلية كتاب (التنهيد) للبراهي القيرواني (ت ٤٤٣هـ/١٠٤٣م) . فلقد كانت المناظرة في جميع حلق صقلية بكتابه . وكان المعول في دراسة الفقه بصقلية والمغرب والأندلس على كتابه (١٨٠) .

تقييمها :

١- مثلت بلاد الأندلس راقبا ثقافيا لصلية في مجال اللغة بصفة خاصة . وما ورد في كتب التراجم عن علماء اللغة الأندلسيين الذين نزحوا صقلية بقوى مازدهت إليه ، فأكثر العلماء الأندلسيين نزولا بصقلية كانوا علماء في اللغة والنحو ، وحدث هذا أيضا بعد زوال الحكم العربي الإسلامي عن صقلية . فلقد أبحاث الرياح (١٨١) أيا الأربعاء سليمان الأندلسي المعروف بكثير ، والشهور بالتقدم في الأدب والبلاغة والقصاحة إلى دخول صقلية ، فدخلها ومكث بها مدة (١٨٢) .

٢- ساهمت بلاد الأندلس في ازدهار المدرسة الصقلية الفقهية عبر انتقال الفقهاء الأندلسيين إلى صقلية . وعبر انتقال الكتب الفقهية من الأندلس إلى صقلية ، وهذا الدور - وإن كان الحديث عنه في مصادرنا قليلا - يأتي في المرتبة الثانية بعد الدور القيرواني الكبير بصقلية .

٣- كان لأعلام المدرسة الصقلية الفكرية تأثير واضح بالأندلس ، وكان لهم علاقات ثقافية بأعلام المدرسة الأندلسية الفكرية ، وحدث بين المدرستين مناقشات حول بعض القضايا . وسبأتى حديث مفصل عن هذا عند تناول الرواد الصقليين الأوائل في كلى العلوم .

ثالثا : دور مصر في تكوين صقلية ثقافيا وعلميا :

لعبت مصر دورا مهما في تكوين صقلية في مجال القراءات القرآنية بصفة خاصة ، وازدهرت كتب التراجم والطبقات ، وكثرت تراجم القراء ، وأساء العديد من الصقليين الذين نزحوا مصر ليلقى هذه القراءات القرآنية ، ولتلقى العلوم الدينية بصفة عامة . وكانت مصر ملجأ للعلماء الصقليين الفارين من صقلية بعد وقوعها في يد النورمان سنة ٤٨٤هـ/١٠٩١م .

رأيها : دور العراق في تكوين صقلية ثقافياً وعلمياً :
 يبدو لي أن دور العراق في تكوين ثقافة صقلية في مجال اللغة : نحراً وأدبياً وثقافة ،
 وذلك من خلال قراءة المصادر التي توجت للعديد من اللغويين العراقيين الذين نشروا علوم
 اللغة العربية بصقلية ، ومن بين هؤلاء : علي بن حمزة اللغوي البصري الذي كان عالماً
 بالعربية ، عارفاً بصحبتها من شيوخها ، وله ردود على جماعة من أئمة أهل اللغة كابن دريد
 والأصمعي وابن الأثير وغيرهم ، وقد نزل هذا العالم اللغوي صقلية ، وروى بها شعر
 المتنبي ، وتوفي بها سنة ٣٧٥هـ/٩٨٥م . ويذكر هنا أن لابن حمزة تصانيف عديدة في
 مجال اللغة (١٩١) ، ولعلها كانت العين التي نهلت منه صقلية ثقافتها اللغوية . ومن دخل
 صقلية أيضاً من العلماء العراقيين : موسى بن عبد الله بن الحسين وكان ذا علم وأدب ومعرفة
 بالكلام ، وله شعر بديع ، وتوفي سنة ٤٨٦هـ/٩٩٣م . وقد سبقت الإشارة إلى العالم
 اللغوي أبي الملا صاعد بن الحسن البغدادي الذي ارتحل من الأندلس إلى صقلية ، وتوفي بها
 سنة ٤١٩هـ/١٠٢٨م .

كذلك ترواه العلماء الصقلية على بغداد ومنهم : محمد بن أبي الفرج الصقلية المعروف
 بالزكي الذي اشتهر بالتعلم بالنحو واللغة والأدب والفقه ، وتلقى هذه العلوم بالمغرب وبصقلية ،
 حتى أصبح إماماً فيها ، وتزل بغداد وخراسان وغزنة ورجال في تلك البلاد حتى وصل إلى
 الهند (١٩٥) .

وحكاه ومن خلال ماورد عن صلة العراق بصقلية ثقافياً ، نبهنا لنا التأثير اللغوي العراقي
 بصقلية .

تعقيب :

لا يمكن - بطبيعة الحال - حصر التأثيرات الثقافية واللغوية لبلاد معينة في بلد واحد ،
 خصوصاً شاملاً بين مشاركة أقوام آخرين وبلاد أخرى في تشكيل ثقافة ذلك البلد . وذلك لأن
 العالم الإسلامي كان وحدة واحدة تنتقل أفرادها بكل سهولة بين أرجائه ، وينتفون في مواسم
 عديدة ، ومنها على سبيل المثال في موسم الحج الذي يتلاقي فيه العلماء من كل بلد ،
 ويتدارسون العلم في هذا الموسم الديني العلمي ، وقد دودت إشارات إلى التقاء شيوخ صقلية
 ومصر والأندلس في موسم الحج (١٩٦) . وأشارت المصادر إلى التقاء النقيب الصقلية عبد الحق بن
 محمد بن هارون - الذي حج مرتين وتوفي سنة ٤٦٦هـ/١٠٧٣م - بإمام الحرمين أبي المعالي

حيث استوطن الكثيرون من العلماء الصقلية مدينة الإسكندرية وساهموا في ازدهار الحركة
 العلمية بها مع العلماء المصريين وغيرهم .

ومن بين من تلقى علوم القراءات القرآنية بمصر من الصقلية : علي بن كوس ، أبو الحسن
 الصقلية (١٨٣) . وأساسعيل بن خلف الصقلية الذي صنف في القراءات بعض الكتب (١٨٤) وابن
 القحام الصقلية (١٨٥) . وبعد رأياً من رواد القراءات القرآنية بصقلية ، حيث تلقى عنه الصقلية
 هذه القراءات . وكان ابن القحام حافظاً للقراءات حتى قبل عن حفظه : إنه ما روى أحد أعلم
 بالقراءات ورواها منه ، وأنه ليحفظ القراءات كما يحفظ القرآن . وكان قد بقي بمصر لطلب
 علم القراءات منذ سنة ٤٣٨هـ/١٠٤٦م وحتى سنة ٤٥٤هـ/١٠٦٢م . كما تلقى محمد بن
 خراسان المقرئ النحوي الصقلية هذه القراءات بمصر . وعاد ليعلمها بصقلية حتى وفاته سنة
 ٣٨٦هـ/٩٩٦م (١٨٦) .

أما أبرز من تلقى الفقه بمصر على علمائها : أبو الفضل أحمد بن علي بن الحكم الصقلية ،
 وسمح الفقه المالكي بالإسكندرية (١٨٧) . كما ذكرت المصادر عدداً آخر من نزل الإسكندرية من
 صقلية دون أن نذكر وتذكر تلقى هؤلاء للعلم بها . ومن هؤلاء : أبو بكر محمد بن الحسن بن
 علي الصقلية ، وهو نقيب مالكي ، تلقه بصقلية وأقرئته وقدم الإسكندرية (١٨٨) .

ومن خلال ماذكرناه من أخبار عن دور مصر في تكوين صقلية في مجال علم القراءات
 القرآنية بصفة خاصة ظهر لنا هجرة الطائفة لهذا العلم من صقلية إلى مصر . ولم أجد هجرة
 لعلماء مصر إلى صقلية اللهم إذا استثنينا أخباراً عن انتقال بعض الأدباء والشعراء إلى
 صقلية من مصر بعد زوال الحكم الإسلامي عن صقلية . ومن هؤلاء الذين سافروا إلى صقلية
 سنة ٥٦٥هـ/١١٦٩م : نصر الله بن عبيد الله بن مخلوب الإسكندرية ، وهو أديب شاعر ،
 تلقى العلم على أبي طاهر السلفي وعلي غيره ، ودخل صقلية وامتنح بها قائداً عربياً هو أبو
 القاسم بن الحجر ووصف باسمه كتاب الزهر الياسم في أوصاف أبي القاسم (١٩٠) .

ويظهر لي أن دور مصر في تعليم الصقلية القراءات القرآنية ، وغيرها هو الذي جعل
 الصقلية يتجهون إليها بعد ذلك بأعداد كبيرة ويحلون فيها مجالس العلم المختلفة : لا لمصر
 من تأثير قوى في أحد العلوم الدينية بصقلية وللروابط الوثيقة بين العلماء في كل من
 البلدين : مصر وصقلية .

سة بضع وخمسين وأربعمئة من الهجرة . وسأل الفقيه الصقلي إمام الحرمين أبا المعالي عدة مسائل علمية ، فأجاب عنها الإمام أبو المعالي (وكان عبد الحق يعترف بفضله) (١٢٧) . كما أن بعض العلماء الصقليين كابن ظفر ، أبي عبيدان محمد بن أبي محمد الصقلي ، العالم الأديب نشأ بكرة ، ومكث بها مدة (١٢٨) . ونصت المصادر على شيوخ المدينة الذين كان لهم دور علمي بصقلية وهم :

- ١- أبو محمد عبد الله بن فرج الدين .
- ٢- محمد بن إبراهيم الدين .
- ٣- أبو عبد الله محمد بن عبد الله (١٢٩)

ولهذا فإن البلاد العربية - التي سبق ذكرها - كان لها الدور القوي والواضح والمؤثر في صيود الثقافة والعلوم إلى صقلية ، إلى جانب دول ومدن أخرى ساهمت في هذا التأثير الثقافي العربي الإسلامي .

أبرز العلماء الصقليين ودرهم الثقافي والعلمي :

برز علماء صقليون في شتى العلوم والمعارف ، وقادوا الحركة الثقافية ببلدهم صقلية . وبغيرها من بلاد عربية ، وأثروا في هذه البلاد العربية ثقافياً ، وأخذ عنهم العلم فيها . وبذلك حدث تبادل ثقافي وعلمي بين صقلية وغيرها من بلاد عربية . ومن خلال زيارات هؤلاء العلماء الصقليين وتلاميذهم يتبين لنا أنه منذ النصف الثاني من القرن الرابع الهجري بدى في ظهور وواد المدرسة الفكرية الصقلية في المجالات المختلفة .

ومن أوائل المدرسة الصقلية الفكرية الفقهية : أبو القاسم الصقلي (١٠٠١) الذي درس العلوم الدينية بالقيروان ، وسمع منه بها عيسى بن موسى الشوفي سنة ٣٨٩هـ/٩٩٦م . وأبو بكر الصقلي ، وحدث عنه وعن أبي القاسم الصقلي الفقيه أبو عبد الله محمد بن عباس أحد فقهاء إفريقية ورواتها ونضالاتها (١٠١١) ، وتوفي سنة ٤٢٨هـ/٣٦٠م . وقد تلقى العديدون بصقلية الفقه عن أبي بكر الصقلي ، وأخذ عنه أيضاً بالمغرب (١٠٢١) . وصنف في الفرائض ، وشرح للمؤنة شرحاً كبيراً اعتمد عليه طلاب العلم بذهب الإمام مالك بالمغرب أيضاً (١٠٢١) . وأبو الحسن أحمد بن عبد الرحمن المعروف بابن الحصائري الصقلي ، أحد الفقهاء الكبار الذين تفقه الناس بهم بصقلية (١٠٤١) . وأبو بكر بن عبد الرحمن الصقلي ، وعبد الله بن الأخطاس ، وهما

من شيوخ صقلية الذين تلقى عنهم فقهها الكبر عبد الحق بن محمد بن هارون الصقلي (ت٦٦٦هـ/٧٣٠م) الفقه (١٠٤١) . وأبو بكر عبد الله بن الحسن الصقلي الذي سنع منه عالم أندلس هو هشام بن سعيد (١٠٦٦) (ت٤٣٠هـ/٣٨٠م) . وأبو العباس أحمد بن محمد الحراز الصقلي ، وأثرد برئاسة الفقه بصقلية ، وكان من أهل المنطق والفقه والأصول . وعليه تفقه متأخرو الفقه الصقليين . وقد لقبه فقهاء أندلسيون منهم : أبو الوليد الباجي ، وأبو عياد وغيرهما (١٠٧١) . وعن الفقيه أبي العباس الحراز وعن أبي محمد عبد الحق الصقلي وأبي محمد بن الأحب تلقى عالم فقه ميودقي (١٠٠٨) العلم والفقه وهو : أبو عبد الله محمد بن موسى الكلاعي (١٠١٦) .

ويعد أبو العباس أحمد بن محمد الحراز الصقلي ثرين عبد الحق بن محمد بن هارون الصقلي ، الذي تفقه على شيوخ صقلية الأرائل . وألف كتابا في الفقه (مفضل عند الناشئين من حذائق الطلبة) (١١٠٠) وقد نزل عبد الحق بن محمد بن هارون مصر وتوفي بها سنة ٤٦٦هـ/٧٣٠م) . ومن الفقهاء الصقليين أيضاً : ابن فرج الصقلي واعتمس بكتاب التمهيد في الفقه البرادسي ، وروى على نسق مدونة محسن (١١١١) . وابن القابلة (١١٣٦) . ورايت الصقلي الذي أخذ عنه بالأندلس (١١١٣) . وعلي بن عثمان بن الحسين الصقلي الذي قدم فسطاطة تاجراً ، وروى عنه بها (١١٤١) وعلي بن حمزة الصقلي الذي دخل الأندلس قبل ٤٤٠هـ/٤٨٠م . وأبو عبد الله بن النجاشي (١١٦١) . وابن صاحب الفقه الأندلسي الذي قال عنه أحد الفقهاء البورقيين : (هو أكبر من لقيت بصقلية) (١١٧٧) إلى غير ذلك من فقهاء صقليين عاشوا بها خلال فترة الحكم العربي لها ، وبعد ذلك (١١٧٨) .

أما عن أبرز الفقهاء المحدثين الصقليين فهم : أحمد بن سعيد الصقلي (١١٦٦) ، وأبو بكر عبد الله بن الحسن الصقلي (١٢٠١) ، والعباس بن عمرو الصقلي الذي روى أكد كتيب غريب الحديث بالأندلس (١٢١٦) ، وأبو بكر محمد بن سابق الصقلي وروى عنه أحد الفقهاء الحفاظ الحذاق ، وهو أحمد بن أحمد الأزهري المعروف بابن القصير (١٢٢٧) إلى غير ذلك من فقهاء محدثين صقليين (١٢٣٦) .

ومن العلماء الصقليين المرزوقين في مجال علم القراءات : أبو بكر بن بنت العروق القرقي وقد التقى به بصقلية خلف بن إبراهيم بن سعيد القرقي المعروف بابن الحصار (١٢٠١)

١١١٧هـ/١٧٠٧م) ثم انصرف إلى الأندلس (فقدم إلى الإقراة) وأخطبة بالمسجد الجامع بقرطبة (١١٤٤). وعشان بن علي السرقوسي الصقلي، وكان عالماً بالقراءات والنحو واللغة وله مصنفات فيها (وكانت له في جامع مصر حلقة للإقراة، وانتفع به الناس، ونقلوا عنه كلامه) ولقبه الحافظ الصقلي (١١٢٥).

وأهم العلماء الصقليين في مجال اللغة هم: محمد أبو بكر بن علي بن الحسن بن البر النحوي الصقلي الذي روى كثيراً من اللغة، والذي تنسب عليه لغويون صقليون أهمهم ابن الفطاح الصقلي، وكان ابن البر يديرة حازر الصقلية، ثم انتقل منها إلى مدينة صقلية أخرى هي بلرم، وأقام بها للإفادة. (وكان موجوداً هناك إلى سنة ٤٤٥هـ/١٠٥٨م) (١١٢٦) ويعقوب بن علي النحوي الصقلي، وبعد من أئمة اللغويين والعلماء، وكان حافظاً لأشعار العرب ومحايتها وله شعر في مدح أمير صقلية زمن الفاطميين (١١٧٦). وأبو محمد النحوي الصقلي المعروف بالدمعة وكان أحد رساء النحر واللغة بها (١١٨٨). ومحمد بن أبي الفرج، أبو عبد الله المعروف بالزكي، وكان عارفاً بالنحو واللغة (١١٢٦) وتوفي سنة ١١٦٦هـ/١١٦٦م. وابن القطاع النحوي، علي بن جعفر بن محمد الصقلي اللغوي (المصنف كتاب الأفعال الذي برز فيه علي ابن القرطبية (١١٣٠). وله مصنفات أخرى عديدة منها (أبنة الأسماء) وأحرواشي الصحاح) و(تاريخ صقلية) وكان إمام وقته بصر في علم العربية ونبون الأدب، وقد وصل إلى مصر حدود سنة ٥٠٠هـ/١١٠٦م، وبالغ أهل مصر في إكرامه وأقام بالقاهرة يعلم ولد الأفضل بن أمير الجيوش (١١٢٦). إلى غير ذلك من لغويين صقليين في فترة البحث، وبعدها (١١٢٦).

أما في مجال الأدب والشعر فهناك: سليمان بن محمد المهدي الصقلي الذي قدم الأندلس بعد سنة ٤٤٠هـ/١٠٤٨م ومدح ملوكها، وتقدم عند كبرائها (١١٣٦). ومجبر بن محمد الصقلي، وهو من أهل الأدب والشعر وأخذ عنه السلتي شيتا من الأدب، كما قرأ عليه بعضاً من أهلبيت وذلك عندما قدم مجبر الصقلي إلى مصر (١١٢٤) سنة (٤٤٨هـ/١٠٨٨م. وموسى بن أصبح (١١٢٥)، وأبو حفص عمر بن ساروا (١١٣٦)، وأبو حفص عمر بن عبد النور (١١٣٧)، وأبو العباس أحمد بن محمد الكلاهي (١١٢٨)، وأبو الحسن علي بن عبد الجبار المعروف بابن الكروني الفقيه الأدب الصقلي، وروى صقلية بقوله:

وكانت وكما بها قسي ظلي عيش ناعم وطيب

مد عليها الأمن استناره نهار ذكراها مع الزكيب

لم يشكروا نعمة ما خولوا تبدلوا المالح من العذب (١١٣٦)

وتهم أيضاً: ابن الحداد الصقلي (١١٤٠)، وابن حمديس الصقلي (١١٤١)، وغيرها (١١٤٢).

١- محمد بن الحسن الطرمي، أبو عبد الله الصقلي الذي قيل عنه: إنه أرمى في النحر على نظيره (أبو عبد الله إبراهيم محمد بن هرقلة)، وفي الطب على ابن ماسويه (يوحنا بن ماسويه الطبيب زمن المأمون والمنعم والواثق والموثق) وأن الطرمي كان جامعاً للقضايا، عالماً بالنصر فصيحاً، وقد مدح ابن القطاع الصقلي بقوله:

أيها الأئمة في الطب وأعراب الكلام

لك في النحر قيس لا يسامد مقام

ثم في الطب علاج دافع الداء العقام

وكان هذا الطبيب الشهير موجوداً بصقلية سنة ٤٤٥هـ/١٠٥٨م وجاء أنه عاش بعد ذلك مدة (١١٦٦).

٢- محمد بن علي بن عمر المازري، مع الحديث وأطلع على علوم كثيرة في الطب والحساب والأدب، وغير ذلك (فكان أحد رجال الكمال في العلم في وقته، وأبيه كان يفرغ في الفتوى، في الطب في بلد، كما يفرغ إليه في الفقه في الفقه) (١١٤٤)، وقد صنف كتباً في الفقه وفي أصول الفقه، وفي الأدب (وكان أحد الأذكاء الموصوفين والأئمة الصيحين) وله شرح لصحيح الإمام مسلم ساء: "العلم بغوائد شرح مسلم"، ولم يكن في عصره للمالكية في أقطار الأرض أئمة منه، ولا أقوم بلهيبهم (١١٤٥). وتوفي سنة ٤٤٦هـ/١١٤٦م عن ثلاث وثمانين سنة.

٣- علي بن إبراهيم بن الحسن بن علي النحوي الصقلي المعروف بابن العلم، أجاد في اللغة، وقرأ الطب، وتوفي سنة ٥٣٢هـ/١١٣٧م (١١٤٦).

٤- محمد بن عيسى، أبو عبد الله الصقلي، وهو من أصحاب العلم بعلم الهندسة والنجوم، ماهر فيهما، تيم بهما، مذكور بين الحكماء (١١٤٦).

جانب دورها الأساس في جهاد العدو . كذلك تحدث ابن حوقل عن المسلمين بصقلية فقال :
(والقالب على البلد المعلمون ، والمكاتب به في كل مكان) (١١٥٨) وذكر أنه رأى خمسة معلمين
في مكنت وأحد يعلمون فيه الصبيان (١١٥٩) .

ولجب الإشارة هنا إلى أن ابن حوقل عندما ذكر بعض مثالب الصقليين (١١٦٠) فإنه كان يعبر
عن تحامل واضح تجاههم ، ولاشك أنه متأثر بشورات الصقليين ضد الفاطميين - التي سبق
الحدث عنها - ويصوره لهؤلاء الفاطميين ، ولأنه زار صقلية في بداية ازدهار مدرستها
الفكرية ، حيث زارها سنة ٣٦٤هـ / ٩٧٢م (١١٦١) .

وهكذا نرى أن تكون قد أقيمتا بعض الضور ، على دود المغرب والأندلس ومصر والعراق
وشيرها من دول عربية في تكوين صقلية فكراً ، وعلى أبرز العلماء الصقليين في العلوم
المختلفة ، وعلى دورهم في البلاد السابقة بعد ازدهار مدرسة صقلية الفكرية .

١١٥٨ - ابن حوقل ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١١٥٨ .
١١٥٩ - ابن حوقل ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١١٥٩ .
١١٦٠ - ابن حوقل ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١١٦٠ .
١١٦١ - ابن حوقل ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١١٦١ .
١١٦٢ - ابن حوقل ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١١٦٢ .
١١٦٣ - ابن حوقل ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١١٦٣ .
١١٦٤ - ابن حوقل ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١١٦٤ .
١١٦٥ - ابن حوقل ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١١٦٥ .
١١٦٦ - ابن حوقل ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١١٦٦ .
١١٦٧ - ابن حوقل ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١١٦٧ .
١١٦٨ - ابن حوقل ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١١٦٨ .
١١٦٩ - ابن حوقل ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١١٦٩ .
١١٧٠ - ابن حوقل ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١١٧٠ .
١١٧١ - ابن حوقل ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١١٧١ .
١١٧٢ - ابن حوقل ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١١٧٢ .
١١٧٣ - ابن حوقل ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١١٧٣ .
١١٧٤ - ابن حوقل ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١١٧٤ .
١١٧٥ - ابن حوقل ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١١٧٥ .
١١٧٦ - ابن حوقل ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١١٧٦ .
١١٧٧ - ابن حوقل ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١١٧٧ .
١١٧٨ - ابن حوقل ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١١٧٨ .
١١٧٩ - ابن حوقل ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١١٧٩ .
١١٨٠ - ابن حوقل ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١١٨٠ .
١١٨١ - ابن حوقل ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١١٨١ .
١١٨٢ - ابن حوقل ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١١٨٢ .
١١٨٣ - ابن حوقل ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١١٨٣ .
١١٨٤ - ابن حوقل ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١١٨٤ .
١١٨٥ - ابن حوقل ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١١٨٥ .
١١٨٦ - ابن حوقل ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١١٨٦ .
١١٨٧ - ابن حوقل ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١١٨٧ .
١١٨٨ - ابن حوقل ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١١٨٨ .
١١٨٩ - ابن حوقل ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١١٨٩ .
١١٩٠ - ابن حوقل ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١١٩٠ .
١١٩١ - ابن حوقل ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١١٩١ .
١١٩٢ - ابن حوقل ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١١٩٢ .
١١٩٣ - ابن حوقل ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١١٩٣ .
١١٩٤ - ابن حوقل ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١١٩٤ .
١١٩٥ - ابن حوقل ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١١٩٥ .
١١٩٦ - ابن حوقل ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١١٩٦ .
١١٩٧ - ابن حوقل ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١١٩٧ .
١١٩٨ - ابن حوقل ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١١٩٨ .
١١٩٩ - ابن حوقل ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١١٩٩ .
١٢٠٠ - ابن حوقل ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١٢٠٠ .

هذا وهناك إشارة إلى مهارة أطباء صقلية في علاج امرأة سبت على يد زوجها (١١٥٨) .
تقريب :

من خلال ما سبق عرضت عن العلماء الصقليين في المجالات المختلفة تبين لنا دورهم في
صقلية وخارجها ، فلقد رأيت القراء الصقليين يعبر بطسوف القراءات (١١٤٩) ، كما رأيتهم
يردون الأحاديث ويدرسون الفقه . وبالمثل رأيتهم في الأندلس ، وبلاد المغرب التي كانت
المعنى الأول الذي نهل منه الصقليون علمهم ، وتعرفنا - عا سبق - على كتب لصقليين كان
اعتقاد المغاربة عليها في ثلثي العلم ، ووجدنا مصطلح (شيخ صقلية) (١١٥٠) ليقابل مصطلح
(شيخ مصر) و(شيخ القيروان) و(شيخ الأندلس) وغيرهم . وكان لشيخ صقلية رأي في
الأمر المعروضة للمناقشة والبحث ، ومنها رأيهم في الخلاف الذي نشب حول حديث البخاري
المروي في عمرة القضاة . في السنة السادسة من الهجرة وكاتبه النبي صلى الله عليه وسلم
لصلح الخديبية بيده . وقد رأى القاضي الأندلسي الفقيه أبو الوليد الباجي (ت
٤٧٤هـ / ١٠٨٠م) أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب بيده فأنكر عليه الفقيه أبو بكر بن
الصانع (١١٥١) ، فأنف أبو الوليد الباجي رسالة في هذه المسألة ، ووافقه أهل التحقيق . (وكتب
بها لشيخ صقلية ، فأنكروا على ابن الصانع ووافقوا أبا الوليد على ما ذكره) (١١٥٦) .

وبعداً عن هذا الخلاف ، فإنه تبقى حقيقة واحدة هي وجود مدرسة فقهية صقلية منذ
منتصف القرن الرابع الهجري شاركت في إثراء الحركة العلمية بصقلية ومصر والمغرب
والأندلس . ولاشك في أن عدداً كبيراً من علماء صقلية قد غادروها إلى البلدان السابقة ،
وهذا هو ما ذكره النديم (لا استولى الفرنج) (النورمان) على صقلية فأرق الجزيرة (صقلية)
كثير من العلماء والصالحين (١١٥٦) .

لقد كانت صقلية - بملاحظة الجغرافيين والمؤرخين (١١٥٤) - قليلة العسارة ، خاصة قبل
الإسلام ، فلما فتحها المسلمون انتقلوا إليها من إفريقية وأقاموا بها وعسروها وأحسنوا
عسارتها .

وأرى أن المؤسسات العلمية بصقلية دوراً مهما وصلت إليه من رقى علمي ، وقد تحدث
ابن حوقل عن مساجد صقلية الصاعدة (١١٥٥) وبين أنه لم ير بهلداً مثلاً رأى بصقلية من كثرة في
الماجد ، وأنه رأى في مقابر رومية سهم نحو عشرة مساجد يدركها البصر (١١٥٦) كما تحدث ابن
حوقل عن الأريطة للكثيرة بصقلية (١١٥٧) . وأعتقد أنها كانت تلعب دوراً في التعليم إلى

الهوامش

(١١) من الأمور الغريبة أن يقوم لمبروك الثاني الذي نشأ نشأة عربية بصفته ، وأربط بعلاقات جيدة مع سلاطين المسلمين في المجالات الثقافية والسياسية والتجارية - بطرق المسلمين من صقلية إلى جنوب إيطاليا : عقابا لهم على ثرواتهم الرابضة للتفسير الذي بدأ منذ أسبيلاء النورمان على صقلية ظهرأ ثارة وخافتا نارة أخرى ، والذي وقفت على الرحالة ابن جبير في سنة ١٠٥٨هـ/١١٨٤م في أيام ولسم الثاني . راجع رحلة ابن جبير ص٢٢٦ وص ٢٢٠ وص ٢٢٥ وص ٢٢٦ . وطن أبة حال قبان استنفا ، العرب بمصطلبة كان سبب تفرقهم الحضاري ، وعشما أجهروا على ترك صقلية تأثرت زراعاتها وصناعاتها بأثرا واضحا ، فمن حين انقضت اقتصاديات المناطق التي تزورها بجنوب إيطاليا ، وهو ما لاحظته العديد من الباحثين . راجع على سبيل المثال و . أمين الطيبي : دراسات في تاريخ صقلية ص١٥٨ وص١٥٨ وص٢٦٢ .

(١٢) وضع النويري هذا الأختار كلها في نهاية الأرب : جم ٢ ص ٢٨٣-٢٨٣ وراجع ما جاء مفرقا منها عند ابن عشاري : البيان القريب جم ١ . وابن الأثير الكامل جم ٣ وجم ٥ وجم ٧ وجم ٨ . والمقريزي : القلي الكبير جم ٢ وجم ٢ وجم ٣ وجم ٤ . وابن خلدون : العبر جم ١ .

(١٣) راجع ابن حوقل : صورة الأرض ص ١١٣-١٢٥ وياقوت : معجم البلدان جم ٣ ص ٤١٦-٤١٩ . والقديس : أحسن التقاسيم ص ٢٣٦ وص ٢٣٦ وص ٢٣٦ والقزويني : آثار البلاد ص ٢١٥ والإدريسي : نزهة المشتاق جم ٢ ص ٥٩١-٦٢٢ وراجع القزويني : القلي ص ٤٨٨ والثالثي : رياض القوس جم ٢ ص ٢٩٥ .

(١٤) الصلبي : رياض القوس جم ٢ ص ٢٩٥ .

(١٥) ياقوت : معجم الأدياب جم ١٣ ص ٢٠٩ ومعجم البلدان جم ٢ ص ٤١٨ .

(١٦) السيرفي : بقية الروعاء جم ٢ ص ١٥٦-١٥٣ .

(١٧) ابن حوقل : صورة الأرض ص ١٢٢-١٢٢ .

(١٨) النويري : نهاية الأرب جم ٢ ص ٣٥٤-٣٥٥ وراجع أبو الفداء : تقويم البلدان ص ١٢٢ وراجع ابن عبد الحق : مرشد الاطلاع جم ٢ ص ٤٤٧ .

(١٩) مؤلف مراكشي مجهول : الاستبصار ص ١١٩ .

(٢٠) يذمت محاولات فتح صقلية منذ عام ٩١٢م مع معارفة بن حديج ، وتكررت محاولات قصوها بعد ذلك من إفرنجية في سنة ٤٤٩هـ/٦٦٦م ، ١٠٢٠هـ/١٢٣٠م ، ١٠٥٠هـ/١٢٣٣م ، ١٠٩٠هـ/١٢٢٧م .

٢٢٩

١٠٩١هـ/١٢٨٨م ، ١١١٣هـ/١٢١٠م ، ١١١٦هـ/١٢١٣م ، ١١٣٥هـ/١٢٣٢م ، ١٢٥٢م . وقام بكل هذه المحاولات ولا إفرنجية . ومن ذلك راجع ابن الأثير : الكامل جم ١ ص ٢٠٦ و ٢١٦ و ٢١٩ و ٢٤٥ . وابن عشاري : البيان القريب جم ١ ص ١٦٦-١٧٠ و ٤٨٨ و ٤٩٠ و ٦١٠ و ٦٦٠ . والنويري : نهاية الأرب جم ٢ ص ٢٩١ وص ٣٥٢ . ومن بعض المحاولات السابقة راجع ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق جم ١٣ ص ٢٥٠-٢٥٠ . وابن عبد الحكم : فتح مصر ص ١٤٤ وفتحة بن جعفر : الفرج ص ٣٥١ وخليفة بن خطاب : تاريخ خليفة ص ٢٩٦ و ٣٢٦ و ٣٤٠ و ٣٤٥ و ٣٤٦ و ٣٤٧ و ٣٤٩ .

(١١) عن الجيش الفاتح لصقلية التي قبل إنه ضم أهل العلم والبصائر راجع القزويني : القلي ص ٤٨٠-٤٨٠ . وابن عشاري : البيان القريب جم ١ ص ١٠٣-١٠٣ . وابن عشاري : تاريخ فتحة الأندلس ص ٢٥٠ . وابن الأثير : الكامل جم ٥ ص ١٨٩ . والنويري : نهاية الأرب جم ٢ ص ٣٥٤-٣٥٥ . والثالثي : سمر أعلام النبلاء جم ١ ص ٢٢٧-٢٢٨ والثالثي : رياض القوس جم ٢ ص ٢٥٤-٢٥٤ وص ٢٧١-٢٧١ والقزويني : نزهة المشتاق جم ٢ ص ١٦٢ والقاضي عياض : ترتيب المارك جم ٢ ص ٤٨٠-٤٨٠ . وياقوت : معجم البلدان جم ٢ ص ٤١٧ وابن خلدون : العبر جم ١ ص ٢٧٠-٢٧٠ .

(١٢) الدمشقي : طبقات علماء إفرنجية ص ١١٤ . والثالثي : رياض القوس جم ٢ ص ٢٧٣ وأبو العرب النيسبي : كتاب المعن ص ٤٢٢ .

(١٣) عن هذه المدينة راجع الإدريسي : نزهة المشتاق جم ٢ ص ٥٩٥-٥٩٦ وص ٦٢٢ وص ٦٢٥ وأبو الفداء : تقويم البلدان ص ١٩٢ .

(١٤) ابن الأثير : الكامل جم ٢ ص ٧٨ .

(١٥) ابن عشاري ، البيان القريب جم ١ ص ١٠٦ .

(١٦) القاضي عياض : ترتيب المارك جم ٣ ص ١٢٨ وراجع الدمشقي : طبقات علماء إفرنجية ص ١٩٨ .

(١٧) القاضي عياض : السابق جم ٣ ص ٩٤-٩٥ وأبو العرب : طبقات علماء إفرنجية ص ١٣٤ .

(١٨) أبو العرب : كتاب المعن ص ٤٦٥ . وكان عبد الله بن أحمد بن طائب قاضي إفرنجية (من سنة ٣٥٧هـ) قد ولي ابن الجاني قضاء صقلية وعزل ابن الجاني من إياوة إبراهيم بن أحمد . ٢٩١١-٢٨٩٤هـ/١٠٩٠-١٠٩٠م .

(١٩) ابن ترميزن الثالثي : الدباج الذهب جم ١ ص ٣٧٤ وانظر القاضي عياض : ترتيب المارك جم ٢ ص ٢٢٢-٢٢٢ . والقاضي : طبقات علماء إفرنجية ص ١٤٧-١٤٨ وأبو العرب : كتاب المعن ص ٤٦٥ ومن أشهر مؤلفات ابن الكمال الفقيه : السليمانية .

- (٢٩٦) ياقوت : معجم الأديباء، ج١ ص ٣٨ .
- (٤٠٠) أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر ج٢ ص ١٩٩ والقيرزي : انصاف الخفا ج٣ ص ١٨٧ .
- (٤٤١) القيرزي : القفى ج٣ ص ٢٠ .
- (٤٤٢) راجع حاشية رقم (٢٢٧) .
- (٤٤٣) راجع المالكي : رياض النورس ج١ ص ٤٩-٤٠ . للولوف على ترجمة التقية يحيى بن عيسى .
- (٤٤٤) المالكي : رياض النورس ج٢ ص ١٩٧ .
- (٤٤٥) ابن القريظي : تاريخ المعطاء ج١ ص ١٩٤ .
- (٤٤٦) ابن الرومي : السابق ج١ ص ٢٤٢ .
- (٤٤٧) جمال الدين القنطري : تاريخ الحكماء، ص ٢٨٢-٢٨٣ ولم يوجد ما يفيد اشتغال هذا الكتاب عن إغريقية أو غيرها إلى صقلية .
- (٤٤٨) القاضى عياض : ترتيب المدارك ج١ ص ٧٧٨ .
- (٤٤٩) القاضى عياض : السابق ج١ ص ٧٩٢ وراجع ص ٨٢٦ .
- (٥٠٠) القاضى عياض : السابق ج١ ص ٧٧٤ وابن فرحون : الديباج الذهب ج٢ ص ٥٦٥ .
- (٥٠١) راجع جمال الدين القنطري : إتياء الرواة ج٢ ص ٢٤٦ .
- (٥٠٢) برزت مدرسة القيروان العلمية قبل الأغلبية . ولكنها ازدهرت ازدهارا كبيرا في فترة حكمها (١٨٤-٢٩٩هـ/ ٨-٩م) وبعد ذلك . وقد تشهر المديون من الأمازيغ الأتابية بحسب العلم وتقريب العلماء . ابن الأبار : الحلة السرا . ج١ ص ١٩٢ و ١٦٨ و ١٢٥ و ٣٧٩-٣٨٠ وراجع ابن خلدون : المعبر ج٢ ص ٢٦٨ وابن الأثير : الكامل ج١ ص ٣٦٣ وابن عسار : البيان القريب ج١ ص ٩٢ وص ١٣٣ والنويري : نهاية الأرب ج١ ص ١١٩ .
- (٥٠٣) راجع ياقوت : معجم الأديباء، ج١ ص ٣٧-٣٨ وعبد الواحد المراكشي : المعجب ص ٢٥٦ .
- (٥٠٤) ابن عسار : البيان القريب ج١ ص ٩٧ .
- (٥٥٥) ابن فرحون : الديباج الذهب ج١ ص ٦١ وص ٣٧٤ .
- (٥٦٦) القنطري : أسن القفاص ص ٢٢٨ .
- (٥٧٧) القنطري : أسن القفاص ص ٢٣٧ .

- (٢٠٠) أبو العرب : كتاب المعن ص ٤٩٤ وابن عسار : البيان القريب ج١ ص ١٦١ .
- (٢١١) أبو العرب : كتاب المعن ص ٤٩٦ والمالكي : رياض النورس ج٢ ص ٥٥ .
- (٢٢٢) لطيفي : طبقات علماء إفريقية ص ٢٢٥ وابن خلدون : المعبر ج٢ ص ٢٩٤ .
- (٢٢٣) القنطري : تاريخ الإسلام ج٢ ص ٣٢٨ وسر أعلام القبلاء، ج١ ص ١٤٥ وابن فرحون : الديباج الذهب ج٢ ص ٣٢٨ .
- (٢٤٤) القاضى عياض : ترتيب المدارك ج٢ ص ٣١١ والمالكي : رياض النورس ج٢ ص ١٩٢ .
- (٢٤٥) القاضى عياض : السابق ج٢ ص ٢٥٢ .
- (٢٤٦) القاضى عياض : ترتيب المدارك ج٢ ص ٩٤ .
- (٢٤٧) القاضى عياض : ترتيب المدارك ج٢ ص ٧٠-٧١ وابن فرحون : الديباج الذهب ج١ ص ٣٤٩-٣٥٠ والمالكي : سر أعلام القبلاء، ج١ ص ١٢٢ .
- (٢٤٨) القنطري : إتياء الرواة على أنباء النحال ج١ ص ٢٤٨-٢٤٩ .
- (٢٤٩) عن حصن طبروزين راجع الإزدجسي : نزهة المشتاق ج٢ ص ٥٩٥ وابن عسار : البيان القريب ج١ ص ١٢٢ والنويري : نهاية الأرب ج٢ ص ١٣٦ وص ٣٧٠ وابن الأثير : الكامل ج١ ص ٣٩١ وراجع ص ٥ .
- (٢٥٠) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج١ ص ١٥٧-١٥٨ .
- (٢٥١) الصلبي : الوافي بالوفيات ج١ ص ٤١٩ .
- (٢٥٢) الصنفي : الوافي بالوفيات ج١ ص ٢٠٨-٢٠٩ ونسب الإشارة هذا إلى أن بعض أطباء المغرب المشهورين بالتبليغ في الطب قد مارسه بلاد الأندلس أيضا . راجع الصنفي : الوافي ج٢ ص ٧٧٨ .
- (٢٥٣) القاضى عياض : ترتيب المدارك ج١ ص ٧٧١ .
- (٢٥٤) القنطري : سر أعلام القبلاء، ج٢ ص ١٠٠ وابن فرحون : الديباج الذهب ج١ ص ٢٥٦-٢٥٧ .
- (٢٥٥) راجع ابن الأثير : الكامل ج١ ص ٢٠٢ وص ٣٠٠ .
- (٢٥٦) ابن الأثير : السابق ج١ ص ٣٠٠ .
- (٢٥٧) عنها راجع ابن عسار : البيان القريب ج١ ص ٢٨٨-٢٩٣ .
- (٢٥٨) القنطري : إتياء الرواة ج١ ص ٣٣٨ وذكر أن ابن رشتيق تولى سنة ٤٤٥هـ . وابن خلكان : وفيات الأعيان ج١ ص ٨٥ وذكر أن ابن رشتيق تولى سنة ٤٦٣هـ . والسلي : معجم السفر ص ١٩٠ .

- (٥٥٨) القنسى : السابق من ٣٢٩ وص ٣٢٧ .
- (٥٥٩) القنسى : السابق من ٣٢٥ .
- (٦٠٠) ابن فرحون المالكى : الديباج الذهب جا من ٣٧٤ والقاضى عياض : ترتيب المذرك ج٢ ص ٢٤٣-٢٤٤ .
- (٦٠١) المالكى : رياض القفوس ج٢ ص ١٩٧ . والقاضى عياض : السابق ج٢ ص ٣١١ .
- (٦٠٢) ابن فرحون : الديباج الذهب جا من ٣٤٩-٣٥٠ . والقاضى عياض : السابق ج٢ ص ٧٠٨-٧٠٩ .
والذهبي : سير أعلام النبلاء ج٢ ص ١٧٢ ص ٥٢٣ .
- (٦٠٣) القاضى عياض : ترتيب المذرك جا ص ٧١٢-٧١٣ .
- (٦٠٤) ابن عطارى : البيان المغرب جا من ٢٩٨ وص ١٧٤ والتقريبى : أتحاظ الحنفا ج٢ ص ٢٢١ وابن خلدون : العبر ج٢ ص ٤٥٥ و٤٥٧ ووجه من ٢٦٤-٢٦٥ .
- (٦٠٥) ابن عطارى : البيان المغرب جا من ٢١٥ . ونجيب الإشارة هنا إلى وجود فترات استمرار مصقلية زمن القاطنين بسبب الثورة كثيرا بحيث السيرة . راجع ابن خلدون : العبر ج٢ ص ٢٦٨ وابن عطارى : البيان المغرب جا من ٢٤٥ .
- (٦٠٦) المصطفى : الرياض ج٢ من ٢٩ وص ٢٣ وابن عطارى : السابق جا من ١٥٥ و١٦٩ والقاضى عياض : ترتيب المذرك ج٢ ص ٣١٨ .
- (٦٠٧) ابن حناروى : السابق جا من ١٨٢-١٨٣ و١٨٧ والقاضى عياض : السابق ج٢ ص ٣٣٠ و٣٣٥ و٣٣٦ .
- (٦٠٨) ابن فرحون : الديباج الذهب ج٢ ص ٢٥٢ .
- (٦٠٩) سياتى تفصيل ذلك وراجع على سبيل المثال ابن بشكوال : الصلة جا من ١٢٥ و١٢٦ ووجه من ٤٠٩-٤١٠ والمهندس : جفوة القنسى من ٣١٧ .
- (٧٠٠) ابن القزوينى : تاريخ العلماء . جا من ١١٤ .
- (٧٠١) ابن القزوينى : السابق ج٢ من ١٤٧ .
- (٧٠٢) السيرطى : بنية الرواة جا من ٥٨٦ .
- (٧٠٣) ابن القزوينى : راجع ابن الأثير : الكامل ج٢ من ٢١٢ ووجه من ٥ وأبو اللدا . وتقريب البلدان من ١٩٥ وقائمة بن جعفر : المراج ج٢ من ٣٥ والقنسى : بنية القنسى من ٤٠٧ وابن خلدون : العبر ج٢ من ٢٧٠ .

- (٧٠٤) عبد الواحد المراكشى : العجب لمن تخلص أخبار القرب من ٢١ .
- (٧٠٥) ياقوت ودميم الأديب . جا ١ من ٢٨١ والقنسى : بنية القنسى من ١٢٥ والمهندس : جفوة القنسى من ٢٤٠ و٢٤٤ والقنسى : إنباء الرواة ج٢ ص ٨٥-٩٠ . وعبد الواحد المراكشى : العجب من ٣٧٢ وابن خلكان : وفيات الأعيان ج٢ ص ٨٩ وابن بشكوال : الصلة ج٢ من ٢٣٣ والتقريبى : نفع الطب ج٢ ص ٩٨ . ويذكر هنا أن فقه المراجع ذكرت عدة تواريخ لوفاته اللغوى صاهد : فهمى حدود تاريخ الرواة سنة ٤١٧ هـ أو ٤١٩ هـ . وذكرت أيضا أنه توفي توفى قريباً من سنة ٤٤١ هـ .
- (٧٠٦) ابن بشكوال : الصلة ج٢ من ٨٨ .
- (٧٠٧) القنسى : أمسن التقاسم من ٢٢٩ .
- (٧٠٨) راجع حاشى (٤٦١) .
- (٧٠٩) ابن فرحون : الديباج الذهب جا من ٣٥٢ . والكتاب التقريب : شرح المذكرة التى كتبها سحنون . وتتناول التقه على الذهب المالكى .
- (٨٠٠) ابن فرحون : الديباج الذهب جا من ٢٤٩-٢٥٠ . وراجع القاضى عياض : ترتيب المذرك ج٢ ص ٧٠٨-٧٠٩ .
- (٨٠١) من الأمور اللافتة للنظر تكرار تأثير الرياح على السفن السائرة قريبا من سفلية . ووجهها إلى الشواطى السفلية . وأحيانا صرحتها عن الشواطى السفلية المقصورة والبراة . ومن هذه الظاهرة راجع : ابن الأثير : الكامل ج٢ ص ٣٢٣ ووجه من ٨٥٨ والصيرى : نهاية الأرب ج٢ ص ٢٠٠ من ١٥٠ ووجه من ٣٨٢ وابن جبير : رحلة ابن جبير من ٢٢٢ وابن عطارى البيان المغرب جا من ١٠٥ وابن خلكان : وفيات الأعيان ج٢ ص ٢٨٨ . وقد حاول المسلمون تحاشى دور الرياح عند سفلية بصفة خاصة . فقاموا بوضع العديد من قطع الرطام بالسفن التجهة إلى سفلية لتشتت ولا تلمب بها الرياح أو المراج البحار . راجع المالكى : رياض القفوس جا من ٤٩٤ .
- (٨٠٢) القزوينى : عنوان الفرائد من ٢٨٠ .
- (٨٠٣) ابن الجوزى : غاية النهاية ج٢ من ٥٢٢ .
- (٨٠٤) المصطفى : الرالى ج٢ من ١١٦ .
- (٨٠٥) ابن الجوزى : غاية النهاية ج٢ من ٥٩ .
- (٨٠٦) القنسى : إنباء الرواة ج٢ من ١٦٤ - ١٦٥ وراجع من ٣٤٢-٣٤٣ .

- (١٠٧) القاضى عياض : ترتيب المارك ج٢ ص ٧٦٦ .
- (١٠٨) مسوقة : إحدى جزائر حوض البحر المتوسط ، وهي مسوقة وياضة تعرف بجزائر البليار ، ولتحت هذا الجزر الفصح المسمى سنة ١٢٩٠هـ/١٠٧٢م . ومن مسوقة جامع ابن عذاري : البيان القريب ج٢ ص ٤٥ . وتاريخ خليفة ابن خياط ص ٣٠٢ .
- (١٠٩) القاضى عياض : ترتيب المارك ج٢ ص ٨٢٦ .
- (١١٠) القاضى عياض : السابق ج٢ ص ٧٧٥ وجامع ابن فرحون : الدياج الذهب ج٢ ص ٤ .
- (١١١) القاضى عياض : السابق ج٢ ص ٨٠١ .
- (١١٢) القاضى عياض : السابق ج٢ ص ٨٠١ .
- (١١٣) ابن بشكوال : الصلة ج١ ص ١٢٥ .
- (١١٤) ابن بشكوال : السابق ج٢ ص ٤٠٩ - ٤١١ .
- (١١٥) ابن بشكوال : السابق ج٢ ص ٤٠٩ والغنى : بقية اللبس ص ٣١٣ .
- (١١٦) القاضى عياض : ترتيب المارك ج٢ ص ٧١٦ .
- (١١٧) القاضى عياض : ترتيب المارك ج٢ ص ٧٧٦ .
- (١١٨) هناك العديد من الفقهاء ، الصنفين المتأخرين منهم : حسن بن عبد ربيع (ت ٥٥٨هـ) . وجمال الدين أحمد بن عبد الله بن سعيد الصقل (ت ٩٢٢هـ) . جامع على الترتيب السابقين : بقية اللبس ص ٢٦٥ والصمدى : الرافى ج٢ ص ١٢٤-١٢٦ .
- (١١٩) ابن القزوينى : تاريخ العلماء ج٢ ص ٣٤٢ .
- (١٢٠) الحسينى : جغوة القنص ص ٣٦٥ .
- (١٢١) الحسينى ، السابق ص ٣١٧ والغنى : بقية اللبس ص ٤٣ .
- (١٢٢) ابن بشكوال : الصلة ج١ ص ٨١ .
- (١٢٣) جامع أيضا القاضى عياض : ترتيب المارك ج٢ ص ٧٧٦ . ومن ٨٠ والغنى : بقية اللبس ص ٢٤٦ .
- (١٢٤) ابن بشكوال الصلة ج١ ص ١٧١ .
- (١٢٥) القنص : إنها الرواة ج٢ ص ٣٤٢-٣٤٣ .

- (٨٢٦) القزوينى : القنص ج٢ ص ٦٢٢ وجامع السيرطى : بقية الرواة ج٢ ص ٩٩ وابن الجنوى : غاية النهاية ج٢ ص ١٣٦ .
- (٨٨٨) السلفى : معجم السفر تحقيق بجمعية المنسى ج١ ص ٢٠٨-٢١١ .
- (٨٩١) القزوينى : القنص ج٢ ص ٥٤٦ .
- (٩٠٠) ياقوت : معجم الأديب ج١ ص ١٢١ ص ٢٢١ .
- (٩١١) ياقوت : الصطر السابق ج٢ ص ٢٠٨-٢١١ .
- (٩١٢) ياقوت : السابق ج٢ ص ١٣٠ ص ٢٠٩ .
- (٩١٣) ابن الزبير ، صلة الصلة قسم ٣ ص ٤٧ .
- (٩١٤) راجع حاشية (٧٥) .
- (٩٥) السيرطى : بقية الرواة ج٢ ص ٢١ . ويذكر هنا أن محمد بن أبى الفرج بن فرج الصقل ولد بصلبة سنة ٤٢٧هـ ، وتوفى بأصبهان سنة ٥١٦هـ .
- (٩٦٦) القاضى عياض : ترتيب المارك ج٢ ص ٨٢٥ وهناك غير أكثر عدد عند الحسينى : جغوة القنص ص ٣٦٥ .
- (٩٧٧) القاضى عياض : السابق ج٢ ص ٧٦٥ وابن فرحون : الدياج الذهب ج٢ ص ٥٠٦ .
- (٩٨٨) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج٢ ص ٣٩٥ والقزوينى : القنص ج٢ ص ١٥٨-١٦٠ .
- (٩٩٩) السلفى : معجم السفر تحقيق عبد الله البودى ص ١٩ .
- (١٠٠٠) القاضى عياض : ترتيب المارك ج٢ ص ٥٧٢ .
- (١٠٠١) القاضى عياض ، السابق ج٢ ص ٧١ .
- (١٠٠٢) القاضى عياض : السابق ج٢ ص ٧١٦ .
- (١٠٠٣) القاضى عياض : السابق ج٢ ص ٨٠٠ .
- (١٠٠٤) القاضى عياض ، ترتيب المارك ج٢ ص ٧١٦ .
- (١٠٠٥) القاضى عياض : السابق ج٢ ص ٧٧٤ .
- (١٠٠٦) الحسينى : جغوة القنص ج٢ ص ٣٦٤-٣٦٥ .

- (١٢٦٦) القنطري : السابق ج٢ ص ١٩٠ وراجع ابن خلكان : وفيات الأعيان ج٢ ص ٣٢٤ .
- (١٢٦٧) القنطري : السابق ج٢ ص ٦٢ .
- (١٢٦٨) القنطري : السابق ج٢ ص ١٧٣ .
- (١٢٦٩) ابن الجوزي : المنتظم ج١٧ ص ١٥٢ والقنطري : السابق ج٢ ص ٧٢ .
- (١٢٧٠) ابن كثير : البداية ج٢ ص ١٧٧ .
- (١٢٧١) القنطري : إنباء الرواة ج٢ وابن خلكان : وفيات الأعيان ج٢ ص ٣٢٣ والذهبي : سير أعلام النبلاء ج١٩ ص ٤٣٣-٤٣٤ والسيريني : بحية الرعاة ج٢ ص ١٥٢-١٥٣ والبستاني : إشارة الصبيان ص ٢١٣ .
- (١٢٧٢) وراجع القزويني : القنص ج٢ ص ١٥٨-١٥٩ و١٦٠ والقنطري : السابق ج٢ ص ٧٤-٧٥ وابن خلكان : وفيات الأعيان ج٢ ص ٣٩٥ والسيريني : بحية الرعاة ج٢ ص ١٤٧ والقنطري : السابق ج٢ ص ١٤٤-١٤٤٠ .
- (١٢٧٣) ابن بشكوال : الصلة ج٢ ص ٤٠٢ والقنص : بحية القنص ص ٢٩٧ .
- (١٢٧٤) السلفي : معجم السفر تحقيق عبد الله البارودي (٣٨١-٣٨٢) .
- (١٢٧٥) الضمى : بحية القنص ص ٤٥٥ .
- (١٢٧٦) القاضى عياض : ترتيب المآثر ج٢ ص ٧٧٣ .
- (١٢٧٧) القاضى عياض : السابق ج٢ ص ٨٠ .
- (١٢٧٨) القاضى عياض : السابق ج٢ ص ٨٠ .
- (١٢٧٩) القاضى عياض : السابق ج٢ ص ٨٠ .
- (١٢٨٠) السلفي : معجم السفر تحقيق هبة المصطفى ج٢ ص ١٥١ .
- (١٢٨١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج٢ ص ٢١٢-٢١٤ والسلفي : السابق تحقيق هبة المصطفى ج٢ ص ١٨٨ .
- (١٢٨٢) وراجع ابن خلكان : السابق ج٢ ص ٣٢٣-٣٢٤ .
- (١٢٨٣) القنطري : إنباء الرواة ج٢ ص ١٠٧ .
- (١٢٨٤) ابن كرسونة : الذهب ج٢ ص ٢٥-٢٥٢ والقنص : سير أعلام النبلاء ج٢ ص ١٠٥-١٠٦ .

- (١٢٨٥) القنص : السابق ج٢ ص ١٠٩ وراجع القزويني : أزمان الرياض في أخبار عين ج٢ ص ١٦٥ .
- (١٢٨٦) القنطري : إنباء الرواة ج٢ ص ٢٢ .
- (١٢٨٧) القنطري : تاريخ الحكايا ص ٢٨٨ .
- (١٢٨٨) ابن الأثير : التكميل ج٢ ص ١٥٨ والتورني : نهاية الأوب ج٢ ص ٣٨ .
- (١٢٨٩) توفد من الأخبار عن هذا الأمر وراجع ابن الجوزي : نهاية النهاية ج٢ ص ١٠٥ والسلفي : معجم السفر تحقيق عبد الله البارودي (١٨٩-٣٨١ و٤٧٧ و٤٧٧) وذكر هنا أن الحافظ السلفي تحدث كثيرا عن العلماء الصقليين بالإسكندرية التي قصدها إثر سقوط صقلية في يد النورمان . وراجع معجم السفر تحقيق البارودي ص ١٦٨ و١٦٩ و١٧٠ و١٨٩ و٢٠٠ .
- (١٢٩٠) القاضى عياض : ترتيب المآثر ج٢ ص ٨٢٥ و٨٢٦ .
- (١٢٩١) النباهي : تاريخ قضاة الأندلس ص ٢٤٤ وابن فرحون : الديباج الذهب ج١ ص ٣٨١-٣٨١ وراجع من ص ٣٧٧-٣٨٥ .
- (١٢٩٢) ابن فرحون : السابق ج١ ص ٣٨١ .
- (١٢٩٣) نهاية الأوب ج٢ ص ٣٨١ وراجع ابن الأثير : التكميل ج٢ ص ١٥٨ .
- (١٢٩٤) بالروت : معجم البلدان ص ١٧٠ وراجع القنطري : القزويني ج٢ ص ٦١ وابن خلدون : العبر ج٢ ص ٢٥٨ .
- (١٢٩٥) ابن حوقل : صورة الأرض ص ١١٣ و١١٥ و١١٥ .
- (١٢٩٦) ابن حوقل : السابق ص ١١٥ .
- (١٢٩٧) ابن حوقل : السابق ص ١١٦ .
- (١٢٩٨) ابن حوقل : السابق ص ١٢٠ .
- (١٢٩٩) ابن حوقل : السابق ص ١٢٣ .
- (١٣٠٠) ابن حوقل : السابق ص ١٢٠ و١٢١ و١٢٢ و١٢٣ .
- (١٣٠١) ابن حوقل : السابق ص ١٢٢ .

مصادر البحث

- ابن الأثير : الحلة السيرة . تحقيق د. حسين مؤنس . الشركة العربية للطباعة ١٩٩٣ م .
- ابن الأثير : الكامل . دار الكتاب العربي - بيروت .
- الإدريسي : نزهة المشتاق في أشراف الأفاق . عالم الكتب - بيروت .
- ابن بشكوكال : الصلة . تحقيق السيد عزت المطار . الخالجي .
- ابن جبير : رحلة ابن جبير . دار الكتاب اللبناني - دار الكتاب المصري .
- ابن الجوزي : غاية النهاية في طبقات القراء . مكتبة المنشي - القاهرة .
- ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم . تحقيق محمد عطا ومصطفى عطا . بيروت .
- الحسيني : جلوة القيس في ذكر ولاية الأندلس . الدار المصرية للتأليف ١٩٦٦ م .
- ابن حوقل : صورة الأرض . مكتبة دار الحياة - بيروت .
- الخنفي : طبقات علماء إفريقية . دار الكتاب اللبناني - بيروت .
- ابن خلدون : العمر . تحقيق خليل شحادة . دار الفكر - بيروت ١٩٨١ م .
- ابن خلكان : وفيات الأعيان . تحقيق د. إحسان عيسى - بيروت .
- خليفة بن خياط : تاريخ خليفة . تحقيق د. أكرم العمري . دار العلم - بيروت .
- الذهبي : سير أعلام النبلاء . تحقيق الأرنؤوط . مؤسسة الرسالة . تاريخ الإسلام . تحقيق د. عمر تدمري . دار الكتاب العربي .
- ابن الزبير : صلة الصلة . تحقيق د. الهراس وسعيد أعرب . المغرب ١٩٩٣ م .
- الحافظ السلمي : معجم السفر . تحقيق د. بهيجة المنشي . العراق . وأخرى بتحقيق الهارودي . دار الفكر - بيروت .
- السبوطي : ضجة الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة . تحقيق محمد أبو الفضل . عيسى الحلبي .

- الصندي : الرائي بالوليات . باعتناء دهبينغ وريتر وفان أمس - بغداد ١٩٤٢ م .
- الضبي : بقية المناس في تاريخ رجال أهل الأندلس . دار الكتاب العربي ١٩٦٧ م .
- ابن عبد الحق : مرآة الاصلاح . تحقيق البهاري . دار المعركة - بيروت .
- ابن عبد الحكم : فتوح مصر . تحقيق محمد صبيح . دار الكتاب العربي - بيروت .
- ابن عشاري : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب . تحقيق بروتنساله وكولان - بيروت .
- أبو العرب : كتاب الحين . تحقيق د. الجبوري . دار الغرب الإسلامي ١٩٨٨ م .
- طبقات علماء إفريقية . دار الكتاب اللبناني - بيروت .
- القاضي عياض : ترتيب المدارك وتقريب المسالك . تحقيق د. أحمد بكير - بيروت .
- الغريشي ، عنوان الدراية . تحقيق عادل تميمي . دار الأفاق الجديدة - بيروت .
- الفاسي (نقى الدين) : العقد الشين في تاريخ البلد الأمين . تحقيق فزاد سيد ١٩٦٧ م .
- أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر . دار المعرفة - بيروت .
- تقوم البلدان - باريس .
- ابن فرحون : الديباج الذهب في معرفة أعيان علماء المذهب . تحقيق د. محمد الأحمدى أبو القور . دار التراث للنشر .
- ابن الفرضي : تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس . تحقيق السيد المطار . الخالجي .
- فدامة بن جعفر : المخرج وصناعة الكتابة . تحقيق د. محمد الزبيدي . العراق .
- القوييني : آثار البلاد وأخبار العباد . دار صادر - بيروت .
- القفطي : تاريخ الحكماء . مكتبة المنشي - بغداد .
- إنباء الرواة على أنباء الصحابة . تحقيق محمد أبو الفضل . دار الفكر العربي ومؤسسة الكتب الثقافية بيروت .
- ابن كثير : البداية والنهاية . تحقيق علي ميموش وعادل عبد الموجود . دار الكتب العلمية - بيروت .

- المالكي : رياض النفوس . تحقيق بشر الكوش . دار الغرب الإسلامي - بيروت .
- مجهول : الاستبصار في عجائب الأمصار . تحقيق د. سعد زغلول . الإسكندرية ١٩٥٨م .
- المراكشي (عبد الواحد) : العجيب في تلخيص أخبار المغرب . تحقيق محمد سعيد العريان ومحمد العري . المكتبة التجارية الكبرى ١٩٤٩م .
- المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم . لندن . مطبوع في دار الغرب الإسلامي .
- المقرئ : أتمناظ لمنها . طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - مصر .
- المقضي الكبير . تحقيق البعلاني . دار الغرب الإسلامي .
- المقرئ : نفع الطيب . تحقيق د. إحسان عباس . دار صادر - بيروت .
- أزهار الرياض . صدوق إحياء التراث الإسلامي .
- ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق . دار الفكر - دمشق .
- القنابي : تاريخ قضاء الأندلس . دار الكتب العلمية - بيروت .
- القريري : نهاية الأرب في فنون الأدب ج ٢ تحقيق د. حسين نصار . الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٣م .
- يا قوت المصري : معجم الأديب . دار الفكر - بيروت .
- معجم البلدان . دار صادر - بيروت .
- البهائي : إشارة التبيين في تراجم النعاة والمقويين . تحقيق د. محمد العبد دياب . مركز فيصل للبحوث .

د. أحمد محمد السوقي المنوفي (١٥)

الكيانات العربية الإسلامية

على سواحل جنوب إيطاليا وفرنسا

تقديم :

لمح المسلمون في إقامة كيانات عربية إسلامية على سواحل جنوب إيطاليا وفرنسا . في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) . وما كان هذا النجاح إلا حلقة من حلقات الأمجاد الإسلامية التي تحققت في هذا القرن . والتي تعطي دلالة واضحة على تفوق المسلمين على الأوربيين آنذاك .

فقد شهد القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) استيلاء المسلمين على جزيرة كريت^(١) وصقلية^(٢) والأرخبيل المالطي^(٣) وجزر البليار^(٤) . وتكتمل من إزمام جزيرة قبرص جانب الحياض في نزاعها مع البيزنطيين^(٥) . كما شهد محكمهم في الطرق البحرية . ومداخل البحار الضيقة^(٦) .

أولاً : العوامل التي ساعدت على قيام الكيانات العربية الإسلامية على سواحل جنوب إيطاليا وفرنسا .

* - أستاذ مساعد التاريخ الإسلامي - كلية اللغة العربية - جامعة الأزهر .

الإسبورية المنتقلة ، فقد كلفت هذه الاعتداءات الإمبراطورية البيزنطية الكثير من الجهد والعناء وأرهقت ميزانيتها (١١١) .

أما إمبراطورية الفرنجة ، أو الإمبراطورية الكارولنجية ، أو فكان من أهم أسباب ضعفها أيضاً - إغتيال أمر البحرية ، وكان شارلمان قد أولاه اهتماماً كبيراً ، ولكن خلفاءه لم يعطوها هذا الاهتمام ، وتفككت قواها في آخر أيام لويس الثقي (٨١٤ - ٨٢٠ م / ١٩٩ - ٢٣٦هـ) (١١٢) .

وكان من عوامل ضعف دولة الفرنجة - في هذه الفترة - الخلاطات الداخلية والانقسامات التي سادت الإمبراطورية ، فقد تفرقت بعد وفاة لويس الثقي إلى ثلاثة أجزاء ، يمتصى معاهدة فردن سنة ٨٤٣ م / ٢٢٩هـ ، ونشبت الفتنة والمعارك الداخلية في الإمبراطورية ، وبعد وفاة أبناء لويس الثقي الثلاثة ، وانقسام أحفاده أركان الإمبراطورية ، ازدادت دولة الفرنجة ضعفاً على ضعف .

وفي سنة ٨٩٣ م / ٢٨٠هـ ، كانت دولة الفرنجة أو فرنسا ، في مرحلة كبيرة من الضعف ، حيث كان النزاع على أشده بين (شارل السيط) سليل الأسرة الكارولنجية ، وبين (أودو) كونت باريس ، وانتقل الساج في فرنسا من (شارل السيط) إلى (أودو) ، ثم عاد إلى (شارل السيط) بعد وفاة (أودو) سنة ٨٩٨ م / ٢٨٥هـ ، وظل يحكم إلى وفاته سنة ٩٢٩ م / ٣١٧هـ (١١٣) .

وكان من عوامل ضعف دولة الفرنجة - أيضاً - الأخطار الخارجية ، وقد غلقت تلك الأخطار في السلاف والفاغار على حدودها الشرقية ، والمسلمين على حدودها الجنوبية ، وغفل الخطر الأكبر في النورمان (١١٤) .

وإذا كانت الفتنة الداخلية والأخطار الخارجية ، من عوامل ضعف دولة الفرنجة ، فإنها كذلك - لم تهمل لها الاهتمام الكافي بالبحرية وبناء الأساطيل ، وكان ذلك - كما سبق - من أسباب ضعفها أمام المسلمين ،

٤ - نشاط الجماعات البحرية الخاصة أو المجاهدين البحريين :

وكان نشاط هذه الجماعات من أكبر عوامل التفوق البحري الإسلامي على البيزنطيين والأوروبيين عامة في حوض البحر المتوسط في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) ،

١ - التفوق الإسلامي - بصفة عامة - على الجانب الأوربي ، وبخاصة البيزنطيين الذين اعتبروا أنفسهم أصحاب السيادة الشرعية على إيطاليا ، والفرنجة الذين كانت الكيانات العربية الإسلامية في جنوب بلادهم .

فبعد قيام هذه الكيانات ، كانت موازين القوى بين المسلمين والأوربيين ، تميل ناحية الجانب الإسلامي ، وكان تفوق المسلمين في مجال البحرية ، عاملاً رئيساً في تقدمهم ، وكان القفل في هذا التفوق ، يرجع إلى ولاية القنود كطرسوس وطرابلس في شرق البحر المتوسط ، ودولة الأغالبية في غربه ، بالإضافة إلى المجاهدين البحريين أو الجماعات البحرية الخاصة .

وعلى الجانب الأوربي ، نجد ضعف هذا الجانب ، وكانت الدولتان البارزتان في هذا الجانب، الإمبراطورية البيزنطية في الشرق ، وإمبراطورية الفرنجة في الغرب .

أما الإمبراطورية البيزنطية ، فكان من أهم أسباب ضعفها أمام المسلمين ، تأخرها في المجال البحري ، فقد التجد أباطرة بيزنطة إلى إهمال شأن الأسطول ، بل إنهم تعدوا العمل على إضعافه قبل القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) ؛ وذلك لأن الأسطول البيزنطي كان قد بلغ مبلغاً عظيماً من القوة والنفوذ ، مكنته من خلع بعض الأباطرة وتنصيب بعضهم (١٧) ، وأدى ذلك إلى خوف الأباطرة من الأسرة الأسبورية من قوة هذا الأسطول . كما كان للخلاف الذهبي القائم حول عبادة الصور ، هدد في إضعاف هذا الأسطول ، فقد كان معظم رجال الأسطول من قطاعات تؤمن بعبادة الصور ، هذا الإيمان الذي يتعارض مع روح الملاح الميالة إلى التزعبلات والخرافات (١٨) .

يضاف إلى ذلك ، أن البيزنطيين رأوا خصوصتهم المهاجرين منصرفين - في تلك الآونة - عن الاهتمام بالبحرية ، فأمروا جانب بحرية خصوصتهم ، وجاردهم في ذلك ، فأقدموا على إنشاء القيادة العليا للأسطول ، والخط من قدر الأثرية البحرية ، ونقص عدد سفنها نقصاً كبيراً (١٩) . وكان من عوامل ضعف البيزنطيين ، الفتن والثورات الداخلية ، ومن أبرز تلك الثورات ثورة توماس السلاحي ما بين سنتي ٨٢١ م / ٢٠٦ هـ - ٨٢٠ م ، التي كان لها تأثير سيى ، على البحرية البيزنطية ، أو فقد تشتت نسل أساطيل الولايات البيزنطية ، وإنهكتها الحرب الأهلية ، وضعفت قوتها (٢٠) .

ومن عوامل ضعف البيزنطيين ، الاعتداءات الخارجية من الدول التي تناصب البيزنطيين المعاء ، كالمسلمين ، والروس الفارانجيين ، أصحاب كيف وجنوب روسيا ، والبلغار والقبائل

هنا وقد ضمن تدفق المجاهدين من المغرب والأندلس وكريت ، على الأماكن التي أقامت بها الجماعات البحرية في جنوبي إيطاليا وفرنسا - بعد فتحها - تجديد نشاط هذه الجماعات ، وأعادتها على الحضي في تحقيق مخططاتها .

وكد جعل الدور الجهادي ، للجماعات البحرية موضع تعاطف الحكومات معهم ، وجعلتهم دولة الأندلسيين بالأندلس - بصفة خاصة - محل رعايتها واهتمامها .

٣ - اهتمام دولة الأغالبة بالبحرية والقنوجات البحرية :

وكانت حدود دولة الأغالبة من طرابلس شرقاً حتى بجاية غرباً ، وكان لايربطها بالدولة العباسية - سوى رابطة الولاة الروحي للخليفة أمير المؤمنين ، ودفع للحراج السنوي إلى ديوان الخلافة في بغداد ، وقد دفع الأغالبة إلى الاهتمام بالنشاط البحري بحوامل :

أ - منها الروح الدينية العالية التي كانت تسمو المغرب عامة ، وأثرية خاصة ، ولعل

ذلك من أثر الفتى التي اتخذت من أرض إفريقية وطرابلس مسرحاً دائماً ، حوالى منتصف القرن الثامن الهجري (١١٩) ، وظهور طائفة من العلماء الأتقياء الذين أندوا النصح للرعية والأمرء ، على السواء ، ومن أمثلة هؤلاء الإمام سحنون ، وأسد بن الفرات ، ولقاضي ابن محرز ، وكان لأمشال هؤلاء الفضل في منزع العلم بالتدبير وبالجهاد ، بطريقة لم تعرف في غير إفريقية من بلاد الإسلام (٢٠٠) .

ب - ومنها أن دولة الأغالبة - كدولة فنية - لها تطلعات في التوسع والسيطرة لم تجد فيها يناخضها من المناطق البرية ، التي تقوم فيها دول إسلامية ، ما يحقق لها هذه الغاية ، إزاء ذلك لم تجد متنفساً لرغبتها في التوسع والسيطرة ، إلا الجزر والسراجل غير الإسلامية في حوض البحر المتوسط ، ووجد الأغالبة في هذا جهاداً يشاؤون عليه . بينما ياشعرون بقتال جيرانهم المسلمين .

ج - ومنها أنهم وجدوا في الجهاد البحري طريقاً ، يقضون به على ماكان يحدث داخل دولتهم من اضطرابات وفتن بين القبائل المختلفة (٢١) .

د - التعاون بين القوى البحرية الإسلامية :

كان للتعاون بين أساطيل الدول الإسلامية والجماعات البحرية في القرن الثالث الهجري ، لوثق الصلات بما حققه المسلمون من إنجازات وتفوق بحري ، صحيح أنه لم تكن هناك وحدة

وتحلت هذه الجماعات النصب الأكبر في القنوجات ، وإقامة الكيانات الإسلامية في جنوبي إيطاليا ، وكان عليها - وحدها - عبء القنوجات وإقامة الكيانات في جنوبي فرنسا .

أما الجماعات البحرية الخاصة ، أو المجهزون البحريون ، أو غزاة البحر - كما تطلق عليهم ذلك بعض المصادر - فهي جماعات أحبت الجهاد ، ومحاوية أعداء الإسلام ، ابتغاء مرضاة الله ، وتحلت بروح الشاكرة وكان جل هدفه الجماعات من الأندلس ، فأهل هذه البلاد لديهم خبرات بحرية كبيرة ، توارثوها جيلاً عن جيل ، وساعدتهم على ذلك طبيعة بلاد الأندلس .

كما ساعد على وجود هذه الجماعات في الأندلس - بصفة خاصة - أن الحكومة القائمة في قرطبة ، قد شغلت في هذه الفترة - القرن الثالث الهجري - مشاكلها الداخلية ، والتزاع مع الممالك المسيحية في الشمال ، ولم تولد للبحرية ، أو الغزاة في البحر ما يستحق من اهتمام (١٥١) .

وتشير الخريبات الأوربية إلى أن هؤلاء المجهدين الأندلسيين ، قد وكروا البحر - وعرفوا القتال فيه وحذقوه ، منذ أواخر القرن الثامن الهجري ، وتعاطفت إنجازاتهم ابتداء من القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) (١٦١) .

هذا وقد شهدت سواحل إفريقية - التابعة للأغالبة - قيام جماعات من الجهاديين البحريين ، كما كانت هناك الجماعات البحرية في جزيرة كريت ، هذه الجزيرة التي فتحتها بعض الجماعات البحرية الأندلسية سنة ٢٦٢هـ كما سبق .

وقد قامت هذه الجماعات بغزو الجزر والسواحل المسيحية لحسابها الخاص ، وتحملت نفقات إنشائها ، السفن وتجهيزها للقتال ، وكانت حملاتهم تتم بوحى من أنفسهم بعيدة عن توجيه الأمرء ، والحاكم في أغلب الأحيان (١٧٠) .

وقد ساعد الجماعات البحرية على تحقيق النجاح ، ما كانت تتحلى به صفات الشجاعة والجرأة والإقدام وكفائتهم في اختيار المواقع المناسبة لإقامة معسكراتهم ، واتباعهم خطة حربية قائمة على أسلوب الكر والفر ، وقيامهم بالفتارات السريعة الحاطفة ، وإقتناهم حروب الجبال المرتفعات ، كما ساعدتهم ماذاع عند غاراتهم ، من شجاعتهم الفائقة وشدة بأسهم ، مما ألقى الرعب في قلوب خصومهم ، ومن ذلك ما وصفهم به كاتب معاصر لهم ، حيث قال : " إن القوي الواحد منهم يهزم ألفاً ، واثنين يهزمان ألفين " (١٨١) .

وقد هباً ليرم احتلال مكانة بحرية هامة ، ماكانت تتمتع به من موقع استراتيجي ممتاز .

لترتها من صيني وجنوب إيطاليا من جهة ، ولسهولة اتصالها البحري بالترقية من جهة أخرى ، وبخاصة أن جزيرة قوصوة ، كانت بيد المسلمين آنظ (٢٧١) .

وبالنسبة لجنوب فرنسا ، كان قرب السواحل الأندلسية الشرقية من بلاد الفرجة ، ثم فتح المسلمين لجزر البليار ، من أهم العوامل التي ساعدت الفاتحين المسلمين في جنوب فرنسا .

وقد تضمنت السراسل الأندلسية الشرقية كثيراً من القواعد البحرية ، ومن أهم هذه القواعد :

أ - طركونة : وهي مدينة ساحلية في الشمال الشرقي من الأندلس ، يقع برشلونة وطرطوشة .

ب - طرطوشة : وهي مدينة قريبة من شاطئ البحر في الساحل الشمالي الشرقي للأندلس ، شمال شرق بلنسية على ظهر إبرة (٢٢٨) .

ج - بلنسية : من سواحل الأندلس الشمالية الشرقية ، وتقع شمال غرب دانية على نهر طرطوشة (٣٠) . أما جند البليار (٣١) ذات المرقع الاستراتيجي ، بين سواحل شرق أسبانيا وجنوب فرنسا وجنوب إيطاليا وجزر سرديانية وقورسنة وصقلية ، فكانت بعد الفتح النهائي لها سنة ٢٩٠ هـ / ٩٠٢م (٣١) ، بمثابة خط الدفاع الأمامي عن الأندلس في مواجهة القوى المسيحية المعادية ، وكان لها دورها في دعم المجاهدين البحرين الذين قاموا بالفتح في جنوب فرنسا (٣٣) .

٦ - الأوضاع في إيطاليا وجنوب فرنسا عند الحملات الإسلامية :

قد ساعدت تلك الأوضاع الفترحات الإسلامية وإقامة الكيانات العربية الإسلامية ، أما إيطاليا ، فكانت البيزنطة السادة الإسمية على مدنها ، وكانت روح الاستقلال المحلي ، تحرك سكان المدن الإيطالية الهامة ، وبخاصة نابلي التي طردت الروم سنة ٨١٧م / ٢٠٢هـ إلى خارج أسوارها ، واختارت أميراً ليتولى الحكم ، وانتفت أثر نابلي عن كثيرة (٣٤) .

وكان جنوب إيطاليا يشهد صراعاً بين عدة قوى ، فكانت هناك دوقة (بننت) التي تحولت إلى إمارة ، وشملت في النصف الثاني من القرن الثامن الميلادي (حوالي الثاني الهجري) كل إيطاليا الجنوبية تقريباً ، وتعرف هذه الإمارة في الكتب العربية باسم ملكة

سياسة شاملة ، تضم جميع البلاد الإسلامية المحيطة بالبحر المتوسط ، وإن كان يشلها تعبير (دار الإسلام) (٢٢٦) ، وكان لدى المسلمين - جميعاً - شعور بالآخرة والوحدة وأنهم كالجسد الواحد ، ومن تمار ذلك التعاون في السراء والضراء والتكاتف والناصره ، كما كان لديهم الرغبة في نشر الإسلام وجهاد أعدائه ، وكان ذلك ما يجمع الدول الإسلامية ، ويدفعها إلى العمل المشترك في هذا الميدان .

وفي غرب البحر المتوسط - وهو ما يعني في هذا البحث - كان هناك تعاون بحري بين القوى الإسلامية الموجودة فيه ، ونخص بها الأساطيل الإسلامية لكل من دولة الأندلس والأندلس ، ودولة الأغالية في المغرب والجماعات البحرية المجاهدة في كلتا الجهتين ، ودخلت كبريت الإسلامية طرفاً في هذا التعاون - أيضاً - ما يدل على نشاطها في هذا القرن (٢٣٣) .

وقد ظل التعاون بين القوى الإسلامية البحرية في غرب البحر المتوسط ، قائماً طوال القرن الثالث الهجري وحتى قيام الدولة الناطبية سنة ٢٩٧هـ / ٩٠٩م .

ويظهر من قراءة الأحداث التاريخية في هذه الفترة ، أن هذا التعاون كان تلقائياً ، ولم يكن مستنداً إلى معاهدات بين الأطراف ، وإنما كان الدافع إليه . الرغبة في الجهاد في سبيل الله ، ونصرة الآخرة في الدين .

٥ - استيلاء المسلمين على قواعد قوية من جنوب إيطاليا وجنوب فرنسا :
ما سهل مهمة الفتح وإقامة الكيانات ، فيأنسبة لجنوب إيطاليا ، كان فتح المسلمين لجزيرة صقلية ، التي لايفصلها عن إيطاليا سوى مضيق مسيني ، من العوامل التي سهلت الفترحات في إيطاليا .

وقد بدأ فتح المسلمين لجزيرة صقلية سنة ٢١٢ هـ / ٨٢٧م (٢٤) . وبعد أن استولى المسلمون على كثير من أجزاء صقلية ، وأخضعوا باقيها الذي في أيدي الروم ليهدمهم ، توجهوا إلى الفترحات في إيطاليا (٢٥) ، واتخذوا من ثغور صقلية قواعد بحرية ، وفي مقدمة هذه الثغور ، ثغر بلوم في الشمال الغربي من الجزيرة ، وكانت الثغور الأكبر الذي تغير منه الأساطيل الإسلامية على الشواطئ ، الإيطالية وعلى الجهات التي بقيت من صقلية تابعة للبيزنطيين (٢٦) .

انتسابه إلى بيت شارلمان ، وقام ضده بعض الناقسين ، ووقع الصدام بينهم حوالي سنة ٢٧٧هـ / ٨٨٠م ، في نفس الوقت الذي نزل فيه الجاهليون البحر من أرض فرنسا (٤٠).

وقد ساعدت الأحوال المضطربة في جنوب فرنسا ، على البقاء والتوسع ؛ فقد خلف (بونفان) ملك آرل - بعد وفاته - ابنه (لوس) الذي زج بنفسه في محروب إيطاليا إلى جانب حلفائه وبزم هناك وأسر ، وترك ملكه بدون مدافع عنها ؛ فاضطرت شترنها ، وسادتها القوضى ، وتكمن المسلمون من الاستيلاء على تلك المملكة التي شملت جنوب فرنسا في خاتمة القرن التاسع الميلادي (الثالث الهجري) (٤١).

ثانيًا : الكيانات العربية الإسلامية على سواحل جنوب إيطاليا وفرنسا ووضوحها

الساكنة

١ - الكيانات العربية الإسلامية في جنوب إيطاليا :

أ - بوززا Pozza واميدوزا lampudouza وليشبا Lockin وقد نجحت الجماعات البحرية - ولعلها من الأندلس - في إقامتها على الشواطئ الإيطالية عام ١٩٧هـ / ٨١٢م ، واحتفظوا بها لمدة ثلاثين عامًا (٤٢).

ب - برنديزي ، وقد تكن الجاهليون البحر من كريت ، بساعدة إخوانهم الجاهليين البحرين من صقلية من فتحها سنة ٢٢٤هـ / ٨٣٨م ، واستمرت سيادة المسلمين عليها إلى سنة ٢٥٧هـ / ٨٧٠م ، حيث تكن البيزنطيون من الاستيلاء عليها ، بعد مايزيد على ثلاثين عامًا من وجود المسلمين بها (٤٣).

ج - طارنت Tarentum ، وقد نجح المسلمون في الاستيلاء عليها سنة ٢٢٦هـ / ٨٤٠م وهي قاعدة بحرية هامة على مدخل البحر الأدرياتي ، وتولى عرب كريت بعد ذلك حكمها ، سنة ٢٢٨ أو ٢٢٩هـ / ٨٤٢ أو ٨٤٣م (٤٤).

وكان لوقوع طارنت في أيدي المسلمين ، فزع لدى البيزنطيين ؛ لوقوعها فيهم ، فذهب الإمبراطور (تيرفلس ٨٢٩ - ٨٤٢م / ٢١٤ - ٢٢٨هـ) لاسترجاعها ، ولكن المشاكل في ذلك الوقت ، كانت متحركة ، وقد خرج من حربه البرية مع المسلمين في عسيرة سنة ٢٢٣هـ / ٨٣٨م ، مضعفًا ؛ ولذلك فلم يستطع الإتحرض البنادقة على مجابهة المسلمين ، وقد استجاب البنادقة ، ولم تكن الرغبة في الانصياع لأوامر الإمبراطور هي التي حركت البنادقة

الشرقية أو الثيودرية أو الأثورية ، وكانت هناك هوقية (أسبوليت) في الشرق ، ووثوقية روما في الغرب ، ومدن منفردة في الجنوب والشرق (٣٤).

وكان لإمارة (بنفت) وضع أقوى بين مدن حروب إيطاليا ، وصلت هذه المدن على القلوب في وجه أمراء بنفت اللومبارو ، والخيولوة دون توسعهم . ووقعت إمارة بنفت نفسها فريسة الغارات الداخلية (٣٦).

وقد أقلمت بعض القوى المتصارعة في جنوب إيطاليا على الامتصاص بالمسلمين ، فامتصت بهم نابلي ضد أسير (بنفت) كما امتصت القوى المتصارعة داخل إمارة (بنفت) - أيضًا - بالمسلمين سنة ٨٣٩م / ٢٢٥هـ (٣٧).

وعند قنوم الحملات الإسلامية ، كانت الليرة البيزنطية مشفرة في ميادين أخرى ، وأخذت وخارجية أكثر إلحاحًا ، ولم تقل تلك الحملات الاهتمام الكافي من البحرية البيزنطية .

ومن جهة أخرى ، لم نجد بيزنطة حليفًا لها من بين المدن الإيطالية سوى النقية ، التي قبلت التحالف مع بيزنطة ضد المسلمين ؛ فقد كانت هذه المدينة تتنح بشاطئ تجاري واسع ، ورأت أن دوام هذا النشاط ، ومن بالعمل في ظل الإمبراطورية البيزنطية ، وكانت البندقية هي القوة البحرية الوحيدة في الغرب ، التي اعتمدت عليها بيزنطة ، وكانت تعتبر إلى حد ما في حكم أساطيل الأجناد التابعة لبيزنطة (٣٨).

ودعم المسلمون من بعض المدن الإيطالية حليفًا لها ضد بيزنطة ، على ساحل كسابيا ، ومخاصة نابلي ، التي كان لها نيل ذلك علاقات تجارية مع الغارية ، على الرغم من اعتراضات بيزنطة ، وقد دفعها إلى قبول التحالف مع العرب ، أن تتمتع بساعدتهم ضد أسير بنفت اللومباردي ، وبالفعل وقفت سفن المسلمين معهم في هذا الصراع ، وقد أذى تحالف نابلي مع المسلمين إلى إضعاف البحرية البيزنطية في البحر التيراني ، وتكفي الأسطول الإسلامي من إحصاز النجاح في الغارات التي شنها على الجزر الأيونية سنة ٢٢٠هـ / ٨٣٥م (٣٩).

أما في جنوب فرنسا ، فقد كانت الأحوال تهوى ، لاستقرار المسلمين وتوسعهم ، فقد تغلب أحد سادة هذه الأندلس يدعى (بونفان) على ولايتي دوليئة وبيروفانس ، ونصب نفسه ملكًا على هذه الأندلس سنة ٢٧٦هـ / ٨٨٩م ، ولقب نفسه بملك آرل ، ولم يرحب به الأهالي ؛ لعدم

٣ - مدينة ريو Reggio على الشاطئ، الغرض لإيطاليا في قلوبية، التي استولى عليها المسلمون سنة ٢٨٨ هـ / ٩٠٦ م، وأسس وجدهم بهذه المدينة أربع سنوات تقريبا، وذلك بغهم بما أدوره من المصادر، من أن المسجد لم يستمر عامرا بها أكثر من أربع سنوات، وقد استعان البابا (جنا الثامن) على إخراج المسلمين من هذه المدينة بالبيارة (٥١).

٢ - الكائنات العربية الإسلامية على سواحل جنوب فرنسا :

أ - جزيرة كامارج Camargue الواقعة في مصب نهر الرون، وكان للمسلمين بها قواعد شبه دائمة، وقد نزل المسلمون هذه الجزيرة سنة ٢٤٦ هـ / ٨٦٠ م، بعد معاركهم الناجمة في إقليم بروفانس، كما أقاموا قواعد لهم عند خرائب مدينة ماجون (٥٢).

ب - قلعة فراكتنت Fraxinetum، أما تسمية بعض المصادر العربية جبل القلال، فقد نزل المسلمون على سواحل خليج سان تروبيه، وأثارا كثيرا من الحصون، ومن أهم هذه الحصون، قلعة فراكتنت، وكانت البداية عندما رت سفينة تقل عشرين ملاحا، خرجوا من سواحل الأندلس، ودفعتهم الرياح العاصفة إلى هذا المكان في خليج سان تروبيه Sani Tropes وكان حول هذا الخليج أشجار كثيفة، ووراء هذه الأشجار سلسلة من الجبال، بعضها أعلى من بعض، وتشرّب هذه الجبال على بروفانس السفلى، ورأى العرب ملامحة هذا المكان للاستقرار فيه، وكان نزولهم هذا المكان سنة ٢٧٧ هـ / ٨٩٠ م، ومن هذا المكان قاموا بغارات على القرى المجاورة، وبعد أن ازدادوا يقينا بلامحة هذا المكان، كانوا يخرجونهم المجهدين البحريين في الأندلس والقرية، يدعونهم للقدم عليهم، فما مضت عشر سنوات حتى امتلأت تلك الأرض بالحصون، وأصبح المسلمون قوة يخشى بأسها، وظل حصن فراكتنت أهم الحصون في هذه المنطقة (٥٣).

بعد أن استقر بالمجاهدين البحريين القام في هذه المنطقة، أخذوا يقدمون تحرر جبال الألب غربا وشمالا وساعدت الأحوال المتضطربة في جنوب فرنسا، على التوسع والسيطرة على المنطقة كلها، في ختام القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي)، وقد استمر بقا المسلمين في هذا الحصن أكثر من ثمانين عاما (٥٥). ولما اشتدت وطأة المسلمين في هذه الأنحاء، محالف (هوج) ملك بروفانس مع إمبراطور القسطنطينية (رومانوس ليكابينوس) على إسقاط حصن فراكتنت، وفي سنة ٣٢٢ هـ / ٩٤٢ م، وما أسطول بيزنطي في مياه سان تروبيه، في الوقت الذي زحف فيه (هوج) بجيشه على فراكتنت، وتجمع في اقتحام الحصن، ولكنه اضطر إلى عقد الصلح مع المسلمين، عندما علم بعودة منافسه (بيرانجييه)

لاتخاذ خطوة فعلية، بقدر حرصهم على مصالحهم التجارية التي باتت مهددة، بعد احتلال المسلمين على هذه القاعدة البحرية الهامة -

و أرسل القيادة أسطولا مكونا من ستين سفينة، وجابه المسلمون بطاريت هذه القوة البحرية، وألقوا بها مرة قاسية في مياه طارنت، وقرب كورتونا Cortona حيث أغرقت سفن أسطول القيادة كلها تقريباً، وامتد حكم المسلمين في طارنت أربعين سنة، ثم تمكنت بيزنطة بعد حشد قوة بحرية كبيرة، ومساعدة حلفائها الإيطاليين في القرب من إسقاط المدينة (٥٤).

د - باري : وقد استولى عليها وعلى الأراضي المجاورة لها، الجماعات البحرية من مسلمي إفريقية وصقلية، تلك الجماعات التي استعان بها (راديكس) ضد منافسة على السلطة في دوقة بنفنتا، ودعى (سيكلولوف)، وعاون تلك الجماعات أسطول إسلامي آخر لإحدى الجماعات البحرية - كما ذهب إلى ذلك أريبالد لوس (٤٦) - والراجح أن هذا الأسطول كان تابعاً للولاية صقلية التابعة للأغلبية، فقد أشار ابن الأثير إلى أن (حياة) مولى أبي عتال الأغلبي، غزا منطقة باري سنة ٢٢٦ هـ / ٨٤١ م (٤٧).

ولما انتصر البيزنطيون في (راجوزة) شجعهم ذلك على استعادة ما فقدوه في إيطاليا وهمشوا بأسطول كبير اشتمل على فرق بحرية من راجوزة والمالطيا إلى باري سنة ٢٥٧ هـ / ٨٧٠ م. وتعاون معهم (لوس الثاني) الكارولنجي ملك إيطاليا، فحاصر المدينة برا. وتجمع لوس في دخول المدينة؛ بفصل مساندة الأساطيل له، ولكن الخلاف الذي نشب بينه وبين البيزنطيين؛ بسبب أطاعه في إيطاليا، أدى إلى ضياع هذا النصر، وعادت المدينة إلى المسلمين، ولم يتمكن البيزنطيون من الاستيلاء عليها إلا سنة ٢٦٢ هـ / ٨٧٦ م (٤٨).

ه - بنفت : وقد تجمع المسلمون في السيطرة عليها خمس سنوات من سنة ٢٢٨-٢٣٣ هـ / ٨٤٢ - ٨٤٧ م (٤٩).

و - الإمارة الإسلامية عند مصب نهر (جاريانوا)، التي تجمع المسلمون في إقامتها على الشاطئ، الغربي لإيطاليا سنة ٢٦٩ أو ٢٧٠ هـ / ٨٨٢ أو ٨٨٣ م، وكانت هذه الإمارة مركز تهديد للممتلكات البايوية، واستمرت هذه الإمارة أربعين سنة، حيث أخرج منها المسلمون سنة ٣٠٣ هـ / ٩١٥ م (٥٠).

إلى إيطاليا لينازع حكمها ، وشرط عليهم البقاء في بقوس الجبال وجراتها ؛ لينقلوا الطريق في وجه خصمه ، وهكذا نشر للمسلمين البشا . في هذا الحصن ، وتوطد نفوذهم مرة أخرى (٥٦) .

ثم كانت نهاية هذا الحصن سنة ٣٦٥هـ / ٩٧٥م على يد (غلبوم) أو (جيسوم) الذي الصف حوله الأهالي في ووفية ، واستطاع أن يصفي الوجوه الإسلامي بها ، ثم التحم إلى بروفانس ، واشتدت قوته ، وتلقب بالقلب الإمارة ، واستقر أهالي بروفانس ودوقية السقلي ونيس لقتال العرب ، ودارت معركة عند تودتور Tourtour انهزم فيها العرب ، واضطرتهم الفرجة إلى مغادرة الحصن ، وبذلك ضاعت سيادة المسلمين ونفوذهم في هذه المنطقة (٥٧) .

ج - فريجيوس Frejus ، استولى المسلمون على هذه المدينة مع الوادي الحصبب المسمى أكبر وأمتع ثغور فرنسا الجنوبية ، ويقع هذا الثغر بالقرب من (آرل) ، كما نزل المسلمون إنطيب (أو عين الطيب كما يظنها العرب) ونيس (أو نيفة عند العرب) وسان رغو ومدينة البينة Albugu (٥٨) .

د - غرانوبل Grenoble : استولى المسلمون على هذه المدينة مع الوادي الحصبب المسمى و وادي غرازانغودان Graisivaudan ، وتوجد كتابة منقوشة على حجر تاريخها سنة ٩٥٤م (٣٤٣هـ) تدل على وجود المسلمين في غرانوبل في ذلك التاريخ ، ولم يكت المسلمون طويلاً في هذه المنطقة ، وتمكن الأهالي من إجلائهم سنة ٣٥٤هـ / ٩٦٥م (٥٩) .

٢ - وضع الكيانات العربية الإسلامية على سواحل جنوب إيطاليا وفرنسا من الناحية السياسية :

أ - وضع الكيانات العربية الإسلامية على سواحل جنوب إيطاليا :
اعتبر الأغالبة الأراضى المنقرضة في إيطاليا ، أملاكاً تابعة لدولتهم ، وجعلوا الإشراف عليها لوالدهم على صقلية ، فلما امتدت هذه الأملاك ، أصبحت ولاية مستقلة تابعة للأغالبة مباشرة ، وأطلقوا عليها ولاية الأرض الكبيرة ، وقد عين (أبو الفراتيق) الأمير الأغلبي ، عبد الله بن يعقوب والياً على الأرض الكبيرة سنة ٢٥٨هـ / ٨٧١م إلى جانب أخيه رباح وإلى صقلية (٦٠) . وكانت هذه الولاية تشمل كل أراضى جنوب إيطاليا ، من سيبرنتو Si- برنتوزى إلى مستوى مصب نهر التيسير غرباً ، بالإضافة إلى مدينة طارنت وباري وذلك قبل منتصف القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) .

ب - وضع الكيانات العربية الإسلامية على سواحل جنوب فرنسا من الناحية السياسية :
قامت الدولة الأسورية بالأندلس بضم الأراضى الجديدة ، التى فكتت الجساعات البحرية المجاهدة من فتحها في جنوب فرنسا إلى ممتلكاتها ؛ باعتبار الفاتحين من رعاياها ، وقد اعترف فاتحوها - سيادة هذه الدولة ، وقام أمير قرطبة بتعيين عامل يتولى شؤون تلك الأراضى ، فعندما استولى هؤلاء المجاهدون على حصن فراكنست أو جبل القلال ، عينت له قرطبة عاملاً يتبع والى مبرقة وسائر جزر الطيار التابع لأمر الأندلس ، ولا توسع المجاهدون في الأراضى الفرنسية والإيطالية الشمالية وسوسرا ، أصبح جبل القلال (فراكنست) عاصمة تلك الممتلكات الإسلامية (٦١) .

ثالثاً : العوامل التى أدت إلى القضاء على الكيانات الإسلامية في جنوب إيطاليا وجنوب فرنسا :

١ - تلووق الهباب البيزنطى على الجانب الإسلامى في موازين القوى ؛
وقد بدأت موازين القوى تميل ناحية البيزنطيين ، منذ مطلع القرن الرابع الهجرى ، وكان من أهم أسباب هذا التفرق :

أ - اهتمام بيزنطة - من جديد - بالبحرية والعناية بالأساطيل (٦٢) .
ب - هدم الجبهة الداخلية البيزنطية ، وكان مره ذلك إلى القضاء نهائياً على محرم عبادة الصور (٦٣) .

وقد أخذ ميزان القوى في الميل ناحية الجانب البيزنطى مبلأ واضحاً ، منذ تولى الحكم الإمبراطور (رومانوس ليكاينوس ٩٢ - ٩٤٤م / ٣٠٨ - ٣٣٣هـ) الذى استعان ببيادوات عسكرية على درجة عالية من الكفاءة (٦٤) .
أما على الجانب الإسلامى ، فكانت عوامل ضعفه ما يلى :

أ - ضعف الخلافة العباسية ، ولحكم الأتراك في أصل الدولة ، واستيلاء بنى بويه الشيعة على مقاليد الأمور في بغداد سنة ٣٣٤هـ / ٩٤٥م .
ب - ما أصاب البحرية الإسلامية من ضعف ؛ نتيجة اخفاء القواد المطام من أمثال غلام نزافنة وداسيان ، وضباع كريت ذات الوقع الهام سنة ٣٥٠هـ / ٩٦١م ، والتي أدت دوراً يجرى عظيمًا في شرق البحر المتوسط وفى غربه ، وكانت خطراً على الإمبراطورية البيزنطية ،

سوقسطة أكثر من مرة ، وازداد خطرهم في عهد الحكم المستنصر بالك (٣٥٠ - ٣٦٦ هـ / ٩٦١ - ٩٧٩ م) ، وفي سنة ٣٥٥ هـ / ٩٦٦ م هاجسوا ساحل الأندلس الغربية ، ثم عادوا وهاجموا الأندلس سنة ٣٦٠ هـ / ٩٧٦ م وسنة ٣٦١ / ٩٧٧ م ، وكان الأسطول الأندلسي يقظا وعلى قدر من القوة مكنته من صد هذه الهجمات (٦٧) .

وكان قيام الدولة الفاطمية في بلاد المغرب ، عاملاً قوياً من عوامل انشغال الدولة الأموية في الأندلس عن المجاهدين البحرينيين في جنوب فرنسا ، فقد أضعفهم قيام هذه الدولة الشيعية ، ورأوا فيها منافساً خطيراً لدولتهم ، وخافوا امتداد نفوذها إلى الأندلس ، وقد دفع ذلك عبد الرحمن الناصر إلى التحالف مع إمبراطور بيزنطة و (هونغ) أمير بوناس سنة ٣٤٤ هـ / ٩٥٥ م ، وليس هناك ما يدل صراحة على أن هذا التحالف تصوراً ضد المجاهدين البحرينيين ، إلا أنه كان له تأثير سني على المجاهدين البحرينيين ، فهو على أحسن الفروض ، سيجعل موقف الأيوبيين بالأندلس سلبياً تجاه هؤلاء المجاهدين (٦٨) .

أما كريت ، فيعد اشتراكها مع سفن صقلية وأثينية في مهاجمة ساحل المالشيا على الجانب الشرقي من البحر الأدرياتيكي سنة ٢٥٣ هـ / ٨٦٧ م ، قصصرت نشاطها البحري - تقريباً - على شرق البحر المتوسط ، لموامل من أهمها اليمد المكناني ، ثم ركزت بيزنطة جهودها على منع تعاون المسلمين في هذه الجزيرة مع غيرهم من المسلمين في الجهات الأخرى ، ومحاولة حصارهم ، وبذلت قصارى جهدها في محاولات للاستيلاء على كريت ، حتى تحقق لها هذا - أخيراً - سنة ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م (٦٩) .

٣ - ما طرأ على أحوال المجاهدين :

كانت الحماسة الدينية والرغبة في الجهاد ، وراء ظهور جماعات المجاهدين البحرينيين ، وحدث في هذه الفترة ما نلغ من جذرة هذه الحماسة ، فيعد أن أصاب المسلمين ما أصابهم من الرضا ، وكثرة النعم (٧٠) . ونذر وجود أمثال أسد بن الفرات وغيره من العلماء المجاهدين والزهاد الرائعين ، تكسروا عن الجهاد ، وفشروا عن الخروج ، ونضب بسبب ذلك معين الجماعات البحرية المجاهدة ، وقل عدد المتحمذين بها .

أما الجماعات المجاهدة القائمة في جنوب إيطاليا وفرنسا ، فقد أصبح نهمهم للمال وريغتهم في الحصول عليه ، يقطن على الرغبة الصادقة في الجهاد (٧١) ، وقد يكون لذلك مسروراته لديهم ، وقتا كان لا تصرفي الدول الإسلامية التي كانت تقدم بالعرون عنهم إلى

وسقوط طرسوس القاعدة البحرية الهامة في يد البيزنطيين سنة ٣٥٤ هـ ، ٩٦٥ ، وسقوط قبرص سنة ٣٥٥ هـ / ٩٦٥ م (٦٥) .

ج - انقسام العالم الإسلامي إلى ثلاث خلاقات متعادية : الخلافة العباسية ، والخلافة الفاطمية ، والخلافة الأموية ، بعد أن كانت خلافة واحدة في القرن الثالث الهجري ، وحتى سنة ٢٩٧ هـ / ٩٠٩ م - وكان لأوضاع العالم الإسلامي المتردية في هذه الفترة ، ونفوق البيزنطيين ، وإحرازهم الانتصارات على المسلمين في الشرق ، واستيلائهم على بعض المدن والنفوس الإسلامية كملطية وطرسوس ، له تأثيره السيء على المجاهدين البحرينيين في جنوب إيطاليا وجنوب فرنسا ، ولاشك أنه نال من قلوبهم المنوية ، في الوقت الذي وقع فيه من معويات أعدائهم ، وجرأهم عليهم ، وبخاصة أن الانتصارات البيزنطية في الشرق تزامنت مع اقتداد الهجمة عليهم في فرنسا وإيطاليا .

٢ - تقهير الأوضاع في كل من بلاد المغرب - إفريقية بصفة خاصة - وبلاد الأندلس وكريت ، فقد كانت إفريقية ظهيراً للمجاهدين البحرينيين في جنوب إيطاليا ، كما كانت الأندلس كذلك بالنسبة للمجاهدين البحرينيين في جنوب فرنسا ، وكانت القدرات البحرية الإسلامية الكروية تشارك في الفتوحات البحرية ، وبخاصة في إيطاليا .

أما إفريقية ، فقد سقطت دولة الأغالبة ، وقامت على أنقاضها الدولة الفاطمية سنة ٢٩٧ هـ / ٩٠٩ م ، وعلى الرغم من أن الدولة الفاطمية كانت متفوقة من الناحية البحرية ، وكانت لها حملات بحرية ناجحة على جنوب إيطاليا وفي صقلية ، ولكن اتجاه هذه الدولة كان إلى الشرق ، وكانت لهم رغبة قوية في اتخاذ مصر مركزاً لخلافتهم ، وقد تمكنوا من ذلك عام ٣٦٢ هـ / ٩٧٣ م ، وركزوا اهتمامهم بعد توليهم مصر بالجانب الشرقي من البحر المتوسط ، ولم يتمكن الزيريين الذين خلفوا الفاطميين في المغرب ، والكليبيين الذين خلفهم في صقلية من الاحتفاظ بالسيادة والنفوق الذي كان على عهد الفاطميين (٦٦) .

أما الأندلس فقد كثرت فيها الفتق والاضطرابات الداخلية منذ مطلع القرن العاشر الميلادي ، و زاد ضغط الممالك المسيحية عليها في الشمال ، بالإضافة إلى خطر النورمانديين ، الذين أصبح خطرهم في عهد عبد الرحمن الناصر (٣٠٠ - ٣٥٠ هـ / ٩١٢ - ٩٦١ م) برزاً وحرماً - بعد أن كان بحرياً فقط - وذلك بعد نجاحهم في تأسيس دولية - نورمانديا (في شمال غروب فرنسا ، وكان ذلك متزامناً مع تولي الناصر الحكم في الأندلس ، وهاجسوا نغر

مشكلاتهم الخاصة ، ضلع كبير في توجه هذه الجماعات الجديدة ، ومن جهة أخرى من اجازة أن يكون الحياء الجماعات المهادة إلى المال والدينا - بطريقة مبالغ فيها - سببا في انصراف المسلمين المخلصين عنها وعن عونها ، وتصل بذلك اتصالاً وثيقاً ، استماتتهم بالخامرين من غير المسلمين - في حروبهم وجهادهم ، وكان ذلك من عوامل ضعفهم ، ولعلهم اضطروا لذلك بعد أن نصب معين المجهدين ، وفلت أعداء الوافدين عليهم من الأندلس رافضية .

كما كان من عوامل ضعفها ، تفسير وسائلها في قتال أعدائها ، من وسائل أجدتها ، وكانت سر تفرقتها إلى وسائل أخرى ، ربما كان أعداؤها أكثر اتفاقاً لها منهم : فقد برع هؤلاء المجهدون في المعارك القاتلة على الكر والفر ، ومعارك المرتفعات ، فإذا ما تحوّلوا عن ذلك إلى حرب السهول دارت الدائرة عليهم ، كما حدث من الغرب في فراكننت ، عندما علموا بقدم (غلبوم) كونت بروكس ومعه الجسرغ الفطيرة سنة ٣٦٥ هـ / ٩٧٥م فقد نزّلوا من مواضعهم على الجبال إلى السهول فانهمز المسلمون (٧٦) .

٤ - قتيان روح التعاون بين الأقطار الإسلامية :

وقد بدأت هذه الظاهرة منذ قيام الدولة الناطبية في المغرب سنة ٢٩٧ هـ / ٩٠٦م ، وحل محل التعاون النزاع والحلاف ، وتناصبت الدولة الفاطمية منذ قيامها ، البروة الأضرية في الأندلس العدا ، وأقدم عبد الرحمن الناصر على عقد المحالفات ضد هذه الدولة ، فتعالف مع الإمبراطورية البيزنطية ، ومع أمير بروفانس - كما سبق القول - وتطور الخلاف بين الدولتين إلى الصدام المسلح سنة ٣٤٤ هـ / ٩٥٤م ، عندما هاجمت السفن الأندلسية سفينة فاطمية ، فأمد الخطبة الفاطمي واليه على سفينة بأسطول ليحقق بالسنن الأندلسية ، ووصل هذا الأسطول مدينة المرية الأندلسية وهاجم مرصعها ، ودخلت قواته المدينة وعاد إلى إفريقيا بعد ذلك .

وقد رد الخليفة الأموي على ذلك ، فأرسل حملة بحرية هاجمت مرسي المرز ، ودمرت كل منطقة مسومة وذلك في العام التالي ٤٤٥ هـ / ١٠٥٦م ، واستمرت العداوة بين الأمويين والفاطميين حتى بعد انتقالهم إلى مصر ، وكانت من نتيجة ذلك ضعف الجبهة الإسلامية في الحوض الغربي من البحر المتوسط (٧٧) .

٥ - النشاط الديني والعملة الروحية في أوروبا ضد المسلمين :

وقد شهد العالم الأوربي منذ مطلع القرن العاشر الميلادي ، نشاطاً دينياً وحملاً لقبال أحداثهم في الدين - وبخاصة المسلمون - وكان الفضل في ذلك يرجع إلى الحركات العهري التي كانت تصل على تقوية الجانب الروحي ، وأهم هذه الحركات الحركة الكاثوليكية ، تسمية إلى دير كلوني Cluny في برجنيا بفرنسا ، وتبع هذه الحركة حركات ديرية أخرى ، وقد اختار بعض الباحثين عام ٩١١م / ٢٩٩ هـ ، وهو العام الذي أسس فيه دير كلوني ، بداية النشاط الديني الجديد في أوروبا (٧٤) .

ومن جهة أخرى ، كان ما صاحب غارات العرب المتأخرة على الجهات المختلفة من فرنسا وإيطاليا ، من استيلاء على المستلكات والأراضي وغير ذلك ، واشتغالهم في جميع الضرائب والرسوم على المارين بهم في المواقع المتأخرة التي أقاموا بها ، وبخاصة رجال الدين المسيحي ، سبباً في ازدياد صرعة الغضب والسخط عليهم ، وساعد على تعبئة الشعوب ضدهم ، وكان لرجال الدين الدور الأكبر في هذه التعبئة (٧٥) ، وأصبح الأهالي متشوقين لإخراج هؤلاء العرب ، ليس بدافع من حماسهم الديني فحسب ، بل ومن وطنيتهم أيضاً ، بعد أن كانوا - أول الأمر - مستسلمين للأفكار معتقدين - أن غزوات العرب لبلادهم ، إنما هي عقاب من الله تعالى على خطاياهم ، فكانوا راضين بما قدره الله عليهم ولا يحاولون دفعه - (٧٦) .

٦ - اتجاه بعض الشعوب الأوربية إلى النشاط البحري ، والقيام بأعمال فلاحية ، ومزاومة المسلمين في هذا المجال :

وكان التورمان أسبق الشعوب في أوروبا الغربية اتجاهاً إلى البحر ، وكانت لهم غزواتهم للشواطئ الأوربية وشمال إفريقيا (بلاد المغرب) ، وقد أشاروا على سواحل الأندلس أكثر من مرة في عهد الناصر بوليد المستنصر - كما مر - وكان لهذه الغارات أثر غير مباشر على أوضاع المسلمين في جنوب فرنسا حيث شغلت حكام الأندلس عن هذه المنطقة (٧٧) .

ولحق بالنورمان في الفترة التي يتناولها البحث ، بعض التسريب وبخاصة في أوروبا الغربية ، وقد دفعهم إلى ذلك ، ضعف المسلمين البحري ، سواء في الأندلس أو إفريقيا أو صقلية ، إلى جانب ضعف سلطان بيزنطة البحري في المياه القريبة (٧٨) ، كما دفعهم النفع المادي يجتونه من دوا - مصادراتهم البحرية ومهجمة الشواطئ ، المعادية ، فلا بالإضافة إلى أهمية الناحية البحرية لرواج التجارة وسلامتها ، ومن أبرز الأمثلة على ذلك البندقية على

الشاطئ، الشرقي لإيطاليا، فقد تمكنت من أن تجعل الأدرامي بحيرة خاصة، بعد إخراج المسلمين من أبوليا، واستلاك مدن ساحل دالماتيا، وعلى الشاطئ الغربي، وجهت جنودها وبيرو نحو البحر، والتدفقت في حملات عبر البحر المتوسط لنهب الشواطئ الإسلامية (١٧١٦).
رابعاً : نتائج قيام الكيانات العربية الإسلامية في جنوب إيطاليا وفرنسا :

١ - من الناحية العسكرية :

كانت المستوطنات بناية مراكز حربية متقدمة، وعواجز واقية للقوى الإسلامية في المغرب والأندلس (٨٠١).

كانت الكيانات في جنوب إيطاليا، مراكز حربية متقدمة للمسلمين في صقلية وبلاد المغرب، ودرعاً واقياً لهم ضد أعدائهم؛ فقد شغل الإيطاليون وجهاتهم من البيزنطيين بالدفاع عن الأراضي الإيطالية، عن مهاجمة صقلية وبلاد المغرب، كما كانت الكيانات في جنوب فرنسا مراكز حربية متقدمة، ودرعاً واقياً للمسلمين في جزر البليار والسراجل الشرقية من الأندلس، وانشغل القرصنة بهذه الكيانات، وصرفهم ذلك عن التفكير في غزو الأندلس أو إزاحة الوجود الإسلامي في جزر البليار.

هذا وقد اهتم المسلمون في هذه الكيانات بسط سيادتهم على المناطق الحاكسة أو الاستراتيجية؛ فكانت لهم السيطرة على مرات جبال الألب، وتحكموا في الطريق بين فرنسا وشمال إيطاليا، وبينها وبين سويسرا، ونظروا الصلة بين إيطاليا، وماورا، الألب من بلاد أدريا، وحقق المسلمون مركزاً عسكرياً مرموقاً، جعل القوى المحلية الأوربية تستعين بهم في صراعاتهم الداخلية (٨١٦).

٢ - من الناحية الحضارية :

هناك من ينفي الأثر الحضاري، ويرى أن الأمر انحصر على الفترات العسكرية، ولم يكن ثم مجال لهذا الأثر الحضاري (٨٧)، ولكن إذا صدق هذا بالنسبة للكيانات الإسلامية في إيطاليا إلى حد ما، فإنه لا يصلح على الكيانات الإسلامية في فرنسا، نظراً لوجود المسلمين هناك فترات طويلة، بلغت خصصاً ثمانين سنة، أو ما يزيد في بعض الجهات، ولم تكن فترات الإقامة الطويلة هذه حروباً متصلة، بل كان يتخللها فترات سلام، تتبع للتأثير والتأثر الحضاري أن يظهر، وتبدو معالمه، وهذا بالفعل ما تؤكد الدراسات والبحوث التاريخية، ويعرض البحث لبعض نواحي التأثير والأثر الحضاري.

١ - الإقبال على الإسلام وانتشار اللغة العربية :

نقد أقبل بعض أبناء هذه البلاد على الإسلام، وانتشرت اللغة العربية، ويشير بعض الباحثين إلى أن اللغة الفرنسية، دخلتها كثير من مفردات اللغة العربية، وإن كان أكثر هذه المفردات قد دخلت بعد جملاتهم عن جنوب فرنسا، لأن العلاقات التجارية لم تنقطع بين العرب وفرنسا في يوم من الأيام (٨٤).

ب - الناحية الاقتصادية والاجتماعية :

١ - الناحية الاقتصادية : في الزراعة نقل المجاهدين - وطهم من الأندلس - خبرتهم في الزراعة إلى جنوب فرنسا، وتعلم الأهالي منهم ذلك، وكان بعض المجاهدين قد تعلموا عن إخوانهم، واستقروا في الأراضي الزراعية وتربوا على زراعتها، وإلى هؤلاء المسلمين يرجع الفضل في إدخال الفصح الأسبر إلى فرنسا وزراعته بها، كما حصلوا فوائد النخيل من أسبانيا وأفريقية إلى شواطئ، الرخيما، ويقال إن العرب الذين نزحوا في بروفانس هم الذين بدأوا في استثمار شجر البلوط في فرنسا (٨٥).

وفي العروة الجبروتية، كان للمسلمين فضل في تحسين نسل الخيول في جنوب فرنسا، ولتأسيسها في (كاماراج) في مقاطعة (لانغ) من أعمال (غسقوتية) لخيول هذه البلاد الأصيلة الجسيمة، إما هي نتاج اختلاط الخيول العربية بخيول هذه البلاد (٨٦).

وفي الصناعة من آثار المسلمين الصناعية استخراج القطران الذي تطلب به قاع السفن وبحسبها من التانف، وقد علموا لأهل بروفانس، وأصبح عندهم من الصناعات الشائعة، وما يزال أهل بروفانس دون سائر الفرنسيين يتفخرون قطران بنفس النطق العربي (٨٧).

٢ - الناحية الاجتماعية : كان لتوالة المسلمين مدة طويلة في بروفانس، أثر في تقاليد هذه المنطقة، ومن ذلك أن هناك أنواعاً معينة من الرقص بطن أنها ترجع إلى أصل عربي (٨٨).

٣ - الناحية الأثرية : أظهرت البحوث الأثرية وجود أطلال الحصون العربية القليلة التي أقامها المجاهدون على شواطئ، خليج سان تروبيس، وما تزال قائمة على مرتفعات الألب الفرنسية والصربية، وهي تدل على مدى مهارة المسلمين في تشييد تلك الحصون وتقويتها، كما وجدت أبراج قائمة فوق الأكام والرهي في جنوب فرنسا وبعض أنحاء إيطاليا الشمالية

الهواشي والتعليقات :

- ١ - العيسى ، أبو عبد الله محمد بن أبي نصير : جنود القيس في ذكر ولا الأندلس ، تحقيق محمد ثابت الطنسي . القاهرة ١٣٧١هـ . ١١٥٢ ، ص ٢٨٢ ، ٢٨٤ . ابن تغري بدي (جمال الدين أبو الحسن يوسف) ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ط دار الكتب المصرية ج ٤ ، ص ٣٢٧ : تاريخ طريف : آراء العرب والدم . ترجمة د . عبد الهادي خيرة ، دار الفكر العربي . القاهرة ١٩٥٠ م . ص ٥٨ .
- ٢ - ابن الأثير (أبو الحسن علي بن أبي الكرم) ، الكامل في التاريخ ، دار الفكر ، بيروت ١٣٩٨م/١٩٧٨م . ج ٦ . ص ٦ .
- ٣ - أوسلان : الأمير شكيب ، تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسنرا وأيطاليا وجزائر البحر المتوسط ، دار الكتب العلمية . بيروت ، بدون تاريخ . ص ٢٨٥ .
- ٤ - ابن حبان : أبو مروان حبان بن خلف ؛ المقبس من آباء أهل الأندلس . تحقيق د . محمد علي مكي المجلس الأعلى للشتون الإسلامية . لجنة إحياء التراث الإسلامي ، ط الأهرام التجارية - ١٣٣٩هـ / ١٩٧١م . ص ١٤٤ . أوسلان : المرجع السابق . نقلا عن رينر المستشرق الفرنسي ، ص ١٤٥ . ١٤٤ .
- ٥ - لوس : أرشيبالد : القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط ، ترجمة أحمد محمد عيسى ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٦م ، ص ١٦٤ : محمد عبد الفتاح عاشور : أوروبا المصور الوسطى ، ط السادسة . مكتبة الأنجلو المصرية . القاهرة ١٩٧٥م ، ج ١ ، ص ٢٤٤ ، ٢٤٥ .
- ٥ - اليلاري (أبو الحسن أحمد بن يحيى) شرح البلدان . دار الكتب العلمية ، بيروت ١٣٩٨هـ / ١٩٨٧م . ص ١٥٩ : الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير : تاريخ الرسل واللوام . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط . الثانية - دار المعارف القاهرة ١٩٧٦م ، ج ١٠ ، ص ٧٥ ، ص ٧٦ .
- ٩ - لوس : أرشيبالد : مرجع سابق ، ص ٢٤٨ ، ص ٢٤٩ .
- ٧ - رينسان ، حيفر . الحضارة البيزنطية ، ترجمة د . عبد العزيز جاويد ، مجموعة آلائل كتاب رقم (٣٧٩) مكتبة النهضة المصرية . القاهرة ١٩٦١م ، ص ١٧٧ .
- ٨ - المرجع السابق .
- ٩ - المرجع السابق .
- ١٠ - لوس : الثرى البحرية والتجارية ، مرجع سابق ، ص ١٦٨ ، ١٦٩ .
- ١١ - الطبري : تاريخ الرسل واللوام ، مصدر سابق ، ص ٨ - ج ١٠ في أماكن متفرقة : لوس : المرجع السابق ، ص ٢٢٧ - ٢٤٧ : عاشور : أوروبا المصور الوسطى ، مرجع سابق ، ج ١ ،

وإن كان بعض الباحثين الأديبين يرى أنه ليس هناك ما يمنع أن يكون أهالي البلاد ، هم الذين أقاموا هذه الحصون والأبراج كلها أو بعضها (١٩١) .

وبما وجد من آثار العرب في فرنسا بعض الملامح المصرية والأواني المشيئة من العاج والنفضة والكؤوس البلورية والأسلحة النحاسية ، وجانب منها في خزائن الكنائس ، ولدى هرات النخعي (١٩٠) .

ومن آثار المسلمين في جنوب فرنسا ، إطلاق اسمائهم على بعض الأماكن ، وكان الأديبين يطلقون على المسلمين (سرازين) (أو سراكين) أو (المرود) واللفظ الأخير أطلق على المغاربة خاصة ، ومن الأماكن التي أطلق عليها اسم المسلمين ، ناحية في نيس (نيفت) [Canton Des Sarrazin (١٩١)] .

ويجانب الآثار المادية التي تركها المهاجرون في فرنسا ، هناك المكانة العظيمة التي تركها هؤلاء المسلمون في نفوس الأهالي . وقد تعرضت فرنسا لغارات النورمان والمجر ، ولكن لم يبق من هذه الغارات ذكرى إلا في بطون التاريخ ، أما غارات العرب على فرنسا - كما قال المستشرق الفرنسي رينر - فلا تزال في جميع الأذهان كأنها حديثة العهد على الرغم من أن غارات العرب ، كانت قبل هذه الغارات ، وذلك لما تميزت به غارات العرب من القوة والعظمة ، وما كانوا عليه من مدنية ، وكان العرب في تلك الفترة أمثلة عليها في الشجاعة والشهامة وهمة النفس ومكارم الأخلاق والمعروف عند القديرة وقرى الضيف . وصارت سيرة هؤلاء المسلمين مادة مفضلة لكثير من القصص الشعبي . وظلت هذه القصص هي المعول عليها إلى عهد غير بعيد (١٩٢) .

المستشرق الفرنسي رينر - فلا تزال في جميع الأذهان كأنها حديثة العهد على الرغم من أن غارات العرب ، كانت قبل هذه الغارات ، وذلك لما تميزت به غارات العرب من القوة والعظمة ، وما كانوا عليه من مدنية ، وكان العرب في تلك الفترة أمثلة عليها في الشجاعة والشهامة وهمة النفس ومكارم الأخلاق والمعروف عند القديرة وقرى الضيف . وصارت سيرة هؤلاء المسلمين مادة مفضلة لكثير من القصص الشعبي . وظلت هذه القصص هي المعول عليها إلى عهد غير بعيد (١٩٢) .

٣٩٨ ، سليمان ، د. أحمد عبد الكريم المسعودي والبهرظيوني في شرق البحر المتوسط ، مطبعة السعادة الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م ، ص ٤٩ ، ٤٤ .

١٢ - لويس : المرجع السابق ، ص ١٦٦ ، ص ٢٢٩ .

١٣ - نشر : هـ ، ألد ، تاريخ أديبا في العصور الوسطى تربية د. محمد مصطفى زيادة ود. السيد البار العريش ، دار المعارف الطبعة السادسة ، القاهرة ١٩٧٦ م ج ١ ، ص ٩٦ ، الشيخ : د. محمد محمد موسى ، دولة الفرنجة وعلاقتها بالأمويين في الأندلس حتى أواخر القرن العاشر الهلالي - مؤسسة الثقافة الجامعية بالألكندرية ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م ، ص ١٧٨ ، ١٧٩ .

١٤ - الشيخ : المرجع السابق ، ص ٣٧ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ؛ العمدي : د. إبراهيم : المسلمون والجرمان ، دار الشريعة ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٦٦ ، ص ٢٧٧ .

١٥ - عنان : محمد عبد الله ، دولة الإسلام في الأندلس ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م ، العصر الأول ، القسم الثاني ، ص ٤٧٥ ، ٤٧٦ ؛ سالم : د. عبد العزيز والهادي : د. أحمد مختار تاريخ البحيرة الإسلامية في حوض البحر المتوسط ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية - بنين تاريخ ج ٢ ، من ص ١٤٢ - ١٥٢ .

١٦ - الشيخ : د. محمد ، دولة الفرنجة وعلاقتها بالأمويين في الأندلس ، مرجع سابق ص ١٨١ تتلأ عنده

Pirenne, H: Mohamed and Charlemagne (London 1968) p. 159 .

١٧ - عنان : دولة الإسلام في الأندلس ، مرجع سابق ص ٤٧٥ ، ٤٧٦ ؛ أبو الفتح : د. محمد ، تاريخ مدينة الري في العصر الإسلامي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب - فرع الإسكندرية ١٩٨١ م ، ص ٢٤ .

١٨ - عنان : المرجع السابق ، ص ٤١٨ .

١٩ - مؤنس : د. حسين ، مقفلة كتاب وياض القنوس للسلكي القاهرة ، ١٩٥١ م ، ص ٧ .

٢٠ - المالكي : أبو الحسن علي بن الحسن ، وياض القنوس في طبقات علماء القيردان وإفريقية وبلادهم ونسبهم وسمر من أخبارهم وفضائلهم وأوصالهم ، تحقيق د. حسين مؤنس القاهرة ١٩٥١ ، ج ١ ، ص ٢٨٨ ؛ ابن عسار : أبو عبد الله محمد ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق كوران وليبي بروكسال ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٦٧ م ، ج ١ ، ص ١٠٤ ؛ عبد الحميد : د. سعد زغلول ، تاريخ المغرب العربي ، منشأة المعارف الإسكندرية ١٩٧٩ م ، ج ٢ ، ص ٤٦ .

٢١ - ابن الأثير : الكامل ، مصدر سابق ج ٥ ، ص ١٤١ ، ص ١٨٦ ؛ ابن عسار : المصدر السابق ، ص ٩٧ ، ص ١٠٣ ؛ أماري : المختار المنقبية ، مكتبة المنشي وبنهاد عن قبة ليليل ١٨٥٧ م ، ص ٤٢٨ .

٢٢ - نشر : آدم الخطارة : الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريد ، الطبعة الرابعة دار الكتاب العربي ، بيروت ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ ، ج ١ ، ص ٢٦ ، ٢٢ ؛ لويس : القوي البحرية والتجارية ، مرجع سابق ، ص ٢٥ .

٢٣ - د. سالم ، د. العياشي : تاريخ البحيرة الإسلامية في حوض البحر المتوسط ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ١٢٦ .

٢٤ - ابن عسار : البيان المغرب ، مصدر سابق ج ١ ، ص ١٢٦ ؛ المسبوي : عبد النعم السبيتي : الروض المظلم في أخبار الأقطار ، ترجمة ليلى بروكسال ، القاهرة ١٩٣٧ م ، ص ١٥٧ .

٢٥ - عباس : د. إحسان ، العرب في صفية الطبعة الثانية ، دار الثقافة بيروت ١٩٧٥ م ص ٣٦ ؛ عبد الحميد ، تاريخ المغرب العربي ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٢٤١ .

٢٦ - لويس : القوي البحرية التجارية ، مرجع سابق ، ص ٢١٢ .

٢٧ - عباس : العرب في صفية ، مرجع سابق ، ص ٢٥ ؛ العريش : د. السيد البار : الإمبراطورية البيزنطية ، الطبعة العربية ، القاهرة ١٩٦٠ م ، ص ٢٢٨ ، ص ٢٣٩ .

٢٨ - لويس : القوي البحرية والتجارية ، ص ٢٢٩ ، ٢٣٠ .

٢٩ - المسوي : شعاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله : معجم البلدان ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت بدون تاريخ ج ٤ ، ص ٢٠ .

٣٠ - المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٤٩ .

٣١ - جزر البليار : مجموعة من الجزر تشكل أرخبيلًا ، يتكون من خمس جزر رئيسية هي : مينورة ومنورة ويابسة وترمشيرة وقبريرة ، بالإضافة إلى حوالي مائة جزيرة صغيرة وكثلة صخرية . انظر دائرة المعارف للستانلي ، طبعة ١٨٧٨ م ، ج ٥ ، ص ١٤٩ .

٣٢ - خليفة بن خياط : تاريخ خليفة بن خياط ، نشر أكروم المسوي ، بنهاد ١٩٦٨ م ؛ ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ص ١١٢ ؛ ابن عسار : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٤٥ .

٣٣ - ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد ، العبر وديوان البعدا والخبر ، طبعة بولاق ١٢٨٤ هـ / ١٨٧٧ م ، ج ٤ ، ص ٣٥٣ ؛ مؤنس : د. حسين ، المسلمون في حوض البحر المتوسط ، مجلة الجمعية التاريخية المصرية ، مايو ١٩٥١ م ، ص ١٢١ .

٣٤ - سبيتي : ل. أ. : تاريخ العرب العام ، ترجمة عادل زعيتر ، الطبعة الثانية ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م ، ص ٢٤٦ .

٣٥ - فانيليف : المغرب والروم ، مرجع سابق ، ص ١٥٩ ؛ طرخان : د. إبراهيم : المسلمون في أفريقيا في العصور الوسطى ، القاهرة ١٩٦٦ م ، ص ٢١١ ؛ وانظر التفتنسي : شعاب الدين أبو العياشي أحمد

٥٤ - المرجعان السابقان .

٥٥ - أرسلان الرجح السابق ، ص ١٩١ .

٥٦ - الشيخ : دولة الفرنجة وعلاقتها بالأوروبيين في الأندلس . مرجع سابق ، ص ١٩٨ .

٥٧ - أرسلان : غزوات المغرب ، مرجع سابق ، ص ١٨٨ إلى ١٩٢ ؛ عنان : دولة الإسلام في الأندلس العصور الأول القسم الثاني ، ص ٤٧٣ ، ٤٧٤ .

٥٨ - أرسلان : الرجح السابق ص ١٦١ ، حاشية رقم (١) ؛ عنان : المرجع السابق ص ٤٦٦ .

٥٩ - أرسلان : الرجح السابق ، ص ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٨٥ ؛ عنان : الرجح السابق ، ص ٤٧ .

٦٠ - ابن الأثير : الكامل ، مصدر سابق ج ٥ ، ص ٣٦٤ ؛ ابن عسار : البيان المغرب ، مصدر سابق ج ١ ، ص ١١٥ . وقد ذكر ابن عسار أن اسم أخيه (وأبي منية) أحمد .

٦١ - أرسلان : غزوات المغرب ، مرجع سابق ، ص ١٦٤ ، ١٦٥ .

٦٢ - رنسيهان : الحشائر البيزنطية ، ترجمة عبد العزيز جابري ، مرجع سابق ، ص ١٧٧ ، ١٧٨ .

٦٣ - يوسف : د. جوزيف تميم : تاريخ الدولة البيزنطية ، د.آر المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ١٩٨٨م ، ص ١٤٢ .

٦٤ - المرجع السابق ص ١٦٠ .

٦٥ - ابن الأثير ، الكامل ج ٧ ، ص ١٤ ؛ سليمان : د. أحمد عبد الكريم : المسلمون والبيزنطيون ، مرجع سابق ، ص ١٣ ، ١٤ .

٦٦ - لويس : القوي البحرية والتجارية ، مرجع سابق ، ص ٣١٨ ، ٣١٧ .

٦٧ - ابن عسار : البيان المغرب ج ١ ، ص ٢٣٩ ؛ القوي : أهرام العالم أحمد بن محمد : د. نفع الطيب من غصص الأندلس الربط ، تحقيق د. إسمان عباس ، دار صادر ، بيروت ١٩٦٨م ، ج ١ ، ص ٣٦ .

٦٨ - عاشق : د. محمد الرافعي : عبد الرحمن : مصر في العصور الوسطى من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٨٦م ، ص ٢٣٨ ؛ سيري : د. محمد جمال الدين سياسة الناطقين المغاربية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ١٢٨٦هـ / ١٩٦٧م ، ص ٢٢٠ ، ٢٢١ .

٦٩ - الملبدي : جكرة القيس ، ص ٢٨٢ ، ٢٨٣ ؛ الحمدي : د. إبراهيم ، فترات البحرية العربية في مياه البحر المتوسط ، مكتبة تهنة مصر ١٣٨٢هـ / ١٩٦٣ ، ص ١٢٤ - ١٣٧ .

ابن علي : صحح الأعمى في صناعة الإنشا ، طبعة دار الكتب ، القاهرة ١٣٢٨هـ / ١٩١٨م ، ج ١ ، ص ٤١٥ .

٣٦ - فاذيليف : المرجع السابق ، طرخان ، المرجع السابق .

٣٧ - المرجعان السابقان .

٣٨ - فاذيليف : المرجع السابق ؛ لويس : القوي البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط ، ص ٢١٤ .

٣٩ - المرجعان السابقان .

٤٠ - أرسلان : تاريخ غزوات المغرب ، مرجع سابق ، ص ١٦٠ ؛ عنان : دولة الإسلام في الأندلس العصور الأول القسم الثاني ، ص ٤٦٧ ؛ الشيخ : د. محمد : دولة الفرنجة وعلاقتها بالأوروبيين في الأندلس ، مرجع سابق ، ص ١٨٩ ، ص ١٩٠ .

٤١ - أرسلان : المرجع السابق ، الشيخ : المرجع السابق .

٤٢ - لويس : المسلمون في حوض البحر المتوسط ، مرجع سابق ، ص ١١٢ .

٤٣ - المرجع السابق ؛ طرخان ، المسلمون في أوروبا العصور الوسطى ، مرجع سابق ، ص ٢١٩ ؛ لويس : القوي البحرية والتجارية ، ص ٢١٤ .

٤٤ - مؤنس : المرجع السابق ؛ طرخان : المرجع السابق ، ص ١١٤ .

٤٥ - لويس : القوي البحرية والتجارية ، ص ٢١٤ ، ٢٢١ .

٤٦ - المرجع السابق ، ص ٢١٥ .

٤٧ - الكامل ؛ مصدر سابق ، ج ٥ ، ص ٢٦٣ .

٤٨ - لويس : القوي البحرية والتجارية ، مرجع سابق ، ص ٢١٩ ، ٢٢١ .

٤٩ - مؤنس : المسلمون في حوض البحر المتوسط ، مرجع سابق ، ص ١١٢ .

٥٠ - كورد علي ؛ محمد ، خطط الشام دمشق ، ١٩٢٥ ج ١ ، ص ٢٧٧ ، ص ٢٧٨ ؛ لويس : القوي البحرية والتجارية ، ص ٢٢٠ .

٥١ - كورد علي : المرجع السابق ؛ طرخان : المسلمون في أوروبا في العصور الوسطى ، ص ٢١٩ ؛ وكاليليا ؛ سارظلي ، شركوا مجاهد العاصم قائد الأسطول العربي في غرب البحر المتوسط ، الطبعة الأولى ، لجنة البيان العربي ، القاهرة ١٩٦١م ، ص ٢٠٠ .

٥٢ - لويس : القوي البحرية والتجارية ، مرجع سابق ، ص ٢٣٠ .

٥٣ - أرسلان ؛ غزوات المغرب ، مرجع سابق ، ص ١٩١ ، ١٩٦ ؛ عنان : دولة الإسلام في الأندلس العصور الأول القسم الثاني ، ص ٤٦٧ ، ٤٦٨ .

ملاحم اندلسية وإيطالية في

خزفيات الدولة النصرانية

يُعد الحزف من أهم حرف الفنون الخزفية التي عرفتها المسلمون منذ أن توطدت أركان دولتهم ، وصبر حقبهم التاريخية المتعاقبة ، إذ نشعروا أقطاراً كان لها ماضٍ عريق في صناعته ، كإيران والمراة ومصر والشام ، وأدى خضوعها لحكمهم إلى استقرار تقاليد وتبادل خيراته . ومن ثم ظهور نهضة المصانعة^(١) ، كما استرقت منتجاته بموادها المعصورة وأنواعها المشابهة وذخارفها المتفرعة وطاقاتها المتعددة ، أنظار العلماء والباحثين من المشتغلين بالآثار . وتعاوتهم في ترتيب مراحل تطوره وطوره الفنية (٢) .

وتأني النصف الخزفية التي أزدادت بها الدور والقصور والمساجد والمدارس الأندلسية ، ووصلت إلى أوج بهائها في عهد الدولة النصرية (٢١ - ٣٠ رمضان ٦٣٥ / ٢ ربيع الأول ٨٩٧هـ = ٧-١٦ مايو ١٢٣٨ - يناير ١٤٩٢م)^(٣) ، في مقدمة الفنون الخزفية العربية الإسلامية التي أتيح لها التأثير في نظائرها الإيطالية المعاصرة لها والتأثر بها . ولم تحظ بالقدر الذي تستحقه من الدراسات الأثرية ، بما كان واقعاً لإندلس على دراسة بعضها ، تحت غلاف واحد لأول مرة ، مستهدفاً تحديد ملاحمها الأندلسية والإيطالية المتبادلة والمتجانسة ،

١ - لتأيد مساعدي رئيس قسم الآثار الإسلامية - كلية الآداب والعلوم - جامعة القاهرة .

- ٧ - لوسى : القوى البحرية والتجارية ، مرجع سابق ص ٢٢٣ .
- ٧١ - الشيخ : دولة القرطبة وعلاقتها بالأندلس في الأندلس ، ص ٢٠٧ ، ص ٢٠٨ .
- ٧٢ - أرسلان : تاريخ غزوات العرب ، ص ١٨٩ .
- ٧٣ - ابن عفارى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٣١٨ ، سالم : د . السيد : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ١٩٨٢ ، ص ٢٨٨ .
- ٧٤ - طرخان : السطرون في أوروبا ، ص ٢٢٣ ، ٢٢٤ : لوسى : القوى البحرية والتجارية ، ص ٢٠ .
- ٧٥ - أرسلان : تاريخ غزوات العرب ، ص ١٨٦ ، ص ١٨٧ : عتاق : دولة الإسلام في الأندلس ، العصر الأول القسم الثاني ، ص ٤٧٣ .
- ٧٦ - أرسلان : المرجع السابق ، ص ٢٢٣ .
- ٧٧ - الشيخ : دولة القرطبة وعلاقتها بالأندلس في الأندلس ، ص ٢٠٧ ، ص ٢٠٨ .
- ٧٨ - لوسى : القوى البحرية والتجارية ، ص ٢١٨ .
- ٧٩ - المرجع السابق .
- ٨٠ - المرجع السابق ، ص ٢٢٢ .
- ٨١ - أرسلان : تاريخ غزوات العرب ، ص ١٦٩ ، ص ١٦٧ : الشيخ : دولة القرطبة وعلاقتها بالأندلس في الأندلس ، ص ١٩٨ .
- ٨٢ - عتاق : دولة الإسلام في الأندلس العصر الأول - القسم الثاني ، ص ٤٧٥ .
- ٨٣ - أرسلان : تاريخ غزوات العرب ، ص ٢٢٨ ، ٢٢٩ .
- ٨٤ - الصبور السابق ، ص ٢٤١ .
- ٨٥ - عتاق : دولة الإسلام في الأندلس - العصر الأول - القسم الثاني ، ص ٤٧٧ ، ٤٧٨ .
- ٨٦ - المرجع السابق ، ص ٤٧٨ .
- ٨٧ - المرجع السابق .
- ٨٨ - أرسلان : تاريخ غزوات العرب ، ص ٢٢٨ ، ٢٢٩ : عتاق : المرجع السابق .
- ٨٩ - أرسلان : المرجع السابق ، ص ٢٣٧ : عتاق : المرجع السابق ص ٤٧٧ .
- ٩٠ - أرسلان : المرجع السابق ، ص ٢٣٧ ، ٢٣٨ : عتاق المرجع السابق .
- ٩١ - أرسلان : المرجع السابق ، ص ٢٠٩ - ٢٠٩ : عتاق : المرجع السابق ، ص ٤٧٠ .
- ٩٢ - أرسلان : المرجع السابق ص ٢٤١ - ٢٤٢ : عتاق : المرجع السابق ، ص ٤٧٩ .

وأبرزها في دراسات الفنون الخزفية الأثرية العربية الإسلامية والأوروبية . استناداً إلى شواهدنا المتسيرة ومصادرها ومراجعتها العربية والأجنبية المتخصصة .

والواقع أن هذا أمر لا غرابة فيه ، إذ كانت الصداقة للأندلس في إنتاج الخزف في غرب العالم الإسلامي ، بسبب هجرة العمال والصناع من بلاد الشام ، ودخولهم في خدمة الأمراء منذ عهد الدولة الأموية في الأندلس في القرن السادس الهجري (١٢٠م) . كما تجتمع في غرناطة إبان عهد الدولة النصرية ، المهاجرون من العرب الذين سلبت ديارهم على يد الأسيان ، واستمروا في ممارسة حرفتهم التي حلّقوها في بلادهم ، واستفادوا من إمكانيات وطنهم الجليل (٤) .

كذلك كانت الأندلس إحدى نقاط الاتصال المهمة التي أسهمت منذ فتح العرب لها (الأحد ٢٨ رمضان ٩٢هـ / ١٦ يوليو ٧١٦م) في انتقال مدينة الفنون العربية الإسلامية وتقدمها إلى البلاد الأوربية ، فضلاً عن صقلية ، والحروب الصليبية (٤٨٩ - ٦٠١هـ / ١٠٩٦ - ١٢٠٤م) ، والحركات التجارية ، ورحلات الحج المسيحية ، وأعجاب الإيطاليين بتقنيات الخزف الأندلسي ، ونقلهم عنها بعض خصائصها الفنية وأساليبها الخزفية ، كما نقلوا إليها بعض عناصر فنونهم الخزفية (٥) .

وتستدل على ذلك من أمثلة لبعض المنتجات الخزفية الأندلسية والإيطالية التي ترجع إلى عصر موضوع البحث ، أو تم الكشف عنها في حفائر قصر مدينة الزهراء والبيرة والمريّة وقلعة أيوب وقرطبة ، أو صنعت براكز أندلسية شهيرة في أشبيلية وباترنا ومالقة وغرناطة وميضية ، كانت تعمل مصانعها لحساب كثير من البائعات والكرادنة والأسرات النبيلة في الأندلس وإيطاليا ، أو أنتجتها مصانع فلورنسا وأدينتو وجنوة وفانيزا الإيطالية (٦) .

ولتعدو هذه الخزفيات الحارثية والأكواب ، والزهريات والبلاطات ، والمسارج والأقلام ، والظباقيير والقوارير والأزيار والجرار والقدور ، والكؤوس والأباريق ، والنصحون والفتايجين (٧) ، لتغطي الاحتياجات العامة والخاصة .

وتتميز هذه المنتجات الخزفية بزخارفها المرسومة بالبريق المعدني (Lustre Pottery) الذهبية والأحمر والأزرق والرمادي التي أغنت أمراء المسلمين وأثريائهم عن الأواني الذهبية والفضية ، وشجعتهم على استخدامها ، والتوجه بما يلزم للإبداع في صناعتها ، وتطلب إنتاجها حرفتها حرفاً أولياً بعد فنام عملية التصنيع ، وتغطيتها بماهة زجاجية تعرف بالدهقان أو

النيا ، ثم ترسم الزخارف فوقها بطبقة رقيقة من الأكاسيد المعدنية ، وتجرق بعد ذلك في فرن خاص ، حرفاً نهائياً في درجة حرارة منخفضة ، فتكسب بذلك لمعاناً ذهبياً (٨) .

وقد اكتسبت الأندلس شهرة في صناعة الخزف ذي البريق المعدني ، ورودها المؤرخون العرب والأندلسيون ، حيث كان يصنع بها الفخار الذهب أو النضار الذهب . ويجلب إلى أقاصي البلاد (٩) ، الأمر الذي أثار غيرة الخزافين الإيطاليين ، فعمروا كيف يضمنون نماذج عصر النهضة الأوربية ، بأسلوب يغاير التقليد المتبع من قبل ، كخزفيات الصانع الماهر جيمبرجيو أندريولي (Giorgio Andreoli) بمرکز فيبجو (Gubbio) المشهور ، ذات البريق الذهبي والأحمر (١٠) .

هذا إلى جانب الخزف ذي الزخارف المرسومة تحت طبقة من مادة الزجاج اللزج الشفاف (Glazing) بالبرق متعددة كالأحمر والأزرق والأخضر والأصفر والبني والقهقراني أو البنفسجي ، وذلك على أرضية بيضاء ، ويغاث بكم حجم ورسوم وقوة وضوحها ، وبطريقة في التزيج لم يعرفها شرق العالم الإسلامي (١١) . تعرف بطريقة الرسم بالمطر (Graffito) أو (النواصل الجافة (Cueziaseca) ، وهي تعني أن اللزج الخزفي بعد تشككه ، لم يكن يزجج كله مرة واحدة ، بل كان يقسم إلى أقسام ، يزجج كل واحد منها بواسطة الفرشاة بلون خاص ، ويفصل كل لون عن الآخر . حر صيف أو خط يرسم بفرشاة مغموسة في أكسيد النعتر الحام ، دون إذائه ، بحيث يصبح معتماً أسود حتى بعد خروج اللزج من الفرن (١٢) .

وقد نقل الإيطاليون هذا النوع من الخزفيات الأندلسية في القرن التاسع الهجري (١٠٥م) ، وكان ذلك بداية لاشتقاقات أخرى من أساليب صناعة الخزف الإسلامي ، ساعدت على ازدهار هذه الصناعة في عصر النهضة الأوربية (١٣) .

ويزين طيه الخزفيات ذات البريق المعدني ، والأخرى المتعددة الألوان تحت الطلاء الزجاجي الشفاف ، زخارف ذات تمبرات أندلسية وإيطالية على مهاد تغطي في معظم الأحيان فروع وديقات نباتية صغيرة وأشكال هندسية ملوأة بنقاط دقيقة ، وهي عبارة عن رسوم آدمية نادرة ، وطيور ومهورات رشيقة قرنية من الطبيعة ، وأخرى محورة تمهيداً يجعلها في بعض الأحيان ذات طابع زخرفي أنيق ، يتسم بالروعة والجمال ، كرسوم الأسود والأسماك ، فضلاً عن تزيينات دقيقة ذات فصوص ، ومرامح نخيلية كبيرة وأوراق البلوط ، وديانات زاهد . وتُسام كعناقيد المنسب القرطبية الطابع (١٤) ، تنشق من فروع نباتية ومضفرات متقنة ، إلى

جانب زخارف هندسية بسيطة أو مركبة ، كالمناطق اللوزية الشكل ذات الوردقات النباتية ، والمستطيلة المسهبة بخطوط متقاربة طويلاً وعميقاً ، والشراطين المجعولة والمتشابهة التي تظم بداخلها دوائر ذات فروع نباتية أو ورديات ولحجوم ، والمناطق التي تشع من قيمان الآتية إلى جوانبها ، بالإضافة إلى رسوم العسائر والسفن الشراعية ، والرؤس العروس ، وتقليد الكتابة العربية والحروف القوطية ، فضلاً عن الشارات الملكية ، كشارات ملوك غرناطة ، وأسماء أمراء إيطاليا ، ودونوك بعض الأسر المسيحية الأندلسية والنطورية ، وسعارات التجمار الأجنبي (١١٥) .

ويحفظ ببعض هذه المنحنيات الخزفية الأندلسية والإيطالية ، كل من متحف الآثار ببلدريد وقرطبة ومتحف الحمراء ، ومتحف بالرمو في صقلية ، ومتحف الفن الإسلامي بالقاهرة ، والمتحف البريطاني ونيكيتوريا وألبرت بلندن ، ومتحف الخزف الأطلي في سيطر بفرنسا ، والقسم الإسلامي بمتحف برلين ، والجمعية الأسبانية الأمريكية ومتحف التروبولستان ببيومبولك ، ومجموعة بول تاشار .

من ذلك صحن من الخزف ذي البريق المعدني من صناعة مالقة ، يرجع إلى القرنين السابع والثامن الهجريين (١٣٠ - ١٤٠ م) ، محفور بتحف برلين ، وقوام زخارفه من الداخل والخارج ، مناطق متباينة الأشكال والمساحات ، تضم فروعاً ووردقات نباتية متنوعة ورسومًا من الرؤس العروس بالبريق المعدني الذهبي اللون (صورة - ١١٦) .

كذلك يحتفظ متحف بالرمو بتال طيب من القلور البيضاء الشكل ، ذات حجم كبير ومتمايز تشبه الأوجهة ، ارتفاع ١,٧ م ، والمصنوعة أيضاً في مدينة مالقة من الخزف ذي البريق المعدني في القرن الثامن الهجري (١٤٠ م) ، وتعرف باسم قنود قصر الحمراء ، ويصل لون خزفها إلى الاصفرار ، وتغطي بطانة بيضاء ، نعلوها فروع وردقات نباتية أيضاً وكتابات كوفية ، وذلك باللون الأزرق والبريق المعدني الذهبي (صورة - ١١٧) .

هذا بينما تضم مجموعة بول تاشار ، آنية من الخزف ذي البريق المعدني من صناعة منشية في القرنين الثامن والتاسع الهجريين (١٤٠ - ١٥٠ م) ، يتراوح ارتفاعها بين ٠,٣ - ٠,٣٢ م ، وكانت تستعمل في حفظ الدواء ، وهي عبارة عن قنود بربلية الشكل ، أسطح الإيطاليين على تسميتها بالباللو (Alballo) ، وتجمع معظم زخارفها الموضعات التي أقبل عليها الخزافون ببينية في أواخر القرن الثامن والتاسع الهجريين (١٤٠ - ١٥٠ م) ، ومن بينها رسوم من

الرؤس العروس ، وأخرى محورة عن الكتابات العربية أو قلدها ، فضلاً عن أشكال وردقات وعتايد العنب والزهور التي يغلب عليها الطابع القوطي ، والفروع النباتية ذات الوردقات الصغيرة ، والأشرطة الأفقية المقطاة بالخطوط الزرقاء ، والذهبية على التوالي ، والمتقاربة طويلاً وعميقاً (المسهبه) (صورة - ١١٨) .

كذلك ينسب إلى بداية القرن التاسع الهجري (١٥٠ م) قنود صنفه مالقة ، محفور بتحف التروبولستان ، تشتمل نغمياتها الزخرفية على توابق ومضمرات ومراوح نخيلية وأشكال تشبه الكتابات العربية ، باللونين النسي والأزرق (صورة - ١١٩) .

وكان يستعمل عدة كبير من هذه الأوعية بعلات تداول المتقاصر الطبية الإيطالية في القرن التاسع الهجري (١٥٠ م) ، إذ حصل الإيطاليون على أوعية الأدوية البراقة من بلنسية ، مركز إنتاج هذا الخزف في غرب العالم الإسلامي ، حيث كانت تصنع منها أشكال بدعة ، بناء على طلبات وتوصيات تجار أجناب كانت تنتش عليها شعاراتهم ، وقد قلد الإيطاليين هذه الآنية ، ويحفظ متحف فيكتوريا وألبرت بأحد نماذجها من صناعة مدينة فالنزا (Fuenza) في حوالي منتصف القرن التاسع الهجري (١٥٠ م) ، تزينه زخارف باللون الأزرق الداكن على أرضية زهادية ، فوامها أشرطة عرضية ، تضم تقريعات نباتية ، ودوائر بداخلها أشكال لحجوم ووردقات نباتية (صورة - ١٢٠) (١١٩) .

ومن المنحنيات الخزفية ذات البريق المعدني أربعة صحن ، صنعة منشية أيضاً ، ترجع إلى القرن التاسع الهجري (١٥٠ م) ، محفورة في متحف مدريد ، تتألف زخرفة أحدهم الذهبية اللون من وردقات تضم كل منها ستة فصوص ، وفروع نباتية تمتد منها وردقات وتبار باللون الأزرق (صورة - ١٢٠) .

بينما يتوسط ثانيهم رسم طائر صغير ، وحوله شريطان ، يضم أحدهما ثمانى دوائر ، وثانيهما خمس عشرة دائرة تشتمل كل منها على رسم وريدة أو ورقة نباتية متشابهات ، وتغطي الأجزاء المحصورة بين الدوائر ، أجزاء من رسم الوردية أو الورقة النباتية (صورة ١٢١) . وتتألف زخرفة ثالثهم من ثمانى مناطق تشع من دائرة في وسط الإناء ، إلى جوانبها ، وتضم كل منها ورقة نباتية ذات خمسة فصوص ، وفي أسفلها ساق نباتي ، أما الهاد ، فتغطيها فروع نباتية ووردقات صغيرة ودقيقة (صورة - ١٢٢) .

كماك يحفظ متحف برلين بأمانة طبية من الخزوف ذي الخزارف المرسومة تحت الطلاء .
 صنعة باتونا ، ترجع إلى القرن الثامن الهجري ١٤٠م ، تشبه الخزوف الإيطالي للعناصر لها
 صنعة أوفيتو ، من ذلك صحن بزنه رسم تخطيطي حيوان أشبه بأسد يزار ، ومن خلقه شجرة
 وأفرع وورققات نباتية (صورة - ١٨) ، وصحن آخر قوام خزارفه رسم طائر تعلوه سمكة
 على أرضية مغطاة بغصن وورققات نباتية (صورة - ١٩) (٢٦٦) .
 ومن ذلك أيضاً قدر صنعة فلورنسا في القرن التاسع الهجري (١٥م) ، مصفوفة في
 متحف فيكوريا وألبرت ، ارتفاعها ٣٧ ، ٣٠م ، وهي من القصور التي تعرف باسم مايوليا
 (Maiolica) أو قديم ورق البلوط (Oak - Leaf Jars) ، نسبة إلى عنصر خزفي ويسمى
 فيها ، وهو الورق الذي يحيط برسوم آدمية أو حيوانات أو عناصر خزفوية أخرى ،
 مرسومة باللونين الأحمر والأزرق (صورة - ٢٠) (٢٧٧) .

وهكذا نلح فيما تقدم ، مدى انفراد خزفيات الدولة النصرانية بلامع أندلسية وإيطالية
 متبادلة ومتباينة ، ذات قيمة تلبية صناعية ، وزخرفية ، ووظيفية كبيرة ، . تملك في صناعة
 الخزوف ذي البريق المعدني ، والخزوف ذي الخزارف المرسومة بالوان متعددة تحت الطلاء ، الزجاجي
 الشفاف ، بطريقة الرسم بالحفر ، المعروفة أيضاً بطريقة القواصل الجافة ، وتزيين منتجاتها
 المنتزعة ، بخزارف ذات طابع خاص ، قوامها رسوم آدمية ، وحيوانية ، ونباتية ، وهندسية ،
 ومصارعية ، وسفن شرعية ، فضلاً عن الرقص العرس . وتقليد الكتابات العربية والقروية ،
 والشارات الملكية الأندلسية ، والأميرية الإيطالية ، ودنوك بعض الأسر المسيحية الأندلسية
 والفلورنسية والتجار الأجانب ، تميزت جميعها بالبراء والاعتدال والتوازن والانسجام وهي
 سمات جمالية ، ارتقت بمنموها الفن بين الخزفيات العربية الإسلامية والأوربية .

أما الصحن الرابع ، فقوام خزرفته ، واجهة مصارعية تحيط بها مناطق لوزية الشكل ، تفسم
 رسوم وورققات نباتية ، تفضلها مناطق أخرى مستطيلة ومغطاة بخزوف متقاربة ، كما تغلظ
 الأرضية فروع نباتية وورققات صغيرة أيضاً (صورة - ١٩) .
 كذلك يوجد بالمتحف البريطاني ، صحن خامس يتوسطه رنك أسرة دخل أغلي (Agli Degli)
 المسيحية ، من نلاء مدينة فلورنسا ، وهو له رسم وورققات باللون الأزرق على مهاد
 من البريق المعدني الذهبي اللون (صورة - ١٠) (١٢٠) .

هذا بينما يحفظ متحف فيكوريا وألبرت بأربعة صحنون أخرى ، تضم حواف ثلاثة منها
 كتابة بالحروف القوطية للصلاة المسيحية التي تبدأ بكلمات " أتى ، ما ، ربا ، غرا ، يلي ،
 تا " المستمدة من إنجيل لوقا (٢٦) ، ويتوسط أحدهم رسم طائر في مساحة من الإناء ، باللون
 الأزرق على مهاد من الفروع النباتية والورققات الدقيقة ذات البريق المعدني الذهبي اللين
 (صورة - ١١) (١٢٢) ، وتالف خزرفة ثابتهم من رنك إحدى الأسرات المسيحية ، وهو له رسوم
 وورققات صغيرة باللون الأزرق على مهاد من البريق المعدني الذهبي (صورة - ١٢) ، وقوام
 خزرفة نالهم الذي يرجع إلى حوالي عام ٨٣٤ هـ / ١٤٤٣م ، رسم تخطيطي لأسد يزحف فوق
 أرضية من الفروع النباتية والزهر الصفيرة (صورة - ١٣) . ويتوسط الصحن الرابع ، رسم
 سفينة شرعية وأسطحها أساك (صورة - ١٤) (١٢٣) ، وهو من الرسوم التي كثر تنفيذها في
 خزرفة خزوف البريق المعدني المصروع ببنيشة على أرضية مغطاة بالفروع النباتية والزهر
 والأوراق والأشكال الهندسية المطرقة بالتقاط الدقيقة (١٢٤) .

هذا إلى جانب تحف ثلاث ، صنعة بلنسية ، ترجع إلى القرن التاسع الهجري (١٥م) أيضاً ،
 ويحفظ متحف الشروبليتان بالذين منها ، نفذت خزارفهما باللونين الأزرق والذهبي ،
 إحداهما سلطانية تزينا ورود صغيرة ، فوق مهاد ذي نقاط (صورة - ١٥) ، والثانية
 صحن تزينة وورققات ذات ست وورققات ، وأخرى ذات ثلاث وورققات مديبة ، وذلك على أرضية
 مغطاة بفروع نباتية دقيقة (صورة - ١٦) ، أما الصفحة الثالثة ، فيحفظ بها متحف لمارف
 الأولى في سلط ، وهي عبارة عن صحن تتوسطه شارة ماري زوجة ألفونس الخامس ، ملك
 أراجونة ، من أعمال ولاية جيان ، وتلف حولها أشرطة بداخلها أشكال بيضية مديبة وشبه
 مديبة ومناطق مستطيلة ، تضم خزارف نباتية محصورة ، وما يشبه الكتابة العربية
 (صورة - ١٧) (٢٥) .

الهوامش :

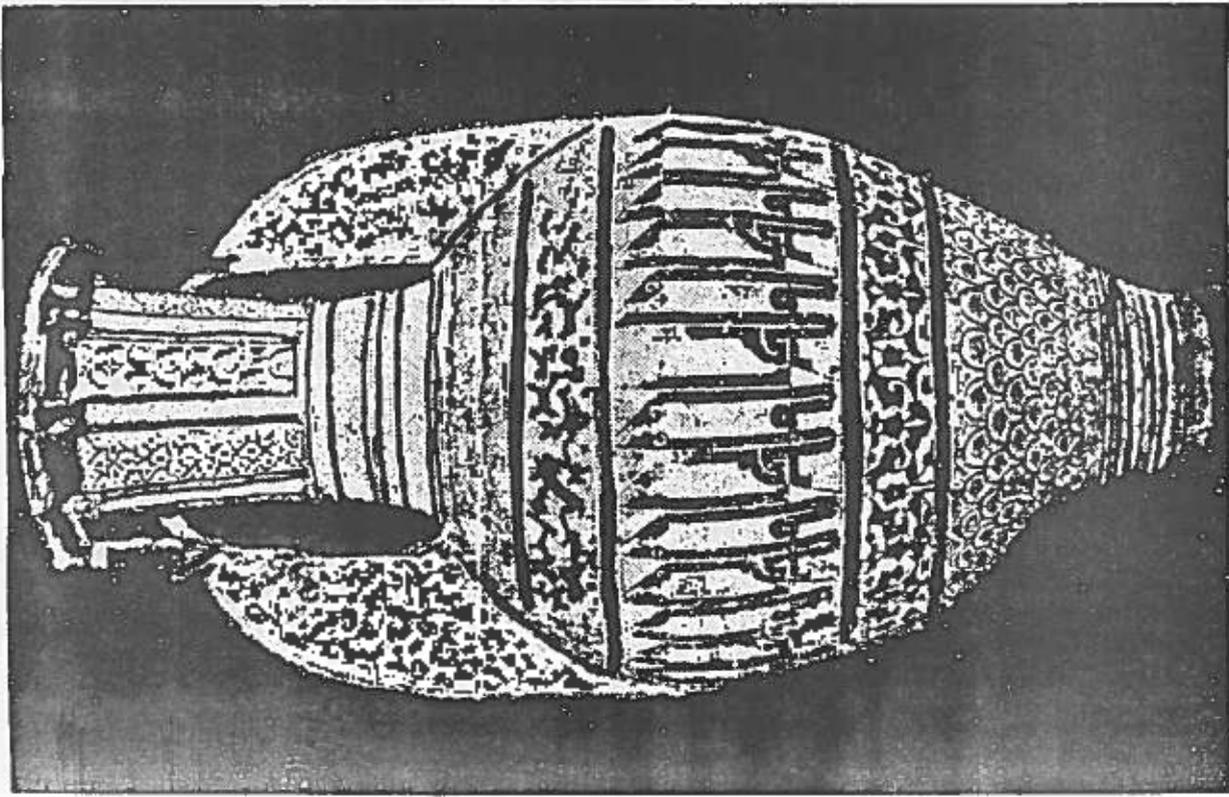
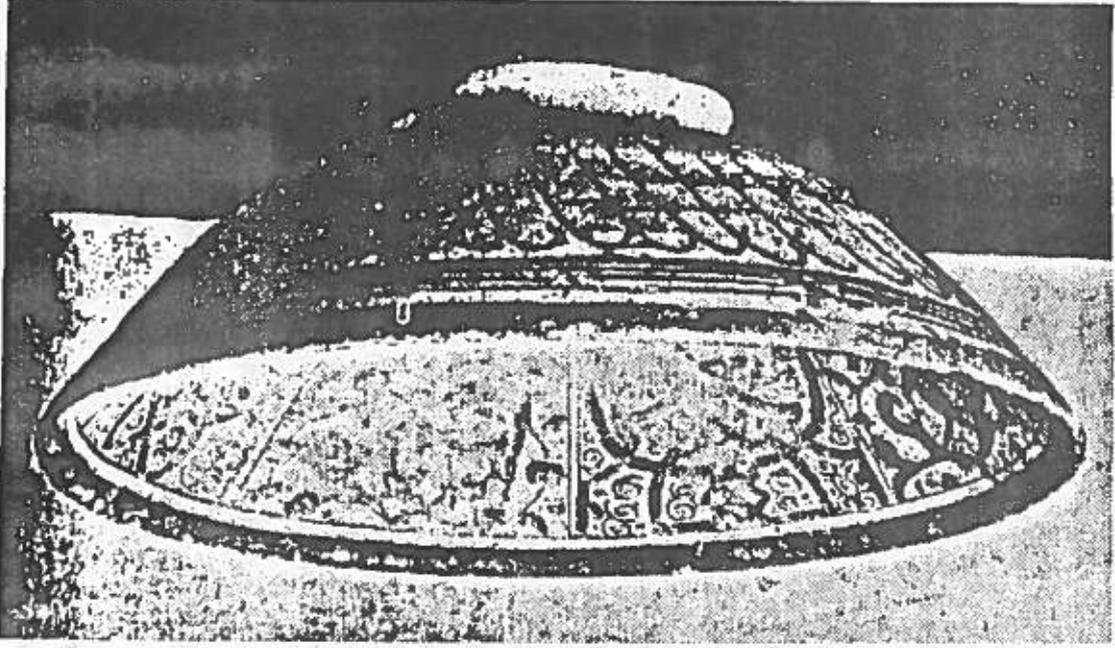
- ١ - الخنزير طينة أكثر نقا . وصلابة من الفخار . ويطلق عادة بإضافة زجاجية . ويستخدم في صناعة الأواني . كما صنعت في العصر الإسلامي أدوات كثيرة أخرى . كما لأصوان وكراسي المشايخ والشعدانات والمساويج وسائد الأربل وطلاقات القاشاني والقصيفسا - الخزفية (انظر : سعاد ماهر (دكتور) : الخزف التركي - ص ٤٤ - ٥٥ ، حسن الهاشم (دكتور) : مدخل إلى الآثار الإسلامية . ص ٣٧٤ - ٣٧٩ . 2000... The Complete Book of Pottery Making, p. 45. John B. Keny : Pottery for Schools, p. 45. Parry W.F. Pottery for Schools, p. 45.
- ٢ - من بين الأسس الهامة التي يعتمد عليها في تاريخ الخزف . المادة الخام وطريقة الصناعة والزخارف والموقع . وإذا ما تعلقنا بهذه الأسس أو غيرها . يلجأ العلماء . بالباحثون . عادة إلى القارة والانتراخ والتبريج . رغم اعتمادها عن الحقيقة والواقع في بعض الأحيان (انظر : سعاد ماهر (دكتور) : المرجع السابق . ص ٣ : حسن الهاشم (دكتور) : المرجع السابق . ص ٣٩٢ - ٣٩٣ .
- ٣ - الطرز ، الشكل والنسق . وهي جميع كلمة طراز التي أطلقها العرب على مصانع السيرج (دور الطراز) الخاصة بالصناعة . كما تعني المصنع (البرودري) أو الزخرفة التي تزين فيها . وملابس الخليفة لم السلطان أو الأحرار . أو الحاشية . وشريط الكتانية التي كان شارة من شارات الخلافة (انظر : مجموع اللغة العربية : المعجم الوسيط . ص ٣٨٩ : محمد عبد العزيز مرزوق (دكتور) . طراز الأندلسية . ص ١٦٥ - ١٦٦ .) .
- ٤ - نسبة إلى أسرة بني نصر : سادة حصن أرجونة (Aragona) من أعمال ولاية صيان . والذي يرجع نسبهم إلى سجد بن عيادة سيد الخرج وأحد أكابر صلحية الرسول ﷺ .
- ٥ - عبد الرحمن زكي (دكتور) : الفن الإسلامي . ص ٩٩ : محمد عبد العزيز مرزوق (دكتور) : فنر المهراب . ص ٢٠ : السيد عبد العزيز سالم (دكتور) : قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس . ص ١٥٠ : سعاد ماهر (دكتور) : الفنون الإسلامية . ص ١٥٨ .
- ٦ - Ali Bey Balgat et Massauls, F: La Ceramique Musulmane de L'Egypte-Pan II-P 114.
- ٧ - ياقوت الحموي : معجم البلدان . ج ١ . ص ١٦٥ : الحموي : الروض المطار في خبر الأخصار . ص ١٠٢ . ١٦٩ - ١٧٠ : المشرق : القصر السابق . ج ١ . ص ١٠٨ .
- ٨ - ابن سعيد المغربي : المغرب في حلى المغرب . ج ١ . ص ٢٤ : ابن الخطيب : أعمال الأعلام ليسوع بنح نيل الاحكام من ملوك الإسلام . ج ٣ . ص ٣١٣ : س.ديانند : المرجع السابق . ص ٢٧٧ : زكي محمد حسن (دكتور) : لتون الإسلام . ص ١٦٣ : محمد عبد العزيز مرزوق (دكتور) : الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب والأندلس . ص ٢٠١ - ١٠٢ : سعاد ماهر (دكتور) : المرجع السابق . ص ٦٠ : وجدان طلي بن تاييف (دكتور) : سلسلة التعريف بالفن الإسلامي (الأمازيغيون - الصليبيون

- ١ - الأندلسيين (. ص ٢١٦ : تيفين محمد فاروق : الخزف الأندلسي ذو البريق المعدني وأثره على الخزف الأندلسي (أسبانيا وإيطاليا) . ص ٥١ .
- ٢ - ابن منظور : لسان العرب . المجلد الرابع . ص ١٣٦ . ٣٣٩ والمجلد الخامس . ص ٧٩ . ٨٠ : مجمع اللغة العربية : المرجع السابق . ص ١٠٠ . ٢٩٨ . ٤٩٢ : المعجم الوسيط . ج ١ . ص ١٣١ . ٤٢١ . ٤٢٢ . ج ٢ . ص ٧٤٥ .
- ٣ - زكي محمد حسن (دكتور) : المرجع السابق . ص ٢٦١ . ٢٦٢ : أطلس الفنون الزخرفية والتصاور الإسلامية . ص ٤٠٣ .
- ٤ - A.U.Pope : A Survey of Persian Art II, p. 1473 . 1473 .
- ٥ - Arthur Lane: Early Islamic Pottery - p. 13.
- ٦ - ٩ - الشفاؤ : الصمة والنسبة وطيب العيش (انظر : مجمع اللغة العربية : المعجم الوسيط . ص ٤٥١) . كما كان يسمي الخنزير ذو البريق المعدني بالعربية والأسبانية القديمة بالذهب فقط (انظر : مانويل جوييت مودينو : الفن الإسلامي في إسبانيا . ص ٢٨٧) .
- ٧ - ١٠ - توماس آرتولد وآخرون : تراث الإسلام . ص ١٩٧ : زكي محمد حسن (دكتور) : فنون الإسلام . ص ٢٥٩ .
- ٨ - ١١ - محمد عبد العزيز مرزوق (دكتور) : المرجع السابق . ص ١٠٠ .
- ٩ - ١٢ - توماس آرتولد وآخرون : المرجع السابق . ص ١٩٠ : السيد عبد العزيز سالم (دكتور) : المرجع السابق . ج ٢ . ص ١٠٥ : محمد الحسيني عبد العزيز (دكتور) : أسلوب الصناعيين الأندلسية وصناعتها الزخرفية . ص ١٨ : مانويل جوييت مودينو : المرجع السابق . ص ٣٨٤ .
- ١٠ - ١٣ - أحمد فكري (دكتور) : المرجع السابق . ص ٤٠٦ .
- ١١ - ١٤ - خلال النصف الأول من القرن التاسع الهجري (١١٥ م) . دخلت العناصر الزخرفية القرطبية في رسوم منتجات بلنسية للزخرفة ذات البريق المعدني . ومن الأشكال التي شاع استخدامها الورد الصغيرة فوق الأرضية المنقطة . وفي النصف الثاني من ذات القرن . ألف الفاتحون زخرفة منتجاتهم بتخريعات العنق باللونين الأزرق والذهبي . مثلها عرف في الفن القرطبي (انظر : س.ديانند : المرجع السابق . ص ١٢٩٩ .) .
- ١٢ - ١٥ - س.ديانند : المرجع السابق . ص ٢٢٨ - ٢٢٩ : زكي محمد حسن (دكتور) : المرجع السابق . ص ٣٣٣ - ٣٣٥ : سعاد ماهر (دكتور) : المرجع السابق . ص ١٠٠ : تيفين محمد فاروق . المرجع السابق . ص ٨٠ - ٨١ . ١٢٨ . ١٢٩ .

- ٢١ - إيجيل لوقا - الإصحاح الأول - الآية ٢٨ - يدخل إليها - أي إلى العترة - سلام لك أيها
النعم عليها . الرب ملك . مباركة أنت في السماء .
٢٢ - توماس أونولد وآخرون : المرجع السابق ، شكل ٦ .
٢٣ - زكي محمد حسن (دكتور) : المرجع السابق ، ص ٤٢٧ - ٤٢٨ ، شكل ٢٠٧ ، ٢١٣ - ٢١٤ ،
لنوع الإسلام ، ص ٣٣٤ .
- Küllweil Ernst : Maurische Kunst, S. 30 III, Taf. 133 .
- Glück, Heinrich Und Diez, Ernst op. cit., S. 429 .
- Koechlin, R. Und Mignon, G. : op. cit., pl. LI .
٢٤ - سعاد ماهر (دكتور) : المرجع السابق ، ص ٦٠ .
٢٥ - م. م. دياند : المرجع السابق ، ص ٢٢٩ ؛ نمت إسماعيل غلام : المرجع السابق ، ص ٢٦٦ ،
شكل ٢١١ .
٢٦ - زكي محمد حسن (دكتور) : المرجع السابق ، ص ٤٢٨ ، شكل ٢٠٨ ، ٢١٠ ، لنوع الإسلام ،
ص ٢٧٧ ، سعاد ماهر (دكتور) : المرجع السابق ، ص ٦٠ ؛
- Köhnel, Ernst : op. cit. Taf. 130 - 131 .
٢٧ - زكي محمد حسن (دكتور) : المرجع السابق ، ص ٦٦٤ ، شكل ٥٥٩ ؛ أطلس الفنون الزخرفية
والتصاوير الإسلامية ، ص ٥٥٦ ، شكل ٩٧٢ .
- B. Ravéban : Choix de l'Islam Mauresque, Victoria and Albert Museum, p. 29, Pl. 9 .

- رنك : كلمة فارسية ؛ بعض اللحن ، وكانت ظنون المترجم بالروان واضحة ، تتخذ أساساً لتسبيها (انظر
المقريزي : الطوك ، ج ١ ، ص ٣٠ ، ص ٧٢٢ ، حاشية ٤ : القافضيني : صبح الأخرى ، ج ١ ،
ص ٢٢٩ ، محمد مصطفى (دكتور) : الزنك في مصر في العمود الوطني ، ص ٢٠ ، ٢٨ ،
١٦ - زكي محمد حسن (دكتور) ، أطلس الفنون الزخرفية والتصاوير الإسلامية ، ص ٤٢٨ ، شكل
٢٠٩ ؛ فنون الإسلام ، ص ٣٣٣ - ٣٣٤ ، شكل ٢١٤ .
- Satz. F: Die Spanisch-Maurischen Leisterfayenen des Mittelalters Und ihre Herstellung
in Malag. Inrbuch de Königlich. Preussischen Kunstsammlungen Vol. 24 .
- Küllweil Ernst : Maurische Kunst, Taf. 126 .
- Glück Heinrich Und Diez, Ernst : Die Kunst des Islam, S. 428 .
- M. Gomez Moreno : La Loxa darada Primitiva de Malaga (in AL- Andalus, V. 383-393) .
١٧ - م. م. دياند : المرجع السابق ، ص ٢٢٨ ، زكي محمد حسن (دكتور) : المرجع السابق ، ص ٣٣٣ .
شكل ٢١٣ ؛ أطلس الفنون الزخرفية والتصاوير الإسلامية ، ص ٤٢٨ ، شكل ٢١١ ؛ عبد الرحمن
زكي (دكتور) : المرجع السابق ، ص ٩٩ ، شكل ٦ ؛ سعاد ماهر (دكتور) : المرجع السابق ، ص ٥٩٥
- Glück Heinrich Und Diez, Ernst op. cit. S. 430 .
- Köhnel, Ernst : Islamische Kleinkunst, S. 114, 115, Abb. 76 .
- B. Eutinghausen: Notes on the Lustreware of Spain (in Ars Orientalis Vol-1) p. 145 - 148,
154 - 156 .
١٨ - رفا لشتن مصطلح الباحث من الكلية العربية (الرتبة) أي وعاء الدوا - (انظر : توماس أونولد
وآخرون : المرجع السابق ، ص ١٩٧) .
١٩ - زكي محمد حسن (دكتور) : المرجع السابق ، ص ٤٢٨ ، شكل ٢١٢ ؛ فنون الإسلام ، ص ٣٣٤ ،
شكل ٢١٥ ؛ م. م. دياند : المرجع السابق ، ص ٢٢٨ ، شكل ١٥٠ ؛ توماس أونولد وآخرون ؛
المرجع السابق ، ص ١٩٢ ، شكل ٢٨ ؛ أحمد فكري (دكتور) : المرجع السابق ، ص ٤٠٦ ،
- Köhnel, Ernst: Op. Cit. S. 117 Abb. 79 - 80 .
- Koechlin, R. Und Mignon, G. : Islamische Kunstwerke, pl. LII .
٢٠ - زكي محمد حسن (دكتور) : المرجع السابق ، ص ٣٣٧ ؛ أطلس الفنون الزخرفية والتصاوير
الإسلامية ، ص ٤٢٩ ، شكل ٢١٥ .
- Glück, Heinrich Und Diez, Ernst op. cit., S. 429 .

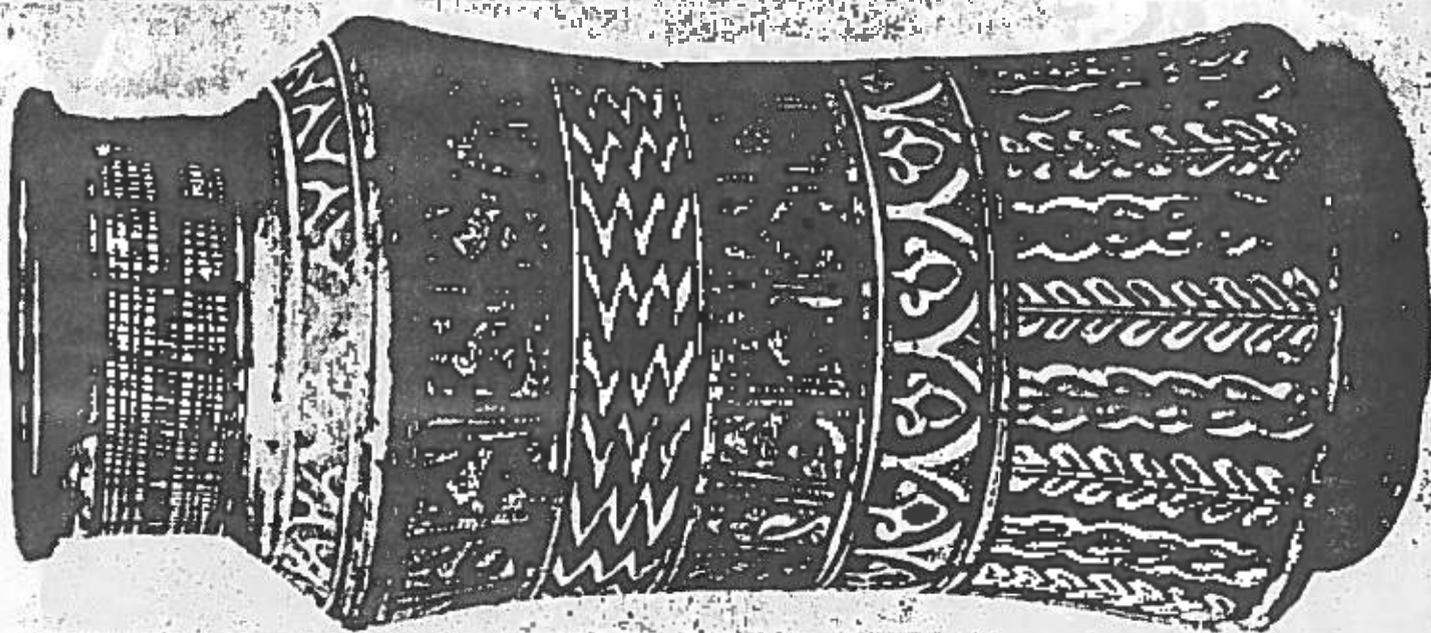
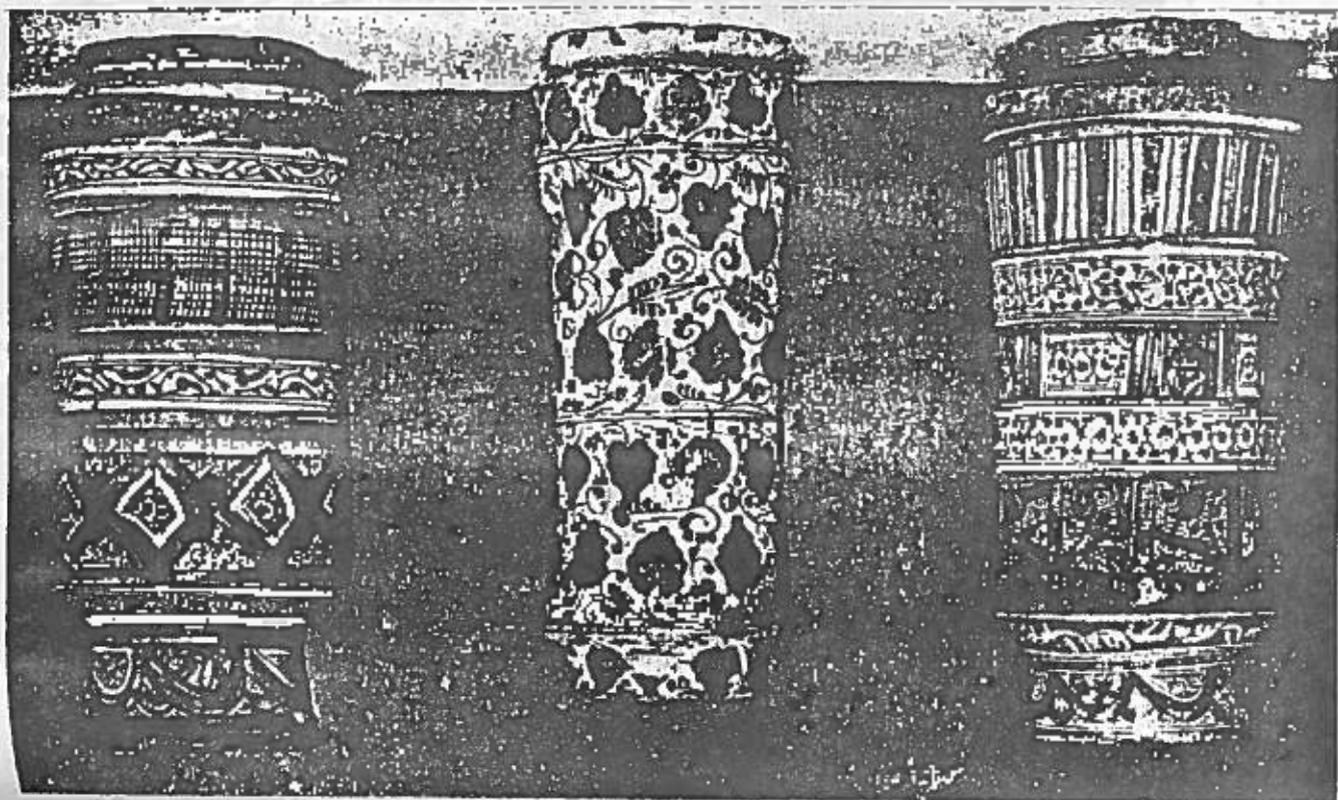
١ - صورة من الخزف ذي البريق المعدني، صناعة مائة فيس
- مطوية بهتف بالرمو - (م ١٤) - مطوية بهتف بالرمو - (م ١٤) - مطوية بهتف بالرمو - (م ١٤)



صورة ٢ - قدر من الخزف ذي البريق المعدني، صناعة مائة فيس
القرن الثامن الهجري (م ١٤) - مطوية بهتف بالرمو .

١٠٠٠ - ١٠٠٠

(١٠٠ - ١٠٠) (١٠٠٠ - ١٠٠٠) (١٠٠٠ - ١٠٠٠) (١٠٠٠ - ١٠٠٠) (١٠٠٠ - ١٠٠٠) (١٠٠٠ - ١٠٠٠) (١٠٠٠ - ١٠٠٠) (١٠٠٠ - ١٠٠٠) (١٠٠٠ - ١٠٠٠) (١٠٠٠ - ١٠٠٠)

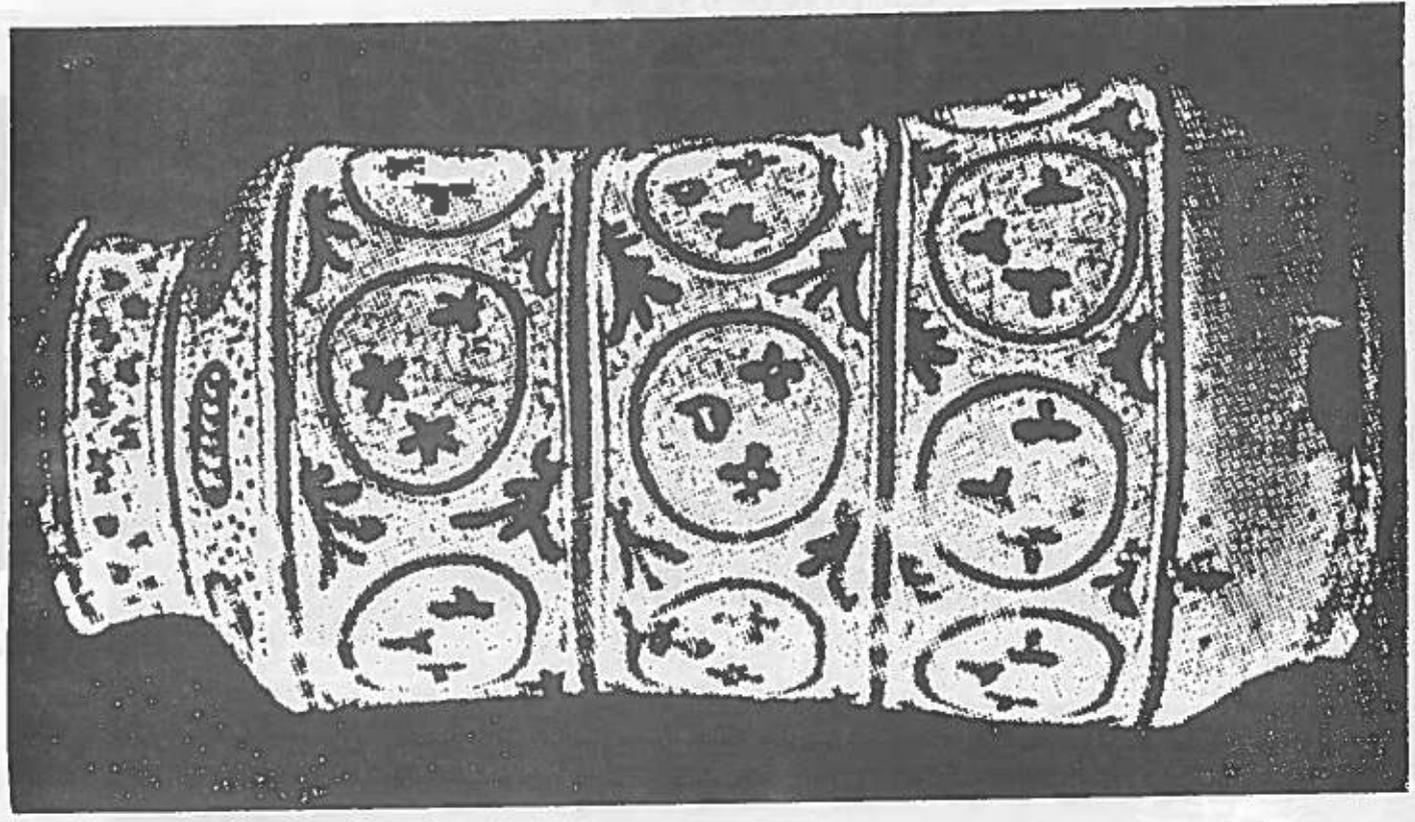


صورة ٤ - قسر من الخزف ذي البريق المعتمى، صناعة مملكة لى
بدلية القرن التاسع الهجرى (١٥ م) - مدفونة بمتحف المتروبوليتان.



صورة - ٦ : صحن من الخزف ذي البريق المعدني، صناعة منيشة
 في القرن التاسع الهجري (١٥م) - محفوظ بمتحف مدريد.

منشأة منيشة من الخزف ذي البريق المعدني، صناعة منيشة في القرن التاسع الهجري (١٥م) - محفوظ بمتحف مدريد.



صورة - ٥ : قدر من الخزف ذي البريق المعدني، صناعة فاينزا في حوالي
 منتصف القرن التاسع الهجري (١٥م) - محفوظة بمتحف فيكتوريا وألبرت.

منشأة منيشة من الخزف ذي البريق المعدني، صناعة فاينزا في حوالي منتصف القرن التاسع الهجري (١٥م) - محفوظة بمتحف فيكتوريا وألبرت.

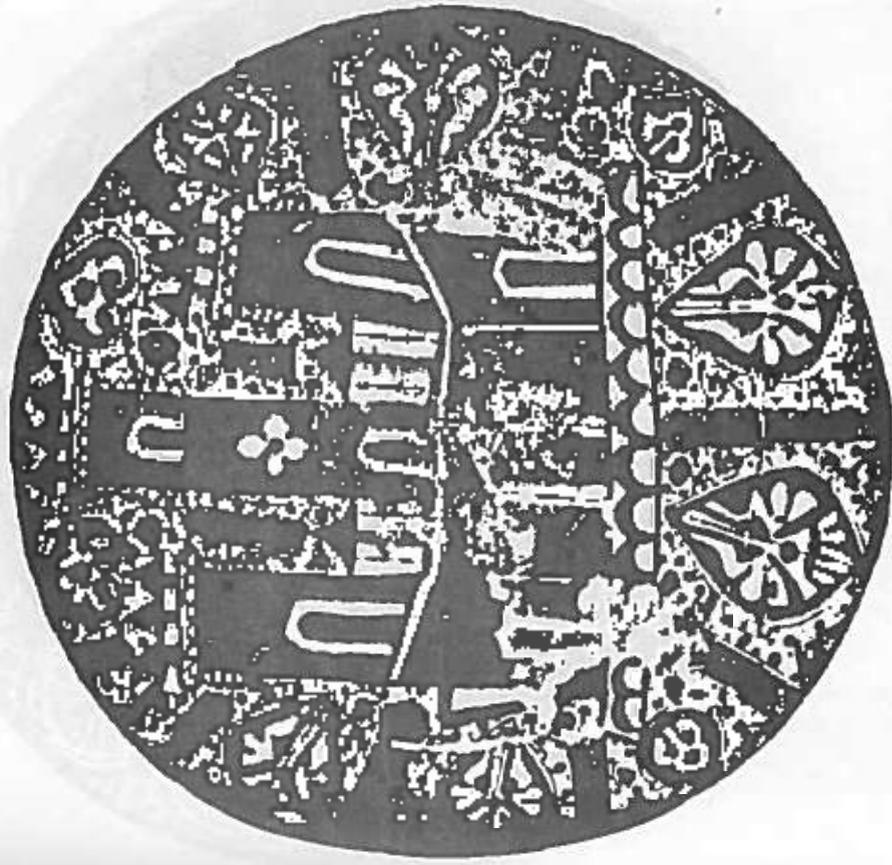


صورة - ٧ : صحن من الخزف ذي البريق المعدني، صناعة منبشة
 في القرن التاسع الهجري (١٥م) - محفوظ بمتحف مدريد.

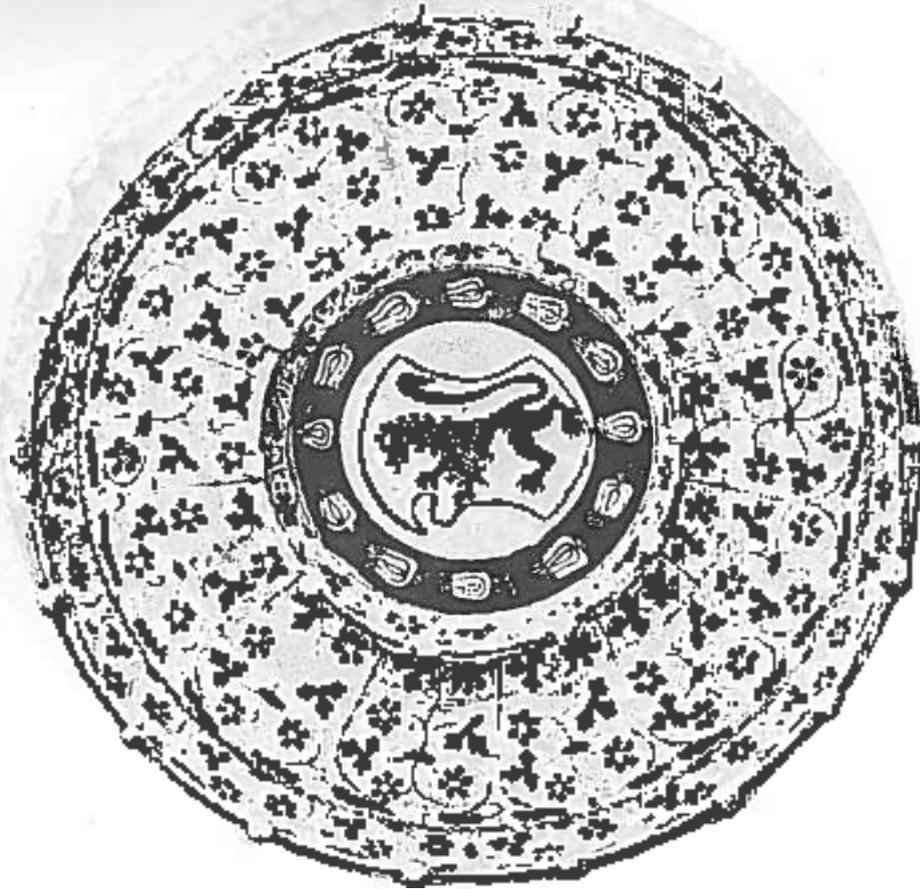
صورة - ٨ : صحن من الخزف ذي البريق المعدني، صناعة منبشة في القرن
 التاسع الهجري (١٥م) - محفوظ بمتحف مدريد وألمانيا.



صورة - ٨ : صحن من الخزف ذي البريق المعدني، صناعة منبشة
 في القرن التاسع الهجري (١٥م) - محفوظ بمتحف مدريد.



صورة - ٩ : صحن من الخزف ذي البريق المعتمى، صناعة منيشة
فى القرن التاسع الهجرى (١٥م) - محفوظ بمنحف مدريد.



صورة - ١٠ : صحن من الخزف ذي البريق المعتمى، صناعة منيشة
فى القرن التاسع الهجرى (١٥م) - محفوظ بالمحفف البريطاني.



صورة - ١١ : صحن من الخزف ذي البريق المعدني، صناعة منيشة في القرن التاسع الهجري (١٥م) - محفوظ بمتحف فيكتوريا وألبرت.



صورة - ١٢ : صحن من الخزف ذي البريق المعدني، صناعة منيشة في القرن التاسع الهجري (١٥م) - محفوظ بمتحف فيكتوريا وألبرت.

فيكتوريا وألبرت، متحف فيكتوريا وألبرت، لندن، إنجلترا، رقم ٧١ - قاعة ٤



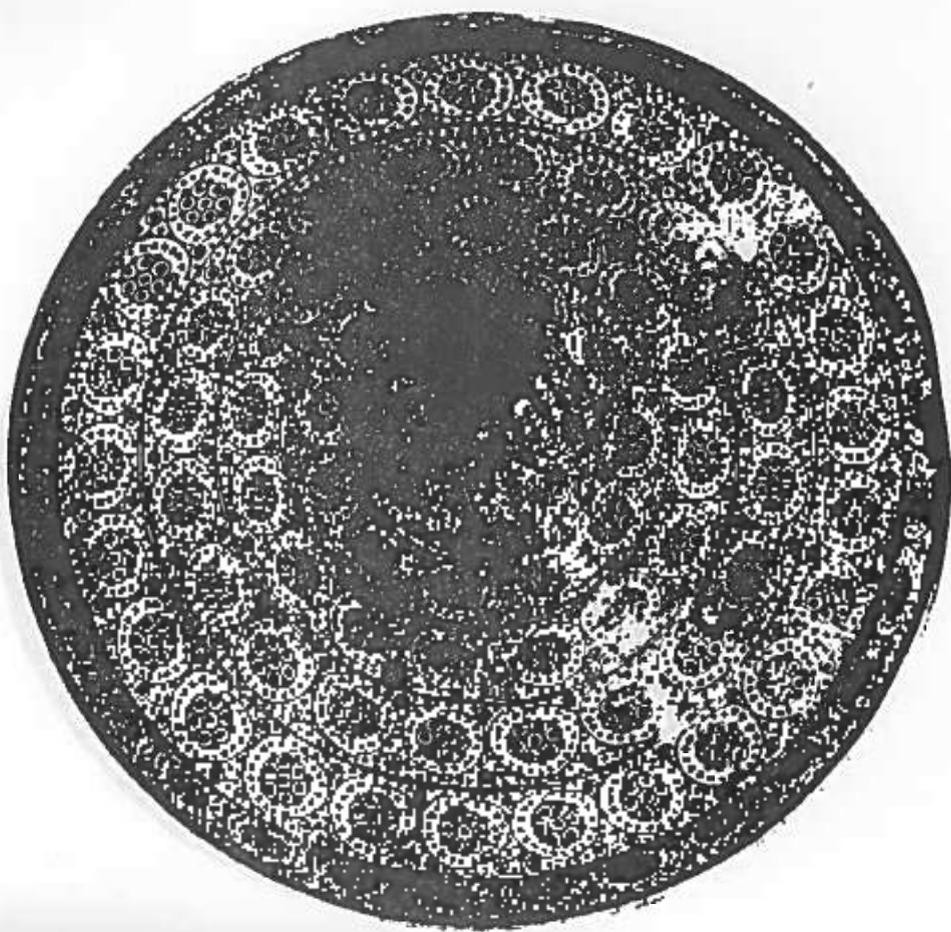
صورة - ١٣ : صحن من الخزف ذي البريق المعتمى، صناعة منبشة
فى القرن التاسع الهجرى (١١٥م) - محفوظ بمتحف فيكتوريا وألبرت.

مكتبة المتحف البريطاني، لندن



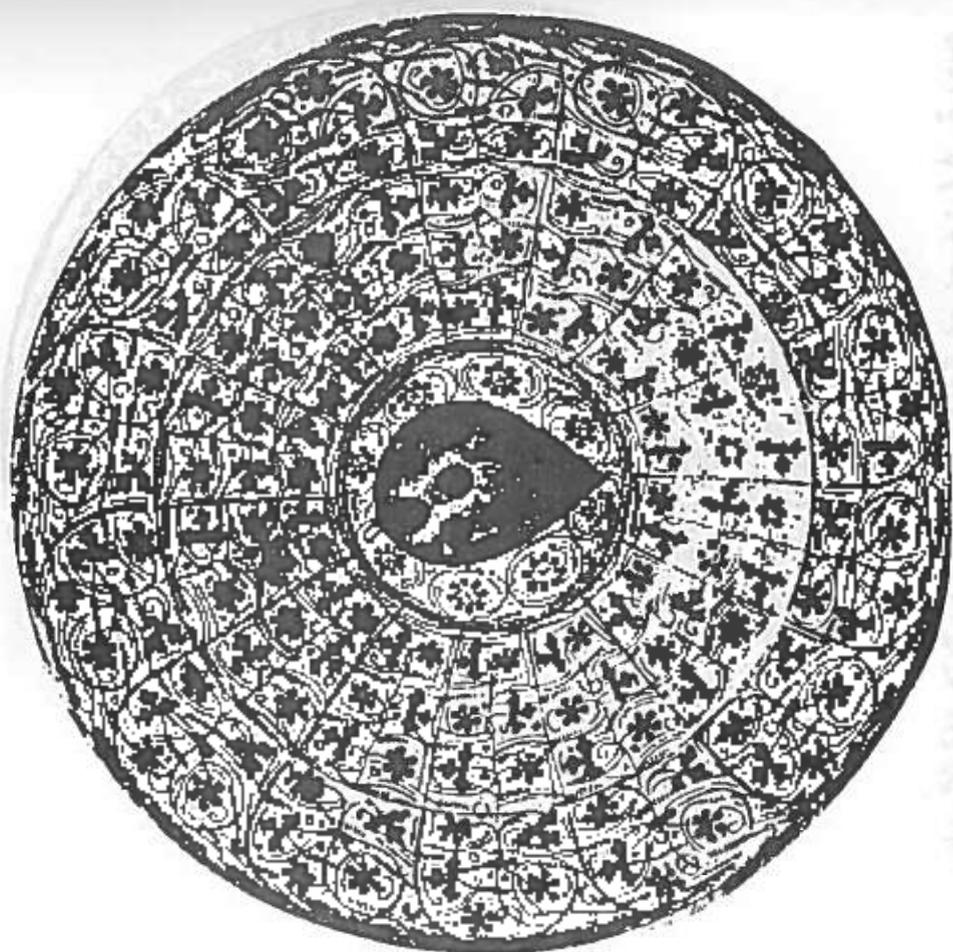
صورة - ١٤ : صحن من الخزف ذي البريق المعتمى، صناعة منبشة
فى القرن التاسع الهجرى (١١٥م) - محفوظ بمتحف فيكتوريا وألبرت.

مكتبة المتحف البريطاني، لندن



صورة - ١٥ : منطوية من الخزف ذي البريق المعنى، صناعة بنسبية
فى القرن التاسع الهجرى (١١٥م) - محفوظه بمتحف المتروبوليتان.

صورة - ١٥ : منطوية من الخزف ذي البريق المعنى، صناعة بنسبية



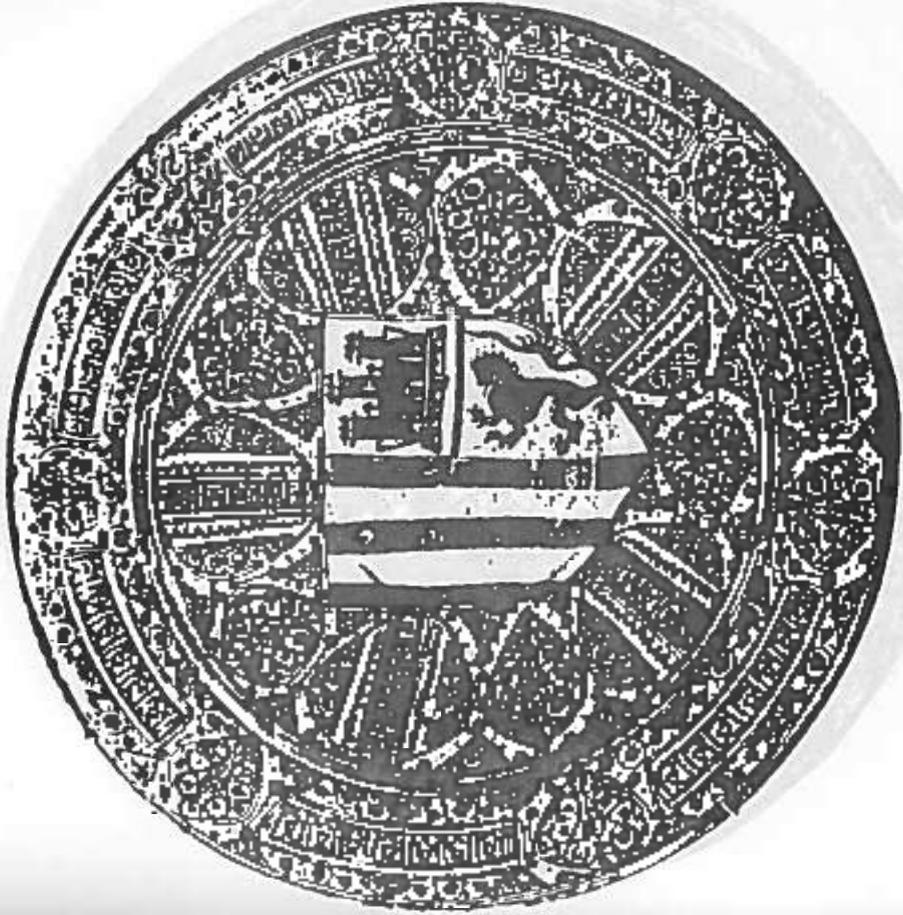
صورة - ١٦ : صحن من الخزف ذي البريق المعنى، صناعة بنسبية
فى القرن التاسع الهجرى (١١٥م) - محفوظه بمتحف المتروبوليتان.

صورة - ١٦ : صحن من الخزف ذي البريق المعنى، صناعة بنسبية



صورة ١٨ - مصن من الخزف ذي الزخارف المتعددة الألوان، صناعة باقرتا في القرن الثامن الهجري (١١٤م) - محفوظ بمتحف برلين.

القرن الثامن الهجري (١١٤م) - محفوظ بمتحف برلين.

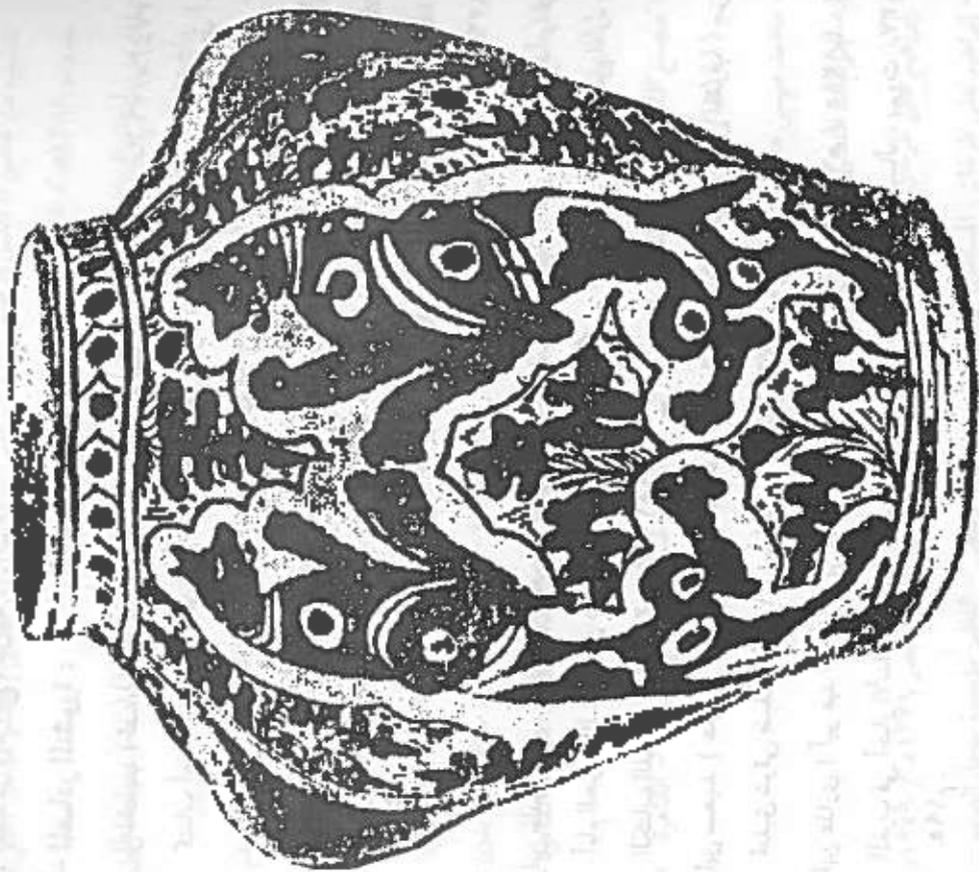


صورة ١٧ - مصن من الخزف ذي البريق المعدني، صناعة بنسبية في القرن التاسع الهجري (١٥٥م) - محفوظ بمتحف الاثني في سبيل.

القرن التاسع الهجري (١٥٥م) - محفوظ بمتحف الاثني في سبيل.



صورة - ١٩ : صحن من الخزف ذي الزخارف المتعددة الألوان، صناعة بالقرنا في القرن الثامن الهجري (١٤م) - محفوظ بمتحف برلين.



صورة - ٢٠ : قدر من الخزف ذي الزخارف المتعددة الألوان، صناعة لورنسا في القرن التاسع الهجري (٩م) - محفوظة بمتحف فينكونديا وكيرت.

ثبت المصادر والمراجع العربية والأجنبية :
أولا : المصادر والمراجع العربية :
أ- المصادر المنشورة :

- ابن الخطيب (لسان الدين بن الخطيب محمد بن عبد الله السلطاني - توفى عام ٧٧٦هـ/١٣٧٤م) : كتاب أعمال الأعلام ليعين بفتح قبل الاحتلام من ملوك الإسلام . الجزء الثالث ، تحقيق أسيفي بوقنسال ، الطبعة الثالثة ، دار الكشوف ، بيروت ١٣٧٦هـ / ١٩٥٦م .
- ابن القزويني (أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز بن إبراهيم بن عيسى بن مزاحم الأندلسي الأشبيلي الأصل القرطبي المولود ، وقد نسب إلى جدته القرطوبية وهي ابنة وهه Wambaa ابن عبيشة Weidza ملكه لسياسة القرطبي) : تاريخ المحتاج الأندلس ، نشره وترجمه إلى الأسبانية د . ج . ديبرا (Don Ju) مدريد ١٣٦٥هـ / ١٩٧٦م .
- ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد - توفى عام ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م) : المعبر ديوان البدا والخير في أيام العرب والسير ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر - المطبعة الرابع - القسم الأول - دار الكتاب اللبناني ، بيروت ١٤٠٢هـ / ١٩٨١م .
- ابن سعيد (علي بن موسى - توفى عام ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦م) : المغرب في حلى المغرب ، جزوان ، تحقيق ضوفي ضيف (كثيرا) ، دار المعارف ، القاهرة ١٣٧٢هـ / ١٩٥٣م .
- ابن عثاري (أبو عبد الله أحمد بن محمد الزاكشي - التوفى حوالي عام ٦٦٥ هـ / ١٢٦٥م) : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، ج ٢ ، تحقيق ج . س . كولان وليثي بولسال ، بيروت ١٣٧٠هـ / ١٩٥٠م .
- الحسيري (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد النعم) : صلة جزيرة الأندلس - جمعه عام ١١٦٦هـ / ١٧٦٦م - وهي بتتخب من كتاب الروض المطاوع في ضم الأوصاف ، تحقيق وشرف ليعي بوقنسال ، مصر ١٣٥٦هـ / ١٩٣٧م .
- القلندي (أبو العباس أحمد بن علي التاشندي - مولود عام ٧٥٦ هـ / ١٢٥٥م) : صبح الأعيان في صناعة الإنشا - الجزء الرابع ، القاهرة ١٣٣٨هـ / ١٩١٩م .
- القريني (تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر محمد القريني - توفى عام ٨٤٥ هـ / ١٤٤٤م) : السلك لمروة دول الموك ، الجزء الأول ، القسم الثالث ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٣٧٦ - ١٣٧٨هـ / ١٩٥٦ - ١٩٥٨م .

- القريني (شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علي الطلساني - توفى عام ١٢٦١هـ / ١٩٦١م) : فتح الطب من ضمن الأندلس الرويب الجزء السادس - (٨ أجزاء) ، تحقيق إحسان عياني ، دار صادر ، بيروت ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م .
- المقرئ : أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض - الجزء الأول (٤ أجزاء) ، نشر منه مصطفى السقا وأخرون ثلاثة أجزاء - القاهرة ١٣٦١هـ / ١٩٤٢م .
- بالموت (شهاب الدين أبو عبد الله الحسيري الرومي - توفى عام ٦٢٦ هـ / ١٢٢٦م) : معجم البلدان (٨ أجزاء) ، القاهرة ١٣٢٤هـ / ١٩٠٦م .
- ب- التفاسيم والطعام :
- ابن منظور (جمال الدين محمد بن جلال الدين الأنصاري - توفى عام ٧٢٦ هـ / ١٣٢٦م) : لسان العرب - تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون - المجلد ٤ - ٥ ، دار المعارف ، القاهرة ، بين تاريخ .
- مجمع اللغة العربية : المعجم الوسيط - الجزء من الأول والثاني - الطبعة الثالثة - القاهرة - بدون تاريخ .
- مجمع اللغة العربية : المعجم الوجيز - الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية - القاهرة - ١٤١٠ - ١٤١١هـ / ١٩٩٠ - ١٩٩١م .
- محمد موسى فتاوي : المعجم في اللغة القاربية .
- ج- المؤلفات المنشورة :
- إبراهيم علي طرخان (وكثيرا) : مصر في عصر المماليك المبركة - مصر ١٣٧٩هـ / ١٩٥٩م .
- إبراهيم علي طرخان : المسلمون في أوروبا في العصور الوسطى - الناشر مؤسسة سجل العرب - القاهرة ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م .
- أحمد تكري (وكثيرا) أثر العرب والإسلام في النهضة الأدبية (من العسارة والتعق الفنية) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م .
- أحمد محمد الطوشي (وكثيرا) : مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م .
- السيد عبد العزيز سالم (وكثيرا) : قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس - الجزء الثاني - الإسكندرية ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م .

- Parry W.P. : Pottery for Schools, (London).
- R. Ait, L'Espedice Musulmane, Chu Temps de Nubates, Vol. 1.
- R. Zittinghausen: Notes sur die Lustwure of Spirit (in Arts Orientalis, Vol. I.) 1954.
- Seite Friedrich : De Spornisch - Maurischer Lasterfeyerei des Mitlefurers Und ihre Her- stellung in Malaga, Jahrbuch der Koniglich. Preussischen Kunstsammlungen, Vol. 24, Ber- lin 1903.
- Wiet G. : Stèles Funeraires, Vol. 8 (Catalogue general du Musée Arabe du Caire, 1936- 1941).

الصراخ الصليبي الإسلامي

في بلاد المغرب

كانت بلاد المغرب العربي حينئذ موطأ من موطأ الحضارة العالمية من جهة المصنوع الخشبي . وكانت عليها مراكز مهمة للسياحة الفنون والاصناع الخشبية . على ان اوروبا استلمت افادت من ازديادها وتطورها . ولكن الظروف تصيرت انما القرن التاسع عشر فظهرت فنون الصناعات الخشبية بشكل واضح . إذ تكثرت اليد من زيادة توافرها في المصانع . ومن زيادة عدد سفنها وتطورها على البحار والمصنوعات الخشبية التي استوردت الى العالم الجديد بالرغم من الشدة الأتقى من طرف الاصلاء حول ان يكون الصناعات الخشبية من ايدى الفنون الى ايدى الاصلاء . وتعتبر بلاد المغرب من بين بلادها التي استوردت الى ايدى الاصلاء . وتعتبر بلاد المغرب من بين بلادها التي استوردت الى ايدى الاصلاء . وتعتبر بلاد المغرب من بين بلادها التي استوردت الى ايدى الاصلاء .

في بلاد المغرب

- محمد الحسيني بحمد العزيز (دكتور) : أسلوب الصناعات الأتلمسية وسماتها الخزفية . مجلة لتصرف العربي . السنة الثالثة ، ٩ - ١٤٤٠ هـ / ١٩٨٨ م .
- محمد مصطفى (دكتور) : البرزخ الطرقي - مجلة الرسالة - العدد (٤٠٠) . عام ١٣٦٩ هـ / ١٩٤٦ م .
- نيلينج محمد لادوقا راتب : الحرف الأتلمسي ذو البريق المعنى وأثره على الحرف الأندلسي - ليبيا إيطاليا - رسالة ماجستير - قسم الآثار الإسلامية . كلية الآثار . جامعة القاهرة ، عام ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨ م .
- وهران علي بن نايف : سلسلة التصريف بالبن الإسلامي (الأندلسيون - الأندلسيون) ، دار النشر ، عمان / الأردن (بدون تاريخ) .

لائحة المصادر والمراجع الأجنبية :

- All Bey Bahgat et Massaults, F: La Ceramique Musulmane de L'Egypte-Part II (Publications du Musée Arabe du Caire) Le Caire 1930 .
- Arthur Lane : Early Islamic Pottery, London 1947 .
- A.U. Pope : A Survey of Persian Art, Vol. II. London and New York 1938, 1939 .
- Barbara Broad, Islamic Art, London 1987 .
- B. Ruckham : Guide to Italian Maiolica, Victoria and Albert Museum, London .
- Glück, Heinrich Und Diez, Ernst : Die Kunst des Islam, Berlin 1925 .
- John, B. Kenny : The Complete book of Pottery making .
- Koechlin, R. Und Migeon, G. : Islamische Kunstwerke, Berlin, 1928 .
- Kühnel, Ernst : Maurische Kunst, Berlin, 1924 .
- " " : Islamische Kleinkunst, Berlin, 1925 .
- La grammaire des Styles, L' Art Islamique, Bassin Méditerranéen, Flammarion, Catalogue I - F, A.O 361 .
- Mayer : Saracenic Heraldry . Oxford, 1933 .
- M. Gomes Moroco : La Loza Urbana Primitiva de Malaga (in AL-Andalus, V.) 1940 .

وهكذا فت الملكيات ، وقت الطبقات الوسطى معها ، وتكاملت مع بعضها لتقيم بناء القوميات الحديثة^(٢٧) . وقد غير التاريخ الأندلسي في تلك المرحلة بتجمع القوى الاقتصادية في عمل إلتهم وازداد توسع الاقتصاد الوطني ونشاط التبادل بين التجمعات الكبيرة مع بعضها البعض ، واتضح ذلك جلياً في نشاط المعارض الدولية ، وازدياد التبادل الاقتصادي ، ودورة كمية العملة التداولية . وتطلب ذلك البحث عن المواد الأولية النفيسة كصناديق الذهب والفضة ، لتسهيل الصلبيات الاقتصادية والتجارية^(٢٨) . هنا فضلاً عن تطور الطرق والسفن بوسائل المواصلات مما ساعد على تعزيز الوحدة القومية في البلاد الأندلسية وتسهيل الصلبيات التجارية وتقوية الصلات بين المنتج والمستهلك ، وجاء ذلك كله مصحوباً بنشاط التجارة العالمية وخاصة صهر البحار بعد أن استخدمت البوصلة أو الأبرة المغناطيسية والامطرلاب والدفة المتحركة لتسهيل الملاحة عبر البحار والتبادل التجاري بين القارات بعضها وبعض .

وفي تلك المرحلة من مراحل الانتقال من العصور الوسطى إلى العصور الحديثة انطلقت كل من إسبانيا والبرتغال نحو الكشوف الجغرافية . وفي وقت كانت إسبانيا قد حققت وحدتها الوطنية والإدارية في النصف الثاني من القرن الخامس عشر في عهد فرديناند وأزبيلدا ، جاءت هذه الوحدة ، الإسبانية ، مرتبطة بالصيغة الدينية الكاثوليكية . ونجت تأثر هذا الدافع الديني ، الحمه الإنسان والبرتغاليون نحو معركة حامية ضد المسلمين في الأندلس وفي شمال إفريقيا .

وجاءت هجمة الإسبان ضد المسلمين قوية ، تفيض بالتعصب الذي لاحدود له . وقد حاول المسلمون في شمال إفريقيا مجاهدة إخوانهم في الأندلس في ذلك الوقت ، ولكن ازدياد قوة إسبانيا الاقتصادية والعسكرية جعل جهود المسلمين المغاربة قليلة الأثر .

والحق أن دعم شمال إفريقية لمسلمي الأندلس ، كان بعضي الدخول في حروب دينية مع إسبانيا والبرتغال . كما أن تصع القوى المسيحية الناشئة في شبه الجزيرة الأيبيرية لمرب الأندلس في سواحل الشمال الإفريقي ، جعل الحروب الصليبية ضد بلدان المغرب الإسلامي وشبكة التوسع في ذلك الوقت . لقد غدا المغرب الإسلامي ساحة جديدة تحمل محل الساحة الرئيسية الأولى ممثلة في بلاد الشام ومصر والشرق الأدنى .

ويعد إن كان المغاربة يشعرون المخاضة من الأندلس في أوروبا ، شهدت الفترة المراتية هجمات منظمة لشنها الأوربيين على بلدان المغرب العربي .

وقام الإسبانيون والبرتغاليون بفترة وشدة بدور عنيف في تلك الهجمات وأعطوها لونا خالصاً من الانتقام والصراع الديني بين الهلال والصليب ، في حين وقف المغاربة موقف المدافع في بلادهم بعد أن كانوا سادة في أوروبا نفسها .

ذلك أنه حدث بعد سقوط الدولة الموحدية (٦٦٧ هـ = ١٢٦٩م) أن قامت ثلاث دولتان متصارعة على النفوذ والسلطة في بلاد المغرب العربي حيث ظهر :

١ - المرينيون في المغرب الأقصى .

٢ - وسو عبد الواد الزيانيين في المغرب الأوسط و الجزائر .

٣ - والحفصيون في المغرب الأدنى . تونس .

واستمرت هذه القوى المتصارعة كل في طريقه . وفي الوقت الذي ضعفت فيه هذه القوى المغربية وانكسفت على نفسها ، أخذت أوروبا في بناء نهضتها الحديثة في كل الميادين .

على أن النصف الثاني من القرن الخامس عشر للسيلاد شهد تطورات كبيرة في شبه الجزيرة الأيبيرية أثرت على العلاقات الأوربية الغربية بصورة خاصة .

والواقع أن النهضة التي شهدتها الغرب الأندلسي في ذلك الوقت استهدفت القضاء على النظام الإقطاعي وأدت إلى ظهور القوميات الحديثة التي ارتبطت بسلطة الملك من ناحية ، وظهور الطبقة الوسطى البورجوازية من ناحية أخرى .

وكانت الحروب الصليبية في العصور الوسطى ، قد عملت على إضعاف عدد كبير من النبلاء والقضاء على سلطتهم ، لصالح التاج في بلادهم^(١) ، كما ساعدت على نشأة نظام القصرائب المباشرة لتوفير الأموال اللازمة للإفئاق على الحملات ودعم مركز الملوك في الوقت الذي ازداد العيب . على الطبقة الإقطاعية وظهر ضعفها واضحاً ، ومن جهة أخرى فقد تمت الطبقة الوسطى التي تجتمعت الأمراء في أيديها . ثم جاء استخلام البارود وتكوين الجيوش الحديثة ليضعف من كيان الإقطاع الأندلسي . ذلك أنه لم يكن في وسع الأمير الإقطاعي أن يتفق على تكوين مثل هذه الجيوش الحديثة بتدعيمها وبنادقها ، وصار في استطاعة الملك وحده أن ينضم . هذه الجيوش معتدماً على حصيلة الضرائب .

وفي الوقت نفسه ، فإن المعارك الإسبانية الرامية إلى احتلال المغرب والجزائر وتونس وليبيا ، اصطدمت بتقوى الدول الإسلامية التي ضاعفت عنايتها ، واتخذت الأساطيل الإسلامية قواعد قريبة من جهة العدو ، ومن ورائها وقفت جماهير الدول الإسلامية . وكانت تتوكل على قواعد قريبة تحسبها جماهير شعبية موالية ، بل تكافح التقوى الأجنبية . ومع ذلك فإن التقوى الوطنية في غرب الجزائر لم تستطع القيام أمام الزحف الإسباني نحو طلمسان . نتيجة للانتصارات الداخلية ، وضعت إمكاناتهم العسكرية والاقتصادية وكثرة المنازعات حول الانحلال ، على السلطة ، فضلاً عن اسنبا . الناس من فداحة الضرائب التي فرضها بنو زيان على الرعية .

وهكذا طغفت جيوب المقاومة وتفككت وحدة القيادة السياسية والعسكرية فاضطروا إلى عقد صلح مع الإسبان في سنة ١٥١٢م اعترفوا فيه باحتلال الإسبان لمدينة وهران (١٩) .

وإذا كان هذا الصلح قد خفف من وطأة الخطر الخارجي على أمراء بني زيان ، فإنه جعلهم يبدون أمام الشعب في صورة التكتاسيين في النهوض بواجبهم في حماية البلاد والنصدي للمعتدين ، ورعا تحالف بعضهم مع المعتل في وقت ما ، وأدى ذلك إلى انفصال القيادة عن قاعدتها الشعبية التي راحت تبحث عن قيادات بديلة (١٠) .

وهكذا أدى ضعف التقوى الوطنية في غرب الجزائر وسطها وشرقها إلى طلب النجدة من التقوى الإسلامية في الحوض الشرقي للبحر المتوسط ، وهي البوالة العثمانية التي ألقنت المؤلف في خلال سنين قليلة ، في جيجل وجاية والجزائر وتلمسان وعنابة وتونس ومرسى حلق الوادي وجربة وطرابلس .

النصر الجزائري الأوربي بعد احتلال الشواطئ الجزائرية :

كان الطابع الديني الذي أسفحه المسيحيون على حركتهم الخاصة باسترداد الأندلس واسترجاعها من المسلمين سبباً أساسياً في تليد المعركة حتى اتخذت شكل صراع ديني بين الصليب والهلال في شمال إفريقيا عموماً وفي الجزائر بوجه خاص . ولكن الجزائريين كما سلف الذكر كانوا في حالة ضعف وتفرق وصراع بين القبايات المحلية ، وعندما استقر الإسبان على سواحل شمال إفريقيا استنجد الجزائريون بالأخوة بريدوس الذين اتخذوا من جربة ومرسى حلق الوادي قواعد لأسطولهم البحري . ومن هذه القواعد تصدروا للسفن المسيحية دفاعاً عن الإسلام والمسلمين (١١) .

بداية الصراع بين التقوى الأوربية وبلدان المغرب الكبيرة :

بعد الموقع الجغرافي لأسبانيا والبرتغال في مواجهة شمال إفريقيا عاملاً مشجعاً لذلك التقوى الأوربية المسيحية لتحقيق أطماعها السياسية والاقتصادية والدينية في بلدان الشمال الإفريقي . ومن ناحية أخرى فإن ضعف التقوى الإسلامية في شمال إفريقيا ولجو روح الانتقام لدى ساسة أوربا وفادتها العسكريين جعل بالحروب الصليبية الثانية على التقرب الغربية .

ومما يؤكد الأطماع الحقيقية لأوربا في نهاية القرن الخامس عشر ومطلع القرن السادس عشر في بلاد المغرب ، وصول القوات العسكرية البرتغالية إلى سواحل المغرب ، التي كانت تأتبعها قوافل الشير الوافدة من السودان الغربي (١٢) . وهناك أقام البرتغاليون نقاطاً عسكرية على سواحل الشمال الإفريقي .

ولم يلبث البرتغال أن حقق ثراءً واسعاً بعد أن أخذ يتحكم في تجارة التوابل والتحرير ويهيمن في أوربا بأشنان باهظة ، مما يمكن البرتغاليين من بناء قوة عسكرية ضخمة . تلك القوة التي أما إسبانيا فإنها تكتفت من السيطرة على مناطق إنتاج الذهب في العالم الجديد وعلى الأراضي النواصية المخصصة التي درت عليها أمراً طاملاً . ولاشك في أن الهدف من كل هذا النشاط البرتغالي الإسباني كان الرغبة في انتزاع التجارة العالمية من أيدي العرب ، في الشرق والغرب (١٥) . ومع مطلع القرن السادس عشر كانت العمليات الحربية بين إسبانيا والبرتغال من جهة وإمارات المغرب الكبير من جهة أخرى قد بدأت فعلاً (١٦) .

وكان البرتغاليون قد استولوا على بعض سوانتي ، المغرب الأقصى مثل : سبتة سنة ١٤١٦م ، في حين احتل الإسبانسون المرسي الكبير سنة ١٥٠٥م ومدينة وهران ٩ - ١٥٠٩م وميلية وطرابلس سنة ١٥١٠م وجاية ١٥١٠م . كما فرضوا الجزية على سوانتي ، وليس والجزائر ، والامرا حصناً على جزيرة مقابلة لمدينة الجزائر " البنيون " (١٧) . على أن استماتة أهل المغرب في الدفاع عن بلادهم فت في عضد الفزاة ووضعهم في موقف صعب ، وبالرغم من استيلائهم على الشريط الساحلي لبلدان المغرب الغربي ، ووجود أسطول قوى يحسبهم من البحر . فإن هجائتهم لم تلبث أن تعثرت (١٨) .

والواقع أن الهجوم الإسباني على الشمال الإفريقي لم يكن يستهدف مكاسب اقتصادية وسياسية لحاسب ، وإنما كان أيضاً يقع تحت تأثير عوامل دينية حركتها مشاعر الملكة إيزابيل ضد المغاربة المسلمين .

وعد أن تمكن الأخوة بهروس خلال الفترة (١٥٤٤ - ١٥٤١م) من إخراج سمعة عظيمة ، بسبب جرأتهم ونظلم عدداً من الأندلسيين إلى شواطئ الشمال الإفريقي ، كثر أتباعهم ، وأصبحوا قوة يعمل لها حساب في غرب حوض البحر المتوسط .

وهكذا تطور أسطولهم من مئتين إلى إثني عشر سفينة سنة ١٥١٠م بفضل الكسبيات التي جنوها من الجهاد البحري . لذلك رأى قبيهم الجزائريين المنقذين لهم من القنطرة الإسبانية (١١٦) .

وفي سنة ١٥١٧م استجد بهم حاكم مدينة بجاية وسكانها وعلماؤها وأعيانها ، فليس عروج بهروسا الدعوة ، وحاصر بأسطوله بجاية من البحر ، في حين حاصرتها القوات البجائية من البر بمساعدة عدد من رجال عروج . ولكن الحصار فشل ، وقطعت " فروع عروج " خلال الحصار ، فقلقه أخوه إلى تونس . وبعد سنتين (١٥١٤م) أعاد عروج الحملة من جديد على الأسيان في بجاية ، إلا أن هذه الحملة لم تنجح كما بقعتها لعدة أسباب موضوعية من أهمها :

١ - حلول موسم الحرث والبر ما جعل الفلاحين يعودون إلى قرانهم تاركين ميطنان المعركة خاليين من القنطرة (١١٦) .

٢ - سوء الأحوال الجوية التي لم يحتملها جنود عروج بسبب قلة الإسكانات .

٣ - وصول أسطول النجدة الأسيانية إلى بجاية محملاً بقوات عسكرية إضافية وإسنادات حربية ، وقد اتخذ عروج بدلاً من بجاية مدينة جيجل قاعدة لأسطوله ، وأخذ يضعين القرم للالتفراض على الأسيان من جديد (١١٤) .

والحق إن إقامة عروج في مدينة جيجل سمحت له بالاطلاع على أحوال المغرب الأوسط .

ولما توفي ملك إسبانيا فرديناند سنة ١٥١٦م ، رأى سكان المدن التي احتلها الأسيان أن الفرصة أصبحت سانحة لاسترجاع استقلالهم وطرد أعدائهم من البلاد . فسارع أهل مدينة الجزائر بقيادة " سالم التومي " إلى طلب النجدة من عروج لطرد الأسيان من القنطرة الواجبة ليناها الجزائر العاصمة ، وكان أن عجز على الفور إلى مدينتهم ، وفي طريقه استولى على مدينة شرشال واستقبله أهل الجزائر استقبال المعررين (١١٥) . ولكنه لم يستطع طرد الأسيان من القنطرة ، فشرع في التوسع على حساب بعض الإمارات المجاورة ، مثل : مليانة والمدينة وتسن . ثم عجز غرباً ودخل تلمسان سنة ١٥١٧م بدون صعوبة ، وتوغل فيها . ولكنه

قبل في معركة مع الأسيان سنة ١٥١٨م . تخلفه أخوه خير الدين بهروس الذي كان نائباً عنه على مدينة الجزائر ، كما كان من أبرز الشخصيات العثمانية ، فظهر مؤسس دولة ، ومنشئ ، لبطول عظيم في حوض المتوسط ، وقائد الصراع الدولي الكبير بين القوى الإسلامية والدول الأوربية الصليبية المتعدية في غرب حوض البحر المتوسط (١١٦) .

والحق أن خير الدين سارع بعد وفاة أخيه عروج إلى استشارة أهل الجزائر فيما إذا كانوا مستعدين للاضراء تحت لواء الدولة العثمانية ، فكان جوابهم بالقبول . وكان أن أعلن سنة ١٥١٨م الجزائر ولاية من الولايات العثمانية (١١٧) . ومنذئذ أصبح صراعه مع الغرب الأديسي يستند إلى أساس شرعي من قبل الدولة العثمانية في الأسيانية .

وعندما زودته الدولة العثمانية بالمساعدات العسكرية والبشرية ، استطاع أن يلحق هزيمة تكراً ، بحملة إسبانية ١٥١٩م (١١٨) . واستأنف خير الدين نشاطه من القواعد البحرية التي تمكن من إرساء قطع أسطوله فيها . وشرع في تحرير شواطئ المتوسط ، فاستولى على عنابة . ووجه قوته نحو الداخل ففتح مدينة قسنطينة بانفاق مع أهلها ، ثم أعاد إلى الجزائر بني مرزوق سنة ١٥٢٥م (١١٩) . ومن هناك شرع في قصف القنطرة الإسبانية المقابلة لمدينة الجزائر سنة ١٥٢٩م . واستطاع بعد ثلاثة أسابيع تحطيمها . وظل الصراع مستمداً بين الجزائريين بقيادة خير الدين والقوة الأسيانية الزاحفة على مختلف الشواطئ الجزائرية . وتكمن خير الدين من إجهاض معارلة أسيانية سنة ١٥٣١م للاستيلاء على مدينة شرشال . وبعد خسر الدين ظل الأتراك يتأومون على جهتين جبهة خارجية ضد الأسيان وجبهة داخلية ضد الإمارات الجزائرية ، وهكذا حتى تمكنوا سنة ١٥٥٤م من الاستيلاء على ملكة بني صيد الواد فضضوها إلى نفوذهم ، وطردوا الأسيان من بجاية في السنة التالية ١٥٥٥م . واستولوا بقيادة العلي على تونس سنة ١٥٦٩م . كما حصدوا مرسى خلق الرادي سنة ١٥٧٤م .

وظل العلي على يقام جوب الأسيان في كل من الجزائر وتونس وليبيا ولسان حاله يقول :

* لن نصغ لأي اقتراح للسلم قبل إخلاء الأراضي الإفريقية من الكفار (١٢٠) .

* * *

وجملة القول أن الصراع بين القوتين الناشئتين في غرب حوض المتوسط ظل قائماً طويلاً ثلاثة قرون من الزمن . وكانت الغلبة فيها دائماً للقوى الإسلامية في الجزائر ، حيث تمكن

أهدى محمداً عيسى صالحية (١)

**المستشرق توم وودور هم في التواصل الحضاري
بين الحضارتين العربية الإسلامية والأوروبية**

من يعرف نفسه وغيره
سيعرف هنا أيضاً
أن الشرق والغرب
لن يفترقا أبداً
بإدري أن أتأرجع بفكر متفتح
بين هذين العالمين
فالتعرف بين الشرق والغرب
هو الأفضل (١).

* - استاذ بقسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة اليرموك.

٧٧٧
٧٧٨
٧٧٩
٧٨٠
٧٨١
٧٨٢
٧٨٣
٧٨٤
٧٨٥
٧٨٦
٧٨٧
٧٨٨
٧٨٩
٧٩٠
٧٩١
٧٩٢
٧٩٣
٧٩٤
٧٩٥
٧٩٦
٧٩٧
٧٩٨
٧٩٩
٨٠٠

٨٠١
٨٠٢
٨٠٣
٨٠٤
٨٠٥
٨٠٦
٨٠٧
٨٠٨
٨٠٩
٨١٠
٨١١
٨١٢
٨١٣
٨١٤
٨١٥
٨١٦
٨١٧
٨١٨
٨١٩
٨٢٠
٨٢١
٨٢٢
٨٢٣
٨٢٤
٨٢٥
٨٢٦
٨٢٧
٨٢٨
٨٢٩
٨٣٠
٨٣١
٨٣٢
٨٣٣
٨٣٤
٨٣٥
٨٣٦
٨٣٧
٨٣٨
٨٣٩
٨٤٠
٨٤١
٨٤٢
٨٤٣
٨٤٤
٨٤٥
٨٤٦
٨٤٧
٨٤٨
٨٤٩
٨٥٠
٨٥١
٨٥٢
٨٥٣
٨٥٤
٨٥٥
٨٥٦
٨٥٧
٨٥٨
٨٥٩
٨٦٠
٨٦١
٨٦٢
٨٦٣
٨٦٤
٨٦٥
٨٦٦
٨٦٧
٨٦٨
٨٦٩
٨٧٠
٨٧١
٨٧٢
٨٧٣
٨٧٤
٨٧٥
٨٧٦
٨٧٧
٨٧٨
٨٧٩
٨٨٠
٨٨١
٨٨٢
٨٨٣
٨٨٤
٨٨٥
٨٨٦
٨٨٧
٨٨٨
٨٨٩
٨٩٠
٨٩١
٨٩٢
٨٩٣
٨٩٤
٨٩٥
٨٩٦
٨٩٧
٨٩٨
٨٩٩
٩٠٠

إن تحديد العلاقة بيننا نحن العرب - الداخليين Insiders بما ينتج عنه واتجاه المستشرقين أو الخارجيين Outsiders هو الطريق الأجدى فيسأ براه الباحث للوصول إلى المخرجات الإيجابية أو السلبية للتأثيرات الحضارية بين الطرفين ، وللوصول لهذا الهدف ، قام الباحث برصد الدراسات والأبحاث التي تعلق بالاستشراق من حيث حصر الإنتاج العلمي للمستشرقين ، وتاريخ الاستشراق ، وقضايا الصورة والروى ، والتأريج .

ويبدو لي أن موسوعة نجيب العقيلي ، المستشرقون بأجزائها الثلاث ، كانت الأصل في هذا المجال ، فقد أحصى الإنتاج العلمي لـ ٤٨٣ مستشرقاً تقريباً عن اشتغالوا بالتراث العربي الإسلامي ، وتناول كرامس اللغات والمكتبات والمتاحف والطابع والجمعيات والمجتمعات والمجلات الشرفية في كل من أسبانيا وفرنسا وإيطاليا والمجترا والبرتغال وهولندا وألمانيا وهولندا والدنمارك والسويد والنرويج وسويسرا والمجر وروسيا والولايات المتحدة وبلجيكا وتشيكوسلوفاكيا وفتلندا ورومانيا وبوغسلافيا .

ثم موسوعة المستشرقين للعلامة عبد الرحمن بوي (١٩) ، وقد اهتمت بتسجيل الإنتاج الثقافي لأكثر من ٢٢٠ مستشرقاً .

ومن المصنفات الأخرى التي تناولت التعرف بالمستشرقين بصورة جزئية أو كلية ، دراسة رودي بارت عن الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية والمستشرقون الألمان منذ تصوره نولدكه (٢٠) ، ودراسة صلاح الدين المنجد عن المستشرقين الألمان وما أسهموا به في الدراسات العربية (٢١) ، وميشال جحا ، في كتابه عن الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا (٢٢) ، وقصر على بريطانيا وألمانيا وألمانيا الاتحادية ، وقصد بالمستشرقين الذين تناولهم ، أولئك الأساتذة والباحثين الأكاديميين الذين تخصصوا في دراسة اللغة العربية والحضارة العربية وقضايا العالم العربي الفكرية وبالذين الإسلام ، وليس أولئك الذين درسوا اللغة العربية لهدف تسييري أو سياسي محسسى أو دبلوماسي أو تجاري (٢٣) .

ومعمره المقداد في كتابه ، تاريخ الدراسات العربية في فرنسا (٢٤) حيث درس الفصائل بين الشرق العربي والغرب الأديس ، والمخطوطات العربية في فرنسا ، وتعليم العربية وأنواع الدراسات العربية في فرنسا وأعلام وأنشطة المستشرقين الفرنسيين .

هذا بالإضافة إلى كتاب جوهان فوك Johann Fück ت ١٩٧٤ وكتاباه عن الدراسات العربية في أوروبا ، وفيه يسجل جهود ٨٧ مستشرقاً ، هم من أوائل المستشرقين ، وهورستاف

وصبى ماخيرا ، أن يكتب على ضريحى شطر من بيت شعر عمى لأبي المتاهية :

الموت باب وكل الناس داخله

إن روحي فردوس الظلال ، ولكن أي ظلال

إنها الظلال الصائمة الوضوء الزائفة (٢٥) .

صابت مطرعة جوته الشعرية ، وقد بلغ السادسة والسبعين من عمرا ، ووصية كراشكوفسكى ، وقد أجلي من لينينجراه إثر مرض عضال أصيب به ، ومن ثم أعيد ليدفن في مقبرة فولكوفو بلينينجراه ، على مقربة من ضريح العلامة مدرس العربية الشيخ العالم محمد عياد الظنطاوى (٢٦) .

تتضمن صلحات الاتصال الحضارى بين الحضارتين العربية الإسلامية والحضارة الأوروبية ، لقد شغل جوته طوال حياته بأحداث شهرياد ، بطلا ألف ليلة وليلة ، وافقت حتى في لبالى الشتاء الطويلة والمرض وتطلب على بردها القارس ، وآلام المرض المبرحة ممازومة قرابة المجلات العديدة لكتاب ألف ليلة وليلة ، وهو الشعر الجاهلى ، وانتهى إلى الرأى الصواب ، وعند العرب نجد كثرة رائعة في المعانيات ، واغضوضر في قصيدته هجرة مع كتاب زليخا من الديوان الشرقى ، وقد فارقته معبوتته مريانة فيلر كما امرى ، القيس وطرقة والحارث ، وشكلت دراسته للإسلام أصااق وحنانه ، وهو لا يكره أن يقال عنه إنه مسلم (٢٧) .

إذا كان الإسلام معناه ، التسليم لله

فإننا لامعالة ، أجمعين

نعيا وفوت مسلمين (٢٨) .

وكراشكوفسكى ، صاحب الست مئة دراسة علمية ، وقد تجددت فضاء ، من هول تلوج بيروت ، وقد هاجم المنى ولامن مدانة يقضى الساعات الطويلة وراء طاولة صغيرة قد انتهكتها عواذى الأيام ، في حجرة صغيرة من مكتبة القديس يوسف ، وحين وصل البرد إلى دماغه تغم بهارات ، سجلها في كتابه " مع المخطوطات العربية " .

" المخطوطات العربية تهمس من وخطي ، أدام النظر والتدقيق فيها باهتمام ، أتعرف عليها ، فتعلم شفى ، ابسامة ويكسى وجهي ، سرورا ، إن هذه الصفحات ، هي صفحات حياتي أنا ، إنها السجل الديق الوضوء الماضى ، ولن يخفيها بعد الآن حجاب العصور " .

ديجاسا Dugas في كتابه تاريخ الاستشراق الأوربي ، وكتاب الدراسات العربية بجامعة
نورنجن (١٩٦٢) ، ومجالسها ، الدراسات العربية والإسلامية ، وأطلس تينجن عن الشرق الأدنى
ورعاية الدراسات العربية في مكتبة جامعة نورنجن ، والرسم الصغيرة والنقوش في جزيرة
العرب ، ومعجم اللغة العربية الفصحى وتاريخ العلوم العربية والبحوث القرآنية .

ومن ناحية أخرى ، فقد اهتم بعض الباحثين ، بدراسة الاستشراق والجهاته وتاريخه في
بلك بهينه . فليس نيقولا دو برشان ، الاستشراق الروماني وتقاليد البحوث الرومانية
الاستشراقية والجهاته الحالية ، وغيره ، الاستشراق في فنلندا وبوغلانديا ، والاهوار
الصوفية والولايات المتحدة وهولندا ، وفرنسا ، وبريطانيا ، وفي البنى والمنهج ، كانت دراسة
إداورد سعيد عن الاستشراق وعلاقات الشرق بالغرب ، ونقولا زيادة ، الغرب يشرق ، وعهد
الأمير الأعظم ، الاستشراق من منظور فلسفي عميق معاصر .

ونقلاً سعيد عاشور بين يدي المستشرقين حيث يوجد الشكر إلى ذلك القريب من
المستشرقين والباحثين الغربيين الذين نظروا إلى الإسلام وتاريخه وحضارته نظرة أسيمة مجردة
من أية رؤى عفاثية (عاشور ، بين يدي المستشرقين ، ٣٠٣) . ثم له وقفة مع أهداف
الاستشراق الأولية لشر السجعية ، حيث الكنيسة أول صورة للاستشراق ، وانفتاح الغرب
على حضارة الشرق ونمو حركة الاستشراق وساقها ، يناقش طروحات المستشرقين حول النبي
(ﷺ) ، والقرآن والحديث ، والنظام الإداري عند المسلمين ، والفتوحات ، أما قاسم السامرائي
فيكتب عن الاستشراق بين الموضوعية والاتصالية ، وفتح الصاهي عن الاستشراق ما له وما
عليه .

ويشعر أنور عبيد المالك أن الاستشراق في أزمة ، وخطيل أحمد خليل بطرح سؤالاً يسلط
بمشكلة الاستشراق ، هل هي مشكلة مغررة أم مشكلة اعتراف ، وسالم يلوت يتقد العقل
الاستشراقي في حفريات الاستشراق ، وعن خليل عمر يؤصل للتباين الثقافي بين المستشرقين
والمجتمع العربي ، وشوقي أبو خليل يبحث ظاهرة الاستقراط في مناهج المستشرقين والمبشرين
وعبد الله بو نفور يطرح تصوراً للخطاب الاستشراقي والخطاب المضاد في حين ينتهج عبد النبي
اصطيف نهم مواجهة إيجابية للاستشراق . وفي قضايا الصورة ، فقد اهتم المستشرقون
بالفكر العربي الإسلامي عند كولون والنظام السياسي الإسلامي كما درسه أرنولد ، والعناية
بالقرآن الكريم والسيرة النبوية ورسائل شانت ومونتجيسوري وات ، ومصانف التشريع

الإسلامي ، وحقيقة الإسلام وصورته في أوربا ، ويذهب تقى الدين الندوي إلى أن كل دراسات
المستشرقين عن الإسلام تدليس وتبريف ، شهرها التاريخ الإسلامي بأسره ووضعوه موضع
الرفض وعدم الثقة ، فالباحث في الإنتاج العلمي للمستشرقين حاله بشبه حال مفتش الأوساخ
والباء الصرفة Drain Inspector (١٩٦٣) .

ومع دراية الباحث بالدراسات والكتب والمقالات التي تنازلت أهداف الاستشراق من دينية
تيسرية أو تجارية أو سياسية استعمارية أو علمية (١٤٤) ، فإن الباحث يميز بين مستشرق العهد
القديم ، والمستشرق العلمي ، والمستشرق قديم المستعمر ، ويدرك مدى المفارقة أو المقاربة بين
المستشرقين الثمانيين بسحر الشرق ، الأندلس وبنغاد ألف ليلة ولبلة كجيراو الكركوتس
وديميوكوس كنديسلاقي ويوحنا الإقليمي وغيرهم الذين ترجسوا الكثير من أعمال الفلاسفة
والعلماء والأدباء ، والشعراء ، ونقلوا العديد من المؤلفات العلمية العربية إلى اللغات الأوروبية ،
الفصحة في العلوم المختلفة من رياضيات وطب وفلك وفلاحة ، وغيرها ، فالثقافة العربية هي
ميدان أبحاثهم ، حتى إذا كانت الحروب الصليبية ، تحول الاحصام لدراسة الشرق العربي
والانغمال به ، وفي الاطلاع على أعمال وأموسيسوس الإيطالي ، ويشرو في الكلا الإسباني ،
ويستل الفرنسي ، وتون بوشفيك النمساوي ، ووليم بدويل الإنجليزية ، إدراك حقيقي بطبيعة
التحول في الإنتاج العلمي الثقافي الاستشراقي ودرافقه وأهدافه نحو الشرق .

ومنذ ظهور مؤسسات التوسع في النفوذ الأوربي ، يتحول الشرق من قوة ساحرة إلى قوة
مصحورة بقوة وهيبة البحرية الأوربية ، ويغدو الصراع واضحاً بين الغرب المستعمر والشرق
المستعمر ، فتكون الدراسات خدمة لرغبات المستعمرين ومد حاجاتهم على جميع الأصعد ،
السياسية والاقتصادية والثقافية ، وحتى تكون البداية بأيديهم تنشأ المطابع العربية وتؤسس
الأقسام العربية في العديد من الجامعات الأوربية ، الكولج دو قرانس سنة ١٨٣٩ م ، وجامعة
لابدن ١٦٦٣ في هولندا وكوراس اللغة العربية في أكسفورد في الربع الأول من القرن السابع
عشر ، لقد تغيرت الطرق التي يُعالج بها الشرق ، فقد تجاوزت أوربا عصر النهضة ، وظهر
التفوق الأوربي . وكان الاستشراق في هذه المرحلة ركا تصفياً عن كل صوب الشرق العربي التي
وسمها الاستشراق الأول ، تحولت الدراسات من القتل إلى ردة القتل ، فكان التصوير في
مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية (١٤٦) .

الدول لابن العربي . وترجم نظم الجواهر لابن البيهقي ، وترجم مقالة صغيرة عن القاهرة ،
ووصالة حي بن يقظان التي حظيت بشهرة واسعة في الأوساط العلمية الأوروبية ترجمتها ابنه
محمد إشرافه .

وقد تميزت دراسته هذه بالثقافة الواسعة والمعرفة العميقة والأسلوب الموضوعي ، وتبين
دراسته ظهور الدراسة الأكاديمية للتاريخ الإسلامي بعيدة عن أوجه التشويه والتعجيز والآراء
والأحكام الخطأ التي سادت هذه العرصات في القرنين الوسطى ، وتطور الأصولية الدينية
عند مؤسسة الكهنة ، وضياع الكاهنان بندارفو وكوسبول في تقديم إدوارد بوكوك للمحاكمة
بتهمة الجهل وعدم الكفاية فيما نشره وأعلنه من آراء . اتصلت بالشرق والمغرب . ولكن
المحاكمة برأت ساحته ، وفي عام ١٦٦٠م ، وبعد عودة الملكة تحسنت أحوال بوكوك فأعيد
إلى الأستاذية في جامعة أوكسفورد ، وخلالها حصل على درجة الدكتوراه في اللاهوت . ثم
كانت أحوال خبا فيها برين الدراسات العربية في بريطانيا ، فقد تضاخت دراسات الكتاب
القدس وانتكست حركة التبشير بين الشرقيين . ولكن الرجل دأوم على نظم القصائد بالعربية
وترجمها إلى اللاتينية .

وبالإضافة إلى أعماله التي دردت في الورقة ، فقد نشر كتاب ليع من أخبار العرب ، وكان
أول كتاب يطبع بحروف عربية في أوكسفورد . ونشر أيضا :

- شرح موسى بن ميمون على المنها .

- تاريخ بطاركة الإسكندرية ليوتيمخوس بن البيهقي .

- رسالة هي بن يقظان وعثراتها ' الفيلسوف ، المعلم نفسه بنلمسه " وفيها بين كيف

يمكن العقل الإنساني أن يُساعد من تأمل الأمور الدنيا إلى معرفة الأمور العربية . وترجمت
إلى اللاتينية سنة ١٦٧١ .

- وكتب مقالات عن اللغة العربية وعلاقتها ببعض اللغات الشرقية ، والكتابة العربية ،
والكتابة عند قبيلة قريش . والقرون بين الكتابة الحسرية والكوفية والعربية الحديثة وأهمية
دراسة اللغة العربية والمعيد من للقصائد العربية ، وكانت له أعمال تعلقت بالمسيحية
والتبشير .

عاش بوكوك في عصر ساد فيه الاضطراب الديني والحلالم السياسي والحروب الأهلية في
الجزيرة ، ومع ذلك فقد حافظ على إخلاصه واستقامة خلقه وأدى واجبه الديني والأكاديمي دون
أن يهاب شيئا .

إن هذه الورقة . التزمت منهج المواجهة الإيجابية في تشجيع المؤثرات والأعمال الأسيية ،
المجاهدة والصبية في النتاج الاستشراقي . . مصنفة في الاهتمام بدراسة الأدب العربي اهتمام
يستند إلى اعتبارات أدبية وثنية خاصة ، أو في الاهتمام بالبيطوريين في الأجنبة والعربية
أو في تطبيق المناهج والمداخل الحديثة في الدراسة ، وخاصة المقارنة والمعارف المتناخلة *Inter-*
disciplinary منها أو الدراسات المتخصصة الدقيقة والدراسات الميدانية (١٦٦) . وكنتائج تفر
الاتصال المضاربي بين الحضارة العربية الإسلامية والحضارة الأروبية ، قدم الباحث ستة فئات
تختل جسدياً أو حلقات وصل واتصال بين الحضارتين العربية الإسلامية والأوروبية هي :

الأول : البريطاني إدوارد بوكوك الأب Edward Poesock - ١٦٠٤ - ١٦٩١م (١٧١) :

مثل حياة بوكوك تاريخ يد ، الدراسات العربية في جامعة أوكسفورد عالم بالكتاب القديم ،
وفي مدينة أوكسفورد ولد بوكوك الأب سنة ١٦٠٤م ، ولما كان والده كاهناً في كنيسة
بيركشاير فقد صد العيسى إدوارد في ٨ نوفمبر ١٦٠٤م ، في مدرسة تميزت بدرس اللاتينية
والإغريقية ، ثم درس في كلية جسد بسرخ في أوكسفورد وحصل على الكالوريوس
والماجستير . وانضم سنة ١٦٢٩م إلى كلية الكهنوت . وواصل الاهتمام بالدراسات الشرقية
فدرس العربية والسريانية والآرامية والعبرية ، أقام في حلب أربعة أعوام ، في وظيفة كاهن
لشركة *Levani* ليعلم الجالية الإنجليزية هناك وتقل بين حلب وطرابلس متعلماً للغة العربية
حتى أتقنها ، فقد استنسخ أمثال الميداني وترجمها إلى اللاتينية وشرحها . وأثر استعداده من
قبل ولهم لورد ، رئيس جامعة أوكسفورد ورئيس أستاذة كاتدرى سنة ١٦٢٣م . حصل إدوارد
معده بعض المخطوطات الشرقية والإغريقية وبعض النقرود المعدنية ، وفي أوكسفورد شغل
منصب أستاذ كرسي الدراسات العربية ، وخلال أستاذه حصل على شهادة بكالوريوس في
اللاهوت ١٦٣٦م . وفي أوكسفورد ألقى العديد من المحاضرات عن الشعر العربي وأمثال
العرب ، وقصيدة لامية للعمم للفرغاني والمسائل النثرية في مقامات الحريري .

ورحل إدوارد إلى إستانبول ، حيث أمضى فيها ٤ سنوات باحثاً ومترجماً في مكباتها .
وعندما عاد منها سنة ١٦٤١م ، وجد لورد وقد عزل من منصبه وألقى في غياهب السجن ،
واعزل كاهناً في جلدرى ، بل وتزوج وأحب سنة أولاد وثلاث بنات ، وأعلم لورد ولحق الأذى
إدوارد فقد اتهم بالسلوك في تقديم الولاء للنظام والحكومة والبرلمان . فعزل من مناصبه
الكنسية والأكاديمية ، وبعد فترة أُعيد إلى كرسي الدراسات حيث نشر المختصر في تاريخ

الغريب للشغرى وديوان الظهيمان والحماسة للبحرى وطالع الملقات السبع وشروحها ، وكان نشره لمالقة طرفة فتتبعاً جديداً في ميدان الدراسات العربية ، كان ريسكه يرى : بأن النهوض بالعربية ألا يتناولها الدارس تناول الأهلوتى ، ووريا بنفسه أن يسلك طريق أسناده استخولتشر شولتس الذي كان يشتهر من النعوس الصعبة العربية ، ووقعت الشحاء والبعضاء بينه وبين أسناده الذى أراد صرفه عن دراسة الأدب العربى ليقسح المجال لابنه ليرته في اعتلاء كرسي الديامات العربية ، ومع أن ريسكه استجاب وحصل على درجة الدكتوراة في الطب ، إلا أن نداء العربية والهيام بها رده عن مزاوله مهنة الطب فعاد إلى تصحيح الكتب وإعطاء الدروس المحصوصية وواصل دراسته العربية ، فآلف سنة ١٧٤٧م ، رسالة في التاريخ الإسلامى ، رفض فيها استعمال كلمة شرقى واستعمل بدلاً منها محمدي أو مسلم ، وعدد العناصر الخمسة التى لعبت دوراً في تاريخ الإسلام وهم : العرب والإيرانيين (والأترك والتركمكان) (والمغول والتتر) ، والبحير ، وتناول مواطن تلك الأمم ومدنها وسواورها وتجارتها ، وفى رسالته المشار إليها ، رأى أن الرسالة التى بشر بها محمد هى من أحداث التاريخ التى لا يستطيع العقل الإنسانى إدراك مداها ، ويرى فى ذلك برهاناً على تدبير قوة إلهية قديرة ، وعلوة على ذلك فقد نشر العديد من حوادث التاريخ الإسلامى تفسيراً واقعياً ، ورفض وبكل إصرار مسابرة اللاهوتيين باطلائى أوصافه كذاب وخداع على الرسول الأقرين ، وأن يصف دينه بأنه خرافة ، وشتت الحروب على ريسكه من اللاهوتيين لأنه جدد النظرة إلى الإسلام ، ووضع الإسلام فى قلب التاريخ العالمى ، وكان أول من جعل علم اللغة العربية علماً ودرسا مستقلاً بعيداً عن المعهد القديم ومصالح حركات المبشرين ، وحاربه أسناده بلا هوادة ، فحرم من الفوز بكل المناصب الجامعية التى تقدم لها ، و السلك الهيلوماسى رفضه وحتى زميله يوهان دافيد ميخائيلس رفض توجيه الدعوة إليه ليحاضر فى جامعة فوينجن ، وتخطت آماله وضاقت عليه الأرض بما رحبت إلا زوجته التى قاسمته الآلام ، تشد من آزره على الصمود ، فرفضى بوظيفة ناظر لفترة تقولاى سنة ١٨٥٧م ، وكان أهم عنده أنه وجد أخيراً ملجأ ، فعادوا الاستعمال فى ميدان الأدب العربى واليونانى ، ولكن ما من ناشر رفض بطبع شىء له .

كانت آخر أعماله أبيات شعر غرامية أهداها لزوجته ارتسجين كريستين بنت مولر ١٧٦٨/٧٢٣٧ ، وجاء بصياغة الإهداء : ليت شعرى أن يبقى اسم زوجتى مقروناً باسمى ، معروفًا عند الناس - وهاجمته الأمراض ، أصيب بمرض السبل وفارق الآلام والنظم إلى الراحة

لقد ساهم بوكوك فى عصره مساهمة فعالة فى التواصل بين الحضارة والعالم الإسلامى .

الثانى : المستشرق الألمانى يوهان يعقوب ريسكه Johann Jakob Reisku ١٧١٦م - ١٧٧٤م و شهيد الأدب العربى .

من الرعيان الألمان من المستشرقين الألمان ، عالم باليونانيات ، تاريخ ميانه ، تاريخ الآلام والنظم ، حاربوه بسبب اشتغاله بالأدب العربى ، حتى فى لمة عيشه ، فاستحق اللقب الذى أطلقته على نفسه و شهيد الأدب العربى .

ولد ريسكه فى عائلة دياغ ففسير فى ٢٥ كانون الأول (ديسمبر) ١٧١٦ فى قرية Zörbig (تسويج) . من عائلة سكسونيا ، توفى والده وما يبلغ الثامنة من عمره فأودع فى ملجأ للأيتام فى مدينة Halle ، واتقن اليونانية واللاتينية خلال دراسته الابتدائية والثانوية . منذ دراسته الابتدائية أخذ شوق لا يوصف ، وولع لا يمكن مقارنته لتعلم اللغة العربية ، فى جامعة لايبزج ١٧٣٣م درس العربية على نفسه واستطاع إتقان النحو العربى ، واشتفى بدورهما الذى يتلقاها من والده الفقيرين كل ما وسعه من كتب العربية ، رحل إلى درسدن ليتقابل زويش ، أمين المكتبة ، لضبط نصوص عجائب المقدود فى وقائع تصور لابن عربشاه ، ترجم الكتاب وريسه إلى اللاتينية " رسالة هرمس فى معاذلة النفس " تلك الترجمة التى قرظها فلاشير Fleischer بعد قرن من الزمان قال عنها : " إنه لا يكاد يوجد شاب فى العشرين من عمره ، تزود بأفضل تعليم ، وأرجح الأدوات ، يمكنه أن يقوم بترجمة أفضل من هذه " .

وعمل ريسكه على استعارة المخطوطات من العلماء ، فاستعار من جولف مخطوطة مقامات الحريري " فشر وترجم إلى اللاتينية القامة السادسة والعشرين ، وبعدها عبد الرجال إلى مكتبة لابن الغنية بالمخطوطات العربية ، ورفض أية وظيفة ، وحتى بتدبير أمر قوته اليوسى وإقامته ، فقد رفض بالاشتغال بتصحيح وقرأه مؤلفات دروئيل العربية . وفى لايدن زادت همومه ، فقد منع من دخول مكتبة المخطوطات لعجزه عن دفع الرسوم المقررة على كل تاروى ، يرفض فى مطالعة المخطوطات ، فصار مصححاً فى دار نشر يوهان لوزاك وأجرته غزيرة ينال فيها وطعامه فقط ، وحتى بتدبير رسوم المطالعة فى المكتبة عمل على إعطاء دروس خصوصية باللغة اللاتينية واليونانية للطلبة الهولنديين . فى خريف عام ١٧٣٨م ، تعرف إلى أسناده للمحاضر فى جامعة لايدن ، استخولتشر شولتس ، وعن طريقه اطلع على نفائس المخطوطات فى مكتبة جامعة لايدن ، وتوجه نحو النهر العربى . ففسح ديوان حرير ، ولامية

الأيدية في رحمة رب العالمين في ١٤ أغسطس ١٧٧٤م . ونقلت زوجته مكتبتها إلى عند المؤلف الألماني الشهير Lessing ، والذي تولى الحفاظ على مخطوطات مؤلفاته التي لم تنشر ، حتى استقرت عند حاجب الملك الدانماركي السيد فون سوم في مكتبة كونيغسبيرج ، وتولى الطلاء ، فيها بعد نشر مؤلفاته وتحقيقاته ودراسته ، وكرموا ذكراه بعد موته .

نشرت زوجة رابكة تاريخ حياة زوجها كما دونها نفسه قبل وفاته ، وكانت ملأمة أكثر منها صيرة حياة ، ونشرت أيضاً سنة ١٧٧٩م . نظرات في كتاب أيوب . وأمثال سليمان ، ونشر جرودن Gruner سنة ١٧٧٩م أطروحة رابكة ونشرى . ج . ايشهورن Eichhorn الرسائل التي بعث بها رابكة عام ١٧٥٧م بخصوص مسألة السكك العربية إلى مدير الخزانة في متحف مدينة درسدن ، ونشر له :

- الجزء الأول من ترجمته اللاتينية لتاريخ أبي الفداء .

- رسالة ابن زيدون إلى ابن عيوس . النص العربي مع ترجمة لاتينية .

- لامية العجم للطبراني ، ترجمة لاتينية .

- ونشر له أكثر من ١١ عملاً في الآداب اليونانية (١٨٨) .

- معالجة طرفه ابن العبد بشرح ابن النحاس متأ وترجمته لاتينية بتفسير وحواشي مع مقارنتها بديوان التهذيب وحواشي البحرى وأبي قام .

- مدخل إلى تاريخ الإسلام في ثلاثة مجلدات .

- رسالة هجاء أبي الأوس بشرح الصفي .

- نزهة الناظرين فيمن ولي مصر من الخلفاء والسلاطين لمصرى بن يوسف .

- مقالة أكرم بن صفي .

كان رابكة ذلك الباحث الذي تصدى لدراسة الأدب العربي باعتباره أداة لتفسير العهد القديم ، ويعمل علماً مستقلاً في إطار الأدب العالمي الحديث . وكان من أعظم علماء الآداب العربية (١٩٩) .

الثالث : المستشرق النمساوي يوسف فون همر ، يوزجستال - Josef Von Hammer ١٧٧٤ - ١٨٥٦م :

- ليت شعري أن تزهر كل الآمال التي تنتظرها من المشرق في آثار هذا الشاب ، ذي المواهب والألام بالغات .

كانت هذه آخر مدائح العالم الألماني هردر Herder ، حين استعد همر لبدء دراسته عن الشرق .

ولد يوسف فون همر في مدينة جراتس سنة ١٧٧٤م . المدينة الكائنة في جنوب النمسا ، فهو غشاي نشأ في عصر الترجمة النمساوي للاهتمام بالشرق ، فأنما الملكة الواسعة كانت مجاورة للدولة العثمانية التي سبق لها وأن حاصرت النمسا ، فبنا مرتين ، سنة ١٥٢٩م وسنة ١٧٢٨م ، لذا وجب على النمسا الاهتمام بحجزانها الأقوياء ، عاداتهم وطرائق حياتهم ولغتهم .

الإمبراطورة ماريا تيريزا ، ١٧١٧ - ١٧٨٠ ، أدركت أهمية الدراسات الشرقية فأبست داراً للعلوم خصصت لطلبة اللغات الشرقية الذين سيدخلون السلك الدبلوماسي ، حيث يدرس الطلبة ، الفلسفة ، التاريخ ، الفراسة ، الرقص . واللغة الفرنسية ، لغة الدبلوماسية ، والدراسة لمدة خمس سنوات من المساهمة صيهاً حتى التاسعة ليلاً ، في هذا المعهد درس يوسف همر ، وبعد سنة أضيف إلى اسمه فون ، ثم أضيف لقب يوزجستال بانتصابه إلى يوزجستال الكونتس التي توفيت ولم تنجب ، فسعدت له بهذا الانتصاب .

في العهد الصارم درس ، حيث تعلم اللغات ، واشتغل في مكة فيينا الإمبراطورية لمدة عشر سنوات ، تحول بعدها إلى سفارة النمسا في إستانبول سنة ١٧٩٩م ، فقد كان يجيد التركية راتقى الفارسية وبلغ الفارسية . وفي إستانبول كانت له اهتماماته بالآداب ، ومنها إلى مصر حيث أمضى سنتين ثم إلى بريطانيا وعاد مرة أخرى إلى إستانبول ، وفي إقامته هذه وضع مخطط كتابه تاريخ الدولة العثمانية . وبعد عودته إلى فيينا أسس مجلة معادن الشرق Orientes Fandgruben ، واختار شعاراً لها :

" قل لله المشرق والمغرب ، يهدي من يشاء ، إلى صراط مستقيم " وقضت صلحاتها للأبحاث الأدبية والتاريخية والفلسفية بالعربية والفارسية والتركية ، ولم يدخل في مجاله "علم اللاهوت ، ولا الأبحاث اللاهوتية " ومن خلال مؤلفاته ومصنفاته كان هودر :

- تاريخ الحشاشين ، مشرق تجارات وتونسين ، ١٨١٨م .
- معرض صور الحكام المسلمين ، ٦ مجلدات ، در مشتات ١٨٣٧ - ١٨٣٩ .
- تاريخ الجحفل الذهبي (المجلد ١) ، لبيستك ، ١٨٤٠م .
- تاريخ الإبيخانات ، مجلدان ، در مشتات ١٨٤٣م .
- تاريخ خانات القرم ، فينا ، ١٨٥٦م .
- ولمى الأدب وتاريخه وضع :
- تاريخ فنون القول الجليل فى فارس ، فينا ، ١٨١٨م .
- تاريخ الشعر المشائى ، ٤ مجلدات ، pust ، ١٨٣٦ - ١٨٣٨ .
- تاريخ الأدب العربى فى سبعة أجزاء ، فينا ، ١٨٥٠ - ١٨٥٧ .
- وخلق من النصوص :
- كل ويليلى تأليف طفلى وأطراق الذهب لوزخشرى وكلى زار للشاعر محمود شيرى ، الشاعر الصوفى الفارسى .
- وترجم إلى الألمانية :
- ديوان حافظ الشيرازى ، ومختارات من شعر المتنى ، وقصائد للشاعر التركى باقى ، ونظم فصائد بعنوان المغنات الثلاثة لسون ، ألف صلوات وأدعية باللغتين العربيه والألمانية (١٢٠) .
- ترجم عن التركية إلى الفرنسية ، مقدمة ابن خلدون ، وسيرة عشرة بن شداد ، والبردة للبوصيرى .
- وصف مذكرات ماركوس أورليوس بالفارسية وأهداها إلى شاه إيران .
- وترجم كتاب شوق المستهام فى معرفة رموز الأعلام لابن وحشية متناً وترجمة بالإجليزية ، وتآنية ابن الفارض ، سقنى حيا الحب راحة مقلنى ، والألفاظ العربية فى اللغة الإسبانية (٢٦١) .

- أن يفهم الشرق من جميع نواحيه ، وأن يعقد العالم الأوروبى لإدراك الشرق كما انطبع فى عقله . وهذا يفسر لنا سبب نشاطه الفلج . والدافع الداخلى لاشغاله بالمعارف ، والسعى إلى إطلاع القبر على المعلومات ، فجا . إتجاهه خصباً ، فالعمل عنده متواصل دون كلل .
- فى سنة ١٨١٨ ، أصبح مستشار البلاط ، ولكنه وأصل البحث وأسس أكاديمية العلوم فى فينا سنة ١٨٤٧م ، وصار رئيسها بعد أحد عشر سنة من البحث المتواصل . وفى عام ١٨٥٦م واتته المنية بمرت الفجأة ، ويذكر أنه كان يعمن الكتابة بغير لغات رجال أكثر من ١٥ رسماً من أباطرة وطلوال انسا دورسيا والبلغاركة وإيران وغيرهم . وكان عضواً فى أكثر من خمسين جمعية علمية .
- كان له تأثير ظاهر على تلميذه الشاعر جرته والشاعر Ruelker (ريكورت) والشاعر الطريف كورت بلاتن .
- لقد لزمه حب الشرق حتى فى القصر الذى ورثه عن الأرملة بروجستال سنة ١٨٣٥م ، فسلاً بمجانب الزخارف والرياش والخطوط العربية والآثار واللوسيات المصرية ، وجعل قبره الذى شيده قبل وفاته على طراز قبور السليين .
- وتكرماً له ، فقد أصدرت حكومة النمسا هدالية تذكارية لهجر ، كتب عليها العبارة التالية :
- " إنه كان حلقة الرصل بين آسيا وأوروبا .
- وكثيرون من العلماء النمساويين قالوا عنه ، أنه كان « خمر الغرب ، الفاتح الكبير الروجائى للشرق ، مشعل العلم ومنازله ، قطب الأجيال القادمة » . وكان أهم أعماله العلمية :
- فى ميدان التاريخ السياسى :
- نظام الحكم والإدارة فى الإمبراطورية العثمانية ، مجلدان ، فينا ، ١٨١٤م .
- لمحة عن رحلة من القسطنطينية إلى برومسة ، Pesti ، ١٨٢١م .
- القسطنطينية والبغرد فى مجلدين ، Pesti ، ١٨٢١م .
- تاريخ الإمبراطورية العثمانية ، ١ مجلدات ، وهو أهم مؤلفاته حتى الآن .

دراسات الآداب الشرقية مستشرقان كان لهما باع طويل في الدراسات الشرقية .
 ليجانولسكي الذي طبع تاريخ الآداب العام بطابع خاص ، والثاني فيكتور روزن ، رئيس
 تحرير الجوليات الشرقية بقسم الآثار الشرقية .

عمل كراتشكوفسكي أستاذاً في الجامعة . ومن ثم أؤذنته وزارة المعارف الروسية وجامعة
 بطرسبورج إلى الشرق لتعلم اللغة العربية القصصية والعامية والصحف إلى العلماء . وفي
 الشرق نتج صداقة مع عدد من أدياء الشرق ، أمين الريحاني ، جرجي زيدان ، العلامة
 أحمد تيمور ومحمد تيسور وميخائيل نعيمة ومحمد كرد علي ولويس شيخو والأب أنطون
 الصالحاني . والتقى بعدة من المستشرقين ، لاهس ، ووتزويتال وغيرهم .

عاش في الريف والبادية والدينة ، تجرأ على شاطئ البحر الميت وقضى ليله في دير
 القديس سابا ، وطالع كنوز رفات المخطوطات العربية في مكتبة القديس يوسف في بيروت
 والقاهرة بدعشق والمأزوتية بحلب والمخالدية بالقدس والمخدوبية بالأزهرية بالقاهرة . ومكتبة
 البلدية بالإسكندرية .

في مصر كان بينهم التردد على قسم المخطوطات بدار الكتب المصرية وعلى مكتبة الجامع
 الأزهر . وهنا في مكتبة الجامع الأزهر وجد رسالة نحرية في الإعراب من تأليف أبي العلاء
 المعري . وفي هذه الرسالة بهائم أبو العلاء المعري تصور الفقهيا . والقفسرين للملايكة . وقد
 أمضى كراتشكوفسكي قرابة عشرين عاماً في دراسة هذه الرسالة المعروفة باسم رسالة
 الملايكة . وقد نشرها سنة ١٩٢٢م ضمن منشورات المعهد الشرقي . ثم جاء محمد سليم الجندي
 فأعاد نشرها في دمشق ١٩٤٤م .

ومن ذلك حين اهتم كراتشكوفسكي بجمع كل مخطوطات أبي العلاء المعري الفوتوغرافية
 وكان من نمرات أبحاثه " رسالة النفران لأبي العلاء المعري " وكشف الرسالة التي بعث بها
 المعري إلى الوزير الفاطمي ، أبي منصور ، صدقة بن يوسف الفلاح في مصر .
 هكذا أمضى كراتشكوفسكي عامين في مصر ولبنان وسوريا ، أجاد خلالها كل الإفادة ،
 ووجد كل رعاية خاصة من أحمد تيمور باشا .

وعاد إلى بطرسبورج بحصيلة وافرة من المعلومات والمخطوطات ، فعين مديراً لإدارة مكتبة
 معهد روزن للآداب الشرقية في جامعة بطرسبورج . وفي الوقت نفسه كان يقوم بالتدريس .

وسجل في كتابه تاريخ الآداب العربية الذي وقع في سبع مجلدات ١٩١٥ ترجمة وهو أفضل
 كتاب كارل بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي ، وفي رأي عبد الرحمن بدوي : " لقد كان هو
 خير وسيط ظهر حتى الآن بين الشرق الإسلامي وأوروبا " .

الرابع : أجتاني يوليانتوفيتش كراتشكوفسكي Ignaz Julianovic Krackowskij
 المستشرق الروسي ١٨٨٣ - ١٩٥١م :

من أبرز المختصين بالدراسات العربية من بين المستشرقين الروس .
 ولد في ١٦ مارس ١٨٨٣م في مدينة فلنا ، عاصمة جمهورية ليتوانيا . كان أبوه مديراً
 لمعهد المعلمين فيها ، انتدب الوالد لمدة ثلاث سنوات ، فضاها في طشقند مديراً للمدرسة
 الإكليريكية ثم رئيساً لمفتش المدارس الابتدائية في آسيا الوسطى .

في طشقند . العاصمة الفكرية للمقاطعات الإسلامية التابعة لروسيا . أمضى أجتاني
 طفولته ، وتعلم اللغة الأوزبكية . ولقد تركت الحياة في طشقند وأقليم التركستان أثر عميقاً
 في نفسه . كان من شأنه أن يولد فيه النزعة إلى الشرق والولوع باللغات الإسلامية . في عام
 ١٨٨٨م أصيب أبوه إلى فلنا مديراً للمكتبة العامة ورئيساً للجنة الآثار . بروي
 كراتشكوفسكي سني حياته الأولى :

" كنت في صفري ضعيف البنية ، عرضة للأمراض ، فعدت إلى جانب أبي حتى سنة
 ١٨٩٣م . في أرض لنا من أعمال ولاية فلنا . أقتضى وقتي في مكتبة جمعها جدي و زاد
 عليها والدي ، عكفت على القراءة لكوني أصغر أولاد أبي وأمي . ولذلك نشأت بعيداً عن
 العشير والأثراب ، ورعا صار هذا سبباً لحبي الوحدة " .

دخل للمدرسة الإعدادية في بلده . وتخرج منها وقد أتقن اليونانية واللاتينية . وحين وقعت
 عميائه على كتاب النحو العربي - نحو اللغة العربية - الذي وضعه المستشرق الفرنسي
 سلفستر دي ساسي ، بدأ يتعلم اللغة العربية لوحده .

في العام ١٩٠١م التحق بكلية اللغات الشرقية في جامعة بطرسبورج فدرس العبرية
 والحيشية والفارسية والتركية السارية والعربية . لقد سحره الشرق فانصرف إلى لغاته . أثناء
 دراسته للعربية تردد على أساتذة عرب من لبنان ، فضل الله صروف ، رزق الله حصرون ،
 أنظون خشاب ، وكانت رسالته للخروج عن " إدارة الخليفة المهدي " حجب إليه التعمق في

صار عضواً في جمعية الفيلولوجيين الجديدة ، وسكرتيراً للقسم الشرقي في جمعية الأكار التي كان عضواً فيها منذ سنة ١٩٠٨ م ، وكان عضواً في اللجنة الخاصة بشئون التعليم في مدارس جمية فلسطين وسوريا ولبنان وفلسطين .

وانتخب عضواً في أكاديمية العلوم السورية سنة ١٩٢٦ م ، كما انتخب عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٩٢٣ م ، وشارك في عضوية العديد من الجمعيات العلمية والأكاديمية في عدة بلدان وحاضر في العديد من الأقطار .

رحل كراتشكوفسكي مرة أخرى لغرامة المخطوطات العربية في طه وليبتسك ولينين ، جعل من المتحف الآسيوي الذي تولى إدارته مركزاً مزدهراً للدراسات الشرقية .

بعد قيام الثورة البلشفية ، أكتوبر ١٩١٧ م صار مدرّساً في جامعة لينينغراد ، بطرسبرج ، وأسهم في كتابة تاريخ كرسى اللغة العربية بالجامعة ، وترجمة حياة من تولدوا ، ومنهم الفرنسي ديانج الذي تولاها من ١٨١٩ - ١٨٢٢ م ، وستكوفسكي البولندي الذي تولاها من سنة ١٨٢٢ - ١٨٤٧ م ، والشيوخ محمد عبيد الظنطاري والذي تولاها من سنة ١٨٤٠ - ١٨٦١ م . وقد أفرغ له كراتشكوفسكي ترجمة مسهبة ونشر كتابه " تحفة الأوكيا بأخبار بلاد روسيا " والذي كان قد أهدها للسُلطان العثماني عبد المجيد .

أسهم كراتشكوفسكي في مجموعة الأدب العالمي التي كان يشرف عليها مكسيم جوركي حتى سنة ١٩٢٥ م حيث ترجم كتاب " أسامة بن منقذ " الاعتبار ، ونبه إلى وجود مخطوط المازال والديهار " بخط أسامة بن منقذ تاريخه ٥٦٨ هـ / ١١٧٢ م ، تجاوزت أعمال كراتشكوفسكي المشورة أكثر من ست مئة عمل نشرها بالروسية والفرنسية والألمانية والعربية في كبرى المجلات العالمية توزعت بين نشر النصوص العربية القديمة ، وترجمات لنصوص عربية قديمة ، ودراسات لنصوص عربية وترجمات للأدب العربي المعاصر ، ودراسات للأحوال الحاضرة في العالم العربي .

- نشر : كتاب الأدب لابن العنز الشاعر العباسي ، ديوان الوراثة الممشقى .
- كتاب الهدى ، سلامة بن جندل .
- وترجم الاعتبار
- ولامية العرب للشعري .

وترجم الأيام لطف حسين ، وآراء طه حسين في الشعر الجاهلي ومن تقديروها وصلحات ترجمها لميخائيل نعيمة ، ألف ليلة وليلة ، كلية ودمنة .

ودرس ونشر : تطور الأدب العربي الحديث ، أدب المهاجرين العرب إلى أمريكا ، المرأة الجديدة لقاسم أمين .

- أما دراسته للأحوال الخاصة للعالم العربي ، فقد درس
- مصطفى كامل وجولييت آدم ، بحث في تاريخ الحركة الوطنية في مصر .
- الشيخ أبو نضارة ، مؤسس الصحافة الساخرة العربية في مصر .
- في الصحافة العربية في مصر .
- المسألة العربية والتعاطف الروسي .
- الكتاب الروس في الأدب العربي .

كانت صورة الشرق ترتفع أمام عينيه بأشخاص قادة فكرة ومخطوطاته ، عزله نرات الشرق حتى بدأ كقطر صغير على شاطئ بحر ضخم ، وقد ألف مابين كتاب ومقالة وبحث وترجمة أكثر من ٦٠٠ بالروسية والفرنسية والألمانية والعربية ، نشرها في كبرى المجلات العالمية ، وطبع فهرس مؤلفاته ، سنة ١٩٢١ ، وجاءت صفحاته لى ٥٥ صفحة من القطع العادي ، حيث قام نشاطه العلمي على :

- تاريخ الشعر العربي ونقله منذ أقدم العصور حتى ١٩٥١ م .
- الأدب العربي لدى الأدباء النصارى .
- الأدب العربي منذ بدء النهضة الحديثة في القرن التاسع عشر .

كان كراتشكوفسكي جسراً مهماً عبر عليه ومن خلاله التراث العربي القديم والأدب العربي الحديث ، وكان علامة بارزة في تاريخ الاستشراق الروسي ، ووصف بأنه كان أول وأفضل من عرف آنذاك بالأدب العربي الحديث (٣٦) .

الخامس : لويس ماسينيون (٣٦) Louis Massignon المستشرق الفرنسي ، ١٨٨٣ م - ١٩٦٢ م

مستشرق فرنسي امتاز بنظرة نافذة ، وقدره عجيبة على استنباط التيارات المستترة وراء المذاهب الظاهرة والأفكار السطحية .

ولد لويس ماسينيون في الخامس والعشرين من شهر تموز / يوليو سنة ألف وتسعمائة وثلاثة وثلاثين . ١٨٨٣ م . في ضاحية نوجان على نهر المارن Nogent-sur-Maine إحدى ضواحي باريس ، وكان والده فرناند ماسينيون قنّاقاً ، اهتمت الصنعت والرسم ، بعد أن عزف عن الطب ، واشتهر بنحت الجبس . وقد اتخذه له في عالم الفن اسماً مستعاراً هو بيير روش Pierre Roche ، توفي والده إثر نوبة حصى وهو يحصل على نموذج لشعرته أرادها تخليداً لذكرى صديقه الكاتب الفرنسي هويسمان Huysmans . وكان لوالده أثره الواضح في تنشئة ابنه ، فقد نشأ نشأة عقليّة كريمة ، وبنى تفوق لويس للفن ، والإسلامي منه خاصة من العلامات البارزة في نفسه حيث إن والده وجهه للعناية بالآثار الإسلامية .

دوس لويس ماسينيون دراسته الثانوية في كلية لوس الكبير Louis Le Grand المشهورة في باريس ، وهناك التقى في سنة ١٨٩٦ م بـهنري ماسينيرو الذي أصبح فيما بعد من كبار المختصين في الدراسات الصينية ، وقال لويس ماسينيون شهادتي الكالكوريا بتفوق وتمييز من المدرسة الوطنية الشرقية اعية ، تسم الآداب والفلسفة ، وعلى الكالكوريا قسم الرياضيات في أكتوبر ١٩٠١ م . وبعد هذا الاتصاعان بدأت تظهر لديه الرغبة في الرحلات إلى البلاد التي سيجعلها موضوع دراسته . أعنى البلاد الإسلامية ، فسافر في رحلة قصيرة إلى الجزائر ، عاد بعدها إلى باريس لتابعة دراسته الجامعية فحصل على ليسانس الآداب عن أطروحته في مفردات الحب . عند أنديه أودوه Honoré d'Urfé في كتابه L'Asinée . وكان أستاذة في الأدب الفرنسي هو فرديناند برونو Brunet ، صاحب تاريخ اللغة الفرنسية الشهير . وكتب أطروحته بناءً على طلبه ، وكان ميله موسوعياً ، شغوفاً بجميع أنواع المعرفة ، تطوع للخدمة العسكرية حتى ١٨ سبتمبر ١٩٠٣ م .

وفي أبريل من سنة ١٩٠٤ م ذهب ماسينيون بأول رحلة إلى المغرب رئيساً لفرقة مسح مدينة فاس ، من أجل نيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ عن ليون الإفريقي ، وقد طبع الكتاب في الجزائر سنة ١٩٠٦ م تحت عنوان « المغرب في أوائل القرن السادس عشر ، لوحة جغرافية حسب ليون الإفريقي » .

نال ماسينيون دبلوم الدراسات العليا في السويديون بجامعة باريس بقسم العلوم الدينية حيث تطلّ على المشرق الفرنسي المعروف هارفيج دارنور ، وتابع معاضرات لو شاتليه Du Chalotier في الكوليج دي ترانس عن دراسة الإسلام من الناحية الاجتماعية . ودرس

العربية في المدرسة الوطنية للغات الشرقية الحية ، وحصل منها في ١٠ فبراير ١٩٠٦ م على دبلوم في اللغة العربية الفصحى والعامة . وأثناء ذلك دخل حلقة الاستشراق عبر مشاركته في السنة نفسها في المؤتمر الرابع عشر للمشرقين الذي انعقد في الجزائر . وهناك تعرف على جولدتسيهر وأسين بلاتويس .

وحق ذلك الوقت ، وقد بلغ الحادية والعشرين من عمره ، كان ماسينيون يعمل في إطار الاستعمار الفرنسي لأفريقيا الشمالية ، كان عالم جماليات ، ولكنه بدأ بضيف عليه هذا الإطار .

كان أول صلته بصر حين عُين عضواً في طابعا في المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة في ٢٣ أكتوبر سنة ١٩٠٦ م ، فواصل القاهرة أول نوفمبر وبدأ أبحاثه الأثرية الإسلامية ، وكان في الغالب يلبس الأزياء الوطنية ، كتب لأبيد من القاهرة يقول :

" بدافع من حسن التناقض انكببت على العمل ، ليس على علم الآثار الذي نصحني به جاستون ماسينيرو ، وأصبحت أقرب منه ، بل على دراسة نقدية عن إعدام متصرف في القرن العاشر يبعدها ، قبل عنه الكثير من التراثات ، ولكنه في الحقيقة كان شخصية رائعة ، وأن حكاية إعدامه صارخة جداً ، وذات نكهة مسامية أسترى ، وأرى نفسي راحياً أن أبعده موضوعاً لأطروحة الدكتوراة " .

وتأثر في مارس ١٩٠٧ بدراسته لأشعار فريد الدين العطار تدور حول مصرع الحلاج - فبدأ أبحاثه عنه ، ولا عاد إلى باريس صيف عام ١٩٠٧ م عهدت إليه مهمة القيام بأبحاث وحفائر في الآثار في العراق ، وسافر إلى العراق وفي هذه أن يقوم بالبحث عن الحلاج ، ونزل ضيفاً على أسرة الأتوس في بغداد ، كتب عنه الجنرال بيليه في رسالته إلى مدام جاستون ماسينيرو " إذا كان الشاب ماسينيون مسروراً بما يفعل ، فانا شخصياً شديد الانزعاج ، فقد اكتسقت مؤخرًا رسائل من بغداد من المهتمس قبولى بأن السيد ماسينيون لم يترك بغداد بعد ، لقد استأجر بيتاً عربياً في منطقة نائية ، وراح يتزجج بالبايج والطيروشي ، يعيش بالطريقة العربية ، والفنصل بصفه ، بأنه لطيف مجتهد ولكنه فوضوى ولا يأخذ بأية نصيحة " .

قام ماسينيون بحفائر في بادية العراق ، وزار مشاهد الشيعة كلها في حضرمي ، بغداد ، كربلاء ، والنجف والكوفة ، كما زار سلمان باك . القرية التي تضم قبر الصحابي الجليلين ،

- رئيساً لمعهد الدراسات الإيرانية - المجمع الآسيوي .
- عضواً مراسلاً ثم عاملاً في المجمع اللغوي بمصر ١٩٣٣ - ١٩٥٦ ، وظل على جانب كبير من المسيرة والنشاط حتى وفاته في ٣١ أكتوبر ١٩٦٤ . ودائماً يردد الآية « لن يجزي من الله أحد » (سورة الجن / آية ٢٢) .
- مصنفات ماسينيون ترمو على . ٦٥ . ما بين مصنف ومحقق ومترجم ومقالة ومحاورة وتقرير ونقد ومقدمة وسيرة منها :
- لوحة جغرافية للمغرب في السنوات الخمس عشرة الأولى من القرن السادس عشر ، تبعاً لليونان الإغريقي .
- بحث بعنوان « طريق ناس ٤ » .
- بحث بعنوان « مراکش بعد الفتح العربي » ، مع خُطب للمنطقة التاريخية في مراکش .
- بحثة أثرية في العراق (قصر الأخضر) . مطبوعاً في العهد الفرنسي للأثار الشرقية .
- هجرات الموتى في بغداد ، للحجرة .
- الحركة الأخيرة بين الزاوية والقاهرة .
- الحج الشعبي في بغداد .
- دراسات عن مخطوطات في مكتبات بغداد .
- عذاب الملاج والطريقة الحلاجية .
- الملاج ، الشيخ المصلوب والشيطان عند الزيدية .
- الكتب المقلدة عند الزيدية .
- الطواصين ، سنة ١٩١٣ م .
- مواد دائرة المعارف الإسلامية .
- تاريخ الاصطلاحات الفلسفية (مجمع اللغة العربية بالقاهرة) ، ونسخة بالمعهد الفرنسي بالقاهرة .
- نصوص غير منشورة تتعلق بالتصوف الإسلامي .

سلمان الفارسي وحذيفة ، فضلاً عن بقايا إيوان كسرى ، وانتهت حضائره في الصحراء إلى إعادة اكتشاف قصر الأخضر في ربيع ١٩٠٨ م . وفي هذه البعثة بين الكوت والبصرة وأقام عودته حاملاً صرداً علمية ، ألفت عليه السلطات التركية القبض بتهمة التجسس وعُذب حتى قتل الرعي ، غير أن تدخل أسرة الأكرس أنقذه من بين أيدي الأتراك . ثم ذهب إلى إسطنبول سنة ١٩٠٩ م للاطلاع على خزائنها الفنية ، وعاد إلى القاهرة ، وحضر دروس الأزهر ، وكان يلبس الزي الأزهرى . وانتشر بعض الشتاء في القاهرة والصف في فرنسا طوال السنوات التالية إلى أن ترك عضوية المعهد الفرنسي في ٣١ أكتوبر ١٩١١ م . وكان قد التقى معاصرات في الجامعة المصرية . وواصل دراسته عن الحلاج ، وخلال الحرب العالمية الأولى ، طلب الخدمة العسكرية وألحق بوزارة الخارجية ، ثم طلب أن يكون مراسلاً في الجبهة الشرقية ، وأنهى الحروب في سورية كمساعد للقبوض السامي جورج بيكو ، ولقد كتب نيسا بعد عن علاقته بطورانس حيث توجد في ٨ أغسطس مع لودنص في المكتب العربي وكان بينهما مداولات حول الوضع العربي والمنطقة .

في سنة ١٩١٩ م كلفه وزير الخارجية أريستيد بريانث بتحقيق حول التشريع السوري . كان يعمل في السياسة حسب رأيه إلى جانب العرب .

- وضعت الحرب أوزارها فاستند إليه " كرسى " الإسلام من القاحية الاجتماعية - سنة ١٩١٩ م . وفي الوقت نفسه أصبح مديراً لمجلة العالم الإسلامي وفي سنة ١٩٢٣ م . قدم أطروحته الرئيسية " عشق الحسين بن منصور الحلاج . شهيد الصوفية الذي أعدم ٩٢٢ م " . وقدم أطروحته الثائرة " بحث في أصول المجمع التقني للتصوف الإسلامي . ومنذ سنة ١٩٢٦ وحتى تقاعده في سنة ١٩٥٤ م شغل منصب أستاذ كرسى لعلم الاجتماع الإسلامي في الكوليج دي فرانس . حيث :
- أسس معهد الدراسات الإسلامية
- وكان مديراً للدروس في المدرسة التطبيقية للدراسات العليا في قسم العلوم الدينية .
- عضواً في الأكاديمية العربية في القاهرة .
- رئيساً لقسم الشرق الأدنى في الإعلام (خلال الحرب العالمية الثانية) .
- رئيس لجنة الترجمة .
- عضو مجمع اللغة العربية بدمشق

ثم عاد إلى بودابست عام ١٩١٢م فعين أستاذاً للشركية والفارسية والعربية ، وتاريخ الإسلام وثقافته ، في الأكاديمية الملكية الشرقية ببودابست ، وشارك إبان الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ - ١٩١٨م إلى جانب القوات التركية في المعارك العائرة قرب الحدود بين النمسا للجنة الوطنية المشكلة لإنارة الهلال الأحمر ، ودفع في أسر البريطانيين ، ولكنه عاد إلى تركيا حيث منحه السلطان محمد السادس رسام المجيدية ، وخلال تلك الفترة نشر الكثير من أعماله العلمية واختير عضواً في العديد من الجمعيات العلمية .

وأصبح جرمانيوس بعد ذلك مدرّساً في المعهد الشرقي التابع لكلية العلوم الاقتصادية التابعة لجامعة بودابست ، ومن ثم أصبح مديراً للمعهد بعد وفاة مديره ، واستمر في تدريس اللغات العربية والفارسية والتركية إلى جانب تاريخ الحضارة الإسلامية والأدب العربي ، تدهب وحديثه .

وفي عام ١٩٢٦م انتخب جرمانيوس سكرتيراً لنادي القلم المصري ، كما شارك في تنظيم نادي القلم في كل من بلغاريا ومصر ويوغسلافيا .

وفي عام ١٩٢٩م استدعاه الشاعر الهندي طاغور ، ودخل إليه مهمة تنظيم كرسى العلوم الإسلامية في جامعة سانتيفيكان التي تقع بالقرب من مدينة كلكتا ، فقد كان أول أستاذ في ذلك القسم ، حيث أدى عودته كتاب نور الهند ، وفيه تحدث عن اللغات التي دارت بينه وبين المهاتما غاندي ونهرو وغيرهما من قادة الهند .

وفي الهند اعتنق الإسلام ، أعلن إسلامه في مسجد دلهي الجامع ، وكان الشاهد على إسلامه الدكتور / ذاكر حسين الذي أصبح بعد ذلك رئيس جمهورية الهند .

وبعد زيارته للهند ، شد الرحا، لزيارة الأماكن المقدسة في مكة والمدينة ، وكان قبل ذلك قد قدم إلى القاهرة حيث تصفح في دراسته على شيوخ الأزهر .

كانت حجته الأولى عام ١٩٣٥ ، ليكون أحد أولئك الأديبين القلائل الذين يزورون مكة ، ودخل مكة مسلماً خاضعاً لله ، وصف في سيرته رحلته الأولى كتاب " الله أكبر " Allah Akbar الذي ترجم إلى عدة لغات .

وفي خضم الحرب العالمية الثانية عادوه الحنين إلى الشرق والديار الإسلامية فسافر إلى القاهرة والملكة العربية السعودية ، وكانت حجته الثانية وذكر انطباعاته عن هذه الرحلة في كتابه " في ظل النور الخافت للهلال " .

- كتابة المادة العلمية لأكثر من ٣٠ مصطفاً في دائرة المعارف الإسلامية .
- اشتغل بتاريخ الطوائف ، الشيعة النصرية .
- السيدة فاطمة .
- أهل الكهف .
- التراث العلمي .
- غيوم ماجلان واكتشاف العرب لها .
- دراسة الأحوال الاجتماعية والأنظمة الاجتماعية في العالم الإسلامي على مر العصور .

وكان يجمل نشاطه في الاتجاهات التالية :

- الفرق الإسلامية .
- التصوف ، وخاصة سيرة الخلاج .
- الأدب العربي .
- التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والسياسي .
- أبحاث في تاريخ العلوم والفنون .

السادس : عبد الكريم جرمانيوس J. Germanus م ١٨٨٤م - ١٩٧٩م :

ولد جيولا جرمانيوس في مدينة بودابست في السادس من شهر تشرين الثاني / نوفمبر عام ١٨٨٤م ، كان والده ديناغاً ، وقد رغبت أسرته في تعليمه حرفة ، أما هو فقد كان منقطعاً شابه منقطعاً إلى العلوم وإلى عالم الشرق وذلك بفضل اتصاله بالعالمين فاميرى وجولسيهر ، فكان تعلم على يدهما اللغة العربية واللغة التركية ، تابع دراسته الجامعية بعد سنة ١٩٠٥م في جامعتي فيينا وإستانبول ، حيث تعلم الفارسية أيضاً ، وفي خلال وجوده في إستانبول اتصل بحركة تركيا الفتاة .

وفي عام ١٩٠٧م نال وجة الدكتوراة ، وكان موضوع أطروحته " اشرف والأصالي العثمانية في القرن السابع عشر " نال عليه جائزة مكنته من قضاء ثلاث سنوات في الجبل (١٩٠٨ - ١٩١١م) ، أكمل خلالها أبحاثه في مكتبة المنقب البريطاني .

إنتاجه وآثاره :

- صنف بالألمانية كتاباً عن الأدب العشاقى ، بودابست ، ١٩٠٦ .
- قواعد اللغة التركية ، ١٩٢٥ .
- الثورة التركية ، مجلة بودابست ، ١٩٢٨ م .
- القومية العربية ، المجلة المجرية باللغة الفرنسية ، ١٩٢٨ م .
- الأدب التركي الحديث ، كلكنا ، ١٩٣٩ م .
- التيارات الحديثة فى الإسلام - بالإنجليزية ، كلكنا ، ١٩٣٣ م .
- أثر الأتراك فى التاريخ الإسلامى ، مجلة Islamic culture ، ١٩٣٣ (الثقافة الإسلامية) .
- غرام الصحراء ، بالعربية ، مهرجان القاهرة ، ١٩٣٧ .
- الله أكبر ، ترجم لعدة لغات ، ١٩٤٠ .
- الشاعر يتوهن ، القنطف ، ١٩٤٠ .
- اكتشاف الجزيرة العربية وسوريا والعراق وغزورها ، بودابست ، ١٩٤٠ .
- نهضة الثقافة العربية ، منشورات الجمعية الشرقية المجرية ، ١٩٤٤ .
- ودراسات فى الأدب العربية ، المبدى ومحمود تيمور والأدب العربى الحديث (الإسلام ، لندن ، ١٩٥١ . وبين المفكرين ، دمشق ، ١٩٥٦ : وابن الرومى وأدب الهجرة والرحالة العرب ، وتاريخ الأدب العربى .

ويعد الباحث لفت النظر إلى البحث الذى نشره Donald Malcolm Reid فى مجلة In Cairo East Studies International Journal of ، عدد فبراير ، ١٩٨٧ وعنوانه Cairo University and the Orientalists (جامعة القاهرة والمشتشرقون) (٢٥) ، حيث يعرض المقال إلى الدور الأكاديمى الذى لعبه المشتشرقون فى جامعة القاهرة أثناء قيامهم بالتدريس فيها خلال النصف الأول من هذا القرن . حيث استدعى للعمل فى الجامعة ككل من أخطاطيموس جويدى وابنه ميسكل انجليو ، وكارل فليلينو وداقيد ستيلانا وجيورجيو ميلونى من إيطاليا ، ولويس ماسينيون وأوغاستين فييت من فرنسا والكورت دى جلازوه من إسبانيا ، وإينو ليتمان

وحيث حالت ظروف الحرب العالمية الثانية من مواصلة الاتصال والتجوال فى ديار الشرق الإسلامية ، اعتمد على البريد لوصله مع العالم الإسلامى وعلمائه الكبار ، وقد صنف فى هذه الفترة رواية (" نيران البغال " باسم زوجته الأولى التى تزوجت فى سنين الحرب) .

وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ، أصبح رئيس المعهد الشرقى ، وفى عام ١٩٤٨ م أصبح استاذاً فى جامعة بودابست للعلوم ثم تزوج زوجته الثانية وهى السيدة كاتوكايارى التى أسلمت فيما بعد ، واتخذت لنفسها اسم عائشة .

وفى ربيع عام ١٩٥٥ عاد ليقضى بضعة أشهر فى القاهرة والإسكندرية ودمشق بدعوة من الحكومات ليحاضر بالعربية عن الفكر العربى المعاصر ، وعن صوره من الأدب المجرى ، وليجد روابط الصلات مع أصدقائه ، وقد أثار محاضراته كبير الاهتمام والإقبال ، ورجع إلى الشرق العربى سنة ١٩٥٨ م لاستكمال مصادر كتابه الجديد و الأدب المعاصرين ، الذى صدرت بعض فصوله ، وفيها نصوص الكتاب المعاصرين لطفى لطفى جرماتوس كبير التقدير والاحترام فى البلدان التى زارها وحاضر فيها .

وأخيراً عضو :

- فى الجامع اللغوية فى كل من دمشق والقاهرة وعمان وبغداد .
- عضو شرف اتحاد الكتاب العرب .
- وقد انتخب مرتين عضواً فى المجلس النيابى المجرى .
- وشغل عدداً من الأوسمة الزينة لنشاطه العلمى .
- وانتخب عضواً فى المجمع الإيطالى ١٩٥٧ م .

وظل جرماتوس يتابع نشاطه العلمى حتى وافته النية فى السابع من تشرين الثانى ١٩٧٩ م ، بعد حياة حافلة بالأثر ، وخلف وراءه تراثاً علمياً مشهوراً .

واحتفاءً بالاكبرى الثرية لولاية المشتشرق المجرى الحاج عبد الكريم جرماتوس ، أقيم معرض فى المركز الثقافى العربى بدمشق بتاريخ ١٩/١/١٩٨٥ بوعصابة وزارة الثقافة والإرشاد بالتعاون مع السفارة المجرية فى سوريا (٢٤٤) .

ويعرف شاخت وبارك كراوس ، وهرمان برنكر من ألمانيا ، وكريستول من بريطانيا ، وتوماس أرنولد وبتوري ، وديري والروسى ميروسكى وشوليبينشيف ونيكيتيف . ويشير المقال إلى الصراع الذى احتدم بين الأساتذة الأوربيين ، لا سيما وأن الإمبرالية الأوربية بلغت أعلى مراحل تطورها فى تلك الأعوام التى شرعت فيها الجامعة تستعين بالمستشرقين ، وقد لعبت السفارات والقنصليات فى ذلك العهد ، دوراً مهماً فى التنافس والصراع .

غير أن كاتب المقالة يقرر أن هؤلاء المستشرقين أدخلوا مناهج البحث العلمى الغربية إلى الجامعة . وأقاربا التماثلات حول كثير من المسلمات الأدبية والتاريخية فى الأدب العربى . ويتطرق المقال لأربعة من القضايا بمثابة نمثلة فى أربعة مؤلفات سار أصحابها نى وضعها على نهج المستشرقين وهم جيمى زيدان ، أستاذة التاريخ الإسلامى بالجامعة ، سنة ١٩٦٠م ومصنف تاريخ التمدن الإسلامى " ومنصور فهمى وأطروحة (تطوّر وضع المرأة فى تقاليد الإسلام وفى تاريخه) ، التى حاولت وناسة الجامعة إيقاف مناقشتها فى فرنسا وفى يناير ١٩٦٤ فصلت الحكومة المصرية منصور فهمى من الخدمة وألقت قرار تعيينه . ثم الضجة التى أثارت حول طه حسين وكتابه فى الشعر الجاهلى ، ومحنة محمد أحمد خلف الله وأطروحته التى تلم بها إلى جامعة فؤاد الأول عام ١٩٤٧م بعنوان " الفن للتقصص فى القرآن " تحت إشراف أمين الخولى الذى وضع له كيف يمكن نقد آراء المستشرقين مع الاستفادة فى ذات الوقت من منهجهم فى البحث ، وغذّل خلف الله اثتان من لجنة التصكيم ، وخبث العاصفة باستقالة خلف الله من وظيفة مساعد مدرس التى كان يشغلها بالجامعة ، والى تسجيل أطروحة فى موضوع لا علاقة له بالدين قبل أن يحصل على إجازة الدكتوراة .

والمقال يوضح الدور الذى لعبه المستشرقون ومن خلقوهم بالجامعة بإدخال المناهج الغربية للبحث العلمى بمصر . كما بينا المخطوط المرخصة لدخول الاجتهادات القومية المختلفة للاستشراق الأوربى فى شؤون الجامعة . أما القضايا الأربع فدقق دليلاً على رد الفعل العنيف الذى أحدثه أثر المستشرقين على العلم آنذاك فى نفوس أفراد الشعب .

يقول أحمد أمين فى كتابه ، حياتى . ط مصر ١٩٦٦ ، ص ١٤٩ - ١٥٠ :
 " ثم نت الجامعة ، واستدعى لها بعض كبار المستشرقين ، وأخير لها بناء هو بناء الجامعة الأمريكية اليوم ، فأصعبنى من دورها محاضرات بليها الأساتذة فالتفتى فى تاريخ الفلك عند

العرب ، وأيت لونا من ألوان التعليم لم أعرفه ، استقصاء فى البحث وبحث فى اللدوس ومصر على الرجوع إلى المراجع المخطفة ومقارنة ما يقوله العرب وما يقوله الإنجليز ، واستنتاج هادى ، زئبق من كل ذلك " .

فهنا كان هذا إدخالاً لمناهج جديدة فى البحث العلمى أم أنه زرع لبيرة الاستشراق السياسى بالرجعياتة واستنتاجاته ، وإزاء ذلك فلا بد من استشارة مقالة مالك بن نسى ، إنتاج المستشرقين وأثره فى الفكر الإسلامى الحديث ، وكتاب الاستشراق فى الفكر العربى لحسن جاسم الموسوى ، وكتاب إدوارد سعيد ، الاستشراق ، ومقالة أنور عبد الملك ، الاستشراق فى أزمة . وعند لائحة جامعة القاهرة ، والأكاديميين فى مصر بصفة خاصة ، وفى الوطن العربى عامة ، المحرر اليقين ،

١٦ - عبد النبي اصطيف : نحن والاشتراقيين ، مجلة مجمع اللغة العربية ، دمشق ، ٥٢ ج ٤ ، ١٩٨٨ .
 - ١٦٦ ج ١ ، ١٣٧ - ١٣٧ .
 ١٧ - انظر : العقيلي ، الاشتراقيون ، ٤٧٧/١ ؛ بندي : موسوعة الاشتراقيين ، ٩ ، (L. Twissled) ،
 Theological work of the Leninist Dr. Pooock, 2 vols, 1740
 مترجم : DNB ج ٢٦ ، ١٧-١٧ .
 ١٨ - حول رايكسك ، انظر : صلاح المنجد ، الاشتراقيون الألمان ، تراجمهم وما كتبوا به في الدراسات
 العربية ، مقالته ، بوهان ترك ، بوهان بصغوب رايكسك من ص ١٥ - ٢٥ ؛ عبد الرحمن بندي :
 موسوعة الاشتراقيين ، ٢ ، ٩ - ٢٠ .
 ١٩ - انظر ، عقيلي : الاشتراقيون ، ٢ / ٦٩٢ - ١٩٤ ؛ 1777 ، Leipzig ، Leipzig ،
 Morus : von Reiskii .
 ٢٠ - انظر ، بندي : موسوعة الاشتراقيين ، ٤٢٥ - ٤٢٨ ؛ عقيلي ، الاشتراقيون ، ٦٢٧ - ٦٢٩ .
 مجلة فكر وفن ، العدد ٥ ، ص ٥٧ . مقالة أنا صاري شيميل ، توفقة من تاريخ الاشتراقيين في
 النمسا ، يوسف فون هلمر - بيدجستال ، وترجمه ذكريات يوسف هلمر في كتاب
 J. Von Hamme , Erinnerung an die in Wien , Buchverlag - Beck , Wein .
 ٢١ - لهرس صانيف هلمر كلها موجودة في كتاب : Grundriss der jenseitigen Literatur VII, 2, S. 747 - 771 .
 ٢٢ - حول انظر : مقدمة كتاب تاريخ الأدب المغربي . ترجمة صلاح الدين عسر ماسم ،
 كراشكوفسكي مع الخطوط العربية ، موسكو . دار النشر ، ١٩٦٢ ؛ عبد الرحمن بندي :
 موسوعة الاشتراقيين ، ص ٣٦١ - ٣٧٤ ؛ العقيلي ، الاشتراقيون ، ص ٩٤٩ - ٩٥٦ ، أعداد
 متفرقة من مجلة مجمع اللغة العربية ، دمشق ، سنة ١٩٥١ .
 ٢٣ - كوتراخ ، ن : الغرب والشرق 1972 ، Moscow ، Kollant, N. Zapad Vostok ، وانظر أيضاً
 أبحاث جديدة للعلمين السوفييت ، الكتاب الأول ١٩٨٦ ، ص ٢٧٢ ، الكتاب الثاني ، ١٩٨٧ ،
 ص ٢٨٩ ، ودراسات في تاريخ الثقافة العربية (القرون ٥ - ١٥) ، موسكو ، دار النشر ،
 ١٩٨٩ ، ص ٤٢٢ ، بيوت سوفييتية جديدة في الأدب العربي ، موسكو ، دار راديو ، ١٩٨٦ ، ص
 ٢١٢ ؛ مكالم الفسري : مؤثرات هيبة وإسلامية في الأدب الروسي . عالم المعرفة ، الكتاب ولم
 ١٥٥ ، نوفمبر ، ١٩٩١ م ؛ التراث الفكري الإسلامي في أبحاث سوفييتية ، بيروت ، دار الفكر ،
 ١٩٨٧ .
 ٢٤ - حول ماسينيون وأثره في الاتصال الحضاري ، انظر ، نجيب العقيلي : الاشتراقيون ، ١ / ٢٨٧ -
 ٢٩١ ؛ عبد الرحمن بندي : موسوعة الاشتراقيين ٣٦٣ - ٣٧٠ ؛ ذكرى ماسينيون ، القاهرة ، دار
 السلام ، ١٩٩٣ ؛ مجلة الفكر العربي (الاشتراقي ، التاريخ والتجديد والصورة) ، مقالة أديب عامر
 بخران ماسينيون ، الاشتراقي والإنسان ، العدد الثلاثين ، السنة الخامسة ، كانون الثاني / يناير

الهندي :
 ١ - من الفصل الثالث لأستاذة فادوت ، بوهان ، انظر ، بوهان والعالم العربي ، عالم المعرفة عدد رقم
 ١٩٤ ، رمضان ١٤١٥ هـ / شباط ١٩٩٥ ، ص ٣٠ .
 ٢ - من وصية كراشكوفسكي ، مع الخطوط العربية ، موسكو ، دار التقدم ، ١٩٦٣ .
 ٣ - ترمي الشيخ العالم محمد عباد الطنطاوي في ٢٤ ربيع الثاني سنة ١٣٢٨ هـ / ٢٩ أكتوبر ١٨١٦ م ،
 انظر ، محفوظ ، الشيخ محمد عباد طنطاوي ، ٨٢ ، كراشكوفسكي ، مع الخطوط العربية ،
 ٢٤١ (كان الشيخ محمد عباد الطنطاوي ، مدرس العربية في الدعوة الكبيرة الإمبراطورية
 بطرسبرج) انظر ، رحلة الشيخ الطنطاوي إلى البلاد الروسية ، نهاية البعث ، نشر عمان ،
 ١٩٩٢ .
 ٤ -
 5 - انظر ، جوتة وإسلام ، عبد الرحمن صدقي ، مجلة فكر وفن ، العدد الأول ، السنة الأولى ،
 ١٩٦٢ ، ص ٦٩ - ٧٣ .
 ٦ - طبع دار العلم للطالين ، بيروت ، ١٩٨٤ .
 ٧ - القاهرة ، دار الكتاب العربي ، ١٩٦٢ ترجمة مصطفى ماهر .
 ٨ - بيروت ، دار الكتاب الجديد ، ١٩٨٢ .
 ٩ - معهد الإناء العربي ، بيروت ، ١٩٨٢ .
 ١٠ - ميشال جعلا ، الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا ، ٨ .
 ١١ - ط الكوفيت ، ١٩٩٢ ، مجلة عالم المعرفة ، كتاب رقم ١٦٧ .
 ١٢ - بيروت ، دار صادر ، ١٩٧٤ .
 ١٣ - مجلة البعث الإسلامي ، عدد خاص عن الإسلام والاشتراقيين ، رمضان ١٤٠٧ هـ / أغسطس
 ١٩٨٢ ، مقالة ، الصلة مع الاشتراقيين والاشتراقيين تفكي الدين النبوي ، والإسلام والاشتراقيين لا ي
 الليث الهندي الإصلاحي
 ١٤ - مصنف جاسم الموسوي : الاشتراقي في الفكر العربي ، ط بيروت وعسان ١٩٩٣ .
 ١٥ - انظر ، مناهج الاشتراقيين في الدراسات العربية الإسلامية ، صدر في إطار الاحتفال بالقرن الخامس
 عشر الهجري عن المنظمة العربية للثقافة والعلوم ومكتب الشريعة العربية لبلد الخليج ، ط
 الرياض ١٤٠٥ / ١٩٨٥ ، ج ٢٠٠ .

البلاد السعودية ، وكان على رأس العملات التي اعتتمدها جلالته للتداول الرسمي في عهد أولاً ، ثم الحجاز ثانياً ، ثم فيهما معاً بعد ذلك ، كما سيأتي بيانه .

وقبل الدخول في توضيح الكيفية التي وضع بها الملك عبد العزيز الريال الفرنسية قبل التداول الرسمي ، ومسايرة ذلك الإجراء لأهم مراحل التكوين الحديث للمملكة العربية السعودية - يحسن بنا أن نعرف بالريال الفرنسية ، ونسبته المشهور بها ، والمعهد الذي سُنَّ فيه ، ومقدار مائتة منه ، والبلد المُنْتَج له ، واستمرار تداوله خارج موطنه ... إلخ ، ثم محاولة حل الرموز والاختصاصات المشهورة على وجهه ، وشرحها قدر الإمكان ، وتفسير مدلولاتها للقارئ العربي .

وعرف ريال ماريا تيريزيا في أوساط متداوليه ، والمتعاملين به في جزيرة العرب باسم الريال الفرنسية ، أو الريال الفرنسي (١٣) . ولا نعرف سبباً لهذا التسمية إلا أن تكون نسبة إلى فرانتز الأول ، زوج الإمبراطورة النمساوية ، ماريا تيريزيا الذي سلك هذا الريال في عهدها . فقد كان فرانتز الأول راسد ، فرانتز شتيفان (دوق لوتولينج) ، زوجاً للإمبراطورة ماريا تيريزيا منذ عام ١٧٣٦م (١١٤٩هـ) وعليه ، فإن ما يعتقد البعض من انتساب هذا الريال إلى فرنسا هو - في حدود علمي - اعتقاد في غير محله .

أما النسبة الرسمية التي تظهر على وجه الريال ، وتعارف عليها اللاوسون ، فهي تلك التي تنسبه إلى مُصْطَرِّفه ماريا تيريزيا ، فيها يعرف ، وإليها ينسب ، فلا يقال له إلا ريال ماريا تيريزيا ، أو ماريا تيريزيا قائل (٤) . فمن هي إذاً ماريا تيريزيا ، ومتى حكمت ، ومتى ضرب ريالها ، وكيف انتشر خارج وطنه ؟

ولدت ماريا تيريزيا في مدينة فينا (عاصمة النمسا حالياً) في ١٣/٥/١٧١٧م (١١٢٩هـ) ، وتوفيت في ٢٩/١١/١٧٨٠م (١١٩٤هـ) . وكانت إمبراطورتها تشمل إلى جانب النمسا على عدة ممالك ، وولايات ستنحى إلى ذكرها عند استعراضنا للرموز ، والاختصاصات الواردة على وجه العملة .

أما ضرب الريال الفرنسية ، أو ريال ماريا تيريزيا فقد بدأ في دولة المصدر عام ١٧٥٣م (١١٦٧هـ) ، وتوقف عن الصدور في عام ١٩٤٦م (١٣٦٦هـ) . ومع ذلك ، فهو ما يزال يسلك ويُصدور إلى الخارج حتى اليوم بناه على طلب من الحكومة النمساوية (١٤) . ويقال إن مائتة منه حتى الآن يبلغ ٢٢ مليون قطعة نقدية . ويبلغ وزن الريال الفرنسية ٢٨.٦ جرام .

ونسبة اللغز فيه تبلغ ٨٣.٣٪ مع ملاحظة أن جميع ما وصلنا من العملات الفرنسية المختلفة أو الموشحة من قبل الملك عبد العزيز - رحمه الله - يرجع تاريخ سكها إلى عام ١٧٨٠م (١١٩٤هـ) وهي السنة التي يبدو أنه توقف عندها سك هذا الريال على طراز ماريا تيريزيا ، وما صدر منه من قطع بعد هذا التاريخ فهو إعادة سك لسبب إلا .

الوصف وتفسير الرموز والاختصاصات :

أ - الوجه : يعمل الوجه صورة تصفية للإمبراطورة ماريا تيريزيا ملبسة نحو البعير . ومحاطة من الجانبين بكتابة مختزلة تشتمل على اسم الإمبراطورة ، وبعض ألقابها ، نوردها كما هي ، ثم نتمها بلفظها الأم ، ونذكر مدلولاتها باللغة العربية في الأخر (١٦) :

- M. THERESA D.G.R.IMP.HU. BO. REG. S.F

= Maria Theresia Die Gräthia Romanum Imperatrix Hungariae Boheminae

Regina

ماريا تيريزيا قيصرة الإمبراطورية الرومانية ، ومملكة المجر ، وبوهيميا (تشيكوسلوفاكيا) . أما الحرفان " S.F. " فهما اختصار لكلمتين تتعلقان بدار السك ، أو المسؤول عن سك الريال المذكور .

ب - الظهر : يشتمل الظهر على شعار يتضمن رسماً لاسر فارد جناحيه ورجليه ، وله رأسان متجاوران ومظانمران يعطوهما تاج القيصرة . وتتصدر بدن الترس شعار آخر مربع الشكل يرمز للمجر ، وبوهيميا ، وأرض بورجندي ، وبرجمار ، ويعطو المربع تاجان هما : تاج المجر ، وتاج بوهيميا . وحرف بالشارع من اليمين واليسار كتابات مختزلة هي (١٧) :

- ARCHID. AUST. DUX. BURG. CO. TYR. 1780.

= Archidux Austriae Dux Burgundiae Comes Tyrolis 1780 .

إمبراطورة (قيصرة) النمسا المظلمة ، ودرقة بورجندي ، وكونتيسة تيرول . ١٧٨٠م .

مراحل توضيح أو ختم الريال الفرنسية

أشرنا سابقاً إلى أن الريال الفرنسية كان متداولاً مع غيرها من العملات الذهبية والذهبية الأجنبية في الأقاليم السعودية خلال مسيرة توحيدها على يد جلالة الملك عبد العزيز - رحمه الله - ولم يحاول جلالته خلال هذه المرحلة إصدار عملة سعودية خالصة بسبب انشغاله

وأهل الرأي والمشورة فيه من رجاله ، وذلك في ٢٥ جمادى الآخرة ١٣٤٤هـ (١٩٢٥م) [١٣] . وفي هذه المرحلة تم توشيح الريال الفزانة المتداول هناك بكلمة "الحجاز" التي ختم بها على وجهه (١٤) .

ج - أما المرحلة الثالثة : فتمتد من مبايعة الملك عبد العزيز ملكاً على الحجاز في التاريخ المشار إليه ، وكذا مبايعة ملكاً على نجد في العام التالي (١٣٤٥هـ الموافق ١٩٢٦م) [١٤] . وقد نُشِعَ الريال الفزانة في هذه المرحلة بكلمتي "نجد والحجاز" في آن واحد ، بحيث جاءت الأولى في أعلى الوجه ، لتدل على سلطنة نجد وملحقاتها ، أو ملكة نجد بعد تحويلها إلى ملكة في التاريخ المشار إليه . وجاءت الثانية في أسفل الوجه لتدل على ملكة الحجاز ، وبهذا أصبح الريال الفزانة الذي وشح على هذه الصورة ، ساري التداول والتعامل به في ملكة نجد وملحقاتها ، وملكه الحجاز على حد سواء ، وهي أول خطوة من خطوات الوحدة النقدية بين المملكتين . ويغلب على الظن أن توشيح الريال الفزانة على هذه الصورة استمر إلى سنة ١٣٤٦هـ (١٩٢٧م) حينما سلك الملك عبد العزيز - بوحسه الله - الريال العربي السعودي (الكبير) على غرار الريال الفزانة والريال السعودي الشامي [١٥] . ثم أعيد سكّه في سنة ١٣٤٨هـ (١٩٢٩م) إلى أن حل محله الريال العربي السعودي (الصغير) الذي سلك في سنة ١٣٥٤هـ (١٩٣٥م) [١٦] .

وهكذا يلاحظ أن توشيح الريال الفزانة على الصور المذكورة في هذه الورقة ، كان مسابراً لفترة مهمة من مراحل توحيد المملكة العربية السعودية . ذلك التوحيد الذي أعلن بصفة نهائية في جمادى الأولى عام ١٣٥١هـ (١٩٣٣م) [١٦] . كما يلاحظ أن هذا الإجراء كان خطوة أولى من الخطوات المرفقة التي خطتها جلالة الملك عبد العزيز - بوحسه الله - في سبيل ملك عملة وطنية سعودية بدأها جلالاته منذ سنة ١٣٤٤هـ (١٩٢٥م) حينما سلك عملة سعودية عليها اسمه ولقبه متبوعاً بمسمى البلاد العربية السعودية الحديثة قبل توحيدها [٢٠] .

بالمهام الكبرى لتوحيد البلاد . يضاف إلى ذلك أن معظم تلك العملات كانت ذات قيمة صغيرة وعالمية لكونها من الذهب والفضة ، فأبداها - بوحسه الله - قيد التداول حينما وجدت في البلاد التي خضعت لسلطانة سوا ، في نجد وملحقاتها ، أم في الحجاز بعد ذلك ، ولم يخبر شيئاً من طبيعة تداولها حتى على المستوى الرسمي ، بحيث ظلت تستمر في هذا تداولها الهادئ من الزكاة ، والرسم ، وسائر المقرات التي كانت تقدر على تأمين ما هو موجود ومتوافر من تلك النقود [١٨] . إلا أن هذه العملات الفضية والنحاسية كانت عرضة للتخريب ، والخروج من البلاد بشتى الطرق [١٩] . فكان لابد من معالجة هذا الوضع ، والحد منه ، بالإضافة إلى الرغبة في وجود عملة تحمل طابعاً وطنياً رسمياً حتى ولو كان محدوداً . فسلطت الدولة على معالجة ذلك الوضع بأن عمدت إلى توشيح عدد من العملات المتداولة في البلاد ، بأقوى وأسهل الريال الفزانة الذي هو موضوع هذه الورقة ، سواء من حيث انتشاره وسعة تداوله ، أو من حيث الوثوق به لدى المتعاملين [٢١] .

والتوضيح هنا هو طبع كلمة أو أكثر على وجه العملة تحمّل دلالة رسمية تشير إلى امتلاكها من قبل الدولة الجديدة غير الدولة المصرية ، وتشير كذلك إلى براءة تداولها على أرضها ، وحق التصرف فيها ، وخلاف ذلك . وهو أيضاً نوع من الوسم أو الختم كان معروفاً منذ صدر الإسلام حينما ختم الخليفة الثالث عمر بن الخطاب رضي الله عنه كلمة "عمر" على الدراهم السامانية التي كانت متداولة في ديار الخلافة الإسلامية حينذاك . ثم تبعها خطوات أخرى متقدمة في عهد عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما ، وعهد الخليفة الأموي ، عبد الملك بن مروان - بوحسه الله - عندما بدأ خطواته الأولى في تعريب العملات البيزنطية [٢٢] .

وعلى أية حال ، فإن الأداة المادية التي وصلتنا من الريالات الفزانة الموشحة تشير إلى أن هذا الإجراء ، الذي تم في عهد الملك عبد العزيز - بوحسه الله - سابر ثلاث مراحل من مراحل تكوين الدولة السعودية الحديثة هي :

- ١ - المرحلة التجريبية : وفي هذه المرحلة جرى ختم الريال الفزانة بكلمة "نجد" على وجهه [٢٢] ، وتقدر أن هذه المرحلة استمرت خلال الفترة التي تم فيها استرداد ملك آل سعود في نجد وملحقاتها .
- ب - المرحلة الحجازية : وهي فترة قصيرة تمتد من دخول مكة تحت نفوذ الملك عبد العزيز في ١٨ ربيع الأول ١٣٤٣هـ (١٩٢٤م) إلى مبايعة ملكها على الحجاز من قبل أعبائه .

ملحق الصور



لوحة رقم ١



لوحة رقم ٢



لوحة رقم ٣

الإحالات والمصادر والمراجع :

- ١ - برشا ، فورتيد ، النسا والشرق العربي ، ترجمة يونس إبراهيم التميمي ، عمان ، المطبعة الاقتصادية ، ص ٨٦ .
- ٢ - للرجح نفا ، ص ٨٥ - ٨٦ .
- ٣ - أبو علي ، عبد الفتاح حسن ، دراسات في تاريخ الجزيرة العربية في العصر الحديث ، الرياض ، دار المرخ ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م ، ص ٣٧٥ - ٣٧٦ ؛ الحاج ، محمد سعيد ؛ مؤسسة النقد العربي السعودي ، الرياض ، مطابع الأبيي ١٤١٢هـ ، ص ٤٣ .
- ٤ - برشا ، النسا والشرق العربي ، ص ٨٥ ؛ Mitchiner, Michael : The World of Islam, London, Heinwkins, Publications, 1977, pp. 230, 232-234 .
- ٥ - أنادني الزميل الدكتور وليد غنيم ، عصر جنة التدوين في قسم الآثار والتأليف جامعة الملك سعود ، معلومات منقحة عن الإمبراطورية ماريا تيريزيا ، ونظام حكمها ، وأن رجالها الفاضل لا يزال يسلك حتى اليوم بناء على طلب من الحكومة النمساوية ، وذلك بوجهه إلى بعض المصادر باللغة الألمانية التي يحتفظها ، ومن خلال اتصالاته بالسفارة النمساوية في الرياض ، فله ، ولكل من عازنه ، واستجاب له في هذا السعي الشكر والامتنان . وانظر أيضاً : برشا ، النسا والشرق ، ص ٨٥ .
- ٦ - لوحة رقم (١١) .
- ٧ - لوحة رقم (١١ب) .
- ٨ - الشريمان ، نايف : تطور التقود في المملكة العربية السعودية ، الرياض ، مؤسسة النقد العربي السعودي ، ١٤١٩هـ ، ص ٣٧ .
- ٩ - مخرس ، محمد علي : ملاحظ الجبازة الاجتماعية في الجباز ، ط ١ ، جدة ، تهامة ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ، ص ١٩٩ ؛ الحاج ، مؤسسة النقد العربي السعودي ، ص ٥٣ .
- ١٠ - عن المصلات الأجنبية التي تم توحيدها في عهد الملك عبد العزيز ، انظر : Mitchiner : The World of Islam, pp. 230, 232 .
- ١١ - الكرمل ، النحاس ، الثورة العربية الإسلامية وعلم النيات ، القاهرة ، مكتبة الثقافة العربية ، ١٩٨٧م ، ص ٣٨ - ٤١ .
- ١٢ - لوحة رقم (١١) .
- ١٣ - الرحمان ، أمين ؛ نجد وملحقاتها ، ط ٥ ، منشورات الفارسية ، ١٩٨١م ، ص ٤٢٧ ، ٤٣١ .
- ١٤ - لوحة رقم (١٢) .

- ١٥ - الزركلي ، خبير اليمن : شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز ، ط ٢ ، بيروت دون تاريخ ، ١٣٦٩هـ ، ج ٢ ، ص ١٥١ : العثيمين ، عبد الله و تاريخ المملكة العربية السعودية ، ط ٢ ، ص ٣ ، الرياض ، مكتبة المهيكلان ، ص ٢٠٢ .
- ١٦ - لوحة رقم [١٢] .
- ١٧ - الحجاج ، مؤسسة النقد العربي السعودي ، ص ٥٥ .
- ١٨ - دين مؤلف ، متحف المملات ، الرياض ، مؤسسة النقد العربي السعودي ، الرياض ١٤١٦هـ ، ص ٢٦٤ - ٢٦٥ ، أرقام ٩ ، ١٢ ، ١٤ .
- ١٩ - العثيمين ، تاريخ الملكة العربية السعودية ، ج ٢ ، ص ٣٠٨ .
- ٢٠ - الحجاج ، مؤسسة النقد العربي السعودي ، ص ٤٥ .

أحمد بنوقدي عطا الله الجمل (١٥)

الصراع العربي الأوربي

في شرق إفريقيا

عرف العرب منذ وقت مبكر بلاد الساحل الشرقي لأفريقية المواجه لبلادهم - فهم كما عير عن ذلك كوريلاند (Coupland) الجيران لسكان شرق أفريقية (Next doomeigh) (bours) ، فكان لايد أن يمدوا نشاطهم وقمارتهم وصانعهم إلى سواحل أفريقية الشرقية المواجهة لهم (١٦) .

وكان أن استقر بعض العرب على الساحل الأريقي المقابل لشبه الجزيرة العربية ، ليكوتوا حلقة اتصال بين إخوانهم في شبه الجزيرة وبين وكالات تجارية قامت على ساحل أفريقية الشرقي أو على الجزر القريبة من الساحل ، وكان معظمها مستقلاً ، ولكل منها حاكم خاص يحكمها ، وأسدت الوكالات أو المدن الساحلية العربية من مقديشو في الشمال حتى سنالة في الجنوب (١٧) .

* - أساءة التاريخ المعبث والمعاصر يمدد البحوث والدراسات الأفريقية - جامعة القاهرة .

المدن مثل كلوة ، ومكسة ، ومالندى ، ونجا ، وزنجبار ، ومقدشيو وما هي عليه من نظمهم ، ورفاه - وحضارة .

وعندما وصل فاسكوداجاماما (Vasco Da Gama) إلى موزمبيق في عام ١٤٩٨م وجد أن حاكم المدينة كان ناثياً عن سلطان كلوة ، وكان يجهى الضرائب على السفن التي ترده للمدينة لمسا به ، وذكر أنه كانت هناك علاقة مصاهرة بين سلطان كلوة وأمير مكسة . فقد كان هذا الأمير متزوجاً ابنة سلطان كلوة (١٤)

وبالطبع لدينا أيضاً كتابات الرحالة الأديبين خاصة البرتغاليين الذين رقدوا لهذه الجهات بعد كشف طريق رأس الرجاء الصالح ، وكتبوا عن مشاهداتهم فيها ، ومن هؤلاء الكتاب فاسكوداجاماما الذي زار موزمبيق وتغيرها من مدن أفريقية شرقية ووصف ما كانت تتمتع به من حضارة ، ووصف ملابس الناس المغربية ومنازلهم المؤنثة بالأثاث الفاخر ، كذلك تحدث دوارت Duarte Bardosa عما شاهد، في كلوة ، ومكسة ومالندى (١٥)

لما عن الأسباب التي دعت إلى هجرة العرب إلى ساحل أفريقية الشرقية بالذات فأهوها :

- ١ - معرفة العرب - خاصة سكان السواحل - بسواحل أفريقية الشرقية ، والمهارة التي اكتسبها في مجال الملاحة في البحار والمحيطات .
- ٢ - بيئة بلاد العرب الصحراوية - وهي بيئة طاردة تدفع سكانها - على الأمل في فترات معينة - للخروج من بلادهم سعياً وراء الرزق .
- ٣ - تشابه مناخ شرق أفريقية ومناخ ساحل عمان بالذات ، مما ساعد على استيطان عرب عمان خاصة ، والعرب عامة ، وعلم شعورهم - كالأديبين حين وفدوا فيها بعد للساحل - بقسوة المناخ .
- ٤ - عامل الجوار فساحل شرق أفريقية متقابل للساحل الجنوبي والغربي لشبه جزيرة العرب ، وإذا علمنا أن المسافة بين زنجبار وميناء عدن لا تتجاوز ١,٧٠٠ ميل ، ومن زنجبار لمستقط لا تتعدى ٢,٧٠٠ ميل فإنه يمكن أن ندرك أن الامتداد العربي لهذه الساحل الأفريقية كان شيئاً طبيعياً .
- ٥ - عامل جغرافي ومناخي يتعلق بالرياح الموسمية - ففي ديسمبر تهب الرياح من الشمال والشمال الشرقي ، ويستمر هبوبها بانتظام حتى نهاية فبراير . وهكذا أصبح

وقد أطلق بعض المؤرخين على هذه التجمعات العربية بشرق أفريقية اسم (الإمارات العربية في شرق أفريقية) لأن كل تجمع منها كان على رأسه أمير عربي .

ولم يلبث أن سيطر التجار العرب على المحيط الهندي ، وأصبح النشاط التجاري في هذا المحيط قاصراً على السفن العربية .

وكانت المدن العربية بساحل أفريقية الشرقي عامرة ، شيدت فيها المباني المزودة برسائل الراحة . وإلى جانب العرب وجد في هذه المدن الهنود الذين كانوا يقومون بأعمال الصرافة والسمسرة ، كما نشأت بهذه المدن طبقة من المولدين ، وكذلك وجد العبيد اللذين يملكون كعبالين ، وخم وجنود ، وهؤلاء جميعاً كانوا يكوّنون ما نعرف (بالشعب السواحلي) .

وقد سادت في هذه المدن اللغة السواحيلية التي هي نتيجة التفاعل الطبيعي بين اللغة العربية واللغات واللهجات الأفريقية التي كانت سائدة في هذه المنطقة .

وإذا كانت قد رقدت إلى شرق أفريقية - في وقت مبكر - وفود أخرى غير عرب شبه الجزيرة ، من فارس ومن شبه القارة الهندية ، لكن الأثر العربي كان أقوى وأعنى من العناصر الأخرى .

وقد اشتهرت منطقة شرق أفريقية والجزر المقابلة للساحل الشرقي للقارة سكان السواحل العربية من مصيطة وعمان وغيرهم من أهل الخليج العربي ، ومن السينيين والحضارمة .

وهكذا حتى كان ظهور الإسلام في القرن السابع الميلادي ، نجاء ذلك وقتاً جديداً للعرب للهجرة إلى شرق أفريقية سواء لنشر دينهم أو بسبب الأحداث السياسية في العالم العربي الإسلامي .

وللاحظ أن العرب في شرق أفريقية كونوا إمارات متفرقة ، فلم تتكون لهم دولة عربية متحدة لها قوة عسكرية واحدة تتابع عنهم ، وسهل ذلك مهمة البرتغال - بعد كشف رأس الرجاء الصالح في عام ١٤٩٨م والوصول لشرق القارة - في أن يخضعوا هذه الإمارات العربية لسلطانهم الواحد تلو الأخرى (١٦)

على أن هذا لم يتبع في بعض فترات التاريخ من أن يكون لإحدى هذه المدن سيادة على منطقة من الساحل ، أو أن تكون بينها وبين مدينة أو أكثر صلات وصلات ، وقد زار ابن بطوطة بعض الإمارات العربية بشرق أفريقية في عام ١٣٣٢م وتحدث عن أوضاع بعض هذه

لكن ليس معنى هذا أن النفرة العمري لم يتوغل في بعض الأحيان إلى وسط أفريقية ،
مبتدأ يذكر أن أفراد من قبيلة الحرت العشمانية جاؤا من عمان إلى زنجبار وكسبة وتوغلوا في
الداخل (١٧) .

وفي هذا المجال نشير إلى الدولة التي كونها الزعيم العمري (حميد بن محمد المريخي)
التي اشتهر في كتب الرحالة باسم تيبوتيب (Tippo Tip) والتي امتدت إلى أعالي الكنتور .
واتخذ المريخي مدينة (سيجو) عاصمة لدولته التي ظلت قائمة حتى قضى عليها استائلي
وضعا لدولة الكونغو الحرة التي كان يديرها لحساب ذلك لهوبولد الثاني ملك بلجيكا (١٨) .
ولسحرت السفن العربية التي عُرفت باسم (الدارات) تحصل من وقت لآخر مهاجرين جدد
للساحل الأثريخي (١٩) .

أما عن المدن أو الإمارات العربية التي أنشأها العرب المهاجرون في شرق أفريقية ،
وكما جاءت في تقارير الرحالة العرب والتجار الهولنديين فهي (١) .

مقديشو : ينسب تأسيسها إلى سبعة أئمة من الإحساء جاؤا إلى ساحل أفريقية الشرقي
في ثلاث سفن ، نزلت ساحل بنابر في الصومال وأسسوا مدينة مقديشو ، براوه . وكان
لهم دور واضح في نشر الإسلام والمذهب السني باللات في ساحل أفريقية الشرقي (١٠) .

وآزدهرت مقديشو في القرن الرابع عشر الميلادي عندما زارها ابن بطوطة وأطلب في
وصف المدينة وعادات أهلها ، واستمرت لمقديشو مكانتها إلى القرن السادس عشر الميلادي
حين برزت كلوة وانتزعت منها تجارة الذهب مع سفالة (١١) .

وقد حاول البرتغاليون بعد وصولهم إلى شرق أفريقية إخضاعها لنفوذهم ، لكنهم وجدوها
محصنة . وقد وصفها فاسكوداجاما فذكر : إنها كانت جميلة بأذخ ، كبيرة ، تحيط بها
الأسوار ، ومبانيها عالية ، والسفن الراسية في مينائها لا يحصنها العد (١٢) .

برواه : تقع جنوب مقديشو ، شمال نهر جوبا ، وقد اتخذ الزيدية الشيعة من براوه حاضرة
لدولتهم في عام ٧٤١م (١٣) .

وجين وصل البرتغاليون إلى ساحل أفريقية الشرقي وجدوها مدينة كبيرة ، بيوتها مشيدة
من الحجارة ، وقد حاول البرتغاليون في عام ١٥٠٧م إخضاعها لنفوذهم ، ثم عادوا لهاجستها
في عام ١٥١٦م ودمروا الكثير من مبانيها وقتلوا كثيرين من سكانها ، ووضعوا أيديهم على

التجار العرب الذين يبدؤون رحلتهم في السفن الشراعية في الشتاء ، يستعينون بقوة
الرياح في سفرهم جنوباً صوب الساحل الأثريخي - وفي العودة إلى أوطانهم في الربيع
يعد أن يكونوا قد قضاوا بضعة شهور على الساحل الأثريخي لتجارة بحدود أيضا
الرياح مؤاتية لهم للعودة إلى أوطانهم .

٦- يمكن أن نشعر أن الوضع كان يتم في البداية بهذا الشكل إلى أن استقر بعض
التجار العرب على الساحل الأثريخي ليرتبوا لهم ، أحبابهم وأتباعهم في الموسم
القادم ، ومن ثم نشأت المدن الساحلية . والبعض يعتبر أن هذه المدن مجرد عملية
انتشار (Fission) من المدن العربية الأصلية فمدينة سفالة هي صورة لمدينة طقار
العربية ، وقد أطلق البعض عليها اسم طقار الزنج . ولاحظ بعض الذين زاروا هذه المدن
أن العرب عاشوا فيها حياة شبه حياتهم في بلادهم الأصلية (١٦) .

٧- الأحداث السياسية في الآمة العربية كالنزاع الذي نشب بين بعض فرق المسلمين ما
أدى لهجرة بعض الأحزاب القطرية على أمرها إلى شرق أفريقية واتخذوا هذه الجهات
موطأ لهم .

ولنضرب مثلاً لذلك بما حدث أثناء حكم عبد الملك بن مروان حين هاجر بعض الأمويين إلى
(لاسر) وعاشوا بها .

والتاريخ لا يذكر لنا حروبا أو معارك قامت بين المهاجرين العرب والسكان الأصليين بشرق
القارة ، فصلة الهجرة والاستقرار كانت تتم بهدوء .

وكان المهاجرون بعد نشرة من الزمن يتدمجون في السكان الأصليين وتزاوجون منهم ،
وهكذا نشأ جيل جديد نتيجة هذا التزاوج والاندماج .

ونشير إلى أن الهدف التجاري كان هو الغالب في تنظيم العلاقات التاريخية ، إلى جانب
بعض الظروف السياسية ، ولذا لم تسيطر فكرة الاستعمار والاستغلال على سلوك العرب
المهاجرين إلى شرق القارة ، فلم يهتموا مثلاً باحتلال الأراضي إلا بالقدر الذي يحتاجه الشر
التجاري . ولذا كانت رفعة الإمارات على الساحل الشرقي لأفريقية صغيرة ، وبالطبع هناك
عوامل طبيعية أخرى أدت إلى حد ما عدم انتشار العرب وتوغلهم في الأراضي لسافات
كبيرة .

وقد نجح البرتغاليون منذ البداية في عقد صداقة مع حاكم مالتى أقام البرتغاليون على
مخبرة في البناء نصفاً تذكاريًا بسجل وصولهم لهذه البلاد (١١٦).

ميسنة : مدينة كبيرة تقع جنوبي مالتى - أسسها حسن بن على في القرن العاشر
الميلادى - وقد زارها ابن بطوطه في عام ١٣٣٦ وأشار إلى أنها جزيرة كبيرة تنمو بها أشجار

اللبن والوز ، وبها مساجد من الخشب ، وأهلها شاقصيو الذهب (١١٧) . كانت ضاحك في تلك

وعند وصول البرتغاليون إليها شاهدوا بالبناء عددًا كبيرًا من السفن التجارية وذكروا أن

المدينة كبيرة ، منازلها مشيدة بالأحجار ، وأن شوارعها واسعة يخترقها الفرسان مطين

ججدهم المظلمة ، وأشاروا إلى ثراء سكانها ، فأنسا ، ترتدين الشباب الفاخرة اللوثة بالان

الذهب والزبدانة بالأحجار الكريمة ، وأسواقها عامرة بالقنادير الكبيرة من العاج والشمع

والعمل ، وكان يحكمها وقت معنى ، البرتغاليون السلطان شجاعة بن معشم الشيرازى (١١٨).

همها : جزيرة تقع شمالي زنجبار ويفصلها عن الساحل قناة ، وأرضها تتميز بالخصوبة ،

تزرع فيها مختلف المصاصيل كالأرز والسم والبرتقال واللبون ، كما تكثر بها الماشية .

زنجبار : جزيرة تفصلها عن الساحل قناة يزيد اتساعها عن ٢٥ ميلاً وساحة الجزيرة

حوالى ٦٤٠ ميلاً مربعاً (١١٩) .

وزنجبار تعنى أوض الزنج (١٢٠) .

وتقع الجزيرة على بعد عشرين فرسخاً من بحيرة .

كعبان كبيرة من الذهب والفضة التي كانت بالمدينة . وفي براوة مسجد يرجع تاريخه إلى
القرن التاسع الهجرى .

بهاقي : تقع في أرخبيل لاهور الذي يضم عدة جزر منها باتى ، ولاس ، وماندا ، ويجمع
تأسيس باتى إلى لسيان . وسعد ابنى الجلبندى من عمان وكان ذلك حوالي عام ٧٠٥ م .

وفي عام ١٢٠٣ تزوج أحد سلاطين مستط من الأسرة النبهانية بإبنة اسحق حاكم باتى ، ثم

ورث الملك وأصبح أميراً شرعياً ، ونقل قاعدة ملكه من عمان إلى شرق أفريقيا . وتأسست

الأسرة النبهانية في باتى ولعبت دوراً هاماً في نشر الإسلام في شرق أفريقيا .

وقد استطاعت الأسرة النبهانية في باتى خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر سط

نغوذها على عدد كبير من مدن الساحل الشرقى .

لاصو : جزيرة تقع أمام كينيا الحالية على بعد ١٥٠ ميلاً تقريباً شمالي بحيرة ،

أسسها جماعة من الأمويين الفارين من الشام أيام عبد الملك بن مروان (٧٥٤هـ / ٦٩٤م) (١٢١) .

ولما وصل سليمان بن حياه الجلبندى وأخوه سيد من عمان لساحل أفريقيا الشرقى حوالي

عام (٨٦٠ هـ / ٧٠٥ م) اعترف لهم المهاجرون السابقون بالزعامة على أن يستبقوا في لاهور

مجلس الشورى الذي كان قائماً بها .

وفي عام ١٥٠٦م وصل البرتغاليون بسفنهم إلى ساحل لاهور . فاضطر حاكمها لأن يدع

لهم الجزيرة حتى يتفادى تدمير سفن البرتغال للمدينة ومبانيها .

مالتى : مدينة قديمة على الساحل الشرقى لأفريقية ، قدم إليها حسن بن على وأولاده

السة من شيراز فهدموا المدينة القديمة وأقاموا مكانها مدينة جديدة اتخذت نفس الاسم وتميز

بالطرز الفارسي .

وحين وصل البرتغاليون إلى الساحل الشرقى زاروا مدينة مالتى ، ودهشوا عما شاهدوه من

طرق صعدة ، ومن منازلها الحجرية الجميلة المتعددة الطبقات ، ومن ثراء سكانها وخصوبهم ،

فقد كانوا يلبسون الثياب الحريرية ، والقطنى الدقيقة الصنع ، وكانوا يحملون السيوف

والخناجر (١٢١) .

وعندما زار فاسكوداياما المدينة وجد بها عددًا كبيرًا من التجار الهنود . وذكر أن بها

الأشجار الثميرة ، وأنه دهش لأعداد الماشية والطيور الداجنة بها .

ظلت الموجات العربية للساحل الأفريقي مستمرة لقرون دون انقطاع . بل زادت الأخطار السياسية في الهجرة العربية شدة .

ولذلك كان تأثير العرب على السكان الأصليين قوياً وواضحاً .

أما ما تذكره بعض المراجع الأجنبية (Coupland) من أن العرب كونوا أرسنقراطية منغلقة عن السكان الأصليين فهو أمر تشببه الظواهر التي تلت هذه الهجرات (٢٢٣) .

٢ - نشأت نتيجة الاستقرار العرسي في سوق أفريقية مدن ومراكز تجارية ، أصبحت بعض المدن مدناً ومراكز عامرة ، يمارس سكانها التجارة على نطاق واسع . وانتشر الإسلام في هذه المناطق ونبت الدور الحجرية والمساجد في كل مدينة كما أروضنا من قبل .

وإن كما لا ندعي أن الإسلام انتشر منذ علوم المسلمين لهذه البلاد واستقرارهم فيها على نطاق واسع بين الأفارقة بحيث دخلت أعداد كبيرة منهم في الإسلام - لكن لا شك في أن الاحتكاك بين العرب المسلمين وبين الأفارقة في المعاملات التجارية وغيرها وما له الأثر من أمالة العرب في المعاملة وصدقتهم - كل ذلك جعل أعداداً من الأفارقة يدخلون طواعية في الإسلام .

على أن ترجمهم في حديثه عن الإسلام في شرق أفريقية يرى أن هناك أربع مراحل مر فيها تاريخ هذه البلاد التي أطلق عليها اسم بلاد الزنج :

أ - مرحلة الهجرات العربية للساحل واستقرارهم فيه .

ب - المرحلة الشيرازية التي تبدأ من مجيء حسن بن علي وأولاده الستة بينهم من شيراز عام ٩٧٥ م . إلى الشاطيء الشرقي لأفريقية . وأقامتهم فيه واتخاذهم (مالدني) عاصمة لهم حيث بدأت تظهر التأثيرات الفارسية في المنطقة .

ج - مرحلة التلوذ البرتغالي التي تبدأ باكتشاف البرتغال ، طريق رأس الرجاء الصالح بدورهم لشرق أفريقية في عام ١٤٩٨ . وتشبيهم المدن والقلاع في بعض الموانئ ، بشرق القارة .

د - نهاية السيطرة البرتغالية على شرق أفريقيا (١٥٠٠ - ١٦٩٨ م) .

على أن محور مدن وسوانى ، أفريقية الذي ساهم فيه العرب وخاصة عرب عُمان بعد أن تحورت سواحل عمان ذاتها من الاحتلال البرتغالي - أعاد العلاقات العربية مع ساحل أفريقية لسيرتها الطبيعية .

ولم أصبحت كلوة بعد ذلك مركزاً تجارياً هاماً وسطت سيادتها حتى سفالة في الجنوب .

وعندما وصل إاجاما لشرق القارة ، وجد في سفالة عملاً لسلطان كلوة يجمع الضرائب على السفن التجارية ، مما يدل على أن كلوة قد سطت سلطانها على المناطق الواقعة جنوبها . وقد سيطرت كلوة على تجارة الذهب في المنطقة ، وأصبحت المركز الرئيسي لهذه التجارة في شرق القارة ، وكانت سفالة هي المصدر الرئيسي للذهب (٢٢١) .

وقد تمكن أهل سلطنة كلوة من الوصول إلى عدد من الجزر والموانئ ، المجاورة وعصروها .

وقد امتد نفوذ سلطان كلوة - كما ذكرنا - إلى سفالة ، وموزمبيق في الجنوب ، ومالدي في الشمال ، لكن ضعف نفوذ سلاطين كلوة بسبب الصراع على الحكم بين أفراد البيت الحاكم .

موزمبيق : تقع بين سفالة في الجنوب ، وكلوة في الشمال ، وقد اكتسبت أهمية تجارية بسبب موقعها لصلاحية مينائها لاستقبال السفن .

ولما وصل البرتغاليون لشرق القارة زاروا موزمبيق ، وقد أشادوا ببيئتها الحجرية ، وذكروا أن شبيحتها كان نائياً عن سلطان كلوة يجمع الضرائب لحسابه ، وأنه كان يلبس ثياباً حميرية ويقتل السيف والخنجر .

سفالة : من أقدم موانئ شرق أفريقية ، استوطنتها جماعة من وقفا من شيراز ، وكانت مدينة مزدهرة طوال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين .

وقد ذكر المسعودي ' إن بلاد سفالة هي أقاصم بلاد الزنج تلصدها مراكب العمانيين والشيرازيين ، وفيها جبال فيها مناجم الحديد ' (٢٢٢) .

وكما ذكرنا فإن الهجرات العربية لساحل أفريقية الشرقي لم تكن الهجرات الوحيدة ، فقد كانت هناك هجرات أخرى من القوس ، ومن الهند ، لكن لا شك في أن الهجرات العربية كانت أقوى هذه الهجرات تأثيراً على المنطقة وسكانها تقرب شبه الجزيرة العربية من الساحل الشرقي ولاستمرار انتظام تدفق العرب على شرق القارة .

وقد ترجم على الوجود العرسي في هذه الموانئ ، واحتيطاتهم لها عدة نتائج أهمها :

١ - اختلط العرب المسلمون الذين وفدوا إلى الساحل بالأفارقة وتزوجوا منهم ، وترتب عن ذلك نشأة جيل جديد من السواحلية . وتشير المراجع إلى أن ارتباط العرب المهاجرين بوطنهم الأصلي لم ينقطع عما حال دون ذوبانهم في الأفارقة أصحاب البلاد الأصليين ، فقد

ويذكر كريبلاند (Cruipland) أن للرحلات العرب والأجانب على السواء الذين زاروا الإمارات العربية في شرق أفريقيا تحدثوا عما رأوه بهذه الإمارات من مظاهر الحضارة والرفاهية (٢٧٧).

يذكر ابن بطرطة مثلاً "إنه في مقديشيو - كانت تقوم صناعة نوع من الأقمشة الدقيقة الذي تصدر لمصر". كما يذكر الإدريسي إنه سمع إن في مالندي - وسفالة توجد مناجم الحديد مستغلة ، كما أن العرب المهاجرين أدخلوا في هذه الجهات زراعة البرتقال ، والفواكه الأخرى بالإضافة إلى البلع والبقول ، والأرز ، فكانوا يزرعون هذه الفواكه والخضروات بجوار مجارى المياه ، وفي المدن الحديثة التي أنشأوها ، هذه بالإضافة إلى تربية الماشية والأغنام .

ولقد زار ابن بطرطة كلوة ، ومجسة ، ومقديشيو ، سنة ١٢٣٣م ، ودهش مما كانت عليه هذه المدن من تنظيم ، ومن حالة الرخاء السائدة في هذه المناطق ، ووصف الشوارع المنيقة التي رآها ، ومنازل العرب المبنية هناك من الحجارة ، ذات النوافذ الخشبية المزينة بالنقوش المنحوتة ، كما كانت المنازل حقائق غناء ، ويذكر إنه شاهد في كل مدينة زارها من مدن الساحل الأفريقي الشرقي مسجداً مزينا بنقوش يبدو فيها تأثير الفن القارسي .

ولس ابن بطرطة (ينقصه أن العرب في هذه المستعمرات لم ينسوا تقاليدهم العربية ، فيذكر أن الحداد في هذه الإمارات العربية إنه حين ترد سفينة لساحل يتقدم شيان المدينة ويأخذ كل منهم تاجراً أو أكثر لبيته ، وإذا كان بالسفينة رجل من عيلة القوم فإنه ينزل في ضيافة قاضي المدينة . ويذكر إنه هو نفسه نزل في ضيافة القاضي ، وأنه قدم له أشهر الطعام من أسماك وطيور وخضراوات ، وبعض البساتين المملوكة في اللين ، وكذا الاليسون والنخل وبعض الفواكه الشهية كالنفاخ (٢٧٨) .

ونرى الروايات الأديسون أيضاً الذين زاروا الإمارات العربية بشرق أفريقيا فيما بعد ، بما كانت عليه من حضارة ورفاهية ، فقد لسوا فيها كما يقول (كريبلاند) مجتمعاً متحضراً لا يقل من المجتمع الأديسي في ذلك الوقت .

من ذلك أن فاسكو دا جاما (Vasco Da gama) الذي اشتهر برحلته حول أفريقيا في آخر القرن الخامس عشر . شاهد في موزمبيق الناس يرتدون الملابس الطيرية الموشاة بالذهب ، وكانت سيوفهم وخناجرهم مرصعة بالفضة .

٢ - اللغة السواحيلية : غت هذه اللغة كلغة للتجارة في الساحل الشرقي في مراكز الإيبيطان العرس ، وهي مركب لغوي من أصل بانتوي أفريقي مطعم بألفاظ عربية ، فأسسها عناصر تنصل اتصالاً مباشراً بلغات البانتو الأفريقية ، لكنها تأثرت باللغة العربية نتيجة الاحتكاك التجاري لقرون طويلة (٢٧٩) .

وقد انتشرت هذه اللغة بين سكان الساحل الشرقي في أفريقية وامتد نفوذها غرباً في داخل القارة .

وقد أصبحت لهذه اللغة أصول ، وألفت بها الكتب ، وأصبحت لها معاجم ، كما أصبحت لغة قومية لأهل المدن والنقور الساحلية (٢٨٥) .

٤ - انتشار الإسلام في شرق القارة وتوفله للداخل :

وقد نشر العرب المهاجرون للساحل الشرقي للقارة - الإسلام - في المدن الساحلية التي استقروا بها . وكان انتشار الإسلام بالطرق السلمية ، وعن طريق اختلاط العرب المسلمين بالأفارقة والتبادل التجاري معهم . وإذا كانت العوامل الطبيعية وغيرها قد حدثت في البداية من توغل العرب للداخل وأدت لبقائهم في الشريط الساحلي لكن الظروف التي تعرضت لها المدن الساحلية . خاصة بعد وصول البرتغاليين لشرق القارة أجبرتهم على التوغل في داخل القارة .

وقد حصلت القبائل العربية الرافدة للشاطئ الأفريقي معها مذاهبها ، فانشرت المذهب الشافعي السني بين سكان المدن الساحلية ، كما حمل الرافدون معهم مذهب الإباضية والزيدية والإسماعيلية .

كذلك وصلت لشاطئ شرق أفريقية عدة فرق صوفية ، في مقدمتها الطريقة القادرية التي يرجع الفضل في نشرها للمهاجرين البينيين ، وأسهم أتباع هذه الطريقة في نشر الإسلام بين الأفارقة في شرق القارة (٢٦٦) .

٥ - الحضارة العربية : أصبحت الإمارات العربية في شرق أفريقية - كما ذكرنا - مزدهراً تجسج في أنظمتها بين آسيا ، أفريقية أصيلة ، وبين آسيا ، عربية إسلامية ، فمسا لاشك فيه أن العرب المهاجرين إلى هذه الجهات قد حملوا معهم حضارتهم الزاهرة .

وكانت البرتغال قد بدأت في الظهور منذ أواخر القرن الحادي عشر حين استطاع الفرنسي الأول (Alfonso I) أن يطرد المسلمين من لشبونة ليجعلها عاصمة للمملكة البرتغالية النامية . أخذت البرتغال ومنذ ذلك التاريخ تتكامل مكوناتها . وفي عهد الملك حنا الأول (John I ١٣٨٣ - ١٤٣٣) أصبح للمملكة أسطول بدأ يهتم بالكتشوف الجغرافية . وترغم حركة الكتشوف الجغرافية هذه الأمر هنري ، ثالث أبناء الملك والذي اشتهر باسم هنري الملاح .

ولعل سبق البرتغال للبول الأودبية الأخرى في ميدان الكتشوف أدى لصراع عنيف بينهم وبين العرب الذين كانوا قد استقرت جماعات منهم من أمد طويل بالساحل الشرقي للقارة . ويرجع

هذا الصراع إلى :

١ - عامل تاريخي :
يرتبط هذا العامل بالظروف التي أعادت بالصراع بين العرب والأوروبيين في الأندلس . فقد استطاع البرتغاليون - قبل الأسيان - أن يخلصوا من حكم العرب واستطاعت أسرة أفيز (Aviz) البرتغالية أن تكون ملكية برتغالية مستقلة قبل أن ينجح الأسيان بعد ذلك بثلاثة قرون في طرد العرب نهائياً من آخر معاقلهم (غرناطة) التي سقطت في سنة ١٤٩٢م .

ولذا استطاعت الملكية البرتغالية الناشئة أن تتفرغ لمواجهة العرب . كما أن حروب البرتغال ضد المسلمين أعطتهم دفعة دينية في الوقت الذي كانت فيه الحساسة الدينية التي سيطرت على أوروبا أيام الحملات الصليبية الأولى قد فترت .

والبعض يعتبر حملات البرتغاليين وتعبئهم للعرب في أفريقية وغيرها - امتداداً للحروب الصليبية - ولعل تصريح الملك جون الأول John I ملك البرتغال بأن الميدان الحقيقي الذي يكسب فيه أفراد البيت المالكة الفخار هو ميدان الحرب ضد المسلمين في المغرب ، وكذلك مباركة البابوية للحملات البرتغالية في هذا المجال تدل على الدافع الديني وراء هذا النشاط البرتغالي (٣٠١) .

٢ - عامل جغرافي :

يشتمل في موقع البرتغال بالنسبة لأفريقية . وقربها من السواحل الأفريقية . وقد تواترت رحلات البرتغاليين ، لساحل أفريقيا الغربي فاستولوا على (سبتة) المغربية في ١٤١٥م ، واحتلت جيوشهم جزر كناريا ، في ١٤٢٤م وجزر ساو ديلا . وأزوروس ١٤٣٧م ،

كما شاهد وهو مار بقديشيو المنازل العاليية من عدة أديار ، والتقصود في وسط المدينة . وفي مالندي استقبلت بعثة دايماس في قصر مفروش بالسجاد ، وموث بأثاث فاخر ، وقدر لها عدة هدايا فاخرة .

كذلك شهد نفس الشهادة دوار بربوسا (Doame Barbaosa) وهو رحالة زار كزور ، وكبسة ، ومالندي وديا ، وديجبار .

وتحدثت البرتغاليون الذين استقروا بعد ذلك في هذه الجهات عن مظاهر هذه الحضارة الزاهرة فيها .

ويعلق (كويلايد) على هذا بقوله "إننا يجب ألا ندهش لما يذكره هؤلاء الرحالة عن مظاهر الحضارة التي نقلها العرب لشرق أفريقيا . فإن العرب كانوا في ذلك الوقت حملة لواء الحضارة . فلاشك في أن مدارس بغداد ، والقاهرة ، وتونس كانت في القرن الثالث عشر تنفق تلك التي في أكسفورد أو التي في أية مدينة مسيحية أخرى (٢٩٠) .

وتغنيا هذه الشهادة من أجناس استعماري عن كل تطبيق آخر .

ودغم أن (كويلايد) يذكر أن العرب كانوا في السواحل الأفريقية يكونون أرسطاطيذ - تمثل الطبقة الحاكمة آلت لها السيادة . وأنهم لم يخططوا بالسكان - لكن الشراهد تنتفض هنا الادعاء قائماً فهم لم يكونوا يعيدون عن السكان أو متباعدين عنهم - لقد اختلطوا بالسكان وتزاوجوا منهم وأثروا فيهم - ولاشك في أن الحضارة الغربية كانت ومازالت جزءاً من النسيج الحضاري لشرق أفريقيا .

وقد عاد كويلايد نفسه فناقض نفسه ، واعتزف بروح العبة التي سادت بين السكان الأصليين والمهاجرين الجدد ، والتي ترتب عليها تزاوجهم . وكانت النتيجة جنس بدت فيه الصفات الزنجية المبدلة ، كما بدت فيه الكثير من العادات والصفات الغربية .

وهو اليرتغاليين لشرق أفريقية واصطادهم بالعرب المستقرين في هذه المناطق :

من الغرب أن الدورة الأوربية التي بدأت تتوغم حركة الكشف الجغرافي بهذا الوصول إلى شرق القارة الأفريقية وإنهاء الاحتكار الذي كان يمارسه المسلمون لتجارة الشرق - كانت هي البرتغال - وهي دولة أوربية صغيرة كانت ناشئة في ذلك الوقت .

بعض رجال بلاطه إن دوافعه لاكتشاف الطريق للهند هو نشر المسيحية والخمس على ثروات الشرق . وفي هذا الاجتماع سلم الملك لفاسكوداجاما راية من الحرير الأبيض رسم عليها الصليب ، وطلب الملك أن يكسب الرسالة أن يرفع تلك الراية ويحسبها رداً عن رايها حتى الموت (١٣٣١) .

وقد وصف داجاما الإشارات العربية وما بها من حضارة زاخرة ، وذكر أن سكانها يرتدون الملابس الفظيئة الملونة ويرتدي بعضهم الملابس الحريرية - بعكس سكان أفريقيا الغربية المرأة - وتتخطفون بأحزمة عنقضة في وسطهم تتدلى منها السيوف والخناجر .

وتزده داجاما أيضاً بما لمسه في دوائر بلاط الأمراء ، وبين الشعب ، وفي الأسواق من ارتفاع الضخامة والأخلاق وارتفاع مستوى السكان الذي لا يتقل رزان لم يزد عن المستوى الحضاري للبرتغال ذاتها (١٣٤٤) .

وبعد ذلك وصل داجاما إلى مالندى ثم أبحر داجاما إلى كالكت (Calicut) على الساحل الغربي للهند ، وبذلك حقق البرتغال حلمهم في الوصول إلى الهند عن طريق الدوران حول قارة أفريقية .

وأثناء عودة داجاما من الهند توقف مرة أخرى في مالندى وأقام نصبا تذكارياً من الحجر في المنطقة جنوب مالندى (١٣٥٠) .

وبعد نجاح البرتغاليين في الوصول إلى الهند - تنابت رحلاتهم وبدأت سفنهم تظهر بانتظام في مياه المحيط الهندي - بعد أن كانت هذه المياه مباحة عربية فاصرة على السفن الغربية ، ولا تجرؤ سفينة أوروبية على أن تدخلها .

وتجهت أطباع البرتغال لا إلى الاشتراك مع العرب في الملاحة في المحيط الهندي ، لكن لاحتكار النشاط البحري في هذا المحيط وطعموا في تكوين إمبراطورية تجارية كبرى في الشرق وأن تكون لهم محطات على طول الساحل الغربي للهند ، وفي سيلان ، وملاقا وفي خليج الملايو بالإضافة إلى الساحل الشرقي لأفريقية .

ولتحقيق هذا الهدف الكبير الذي لم يكن يتناسب مع صغر حجم المملكة الناشئة ولا عدد سكانها وأماكنها المادية - التجهت أنظار البرتغال للسيطرة على الشعوب الأفريقية التي كانت تحت نفوذ العرب فركزوا جهودهم على الاستيلاء عليها لإعدادها لتكون موانئ مناسبة

واكتشفوا ريودورد في عام ١٤٣٦م والرأس الأبيض ، ١٤٤١م . ووصلوا إلى مصب السنغال ثم واصلوا نشاطهم حتى وصلوا إلى سيرالين في عام ١٤٦١م وأقبح البرتغاليون للاستيلاء على بلاد غانا التي داعت شهرتها بسبب ثروتها وتجارتها مع المسلمين في شمال أفريقيا وغيرها .

وفي عام ١٤٨٤ وصل الكابتن دي جوكام (Diogocoam) إلى مصب نهر الكنجو ، إلى رأس نهر في النهر حتى يوما (Boma) .

وأغضب ذلك رحلات بارثوليميو دياز (Bartolomeu Diaz) الذي قام برحلة في عام ١٤٨٦ ، وسبب شهرة هذه الرحلة أن سفنها وصلت لأول مرة للطرف الجنوبي من القارة وغيرها لسافة قصيرة في جو عاصف فأطلق عليه اسم (رأس العواصف) وقد أخذ صورا لهذا الرأس دون أن يعرف أنه نهاية الساحل الغربي للقارة (١٣٦) .

وكذا وصلت سفن البرتغال بطول ساحل أفريقيا الغربية حتى أقصى جنوب القارة . وقد اقتصر نشاط البرتغاليين في أول الأمر على الجزء الغربية من الساحل وعلى عدة حصون ساحلية .

وفي سنة ١٤٨٧ - وصل لمصر رحلة برتغالي كان يعمل لحساب ملك البرتغال هو بيدرو دي كوفيلهام (Pedro De Covilham) ثم سافر هذا الرحالة عن طريق البحر الأحمر لعين والهند ، وفي أثناء عودته زار أغلب المناطق الغربية قرب ميناء بيرا (Baira) الحالي ثم عاد للقاهرة .

وكانت رحلة هذا البرتغالي بالغة الأهمية فقد فتحت العيون إلى أهمية المناطق الغربية بشرق أفريقية ، وكانت معلومات بيدرو دي كوفيلهام أساساً للرحلة التي قام بها فيما بعد فاسكوداجاما حول رأس الرجاء الصالح إلى الإمارات العربية في شرق أفريقيا ثم الهند (١٣٦) . وقام فاسكوداجاما في عام ١٤٩٧م برحلته في أربع سفن فوصل إلى نهاية الساحل الغربي للقارة الأفريقية في ١٤٩٨م . وعبر رأس الرجاء الصالح إلى الساحل الشرقي للقارة ، حيث زار الإمارات العربية في المنطقة .

وبعد ثنا المؤرخ البرتغالي بارتوس (Barros) عن هذه الرحلة - ويذكر أنه عندما أعد كل شيء للرحلة استدعى الملك عسانوئيل (Emanuel) القرواد إلى حضرتة ، وأعلن بحضور

البرتغال حاكمًا على المستعمرات البرتغالية في شرق أفريقيا ، وكان الأسطول مكلفًا بشهوات
 أعداد البرتغاليين في الموانئ ، الأفريقية التي تتحكم في الطريق التجاري الجديد ، وبالقضاء ،
 على نفوذ العرب الذين كانت لهم السيادة التامة على هذا الطريق التجاري ، وكانوا هم
 الوساطة في نقل وزيادة منتجات الهند والشرق الأوسط إلى أفريقيا . وكانت سفنهم قد
 وصلت إلى الصين .

ولتحقيق هذه المهمة اتجه القائد البرتغالي إلى شرق القارة ، فأرسل قوة استولت على
 ميناء ، وأخرى حاصرت كلوة واستولت عليها بعد قتال عنيف ، وقامت القوة البرتغالية بنهب
 الميناء ، وسلب البضائع المغزاة فيه . وبعد ذلك أشعل البرتغاليون النار في المدينة انتقامًا من
 أهلها الذين قاتلوا الغزو البرتغالي بسالة ، وليكونوا عبرة لعربهم من سكان الموانئ الصينية
 الأخرى . وأقام البرتغاليون حصنًا في ميناء كلوة ووضعوا به حامية لهم .

وتقدم البرتغاليون صوب ميمبا (Mombasa) ، وكانت في ذلك الوقت مدينة عظيمة
 يقدر عدد سكانها بحوالي عشرة آلاف نسمة . وقد قاوم سكانها من العرب والأفارقة القوة
 الغازية مقاومة عنيفة ، وواقفوا عن كل شبر من أرض بلادهم حتى أن القوة البرتغالية
 اضطرت للقتال في الشوارع الضيقة ، ودخل الدور - لكن أمام مدافع البرتغاليين وأطعمتهم
 النارية أضطر المدافعون عن مدينتهم ودورهم للتقهقر للداخل . وأشعل البرتغاليون النار في
 المدينة وساعدت شدة الرياح على انتشار اللهب ، ولم يتحرك الغزاة في المدينة شيئًا ذا قيمة ،
 حتى أن حاكم المدينة كتب إلى زميله حاكم مالندى (Malindi) يصف الوضع بعد خروج
 الغزاة من المدينة المنكوبة يقول : لم يتحركوا فيها أي كائن حي لا رجلاً ولا امرأة لاصفيرا ولا
 كبيرًا حتى الأطفال . كل الذين قتلوا في الهروب قُتلوا أو أحرقوا وختم خطابه بتخليده من
 هذا المحط الزاحف (٣٦٩) .

وسقوط كلوة ، وميمبا سقط عمودان من أهم الأعمدة التي كانت ترتكز عليها السيادة
 العربية في شرق أفريقيا .
 وفي ميمبا أقام البرتغاليون بعد استيلائهم عليها قلعة كانت بمثابة العين الحارسة للنفوذ
 البرتغالي في هذا القطاع ، وكان لقائد هذه القلعة وكلاء في الموانئ المجاورة مثل كلوة ،
 لتجنيب ويدا .

وقد أجبر الحكام الوطنيين الساكنون على تقديم الجز والعدا . وكل ما يطلبه منهم قادة هذه
 القلاع البرتغالية المعسنة .

تحصل منها سفنهم على الماء والطعام والمأوى الذي يحتاجون إليه في رحلاتهم الطويلة في
 الطريق بين البرتغال والشرق (٣٦٩) .

بداية الصراع بين البرتغاليين والعرب بشرق أفريقيا :

بدأ البرتغاليون في إخضاع الساحل الشرقي لأفريقية منذ رحلتهم الأولى إلى الهند
 عام ١٤٩٨ - ١٤٩٧) حيث أطلق داجاما وهو في طريق عودته ، للبرتغال قادمًا من الهند في
 عام ١٤٩٨ مدافع سفنه على مقديشيو مفتتحًا هذه الصفحة من الصراع بين العرب بشرق
 أفريقيا وبين البرتغاليين القادمين من أوروبا .

وفي عام ١٥٠٢ وصل أسطول برتغالي بقيادة بطار يدعى رافاسكو (Ravasco) إلى
 شرق القارة وهاجم عدة سفن تجارية كانت راسية قبالة زنجبار محملة بالماح والأصناف والمير
 والمشمولات .

ولم تنجح قوات حاكم زنجبار في التصدي للسفن البرتغالية الهاجمة والمجهزة بالمدافع
 الثقيلة ، واضطر السلطان لدفع فدية كبيرة من اللحية ، ومبالغ ذهبية لتحرر السفن المغيرة عن
 ميناءه . وفي طريقه هاجم رافاسكو ميناء ميمبا واستولى على سفينتين كانتا مسحورتين
 بالبضائع وأسر بعض التجار الذين كانوا ينتظرون في ميناء راسية بالميناء (٣٧٦) .

وقد دهش البرتغاليون بما كانت عليه زنجبار في ذلك الوقت من رخاء ، وذكروا أنهم
 وجدوها جزيرة خضراء ناضرة تجمع حدائقها بالبرتقال والخضروات .

ولتحقيق حلم البرتغاليين في احتكار خيرات الشرق وزنجبار ، اعتبر البرتغاليون الطريق
 الذي اكتشفوه للهند سراً حريصاً من أسرار الدولة وأن الجهود التي بذلوها لاكتشافهم تبتد
 لمحكمتهم بفردهم في هذا الطريق التجاري ، ولذا أصدر ملك البرتغال في عام ١٥٠٤ م مرسومًا
 بحرم البحارة - غير المكاتبين بمهمة رسمية من الدولة في هذا الاتجاه حمل الخرائط التي تشير
 إلى طريق الملاحة إلى الهند . وجمعت الدولة الخرائط البحرية التي كانت قد بدأت تتداول عن
 هذا الطريق وأعدمتها ، كما خصص الملك سفنًا من أسطوله لتدفع في عرض البحر معترضة أي
 محاولة لعين الطريق للهند بالقوة (٣٨٨) .

وفي عام ١٥٠٥ م غادر لشبونة أسطول برتغالي كبير من ثلاثة وعشرين سفينة تحت قيادة
 فرانسيسكو دي اليدا (Francisco Du Almeida) الذي عينه الملك عمانوئيل الأول ملك

بهدف لتعصب العرب والمسلمين الذين طردهم البرتغاليون من أفريقيا وتوجسه ضربة قاضية للماليك الذين كانوا في ذلك الوقت يملكون أكبر قوة إسلامية .

ولكن الهادفة أدركوا أن احتكار البرتغالي لتجارة الشرق معناه وضع نهاية لسطاظهم التجاري . ولذا لبوا دعوى المالك في الاشتراك في مواجهة الأسطول البرتغالي الذي كان قد نجح في فرض سيطرته على مياه المحيط الهندي . وفي تحويل تجارة الشرق إلى الطريق الجديد ، طريق رأس الرجاء ، فالصالح فالمحيط الأطلنطي إلى لشبونة . التي أصبحت المركز الرئيسي لسد حاجة الدول الأوروبية من بضائع الشرق .

ولجعت دولة المالك في أن تستقطب أيضاً العدنانيين الذين كانوا قد برزوا كقوة إسلامية منافسة للماليك ، فأرسل العدنانيون مساعدات للماليك في حروبهم ضد البرتغالي .

وكانت الواقعة البحرية التي وقعت بالقرب من جزيرة ديو (٤١) شمال غرب الهند في عام ١٥٠٩ فاصلة فقد انتصر فيها الأسطول البرتغالي على أساطيل المالك ومن مخالف معهم . وانتقلت السيادة البحرية في المحيط الهندي والطرق المؤدية إليه لهذه القوة البحرية الجديدة . ووصل الأمر إلى أنهم حرموا على السفن العربية القيام بأي نشاط تجاري في هذه المياه التي كانت لعدة قرون بحاراً عربية ، لا يكاد ينازع السفن العربية والتجار العرب فيها سائز .

واستطاع البرتغاليون من الحصون التي أقاموها ، مراقبة النشاط التجاري في المحيط الهندي ولجأوا تجاراً منقطع النظر لفترة طويلة في فوضى حصار اقتصادي على البلاد العربية ومصر بالذات ، وأدى الأمر في النهاية إلى ضعف دولة المالك التي كانت تعتمد على حد كبير في تدعيم قوتها الحربية على ما يدخل الخزنة من (المكوس) وغيرها من عوائد تجارة الشرق ، فسقطت الشام في يد السلطان سليم المشاني في عام ١٥١٦م وقبعتها مصر في عام ١٥١٧م وسلم الحجاز للعثمانيين سلمياً .

على أن البرتغاليين كان من أهداف رحلاتهم الكشفية أيضاً الوصول إلى مملكة إثيوبيا المالكة المسيحية الوحيدة في شرق القارة . والاتفاق معها على عمل مشترك ضد الدول العربية .

وكان الرحالة البرتغالي بيدرو دي كوفيلهام (Pedro Du Covilham) قد زار مصر في عام ١٤٨٧م وسافر عن طريق البحر الأحمر لمدن والهند . وزار المناطق العربية بالساحل

وفي سنة ١٥٠٧ أرسل أسطول برتغالي كبير من أربعين سفينة إلى شرق أفريقيا تحت قيادة القائد البرتغالي البيوكيرك (Albuquerque) الذي عين نائباً للملك وماكسيمانو مستعمرات البرتغال في الهند بدلاً من (ألبينا) .

فاستولى على لامبو ، براوه ، وجزيرة سوقطرة ، وفي قبها البرتغاليين حصناً قوياً يمكن قاعده داتمة لهلياتهم البحرية في المحيط الهندي .

وقد امتد نشاط البرتغال الاستعماري إلى منطقة الخليج وساحل عمان بالذات (٤٢) .

وفي سنة ١٥٠٧ سقطت موزمبيق في يد القائد البرتغالي دوارت دي ميللو (Duarte De Melo) واهتم البرتغاليون بتحصينها وبنوا فيها مستشفى وكنيسة وكنائس طيوشهم . واتخذوها قاعدة عسكرية لحكمتهم في الساحل الأريقي الشرقي . وقد ظلت موزمبيق في يد البرتغال . أكثر من أربعة قرون فلم يخلوا عنها إلا حين أقل نجم البرتغال الاستعماري في أفريقيا في عام ١٩٧٥ .

وزار الأسطول البرتغالي مدغشقر (بالأجاشي) . واكتشفوا جزيرة سنت هيلانة - وأرسل نفوذهم على الساحل الشرقي للقارة حتى (سفالة) جزيراً أما في الشمال فقد اعتصموا في بسط نفوذهم على صدائة شيوخ مالدي الذي استطاعوا أن يستبطلوهم إلى جانبهم منذ أن جاوا لأول مرة لساحل شرق أفريقيا مسغلين روح الصراع التي كانت بين هؤلاء الشيوخ وتسيخ نسبة .

موقعة ديو البحرية ١٥٠٩ :

كان طبيعياً أن يدرك المالك الذين كان لهم النفوذ في مصر والحجاز والشام ، وكانوا حريصين على احتكار تجارة الشرق وما تدره من ربح ، خطورة التطور الذي طرأ على التجارة في المحيط الهندي ، فهناك النشاط البرتغالي يمس مصالحهم في التصميم ، بالإضافة إلى مصالح البندقية وغيرها من مواطني البحر المتوسط التجارية التي كان لها دورها في نقل بضائع الشرق لأوروبا ، وكان قيامها بهذا العمل قرون طويلة من أساليب ونهوضها .

وكان موقف الهادفة - عين دعاهم - المالك للتحالف معهم لمواجهة الخطر البرتغالي على مصالحهم المشتركة - حرباً للغبابة . فقد بنا من أول وهلة أن الصراع له شقان ، شق اقتصادي وآخر ديني . فشاطل البرتغال للكشفي والاستعماري منذ البداية - كما صرح ملك البرتغال

ذلك كانت البرتغال تزيد ملكة إثيوبيا زعيمتها على مهاجمة الممالك الإسلامية المحيطة بها . وظل ذلك التضال حتى القرن السابع عشر .

وقد فحرت بعد ذلك الحسبة الدينية في الدولتين وضعفت قواتهما ولم يبق تحت السيادة العثمانية إلا بعض النفود كمصر .

واضطر البرتغاليون للتنازل عن مكائهم في البحار الشرقية لخائفهم من الهولنديين ثم الإنجليز الذين احتلوا مكان هؤلاء . وأولئك في السيطرة على المحيط الهندي وطريق الرأس منذ أن تأسست شركة الهند الشرقية البريطانية (British East India Company) سنة ١٦٠٠ . وأخذت توجد نشاط الإنجليز في البحر الأحمر والخليج العربي (١٤٥١) .

النتائج التي ترميت على وصول البرتغاليين لشرق أفريقيا :

كانت لهذا الصراع بين البرتغاليين والمسلمين والذي انتهى بوصول البرتغاليين لشرق أفريقيا وسيادتهم على الطريق البحري بين الشرق وأوروبا نتائج وآثار اقتصادية وسياسية وحضارية .

أولاً : النتائج الاقتصادية :

استطاع البرتغاليون السيطرة على الطريق البحري الذي كان النشاط فيه طوال الجزء الأول قاصراً على السفن القارية . وفي المرحلة الثانية لسفن البنادق والجنوين ، وحركة البرتغاليين طريق التجارة الذي كان لسنوات طويلة يتجه إما عن طريق الفرات إلى سواحل البحر المتوسط الشمالية أو عن طريق البحر الأحمر إلى السواحل المصرية ، إلى الطريق الجديد ، طريق رأس الرجاء الصالح ثم المحيط الأطلسي .

وأثر هذا اقتصادياً على البلاد العربية ، ورأينا كيف أسهم في ضعف دولة الماليك في مصر والشام والجزائر سقطت في يد الدولة العثمانية . كما أثر بالطبع في النشاط التجاري في البحر المتوسط ودوله .

وكان الهدف الاقتصادي من أهداف البرتغاليين فاستغلوا الطريق الجديد واحتكروا الملاحة فيه ، وحاولوا استنزاف ثروات شرق أفريقيا . وفي مقدمتها المعادن ، وخاصة الذهب الذي كانت تحصله القوافل خاصة من مناطق قبائل المرموتايا (Marmotaya) ومنطقة كليمان (Quellman) . وكان تجار شرق أفريقيا متخصصين في الاتجار فيه . وكذلك الرقيق

الأمريكي الشرقي . تبيل رحلة فاسكوداجاما حول رأس الرجاء الصالح في عام ١٤٩٧ ، ١٤٩٨ . وزار إثيوبيا في عام ١٤٩٠ ، ولقى ترحيباً حاراً من إمبراطورها . ولا شك في أن هذه الزيارة فتحت المجال للحديث عن صل مشترك أودى / أتيومي ضد العرب المسلمين ونشاطهم في شرق القارة وفي المحيط الهندي بهضبة الحبشة (١٤٧١) .

وكان على العثمانيين بعد أن انتقل لهم النفوذ في الشام ومصر والجزائر أن يواجهوا الخطر البرتغالي .

دور العثمانيين في مواجهة الخطر البرتغالي :

كان على العثمانيين أن يواجهوا الخطر البرتغالي الموجه للبلاد العربية الإسلامية وسيادتها البحرية وجبايتها الاقتصادية .

فأنفذ السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠ - ١٥٦٦) عدة حملات بحرية لمقاتلة البرتغاليين في البحار الشرقية . وإعادة السيادة للعرب في هذه البحار .

وكانت هذه الحملات تُعد في سناء السويس . وسعى الأتراك فعلاً للاستيلاء على القائل والإمارات العربية الواقعة على الخليج العربي وفي الطريق البحري الجديد للشرق (١٤٦٣) .

واستمر التضال بين البرتغاليين والعمانيين مدة طويلة دون طائل . وأرسل مراد الثالث القائد البحري ميرال بك سنة ٥٨٨ هـ لتخليص الشفور العربية بالساحل الأثريقي الشرقي ، خاصة أن القرية الوطنية في هذه البلاد كانت قد تحركت لمواجهة الغزو البرتغالي . فقامت فيها عدة ثورات ولحق الثوار في كثير من الأحيان بعاوثة الأتراك العثمانيين في القضاء على الحملات البرتغالية بما دعا البرتغال للاستعانة بالقوات البحرية في الهند لإخماد هذه الثورات واسترجاع بعض نفوذهم في هذه البلاد .

لكن العثمانيين لم يستطيعوا أن يحتفظوا في المناطق البعيدة عن مركز دولتهم بقوات تثبت سلطتهم وتحسى السكان من الفارات البرتغالية المتكررة ، فاستطاع البرتغاليون أن يستعيدوا سلطتهم وانتقموا من السكان الذين أظهروا الولاء للعثمانيين .

واستمر التضال بين البرتغاليين والعمانيين واتخذ صورا متعددة منها أن الثورة العثمانية كانت تزيد وتعاويز الممالك الإسلامية المحيطة بهضبة إثيوبيا والتي سُميت (مالك الطراز الإسلامي) لأنها أشبه الطراز المحيط بالشوب (١٤٤١) .

من الذهب بأيديهم . لكن أدرك البرتغاليون حين وصلوا لهذه البلاد أن ما يمكنهم الحصول عليه من ذهب لا يكفي تكاليف إبقاء جيش ضخّم لهم بها . فاكثفوا بعقد اتفاقات مع حكام البلاد تعهدوا فيها بحماية التجار البرتغاليين ومن يرغب منهم من العمل في مناجم الذهب وأن يقصروا تعاملهم على البرتغاليين دون العرب . وأن يؤمنوا الطريق التجاري إلى ميناء سفالة الذي كان البرتغاليون قد استولوا عليه وذلك في مقابل هدية سنوية من الأقمشة تقدمها حكومة البرتغال لهم (٤٨١) .

وقد حاول البرتغاليون للوصول أيضًا إلى مناجم الفضة التي قيل إنها موجودة في هذه المناطق لكن مهاجمة القبائل في المنطقة للمحصون التي أقامها البرتغاليون جعلت وجودهم صعبًا .

على أن عددًا من التجار البرتغاليين انصرفوا في مناطق تمدين الذهب والفضة والنحاس والحديد والرماس الموجودة في هذه البلاد وقد أتوا من التجارة في هذه المعادن نرا؛ فاحشًا حتى أنهم اقتنوا الرقيق وأصبحوا يعشرون كأفراد الإقطاع في أوروبا .

وكان أباطرة الموناماتايا قد وصلوا إلى درجة من الضعف بحيث أصبحوا يجدون في بنادق البرتغال الوسيلة الفعالة لمحاربتهم ضد ثورات حكام المناطق وأفراد قبائلهم .

هذا وقد عمد البرتغاليين أيضًا إلى انتزاع مساحات واسعة من الأراضي الزراعية على ضفاف الزيمبزي وفي الساحل . وكانت وسيلتهم في ذلك محاولة شراء الأرض من زعماء القبائل بأبخس الأثمان أو استخدام القوة والتهديد . وأدى هذا أيضًا لنشأة طبقة من الإقطاعيين البرتغاليين . اعتمدوا على الرقيق والجنود المرتزقة لاستغلال هذه الأراضي (٤٩١) .

ويصل النصف الأول من القرن السابع عشر قمة النفوذ البرتغالي في بلاد الموناماتايا . حيث أن نفوذ البرتغال أخذ يضعف وانتهى الأمر بانسحاب البرتغال من هذا الميدان تاركين إياه للبرهم من الدول الاستعمارية الأخرى . واتحصرت نفوة البرتغاليين في شرق القارة على منطقة سوديمبيو .

وقد ترتب عن حلول البرتغاليين محل العرب والمستقرين منهم بشرق القارة في هذا النشاط الاقتصادي نتائج سياسية وحضارية واضحة عديدة أثرت في البلاد العربية التي كانت تلتزم هذا النشاط الاقتصادي . وفي العرب المستقرين في شرق القارة كما سنوضح بعد .

الأفريقي (الذهب الأسود) الذي وجد البرتغال فيه سلعة نادرة تعد الحاجة الماسة للأوروبي العاملة اللازمة لاستغلال وتصدير الأراضي الشاسعة التي اكتشفت في العالم الجديد .

وقد حاول البرتغاليون السيطرة على مناجم الذهب في شرق أفريقيا وإدارتها وتنظيم الاتجاج فيها على أسس جديدة وطرد التجار العرب القيين كانوا يزاولون عمليات التبادل التجاري هناك منذ قرون بعد أن مهدوا طرق المواصلات بين الشاطئ والساحل (٤٦٦) .

وقد أرسل البرتغاليون حملات متعاقبة لتحقيق سيطرتهم على مناجم الذهب والفضة في المنطقة واستغلالها - لكنهم لم ينجحوا في ذلك كثيرًا؛ إذا أن أطباع البرتغاليين ومعاوالاتهم للإجراء السريع أدى للاحتكاك المستمر مع زعماء القبائل الرطبة الذين كانوا يمارسون هذا النشاط لمستويات مع التجار العرب القبيين في شعوب الساحل الأفريقي . وقد أنهك هذا الصراع قوة البرتغال . وعطينا الرحالة والكتاب البرتغاليون صورة عن هذا الصراع وهذه المحاولات التي بذلها البرتغاليون بعد أن وصلوا لشرق أفريقيا للسيطرة على مناجم الذهب والفضة وعلى أسواق هذه المعادن والحلول محل العرب في هذا الميدان .

وتبل مجرى . البرتغاليين لشرق القارة بومن قامت في شرق القارة في المناطق التي اشتهرت بشروتها في الذهب والفضة بالذات ، مملكة أنزيمبية عُرفت باسم مملكة الموناماتايا (Monomatapa) كونتها نهائل من اليانتر اشتهرت منها قبائل الكارانجا (Karanga) .

وكانت هذه القبائل تستخرج للصخور التي تحتوي على الذهب ، وتطحن ثم تعربل . ويلخز المعدن ويصاع للموسطا . العرب الذين يتقنونه عبر الزيمبزي إلى (كلوة) المينا . التجاري الذي أسسه العرب على الساحل الشرقي أو عبر الطريق الذي يؤدي إلى ميناء (سفالة) .

ومن أوائل البرتغاليين الذين زاروا هذه المنطقة انطونيو فيرناندز (Antonio Fernandes) وكذلك دامبادي جويس (Damia De Goes) ودواوت بربوسا (Duarte Barbroza) . وقد زار المنطقة بعد رحلة فاسكوداجاما الشهيرة (١٤٩٧ - ١٤٩٩) (٤٧٦) . وقد فتحت هذه الرحلات الطريق أمام التجار البرتغاليين لبلاد الموناماتايا .

كذلك حاولت البرتغال غزو مملكة الموناماتايا للسيطرة على مناجم الذهب بها . وكان الرحالة والكتاب البرتغاليون قد أشاعوا الكثير من القصص عن ثروة بلاد الموناماتايا ووطوا بينها وبين الشائعات عن ثروة مملكة سبأ . حتى أن الجنود البرتغاليين كانوا يحملون بأنهم سيخفرون

ويدعم رأى الذين يعتبرون الصراع البرتغالي - العربي فصلاً متأخراً من فصول الصراع الصليبي أن ملك البرتغال أنفسهم صرحوا بهذا الاتجاه الديني في تعقب الصليبيين القارين من الأندلس ، وفي مشاركة البابا ، لهذا الدور البرتغالي .

على أننا نشير إلى أن الحروب بين إسبانيا والقوة الإسلامية في السهول المحيطة بالهضبة الإيبيرية لم تنته بقتلها ، أي من القرنين على القوة الأخرى .

نعلم الرغف من أن البرتغال أمدت الحيشة بالأسلحة النارية وقوة على رأسها أحد أبناء الإسكوداجاما ، فقد سُبِت القرات البرتغالية بخسائر فادحة وقتل قائدها ، كذلك لم تسطع القرات الإسلامية من جانبها أن تُحرز نصراً حاسماً على الحيشة ١٥٣٦ .

على أن البعثات الدينية البرتغالية انتشرت هذه الفرصة لممارسة نشاطها في الحيشة والمناطق المحيطة بها . وظلت كذلك حتى عام ١٥٤٣ هـ / ١٦٣٣ م ، وإن كانت قد فشلت في مهمتها الدينية بسبب ما أحاط بها من شكوك ، وبسبب نفور الأبحاش أنفسهم من المحاولات المبلورة لتحويلهم عن الذهب الأثوثوكي الذي اعتنقه آباؤهم وأجدادهم منذ دخلت المسيحية الحيشة في القرن الرابع الميلادي ، وعن التكاليف والمعدات الدينية التي تورثوها .

وحيث تولي شتون البسن في الفترة من ٩٥٦ هـ / ١٥٤٩ - ١٥٥٥ م (إزدمر باشا ، أدرك أهمية وجود قوة عثمانية ترأب الأمر في التفتور الأفريقية المطلقة على البحر الأحمر وتراقب نشاط البرتغال وحلفائهم الأبحاش في هذا البحر ، فنصح السلطان سليمان القانوني بالعمل على تدعيم القوة العثمانية على ساحل البحر الأحمر .

ولتحقيق ذلك اتجه العثمانيون للأشعيا ، على ميناء سواكن . وبعد أن وطدوا أقدامهم في تغرى سواكن ومصوع ، أُنشأوا بينهما ما أطلق عليه (ولاية الجيش العثمانية) ووطدوا هذه الولاية بغير جنة ووجدوا إدارتها وأصبحت مهمتها مراقبة حركة الملاحة في البحر الأحمر (٥٤) .

ثالثاً : النتائج الحصارية :

توضح النتائج التي ترويت على وصول البرتغال لشرق أفريقيا حصاراً - من القارة بين النتائج التي ترويت على وصول العرب لشرق أفريقيا - والأوضاع بعد انحصار هذه الممرات العربية ، فقد رأينا كيف نشر العرب حضارتهم ولقنتهم وثقافتهم ودينهم في المناطق التي

ثالثياً : النتائج السياسية :

ترتب على نجاح البرتغاليين في الوصول لشرق القارة ، وانحصارهم البحري على كوة الماليلك وما أدى إليه ذلك من نشاط اقتصادي برتغالي ، أن أصبحت البرتغال ، رغم أنها دولة أوروبية صغيرة ، قوة يعمل لها حساب .

ولجعت البرتغال - كما ذكرنا - في فرض سيطرتها على الإمارات العربية بشرق أفريقيا ، كما حقق هذا للبرتغاليين ، حلم الوصول إلى الحيشة لتحقيق الأهداف المشتركة في توجيه ضربة للمسلمين .

وتشير الراجع إلى أن عسانتونييل ملك البرتغال أرسل في عام ١٥٠٦ م حملة بحرية بقيادة بدرو والفارز (Pedro Al Fares) كانت مكلفة بالذهاب إلى الحيشة والاتصال بها للاتفاق على عمل مشترك ضد العرب والمسلمين (٥٥) .

وقد حاول اليوكيرك القيام بعمل آخر ضد المسلمين ، فقد عبر أسطوله باب المندب ودخل البحر الأحمر في محاولة لهاجمة مكة لكن لم ينجح في ذلك .

وحيث أصبحت هيلينا وصية على عرش حفيها ملكة الحيشة لبنا دنجيل (Laliba Dengel) (١٤٤ - ٩٤٧ هـ / ١٥٠٨ - ١٥٤٠) أرسلت للملك عسانتونييل ملك البرتغال رسالة مع رجل أرمشي يدعى (ماتير) تُبدي استعدادها للتعاون مع البرتغال لتدمير الأماكن الإسلامية بالمحجاز ولقاومة الأتراك العثمانيين في البحر الأحمر وأخذ من نشاطهم فيه .

وحيث تزعم الإمام أحمد بن إبراهيم الفارزي أمير مرر الإسلامية (٩٣٤ - ٩٤٩ هـ / ١٥٢٧ - ١٥٤٢) حركة جهاد ضيقة في منطقة القرن الأفريقي ضد الأبحاش ، يادر البرتغال بأرسال الأسلحة النارية للأبحاش الذين كانوا قد لقوا العمد من الهزائم على يد القائد المسلم ، واستمر هذا التحالف البرتغالي الحيشي حتى قُتل هذا المجاهد الإسلامي في عام ٩٩٥ هـ / ١٥٤٣ م (٥٦) .

ولذا ينظر بعض المؤرخين كما ذكرنا لهذا الصراع البرتغالي - العربي على أنه امتداد للحروب الصليبية التي كانت قد انتهت في لشرق بانتهاء الأطماع الصليبية في الاستيلاء على بيت المقدس وتخليصه من المسلمين .

الهوامش

- ١ - Complud, R.: East Africa and Its Invaders (London 1988) p. 153.
- ٢ - جوليان ، شارل أندريد، تاريخ أفريقيا ، ترجمة طلعت عوض أباطة (القاهرة ١٩٦٨) ص ٣٧ ، ٧٨ .
- ٣ - جيان : وثائق تاريخية وعرفانية وتجارية عن أفريقيا الشرقية (ترجمة يوسف كمال) القاهرة ١٩٢٧ ، ص ٣٢٢ .
- ٤ - شرقى الجبل : تاريخ كشف أفريقيا واستعمارها (القاهرة ١٩٧٢) ، ص ٤٥ .
- ٥ - نفس المرجع السابق : ص ٣٦ .
- ٦ - جمال صبان : سفراتة المدن (القاهرة - ١٩٧٧) ، ص ١٢ .
- ٧ - ميزرف ، كوليت جراندي ، هجرات البروف إلى أراض القارة الأفريقية (ترجمة للمحاضرة التي قامت بها وزارة التراث والثقافة العمانية سلطنة عمان ١٩٨٤) .
- ٨ - للتفاصيل الكاملة عن الصراع بين العرب والبيزنطيين في الكركند يرجع إلى يواكيم بوزق ، حميد بن محمد الرزيقي والوجود العربي في الكركند (رسالة ماجستير معهد البحوث الأفريقية جامعة القاهرة ١٩٧٥) .
- ٩ - داوات سفودها (دار) وهو لقب سواحلي ، ولد أطلقه العرب على المراكب الخشبية أيضا التي كانوا يستخدمونها باسم (سينوك) وهو لفظ فارسي ، وكانت هذه المراكب تعتمد على الشراع وللمجاديل .
- ١٠ - أحمد حمود العمري : عمان وشرق أفريقيا (سلطنة عمان ، ١٩٨٠) ، ص ٤٤ : عهد الرمن زكي الإسلام والمسلمون في أفريقيا ص ٢٤٩ .
- ١١ - ابن بطوطة و تحفة النظار (القاهرة ١٣٢٢ هـ) ج ١ ص ١٨٩ - ١٩٠ .
- ١٢ - جيان : مرجع سابق ص ٣٢٢ .
- ١٣ - سيد أحمد المراقى : معالم الحضارة الإسلامية في ساحل أفريقيا الشرقى (مجلة دراسات الربيع - العدد الثاني - لفرطوم ، أبريل ١٩٨٦ م) ص ٨٣ .
- ١٤ - عهد الرمن زكي : مرجع سابق ص ١٧٤ - ٢٢٦ .
- ١٥ - جيان ، مرجع سابق ص ٣٢٠ - ٣٢٩ .
- ١٦ - حميد بن علي الخيري : بعثة الأخبار في تاريخ زنجبار - تحقيق عبد النعم عامر (سلطنة عمان ١٩٧٩ م) ص ٨٦ .
- ١٧ - شرقى عبد القوي عثمان : تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية (الكركند - ١٩٩٠ م) ص ٢٠١ .

استقروا بها في شرق القارة ، وقد شهد بذلك من زار هذه البلاد من الرحالة العرب وجن زارها الرحالة البرتغاليين لأول مرة .

لكن تربت على الحروب التي شنها البرتغاليون وعلى بسطهم نفوذهم على المناطق العربية في شرق القارة ، أن انتكسبت إلى حد كبير هذه الوجة الحضارية .

وقد اقتضت بعض البعثات التبشيرية البرتغالية خطى جيوش الاستعمار البرتغالي فتشيد للجزويت وغيرهم في هذا المجال ، واشتهر من هؤلاء ، جونزالدي سيلفرا (Goncalo De Salvez) الذي وفد من لشبونة لشرق أفريقية ووصل إلى مملكة الموروماتابا ، لكن انتهت حياته بقتله . كما كان لفرق التومبيكان (Dominicans) نشاط واضح ، لكن انحراف رجال الدين البرتغاليين واتجاههم إلى السعي لتسلك الإقطاعات الكبيرة والتاجرة في الرقيق وغير ذلك ، بالإضافة إلى الصراع الرهيب الذي نشب بين طوائف المبشرين أنفسهم ونظرتهم للأقارن على أنهم في مرحلة متقدمة من الحضارة ، أدى لتفشل جهودهم واقتصر عمل بعض الإرساليات على العمل في مجال التعليم والمستشفيات (١٥٥١) .

على أن الحكام البرتغاليين أنفسهم يسمون سباحتهم على أساس علم الارتقاء ، يستوى الأارقة حتى لا تتفتح عيونهم فتقوهم الطبيعة في بلادهم التي سلها البرتغال .

هذا على أن وصول البرتغاليين لشرق أفريقية وسيطرتهم على طرق الملاحة وتحريكهم حركة التجارة إلى طريق رأس الرجاء الصالح ، كان له تأثير على مصر والبلاد العربية الأخرى . فقد توفقت هذه البلاد وانغلقت على نفسها . وأدى هذا لانعزالها إلى حد ما عن التيارات الحضارية ، في أوروبا وغيرها ، خاصة أن الدولة العثمانية نفسها ساهمت في هذه العزلة بسببها لتحويل البحر الأحمر إلى بحيرة شبه راكدة بحجة إبعاده عن المطامع الأوربية .

هكذا كانت لهذه المرحلة من الصراع بين الأوربيين (البرتغال بالذات) والعرب ، نتائجها وانعكاساتها الخطيرة على العالم العربي وعلاقاته بأوروبا .

Duffy: Op. Cit., p. 26.

٤٠ - مختصر مدقنا هنا على ديد البرتغال في شرق أفريقيا ، ولزيد من التفاصيل من ديد البرتغال في منطقة الخليج وسراهم للاحتيلاء على هرمز وغيرها من الموانع الهامة يرجع إلى : ج . ج . لورنر : دليل الخليج القسم التاريخي الجزء الأول الذي أعداه قسم الترجمة بكتبة صاحب السمو أمير دولة قطر (١٩٦٤) ص ١١ وما بعدها .

٤١ - ديد Diu Diu جزيرة تقع في شمال غرب الهند ، ولذا ظلت مستعمرة برتغالية حتى استعادتها الهند في ديسمبر ١٤٩٦ .

٤٢ - عن العلاقات بين نصارى الحبشة والمسلمين في السهول المحيطة بالهضبة الحبشية يرجع إلى : دوجب محمد عبد الحليم : العلاقات السياسية بين مسلمي النيل ونصارى الحبشة في العصور الوسطى .

٤٣ - عن تفاصيل الحروب بين البرتغال والأثراك (١٥١٥ - ١٦٠٠) ، انظر : ج . ج . لورنر : المرجع السابق ص ١٤ وما بعدها .

٤٤ - عن الصراع بين ممالك الطراز الإسلام والحبشة يرجع إلى : القريزي . تقى الدين أبو العباس أحمد علي : الألام بأخبار من بارض الحبشة من ملوك الإسلام (١٨٥٠) نشره دكتور رنك .

٤٥ - هربب لغية ، شهاب الدين أحمد بن عبد القادر بن سالم (عاش في القرن السادس عشر الهلادي) تحفة الزمان أو فصح الحبشة . نشره رشيد ياسين : ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م .

٤٦ - ملاحظة : عشر في رودسيا الجنوبية (زيمبابوي) على أنار توضح الرسائل التي كانت متعمدة في استخراج الذهب والفضة . وصهر المادان ، والطرق التي كانت متبعة لتقلها لساحل لإيجاد فيها ، انظر : شوقي الجمل : قضية رودسيا بين الأمم المتحدة ومنظمة الوحدة الأفريقية (١٩٧٧) .

٤٧ - Tracy , H.: Antonio Fernandes (Laxamon Marquess 1940) ; Kandy, Paricle; The Puliões Partenership (1965), pp 57 - 59 .

٤٨ - Leo Marquand : The Story of South Africa (London 1954) p. 25 .

٤٩ - Duffy : op. cit., p. 111 .

٥٠ - جهان : مرجع سابق ، ص ٢١٦ ، ٢١٣ .

٥١ - نفس المرجع السابق ص ٢٥٩ .

ملاحظة : مسألة التحكم في مياه النيل ، والشهيد يتعمق مل مائه الذي هو شرهان الحياة بالنسبة لمصريين تزدت كثيرا في التاريخ البسيط والحديث بل والمعاصر وانصكت عن العلاقات بين مصر واليوبيا وأثرت فيها رباترت بها .

١٨ - سعيد بن علي القيروى : مرجع سابق ص ١٠٠ ، ١٠١ .

١٩ - Sir John: History of Zanzibar from The Middle Ages to 1856. (London 1962) pp. 34 - 49 & 51-56 .

٢٠ - David Son. Basit: The Growth of African Civilization (London 1973) pp. 100 - 101 .

٢١ - جهان : مرجع سابق ، ص ٢١٨ ، ٢١٩ .

٢٢ - المصمودى : أبو الحسن علي بن الحسن : مرجع الذهب ومصادر الجورم (بيروت ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٣ م) ص ٤٢٤ .

٢٣ - Coupland : Op. Cit., p. 20 .

٢٤ - محمد جلال عباس ، اللغة السواحلية (مجلة نومة أفريقية - ديسمبر ١٩٥٩ م) .

٢٥ - Knappert, Jan : Swahili Islamic Poetry (Leiden 1971) .

٢٦ - Trimmingham : History of Islam in East Africa (London 1963) pp. 97-105 .

٢٧ - Coupland : Op. Cit., p. 21 .

٢٨ - ابن بطوطة : مرجع سابق ، ص ٢٠ .

٢٩ - Coupland : Op. Cit., p. 39 .

٣٠ - Duffy, James Portuguese Africa (London 1959) p. 8 .

٣١ - Duffy : Op. Cit., p. 132 .

٣٢ - Johnson, H. H. : History of the Colonization of Africa by Alien Races (Cambridge 1913) p. 82 .

٣٣ - ويد ، ه . ج : الأزياء والكشف الجفرائي (تروية شاكر خضباك ، بيروت ، دوت) الترجمة من ٦٢ .

Duffy : Op. Cit., p. 26 .

٣٥ - Hamilton - Gonçaga : The story of Portuguese Pioneers in East Africa (London 1995) pp 26 & 38 - 39 .

٣٦ - زاهر رياض : الانتصار الأدنى لأفريقيا في العصر الحديث (القاهرة ١٩٦٠) ص ١٤١ - ١٤٢ .

٣٧ - أحمد عمرو العمري : مرجع سابق ، ص ٢١٧ .

٣٨ - عبد الملك عودة : السياسة والحكم في أفريقيا (القاهرة ١٩٥٩ م) ، ص ٧١ .

- ١٢ - عبد الملك عودة : السياسة والحكم في أفريقيا (القاهرة ١٩٥٦م) .
 - ١٣ - عرب لغية ، شهاب الدين أحمد بن عبد القادر بن سالم : تحفة الزمان أو فتح الحبشة (نشره رتبته بأبوابه) ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤م .
 - ١٤ - السوردي ، أبو الحسن علي بن الحسن ، مروج الذهب وصحان الجواهر ، ج ٢ (بيروت ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣م) .
 - ١٥ - ميزان ، كوكيت جرائد : ممرات الحرث إلى كرسي القارة الأفريقية (ترجمة وزارة التراث والثقافة الحياتية - مطبعة عثمان ١٩٨٤) .
 - ١٦ - التبريزي ، تقي الدين أبو الصماس أحمد بن علي : الإلام والخبر من بارغش الحبشة من ملوك الإيلان (نشره دارك ١٨٨٥م) .
 - ١٧ - لويس ج . ج . دليل الخليج - القسم التاريخي ، ج ١ (١٩٨٤) .
 - ١٨ - كتاب أبحاث منشورة في هوريات ،
 - ١ - سعيد عبد الفلاح عاشور : أخبار جديبة على العلاقات بين مصر والحبشة في المصدر الوسطى (المجلة التاريخية عدد ١٤ - ١٩٦٨) .
 - ٢ - سيد أحمد العراقي : معالم الحضارة الإسلامية في ساحل أفريقيا الشرقي (مجلة دراسات أفريقية - العدد الثاني - لفرطيم - أبريل ١٩٨٦) .
 - ٣ - شوقي الجبل : ولاية الحبش العثمانية بين إيالة صدة والإدارة المصرية (مجلة الدارة - العدد ٢ لسنة ٢٢ - ١٤١٧ هـ) .
 - ٤ - محمد جلال عباس : اللغة السواحلية (مجلة نهضة أفريقيا - ديسمبر ١٩٥٩) .
- ثالثاً : رسالة جامعية :**
- ١ - بواقيم روفي : سعيد بن محمد المري ، والرمود المصري في الكنتو (رسالة ماجستير - معهد البحوث والدراسات الأثرية - جامعة القاهرة ١٩٧٥) .
- مراجع باللغة الإنجليزية :**

- 1 - Coupland, E: East Africa and Its Invaders (London 1938) .
- 2 - Davidson, Basil : The Growth of African Civilization (London 1973) .
- 3 - Duffy, James : Portuguese Africa (London 1950) .
- 4 - Grag, Sir John : History of Zanzibar from the Middle Ages to 1856 (London 1962) .

- ٥٢ - للمزيد من التفاصيل يرجع إلى : د. سعيد عبد الفلاح عاشور : أخبار علي الصلاحيات بين مصر والحبشة في المصور الوسطى (المجلة التاريخية عدد ١٤ عام ١٩٦٨) .
 - ٥٣ - يرجع في تفاصيل هذا الصراع إلى : شهاب الدين بن أحمد عبد القادر : (عرب قلبه) : مرجع سابق .
 - ٥٤ - عن ولاية الحبش الشمالية ودورها في هذا الصراع الإسلامي يرجع إلى : شوقي الجبل : ولاية الحبش العثمانية بين إيالة صدة والإدارة المصرية (مجلة الدارة - العدد ٢٢ لسنة ١٩٨٤ هـ) .
 - ٥٥ - الغوميسان : طائفة كالجذويث (Jocias) انضمت إلى القديس دومنيكا (Se Dominic) وبدأت نشاطها في أسبانيا والبرتغال وكان لها نشاط بشعري في الصحراء والهند ، واليابان ، وبين فصحت الكشوف الجغرافية لنبذة البحار الأخرى انجذبوا بشغفهم إلى هذا البحار الجديد .
- المصادر والمراجع :**
- أولاً : المصادر والمراجع العربية أو المعربة :**
- ١ - أبو ظرطبة ، أبو عبد الله بن محمد الرازي الطنجي : تحفة النظار في غرائب الأقطار ، ج ١ . القاهرة ١٣٢٢ هـ .
 - ٢ - أحمد حمزة المصري : شأن وشرق أفريقيا (مطبعة عمان ١٩٦٨م) .
 - ٣ - جمال حمدان : جغرافية المدن (القاهرة ١٩٦٧م) .
 - ٤ - جريجان ، شارل أندريه : تاريخ أفريقيا (ترجمة طلعت عمرض أبهة - القاهرة ١٩٦٨م) .
 - ٥ - جيان : وثائق تاريخية وجغرافية وتجارية ، عن أفريقيا الشرقية (ترجمة يوسف كمال - القاهرة ١٩٢٧) .
 - ٦ - رجب محمد عبد الحليم : العلاقات السياسية بين مسلمي الزنوج ونصارى الحبشة في العصور الوسطى (١٩٨٥) .
 - ٧ - سعيد بن علي الشبيري : جهة الأثير في تاريخ زنجبار (تحقيق عبد انصم عامر - مطبعة عثمان ١٩٧٩م) .
 - ٨ - شوقي الجبل : قضية روديبا بين الأمم المتحدة ومنظمة الوحدة الأفريقية (١٩٧٧) .
 - ٩ - شوقي الجبل : تاريخ كندا أفريقيا واستعمارها (القاهرة ١٩٦٦) .
 - ١٠ - شوقي عبد القوي عثمان : تجارة الحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية (الكويت ١٩٩٩) .
 - ١١ - عبد الرحمن زكي : الإسلام والمسلمون في أفريقيا .

- 5- Hamilton Genesta : The Story of Portuguese Pioneers in East Africa (London 1995) .
- 6- Johnston, H.H.: History of the Colonization of Africa by Alien Tribes (Cambridge 1913) .
- 7- Keatly, Patrick ; The Politics of Partnership (1965) .
- 8- Knapper Jan : Swahili Islamic Poetry (Leiden 1971) .
- 9- Leo Marquard : The Story of South Africa (London 1954) .
- 10- Tracey H. : Antonio Fernandes (Loranco Masques 1940) .

٥٠٠ - بحيرة الكركير بك صحف ص ١٠٠

الغزو الفرنسي للجزائر

ومواقف أوروبا منه

تعد العلاقة بين الجزائر وفرنسا خلال الأربعة قرون الأخيرة ، نموذجاً رائعاً في مجال الدولية المبنية على قصة اللذيق والحروف ، لقد شرع ملوك فرنسا يبحثون عن الأسباب والبررات لغزو الجزائر واحتلالها منذ مطلع القرن السابع عشر ، غير أن قوة الجزائر السياسية والاقتصادية والمسلحة وقتت حجر عثرة في طريق المد الفرنسي إلى هذه الربوع الإفرقية طوال ثلاثة قرون من الزمن . ولكن الفرنسيين على ما يبدو كانوا حريصين أشد الحرص على تزاوت العدوان على الجزائر خلفاً عن سابق ، حتى أن الثورة الفرنسية التي حملت للإتسانية صيادى، الحرية والإخاء، والمساواة ، لم تستطع أن تُنسى الفرنسيين مبررات العدوان على الجزائر، حتى حققوا أهدافهم الامتصاصية وأصبوا غنائمهم العدوانية في الجزائر خلال قرن وثلاث فون من الزمن .

٥٠٠ - جامعة قسنطينة - الجزائر .

خمسة ملايين نسمة (١٢) . وبعد الفرنسيون إلى تخفيض الرقم من أجل تغطية الجرائم الإنسانية وحرب الإبادة التي اتبعوها في الجزائر منذ بداية الاحتلال .

المشاريع الاستعمارية الفرنسية لاحتلال الجزائر ١

بدأت الأطماع الفرنسية في احتلال الجزائر تتجسد في مشاريع عسكرية منذ سنة ١٦٢٨م ، بعد أن أخذت الطبقة البرجوازية صاحبة رؤوس الأموال الضخمة في فرنسا تزداد يوماً بعد يوم ، مع ازدياد حاجاتها للسواد الأزرق ، والأسواق العالمية ، لتطوير وتصدير منتجاتها الصناعية .

وعا أن الجزائر كانت أقرب منطقة إلى فرنسا خارج أوروبا مع ما تمتع به من عمق استراتيجي وبعد اقتصادي ومناخ معتدل ، فقد كانت أول هدف في برنامج التوسع الاستعماري الفرنسي منذ مطلع القرن السابع عشر الميلادي . ولكن المشاريع الاستعمارية الفرنسية التي تمسنا في هذه الدراسة هي تلك التي وضعت خلال العقود الثلاثة الأولى من القرن التاسع عشر الميلادي .

أما مشاريع مطلع القرن التاسع عشر ، فإنها تتصل اتصالاً مباشراً باحتلال الجزائر سنة ١٨٣٠م ولعل أهم مشروع تجدد الإشارة إليه في هذا السياق هو مشروع الهنيس " بونان " وجبل الهدنة الحربية الفرنسية .

لقد حاول نابليون بونابرت احتلال الجزائر منذ أن سادت العلاقة بين حكومته وحكومة الجزائر سنة ١٨٨١م بسبب تقصير القنصل الفرنسي " ديبر نافييل " في تقديم الهدية التي اعتاد القناصل تقديمها للناي عند تعيينهم في الجزائر ، وحتى عندما طلبها الباشا رسمياً باعتبارها ضي ، وأجب تقديمه ، أجاهه نابليون برسالة (٣) شديدة اللهجة هدده فيها بتحطيم الأسطول الجزائري سطرًا بأن فرنسا " نابليون " لم تعد فرنسا " الهويون " ، وكان نابليون في هذه الحقبة يحلم بجعل البحر الأبيض المتوسط بحيرة فرنسية ، كذلك يخطط بحملة كبيرة ضد دول المغرب العربي الأربع وإقامة معسكرات فرنسية فيها ، بهدف إضافة منطقة أخرى إلى أجزاء إمبراطوريته في البحر المتوسط .

وكان أن تطور الخلاف بين البلدين حتى بات منبرًا بوقوع حرب بين الطرفين ، غير أن دخول فرنسا في مشاكل دولية أخرى جعلت نابليون يؤجل مشروع الحروب مع الجزائر لمدة ست سنوات.

بمعالج هذا البحث موقع الجزائر الاستراتيجي القوي للفرنسيين خاصة والأوروبيين عامة ، كما يتناول مختلف الشارح الاستعمارية التي أعدتها فرنسا لاحتلال الجزائر إبان العصور الحديثة ، وكيف ظلت هذه المخططات تصطبغ بقوة الجزائر حتى جاءت الفرصة السانحة .

كذلك يتناول أسباب هذا الاحتلال القريبة والبعيدة ، ومواقف الأوروبيين من سياسيين وعسكريين وفلاسفة ورجال الدين من هذا المد الاستعماري إلى الجزائر في وقت مبكر من حركة الاستعمار في البلاد العربية والإسلامية الأخرى .

موقع الجزائر الجغرافي :

الجزائر قسم من إفريقيا الشمالية ، يحدّها من الشمال البحر الأبيض المتوسط ، ومن الشرق تونس ومن الغرب مراكش ، ومن الجنوب الصحراء الكبرى .

ولى أكبر اعتداد لها ، من الشرق إلى الغرب يبلغ طولها ٥٠٠ ميل (١٢٠٠ كم) ، ومن الشمال إلى الجنوب ٢٠٠ ميل (٤٨٠ كم) .

وتشكل سلسلة جبال الأطلس إحدى أبرز خصائص تضاريس هذا البلد ، فهي تفصل عن الصحراء الأراضي المزروعة التي تحاذي الساحل وتوجه السلطة الرئيسية " شرقًا - غربًا " ، لكن تفتق من هذه السلسلة الرئيسية في جميع أنحاء البلاد ، استقطانات في جميع الاتجاهات .

وأعلى قمة في القسم الغربي هي جبل فانا شري أو Monzheaus المنسوب إلى بطليسروس ، وأعلى المرتفعات في القسم الشرقي هي مرتفعات جوجرة والأوراس ، ويصل ارتفاع هذه الجبال إلى حوالي ٧٠٠٠ قدم .

وأهم نهر هو " نهر الشلف " . وتوجد كذلك أنهار ذات طول لا يتعدى ١٠٠ كلم من الشلف الجنوبي للأطلس وتضيق في الصحراء ، ولا يصلح أي من هذه الأنهار للملاحة ، وفي الصيف تتحول إلى جفاف شبه تام ، لكنها في الشتاء ، والربيع تفرق مساحات شاسعة من الأراضي فتغصب تربتها (١) .

أما عدد سكان الجزائر فعند الاحتلال سنة ١٨٣٠م فقد اختلف فيه المؤرخون ، فبينما يذكر حمدان بن عثمان خوجة أن عدد سكان الجزائر كان يقدر بعشرة ملايين نسمة ، قدمه الفرنسيون بحوالي ثلاثة ملايين نسمة فقط ، بينما يقف البعض الآخر موقفًا وسطًا بين العدوين ، فيذكر

هدايا نسبية تقدر بـ ١١٢.٩٢٤ فرنك ، وفي مقابل ذلك أعاد بانسا الجزائر إلى فرنسا
الإحتياجات التي كانت قد فقدتها من قبل ، وذلك في يوم ١٧ آذار (مارس) ١٨١٧ م .
وتساهلت الجزائر مع فرنسا تخففت من الضرائب البشوية التي كانت تدفعها فرنسا من
٢٠٠٠٠٠ إلى ١١٨٠٠٠٠ فرنك سنوياً .

وفي ١٨١٨ جاء إلى رئاسة حكومة الجزائر الداي حسين خلقاً للباشا على خوجة . وقد برز
حسين هبون الجزائر على فرنسا ، وأخذ يطالب حكومة باريس بتسديدها . على أن القنصل
هو قال أهاد تسم العلاقات الجزائرية الفرنسية من جديد ، إذ كان يخشى مراسلات حكومته
من الداي حسين وهي التي كانت تجيب عن خطابات حكومة الجزائر .

وإذوا الوضع تعقيداً ابتداءً من شهر نيسان (أبريل) سنة ١٨٢٧م عندما أساء القنصل
الفرنسي الأدب مع الداي حسين في حضرة القنصل والديبلوماسيون الأجانب في الجزائر الذين
كانوا مجتمعين في قصر الداي بنامية عبد الأضحي . فقام هذا الأخير بضربه بمرحة كانت في
يده ترتب عليها ضرب حصار فرنسي محكم على مدينة الجزائر ابتداءً من ١٦ يونيو ١٨٢٧م .
وعا أن هيبة الجزائر البحرية وقوتها القتالية كانت ماتزال ماثلة في أذهان الأوربيين عسرواً
والفرنسيين على وجه الخصوص ، فأنهم لم يجرؤوا على غزو المدينة واكتفوا بضرب الحصار لمدة
ثلاث سنوات كاملة للتأكد من قوة الجزائر أو ضعفها في مواجهة الغزو الأجنبي .

والحق أن فرنسا أخذت منذئذ في وضع المشاريع والحطط العسكرية الرامية إلى احتلال
الجزائر التي طالت حلم بها ملوكها وأباطرتها في العقود الغابرة .

ثانياً : مشروع لويفوردو :

أما المشروع الثاني الذي وضعه الجنرال لويفوردو Luverdo في شهر يونيو ١٨٢٧ م ، فقد
تضمن معلومات تاريخية وجغرافية وأحداث عسكرية لمعرفة إمكانات الجزائر ومدى قدرتها
على التصدي في حالة الغزو .

وقد انتهى الجنرال لويفوردو مهمته خلال ثلاثة أشهر . ومع ذلك كله فإن الحكومة الفرنسية
لم تقمر الحملة العسكرية في ضوء هذا المشروع الثاني أيضاً ، واكتفت بالحصار نظرًا لخوارث
البونابان ، وقراغ المخازن من الأسلحة ، وتدعوى الأسطول الفرنسي في البونابان (١٨) . ومع ذلك
التاريخ ازدادت المشاريع الفرنسية لاحتلال الجزائر بشكل متتابع لم يسبق له مثيل .

حتى إذا ما وقع معاهدة السلام (معاهدة تلمت) مع روسيا سنة ١٨٠٧م عاد مشروع الحملة
ضد الجزائر إلى الظهور .

أولاً : مشروع بوتران :

أمر نابليون وزيره للبحرية بالتفكير جيداً في القيام بحملة ضد الجزائر ، سواءً كانت بحرية
أو برية ، كما أمره بجمع المعلومات الضرورية عن وسائل التصون وطبيعة الأرض ، وكان
وإزمان الحملة ، واقتراح التسمية على العدو لكي يظن أن الحملة موجهة إلى صقلية . وأمر أن
تأتيه المعلومات في ظرف شهر . كذلك طلب من الوزير إرسال أحد جنوده الذين يتأدون بالروح
العسكرية وبالمهارة الهندسية سرّاً إلى الجزائر لوضع خطة عسكرية للغزو .

وكان أن وقع الاختيار على ضابط يسمى " بوتران Boutin " . وكان بوتران فعلاً إلى
الجزائر حيث ظل هناك مدة من الزمن متقللاً من برج البحري شرقاً إلى سيدي فرج غرباً ،
متجسساً دارساً الحصون وخطط التبول . وبعد أن كتب ملاحظاته ووضع خطته عاد إلى فرنسا
في يوم ١٧ تموز ١٨٠٨ م . ولكنه في طريق عودته وقع أسيراً في يد الإنجليز
الذين قادهوه إلى سالطة . وفي تلك الأثناء سرق الخطة لكي لا تقع في أيدي المخابرات
الإنجليزية ، ولكنها ظلت راسخة في ذهنه . وبعد فراره من سالطة وعودته إلى فرنسا أعاد
رسم الخطة من جديد (١٤) . وضمتها معلومات دقيقة عن تحصينات الجزائر وطبيعة أرضها ،
ومدى قوتها والزمن المناسب للحملة ، والمدة التي تستغرقها السيطرة على مدينة الجزائر ،
وعدد الجيش الضروري لذلك (من ٢٥ إلى ٤٠ ألف محارب معظمهم من المشاة) مع بعض
الطابع .

ومن جهة أخرى أوضح الأخطار التي قد تتعرض لها الحملة من البحر . واقترح بدلاً من
ذلك أن تكون الحملة برية والاحتياط على قلعة مولاي حسن (الإمبراطور) لأنها تشرف على
مدينة الجزائر العاصمة ، واقتراح أن يكون نزول الحملة في شبه جزيرة سيدي فرج محلوها من
الداق والجنود ، وأن الزمن المناسب هو من مايو إلى يونيو ، وأن مدة الحملة لا تتجاوز
شهرًا (١٥) . غير أن هذا المشروع لم يحظ بالتفكير في تلك الحقبة ، لأن نابليون كان متغلباً
بالحرب في إسبانيا وحملة روسية ، هذا مع ضعف الأسطول الفرنسي ثم سقوطه (١٦) .

وبعد مؤتمر فيينا عاد السلام من جديد بين الجزائر وفرنسا . وعينت فرنسا قنصلاً لها في
مدينة الجزائر في ٢٨ أغسطس ١٨١٥م وهو " بيير دو فال Duval " الذي حمل إلى الداي

خامساً : مشروع نائب برلاني :

أما المشروع الخامس فقد اقترحه أحد النواب الفرنسيين في البرلمان وطلب فيه صاحبه إقامة مستعمرات عسكرية بالجزائر شبيهة بالمستعمرات الرومانية التي أقيمت بالقرب القديم ودعا الأوربيين إلى التوجه نحو الجزائر بدلاً من الهجرة إلى أمريكا . وحاول صاحب المشروع إقناع زملائه في البرلمان بأن احتلال الجزائر سيحوض فرنسا عما فقدته في منطقة الراين ، ويغنيها عن شراء بعض البضائع مثل التبغ والحديد والسكر والذرة والقطن . ولكن الحكومة الفرنسية رفضت المشروع لأن الحملة الاستغياية كانت على الأبواب (١١) ، ولأن نتائج الحملة المقترحة سيأتي بعد إجراء الاستغيايات وبالتالي لن تؤثر في الرأي العام الفرنسي لصالح الحكومة .

سادساً : مشروع اللجنة الحماسية :

وأتى مشروع آخر لاحتلال الجزائر بعد طول الحصار وقفل للشاريع السابقة لعطه بنفذ الحكومة الفرنسية وأسرة البوربون من المأزق الذي ولعت فيه منذ صيف ١٨٢٧ م . فأنشأت لجنة خضابية من قبل ذبير الحربية الجديد هي كو De Caux " لدراسة المسائل المتعلقة بحملة ضد الجزائر وتقديم خطة كاملة للعمل وتعيين الوسائل الضرورية للتغلب (١٢) .

وكانت اللجنة تضم الجنرال بيسرج الذي كان قد أرسل سنة ١٨٠٢ م للجنس على تحصينات الجزائر ، وكان رئيسها هو الجنرال لوفيرود الذي سبق الإشارة إليه .

وقامت هذه اللجنة بجمع المعلومات من كتب الرحالة وأخبار الأسرى الأوربيين ، والذكريات التي كتبت عن الحملات السابقة ضد الجزائر من عام ١٨٢٨ م . وشبه رأى اللجنة فيما يتعلق بخصوص مكان النزول وعدد الجنود والمعدات ورأى يوثان وتونبير (١٣) .

ونظراً لوجود معارضة قوية في البرلمان والحضارة الاقتصادية التي تسبب فيها الحصار ، وللظروف الدولية ، قررت الحكومة الفرنسية أن تناقش من جديد سنة ١٨٢٩ م ، خبر أن تلك المفاوضات باءت بالفشل الذريع مع الداي حتى كسابقاتها ، لأن باريس كانت تريد أن تفرض شروطاً تقس بالسباهة الجزائرية ، ومع ذلك لم تستطع إقرار الهجوم على الجزائر وجات إلى وضع مشاريع أخرى .

ثالثاً : مشروع دويش ثوار :

تقد كلف الضابط دويش ثوار " Dupetit Thouars " بإعداد مشروع لهاجنة الجزائر من البحر ، ولكن الحكومة الفرنسية لم تأخذ به أيضاً .

رابعاً : مشروع الكونت كيرمون تونبير " C. Tonnerre " :

بعد فشل المشاريع السابقة الذكر ذبير الحربية الكونت كيرمون تونبير يوضع مشروع آخر للهجوم على الجزائر . وقد اعتمد على مشروع يوثان السالف الذكر ، وأكد تونبير في مشروعه على أن حملة ضد الجزائر ضرورية وتمكنة في نفس الوقت ، وقد تضمن المشروع عرطاف دينية صليبية واضحة ، إذ أنه اعتبر الحملة " حرباً صليبية " هيأتها العناية الإلهية لمنقذها الملك الفرنسي الذي اختاره الله ليغار من أعداء الدين والإنسانية ، وبغمل الإهانة التي لحقت الشرق الفرنسي ، وخاطب تونبير (١٤) الملك قائلاً : " لعل الوقت سيجعل من حطنا نحن الفرنسيين تمدين الجزائريين بعقلهم مسيحيين " .

كما احتوى هذا التقرير على وصف مفصل للحالة الاقتصادية التي كانت عليها الجزائر ، والتي تغرى أصحاب رأس المال والمصالح التجارية بالحملة ، فقد قال إن الخويزة الجزائرية كانت تضم ١٥٠ مليون فرنك ، وأن للجزائر موراني ، عديدة وسهولاً خصبة ، وغابات صالحة لبناء السفن ، وهناك مناجم الحديد والرصاص وحيال من الملح والمواد الكيمائية الأخرى . وفي الوقت نفسه يهدد أعلام العسكريين حين أوصى بإقامة مستعمرات فرنسية في الجزائر .

أما بخصوص الهجوم فقد أوصى تونبير بالهجوم على الجزائر من البر بدلاً من البحر ، وأن يكون نزول القوات الفرنسية من شبه جزيرة " سيدي فرج " وأما وقت الحملة فهو بين أبريل ويونيه وتوقع لها أن تلموم ستة أسابيع . ورأى أن الحملة ستكون الخويزة الفرنسية حوالي ٥٠ مليون فرنك (١٥) ، وتضم ٢٢٠٠٠ رجلاً بالإضافة إلى فرقة من الخيالة وعدداً من فرق المدفعية .

وكان من رأيه أن تحمل فرنسا كل الجزائر ابتداء من سنة ١٨٢٨ م ، لأن أوروبا كانت تعيش في سلام ، ولأن الرأي العام الفرنسي كان مهيباً لها . وبعد مناقشة هذا المشروع في مجلس الوزراء يوم ١١ أكتوبر ١٨٢٧ تقدر عدم الأخذ به آنذاك .

على (١٦٦). عند مناقشته في مجلس الوزراء ، لأن المشروع على ما هو عليه يعتبر إهانة للشرف الفرنسي في نظرها ، فمحمد علي لم يكن في نظرها يختلف كثيراً عن حبيبة باشا . كلاهما أبريري .

وقد هدد هوسن بالاستقالة إذا منعت فرنسا محمد علي الأربع سنين ، لذلك اضطر بوليفياك إلى تعديل المشروع بتخفيض المبرنة إلى ١٠ ملايين ، أما السفن فتصار فقط ، واشترط أن تكون فرنسا " مشاركة " في الحصار والهجوم .

وفي ١٢ أكتوبر ١٨٢٩ وأقن الملك الفرنسي على المشروع المعدل ، وفي الحال أرسل بوليفياك بعثة إلى محمد علي لحقت " بهودير " .

لكن مجلس الوزراء الفرنسي قرر في ١٩ ديسمبر ١٨٢٩م أن تقوم فرنسا وحدها بالحملة ضد الجزائر ، وفي العشرين منه وافق علي ذلك مبدئياً أيضاً (١٦٧) .

على أن بعض الصحف وصفت مشروع " محمد علي - بوليفياك " بأنه غير ممكن وخطيئ ، ومهولة ، وأنى مجد لفرنسا أن تستعمل مسلماً ضد مسلم . كما أن روسيا وانجلترا اعترضتا على المشروع .

وبناءً على هذه الاعتراضات من قبل الرأي العام الفرنسي والدولي ، وشروط محمد علي المبرنة لفرنسا فشل المشروع ، وقرّر مجلس الوزراء الفرنسي في جلسة يوم ٤ يناير ١٨٣٠م ، القيام بحملة ضد الجزائر ، وفي ٧ فبراير أقر الملك شارل العاشر مشروع الحملة وبدأت الاستعدادات بوضع مخططات الحملة ، وعملاً فقد تكن الفرنسيون بعد حوالي عشرين يوماً من المراك البرية مع الجيش الجزائري أن يحتلوا مدينة الجزائر العاصمة في يوم الخامس من شهر تموز (يوليو) من العام نفسه (١٦٨) .

أسباب الغزو والاحتلال الفرنسي :

كانت فرنسا كما سبقنا الإشارة إليه تطمح في احتلال الجزائر منذ سنة ١٦٢٨م . وتفتح المشاريع لتحيق هذا الغرض ، ولكن قوة الجزائر البحرية والاقتصادية حالت دون تنفيذ هذه المشاريع الاستعمارية من قبل فرنسا حينئذ .

ولكن حدث في الربع الأول من القرن التاسع عشر ، أن تعاقرت عوامل كثيرة أضعفت قوة الجزائر العسكرية والسياسية والاقتصادية ، بسبب ضعف الدايات ، وتدخل أسرتي بكري

سايها : مشروع محمد علي ؛ عرض محمد علي حاكم مصر (١٨٠٥ - ١٨٤٨) مشروعاً على الحكومة الفرنسية لحل مشكلة الجزائر .

طلب محمد علي من الحكومة الفرنسية أن تصاعده ، في أن يصبح حاكماً على طرابلس وتونس والجزائر .

واقترح أن يوجه جيشه بالساحل الإفريقي الشمالي محيياً بأسطول فرنسي بحري ، على أن يمهده فرنسا بأربع سفن و ٢٨ مليون من الفرنكات ، وكان في اعتقاده أن السلطان العثماني سيكون راضياً (١٦٤) ، لأن المشروع يجعله يحصل على جزية سنوية شبيهة بالتي يدفعها إليه محمد علي من مصر . وفي تصوره أيضاً أنه سيبرضى لفرنسا لأنها ستخلص الجزائر وأوروبا من مشكلة القرصنة .

وقد أكد محمد علي للفصل الفرنسي في القاهرة عندئذ أنه قادر على إنهاء المشكلة الجزائرية بتجنيد ٦٨ ألف رجل و ٢٣ سفينة وتزوير مائة مليون فرنك لتغطية نفقات الحملة . ونحلاً رجب بوليفياك رئيس الحكومة الفرنسية بمشروع محمد علي ، وأرسل على الفور الصابيط هودير Hudot إلى مصر للتفاوض ، كما أرسل تعليمات إلى سفير فرنسا في إسطنبول بيجس نبض السلطان حول الموضوع ، واقناعه بأن الحملة إذا قام بها محمد علي ستحقق عنة مكانها .

١ - جزية هامة من الولايات الثلاث " تونس ، الجزائر ، ليبيا " الصادرة عليه .

٢ - علم إرسال الجنود الفرنسيين إلى الجزائر .

ويبدو أن الديوان العثماني كان مع المشروع في أول الأمر ، ثم تراجع عنه على أساس أن مشروع الحملة على بلد إسلامي يخالف الدين الإسلامي ، وأن محمد علي لن يقدر على تنفيذ الحملة . وبدلاً من التأييد وافق الديوان على إرسال شخصية هامة للتعرف على موقف باشا الجزائر ، والتوسط في إبعاد حل بين الجزائر وفرنسا . وكانت هذه الشخصية السيد خليل أفندي الذي كان صديقاً لباشا الجزائر والذي كان ديبلوماسياً ماهراً . وقد وصل إلى الجزائر في شهر ديسمبر ١٨٢٨م . ولكن السيد خليل أفندي فشل في مهمته (١٦٥) . هذا من ناحية . ومن ناحية أخرى فقد عارض وزير الحرب بوردون ودنير البحرية دي هوسن مشروع محمد

خاصاً : تحطيم الأسطول الجزائري :
 ظل الأسطول الجزائري يسيطر على حوض البحر الأبيض المتوسط حوالي ثلاثة قرون من الزمن . وكان يشكل عقبة كثيرة أمام الأساطيل الأوربية والأمريكية التي كانت تغمر عباب البحر في اتجاه آسيا وإفريقية ، فتحالفت أوروبا - ومن مقدمتها فرنسا - على إضعاف هذه البحرية الإسلامية في الجزائر ، وجاءت حرب المورة بين الدولة العثمانية والدول الأوربية القوية البحرية الإسلامية في الجزائر ، وشاركت فيها الأسطول الجزائري بحافس وحداته ، ونظراً لتطور البحرية الأوربية التحالفة ، وشارك فيها الأسطول الجزائري بحافس وحداته ، ونظراً لتطور البحرية الأوربية ونجح الذها فقد حطمت معظم الأساطيل العثمانية ومن بينها الأسطول الجزائري في معركة نافارين جنوب اليونان سنة ١٨٢٧م (٢٢١) .

ثانياً : النمو الديمغرافي في فرنسا :
 هورت فرنسا منذ فجر العصور الحديثة تطوراً ملحوظاً في تزايد عدد السكان بسبب تطور الحياة الاقتصادية والصحية ورفاهية العيش ، فأدى ذلك إلى فائض في السكان ، لاسيما الفتات الغير مرغوب في بقائها في فرنسا كالتصوم وقطاع الطرق والمعكوم عليهم بالإعدام والمعكوم عليهم بالسجن المؤبد . . . الخ ، فأزادت عملة شارل العاشر تصديرهم إلى مجالات إفريقية بعيدة عن فرنسا .

ثالثاً : تطرف الكنيسة الكاثوليكية :
 بقيت الحروب الصليبية تغذي الحقد الديني المسيحي ضد المسلمين منذ العصور الوسطى ، وتجدهت هذه الحروب الصليبية منذ بداية العصور الحديثة مع المغرب العربي بقيادة إسبانيا وفرنسا ، وملاحقة مسلمي الأندلس عقب سقوط غرناطة سنة ١٤٩٢م ، غير أن ظهور المشائين في شمال إفريقيا كقوة إسلامية ناشئة وضع حدك للحد الصليبي لمدة ثلاثة قرون متعاقبة ، فبقي رجال الكنيسة الكاثوليكية يحملون بقتصر مكان شمال إفريقيا تنفيذاً لوصية الملكة إيزابيلا - ١٤٦١ .

رابعاً : مكانة شارل العاشر الحديثة :
 بعد عمود أسرة البوربون إلى سدة الحكم في فرنسا سنة ١٨١٥م كان على رأسها الملك شارل العاشر ، الذي لم تكن سياسته محبوبة عند الشعب الفرنسي فتعده ، وأخذ يشر الدلائل والاضطرابات في البلاد من حين لآخر . فأراد أن يوجه نظره خارج فرنسا وأن يشغله بشكلة الغزو والاحتلال لبلد آخر ، وكان هذا البلد هو الجزائر .

ويوشاق اليهوديتان في شؤون الدولة ، وتعاظم الأساطيل البحرية البريطانية والفرنسية في حوض البحر الأبيض المتوسط ١١٩٦ . ومن أبرز هذه العوامل التي ساعدت على الغزو الفرنسي للجزائر :

أولاً : الموقع الاستراتيجي الهام للجزائر بالنسبة لفرنسا .
 تشكل الجزائر بوقعتها الجغرافي المتوسط بين بلدان المغرب العربي والقرية من فرنسا بوابة هامة بالنسبة للدول الأوربية ولاسيما فرنسا ، فعاولت السيطرة عليها منذ القرن السابع عشر ولكنها باءت بالفشل الذريع أمام قوة الجزائر .

ثانياً : ديون الجزائر على فرنسا :
 وقعت الجمهورية الفرنسية الأولى وحكومة التنصلي في ضائقة اقتصادية خطيرة بسبب الحصار الذي ضربه عليها أوروبا عقب الثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩م ، فأقتطعت الجزائر من أزمته الاقتصادية ، وأقرضتها أمراً طائلة ومحتما ربع مليون فرنك فرنسي ذهباً بلا فائدة ، وفي الوقت نفسه كانت أسرتا بكري ويوشاق اليهوديتان قد صدرتا إلى فرنسا كميات كبيرة من القمح على أن تدفع تكاليفها على أجال مستقبلية ، وعندما أخذت الجزائر تطالب فرنسا بتسديد ديونها وديون اليهوديين باعتبارهما من رعايا الجزائر ، عجزت فرنسا عن تسديد هذه الديون فبدأت تبحث عن طرق أخرى للخلاص منها (٢٠) .

ثالثاً : التنافس البريطاني الفرنسي على مناطق النفوذ :
 بدأ الصراع بين فرنسا وبريطانيا على المناطق الجنوبية خارج أوروبا منذ القرن السادس عشر . بعد نمو الطبقة البورجوازية في البلدين ، وتطور صناعة السفن والإسطرلاب ، واكتشاف طرق التجارة العالمية المختلفة ، لاسيما طرق التوابل من الهند . وكان هدف الدولتين إيجاد مصادر للمواد الأولية وأسواق خارجية لتصريف منتجاتها الصناعية ، فكان عليهما أن تتسابقا إلى العالم القديم ، لاسيما الشريط الساحلي الشمالي لإفريقيا (٢١) .

رابعاً : قلعة العزلة من فرنسا :
 بعد هزيمة نابليون بونابرت في موقعة واترلو سنة ١٨١٥م ، أعيدت فرنسا إلى حدودها الجغرافية التي كانت عليها قبل الثورة ، وضرب عليها حصار أوروبي من قبل الأمم الراضية بالملكة في أوروبا بوقتر فبيننا ، فحاولت الخروج من هذه العزلة الدولية نحو العالم الخارجي (٢٢) .

بريطانيا الشرق الأدنى سنة ١٧٩٨ م . لاسيسا وأن معاهدة فيينا ١٨١٥ أعادت فرنسا إلى حدودها الجغرافية . ومنعتها من مد نفوذها خارج حدودها الطبيعية .

وكانت بريطانيا شديدة الحرص على ممتلكات الدولة العثمانية التي بدأت في الانحسار ، وكانت ترى أولويتها على هذه الممتلكات قبل أية دولة أوروبية أخرى لأن وجود فرنسا الدائم في شمال إفريقيا يهدد التفوق الإنجليزي في البحر المتوسط (٢٦) . وما كان يفتق بريطانيا أيضا الدعوة السامية السريعة لفرنسا على مسح الأحداث ، بعد ضربة الشلال التي وجهت لها إثر هزيمة نابليون ، والمعاهدات التي فرضت عليها ولعبت فيها بريطانيا دورا كبيرا . هذا من جهة .

ومن جهة أخرى فإن قادة بريطانيا كانوا لا يطمنون إلى فرنسا الكاثوليكية وإلى تحالفها مع روسيا . ومع أن فرنسا نشرت مذكرات تطعن فيها بريطانيا وتوضح الفوائد التي تجنيها أوروبا من احتلال الجزائر ، فإن هذه المذكرة كان لها أثرها السلبي على بريطانيا ، التي أبدت مخاوفها من أن هذه الصليبية الجديدة ستتيح لفرنسا وضع يدها على نيابة الجزائر مما يهدد مصالحها في حوض المتوسط (٢٧) .

ثانياً : روسيا :

أما الدولة الروسية فإنها لم تبد أية معارضة لتعزو فرنسا للجزائر ، وقد أعطى القيصر موافقة بدون تحفظ ، وأعلنت الحكومة الروسية : " ... أنها ستظر بسروير إلى احتفاظ فرنسا في الجزائر بتوسعة وطيدة لتؤمن وإلى الأبد سلامة الملاحة في المتوسط ... " .

ثالثاً : بروسيا :

أما بروسيا فلم تشك من الطريق الذي سلكته روسيا قبلها حيث أعلنت تأييدها لفرنسا ، وأيضاً والنمسا :

أما النمسا فإن مستشارها مترنخ أعلن موافقا متحفظاً ، رأى فيه شعور صديقه بروسيا وبروسيا ، بالرغم من أنه كان يشك فيما أعلنته فرنسا تجاه الجزائر .

خامساً : الدول الشمالية :

أما دول الشمال الأدنى ولاسبسا السويد ، فإنها أبدت تأييدها لاحتلال فرنسا للجزائر (٢٨) .

تاسعاً : حداثة المروعة :

تولى القنصل الفرنسي بيير دو فال تمثيل شؤون فرنسا في الجزائر في عهد الداي حسين سنة ١٨١٨ م .

وكان دو فال رجلاً عتيقاً يجمع أساليب الخبث والبدع ، مع داء الجزائر لصالح فرنسا ، وحوارل تمكيم الأجواء ، السياسية بين البلدين ، فينقل آراء الطرفين مشوهة أثناء المفاوضات ويتبادل الرأي حول مصالح الدولتين ، فكرهه الداي حسين بعد أن عرف مكره ، وطلب من الحكومة الفرنسية سحبته بتفصل آخر ١٢٥١ ، تكون مهنته تحسين العلاقات وتوطيد السلم بين البلدين ، وولكن فرنسا رفضت هذا الطلب .

وفي مناسبة عيد الأضحى المبارك سنة ١٨٢٧م زار القنصل الأجانب في الجزائر الداي لتقديم التهنئة ، وكان دو فال واحداً منهم ، وأثناء الحديث سأله الداي حسين عما إذا كانت الإشاعات التي تروج حول قيام حرب منظرية بين فرنسا وبريطانيا صحيحة ، فأجاب القنصل بكلام لا يلبق بمكان الضيافة ، فلوح عليه الداي بمروحة كان يحملها في يده فلففته على وجهه ، فاعتبر دو فال ذلك إهانة للشرف الفرنسي المثل في شخصه ، وخرج من مجلس الداي يهدد بحرب ضد الجزائر من جوار ، هذا الموقف .

وأرسل تقريراً إلى حكومة باريس ضخم فيه الأمر أكثر مما يجب ، فكانت تلك المهادنة سبباً مباشراً في ضرب حصار فرنسي بحري على الجزائر دام ثلاث سنوات كاملة (١٨٢٧ - ١٨٣٠م) وهكذا اجتمعت العوامل الاستراتيجية والاقتصادية والسياسية والعسكرية والاجتماعية لتشكل مبررات اعتبرتها فرنسا أساسية لاحتلال الجزائر .

وما هي في الحقيقة إلا تلبية لرغبة ملوك وأباطرة فرنسا الذين ظلوا يحلمون بإقامة مستعمرة قريبة من فرنسا يسهل تسييرها وتقع قراواتها ، فكانت الحملة وكان الاحتلال .

موقف الدول الأقدية من الاحتلال الفرنسي للجزائر :

تراجعت مواقف الدول الأوربية من احتلال فرنسا للجزائر بين التأييد والمعارضة والتحفظ .

أولاً : بريطانيا :

من الدول التي كانت فرنسا تغش معارضة مشروع احتلالها للجزائر بريطانيا العظمى مناستها التقليدية في حوض البحر المتوسط ، لأن بريطانيا عانت الأمرين من فتور نابليون

وجملة القول فإن الدول الأوروبية وقت مصادف فرنسا ، في مشروع احتلال الجزائر ، ما حدا ذلك الدول التي كانت لها مصالح أو مطامع في شمال إفريقيا كبريطانيا مثلاً التي كانت تخشى تفوق الوجود الفرنسي في حوض المتوسط . ويعود ذلك التأييد المطلق أحياناً أو التحفظ أحياناً أخرى للمشروع الاستعماري الفرنسي ، إلى الصراع الديني والحضاري بين الشرق المعروض للإسلامي والغرب المسيحي ، لأن الجزائر كانت تشكل خطراً إسلامياً وغريباً على كافة الدول الأوروبية بما فيها الولايات المتحدة الأمريكية .

موقف بعض المفكرين الأوروبيين من مشروع الاحتلال الفرنسي للجزائر :

نظر بعض الدلائل والكتابات الغربية إلى المشروع الاستعماري الفرنسي للجزائر نظرة لا توائم نزعاتهم الإنسانية وانها هاتهم الأخلاقية .

أ - إنجلترا وماركس :

من الملاحظ إن ماركس (١٨١٨م - ١٨٨٢م) و إنجلز (١٨٢٠م - ١٨٩٥م) بالرغم من دفاعهما عن حق الشعوب المضطهدة في الحياة والحرية ، فإنهما نظرا للمشروع الاستعماري في الجزائر على أنه حضارة وتقدم .

ويعد أسر راند المناوئة الوطنية الجزائرية الأمير عبد القادر سنة ١٨٤٧م ، كتب إنجلز مقالا سنة ١٨٤٨م حول هذا الحادث جاء فيه :

" إن أسر الفرنسيين للرقيم العربي كان من حسن التصديق الكبير " لأن فتح الجزائر ، على الرغم من الكيفية " اللفظة " التي أدار بها الفرنسيون الحرب ، كان عملاً " مؤثماً لتقدم الحضارة " .

والحق أن هذا النص يتعارض تماماً مع منسوب ماركس وإنجلز المعادي للاستعمار واحتلال الشعوب ، ولعل ذلك يرجع إلى أن النظرة لدى زعيم الشيوعية في القرن التاسع عشر لا تفرج عن إطارها الأودي (٣٠) .

والحق أن ماركس وإنجلز لم يعترفوا بالصفة القومية للسلالة الكركولونية إلا في حالة واحدة وهي " أفرنسا " . ويلاحظ أن هذا المثال أودس ، وهو بالتالي يؤكد المسود الأودونية لرؤية ماركس و إنجلز (٣١) .

ويشيد إنجلز في هذا المقال ذاته بأسر الأمير عبد القادر ، لأنه يعتبر مقاومته مجرد صراع بيو بلا أمل ، وعلى الرغم من أنه يستنكر الأساليب التي أدار بها الجزائر الفرنسيون الحرب

سادساً : دول البحر المتوسط :

أما بلدان المتوسط نبالرغم من أنها كانت تخشى ازدياد قوة فرنسا ، فإنها تراوحت بين التأييد والمعارضة .

فبدمونت مثلاً وقتت موقفاً غامضاً من المشروع الفرنسي ، فبينما كان قنصلها في الجزائر يمثل المصالح الفرنسية وتزود الفرنسيين بالمعلومات ، كان قنصلها الآخر في تونس يشرح الداي على المقاومة ويعدّه بمساعدة حكومة بدمونت .

سابعاً : البابا " بيوس الثامن " :

أما المشغل الروحي للمسيحية البابا بيوس الثامن فقد سح باستخدام موثبه من قبل القوات الفرنسية الزاحفة لاحتلال الجزائر .

ثامناً : نابولي :

ومن جهة أخرى فإن ملك نابولي سح للتجار بتزويد الجيوش الفرنسي بالقوارب التي يحتاجها الفرنسيون لغزو الجزائر .

حاشياً : إسبانيا :

كان من المتوقع أن تعارض إسبانيا الحملة الفرنسية على الجزائر بسبب مصالحها ومطامعها هي الأخرى في شمال إفريقيا وإرضاء للحكومة الإنجليزية ، وأدت فعلاً شيئاً من الممانعة في تقديم التسهيلات التي طلبتها منها فرنسا (٣٢) .

والحق أن إسبانيا كانت تريد هي نفسها أن تسهم في المشروع الاستعماري في الجزائر لتفتنك عطلتها ومطامعها الذهبية في تحويل سكان شمال إفريقيا إلى مسيحيين .

ولكن تفنقات المشروع وتجهيزات الحملة كان فوق طاقتها ، ومع ذلك كله وانقت على المساح بتصوير الأسطول الفرنسي من موثبها وإقامة مستشفى عسكري في جزر البليار ، ولكنها سمت إلى خلق العقبات التي تعوق من إنفاذ الفرنسيين من التسهيلات السابقة . أما سكان الموثب ، الإسبانية وجزر البليار فقد استقبلوا الأسطول الفرنسي بحماس لمدانهم للجزائريين ، حيث أحقرا بهم في الماضي الكثير من الأضرار .

والحق أن هذا الفيلسوف الأثاني الذي يعد من كبار الفلاسفة المدافعين عن حرية الإنسان وكرامته ، يسخر من حرية الشرق باعتبارها حرية شخص واحد هو الحاكم ، ويؤيد قرار الملك الفرنسي بغزو الجزائر ويعتبر صله هذا صلا بطولياً يتدرج ضمن الميثاق السلامي في رأيه وهو أرجاع هذه المنطقة إلى أوروبا (١٣٧١).

من هذا المنطلق نقدر أن هيجل يعتبر عن حرية الإنسان الأديس . أما الإنسان العربي الإسلامي في هذه الربوع فلا يهده بقدر ما يهده توافقي ما تقوم به فرنسا في مشروع غزوها لجزائر ، وهو واجب الوجود تجاه هذا الشعب الهيرى حسب رأيه من أجل إحيائه بأسروله الرومانية المسيحية .

ومن هنا نرى أن هيجل استخدم منطقاً وثقافاً يعارته جعل هذا الوجود أمراً يحسد العقل . ذلك أن كل ما فعلته فرنسا وما ارتكبه من مجازر وجرائم ضد الإنسانية هو أنها حققت الوجود العقلي الذي يعتقد هيجل .

ويبدو أن هذا الفيلسوف الأثاني الشهير كانت نعوزه الحقائق التاريخية . ومن هنا يمكن أن تعتبر أن أحكامه المنصرفة كانت قهيباً ذكرها حركة الاستعمار الأديس الحديث لقارة إفريقيا وتحريراً عقلياً لمشارة الاستعمار الاستيطاني ، والإدماج وهم الهيرة القائمة بهدف إحلال المسيحية والفرنسية والتغريب محل العربية والإسلام والوطنية الجزائرية .

ج - موقف كارل ماركس من احتلال فرنسا للجزائر :

كان الاستعمار في الجزائر في نظر ماركس وصديقه إنجلز إبان القرن التاسع عشر ، هو استيطان المستعمرين وهو مظهر من مظاهر الهجرات الأديس التي بدأها اكتشاف القارة الأمريكية ، والنموذج الأضل لهذا الاستعمار هو الولايات المتحدة الأمريكية .

إن تأويل ماركس وإنجلز لهذا الاستعمار هو تأويل اقتصادي خالص ، لا يترقب عند استغلال المواد الأولية والمواد الزراعية ، لأن الاستعمار مرتبط بتوسع الرأسمالية ، وهو تعبير عن تقدمها .

لقد زار ماركس الجزائر سنة ١٨٨٢م بأمر من أطبائه الذين نصحوه بالاستفادة من مناخ الجزائر وشعبها اللدافة ، ومناظرها الخلابة ، ومكث بها شهرين ونصف ، واطلع عن كتب على الوجود الاستعماري في الجزائر وكتب عن الأرض الشاعة " تراضي العرش " وكيف تم نقلها

كالجزائر بجزء متلاً ، فإنه يعتبر " غزو الجزائر " واقعة مهمة وسوانة لتقدم الحضارة ، والتضام على قرصنة الدول البربرية ، وهذا الغزو أزعج بابات تونس وطرابلس ، وكذلك سلطان مراکش على الاضراط في طريق الحضارة ... وإذا كان من الممكن أن تأسف على ما أصاب الحرية من دمار ، فلا يجوز أن ننسى أن أولئك البور أنفسهم هم شعب من اللصوص ، وسائلهم الرئيسية للعيش هي غزورهم لبعضهم بعضاً أو غزور القرويين الحضرة ، ناهيهم ما يجدونه ... إن جميع شعوب البربر يبدون لناظر من بعيد في غاية العزلة والتبيل والبهاء ، ولكن ما علينا إلا أن تقترب منهم حتى تكشف أن الشر هو واقعهم ومحركهم ، وكل ما في الأمر أنهم يلجؤون إلى وسائل أكثر لجماعة وقطاعة ... " (١٣٢) .

وهكذا فإن نظرة إنجلز لا تختلف بالنسبة للجزائريين عن النظرة الاستعمارية الأديس ، وأكثر من ذلك ، فهو أمد معلم الاشتراكية ومع ذلك لا يرى مانعاً في أن تنتقل البورجوازية الغربية إلى الجزائر بدعوى أن الجزائريين إقطاعيون ولصوص وقطاع الطرق يقول (١٣٣) : إن البورجوازي المعاصر . مع الحضارة والصناعة والنظام و " الأثوار " التي يحملها معه على كل حال ، لأفضل من المولى الإقطاعي أو اللص قاطع الطريق ، ومن الطور الفهمي للمجتمع الذي ينتمي إليه .

ب - الفيلسوف الأثاني الشهير " هيجل " ١٧٧٠ - ١٨٣١م :
أطلق على الجزر ، الشمالي من إفريقية ويقصد به طرابلس وتونس والجزائر والمغرب إفريقية الأديسية ، ويرى وجوب ربط هذا الجزء من إفريقية بأوروبا ، ويؤكد على ضرورة هذا الربط ، ثم يشيد بالمجهرات التي بذلتها فرنسا في هذا الاتجاه ، بعد احتلالها الجزائر (١٣٤) . وهو هنا الاعتراف بكون هذا الفيلسوف الأثاني الكبير أول من وقع في مغالطات الغرب الاستعماري . إذ يبارك هذا الغزو ويؤيد إحقاق الجزائر وحدها بأوروبا ، بل إفريقية الشمالية كلها . وكيف لا وقد ارتبط هيجل بالقطبية الأديسية التي لا تعترف إلا بمعطها الضيق ؟ ولذلك كانت أحكامها ذاتية تتم عن عنصرية دفيئة ، وكأن العالم يوجد عندما يعرفه الوعي الأديس ، وينعدم عندما يجهله ، فالمعروفة تساوي الوجود عندهم (١٣٥) .

وبالرغم من أن هيجل يهاجم بعض رجال الدين المسيحيين ، فإنه يعتبر الجزائر وشمال إفريقية التي احتلتها الفينيقيون والرومان والبيزنطيون أرض أديسية مسيحية (١٣٦) .

الرسالة ولقلب الأوضاع بقصد الخلاص في الدنيا وفي الآخرة . مع محاولة فاشلة لتبوير
السلوك العمواني بمقاصد إنسانية .

هـ - موقف رجال الدين المسيحيين من احتلال الجزائر :

صحت عودة الكنيسة الكاثوليكية إلى الحياة العملية والسياسية في عهد شارل العاشر ،
بعث نشاط الإرساليات التبشيرية في فرنسا وخارجها ، مما ساعد على تزخير جو ديني ،
انفجكت آثاره على احتلال الجزائر عام ١٨٣٠م . واتضحت هذه الآثار في النزعة الدينية التي
تميزت بها الحملة الفرنسية على الجزائر والاتجاه الصليبي الذي ظهر على سلوك المسؤولين
السياسيين والقادة العسكريين ، وتعيين الملك شارل العاشر القسيس فرستوس Frustous
على رأس وزارة الشؤون الدينية ، وهو الذي كان وراء قرار الغزو الفرنسي للجزائر (١٤٦) .

إن كان للجانب الديني في احتلال الجزائر أثر كبير وهو سبب من الأسباب الهامة التي
أدت بفرنسا إلى الغزو بدعوى إنقاذ المسيحية والمسيحيين من "أيدي القراصنة الجزائريين"
واقضيا ، على عش القرصنة - في الجزائر - حسب تعبيرهم وأتسا ، وكانت فرنسا تعتبر نفسها
أكبر بناة الكنيسة الكاثوليكية وأكثر الداعين عنها ، وترى في احتلال الجزائر أكبر خدمة
تقدمها إلى العالم المسيحي وشعوب البحر الأبيض المتوسط .

وعشية سير الحملة الفرنسية نحو الجزائر خاطب الملك شارل العاشر أساقفة المملكة الفرنسية
قائلاً : " إن مرادنا أن ننظروا صلوات في جميع الكنائس داعين الله أن يحسن الرأية ونحننا
المتضرر " (١٤٧) .

أما لويس فييبر وهو مفكر كاثوليكي ، فقد تخيل نفسه يرتدي البرية العسكرية وهو يهتف
إفريقية إلى جانب الجندي " لإعلاء كلمة الله ونشر الحضارة " ، وسيقف يلاسن ركبته " إنه
صيف الله نظرب به عليه " .

وأضاف ظاهياً من كل كنائس العالم ومن رجال الكنيسة الإفريقية ومن البابا كلبسانت
الثامن أن يبارك الجندي الفرنسي ، وأن يشد أزره في غزو الجزائر .

على أن هذا الفكر الكاثوليكي كان يدعو إلى استعمال أحدث المخترعات " لإعلاء كلمة
إله الجيوش " فهو يرى " أن السفينة البخارية التي اخترعها الإنجليز في فرنسا و Foltain
خدمت الإنجيل في الحرب القلعة الفرنسية الجزائرية أكثر مما خدمت موطنه وبتشارد " قلب

إلى أيدي المستعمرين ، وكان يواصل أصدقاؤه في أوروبا من عاصمة الجزائر ، لاسيما صديقه
إنجلتر ، يصف لهم في خطابهاته مناخ الجزائر المعتدل ومناخها الجميلة وحدائقها الفناء . ولكن
ماركس لم يختلف في نظريته للاستعمار الفرنسي بالجزائر عن نظرة صديقه إنجلتر (٢٨) ، إذ
يعتبر الرأسمالية الفرنسية في الجزائر عاملاً مساعداً على التقم والتخضر بالنسبة للجزائريين ،
ولا يعتبره استعماراً ظالماً ومستغلاً لأهل البلاد ، لأن الجزائر في نظره عالم مختلف عن عالم
الأمم الأديس ، وأنها من عالم " الآخر " البربري " الهجومي " (٢٩) .

و - موقف السائسويين من الاستعمار في الجزائر :

لقد أيد السائسويين ، وعلى رأسهم " أنفتان " Enfandán الاستعمار في الجزائر وخالفوا
مبادئهم ومبادئ " استاذهم سانسيون " (١٠) ، بالرغم من أنهم تبنوا مذهب سانسيون
الإسباني مع أن أنفتان الذي أطلق على سانسيون " رسول الإنسانية " كان يحلم بإقامة
نظام عالمي إنساني لترقية الشعوب اقتصادياً واجتماعياً وأخلاقياً .

وإذا كان أنفتان قد عسر عن كراهيته أحياناً للحرب القذرة التي كان يقودها القادة
الفرنسيون في الجزائر ، فإن ذلك لم يحدث إلا عرضاً وبعد فترات الأوان .

وقد سخر جرديته " المتج " لنشر البلاغات المتعلقة بانتصارات لاموريسير في المارك مع
المتعاونين الجزائريين (٤١) ، وقطعا كان يندد بتلك المجازر الدموية التي كان يرتكبها الجيش
الفرنسي في القرى والأرياف الجزائرية (٤٢) ، لأن أتباع سانسيون حادوا عن مبادئ مؤسس
المذهب وأضلوا عليه طابع الهنمية ، وبالتالي كانوا ينظرون إلى الاستعمار الفرنسي في الجزائر
على أنه ضرورية حتمية اقتضتها التطور الاقتصادي والاجتماعي في فرنسا .

وخلافاً لرأي مؤسس المذهب الذي كان يرى زوال الدولة في المجتمع ، وجهها النظر إلى
ضرورية وجود عنصر السلطة القوية في التنظيم الصناعي .

وقد وافق أنفتان على انتزاع ممتلكات الجزائريين وضعها للمستوطنين الفرنسيين والأوروبيين
عموماً ، وصرح مرات عديدة بأنه " بحب السلطة أكثر من الحرية " (٤٣) .

لقد كتب العقيد لاموريسير (٤٤) سنة ١٨٣٤م وهو من أتباع المذهب السائسوي قائلاً:
" إن الحرب عمل تبشيري ضد قوم لا يفتح معهم الكلام المعقول إلا إذا كان معززاً بالحرب " (٤٥)
ومن هنا يتضح من نصوص وأتباع السائسويين أن الحرب عندهم هي الوسيلة المثلى لإبلاغ

الأحد ، زمن الحروب الصليبية لم يبت المقدس ، لأن هذه السنن عبارة عن جسر بين طرفين وميناء الجزائر (٤٨). ولهذا لا بد أن نستنتج أن الإسلام أقل مجده في إفريقيا وفي كل مكان وخاصة الساحل الجفوي للبحر المتوسط الذي يحق لنا اليوم أن نسميه بحرنا .

وقال سائح آخر وهو بوجوولال و Poggeleit في هذا السياق : " إن إله من أسنانه الحصى ، إله الجيوش وإله المعارك ... والمجتمعات لا تقوم إلا على الدماء والدموع ... إن الهدف من حربنا في إفريقيا أقدم وأسمى من حربنا في أوروبا لأن موضوع الصراع هنا هو القضية المقدسة ، قضية الحضارة ، قضية الأفكار المسيحية الخالدة التي كتب الله لها أن تؤسس إمبراطورية عالمية وسخر لها العبقرية الفرنسية لتكون لها سندا قويا " (٤٩).

والحق أن هذه الأقوال وأمثالها بالرغم ما يظهر فيها من تعصب ديني وحقد صليبي على الإسلام فإنها لا تعمدوا أن تكون سوى نغمة نغمة للمصالح المادية والاجتماعية التي يسعى الفرنسيون إلى تحقيقها في الجزائر .

خاتمة :

وجملة القول فإن المد الفرنسي إلى الجزائر في مطلع القرن التاسع عشر ، لم يكن لأهدال قديمة أو إنسانية ، وإنما كان مصحوبا بالخراس الاقتصادية وسياسة استرجاعية واجتماعية ودينية ، صليبية حافدة ، ولم يكن أبدا من أجل تهذيب وتعليم وترقية " البرابرة " كما ادعى قادة الاحتلال عشية الحملة .

ولحق أن المؤرخين الأوروبيين أنفسهم أوصعوا منذ قرون أن عبور القوات العسكرية الأوربية وعلماؤها مختلف بحار العالم ، لم يكن بهدف البحث عن الجواهر واكتشاف أسرار الطبيعة ، بقدر ما كان يهدف إلى استعمار الشعوب واستغلال ثرواتها الطبيعية وقدراتها البشرية لبناء حضارة أوروبا ، وتطوير مجتمعاتها على حساب مئات الملايين من الشعوب والأمم الأخرى .

إن الجزائر التي أنقذت فرنسا من ضائقة اقتصادية وسياسية خانقة عقب ثورتها ، كان جزاؤها جزاء سنار .

لقد استعصمت مملكة شارل العاشر قمع الجزائر وأمواتها الطائفة سنة ١٨٣٠م في مجيئها الحملة العسكرية على الجزائر نفسها ، اعترافا بالجميل وردا على الكرم والفرنسيون يعرفون

اليوم أن دين الجزائر ما زالت تشغل كرواهلهم وتذكرهم بالتطبيق العكسي لبادئ العبودية الفرنسية .

إن المفكرين الأوروبيين على تباين مشاربهم لم يختلفوا في الإساءة باحتلال الجزائر من قبل الفرنسيين ومعاملة الشعب الجزائري معاملة وحشية ، لا تقل عن معاملة الرعوش الضارية في الأديغال الغير محمية على مدى قرن وثلاث قرن . فكل من ماركس وإنجلز اعتبر الاحتلال الفرنسي للجزائر عملا حضاريا بالرغم من ثورتها على الإقطاع والرأسمالية في أوروبا . وكل من هيجل وباسكال - بالرغم من الصقلية التي يضفيهاها - لم يكن يرى الخليفة إلا داخل الحدود الأوربية ، وأن البلاد التي لا يوجد فيها نفوة غمرى تدارى العدم في نظرها ، وأن الدين المسيحي الذي حروب في أوروبا وأبعد نهائيا عن دواليب السلطة والحكم ، كان من الضروري نشره في الجزائر بل في إفريقيا كلها .

١- ...
٢- ...
٣- ...
٤- ...
٥- ...
٦- ...
٧- ...
٨- ...
٩- ...
١٠- ...
١١- ...
١٢- ...
١٣- ...
١٤- ...
١٥- ...
١٦- ...
١٧- ...
١٨- ...
١٩- ...
٢٠- ...
٢١- ...
٢٢- ...
٢٣- ...
٢٤- ...
٢٥- ...
٢٦- ...
٢٧- ...
٢٨- ...
٢٩- ...
٣٠- ...
٣١- ...
٣٢- ...
٣٣- ...
٣٤- ...
٣٥- ...
٣٦- ...
٣٧- ...
٣٨- ...
٣٩- ...
٤٠- ...
٤١- ...
٤٢- ...
٤٣- ...
٤٤- ...
٤٥- ...
٤٦- ...
٤٧- ...
٤٨- ...
٤٩- ...
٥٠- ...
٥١- ...
٥٢- ...
٥٣- ...
٥٤- ...
٥٥- ...
٥٦- ...
٥٧- ...
٥٨- ...
٥٩- ...
٦٠- ...
٦١- ...
٦٢- ...
٦٣- ...
٦٤- ...
٦٥- ...
٦٦- ...
٦٧- ...
٦٨- ...
٦٩- ...
٧٠- ...
٧١- ...
٧٢- ...
٧٣- ...
٧٤- ...
٧٥- ...
٧٦- ...
٧٧- ...
٧٨- ...
٧٩- ...
٨٠- ...
٨١- ...
٨٢- ...
٨٣- ...
٨٤- ...
٨٥- ...
٨٦- ...
٨٧- ...
٨٨- ...
٨٩- ...
٩٠- ...
٩١- ...
٩٢- ...
٩٣- ...
٩٤- ...
٩٥- ...
٩٦- ...
٩٧- ...
٩٨- ...
٩٩- ...
١٠٠- ...

- ٢٠ - محمد خير فارس ، المرجع السابق ، ص ١٤٧ ، ١٤٨ .
- ٢١ - محمد خير فارس ، التصور نقداً ، ص ١٤٢ ، ١٤٣ .
- ٢٢ - نفس المرجع ، ص ١٤٤ ، ١٤٥ .
- ٢٣ - جلال يحيى ، المرجع السابق ، ص ٩٧ ، ٩٨ .
- ٢٤ - محمد خير فارس : الغرب الحديث والمعاصر ، ص ٢٧ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ .
- ٢٥ - محمد خير فارس : المرجع السابق ، ص ٢٨١ ، ٢٨٢ .
- ٢٦ - محمد خير فارس : المرجع السابق ، ص ١٧٨ .
- ٢٧ - محمد خير فارس : المرجع السابق ، ص ١٧٩ .
- ٢٨ - محمد خير فارس : المرجع السابق ، ص ١٨٥ .
- ٢٩ - محمد خير فارس : المرجع السابق ، ص ١٨٦ .
- ٣٠ - ماركس ، إنجلترا ، المرجع السابق ، ص ٨ .
- ٣١ - المرجع السابق ، ص ٩ .
- ٣٢ - المرجع السابق ، ص ١٤ ، ١٥ .
- ٣٣ - المرجع نفسه ، ص ١٥ .
- ٣٤ - هيجل ، محاضرات في فلسفة التاريخ ، ج ١ ، ترجمة وتقديم وتعليق إمام عبد الفتاح إمام ، كلية الآداب - جامعة الكويت ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ١٩٨٦م ، ص ١٧٣ .
- ٣٥ - حسن حنفي : مقدمة في علم الاجتماع ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، ١٩٩١م ، ص ٦٩٥ ، ٦٩٦ .
- ٣٦ - محمد عابد الجابري : ثقافة الوعي العربي في المغرب - مباحثة نقد السوسيولوجيا الاجتماعية - في تطور الوعي القومي في المغرب العربي ، مجموعة من الباحثين ، سلسلة كتب المستقبل العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، لبنان ١٩٨٦م ، ص ٤٠ ، ٤١ .
- ٣٧ - عبد الله بوتورن : الهوية في الفكر الجزائري الحديث ، جامعة منتوري قسنطينة ، معهد العلوم الاجتماعية ، قسم الفلسفة ، ١٩٩٨ - ١٩٩٩م ، ص ٤٢ ، ٤٣ (رسالة لم تشر) .
- ٣٨ - عبد الله بوتورن : المرجع السابق ، ص ٤٦ ، ٤٧ .
- ٣٩ - المرجع نفسه ، ص ٤٨ .
- ٤٠ - المرجع نفسه ، ص ٤٨ ، ٤٩ .

- ٤١ - ماركس ، إنجلترا : الماركسية والجزائر ، ترجمة جورج طرابيشي ، دار الطليعة ، بيروت ١٩٧٨م ، ص ١٦ ، ١٧ .
- ٤٢ - حمدان بن عثمان خويطة : المرأة ، تقديم وتحرير وتحقيق الدكتور العمور الزبيدي ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ١٩٨٢م ، ط ٢ ، ص ٥٠ .
- ٤٣ - أبو القاسم سعد الله : محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث ، المنظمة العربية للثقافة والعلوم ، ١٩٧٦م ، ص ١٧ ، ٢٠ .
- ٤٤ - أبو القاسم سعد الله : المرجع السابق ، ص ٢١ .
- ٤٥ - المرجع السابق ، ص ٢١ .
- ٤٦ - المرجع السابق ، ص ٢١ .
- ٤٧ - رونالد هو اين ليرسم فرنس كان يعمل في الصلاة الفرنسية في إسطنبول ، وقد تولى جميع مهامه التنفيذية في القنصليات الفرنسية بأسيا الصغرى ، كان يحسن اللغتين التركية والعربية ، وكان يتناز بالتوازي سياسة التعفف الاجتماعي والتوسط وظف التوسط ، وكان رونالد يعتبر هذه الوسيلة هي طريق النجاح إلى الباشا وبالتالي التأثير عليه وكسبه .
- ٤٨ - أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق ، ص ٢٤ ، ٢٥ .
- ٤٩ - أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق ، ص ٢٦ .
- ٥٠ - أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق ، ص ٢٦ ، ٢٧ .
- ٥١ - المرجع السابق نفسه .
- ٥٢ - المرجع السابق ، ص ٢٨ .
- ٥٣ - المرجع السابق ، ص ٢٨ .
- ٥٤ - المرجع السابق ، ص ٣٠ .
- ٥٥ - المرجع السابق ، ص ٣١ .
- ٥٦ - جلال يحيى وآخرون : الغرب العربي الكبير في العصور الحديثة ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، ١٩٩٦ ، ص ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ .
- ٥٧ - أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق ، ص ٣٢ .
- ٥٨ - المرجع السابق ، ص ٣٣ .
- ٥٩ - محمد خير فارس : تاريخ الجزائر ، ص ١٣٧ .

- ٤١ - مصطفى الأشراف ، الأمة والجموع ، ص ٣٦ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٧٠ .
- ٤٢ - المرجع نفسه ، ص ٣٧ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٧٠ .
- ٤٣ - عبد الله بوزق ، المرجع السابق ، ص ٥١ .
- ٤٤ - المرجع السابق ، ص ٥٢ .
- ٤٥ - المرجع السابق ، ص ٥١ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٧٠ .
- ٤٦ - عبد الجليل التميمي ، التفسير النبوي والنبوي ، ص ١٤ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٧٠ .
- ٤٧ - عبد الله بوزق ، المرجع السابق ، ص ٥٢ ، ٥٤ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٧٠ .
- ٤٨ - المرجع السابق ، ص ٥٤ .
- ٤٩ - عبد الجليل التميمي ، المرجع السابق ، ص ١٥ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٧٠ .
- ٥٠ - المرجع السابق ، ص ١٥ .
- ٥١ - المرجع السابق ، ص ١٥ .
- ٥٢ - المرجع السابق ، ص ١٥ .
- ٥٣ - المرجع السابق ، ص ١٥ .
- ٥٤ - المرجع السابق ، ص ١٥ .
- ٥٥ - المرجع السابق ، ص ١٥ .
- ٥٦ - المرجع السابق ، ص ١٥ .
- ٥٧ - المرجع السابق ، ص ١٥ .
- ٥٨ - المرجع السابق ، ص ١٥ .
- ٥٩ - المرجع السابق ، ص ١٥ .
- ٦٠ - المرجع السابق ، ص ١٥ .
- ٦١ - المرجع السابق ، ص ١٥ .
- ٦٢ - المرجع السابق ، ص ١٥ .
- ٦٣ - المرجع السابق ، ص ١٥ .
- ٦٤ - المرجع السابق ، ص ١٥ .
- ٦٥ - المرجع السابق ، ص ١٥ .
- ٦٦ - المرجع السابق ، ص ١٥ .
- ٦٧ - المرجع السابق ، ص ١٥ .
- ٦٨ - المرجع السابق ، ص ١٥ .
- ٦٩ - المرجع السابق ، ص ١٥ .
- ٧٠ - المرجع السابق ، ص ١٥ .
- ٧١ - المرجع السابق ، ص ١٥ .
- ٧٢ - المرجع السابق ، ص ١٥ .
- ٧٣ - المرجع السابق ، ص ١٥ .
- ٧٤ - المرجع السابق ، ص ١٥ .
- ٧٥ - المرجع السابق ، ص ١٥ .
- ٧٦ - المرجع السابق ، ص ١٥ .
- ٧٧ - المرجع السابق ، ص ١٥ .
- ٧٨ - المرجع السابق ، ص ١٥ .
- ٧٩ - المرجع السابق ، ص ١٥ .
- ٨٠ - المرجع السابق ، ص ١٥ .
- ٨١ - المرجع السابق ، ص ١٥ .
- ٨٢ - المرجع السابق ، ص ١٥ .
- ٨٣ - المرجع السابق ، ص ١٥ .
- ٨٤ - المرجع السابق ، ص ١٥ .
- ٨٥ - المرجع السابق ، ص ١٥ .
- ٨٦ - المرجع السابق ، ص ١٥ .
- ٨٧ - المرجع السابق ، ص ١٥ .
- ٨٨ - المرجع السابق ، ص ١٥ .
- ٨٩ - المرجع السابق ، ص ١٥ .
- ٩٠ - المرجع السابق ، ص ١٥ .
- ٩١ - المرجع السابق ، ص ١٥ .
- ٩٢ - المرجع السابق ، ص ١٥ .
- ٩٣ - المرجع السابق ، ص ١٥ .
- ٩٤ - المرجع السابق ، ص ١٥ .
- ٩٥ - المرجع السابق ، ص ١٥ .
- ٩٦ - المرجع السابق ، ص ١٥ .
- ٩٧ - المرجع السابق ، ص ١٥ .
- ٩٨ - المرجع السابق ، ص ١٥ .
- ٩٩ - المرجع السابق ، ص ١٥ .
- ١٠٠ - المرجع السابق ، ص ١٥ .

أبو شيخان بن علي بن جريس (١٠)

إقليم عسير في عيون الرحالة الأوربيين

مقدمة :

إن شبه الجزيرة العربية ، جنوبيها بحامة ، ومنطقة عسير بخاصة ، من المناطق التي عانت، عبر العصور الإسلامية ، قصوراً في تدوين تاريخها وتراثها . وذلك لعد أسباب منها:

- ١ - بعدها عن مواطن الحضارات الإسلامية في كل من الشام والعراق وقارس ومصر وبلاد المغرب وغيرها ، فبعد خروج مقر الخلافة الإسلامية من شبه الجزيرة في عهد الخليفة الراشد علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) شابهها فقر في تدوين تراثها وحضارتها .
- ٢ - صعوبة التضاريس في أجزاء عديدة من شبه الجزيرة العربية ، مثل : منطقة عسير وما حولها ، مما جعلها في معزل عن بقية بلدان العالم ، وجعلها منسية في أغلب كتب التراث الإسلامي خلال العصور الإسلامية المبكرة والرسطة .

• جامعة الملك فهد - كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية .

٢ - الإشارة إلى نبذة تاريخية وسياسية عن إقليم عسير خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين (التاسع عشر والعشرين الميلاديين) .

٣ - ترجمة موجزة لهؤلاء الرحالة الأوربيين مع الإشارة إلى أعمالهم وظروف بعثتهم إلى بلاد عسير .

٤ - دراسة نقدية تحليلية لكتب هؤلاء الرحالة التي تعرضت لمنطقة عسير ، مع العناية بإجراء دراسة مقارنة بين ما درونه كل منهم . وتبيان أوجه الشبه والاختلاف فيما بينهم . والخروج ببعض النتائج الهامة من وراء تلك العراسة .

معلومات إقليم عسير :

حتى تتضح لنا الصورة حول تسمية " عسير " ، فإننا سوف نقدم نبذة يسيرة عن مفهوم التسمية لهذه البلاد وعن المتراقات لها المستخدمة في أيامنا هذه ، كما إقليم عسير ، وبلاد عسير ، ومنطقة عسير ، وعسير قصد الاختصار . والتي يتبادر للأذهان ، هل كانت عسير معروفة للجغرافيين والمؤرخين الأوائل بهذا الاسم ؟ فإذا كان الجواب بالنفي ، فكيف ظهرت هذه التسمية ، وما الدافع في إطلاق التعميم عليها ؟ وهل حلت محل تسميات سابقة لها ؟ ، والفتاب في المصادر الجغرافية والتاريخية ، وكتب التراث الإسلامي ، عدم ذكر هذه التسمية وبيان معانيها الجغرافية ، باعتبارها وحدة مستقلة عن الحجاز أو البهامة أو البحرين أو اليمن ، والتي تعد إدارياً تابعة لدار الخلافة بالمدينة المنورة ، ثم دمشق وبغداد أيام الأمويين والمعباسيين .

وفي هذا الصدد يشير الهمذاني (٢٨٠ - ٣٣٤ هـ) في كتابه (صفة جزيرة العرب) إلى اسم عسير ، ويذكر ما نصه : " ويصالي قصة جرمي أوطان جزيرة من عترة ، ثم يوطن جزيرة عن شاميها عسير ، فهائل عترة وعسير يائية تنزرت ، ودخلت في عترة ، فأوطان عسير إلى رأس تبه ، وهي عترة من أشراق تهامة ، وهي أبها وبها قبر ذي القرنين فيما يقال عترة عليه على رأس ثلاثمائة من تاريخ الهجرة ، والدارة ، والقميما ، واللصبة ، واللحة ، وطيب ، وأتانة ، وعيل ، والمغوث ، وجرشة ، والحديبة ، هذه أودية عسير كلها " وفي موضع آخر يذكر الهمذاني ما يلي : " والدارة ، وأبها ، والحللة ، والنصيحا ، فحصرة وطيب ، فأعانة والمغوث ، فجرشة ، فالأبداغ أوطان من عسير من عترة وتسمى هذه أرض الطرد ... " (٥١) .

أما وضع إقليم عسير في العصر الحديث والمعاصر فإنه أحسن حالاً من العهد الإسلامي السابقة ، حيث بدأ الاهتمام بها من الناحية العلمية والفكرية ، فظهر خلال القرنين الثامن عشر عشر من المؤرخين بدأوا الكتابة عنها وإبراز أهميتها السياسية والحضارية (١) ، ولم يقتصر هذا الاهتمام على المراجع والمصادر العربية فحسب ، بل ظهر بعض الأوربيين الذين أدرجوها ضمن مؤلفاتهم (٢) ، ثم وفد بعض الرحالة الأوربيين إليها ، فتولوا عنها كتباً لخصوا فيها رحلاتهم وتجاربهم ومشاهداتهم في تلك البروج ، وأحياناً سجلوا وجهات نظرهم عن تاريخ وآداب وحضارة إقليم عسير . ورغم أن بعض هؤلاء الرحالة الأوربيين جاءوا إلى منطقتنا المعنية بالدراسة لأهداف معينة ، فإنهم يلمون شك جمعوا لنا مادة علمية قيمة صورت لنا مظاهر الحياة في بلاد عسير خلال الفترات التي جاؤوا فيها . وسبب اختيارنا هذا البحث هو الشعور بأن ما درونه أولئك الرحالة يحتاج إلى التوقف معه ، لكي نرى كيف رأوا إقليم عسير في فترات متباعدة ، ثم إن كتبهم التي وصلتنا تعتبر حقيقة من المراجع الجيدة التي درت تاريخ وحضارة إقليم عسير في فترة لم يكن قد دون عنه شيء الكثير . ولهذا فقد قصرت دراستي على الرحالة الأوربيين الذين وفدوا إلى منطقة عسير خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين (التاسع عشر والعشرين الميلاديين) ثم دونوا عنها دراسات تم نشرها وتداولها فيما بعد . وعند الإطلاع على مسيرة أولئك الرحالة الذين توفرت فيهم صفتا السجوال في منطقة عسير ، ثم لا دون ما شاهدوا في كتب مستقلة ، وجمعناهم ثلاثة هم (٣) :

أ - موريس تاميزيه الفرنسي . الذي ألف كتاباً بعنوان : رحلة في بلاد العرب (الحلقة المصرية على عسير عام ١٧٤٩م / ١٨٣٤م) ، ترجمة الدكتور / محمد آل زلفه .

ب - السير كيناهان كودنواليس ، الذي ألف كتابه : عسير قبل الحرب العالمية الأولى .

ج - سانت جون بيرجر فيليبس ، أو (عبد الله فيليبس) الذي سطر كتاباً بعنوان : النجوم العربية .

هؤلاء الرحالة الثلاثة هم محور حديثنا في هذه الدراسة . وقد قسمنا خطة الدراسة إلى محاور أربعة هي على الترتيب :

١ - إعطاء فكرة عن المفهوم الجغرافي والسياسي لإقليم عسير خلال الفترة موضع البحث " القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين " ، وذلك بوضع لنا المسار الذي نستطيع أن نتحرك من خلاله أثناء فترة أولئك الرحالة .

وجمهورية اليمن الكبرى جنوباً كانت كلها تخضع لى بعض الأعيان سلطة شيوخ القبائل المحليين لى تلك الأجزاء . وقد تستنتج أن بلاد عسير وما حولها من المناطق لم تكن لها حدود سياسية ثابتة وإنما كانت تعتمد على المفهوم الجغرافى . فعسير لم تكن معروفة كوحدة جغرافية إدارية خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسطى . لكنها تمتعت باستقلال إدارى دون غيرها من مناطق الجزيرة . وإن كان الأمر يتفق مع وحدتها الجغرافية لى ما من من المناطق غير أنها من قبل حكام الإمارات المجاورة لها والتي أعلنت استقلالها إبان العصور الوسطى . وقد حاول بعض منها بسط سيطرتها عليها . لكن هذه السيطرة سرعان ما زالت بسبب شدة مراس أهلها وأفتهم . وعدم خضوعهم لقبيرهم إلى جانب كثرتهم . ووعورة المنطقة وصعوبة مسالكها (٧١)

لقد ظهر اسم عسير كمصطلح سياسى وجغرافى فى أواخر القرن الثانى عشر وبداية القرن الثالث عشر للهجرة . خاصة عند الكتاب الغربيين . ومنهم البريطانيين . حيث كلفت الإدارة البريطانية القسم الجغرافى والخبرات البحرية البريطانية . بأعداد بحث عن عسير يتضمن مرقعتها وحدودها . ومظاهر الطبيعة المختلفة . وأحوال السكان من حيث العادات وطرق المعيشة . إلا أن ذلك البحث لم يوضح حدود قبيلة عسير بالنسبة لقبائل الساكنة فى هذا الإقليم . لكنه أشار إلى أن اسم عسير اقتصر على النلال الرئيسية والمنطقة التى تعيش فيها قبائل بنى مفيد . وعلكم . وبنى مالك . وربيعة وربيعة . وجميعهم يسكنون حول العاصمة أنها مساقبات متنازعة . وبنى ذلك الحين لا تعرف تلك القبائل حدوداً معروفة وثابتة لعسير (٧٢)

وظنى هذه الدراسة . دراسات عديدة . رسمت صورة أوضح للحدود الجغرافية للإقليم العسبرى . فبعضها يشير إلى حدود عسير فى نطاق محيط القبائل العسبرية الأصلية . وهو بنو مفيد . وعلكم . وبنى مالك . وربيعة وربيعة . فى حين أن هناك كتابات أخرى أضادت بلاداً أخرى إلى محيط القبائل السالفة الذكر . وأضاف آخرون بعض القبائل المجاورة والقريبة من بلاد عسير من الشمال فامتد إلى الليث وشامد وهران وبيشة ومن الجنوب إلى ظهران الجنوب وجران وجيزان . وهذا التباين نتج من الأحداث السياسية والمسكرية التى عاشتها منطقة عسير . فالإشارة فى أنها امتد نفوذها إلى مناطق أبعد من المدينة نفسها . مما أصبح عليها وعلى المنطقة المحيطة بها اسم عسير . وهذا تم تحديدها ونسبها بهذا الاسم ليشمل

والشعب العسبرى لى هذه المعلومات التى أوردها الهمداني . هو قدمها الذى يعود إلى بداية القرن الرابع الهجرى . وما عدا ذلك فإنها غير كافية لتوضيح تسمية بلاد عسير . وإنما أوردها ضمن عنوان عام سماه . جرش وأحوازها . ومعروفة موقعها من سياق الحديث لى ذكر المواطن الذى أشار إليها الهمداني . فجمدها تشغل مساحة صغيرة من مخلاف أو إقليم جرش) الذى كان يشمل أغلب أجزاء عسير فى أيامنا . ولم تكن عسير فى عهد الهمداني تشمل إلا جزءاً بسيطاً . هو الموقع القائمة عليه الآن مدينة أبها وما حولها . أو ما يسمى بمواطن قبائل عسير المعروفة باسم : بنى مفيد . وعلكم . وربيعة وربيعة . وبنى مالك .

ويعد الهمداني جاء العديد من الجغرافيين والرحالة المسلمين فتعرضوا لجزء من منطقة عسير دون تسميتها بهذا الاسم . ومنهم على سبيل المثال لا الحصر : ابن خردادبة . والأصطخرى . وابن حوقل . والإدريسى . واليكبرى . وياقوت الحميرى . وابن جبير . وابن الجاور وشيراز . فبعض منهم ذكر أقسام شبه الجزيرة العربية بما فيها أجزاء من منطقة عسير وضها إلى بلاد الحجاز . وأحياناً يسميها بطلحة جبال الحجاز . خاصة القسم الجبلى من المنطقة . وسميت كجزء من بلاد السراة . وأحياناً أخرى بتعتها بمصطلح باسم السراوات التى سميت بتسميات متعددة حسب أقسامها . ومنها : سراة جنب . وسراة عنتر . وسراة الحمير . وسراة خشم . وسراة دوس . وسراة بجيلة . ثم استشر فى ذكر سرورات أخرى حتى الطائف . وهذا التركيز من جانب بعض الجغرافيين . الذين أوردها مسمى السراوات . أوضح لنا مجموعة أسماء السراوات التى نفع لى إقليم عسير فى عصرنا هذا . وهى سراة جنب (تعطان) . وسراة عنتر (عسير) . وسراة الحمير (والقصور بها بلاد بالحسر . وبالسر . وبنى شهر . وبنى عمرو) وسراة خشم (وهى أجزاء من بلاد بلقرن وشران وخشم) . دون أن يرد ذكر اسم عسير على وجه الإطلاق لى التسمية . وفى روايات أخرى ذكر مصطلح (مخاليب) أو (نواحي) . كان يقال مخلاف جرش . أو تهالة . أو جهران أو حلى وغيرها من التسميات دون ذكر مسمى عسير على تلك النواحي أو المخاليب (٧٣)

والواقع أن ما يشتمل عليه مصطلح إقليم عسير لم يكن معروف لدى المؤرخين والجغرافيين الأوائل . وإنما جميع الولايات الكبرى فى شبه الجزيرة العربية (كاليمن والعمان . والبصرة والبحرين) كانت تابعة لدار الخلافة الإسلامية فى دمشق ثم بغداد . وكثيراً ما كانت تشمل الأجزاء الناحية فى بلاد تهامة والسراة . أو البلاد الواقعة بين مكة المكرمة والطائف شمالاً .

الولاية لابن سعود . وكان من ضمن تلك الجيوش قبائل عسير التي كان يتزعمها ويتوحدوا
 والأمير طامي بن شعيب . ومن أشد المعارك التي دارت بين الطرفين معركة وادي بسل بأرض
 تريم ، جنوب الطائف ، في عام ١٢٣٠ هـ / ١٨١٤ م ، حيث هزمت فيها الجيوش الموالية لابن
 سعود . ثم تعقب محمد علي باشا بعدها القبائل العسيرة متجهًا نحو الجنوب حتى وصل إلى
 مدينة أبها ، فحاصره طامي بن شعيب بها حتى سطر عليها وقبض على الأمير طامي وأرسله
 إلى تركيا ليقتل هناك ، ثم بقى مدينة أبها شهرين وعدة أيام استقبل خلالها شيخ قبائل
 عسير وأعبائها لتتقدم له الولاية والطاعة (١١١) . وغادر بعد ذلك بلاد عسير وأجماً إلى مصر
 بعد أن ترك بها حامية عسكرية عثمانية ، لكن هذه الحامية التركية لم تستمر أكثر من سنة
 أشهر في حكم بلاد عسير ، لأن أحد أبناء عم الأمير طامي بن شعيب ، يدعى محمد بن
 أحمد النعيمي ، قام بثورة محلية استطاع فيها أن يطرد تلك الحامية التركية وسيطر على
 البلاد . غير أنه لم يتسع بتجاح ثورته إلا فترة لا تزيد عن العام ، لأن جيوش محمد علي باشا
 ذهبت من الحجاز إلى بلاد عسير مرة ثانية فسيطرت عليها وأعادتها الحامية التركية التي
 طردها محمد أحمد النعيمي إلى مقرها في حكم البلاد (١١٢) .

وعندما عجز محمد بن أحمد النعيمي عن التصدي لجيوش الأتراك ، فرارًا إلى منطقة
 جازان واتصل بالأمير تلك البلاد حمود أبي مسمار (١٢١٦ هـ / ١٨٠١ م - ١٢٣٣ هـ /
 ١٨١٧ م طالبًا منه العون في طرد الأتراك من عسير ، بل وحج به ليستولى عليها ، فكانت
 فرصة الأمير حمود حيث استطاع طرد الأتراك وسيطر على بلاد عسير في عام ١٢٣٢ هـ /
 ١٨١٦ م ، ثم خلفه في حكمها ولده أحمد بن حمود أبي مسمار ، ثم ولّوه الحسن بن خالد
 الحازمي (١٢٣١) . ولكن جيوش الأتراك في الحجاز مع شريف مكة ، محمد بن عبد المدين بن
 عون ، لم تكن تتوانى في محاربة "أبي مسمار" في عسير ومحاولة إعادتها إلى حظيرة
 الدولة العثمانية ، فعملاً تم لها ماكانت تسمى إليه حيث استطاعت أن تسيطر عليها عام
 ١٢٣٤ هـ / ١٨١٨ م .

وكان الشريف محمد بن عبد المدين بن عون يتزعم الجيوش التركية التي استردت بلاد
 عسير من أيدي الحسن بن خالد الحازمي ، الذي خلف أحمد بن حمود أبي مسمار في حكم
 البلاد ، وقبض على سلالة أسرة آل النعيمي وأرسلهم إلى مصر ليقيم القضاء عليهم هناك .
 وقد استعمر حكمه لبلاد عسير مدة أربع سنوات (١٢٣٤ هـ / ١٨١٨ م - ١٢٣٨ هـ /

المنطقة المستدة من زهران شمالاً إلى ظهران الجنوب جنوباً ، بناء على التقسيم السياسي
 والناشئ للمنطقة دون الفهم الجغرافي (١١٤) .

وخلالته القول أن "عسير" لم تكن معروفة بهذا الاسم في المصور الإسلامية الوسطى ،
 وإنما هو مصطلح حديث لم يتجاوز تاريخ ظهوره أكثر من قرنين ونصف القرن .

تيمية تاريخية وسياسية عن إقليم عسير خلال القرنين ١٩ / ٢٠ هـ :
 منذ السنوات الأولى في القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) وعسير
 بجميع قبائلها كانت تخضع عن طريق رؤساء القبائل المحليين ، فكانوا أصحاب النفوذ في إدارة
 شؤون بلادهم التي عمت فيها القوضى والتخالات المتعددة ، وفي الوقت نفسه كانت قد ظهرت
 دعوة الإصلاح التي قام بها الشيخ "محمد بن عبد الوهاب" في نجد ، ثم انتشرت مبادئه ،
 تلك الدعوة في الجنوب الغربي من شبه الجزيرة العربية ، فلم يحل منتصف العقد الثاني من
 القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) إلا وقد ظهر بعض المصلحين في بلاد
 عسير ، كمحمد وعبد الوهاب أولاد عامر أبي نقطة اللذين انضموا إلى دعوة الشيخ "محمد
 ابن عبد الوهاب" ، فقاما بنشر مبادئها بين أهالي عسير ، وعسلاً جاهدين على حكم البلاد
 العسيرية ، تحت مظلة الدولة السعودية الأولى (١١٥٧ - ١٢٣٢ هـ / ١٧٤٤ -

١٨١٨ م) (١١٥) .

وبعد عهد أولاد أبي نقطة (١٢١٥ - ١٢٢٤ هـ / ١٨٠٠ - ١٨٠٩ م) ، تولى الإمارة
 في عسير أحد أبناء عسومتهم ويدعى طامي بن شعيب فواصل سياسة أبنا ، عامر أبي نقطة
 في حكم البلاد ، إلا أن الظروف في عهده اختلفت عما سبقه ، وذلك بظهور عدو جديد للدولة
 السعودية ، وهذا العدو كان مستلماً في والي مصر التابع للدولة العثمانية ، محمد علي باشا ،
 الذي كلف من قبل الحكومة العثمانية في الأستانة ، بأن يرسل جيوشه إلى شبه الجزيرة العربية
 لمحاربة ابن سعود هناك ، وعلى أثر ما جاء محمد علي من أوامر أرسل الجيوش إلى كل من
 نجد والحجاز وكذلك الأجزاء العسيرة التي كان يحكمها طامي بن شعيب ، فدارت معارك
 متعددة بين أهالي نجد والحجاز والبلاد العسيرة وبين جيوش محمد علي في الفترة ما بين
 ١٢٢٦ هـ / ١٨١١ م - ١٢٢٨ هـ / ١٨١٣ م ، ولكن في عام ١٢٢٨ هـ / ١٨١٣ م قهر
 محمد علي باشا أن يذهب من مصر إلى شبه الجزيرة العربية لكي يقود جيوشه بنفسه ضد ابن
 سعود ومن والاه . وعند وصوله إلى بلاد الحجاز اشتبك في حروب عدة مع القبائل والجيوش

بلاد شمران (١١٩) ، ولكنه عاد مرة فعمز من قواته في حاضرة أبها وكادت تقع في قبضته ، ولكن الحكومة العثمانية في الأستانة أمرت جيوشها في الهجاز بالترجمه إلى أبها والسيطرة عليها ، وعندما سمع محمد بن عائض بالتهديدات التي أعدتها الحكومة العثمانية عاد مسرعاً إلى عاصمته أبها للدفاع عنها ووصلت في أثنائها الجيوش العثمانية عام ١٢٨٩هـ / ١٨٧٢م التي استطاعت الاستيلاء على أبها وتعقب الأمير محمد بن عائض ومن كان معه حتى ألقت القبض عليه وتم قتله ووضع إقليم عسير تحت سيطرتها (١٢٠) .

وهكذا دخلت بلاد عسير بعد القضاء على الأمير محمد بن عائض تحت الحكم العثماني ، وصار يتولى أمرها منذ ذلك الحين والى تركي يقسم في حاضرة أبها وتضمه شامية مراكز في أجزاء مختلفة من إقليم عسير (١٢١) ، واستمرت البلاد العسيرة تزح تحت الحكم العثماني ، الذي سعى إلى نشر الفوضى والسلب والنهب بين أفراد القبائل ، بل ساعد على نشر الجهل ومحاربة كل من يسعى إلى التصدي للسيطرة التركية ، سواء من أفراد القبائل ومشائخهم ، أو من الأحرار المحليين ، الذين كانوا يحاولون الحصول على الاستقلال والتخلص من السيطرة العثمانية وبقيت الأحوال في تلك البلاد على هذا الوضع حتى العقد الرابع من القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي) ، حيث انسحبت الجيوش التركية من إقليم عسير ، ومن أجزاء شبه الجزيرة العربية الأخرى ، وتركت الحكم للأحرار المحليين في البلاد (١٢٢) .

وفي عصر سيطرة القوات العثمانية على إقليم عسير (١٢٨٩ - ١٣٣٧ هـ / ١٨٧٢ - ١٩١٨م) نجد الإمام الإدريسي ظهر في صيبا بمنطقة جازان (١٢٣) ، وكان يسمى إلى مد نفوه إلى البلاد العسيرة السربية والتهامية الممتدة من رجال ألمع جنوباً حتى بلاد غامد وزهران شمالاً ، وحدث ذلك في الأعرام التي كان يتولى الولاية في إقليم عسير التوالي التركي سليمان شقيق باشا (١٣٢٦ - ١٣٣١ هـ / ١٩٠٨ - ١٩١٢م) ، وقد نجح الإدريسي في اقتطاع أجزاء من منطقة عسير ، بل وصل به الطموح إلى أن يقضي على الأتراك في عسير وسيطر على عاصمة ولايتهم في مدينة أبها ، فذهب إلى حاضرة أبها وحاصرها عام (١٣٢٨هـ / ١٩١٠م) لكنه لم يستطع إسقاطها لمدة مقاومتها ، وكذلك لإرسال المؤن إليها من قبل الشريف حسين بن علي في الهجاز (٢٤) ، وعندما رجع الإمام الإدريسي إلى مسقط رأسه في صيبا بمنطقة جازان ، وفي هناك حتى دخلت منطقة عسير تحت سيطرة الدولة السعودية الحالية عام (١٣٣٨هـ / ١٩١٩م) ، ومنذ ذلك الحين وإقليم عسير جزء من أجزاء المملكة العربية السعودية ، ولا زالت مدينة أبها حاضرة منطقة عسير (٢٥) .

١٨٢٢م بعدها قام أحد رجال مفيد (١٤١) ويصنف معيد بن مسلط المفيدى ، فطرد جيوش الأتراك وقوات الشريف محمد بن عون وقت سيطرته على بلاد عسير .
واعتد نفوذ الأمير " سعيد بن مسلط المفيدى " تجاه الشمال فوصل إلى بلاد غامد وزهران ، لكنه لم يدم طويلاً في الإمارة ، فخلفه أحد أبناء أسرته يدعى علي بن مجتل المفيدى ، الذي عرف بنصرته للإسلام وخدمته له ، وقد استطاع أن يتصدى للشريف ابن عون والأتراك لفترة من الزمن (١١٥) .

وفي عام ١٢٤٩هـ / ١٨٣٤م تولى الأمير " علي بن مجتل " بعد أن أوصى بعائض بن مرعى المفيدى ليكون أميراً على بلاد عسير من بعده (١٦٦) ، لكن لم يكد عائض بن مرعى يتولى الإمارة ، حتى قام الشريف " محمد بن عون والقائد التركي في الهجاز أحمد باشا بشن هجوم على الأجزاء الواقعة جنوب بلاد غامد وزهران فسيطر عليها بعد أن كانت تحت نفوذ ابن مرعى المفيدى ، وفي ظل هذه الظروف لم يستطع عائض بن مرعى رد هجومهما ، لكنه عقد معهما اتفاقية في عام ١٢٤٩هـ / ١٨٣٤م ، تنص على أن تكون تنومة وبلاد بارق من أرض بني شهر هي الحدود الشمالية لإمارته ، وهذه الاتفاقية تكون الأجزاء الشمالية من بلاد بني شهر وجميع منطقة بني عسرو قد دخلت تحت حكم الشريف محمد بن عبد العدين بن عون وأحمد باشا التركي (١٦٧) ، ومن الواضح أن عائض بن مرعى لم يوافق على هذه الاتفاقية إلا لأسباب تد تكون داخلية - ومن المحتمل أنه أراد توطيد أوضاعه الداخلية وتقوية جيوشه ، ثم يعود لمحاربة الشريف ابن عون ، وهذا ما حدث بالفعل ، فلم ينصرف عام واحد بعد تلك الاتفاقية التي عقدها مع محمد بن عون وأحمد باشا ، إلا وفراه قد عاود الكرة لمحاربة جيوش الشريف وأحمد باشا ، حتى استطاع طردهم من جميع المناطق الواقعة جنوب بلاد غامد وزهران ، وفي عام ١٢٥٢هـ / ١٨٣٧م أرسل القائد التركي أحمد باشا جيشاً ليقابل جيوش ابن مرعى في بلاد غامد ، فبازت المبارك بين الطرفين حتى انتصرت الجيوش العثمانية على جيش عائض بن مرعى الذي قُتل وأسر منهم عدة كبير (١٦٨) .

واستمرت بلاد عسير وامتداداتها حتى حدود بلاد غامد وزهران تحت حكم الأمير عائض بن مرعى ، وعند وفاته عام ١٢٧٣هـ / ١٨٥٦م تولى إمارة البلاد من بعده ولده محمد بن عائض بن مرعى الذي عقد مصالحة مع شريف الهجاز عبد الله بن محمد بن عبد المعين بن عون ، وافق فيها على التراجع عن السيطرة على بلاد غامد وزهران وأن يكفى بحدوده الشمالية عند

البلدين ، ونشرت أعماله في باريس عن هذه الرحلات ، ومع أهمية أعماله العلمية ، إلا أنه ظل من الرحلات الجغرافيين ، ولم يحظ بالشهرة التي حظي بها أفراد من رحلات عصره (١٣٦) .
وعا بسبب حنائه سنة ، أو ربما لأسباب أخرى لا تعرفها (١٣٧) .

٧ - السير كينهان كورنواليس (Sir Kinahan Cornwallis) :

أما السير كينهان كورنواليس الذي دون كتاب " عسير قبل الحرب العالمية الأولى " ، فقد حاولت جاهداً معرفة شيء ما عن حياته والأسباب التي جاءت به إلى الجزيرة العربية ، فلم استطع العثور على ما يفيد . وبالرجوع إلى مؤلفات المؤرخين والكتب المتوفرة لم نجد أي شيء يقترن بهذا الرحالة سوى طلاء الكتاب الذي كان في الأساس تقريراً ، سمح بطبعه في فترة لاحقة . وهو يشبه تقرير هوجارت (Hogarth) عن بلاد الحجاز ، وطبع أيضاً في هيئة كتاب أصبح متداولاً بين القراء والباحثين (١٣٨) .

ولعل سبب خروجه في هيئة تقرير يعود إلى اهتمامات إنجلترا بالشرق ، حيث إن كورنواليس كان واحداً من رحلات المغامرات البريطانية ، وقد أرسلته حكومته إلى منطقة عسير لدراساتها من صصح الجوانب . والفعل جاء إلى المنطقة وتجهول في أبحاثها ثم دون هذا التقرير ، ودفعه إلى المكتب العربي بالقاهرة (Arab Bureau) (١٣٩) .

٨ - سانت جون فيلبس (H.S.J. Philby) :

أما رحلتنا الثالث في هذه الدراسة فهو : هادي سانت جون بيرجر فيلبس (H.S.J.B. Philby) . إنجليزي الجنسية ومدعى اختصاصاً جاك أو (عبد الله فيلبس) ، المولود في إنجلترا عام ١٨٨٥ م ، والتحق عام ١٩٠٦ م ، وعلى ذلك فهو من معاصري أحداث القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين ، والتاسع عشر والعشرين الميلاديين . انخرط بداية حياته في وظائف عدة بالحكومة البريطانية ، ثم قدم إلى شبه الجزيرة العربية في اليوم السابع عشر من تشرين الأول سنة ١٩١٧ م ، حيث ذهب من البصرة إلى الأحساء ومنها توجه إلى الرياض ، حيث أجمع لأول مرة بالملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود . وقد فصل ذلك في كتابه (أيام بلاد العرب Arab Days) ، الذي قام بتلخيصه الأستاذ خيرى حماد في كتابه " عبد الله فيلبس قطعة من تاريخ العرب الحديث " ثم نشر في بيروت عام ١٣٨١ هـ / ١٩٦١ م) .

التعريف بهؤلاء الرحالة ، وأعمالهم ، وظروف مجيئهم إلى عسير :
إن هؤلاء الرحالة الثلاثة : تاميزيه ، وكورنواليس ، وفيلبس ، هم الذين مهدوا حديثنا عنهم ، وعن أعمالهم ، وخاصة ما دونوا لنا عن إقليم عسير . وقبل أن نستعرض كتبهم التي وصلت إلينا عن منطقة عسير ، فإنه من الأجدر التعرف على شخصياتهم ، وظفتياتهم التاريخية ، إلى جانب أعمالهم والظروف التي أدت إلى مجيئهم إلى إقليم عسير .

والواقع أن شبه الجزيرة العربية ، وخاصة إقليم عسير ، ظل مجهولاً ، وفضير معروف ، عند الأوروبيين ، إلى أن قام حاكم مصر محمد علي باشا بعد نفوذه إلى الجزيرة العربية في الفترة المتعددة (١٢٢٦ هـ - ١٢٥٦ هـ / ١٨١١ م - ١٨٤٤ م) ، حيث كرس جهوده في إرسال العديد من الحملات إلى شبه الجزيرة العربية ، وكانت منطقة عسير ، من المناطق المستهدفة في تلك الحملات (١٣٦) . وكانت فرصة ذهبية لبعض الأوروبيين أن يسطعوا تلك الحملات . ومن ثم اكتشفوا ودنياً - أو دون بعضهم - ملاحظاتهم خلال رحلاتهم مع تلك الحملات الغازية للجزيرة العربية (١٣٧) ، ومن هؤلاء الرحالة :

١ - موريس تاميزيه (M. Tamizia) :

إن موريس تاميزيه أول أولئك الأوروبيين الذين دخلوا حيلة محمد علي باشا على عسير عام ١٢٤٩ هـ / ١٨٣٤ م (١٣٨) ، ثم دون يومياته بشكل تفصيلي عن تلك الحملة بصفته كاتباً للبعثة الطبية التي كانت ترافق الحملة (١٣٩) .

ولا تملك نحن تفصيلات عن حياته الأولى في موطنه الأصلي . وأول من ذكره لنا كثيراً ، عرب البروفيسورة جاكلين بيرين ، أبنه بلبه ، وصاحبة المؤلف المهم عن الرحالة الأوروبيين الذين زاروا الجزيرة العربية (١٤٠) .

ومن خلال المادة العلمية المرفقة في كتاب موريس تاميزيه نجد ، بجيب على سؤال وجهه له أحد أعيان منطقة عسير حول عمره ، فذكر له أنه يبلغ من العمر اثنين وعشرين سنة . وذلك في عام ١٨٣٤ م ، وبذلك نستنتج أن تاريخ ولادته كان في عام ١٨١٢ م . ومن الواضح أن موريس كان عنده إلمام إلى درجة ما باللغة العربية ، وذلك يظهر واضحاً في حواراته مع بعض رجال منطقة عسير وأعيانها .

أما الأعمال الفكرية لهذا الشاب الفرنسي ، فيستطع لنا أنه زار الجزيرة العربية عام ١٢٤٩ هـ / ١٨٣٤ م وزار الحيشة في عام ١٢٥١ هـ / ١٨٣٦ م ، وكتب عن رحلاته في هذين

- ٦ - كتاب : " ملكة سبا " طبع في لندن سنة (١٩٨١ م) .
- ٧ - كتاب : " تاريخ المعاز المعاصر " طبع في لندن سنة (١٩٢٥ م) .
- ٨ - كتاب : " أروض مدين " طبع في واشنطن سنة (١٩٥٥ م) .
- ٩ - كتاب : " ثلاثة نقوش في حضرموت " طبع في لندن سنة (١٩٤٥ م) .
- ١٠ - كتاب : " النقوش في نجران " طبع في لندن سنة (١٩٤٤ م) .
- ١١ - كتاب : " صفقات الزيت العمري " طبع في واشنطن سنة (١٩٦٤ م) .
- ١٢ - كتاب : " أيام عربية " طبع في لندن سنة (١٩٤٨ م) .
- ١٣ - كتاب : " أربعون عامًا في القفر " طبع في واشنطن سنة (١٩٥٧ م) .
- ١٤ - كتاب : " الذكرى العربية " طبع في واشنطن سنة (١٩٥٣ م) .
- ١٥ - كتاب : " النجود العربية " طبع في نيويورك سنة (١٩٧٦ م) .

وهناك كتب ومقالات أخرى عديدة لم نشر إليها ، والغالب على معظم الدراسات التي دونها فيليبس تميزها بوفرة الطروحات الجديدة في محتوياتها وطريقة تدوينها ، كما أن المشاهدة وتوقع الخبرة عند هذا الرحالة جعلته يصح كتبه ، وبحوثه بصيغة بسودها التمتع في التحليل والتدوين حتى إننا نجد أحيانًا يخوض في جزئيات وتفاصيل دقيقة لاتتأني إلا إن كان كبير الرحلة والتجوال ، وكان شاهد عيان لتلك التفاصيل ، ورغم أن جميع بحوثه وموضوعاته تدور حول الجزيرة العربية ، فإنها تميزت - كما سبق القول - بالتنوع (٣٩) ، ولذا سوف نقصر في هذه الدراسة على عرض المؤلف الخامس عشر من مؤلفاته ، الأتفة الذكر ، والموسوم بـ " النجوم العربية " (Arabian Highlands) لأنه ركز في جزء من هذا الكتاب على إقليم حسير ، الذي هو موضوع دراستنا ، وهذا الكتاب أحد الكتب التي سوف نناقشها فيما بعد مع كتابي تميزته وكورتواليس ، ونقدم عنها في الصفحات التالية دراسة تحليلية نقدية .

دراسة نقدية تحليلية مقارنة لكتب الرحلات الثلاثة : أولاً : الدراسة التحليلية

- ١ - الكتاب الأول : رحلة في بلاد العرب (الحملة المصرية على حسير ١٢٤٩ هـ / ١٨٣٤ م) للرحالة موريس تانيزيه الفرنسي . هذا الكتاب طبع لأول مرة باللغة الفرنسية في باريس عام (١٨٤٠ م) ، وكان يقع في مجلدين في سبعمائة وثلاث وتسعين صفحة مجتد عسراة (Voyage en Arabie) (رحلة في الجزيرة العربية) ، يتكون الجزء الأول الذي

ويختلف فيلبس عن موريس تانيزيه ، والسير كيناهان كورتواليس ، بل يختلف أيضًا عن جميع الرحالة الذين قدموا إلى الجزيرة العربية في التاريخ الحديث والمعاصر ، وذلك لغزارة مؤلفاته عن شبه الجزيرة العربية ، بل نستطيع القول بأنه امتاز بالريادة في الكتابة التاريخية عن المملكة العربية السعودية خاصة والجزيرة العربية عامة ، وقد ذكر عنه الشيخ حمد الجاسر قوله :

" الحقيقة التي يجب أن نقول هي أن فيلبس أسدى للجزيرة العربية بأقصر عن مداه إليها من سواء " (٣٥) . كذلك جميع ونتر (George Reniz) في حديثه عن فيلبس " أنه أكثر الغربيين إنتاجًا عن تاريخ هذه البلاد " (٣٦) . ويقصد بالبلاد ، المملكة العربية السعودية ، منحها في ذلك إلى أن السبب في تلك الغزارة يرجع إلى حصول فيلبس على مؤلفات الكتابة التاريخية عن هذه البلاد ، ومن أهمها معرفته التامة بجميع نواحيها ، فقد عاش في شبه الجزيرة العربية متنقلًا بين ربوعها أكثر من أربعين عامًا ، أي منذ أن ولدت قدامه أراضيهما لأول مرة عام ١٧٣٦ هـ / ١٩١٧ م حين وفاته عام ١٣٢٨ هـ / ١٩٦٠ م (٣٧) .

وإذا كان " عبد الله فيلبس " قد بدأ حياته العملية في خدمة الإمبراطورية البريطانية كالكثير من أبناء جلدته ، إلا أنه بعد أن جاء إلى شبه الجزيرة العربية ، والتقى بالملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ، ثم اعتنقه الإسلام ، صار عتدته جميع العلاقة مع الملك عبد العزيز ، وبالتالي أصبح من القريبين لدى الملك ، حتى إنه أرسله في العديد من المهام الخاصة بالدراسة داخل البلاد وخارجها . وذكر فيليبس الكثير من تلك المهام في مذكراته وكتبه ومقالاته العديدة (٣٨) .

وقد ترك لنا المؤرخ والرحالة فيلبس العديد من المؤلفات والمقالات المترجمة في عناوينها وأطروحاتها ، وجميعها درست باللغة الرئيسية التي يتكلمها فيلبس ، وهي اللغة الإنجليزية ، وبعضها ترجم إلى اللغة العربية ، ومن تلك المؤلفات :

- ١ - كتاب : " الجزيرة العربية " وقد نشرته دار (أرنست لند) في سنة (١٩٣٠ م)
- ٢ - كتاب : " العربية السعودية " طبع في لندن سنة (١٩٥٥ م) .
- ٣ - كتاب : " العربية الوهابية " طبع في لندن سنة (١٩٧٨ م) .
- ٤ - كتاب : " قلب الجزيرة العربية " طبع في نيويورك سنة (١٩٧٣ م) .
- ٥ - كتاب : " الربع الخالي " طبع في لندن سنة (١٩٣٣ م) .

على عسير ، والتي انطلقت من مدينة جدة حتى الطائف ، ثم سلكت الطريق التجارية المعروفة في كتب التراث والتي تعترق السفوح الشرقية لجبال السراة ، مارة بالمحطات الرئيسة مثل تربة ، ورونية ، ويشيشة (٤٣) ، حتى وصلت وادي شهران ، واستقرت على مدينة خميس مشيط (٤٤) ، ثم تحركت إلى أن وصلت مدينة أبها ، حاضرة إقليم عسير (٤٥) . والحقيقة أن الرحالة تاهيزيه يعد أفضل من دون معلومات دقيقة عن إقليم عسير خلال تلك الحقبة التي وافق فيها جبرش محمد علي باشا إلى عسير ، حيث أورد تفصيلات كثيرة عن طبيعة البلاد العسيرة وسكانها وقري والقبائل التي مرت بها الحملة (٤٦) ، إضافة إلى ما أوردته من الظروف السياسية والاجتماعية والأثرية والاقتصادية والعسكرية التي صاحبت الحملة منذ بداية انطلاقها من الطائف حتى وصولها إلى أبها ، ثم نهايتها التي تم بتوقيع إعلان هزيمة قائد الحملة أحمد باشا والشريف محمد بن عون مع أمير منطقة عسير عثمان بن مسعى (٤٧) ، وقد تم أيضًا توقيع وثيقة اعتراف من قادة الحملة أكدت على استقلال إقليم عسير ، وذلك في اليوم السادس والعشرين من شهر سبتمبر عام (١٨٣٤م) .

وبما يزيد من أهمية كتاب تاهيزيه ما يسده من نقص في معرفتنا التاريخية عن بعض الشخصيات البارزة في المنطقة وأودواؤها ، لم تكن نعرف عنهم إلا انفراد قليل تبيل هذا الكتاب مثل التعريف بالأمير دوسري أبي نقطة ، وسلطان بن عبيد شيخ بني مالك عسير ، وعلى الصعيري شيخ بني ملول من بيشة ، ورفيدى أحد شيوخ بللسر الذي لم تكن نعرف له ذكر من قبل ، واللقاء مزيد من التفاصيل على مكانة الشيخ مشيط شيخ شهران ودوره البارز في تاريخ عسير . ناهيك عما أوردته عن الأمير عايض بن مسعى أمير عسير الذي تولي الإمارة عشية الإعداد لهذه الحملة ودوره البطولي والقائد في الدفاع عن بلاده ومحاربة مجيئها الصراخ والحرب مع قوات محمد علي ، وذلك من خلال مشروعاته المختلفة والتكوية لطلب الصلح مع قادة الحملة وأصراره على رفض أي صلح لا يضمن لعسير استقلالها ووحدة ترابها (٤٨) .

هذا إلى جانب ما تعرض له هذا الكتاب أيضًا من صراخ غنى بين قائد الحملة أحمد باشا ومحمد بن عون ، وما يهدف كل منهما إليه من تحقيق أهداف سياسية على حساب الآخر ، وأثر ذلك على مسار الحملة .

إن هذا الكتاب يكثف لنا جماعة معاناة أهل عسير وضخامة ما تحملوه من أوزار . ونحن نشريد ونقبل ، وتفسير للقري واحراق للمزارع ، وقتل للأسرى ، ومع ذلك ظلوا صامدين طالما في صمودهم ضامنًا لاستقلال بلادهم .

يعمل عنوان التوقف في الحجاز (Sejour Dans Le Hedjaz) ، من (٣٩١) صفحة (٤٠) . أما الجزء الثاني وهو بعنوان : الحملة على عسير (Campagne D'Assir) فيستكون من (٤٠٢) صفحة ، وهو الكتاب المعنى في هذه الدراسة ، وقد أعيدت طبعته في قينا في عام (١٩٢٦م) ، وجاء في طبعته الجديدة - وهي مصورة من الطبعة الأولى - في مجلد واحد .

أما الجزء الثاني من كتاب تاهيزيه ، هو الكتاب الذي نعمل دراسته في هذا البحث ، وقد تولي ترجمته إلى اللغة العربية الدكتور محمد بن عبد الله آل زلفه الأستاذ المشارك في التاريخ الحديث بجامعة الملك سعود ، وهذه النسخة المترجمة هي التي اعتمدنا عليها في دراستنا ، فالكتاب في منتهى الرينسي ، والتدمات وقائمة المصادر والمراجع التي أوردوا المترجم يقع في (٣٥٨) صفحة من القطع المتوسط ، واشتلت العشرون صفحة الأولى من الكتاب على توطئة ومقدمة للمترجم أريد بها إعطاء فكرة عن الخلفية التاريخية للأحداث التي وقعت في عصر معلومات الكتاب ، كما احتوت أيضًا على نبذة مختصرة عن مؤلف الكتاب وعن المترجم والظروف التي قابلته منذ بدأ في ترجمته إلى أنه نشره باللغة العربية في مدينة الرياض عام (١٤١٤هـ / ١٩٩٣م) ، ثم أخرج متن الكتاب في ستة عشر فصلًا ، وفيه بقائمة تضمنت المصادر المراجع التي اعتمد عليها في إخراج هذه الترجمة ، ويسر أن الجزء الثاني من لغة الأصلية يقع في خمسة عشر فصلًا ، لكن المترجم أضاف له فصلًا آخر من نهاية الجزء الأول ، الذي يخص إقليم الحجاز ، وقد أشار إلى ذلك في مقدمته مع إيضاح الأسباب التي دفعت إلى ذلك ، فقال : « والكتاب في طبعته الأولى ينقسم إلى عدد من الفصول ، يشتمل الجزء الثاني الذي بين يدي القاري على خمسة عشر فصلًا ، أضفت إلى فصول هذا الجزء الفصل الأخير من فصول المجلد الأول حيث إنه يشكل بداية طبيعية لهذا الكتاب إذ تحدث فيه المؤلف عن أسباب المواجهات بين إمارة عسير ومحمد علي باشا ، كما تحدث عن الخلافات التاريخية والجغرافية لمنطقة عسير وإمارة أبو عريش ، ولهذا أصبح ذلك الفصل يشكل الفصل الأول من كتابنا هذا وأعيد ترتيب بقية الفصول على هذا الأساس ، حيث أصبحت فصول هذا الكتاب في ترجمته العربية ستة عشر فصلًا - (٤٢) .

وفي بقية الفصول المدونة في الكتاب ، أي من الفصل الثاني إلى الفصل السادس عشر ، نجد موريس تاهيزيه يورد الأحداث السياسية والحضارية التي زامنت حملة محمد علي باشا

ولم يغفل المؤلف ما عاناه شباب مصر الذين خرد بهم محمد علي وأخذهم قسراً من أعضان أهماتهم ليرسخهم إلى قدرهم للجهد في مهامات الجزيرة العربية . وقد زدنا المؤلف بوصف مؤلم لما قاسوه من لوعة الغربة ومشقة السفر وطلع من مواجهة الأعداء ، حيث لم يكن أحد منهم يؤمن بالقضية التي نُجِّدُ به في مواجهتها (٤٩) .

كذلك زدنا معلومات عن فرق جنود المغاربة التي كانت تُجند كجنود مرتزقة في جيش الياها ، ذهبوا إلى تلك الحرب تحت وطأة الدين ، ووعبة في تديدها لرابي تجار القاهرة . فنراهم يتنصرون في سبيل الحصول على المغنم - لواجهة الموت بشكل تدميري عنيف وظفرس لا يعرف الرحمة ولا تقيم للمساير الإنسانية أي حساب ؛ لأنها هي واقعة تحت نير الظلم والاضطهاد وطائلة الدين التي يتوجب عليهم سدادها بأي ثمن ، يطلع الواحد منهم شها روحه ، ويذوق من أظها روح من يقابله دوناً شفقة أو رحمة (٥٠) .

وقد أشار المؤلف إلى أنه اعتمد في استقاء معلوماته على الحوار المباشر بينه وبين الأشخاص الذين التقى بهم وحاوهم فيما كان ينوي عمله ، أو محاولة معرفته لأمر من الأمور، سواء كان ذلك الأمر يتعلق بتاريخ حادثة أو علاقة فنة بأخرى ، أو علاقة الإنسان بالمكان أو معرفة ظاهرة معينة جغرافية أو نباتية أو اجتماعية . وذكر أن هذه الطريقة التي لمن هو في مثل حاله غريب في ديار غريبة بالنسبة له (٥١) .

هذا بالإضافة إلى أنه كان وثيق الصلة ببعض كبار القوم المشاركين في الحملة والصارفين بالظروف السياسية والاجتماعية والتاريخية لهله البلاد ، مثل الأمير دوسري أبي نقطة ، والشيخ علي الصمبوري شيخ بني سلول من بيشة ، وغيرهم من قادة وضباط وأطباء الحملة . فكان يستقى المعلومات السياسية المتعلقة بالحملة من المصادر الأولية - أي المشاركين في صنعها - هذا بالإضافة إلى شدة ودقة ملاحظته ، ومتابعة تطورات الأحداث وتوثيقها أولاً بأول (٥٢) .

٢ - الكتاب الثاني : "عسير قبل الحرب العالمية الأولى (Asir before World I" لتسير كيناهان كورنواليس . وهذا الكتاب عبارة عن تقرير دونه كورنواليس الذي كان ضابطاً في الاستخبارات البريطانية ، وقد طبع باللغة الإنجليزية في هيئة كتب صغير الحجم يقع في (١٥٥) صفحة ، وتم نشره في مدينة كمبريدج ببريطانيا عام (١٩٧٦م) . وهذا

الكتاب على صغر حجمه يحثرى على سبعة عشر فصلاً قصيراً شملت معلومات سياسية وحقائق جيدة عن منطقة عسير قبل الحرب العالمية الأولى ، وهذه الفصول متنوعة في مادتها العلمية ، وقد تصدر الكتاب خريطة توضح مواطن العشائر والقبائل في منطقة عسير أثناء مجيء كورنواليس إليها . أما الفصل الأول فتحت عنوان : المنطقة (Area) ويقع في صفحة واحدة تحدث فيها كورنواليس عن حدود إقليم عسير الذي ذكر أنه تمتد من قادم وزهران شمالاً إلى جازان وجهران جنوباً ، موضحاً أجزاء عديدة في السهول الساحلية والسرورية من تلك المنطقة (٥٣) ، والفصل الثاني جاء تحت عنوان التضاريس (Relief) وأشار فيه كورنواليس إلى طبيعة تضاريس منطقة عسير موضحاً بعض التفاصيل لجبال السروات المتدة من الجنوب المنطق (٥٤) ، والفصل الثالث وعنوانه (Physical Character and Climate) . أشار إلى معالم الخصائص الطبيعية واتاخ (Climate) مع التنويه إلى المتغيرات منها تجاه الشرق والغرب ، وفي الفصل الثالث وعنوانه: شروط الأمطار وإلى أنواع الرياح التي تهب على منطقة عسير ، كما أهدم بآكر مواطن الخصوية والجذب في المنطقة . ويلاحظ من حديثه عن الخصائص الطبيعية والناخ أنه أطلع على كتاب تاملزيه لأنه استشهد به أكثر من مرة فيقول عن خصوبة وادي شهران نقلاً عن تاملزيه : إنه الجوهرة التي يطعم فيها كل الغزاة - (٥٥) . كما يذكر عن تاملزيه أيضاً : " أنه من واقع تجربته عن قصف الرعد الشديد والأمطار التي تهطل في المنطقة الجاورة لجبوس مشيط بشهر يوليو ، فمتاخ نهامة الذي يتعرض لرياح جنوبية غربية شديدة هو حار قائماً مثل منطقة الحجاز ، ولكن من ناحية الماء ، فهو أكثر وفرة وغزارة ومن نوع أحسن ، كما أن داخل المنطقة أبرد عموماً من الحجاز . أما بالنسبة للعقبة والهضاب بصفتها أفضل وأحسن من مثيلاتها في الحجاز فإن مناخها معتدل ولكن المنحدرات الناخلة لسلسلة الجبال والتي لها امتداد شمال شرقي فإن فصل الشتاء فيها شديد نسبياً مع ظهور صقيح ليلاً بشكل عادي . (٥٥) . أما الفصل الرابع فيناقش فيه عنصر السكان (Population) ، حيث يذكر مركز القرية والنقل السكاني في إقليم عسير فيشير إلى أن المنطقة الجبلية للنددة من زهران وغامد شمالاً حتى شهران وقحطان جنوباً تمتد أكثر البلاد سكاناً وأقوامهم عدداً وعدة ، كذلك نوه بمصادر الرزق لهؤلاء السكان فكانت الزراعة بالفرجة الأولى إلى جانب الرعي والتجارة . وذكر أن غالبية السكان كانوا يتبعون المذهب الشافعي ، في حين أن هناك من كان على المذهب الحنبلي اقتداءً بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (٥٦) . أما الفصل الخامس فمقصده للحديث عن بعض الأدوات والصناعات المنزلية التي كان يحترفها أهل المنطقة ، وتتجرون مرادها الأولية من

- ٢ - الأجزاء الشمالية من منطقة عسير ، مثل بلاد زهران وغامد ورجال الحجير (بنو عمرو ، بنو شهر ، وبنو بلعسر وبنو نصر) وشهران ، وخاصة المراكز الحضرية فيها ، كانت تصبغ بشريف مكة ، أثناء الفترة التي دون عنها كورتواليس تقريره (٦٦) .
- ٣ - أما الأتراك فلم يتجهوا في إخضاع منطقة عسير ، وإنما كان لهم فقط سلطة تزعمية في ميناء القنفذة والمدن الناحية مثل : بارق ومحائل وأبها مع منطقة صغيرة تحيط بكل منها ، وتغزو متقطع على الطرق الواصلة بينها (٦٧) .
- ٤ - أما بقية إقليم عسير ، وخاصة الأجزاء القريبة من السروات ، والسهول النهامية الممتدة من صبيبا وبيش جنوباً إلى محائل وبارق فكانت تحت سيطرة السيد الإدريسي الذي كان مقره في مدينة صبيبا من منطقة جازان (٦٨) .

وفي الفصل الثالث عشر الكون تحت عنوان : التنظيم العسكري وموارده (Recent of Organization and Resources) يتحدث كورتواليس عن الإمكانيات العسكرية عند كل من الأتراك والإدريسي . فقد عده الفرق والفترات العسكرية التركية التي كانت تتمركز في مناطق مختلفة بين القنفذة وأبها ، كما أوضح سمي الأتراك للمحصل عن دعم بعض القبائل المجاورة أو القريبة منهم (٦٩) . أما الإدريسي فيذكر المؤلف أن جيشه كان يتألف من خمسمائة مقاتل سوداني تم تجنيدهم من القرى الواقعة حول عاصمتهم صبيبا ويستخدمون شرطة أو حرساً خاصاً للإدريسي في الأوقات العادية ، أما في الحرب فكان يعتمد على رجال القبائل الولاية له ، وضاليتها في الأجزاء النهامية والسهول القريبة لجبال السراة الواقعة بين صبيبا جنوباً ومحائل شمالاً (٧٠) .

أما الفصل الرابع عشر ، فقد خصصه كورتواليس لمسرح القبائل والمشار التي تعيش في منطقة عسير أثناء ذهابه إليها قبيل الحرب العالمية الأولى . وقد قسم هذا الفصل إلى جزئين ، الجزء الأول سماه (قبائل السهل الساحلي) من الليث شمالاً إلى صبيبا وجزان جنوباً (٧١) ، والجزء الثاني ، ذكره تحت اسم " قبائل عسير الناحية الممتدة من زهران شمالاً إلى بلاد قحطان وظهران جنوباً " (٧٢) . والجزء الذي انفرد بها كورتواليس في هذا الفصل هي أنه أورد معلومات قيمة عن موقع كل قبيلة في تلك الأجزاء ، التي أشار إليها ، كما أشار إلى المهن والحرف المختلفة التي كان يتقنها سكان كل قبيلة وتوزع ولا ، القبائل بين القوى السياسية الموجودة آنذاك ، وهي الأتراك ، وشريف مكة ، والإدريسي ، هذا إلى أنه أورد أسماء شيوخ

الطبيعة ، وتلك الصناعات متنوعة مثل : الصناعات الحجرية والبخارية ، والصناعات الخشبية ، والصناعات الحديدية ، والصناعات الجلدية وغيرها (٧٣) . وفي الفصول السادس والسابع يتحدث كورتواليس عن الزراعة والثروة الحيوانية ، ويذكر توفر هذين المصدرين في منطقة عسير ، خاصة في المناطق الجبلية الممتدة من زهران إلى قحطان ، ولا تخلو الأجزاء الشرقية والغربية لجبال السروات من مواطن تربية أماكن رعوية (٧٤) . وفي الفصل الثامن يدون لنا كورتواليس معلومات قيمة عن النشاط التجاري في إقليم عسير ، فيذكر نشاط الواردات إلى عسير عن طريق البحر والبحر ، كما يشير إلى حركة التصدير من منطقة عسير إلى خارجها ، ولم يغفل عن ذكر أهم المراكز التجارية الداخلية في المنطقة ، وشهرة أسواقهم الأسبوعية (٧٥) . وفي الفصول التاسع والعاشر والحادي عشر يستكمل كورتواليس تقريره بالمحدث عن الصناعات المستخدمة في منطقة عسير أثناء مجيئه إليها ، فيذكر أنهم كانوا يتعاملون بالقرش التركية ، والريال الفرنسي ، وجنيه الذهب الإنجليزي ، إلى جانب التعامل أيضاً بالقبايضة (٧٦) . كذلك ناقش الأوزان والمقاييس المستخدمة آنذاك فذكر من الأوزان والمكاييل الأثة والد والصاع ، والكيلة ، أما المقاييس فذكر الركب والفالج ، كما قدم لنا معلومات هامة عن الضرائب التي كانت تجبي على التجار سواء من البحر أو البر ، فاما من جهة البحر فكانت بعض السلع تدخل إلى عسير عن طريق منطقة جازان التي كان أغلبها تحت سيطرة الإدريسي الذي كان له ضباط حصارك في جميع القرى ، لجباية الضرائب (٧٧) . ونجد أرواح كورتواليس النسب التي كان يعيها الإدريسي (٧٨) وكذلك الأتراك في منطقة القنفذة وما حولها وكانت تحت النفوذ التركي ، والأتراك بدورهم يجهون ضرائبهم على التجار الذين يأتيون من تلك النواحي (٧٩) . أما إقليم عسير الممتد من زهران إلى قحطان فكان عبارة عن منطقة مستقلة في عصر كورتواليس ، وكان سكان هذه البلاد يدفعون الضرائب لشيوخهم وريؤسانهم ، لهم يسوونهم ويحسبونهم (٨٠) . وفي الفصل الثامن عشر الذي وضع له كورتواليس عنواناً أساء : التاريخ المعاصر والسياسة الحاضرة (Recent History and Present Politics) أشار فيه إلى أن إقليم عسير في عصره لم يكن وحدة واحدة وإنما كان ينقسم من الناحية السياسية إلى أربعة أقسام هي :

- (١ - النواحي المستقلة مستقلة في بعض المراكز والقبائل البدوية التي تعتمد على الترحال من مكان لآخر بحثاً عن الماء والكلاً لرعي مواشها ، وهذه المراكز توجد في أجزاء عديدة من جبال السروات الممتدة من غامد وزهران شمالاً إلى قحطان جنوباً (٨١) .

طريق أيها - يشبه التي لاجتازها الرحالة تامةزيه في عام (١٨٣٤م) ، فلم يتعرض أي أوروبي لوصف تلك البلاد وأعطا ، أهمية للطرق المشروحة بالتفصيل في هذا الكتاب (٧٦) . وقد أشار إلى اعتماد الأمن في طرق عسير والتي أعطانا قائمة بأسانها ، فذكر عدد خمسة عشر طريقاً هي :

١ - أيها - الدرب ٢ - أيها - صيبا ٣ - أيها - طهران (طريق السلطان)

٤ - أيها - يشبه ٥ - أيها القنائف (طريق السلطان) ٦ - أيها - محائل (عبر

وادي تيه) ٧ - أيها - محائل (عبر الشعيين) ٨ - أيها - الوهله

٩ - محائل - ننومة ١٠ - محائل - القنفذة (عبر بارق) ١١ - محائل - القنفذة

١٢ - محائل - تقفة حلى ١٣ - محائل - البرك ١٤ - اللبث - وادي العين

١٥ - ننومة - سوق العجمة .

وقد أحسن كورتواليس بحفظ هذه المعلومات لنا عن الطرق البرية الداخلية في منطقة عسير ، مع العلم أنه لم يكتب بتعدادها كما دونها أعلاه ، وإنما ذكر معظم المحطات الواقعة بين مكان وآخر على تلك الطرق ، مع الإشارة إلى بعض التفصيلات الاجتماعية والاقتصادية الجيدة ، كذكر لطبقات السكان في بعض المواقع أو أحوال الزراعة أو التجارة ، أو الملبات أو الإرجاجيات لكثير من المحطات التي نزع عن طول تلك الطرق التي أورد ذكرها (٧٧) .

٣ - الكتاب العفاك : وعنوانه " التجود العربية " (Arabian Highlands) مؤلفه سانت جيمز بريمير فيليبس أو E عبد الله فيليبس ، كما عُرِف بالمنطقة العربية . وقد طبع الكتاب باللغة الإنجليزية بطبعة جامعة كورنل أتاكا في نيويورك بالولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٧٦م . ويقع في (٧٧١) صفحة من القطع المتوسط ، وقامت على نشره جمعية الشرق الأوسط في واشنطن . (٥٠ سي . Washington, D.C.) .

وقد اعتمدنا على هذه الطبعة في الدراسة التي بين أيدينا ، علماً بأن هناك طبعة سابقة على هذه الطبعة ، وهي الطبعة الأولى الصادرة عام ١٩٥٧م . ونجد في طبعة الطبعة المعدلة في دراستنا مقدمتين إحداهما مؤرخة بعام ١٩٤٤م ، والثانية ترجع إلى عام ١٩٥١م . أما المقدمة الأولى فيبدو أن فيليبس قد دونها أثناء انتهائه من جمع ثم تدوين معلومات هذا الكتاب ، وقد أشار فيها إلى فضل جمعية الشرق الأوسط السالفة الذكر لقيامها بالدعم

بعض القبائل ، وكذلك عدد سكان أغلب القبائل التي دونها في تقريره ، مع العلم أن معلوماته عن أعداد السكان غير دقيقة لأنه اعتمد على جمع معلوماته على رواة محليين ، وهذا مما يجعل الأخطاء واردة في ذكر أرقام خيالية حتى يظهر عشيروته يظهر القوة والبأس ، وأحياناً يذكر أرقاماً تليقة حتى لا تظهر قبيلة الراوى كهيبة في عيون الآخرين وخاصة الأعداء ، فيأتالي بحصوناتها أو بعدون لها العدة في أيام الحروب والغزور (٧٣) . كذلك دون كورتواليس معلومات أخرى قيمة تتعلق أحياناً بالأوضاع الاقتصادية أو الاجتماعية لكل قبيلة ، فتجده أحياناً يشير إلى أنواع مصادر الرزق عند القبيلة ، أو إلى بعض العادات والأعراف والتقاليد المتروكة ، مثل عادات الأعياد والمآتم والزواج ، فضلاً عن عادات الطعام والشراب واللباس والزينة . وقد أشار أحياناً إلى بعض المراكز الحضرية في تلك القبائل مثل : القنفذة ، ومحائل ، وصيبا ، وخميس مشيط ، ويشة ، وأبها ، والنماس وغيرها ، فذكر بعض الميزات التي كانت تتميز بها تلك المراكز . وأهميتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية في منطقة عسير (٧٤) .

أما الفصل الخامس عشر فله دونه كورتواليس تحت عنوان : الشخصيات (Personalities) ، ويعد هذا الفصل من أنفس الفصول في كتاب كورتواليس ، إذ حصر فيه أكثر من مائة وثلاثين شخصية في إقليم عسير ، معظمهم شيخ وأعيان قبائل إقليم عسير في عصره ، وأمتازت معلومات هذا الرحالة بأنه ذكر الاسم لكل شخصية ترجم لها ، وذكر المكان الاجتماعية لتلك الشخصيات المترجم لها ، مع إبراز الصفات الشخصية والخلقية أحياناً لبعض الشخصيات المترجم لها الواردة في هذا الفصل . وأحياناً يذكر شخصيات لها ثقل ووزن في صنع السياسة بنطقة عسير ، مع الإشارة إلى علاقتهم مع القوى السياسية داخل منطقة عسير وخارجها . ومن أهم تلك الشخصيات بعض شيوخ القبائل والأمراء ، في إقليم عسير مثل : أسرة آل عائض في أبها ، وآل مشيط في بلاد شهران ، وابن دليم في بلاد قحطان ، وغيرهم كثير (٧٥) .

أما الفصل السادس عشر والسابع عشر فقد خصهما للحدث عن الطرق والمراسلات ، وذكر كورتواليس في مقدمة الفصل السادس عشر وعنوانه : الطرق والمراسلات (Roads and Communication) أنه : " لا يوجد طرق معبدة في عسير ، وهذه الطرق تسلك دائماً الحمة الأقل مقاومة والأسهل عبر البلاد الجبلية ، وكثيراً ما تكون قريبة من مصادر المياه ، وعدا

ومن يطالع الجزية التي ناقشها فيليبس عن إقليم عسير ، وخاصة المنطقة المتسدة من بيشة إلى وادي شهران ومدنية أبها (حاضرة عسير) ، يجد تعرض لمواضع عديدة منها :

١ - جغرافية منطقة عسير وأخلاق تضاريسها وثوراتها الطبيعية ، فيذكر فيليبس أسماء جهال وأودية وهضاب عديدة في كل من بيشة ، وخبيس مشيط ، وأبها ، وشبعر إلى الارتفاعات الشاهقة لبعض الجبال الظلة على مدينة أبها من جهة الغرب والشمال (١٨٠) . كذلك تطرق إلى الحديث عن مناخ إقليم عسير واعتداله في الصيف ، وكثرة الغنابات فيه وخاصة في المناطق المحيطة بأبها وخبيس مشيط (١٨١) ، وهو يحرص دائماً على ذكر أسماء الطيور والحشرات المتواجدة في منطقة عسير ، فذكر أعداداً كبيرة منها مثل: الخفافيش ، والنسور ، وأخجل ، وأخمام ، والهدمد ، واليايل ، وطير الباز وفيرها (١٨٢) . ولم يكن فيليبس يكتفي بذكر أسماء هذه الطيور وبعض الحشرات وإنما كان مولعاً بصيدها وتربيتها في مقر سكنه يوم أن كان يقوم بهذه الرحلة ، حتى إنه ذكر أن الناس في أبها وماحولها قد لفت نظرهم هذا التصرف من قبله فيقول : " وعن اهتمامي بعلم الطيور والحشرات ومرتاضتي للجمع وغيرها فكانت محور حديث الناس في المنطقة ... (١٨١) " .

٢ - الاهتمام بالمواعج الأثرية بالواقع الأثرية فلاحظ اهتمامه بها من إشارته إلى كثرة النقوش والرسم على الصخور والجبال المتسدة من بيشة حتى أبها ، بل أحياناً يذكر بعض المواعج الأثرية في تلك المناطق ويعزم أنها تدل على وجود حضارات قديمة في هذه البلاد (١٨٦) .

٣ - الحديث عن أعلام المنطقة فيذكر فيليبس أثناء رحلته العديد من الشخصيات والشايخ والأعيان ، وخاصة في بيشة وخبيس مشيط وأبها ، فبيده يذكر في بيشة بعض موظفي الدولة الذين كانوا هناك مثل الأمير " عبد الله بن معمر " ، والقاضي " عبد الله بن الشيخ " ، وسليمان بن إبراهيم الروافى الذي كان يتولى الشؤون المالية وعباية الزكوات (١٩٠) . كما ذكر بعض شايخ قبائل شهران مثل " سعيد بن مشيط " و " عبد الروهاب أبى ملحة الذي كان يتولى الشؤون المالية في جميع منطقة عسير ، وكان يتنقل في مواطن استقراره ما بين أبها وخبيس مشيط (١٩١) . أيضاً أشار إلى اسم تركمي السديري الذي كان أميراً لمنطقة عسير ومقيماً في أبها ، بل ذكر أخاه خالد السديري ، وبعض شايخ عسير الذين كانوا يأتمنون إلى أبها كقابلة أمير المنطقة (١٩٢) .

العلمى له ، وتكفلها بنقشات نشر كتابه هذا . كما نلاحظ أنه لور في ذات المقدمة إلى أهمية كتابه وكونه من أفضل الكتب الأجنبية التي صفت عن النصف الجنوبي الغربي من البلاد السعودية . ونحن نوافقه القول لما احتوى عليه هذا المصنف من معلومات متفرعة دقيقة ينشر وجودها في مرجع آخر تناول هذا الجزء من الجزيرة العربية خلال الفترة الزمنية نفسها وهي العقد الرابع من القرن الميلادي الحالي (٧٨) .

أما المقدمة الثانية والتاريخية لعام ١٩٥٦م ، فليست سوى نكلمة المقدمة السابقة ، وقد أشار فيها إلى مرور سبع سنوات على كتابة مقدمة الكتاب الأولى ، وخلال تلك السنوات بدأت أوضاع البلاد السعودية في التحسن والنمو ، وأنه يتنبأ بمستقبل مشرق لهذه البلاد ، كما ينوه بتطور العلاقات السياسية والحضارية بين الحكومتين السعودية والأمريكية ، ويوضح تركيز الأمريكيين في دراساتهم وبحوثهم الأكاديمية على شبه الجزيرة العربية (٧٩) .

وهذا الكتاب الضخم ، موضوع الدراسة ، عبارة عن رحلة قام بها عبد الله فيليبس من بلدة الليل في أسفل وادي الدواسر ، وذلك بعد الانتعاش ، من رحلته في الربع الخالي ، والتي فصلها في كتابه : الربع الخالي (The Empty Quarter) الذي صدر في لندن عام (١٩٣٣م) .

وقد انطلق فيليبس في هذه الرحلة من بلدة الليل كان في ١٤/٣/١٩٣١م ، وأشار إلى ذلك في بداية الفصل الأول من كتابه الذي قسمه إلى ستة أبواب تحتوي على ثلاثة وثلاثين فصلاً (٨٠) . ففي الباب الأول الذي وضعه تحت عنوان " استهلال (Prelimie) ، ناقش فيه ثلاثة فصول هي : ما بعد الربع الخالي ، وادي بيشة ، وطريق الفيل (٨١) . أما الباب الثاني ، فسماه : الرادي الثلاثي (The Triple Valley) ، وتحدث فيه على امتداد سبعة فصول عن : مخيم الملك ، أخزرة ، ونيد ، بيشة ، خميس مشيط ، مرتفعات عسير ، وادي تليلث (٨٢) . وهذا الباب خاصة سوف يكون موضوع دراستنا لأنه شمل جزءاً كبيراً من إقليم عسير في عصر فيليبس . أما الأبواب الأربعة الأخرى فهي خارج نطاق إقليم عسير ، حيث كان اليبان الثالث والرابع عن بلاد يام وخران (٨٣) ، أما اليبان الأخيران الخامس والسادس فقد ركزها فيليبس على المرتفعات والمنخفضات الدهامية ، وخاصة منطقة جازان وماحولها ، وكذلك السهول الساحلية الظلة على البحر الأحمر ، ثم منطقة القنفذة (٨٤) .

هذه الرجال مثل : ليس العبادات ، والمصائم ، والعتال ، والاحتزام ببعض الأطعمة كالخناجر والسيوف وما شابهها (١٠٣٦). ويشير إلى ألبسة النساء فلذكر أنه شاهد النساء في أسواق بيشة وهم يعملون في البيع والشراء ، ثم قال : " وكان أغلبهن يرتدي الثوب الأسود القميص ، والبعض الآخر يرتدي الثوب الأحمر ، وقليل منهن كان يرتدي الثوب الأصفر الأكثر جاذبية ، والأقل فضفضة من الثياب السابقة ، وقد ليس جميعاً الخمار الأسود الذي يغطي الرأس والوجه حتى الصدر ... (١٠٤١) .

ويؤيد عن نزائر الخيوط وبعض الأطعمة في أسواق المنطقة ، كما يذكر أنه شاهد العديد من أنواع التواكه المحلية مثل : التفاح ، والخرخ ، والتين ، والرومان ، والعب ، وغيرها . ويذكر أن الفخر كان سائداً بين أغلب السكان في منطقة عسير ، وأغلب أطمعتهم من محاصيلهم الزراعية وكذلك من منتجات حيواناتهم (١٠٤٥) . وذكر بعض الأطعمة التي أكل منها أثناء زيارته لمنطقة عسير ، لكنه تناولها في بيوت الأعيان والوجهاء في المنطقة فمن الأطعمة التي شاهدها على مائدة الشيخ " عبد الوهاب أبي ملحة " في خميس مشيط " خير القمح المستطيل الرفيق ، ولحم الضأن ، والبهادى ، وأطباق من المأكولات اللذيذة الأخرى ، وأطباق كبيرة من الأرز في كل منها ملقحة ، وأطباق كبيرة من اللبن ، من ذيل مؤخرة الغنم ، وزيادى الدجاج والصلصة ، وزيادى من الخضروات ، وأطباق من الحلويات المصنوعة مثل : المهلبية والكعك الملطى بالقليل بالسمسم ... (١٠٦٦) . ويذكر بعض أنواع الأطعمة التي أكلها على إحدى موارد أمير منطقة عسير ، تركي السديري وأخيه خالد فقال : " ... كانت من الأرز الجيد ، ولحم الضأن الشهى ، بالإضافة إلى المثلبات (الإدام) الذي وضع في زيادى وأطباق عديدة ، وكان منها على أفراد ، والخبز الملطى المصنوع من القمح على شكل مستطيلات ويسمك ربح برصه ... (١٠٦٦) .

وأشار فليبي إلى عادات وتقاليد أخرى شاهدها في منطقة عسير ، مثل زواج الشباب والشابات في سن مبكرة ، حتى إنه رأى بعض الشباب في خميس مشيط يتزوجون وأعمارهم تتراوح ما بين (١٢ - ١٣) سنة (١٠٨١) . كما أن قيسة المهور تختلف من البكر إلى الشيب ، فالمرأة التي سبق لها الزواج من قبل يتراوح مهرها بين (١٠ - ٢٠) ريال ، في حين أن الأبقار تكون مهروها أعلى (١٠٩٦) .

٤ - الاهتمام ببعض جوانب الحياة الاجتماعية فنعلمه يتحدث عن المساكن وطريقة بناء البيوت وطرق العيش فيها ، فيذكر أنه رأى في بلاد شهران ومدينة أبها وما حولها منازل تتكون من طابق وطابقين (١٠٦٦) . بل شاهد بعض الأعيان والشايخ والوجهاء يقتنون فصوراً تتكون من عدة أدوار (١٠٤١) . ولاحظ فليبي طريقة بناء بعض هذه القصور فلذكر أن الأبحار تستخدم في بناء أجزائها السفلية ، بينما يستخدم الطين في الأجزاء العلوية (١٠٥٥) . وهناك بعض تلك القصور والبيوت محاطة بسيج من الأسوار لحماية من اللصوص والحيوانات المفترسة . وكذلك الأعداء في أوقات الحروب (١٠٦٦) . وفي أثناء حديثه عن البيوت كان يشير أحياناً إلى تقسيمات لسكنى أفراد الأسرة ، وأجزاء لاستقبال الضيوف ، وغالباً ما تكون في الطابق العلوى ، وأجزاء أخرى لحزن الحبوب ومبيت الحيوانات الأليفة التي كان يقتنها أهل المنطقة مثل : الأبقار ، والحمر والأغنام (١٠٦٦) . ومحلها الطابق السفلي . كما أشار إلى وجود بعض البيوت في بيشة مبنية بالقش وسقف النخل . كذلك ذكر بيوت الشعر التي كانت معروفة لدى البدو الرحل في الأجزاء الشرقية من منطقة عسير . وخاصة البلاد الواقعة بين بيشة وخميس مشيط (١٠٩٨) .

ويشير المؤلف إلى مدن أبها وخميس مشيط وبيشة فيذكر كثرة القرى الصغيرة الواقعة حول هذه المراكز الحضارية (١٠٩٨) . وتقارب البيوت في القرية الواحدة ، وضيق الأزقة الفاصلة بينها ، كما أن جميع مراد البناء المستخدمة في إقامة المنازل بمنطقة عسير كانت محلية ، مثل الحجارة والطين وكذلك الأخشاب المستخدمة في السقوف والتوافد والأبواب (١١٠٠) . وبلغت نظر فليبي ازدهام المنازل العسيرية من الداخل بمظاهرة الأثاث الزخرفية رغم بساطة مظهرها الخارجي ، وذلك عندما دخل العديد من منازل الأمراء والشايخ والوجهاء ، من رجال المنطقة ، بل أقام ساكنها بعض الوقت في بعض الدور بيشة وخميس مشيط وأبها ، فقال عن بيوت شاهدها في منطقة بيشة : " وكانت المنازل مزخرفة بأشكال منسوبة أخاذ ، وبالوان المعاد العديدة على كل الجدران وهذا النوع من الزخرفة خاص بهذه المنطقة ، والمنطقة المحيطة بأبها ... (١١٠١) .

ويواصل فليبي حديثه عن الحياة الاجتماعية في عسير فيشير إلى الألبسة والزينة عند سكان إقليم عسير ، فيذكر أنه شاهد في أسواق المنطقة العديد من الأقمشة والألبسة ، وكذلك بعض أدوات الزينة الخاصة بالنساء والرجال مثل : الكعبل ، وبعض الأشجار النهائية التي كان يجمعها الرجال والنساء ، على رؤوسهن من باب التزين بها (١١٠٦) . أيضاً بعض أدوات الزينة

فيه ، كانوا كلهم مشغولين بعمليات البيع والشراء ... وكانت كل سلعة تعرض في مكان منفصل عن المكان الذي تعرض فيه السلع الأخرى فيما يسمى (بالناخ) . وهي مساحة معينة تنصب عليها الخيام لزوارنة النشاطات التجارية ... وكانت معظم السلع تعرض مكشوفة ، لكنني لاحظت أن هناك بعض السلع مثل الأقمشة والسلع التي تجاع بالقطعة ، وسلع الهدايا ، كانت تعرض في الأكواخ التي تعلوها المظلات . وقد تمت تسجيل بعض الأسعار الخارجة هناك ، كأمير من الأمور التي عيّنت بها . وكانت رخيصة في معظمها . فقد كان ثمن أربع تنكات من البليح ١ عادة مستحورود من خيبر (١١٦) وبشة ١ أو ما يعادل أربع سلات نصب (Hubs) بنفس حجم التنكات (٢,٥ أو ٣ ريال) ، وكل ٦ أو ٧ صاع من القمح بريال ، والدخن (٨) بريال ، ... والقهوة صاع واحد بريالين ، والقشر (٣) صاع بريال ، والسحج ١ نبات بري يوزل يشبه السوسم ، أربعة جالونات سبعة ريالات ، وكانت النشاء الواحدة بثلاثة ريالات ، والقوير أو البقرة بعشرين ريالاً ، والبصر بأربعين ريالاً ... (١٢٠) . وشيخ فليبي أيضاً إلى بعض أسعار السلع التي شاهدتها في أسواق بيشة ، فيذكر أن كيس الأرز الذي كان يزن (٢٢) صاعاً بـ (٢١) ريالاً ، وكيس السكر الذي يزن (٩١) وطلا يتسعة ريالات ، وعلبة من السن (الزبدة المصفاة) بـ ٢٥ ريالاً وتزن (٣٧,٥) وطلا وجالون البارفين بثلاثة ريالات و (٨٨,٥) ياردة من القماش الأبيض بـ (١٨) ريالاً ، والجمل الواحد من (٢٠ - ٢٠) ريالاً ، والشاة الواحدة من (٢ - ٣) ريالاً (١٢١) . وأشار فليبي أيضاً إلى بعض الأوزان التي شاهدتها في الأسواق العسبرية فذكر أن الصاع والأقّة كانت الأوزان السائدة في البلاد ، ونوه إلى أن الأقّة تعادل في وزنها (٤٥) ريالاً أو (٤٠) درهماً ، ثم إن كل (٣١٢) درهماً تساوي واحد كيلو غرام ، أما الصاع فيسماوي ثلاث أقات أو أربعة كيلو جرامات (١٢٢) . ويلاحظ أن القايضة كانت من أهم أساليب التعامل في الأسواق العسبرية ، إلا أن ريال (ماريا تيرزا) الذي عرف محلياً باسم الريال الفرنسية كان متداولاً بكثرة بين العسبريين . وقد انتشر تداول هذا الريال في فئتين ، الزلطة الواحدة ، ونصف الزلطة (١٢٣) .

ولم يغفل فليبي عن ذكر ما شاهدته في منطقة عسير من مدرجات زراعة وما كان يزرع فيها من الحبوب والشمار والقمراكه ، كما أشار إلى توافر أنواع متعددة من المحاصيل الزراعية على طول الطريق التي سلكه من بيشة إلى أبها (١٢٤) . كذلك ذكر توافر الآبار التي يتم

ويذكر أنه شاهد بعض الاختلافات الخاصة بخدم القرآن ، حيث كان يحضر الشباب الخاتمون لكتاب الله وعليهم ملابس جميلة ، ويكون من حولهم أقاربهم وأهلهم . وكان بعض الأعيان والوجهاء في المدينة أو القرية يحضرون بمناسبة الاحتفال بالختام ، وذلك تعظيماً للقرآن واحتراماً لأولئك الخاتم وأهلهم (١١٠) .

وفي أثناء حديثه عن سكان المجتمع العسبري لجده يشير إلى أن أغلبهم من سكان القبائل والعشائر الساكنة في المنطقة ، أما في المراكز الحضارية الكبيرة مثل أبها ، وخبيس مشيط ، وبيشة فكانت توجد عناصر بشرية أخرى وفدت من خارج المنطقة للعمل في المؤسسات الحكومية الموجودة آنذاك (١١٦) . وغالبية أولئك الرافدين كانوا من بلاد الشام ومصر والهند ، وعناصر من بعض الدول الأفريقية للعمل في الزراعة والخدمة في بيوتات الأعيان والأمراء وشيوخ القبائل (١١٢) . وذكر أن عدده السكان في أبها والأحباب ، المحيطة بها ، يوم أن جاء إليها ، كان يتراوح بين (٨٠٠٠ - ١٠٠٠٠) نسمة (١٢١) وأشار إلى حضوره صلاة الجمعة في مسجد أبها الجامع فكان عدده المصلين حوالي (٥٠٠) مصل (١٢٤) .

٥ - العناية بدراسة بعض مظاهر الحياة الاقتصادية ، حيث يشير من خلال مشاهداته العينية إلى الطرق الواسلة بين رنية وبيشة إلى خميس مشيط ثم إلى أبها ، ويذكر صموية تضاريسها ، واستخدام أغلبية سكان هذه المناطق ، للجمال والحيس في نقلاتهم ونقل بضائعهم واحتياجاتهم (١٢٥) . كما يشير إلى وجود أعداد قليلة من السيارات الحكومية ، بعضها تجارية تقوم بعملية نقل البضائع لمسافات أكبر وذلك من إقليم عسير إلى نجد والحدواز (١٢٦) . كذلك يتحدث عن الأسواق الأسبوعية وانتشارها في جميع أنحاء عسير فذكر أسواق بيشة في كل من فريخي الروشن وخران (١٢٧) . وذكر أسواقاً أخرى أسبوعية في الطرق المؤدية من بيشة إلى خميس مشيط ومدينة أبها ، ويقض في التلصبات عن تلك الأسواق من حيث قدم الناس إليها من كل مكان ، وتوفر السلع المختلفة بها ، من مواد غذائية ، وألبسة وزينة وبضائع أخرى مختلفة (١٢٨) . وقد سجل لنا مشاهداته لسوق خميس مشيط الأسبوعي ، وما يبدو فيه من حركة ونشاط تجاري ، وتقسيم السوق إلى مناطق تعرف كل منطقة منها بالناخ ، وهي مخصصة لبيع وشراء سلعة واحدة ، كما قدم لنا من خلال هذا الوصف تسجيلاً لبعض أسعار هذه السلع المختلفة التي يضمها السوق في زمنه فيقول : " لقد كانت نشاطات السوق يوجه عام خاملة نسبياً ، رغم وجود حوالي (٥٠٠) من الناس

- ٧ - بعض جوانب الحياة العلمية والفكرية .
 ٨ - النواحي الاقتصادية .
 ونسباً الآن بعض دراسة تفصيلية لهذه النقاط :

أ - خيرات وثقافات الرحالة الثلاثة :

إذا تناولنا العصر الذهبي لكل واحد من الرحالة الثلاثة ، نستلاحظ أنه يجمع ثلاثهم الجنسية الأدبية ، فتمتيزه فرسي الجنسية ، وهو من أولئك القرنين الذين ولدوا من فرنسا للإقامة والاستقرار في مصر ، ولا يملك أي دليل قاطع على مكان مولده . وهل كان ذلك في مصر أم في فرنسا . لكن القول الذي لا شك فيه أنه من أرومة فرنسية . ومن عمل في مهنة الطب التي قدم من أجلها مع جيوش محمد علي باشا التي جاءت من مصر لإخضاع منطقة عسیر . ولم يكن هذا الرحالة بقره ، مع تلك المسلة وإنما كان معه عدد من الفرنسيين الآخرين الذين جاؤوا مع الحملة من أجل المهمة نفسها التي جاء لها تاسيتيه (١٦٦٦) . وهذا الرحالة دون كتابه الذي اعتمدنا عليه في هذه الدراسة من باب حب الاستطلاع ، وليس لأي هدف سياسي أو اقتصادي أو خلافي . لكنه سجل لنا معلومات من الصعب أن نجد في أي مصدر عربي أو أجنبي خلال الـ ١٠٠ سنة التي قدم فيها في منتصف القرن الثالث عشر الهجري (الشمس عشر الميلادي) (١٦٦٨) . أما كورتوليس ونيكوبي فيختلفان عن تاسيتيه حيث كانا يقولانه في السن ، وكذلك في التجارب والخبرات المتنوعة ، ثم إن قدمهما إلى بلاد عسیر كان تحت أهداف سياسية واقتصادية متعددة الأوجه (١٦٦٦) . فكورتوليس أرسل إلى بلاد عسیر قبل الحرب العالمية الأولى . من قبل الاستخبارات الإنجليزية كي يكتب تقريراً متكاملاً عن المنطقة . ولم يكن يهدف إلى تأليف الكتاب ، ولكن تميز كتابه بجدة المعلومات الواردة فيه جعلت المكتب العسيري في القاهرة يسمي إلى طبعه ونشره في كتاب متداول بين الناس (١٦٦٠) . كذلك فيليبس أرسل إلى جنوب شبه الجزيرة العربية بتكليف من الملك عبد العزيز آل سعود من أجل تدوين أكبر قدر ممكن من أحوال هذه المنطقة . وكانت بلاد عسیر من الأجزاء المحظوظة التي نالت نصيباً جيداً مما دونته هذا الرحالة عنها .

وإذا حاولنا معرفة التسلسل الثقافي والفكري لكل واحد من هؤلاء الرحالة ، فإنهم جميعاً كانوا على مستوى جيد من الوعي الثقافي والفكري ، بل إنهم جميعاً كانوا يعرفون اللغة العسيرية (١٦٦١) . وهذا ما وجدناه وأضحاً وصريحاً بالنسبة لتاسيتيه ، وفيليبس ، أما

حظوها في باطن الأرض عشرات الأمتار . والتي كانت تستعمل في رعي المزارع وكذلك في جلب مياه الشرب (١٦٦٥) . وذكر أسام العديد من الفنون الصناعية (الصناعات اليدوية) الموجودة في الأسواق العسيرية . مثل صناعة الحصر والحبال من صنف القطن في بيشة . والصناعات الخشبية من والحديدية . والجلدية . والحجرية والفخارية وغيرها . وجميع المواد الأولية المستخدمة في إنتاج هذه الصناعات كانت متوفرة في البيئة العسيرية (١٦٦٦) .

ثانياً : الدراسة المقارنة :

يجمد بنا قبل البدء في الدراسة التحليلية المقارنة للمادة العلمية الواردة في المصنفات الثلاثة موضوع هذه الدراسة ، أن تلقى أولاً لمحة موجزة عن المؤلفين من حيث العمر والجنسية والسوي الثقافي والفكري لكل منهم . وتوضيح الأهداف التي سعى من أجلها كل واحد من الثلاثة للدخول إلى إقليم عسیر . وما لا شك فيه أننا سوف نجد العديد من أوجه الشبه والاختلاف عند هؤلاء الرحالة الثلاثة سواء في مسيرة حياتهم الشخصية والعلمية ، أو في آرائهم ومعارفهم واستهم . وما دونوه عن المنطقة . كما نجد أيضاً اختلافات واضحة بينهم في بعض الجوانب التي طرحوها أثناء كتابتهم عن الإقليم . وبناء على ذلك رأينا تقسيم الدراسة المقارنة إلى النقاط الآتية :

- أ - خيرات وثقافات الرحالة الثلاثة :
- ب - المصادر التي اعتمدها عليها في تسجيل مدوناتهم .
- ج - المنهج المستخدم في تصنيف الكتب الثلاثة .
- د - دراسة تحليلية نقدية مقارنة حول أهم روايات الرحالة الثلاثة وستتاول فيها :
 - ١ - الأحوال الجغرافية لمنطقة عسیر .
 - ٢ - التركيبة السكانية لسكان المنطقة .
 - ٣ - التركيبة الاجتماعية لسكان المنطقة .
 - ٤ - وصف القرى والمنازل .
 - ٥ - اللباس والزينة والأطعمة والأشربة .
 - ٦ - بعض العادات والتقاليد .

له . أضيف إلى ذلك تقصص شخصياً بخبرات عملية جيدة إلى جانب ارتفاع مستواه الفكري والواقعي . الأمر الذي مكّنه من تدوين المعلومات المنتزعة ، وإخراج كتابه القيم المشون باسم الجزيرة العربية . وهو كتاب يجتاز برصانة أسلوبه ، ووقفة معلوماته ليس عن منطقة عسير فقط ، وإنما عن معظم جنتى شبه الجزيرة العربية (١١٣٥) .

ج - النهج المتخلف في تصنيف الكتب الثلاثة :

وهذه الكتب الثلاثة تختلف في طرق التدوين والصياغة . فكتاب تامله اعتمد في أغلبه على أسلوب الخوازم والفا - الأسئلة على بعض الرواة وتضمن ما يسع . مع أن معظم الكتاب يتحدث عن الحسلة التي جاء معها وطريقة سيرها وتعاملها مع العشائر والسكان المارين عليهم من الطائف حتى أنها . أما كتاب كورنواليس فأسلوبه تقريبي معدد المعلومات مختصر في التفاصيل تحقيقاً للهدف الذي جاء من أجله . أما طريقة فيليبي في تدوين معلوماته فكانت مكثرة بأسلوب فيليبي الذي يتنازل بالجزرة والرصانة . مع العلم أنه كان يسأل أحياناً عن بعض النواحي التي يريد معرفة معلومات عنها . إلا أنه غالباً كان يعتمد على الملاحظة ووقفة التفاصيل في جزئيات معينة . وهذا مما جعله أحياناً يفقد الربط بين الأفكار فتراه قد يكتب عن عشرة معينة . لكنه أثناء حديثه قد يخوض في تفاصيل دقيقة كان يتحدث عن الطيور والنجوم والآثار وغيرها من الأشياء . التي شاهدها أثناء إقامته أو حديثه عن العسيرة أو للقبيلة التي يكتب عنها .

د - دراسة تحليلية نقدية مقارنة حول أهم بدايات الرحالة الثلاثة :

وإذا حاولنا معرفة أوجه الشبه والاختلاف بين محضيات الكتب الثلاثة فيمكننا حصوها في العديد من النقاط الرئيسة أولها :

١ - الأحوال الجغرافية لمنطقة عسير :

تعرض الرحالة الثلاثة موضوع الدراسة للحدث في مصنفاتهم لذكر الأحوال الجغرافية في المنطقة المعنية بالدراسة . فأشاروا جميعاً إلى تنوع تضاريس البلاد . وتوزعها إلى المناخ ، وأنواع الرياح التي تهب على منطقة عسير ، والنباتات والأشجار المتوافرة في المنطقة ، كما ذكروا بعض أنواع الحيوانات الأليفة والمفترسة والحشرات والطيور (١١٣٦) .

كورنواليس فلم نجد في كتابه ما يشير إلى أنه كان ملماً باللغة العربية . ولكن المعلومات التي جمعها والتفصيلات التي أوردها تتم عن قدرته على التحدث باللغة العربية التي جمع من خلالها معلومات كتابه (١١٣٦) . وفيما يبدو أن تامله وكورنواليس كانوا يديرون بالهبات المسيحية ، وكذلك فيليبي في المقرد الأولى من حياته . ولكنه بعد أن صار من رجال الملك عبد العزيز وأحد مستشاريه اعتنق الإسلام وغير اسمه إلى عبد الله (١١٣٦) .

ب - المصادر التي اعتمدها عليها في تسجيل مدوناتهم :

أما الطريقة الأساسية التي اعتمدها عليها في جمع المادة العلمية لكتبهم . فتقوم على الرواية الشفوية . وأسلوب الحوار وأجزاء القابلات مع أهالي وسكان المنطقة . وأن اختلفوا في طريقة الجمع . فتامله جاء مع الحملة العسكرية المصرية العثمانية الفائزة لبلاد عسير . وبالتالي كان خروجه مستجلباً إلى الأماكن العامة . وجمعيات الأهالي كالأسواق . والمناسبات الاجتماعية المختلفة وغيرها . وذلك لحوفه على نفسه من التعرض للقتل من قبل الأهالي . خصوصاً إذا تبينوا هويته الأجنبية . ومجئته مع القوات الغازية . ناهيك عن أنه كان يدين بالمسيحية . وقد جعلنا ذلك نستعمل احتمالية احتكاكه المباشر بعناصر المجتمع المدني المختلفة في عسير . ولما تركزت طريقة جمعه لمعلوماته على المشاهدات العينية والاطياعات الشخصية أننا . تحرك الجيوش التي رافقها من بيشة إلى أنها . علاوة على التفاته أحياناً ببعض مشايخ القبائل والأعيان الذين كانوا يأتون من ديارهم لمقابلة قادة الجيش المصري . لتقديم الولاء والطاعة لهم . حيث اعتاد بعضهم الإقامة عدة أيام مع الجيش . ولعل ذلك من العوامل التي ساعدت تامله على جمع معلوماته . بدليل ذكره لبعض هؤلاء الأعيان والمشايخ واستعانتهم بهم . من أمثال دوسرى أبي ققطة العسيري . الذي قدم مع الجيش من مصر بهدف توليته منصب الإمارة في عسير بعد الاستيلاء عليها من قبل الجيش العثماني . كما أشار إلى بعض المشايخ في بيشة وخص مشيط . مثل : الشيخ مشيط . شيخ مشايخ شهران . وكذلك الشيخ علي الصميري شيخ بني طول في بيشة . حيث كانا من الروافد الرئيسة التي ساعدت تامله في جميع معلوماته (١١٣٦) . فاما فيليبي فقد خدمه لخط حيث كان مدعوماً من قبل حاكم المملكة العربية السعودية . الملك عبد العزيز . فيالتالي لم يكن يجد صعوبة في جمع المادة العلمية . حيث كان محتفى به أينما نزل . ويند رجال الدولة في بيشة وأبها . وكذلك مشايخ وأعيان القبائل جهدهم في تقديم العون وكافة المساعدات المطلوبة

على ذلك أننا نجد تاميزيه بدون في كتابه المعنى بالدراسة أن القبائل التي كانوا يهرون عليها شرقى بلاد غامد وزهران ، وكذلك بلاد بيشة وشهران كانت سرورية الانقياد والدخول تحت لواء الجيش العثماني الذي جاء ، تاميزيه معه ، وربما يعود ذلك إلى رغبة البعض منهم في التخلص من إمارة عاتق بن سرعي ، وربما خوف البعض الآخر من هذه الجيوش الغازية ، وفي حالة الدخول تحت لوائها فإن الحسارة والسمار في ديار تلك القبائل سرب يكون أقل (١٤٤٦) . أما كورتوليس فيعتبر على سابقه في هذه الناحية يحكم عمله في الاستخبارات البريطانية ، وكان من أهم النقاط المكثف باستيغافاتها من ليل روزائه والتي جعلته يقدم إلى المنطقة قبل الحرب العالمية الأولى (١٣٣٣ - ١٣٣٧هـ / ١٩١٤ - ١٩١٨م) التصوير الدقيق للقرى السياسية في إقليم عسير ، وهذا بالفعل ما حصل ، حيث ذكر أن المنطقة كانت مقسمة إلى أربعة أقسام هي:

- ١ - النواحي المستقلة متمثلة في القبائل والمشارب البدوية المتمدة على التتار والترحال ، وهذه القبائل كانت الأعراف والمادات القبلية هي الضابط الذي يضبط طريقة التعامل بين أفرادها (١٤٤٣) .
- ٢ - الأجزاء الشمالية من منطقة عسير مثل بلاد غامد وزهران وما حولها فكانت تدعى بالولاية لشريف مكة .
- ٣ - أما الأجزاء فكان لهم نفوذ على مدينة أبها وما حولها ، وربما امتد نفوذهم إلى بعض المراكز المحصنة شمالاً أبها مثل : النماص في بلاد بني شهر ، ومحائل والقنفذة في المنطقة الشمالية (١٤٤٤) .
- ٤ - أما الأجزاء الشمالية المتباعدة من محائل شمالاً إلى حبيبا جنوباً بما فيها السفوح الغربية لبيال السروات للطلقة على أبها فكانت تحت سيطرة الإدرسي (١٤٥٥) . بينما جاء نيلسي إلى إقليم عسير في ظروف كانت أفضل من الظروف التي جاء فيها سابقه حيث كانت جميع منطقة عسير تحت لواء الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ، وكانت الأوضاع السياسية مستقرة بشكل كبير ، وأكثر ما يفسد الحياة السياسية آنذاك هو الطابع القبلي الذي يتصف به سكان البلاد ، فقد تربط المشاكلي بين أفراد القبائل المتجاورة على أماكن الرعي أو الحدود القبلية أو موارد المياه وغيرها (١٤٤٦) .

وعلى الرغم من إشارتهم جميعاً إلى هذه الجوانب ، إلا أنهم لم يكتفوا على مستوى واحد فيما دونه كل منهم من معلومات حيال هذه العناصر ، فتاميزيه أقلهم ذكراً لهذه النواحي فلم تات في مديوناته إلا عرضاً وأثناء حديثه عن سكان المنطقة ، وتحركات الجيوش من محطة لأخرى في طريقها إلى مدينة أبها ، أما كورتوليس ونيلسي فكانا أكثر اهتماماً بتدوين هذه الجوانب ، فكورتوليس كان من أساسيات مهمته التي قدم من أجلها إلى إقليم عسير أن يدون تفريفاً واقعياً يشمل كل شيء ، والعناصر السالفة الذكر تعتبر في نظره وفي نظر قاده الذين أرسلوه في غاية الأهمية ، لهذا نجد يمدون معلومات جيدة عنها ، تحت عناوين متفصلة ، مثل: التضاريس ، الخصائص الطبيعية والمناخية وغيرها (١٣٧) . أما فيليبس فقد انصف بحبرة واسعة في علم الرحلات ، وإلى جانب ذلك ملاحظته وتعبده على التجوال ، فلم تكن رحلته في الكتاب الذي نحن بصدده دراسته متحصرة على عسير ، وإنما شملت عسيراً وبلاد يام ، وجزيران وجزان والقنفذة وغيرها ، وهذه الرحلة الطويلة جعلته أحياناً يقارن بين تلك المناطق من حيث المناخ والتضاريس والحياتين النباتية والحيوانية ، وهذه الطريقة في التدوين اكتسبت كتابه وصانة وجودة ، مع العلم أن حديثه عن الأحوال المناخية والتضاريسية في منطقة عسير لم يكن مصحوحاً في مكان واحد مثل كورتوليس ، ولكنه كان مزيجاً في أماكن عديدة على صفحات الكتاب .

كذلك أشار إلى تنوع الحياتين الحيوانية والنباتية في المنطقة ، وذلك أثناء عبوره الطريق التي سلكتها تاميزيه من قبله ما بين بيشة وأبها حاضرة عسير (١٣٨) .

٢ - التركيبة السكانية لمكان المنطقة :

دون رحلتنا الثلاثة معلومات نفيسة أثناء قدوم كل واحد منهم ، والتي - المميز في ذلك أنهم جاؤوا إلى إقليم عسير في فترات زمنية متباعدة ومتباعدة بعض الشيء ، فتاميزيه جاء إليها في منتصف القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) ، يوم أن كان عاتق بن سرعي العسيري أميراً على المنطقة الممتدة من شمال جزران وجزان إلى بلاد غامد وزهران (١٣٩) . ويوم أن كانت الحجاز تحت ولاية الأشراف الذين يخضعون للدرلة العثمانية في الأستانة ونفوذ محمد علي باشا في مصر (١٤٠٦) ، كذلك اليمن كان وضعها مثل الحجاز تخضع للقرى العثمانية (١٤١٦) . ويوم أن عاتق بن سرعي كان أميراً لعسير فإن القبائل داخل منطقة عسير لم تكن جميعها على وتيرة واحدة في ولايتها للأمير عاتق ، وأكبر دليل

ويجمع أغلبهم معها فإن بعضهم قد بقي في إقليم عسير حتى ماتوا ربيعا خلفرا ذرية لازال بعض أحفادهم يتسبون إليها حتى الآن . وقد أشار الرحالة الثلاثة إلى وجود العميد والجواري الذين جلبوا إلى المنطقة من أفريقيا من أجل العمل في المنهن والخدمات الاقتصادية والاجتماعية المختلفة . وأشار فيليبس إلى وجود عناصر عربية أخرى في إقليم عسير أثناء تدمره إليها . مثل السوريين وكذلك المصريين الذين كانوا يعملون في بعض المؤسسات الحكومية في المنطقة مثل : المأبىة والصحة والتعليم (١٥٢٦) .

وفي أثناء حديث هؤلاء الرحالة عن سكان المنطقة ، كانوا غالبا ما يشيرون إلى علية القوم لديهم مثل : الأمراء والشيخ والأعيان وغيرهم . والقائمة التي جنتها من هذه الدراسة هي التعرف على شخصيات لم تكن نعرف الكثير عنها في مصادر أخرى . وقد حفظنا لنا هؤلاء الرحالة . لتماميزه يذكر بعض التفصيلات عن بعض الأعيان الذين شاهدتهم في بيشة وخميس مشيط وأنها . وقد جلس مع بعض منهم سألهم عن النواحي الحضارية والعلمية التي يريد معرفتها وتوثيقها في كتابه (١٥٣) . كذلك كورتواليس وفيليبس أوردوا معلومات قيمة عن شخصيات عديدة ، فالأخير أورد أسماء أمراء ومشايخ وموظفين كانوا يعملون في أماكن عديدة ، مثل الإمارة والقضاء ، والمالية والتعليم وغيرها (١٥٤) . أما كورتواليس فقد أفاض في الحديث عن الشخصيات في منطقة عسير حتى إنه وضعهم تحت عنوان مستقل سماه : الشخصيات (Personalities) . حيث أورد أكثر من (١٣٠) شخصية في أنحاء منطقة عسير ذكر أسماءهم ومراكزهم الاجتماعية وأحيانا صفاتهم الملحقية والتلقائية (١٥٥) .

٤ - وصف القرى والنازل :

أشار كل من تاميزيه وفيليبس إلى طبيعة القرى في إقليم عسير . وإلى أنواع المنازل والمواقع المحيطة بها . وإلى نوعية مواد البناء ، وذلك أثناء مرورها في الطريق الواصلة بين بيشة وأنها (١٥٦) . أما كورتواليس فلم يركز على هذا الجانب بشكل واسع . وإنما أشار إليه أحيانا بشكل عرضي . ويخبر فيليبس تاميزيه في إعطاء تفصيلات أكثر دقة عن مساحات القرى والبلاد العسيرية . ونوعية المنازل . فيبين لنا الطريقة الصحيحة في البناء . والتي تعتمد على استخدام الطين والحجارة . وأوضح أن أغلب مباني المنطقة من الحجارة . وإن كانت أحيانا تبني الأجزاء السفلية من المنزل بالحجارة ، ثم يستكمل الجزء العلوي من الطين . ويصروح ارتفاع المنازل من دور إلى دورين . ماعدا الأعيان والأمراء والشيخ فأحيانا كانت منازلهم أوسع أقفا . ويصروح ارتفاع بعضها ما بين أربعة إلى ستة أدوار . وقد شاهد ذلك في كل من

٣ - التركيبة الاجتماعية لسكان المنطقة :

يتناول الرحالة الثلاثة بعض النواحي الاجتماعية في إقليم عسير . لكنهم كانوا يتفاوتون في ذكر بعض الجوانب . ويختلفون في ذكر بعضها الآخر .

فنجدهم يشيرون إلى التركيبة السكانية من الناحية الاجتماعية التي سادت المنطقة يوم قدوم كل واحد منهم فيجمعون على أن أغلبية السكان من العشائر والقبائل العربية التي قطنت هذه البلاد منذ زمن بعيد (١٥٧) . ويعرض كل واحد منهم لذكر القبائل التي شاهدوها واختلفت سكانها . فتكون تاميزيه وفيليبس قدما إلى عسير من طريق واحدة . من بيشة إلى أفيها . يلاحظ نقاط التشابه واضحة وواسعة في حديثهما عن القبائل التي مرأ عليها في المنطقة (١٥٨) . أما كورتواليس فقد ناقهما بكثير في هذه المعلومات . حيث ذكر أسماء قبائل كثيرة جدا تعيش في المرتفعات الجبلية وفي المنخفضات النهبانية من منطقة عسير . ولم يقتصر على ذلك وإنما كان في كثير من الأوقات يذكر مواقع تلك القبائل وعددهم وكان كل قبيلة أو عشيرة ذكراها (١٥٩) . وهذا التوسع في المعلومات عن منطقة يجعلها أوفقه في أخطأ . كثيرة من حيث ذكر المواقع الدقيقة لبعض القبائل . وكذلك من حيث ذكر عدد السكان . وهذه مهمة صعبة جدا لأنه اعتمد في جمعه المعلومات على الرواة المحليين الذين يختلفون في الرغبات والأهواء . فربما كان بعضهم يعطي معلومات عن موقع قبيلة وعدد سكانها متعمدا الوقوع في الخطأ من أجل تظليل هذا الرحالة . ومن أجل إعطاء صورة معاكسة للحقيقة التي يتطلع إليها هذا الباحث . وأحيانا قد يعطي بعض منهم معلومات عن جهل وعدم معرفته بالحقيقة . وهذا شيء لسفه أننا نتجوال في نواح عديدة من جنوب شبه الجزيرة العربية . وذلك على مدار عقدين من الزمان ، فكنت دائما ما أصادف عقبات عديدة . والتعطيل أو الجهل في إعطاء المعلومة على رأس تلك العقبات . أيضا فإن كورتواليس رجل غريب عن منطقة عسير . وربما كان عدم التمكن من اللغة العربية والمعروفة باللهجات واختلافها من العقبات التي اعترضت طريقه . مما جعله يقع في أخطأ . من هذا النوع . مع العلم أنه جاء بمدته من أبناء العربية من كتب عن منطقة عسير . وخاصة عن قبائلها وسكانها فوقع في أخطأ . قد تكون أكثر وأكبر من الأخطأ . التي وقع فيها كورتواليس (١٥٠) .

هذا . وقد ذكر الرحالة الثلاثة وجود عناصر أخرى في المنطقة غير العنصر القبلي . فتاريخه يذكر أنه قدم مع الحملة التي جاء إليها إلى عسير العديد من الأوربيين . وأغلبهم من الفرنسيين . وكذلك عدد من المصريين والعمارة والأثريين (١٥١) . وإن كانوا جاوا مع الحملة

عالمياً بعض الشيء ، في حين أن الشيب كان يتراوح مهنهما من (٢٠ - ٣٠) ريالاً (١١٦٣١) كما سبق أن ذكرنا . ويذكر أيضاً أن التعليم بدأ ينتشر في عسير ، والاهتمام بالقرآن وتلاوته كان من أهم الأمور التي يركز عليها السكان ، حتى أنه شاهد حفلاً في بيشة يحتفل فيه بختم القرآن ، وذكر حضور الشباب المحتفل بهم وعليهم ألبسة جميلة ، إلى جانب أنه يحضر حفل تلك المناسبة العديد من الأعيان والوجهاء ، وعليه القوم في المنطقة ، وذلك تكريماً لكتاب الله ثم احتفاً ، وفرحة بهؤلاء ، الضيعة الذين خسروا كتاب الله (١١٦٤) .

٧ - بعض جوانب الحياة العلمية والفكرية :

ومن النواحي التي أشار إليها كل من تاميزيه وفيليس اهتمامها بذكر بعض الجوانب العلمية والدكرية في المنطقة . فقد أشاروا إلى تعدد المواقع الأثرية والنقوش التي تقع على الطريق ما بين بيشة وأبها (١١٦٥) . وقد أشاروا من قبل إلى إهتمامات فيليس بلاحظة أنواع الطيور والحشرات الموجودة في المنطقة وإقدامه على جمع بعضها ، كما تميز أيضاً باهتمامه بحركة النجوم وتبعه للأجرام (١١٦٦) . ولم يغفل عن ذكر لحة عن الحياة الصحية في البلاد وأشار إلى وجود مستوصف بأبها يعمل فيه طبيب هندي يعالج الأمراض البسيطة مثل : الحس ، والجروح الصغرى وغيرها ، وذكر أن إمكانيات ذلك المستوصف كانت بسيطة جداً (١١٦٧) . كما أشار إلى بعض الأمراض التي كانت تصيب الناس هناك ومن أشهرها أمراض الحس التي أصيب بها هو نفسه أكثر من مرة أثناء إقامته في عسير (١١٦٨) .

٨ - النواحي الاقتصادية :

وقد تعرض رحالتنا الثلاثة للناحي الاقتصادية في الإقليم ، وخاصة التجارة فوصفوا جميعاً الأسواق الأسبوعية الموجودة في المنطقة ، وأهبتها في جميع الناس وتبادل الأضبار والسلع التجارية ، بل ذكروا ما كان لتلك الأسواق من أهمية عند أبناء القبائل ، وما كان لها من أنظمة وقوانين لحمايتها وتعامل الناس فيها براحة وأمان . لكن الرحالة الفرنسي تاميزيه كان أقل الثلاثة في الحديث عن هذا الجانب ، أما كيرتوليس وفيليس فقد فصلوا الحديث عن أسما . بعض الأسواق ، والسلع التي تزد إليها ، والطرق الموصلة لها ، والأسعار ، والأوزان ، وطرق التعامل . وقد فاق كورتوليس أيضاً فيليس في الحديث عن هذه النشاط ، حيث أورد لبعضها عناصر مستقلة في كتابه ، ولو أنها مختصرة بعض الشيء ، إلا أنها قيمة وتشمل معلومات دقيقة ومركزة . ومن أهم العناصر التي تعرض لها ضمن الناحية التجارية الطرق التي تربط منطقة عسير ببعضها مع بعض ، حيث ذكر أسما عما ومحطاتها والسكان الذين

بيشة وخميس مشيط وأبها . لأن فيليس كان مدعوماً من قبل الملك عبد العزيز آل سعود . فقد استطاع دخول الكثير من بيوت أهل عسير ، وبالتالي تمكن من إعطاء تفصيلات دقيقة عن الأقسام الداخلية التي تتكون منها منازل العسيريين ، لا سيما منازل الأعيان والشايخ ، فأوضح انقسام بعضها إلى عدة أقسام ، مثل : قسم للضيوف ، وآخر لأفراد الأسرة ، وأقسام أخرى تستخدم كمتستوعات ، وأماكن للبهائم وغيرها (١١٥٧) . كذلك شاهد طريقة تأييد البيت العسيري ، وخاصة عند طلبة القوم ، إلى جانب ملاحظته ازدهام المنازل من الداخل بالخزاف المشنوعة . وقد بهرهت هذه المسلمات الجمالية فأثرت عليها ، وذكر تفرد منطقة عسير بهذا النوع من الخزاف البنائية (١١٥٨) .

٥ - اللباس والزينة والأطعمة والأشربة :

يشير رحالتنا الثلاثة إلى نوعية اللباس والزينة التي شاهدها أهل عسير بلبسها في منازلهم وأسواقهم . بل أشاروا إلى نوعية الألبسة والأقمشة التي كانت تعرض في أسواقهم الأسيوية ، ويعتبر فيليس أكثرهم تفصيلاً في ذكر بعض الألبسة التي كان يستخدمها النساء ، والرجال ، وقد ذكر أنواعاً عديدة من اللباس وأدوات الزينة المستعملة عند العديد من السكان في أسواق بيشة وخميس مشيط (١١٥٩) .

وأحياناً كان تاميزيه وكورتوليس يذكران بعض الأطعمة والأشربة التي كانوا يشاهدونها في أسواق المنطقة ، أو أثناء تناولهم لبعضها . أما فيليس فالظروف التي جاء فيها ساعدته على التكوّن بعض الوقت في أبها ، عديدة من المنطقة ، كما تم استضافته على أكثر من وجبة تدبسية في بيوت بعض الأسراء والأعيان في المنطقة ، ومن ثم أعطى تفصيلاً لإبأس به عن بعض المأكولات التي كان يتم تناولها على الموائد في تلك البلاد (١١٦٠) . وإذا كان ذكر بعض أسما ، الأطعمة والأشربة في بيوت القفطرين ، فإن غالبية سكان المجتمع كانوا يقرأ أغلب أطعمتهم من الحبوب التي تنتجها أراضيهم ، أو من منتجات حيواناتهم التي يقومون على تربيتها (١١٦١) .

٦ - بعض العادات والتقاليد :

ولم تغفل منطقة عسير من عادات وأعراف متنوعة ، مثل عادات الزواج ، والختان ، والمآتم ، والصلح ، والحوار وغيرها كثير (١١٦٢) . لكن هؤلاء الرحالة لم يتعرضوا لها كثيراً ، فيما عدا فيليس الذي ذكر مشاهدته لمادة الزواج المبكر من الشباب والشابات في عسير ، حتى إن بعضاً منهم يتزوج بين (١٢ - ١٣) سنة ، كما نوه إلى أن صدق المرأة المبكر كان

الهوامش :

- ١ - جانظ ونبنة جزيرة العرب ، ص ٣٣ : نيزاد حمزة : في بلاد عسير ، ص ١٤٥ ، ٢٦٣ - ٢٦٩ ؛ مصدره شاكور : شبه جزيرة العرب ، ص ١٤٢ وما بعدها ؛ يحيى الأكمي : رحلات في عسير ، ص ٣٤ - ٣٥ ؛ هاشم النعصي : تاريخ عسير ، ص ٤ وما بعدها .
- ٢ - جاكوبين بيرين : اكتشاف جزيرة العرب ، ص ٢٥٩ - ٢٧٩ .
- ٣ - موريس ناسبيز : رحلة في بلاد العرب ، ص ٢٩ وما بعدها ؛ Sir Conawalis. Astr. pp. 7 ff. Philby, Arabian Highroads, pp. 28 ff.
- ٤ - انظر : الهيماني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٢٥٩ .
- ٥ - انصو نقسه .
- ٦ - للمزيد من التوضيحات عما ذكره الجغرافيين الرحالة المسلمين الأتائل عن بلاد عسير ، انظر : ابن خردادبة : صاحب السالك والممالك : الاصلطوري : صاحب مسالك الممالك ؛ ابن حوقل : صورة الأرض : ابن جبير ، رحلة ابن جبير ؛ ياقوت الحموي : معجم البلدان ؛ ابن الجاود : تاريخ التنجهر ؛ علي عسيري : عسير ، ص ٢٢ وما بعدها ؛ غيثان بن جريس : بلاد تهامة كما وصفها الرحالة والجغرافيون المسلمون الأتائل ... ، ص ٧٣ وما بعدها .
- ٧ - فريد من المنقبيلات عن الإمارات التي ظهرت في اليمن والمجاز خلال العصر الإسلامي المبكرة والوسطى . ثم معاراة حكومتها مد نفوذهم على بلاد عسير . انظر : تاريخ مكة المكرمة ، للسباهي ؛ القنطف من تاريخ اليمن . جمع القاضي عبد الله بن عبد الكريم الجفرائي اليمني .
- ٨ - انظر : علي عسيري : عسير ، ص ٢٤ ؛ غيثان بن جريس : صفحات من تاريخ عسير ، ج ١ ، ص ١١ - ٧ .
- ٩ - الريع نغسه .
- ١٠ - انظر : علي عسيري : عسير ، ص ١٢١ وما بعدها ؛ النعصي : تاريخ عسير ، ص ١٣٩ وما بعدها ؛ غيثان بن جريس : بلاد بني شهر ونض عسور ، ص ٤٣ وما بعدها .
- ١١ - النعصي : تاريخ عسير ، ص ١٣٢ وما بعدها ؛ ابن جريس : بلاد بني شهر ، ص ٥٠ - ٥١ .
- ١٢ - النعصي ، ص ١٥٧ - ١٥٩ ؛ ابن جريس : بلاد بني شهر ، ص ٥١ ؛ عسيري : صبير ، ص ١٢٤ وما بعدها .
- ١٣ - انظر تفصيلاً أكثر عن إمارة حمور أبو مسمار ومن خلفه علي بلاد عسير ، النعصي ، ص ١٥٩ وما بعدها ؛ المقبلي : المغلاف السيلاني ، ج ١ ، ص ٤٤٧ وما بعدها .
- ١٤ - مفيد : إحدى القبائل الكبرى في إقليم عسير .

يعيشون على أطراف تلك الطرق ، مع الإتمارة إلى بعض العقبات التي اعترضت بها بعض تلك الطرق (١٦٩) . وربما يساوي كورنواليس الرحالة فيليبس وأحياناً يفرقه في الحديث عن طبيعة الأسواق المحلية الأسبوعية والأسواق والعملات والأوزان التي كانت سائدة فيها (١٧٠) . ومع العلم أن فيليبس أشار إلى هذه الجوانب وخاصة في أسواق بيشة وخميس مشيط (١٧١) . ويجمع الرحالة الثلاثة على أن الرسائل الرئيسة لتغل الناس والتجارات كانت متركزة على الجمال والخصير ، ولكن في عصر فيليبس أصبحت السيارات تعمل إلى جانب تلك الدواب ، وخاصة فيما بين بيشة وأبها فقط (١٧٢) .

ويشير الرحالة الثلاثة إلى وجود مهين اقتصادية أخرى في إقليم عسير مثل الرعي والزراعة وبعض الحرف الصناعية التقليدية . ولكن كورنواليس يمد أفضلمهم في ذكر هذه النقاط ، حيث ذكر هذه المهن والهنن الصناعية التقليدية في أماكن مستقلة من كتابه رغم قصرها ، ثم يأتي بعده فيليبس الذي أشار إلى وفرة المحرقات الزراعية في أنحاء منطقة عسير ، كما أنه شاهد العديد من الصناعات الحرفية والبديوية التي كانت تباع وتتداول في الأسواق الأسبوعية في المنطقة .

ج - الخاتمة :

وخلاصة القول أن هؤلاء الرحالة الثلاثة حاولوا في فترات متباعدة إلى منطقة عسير تحت أهداف وأغراض سياسية وحضارية مختلفة . وإذا كانت الظروف ودعت تمييزه لياشي مع جيوش محمد علي باشا إلى المنطقة ، فربما لم يكن مدروساً ومخططاً له من قبل ، أن يدور رحلته عن هذه المنطقة ، وذلك بخلاف كل من كورنواليس وفيليبس اللذين جاءا بدعم وتأييد من قوى سياسية مختلفة لجمع وتدوين معلومات عن المنطقة . فبما ، كورنواليس بدعم من قوى استعمارية هي الإمبراطورية البريطانية ، في حين جاء فيليبس بدعم من حاكم المملكة العربية السعودية الملك عبد العزيز . ومع تباين الأهداف التي جاءا من أجلها كل من هذين الرحالتين ، إلا أننا معشر الباحثين قد استفدنا استفادة واضحة من المعلومات القيمة التي سجلها الرحالة الثلاثة ، والتي قلما نجدتها في مصادر أخرى . سواء كانت عربية أم أجنبية ، فأثقت الكثير من الأضواء على نواحي مجهولة من تاريخ وحضارة هذه المنطقة من جنوب الهلال السعودي ، خاصة وأن منطقة عسير موضع الدراسة هي في حد ذاتها قبضة في معلوماتها وفيما دون عنها سواء قديماً أو حديثاً ، لكن الحصول على جزء من شيء أفضل من لا شيء .

- على وجهها منهم عدد كبير كان من ضمنهم سيوفاني الإيطالي الذي أنقذ من مذكراته فيما بعد على ناجر بريغاتي ، وقد أورد في تلك التذكارات ما يشاهد ، وما حدث له في خدمة الباشا في الجزيرة العربية ، وخاصة ما حدث له ولبني طرسون مع الجيوش العسيرة في القنفذة ، وقد نشرت هذه التذكارات باللغة الإنجليزية في لندن عام (١٨٢٨ م) . كتاب تامينيه الترحم (محمد ابن زلفة) ، ص ١٢ .
- ٢٩ - كان معه عدد من المرزوقين الذين يقومون بحملة الطب وعلاج المرضى والجرحى في تلك الحملة ، وربما كان في أرنطاك الأندلس أو من جاء قبلم أو بعضهم من قام بتدوين ملاحظاته وشاهداته عن إقليم عسير أو غيره ، ولكن تلك المذكرات لم تصل إلينا ، أو لم تحكى بعد .
- ٣٠ - انظر كتاب جاكوب بيرين - اكتشاف جزيرة العرب ، ص (٢٥١ - ٢٦٩) .
- ٣١ - هناك العديد من الرحالة الغربيين المشاهير الذين زاروا بلاد العرب خلال القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) . تزيد من المعلومات انظر : عبد الشافي عبد القادر : الجزيرة العربية في كتب الرحالة الغربيين ، ص (٤٢١ - ٤٢٦) : محمد الصباد : الرحالة الأجانب في الجزيرة العربية قبل القرن التاسع عشر ، ص (٤٢٧ - ٤٤٤) .
- ٣٢ - انظر تامينيه : رحلة ، مقدمة الترحم / محمد آل زلفة ، ص ١٦ .
- ٣٣ - انظر : . . . David George Hogarth, *Hejaz (Belims Wontg War) (London)* pp. 811 .
- ٣٤ - كان من أخصارف عليه أن السويدي البريطاني عن الشرق كانوا يتسرون إلى تريفين ، فريق السياسي والصكريين المصريين بالقاهرة ويتبعون دار لهند البريطاني ، والذين أطلق عليهم اسم المدرسة المصرية أو مدرسة القاهرة ، رئيسا بمد اسم المكتب العربي . وكان هذا الفريق يضم عدداً من التجار ، بالشؤون العربية مثل لورنس (Lawrence) وكلايتون (Clayton) و هوجارت (Hogarth) ، وغيرهم ، أما الفريق الآخر فقد كان مركزه الهند ومطحاتها في الخليج ، وتزعم هذه المدرسة سبر كوكس (Sir Cox) ، والكابتن شكسبير (Shakespear) ، ودعم انتقال العثمانيين على أسيه الشرق ، وخاصة خلال الحرب العالمية الأولى ، فإنه كان نية خلال فيسا بينها ، قبضا مدرسة الهند كانت تهتم في اللام الأول بالعراق والحارس ، كانت مدرسة القاهرة ، التي رفع السبر كيناهان كورتواليس تفرقه إليها ، تهتم بقتاة السويس وكل ما من شأنه صحتها ، إلى جانب ذلك فقد كانت مدرسة الهند تعتقد أنه باستطاعة الحلفاء ، وبريطانيا خاصة ، تحقيق النصر في الحرب دون الاستعانة بالعرب ودون الانسحاب ، إلى إثارة العرب ضد الأتراك وهذا الأمر الذي دعته إليه مدرسة القاهرة التي يتبنى إليها كورتواليس . وقد وجد أيضا ، المدرسة المصرية ضرورية دراسة اللغة ودراسة مستنصحة من أجل التعرف على طبيعة المنطقة وسكانها وتركيباتها القبلية ومرارها الاقتصادية ، وهذا ما فتح في تفديه السبر كورتواليس ، من خلال عمله عن عسير قبل الحرب العالمية الأولى ، والذي وضع أساسا كثير من مقدم إلى المكتب العربي بالقاهرة لاستخدامه من خلال أعضاء ، المكتب المعروف على إقليم عسير ، ولإعطائهم الفرصة لإصدار أحكام صحبحة تتماشى مع المصالح العليا للإمبراطورية

- ١٥ - ابن جريس ، بلاد بني شهر ، ص ٥٢ .
- ١٦ - انظر تشبهيلات أكثر من الأمير عائش ابن مرعي وأبند محمد في كتاب ، عائش : النبر الشيخين ، ص ٦ وما بعدها عسيري : عسير ، ص ١٦٠ وما بعدها .
- ١٧ - عسيري : عسير ، ص ١٨٨ .
- ١٨ - الرجوع نفسه ، ص ١٩٢ - ١٩٥ ، ١٩٧ ، ١٩٨ : النعسي : تاريخ عسير ، ص ١٩٢ - ١٩٥ .
- ١٩ - النعسي ، ص ٢٠٤ : ابن جريس : بلاد بني شهر ، ص ٥٤ .
- ٢٠ - عسيري : عسير ، ص ٢٧٩ ، ٢٥٦ : الخلفي : تاريخ عسير ، ص ٩٩ وما بعدها .
- ٢٢ - انظر عند تلك المراكز الإدارية في كتاب ، النعسي ، ص ٢١٦ - ٢١٧ : محمود شاكر ، ص ٢٢ : ابن جريس : ألبها حاضرة عسير ، ص ٥١ - ٥٥ .
- ٢٣ - للمزيد من المعلومات عن إقليم عسير خلال سيطرة الحكم العثماني عليها ، انظر : الخلال ، ص ١٠١ ، ص ٢٥٦ : النعسي ، ص ٢٠٨ وما بعدها : ابن جريس ، صفحات ، ص ١٠١ ، ص ٦٧ - ٩٠ : ابن جريس : وثائق من عسير خلال الحكم العثماني (١٢٨٩ - ١٣٣٧ هـ) ، مجلة العرب ، ص ١٥٤ - ١٧٠ .
- ٢٤ - لإمام الإدريس ، هو : محمد بن علي بن محمد بن أحمد الإدريس ولد في بلدة صيبا بطنقة جازان عام ١٢٩٣ هـ ، وتعلم على بعض علماء الصوفية في كل من مصر وليبيا والسردان ، ثم رجع إلى مسقط رأسه في صيبا للقب هورا أساسيا كبيرا في تلك المنطقة خلال النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري (المشرفين البلادي) يزيد من التفصيلات انظر : محمود شاكر : عسير ، ص ٢٤٦ - ٢٤٧ : النعسي : تاريخ ، ص ١٨٧ وما بعدها .
- ٢٥ - للمزيد انظر : النعسي ، ص ٢٢٤ وما بعدها ، المكارى : العلاقة بين أمراء الأدارسة في عسير وأشراف مكة ، ص ١٧ وما بعدها .
- ٢٥ - انظر ابن جريس ، ألبها حاضرة عسير ، ص ١٤ وما بعدها .
- ٢٦ - النعسي ، ص ١٥٧ - ١٥٩ : ابن جريس : بلاد بني شهر ، ص ٥ - ٥١ .
- ٢٧ - يظهر ذلك واضحا في مترادف الياحثة الفرنسية لجاكوب بيرين (رانسي) أطلقت عليه اسم : اكتشاف جزيرة العرب : خمسة قرون من الحضارة والعلم ، ص ٥ وما بعدها .
- ٢٨ - لقد سبق تامينيه أيريس آخر إيطالي يدعى جيوفاني لانفاني (Giovanni Finelli) ، حيث كان يعمل في جيش نابليون بونابرت ، ثم ساقه القدر إلى مصر فعمل في جيش محمد علي وذهب مع ابنه طرسون إلى الحجاز ، وقد كان مع جيوش طرسون عام (١٢٢٦ هـ / ١٨١١ م) عندما التقى ببعض الجيوش العسيرة في القنفذة تحت قيادة الأمير طامس بن شبيب العسيري ، وقد هزمت جيوش محمد

٤٦ - المرجع نفسه ، ص ٥٥ ، ٨٩ ، ١٠٧ ، ١٢٥ ، ١٦٧ ، ١٩٣ ، ٢١٥ ، ٢٣٢ ، ٢٥١ ، ٢٧١ ، ٢٩١ ، ٣١١ .

٤٧ - المرجع نفسه ، ص ٣٤٨ ، ٣٥٠ .

٤٨ - المرجع نفسه ، مقدمة التبريم ، ص ٢٢ - ٢٤ .

٤٩ - المرجع نفسه ، ص ٢٤ .

٥٠ - المرجع نفسه ، ص ٢٤ .

٥١ - المرجع نفسه ، ص ٢٥ .

٥٢ - المرجع نفسه ، ص ٢٥ .

٥٣ - *Comwallis Asir*, pp. 5, 7 .

٥٤ - *Comwallis*, p. 10 .

٥٥ - *Ibid.*, p. 11 .

٥٦ - *Ibid.*, p. 13 .

٥٧ - *Ibid.*, pp. 17 - 18 .

٥٨ - *Ibid.*, pp. 19 - 20 .

٥٩ - *Ibid.*, p. 21 .

٦٠ - تاريخية في الحياة الاجتماعية والاقتصادية ، ص ١٨١ - ١٨٢ .

٦١ - *Comwallis*, p. 21 .

٦٢ - *Ibid.*, p. 23 .

٦٣ - *Ibid.*, p. 24 .

٦٤ - *Ibid.*, p. 24-25 .

٦٥ - *Ibid.*, p. 25 .

٦٦ - *Ibid.*, p. 25 .

٦٧ - *Ibid.*, p. 25-26 .

٦٨ - *Ibid.*, p. 26 .

البريطانية - وسرعان ما أصبح هذا الظهور بعد الساح يطابعه وتداوله أخطر المصادر الهامة للتعرف على التركيبة السكانية لسكان منطقة عسر وأوضاعها الحضارية في فترة ما قبل الحرب العالمية الأولى وما بعدها بتفصيل . للزيد من التفصيلات انظر : مديحة أحمد مديوش : تاريخ الثورة السورية خلال الربع الأول من القرن العشرين ، ص ١١١ وما بعدها .

٣٥ - انظر ، حمد الجاسر : فيلبس : رحلاته في البلاد العربية ، مجلة العرب ، عام (١٤٠٩) - ١٤١٠هـ) مع ٢٤ ، ص ١٠٥ - ١٠٨ .

٣٦ - جورج ونتر : فيلبس مؤرخًا للمملكة العربية السعودية ، ترجمة وتعليق حسين محمد الطامري ، مجلة العربية (السنة الأولى ، عدد (٧٦) ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م) ، ص ٦١ .

٣٧ - المرجع نفسه ، ص ٦١ - ٦٢ .

٣٨ - المرجع نفسه ، انظر أيضًا تفصيلات أكثر عن سانت فيلبس في كتاب البرزايت مورنو (Elizabeth Mourree) في كتابها الشهير *Philby Arabia* (فيلبس العرب) والتي طبع في عام (١٩٧٣هـ/ ١٩٧٣م) ، ص ٣٠٧ - ٣١٣ . ومورنو نشرت في كتابها هذا أوسع دراسة علمية شاملة عن فيلبس ، ولدت قائلته لأول مرة عام ١٩٣٨م ، وفي سبيل الكتابة عنه سألرت إلى كل لفظ عمل فيه مثل الباكستان والعراق والأردن ومصر وفلسطين ولبنان وجزيرة العرب مستخدمة ما تضمنته أوساطها من معلومات عنه .

٣٩ - ويذكر عن صفات فيلبس (Philby) أنه كان يطبع مقر ومكان الشباب في العظمة والشهرة ، وكان ذا مواهب متعددة ، وقدره عجيبة في مجالات عدة كالإدارة والمباعدة ، والتاريخ ، والرحلات ، والأخبار ، وعلم الطبيعة ، والاقتصاد والمال ، وكان يتقن كثيرًا من اللغات القديمة والحديثة ، ولزيد من التفصيلات عن حياته وأعماله انظر : كتاب فيلبس العرب ، للأستاذة سوزنو (الطهمة الإنجليزية) ، ص ٧٠٥ وما بعدها ، كما انظر أيضًا : ج . د . نورون : فيلبس رجل الجزيرة العربية (مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية - الكويت ، العدد الثالث ، جمادى الثاني ، ١٣٩٥هـ) ، ص ١٥٩ - ١٥٩ .

٤٠ - انظر كتاب تاملية : رحلة في بلاد العرب ، مقدمة التبريم ، ص ٢٠ - ٢١ .

٤١ - المرجع نفسه .

٤٢ - المرجع ، ص ٢١ .

٤٣ - المرجع نفسه ، ص ١٢٥ وما بعدها .

٤٤ - المرجع نفسه ، ص ٢٩٢ - ٣١٠ .

٤٥ - المرجع نفسه ، ص ٣١٢ - ٣٤٥ .

Philly, Arabian, pp. 112-3, 117, 118. - ٩٠
 Ibid., pp. 129, 131E. - ٩١
 Ibid., pp. 136, 148 ff. - ٩٢
 Ibid., pp. 29, 115, 131. - ٩٣
 Ibid., pp. 37, 129E. - ٩٤
 Ibid., pp. 131, 136. - ٩٥
 Ibid., pp. 115, 131E. - ٩٦
 Ibid., pp. 115, 116, 139. - ٩٧
 Ibid., pp. 37, 114, 140. - ٩٨

وجدير بالذكر أن البيوت القائمة من القش والأخشاب كانت تنتشر أيضاً وبكثرة عند سكان السهول الشمالية . لاسيما في الجزء المنقطع من التفتة شمالاً إلى طازان جنوباً . للسند راجع : ابن جريس : تصدير

١١٠٠ - ١١٠٠ هـ ، ص ٤٩ - ٥٠ .
 - ٩٩
 Ibid., pp. 29, 37, 137E. - ١٠٠
 من مشاهد القرى والمنازل القديمة في إقليم عسير اليمعا منها من الهراء المحلية ، والبعض منها لازال صامداً لم يصبه الخراب ، مع العلم أن تاريخ بنائه يعود إلى الروا . أكثر من ثلاثين قرناً . انظر : ابن جريس : بلاد بني شهر ، ص ٧٤ وما بعدها ؛ ابن جريس : عسير ، ١١٠٠ - ١١٠٠ هـ ، ص ٤٧ وما بعدها . - ١٠١
 Philly, Arabian, pp. 113. - ١٠٢
 من يزيد بعض البيوت القديمة في مدينة أُنْهيا ، وخميس شبيك اليوم ، بل من مشاهد بعض الأناحف المحلية في المنطقة فإنه سوف يلاحظ ما ذكره ليديني ، وغالبية تلك الأشكال والأركان كانت مستمدة من صناعة بعض النباتات والأشجار المحلية . انظر : ابن جريس : عسير ، ١١٠٠ - ١١٠٠ هـ ، ص ٥١ - ٥٢ ؛ أيضاً بحرية الباحث ومشاهداته لأحوال وحضارة منطقة عسير خلال العشرين سنة الماضية . - ١٠٣
 Ibid., pp. 117, 131. - ١٠٤
 Ibid., pp. 36, 131, 139, 140. - ١٠٥
 Ibid., pp. 136. - ١٠٦

Ibid., p. 29. - ٦٩
 Ibid., p. 30. - ٧٠
 Ibid., p. 32-43. - ٧١
 Ibid., p. 44 - 83. - ٧٢
 Ibid., pp. 32E. - ٧٣
 Ibid., pp. 32E. - ٧٤
 Ibid., pp. 84 ff. - ٧٥
 Ibid., p. 104. - ٧٦
 Ibid., pp. 107 ; Ibid., pp. 107E. - ٧٧
 Philly, Arabian Highlands, pp. VII ff. - ٧٨
 Ibid., p. VIII. - ٧٩
 Ibid., p. 3. - ٨٠
 Ibid., pp. 3-41. - ٨١
 Ibid., pp. 75-174. - ٨٢
 Ibid., pp. 213-419. - ٨٣
 Ibid., pp. 437-676. - ٨٤
 Ibid., pp. 123, 161 ff. - ٨٥
 Ibid., pp. 161-3, 195E. - ٨٦
 Ibid., pp. 111, 112E, 140. - ٨٧
 Ibid., pp. 151E. - ٨٨
 Ibid., pp. 135, 137E. - ٨٩

والتجول في المنطقة الواقعة بجارسة وأنها لازال يشاهد الكثير من العرى التشرة والتي يعود تاريخها إلى مئات السنين ، بل سوف يلاحظ القارئ للطبعة والتي يصل ارتفاع بعض القصور فيها إلى ثلاثين وأربعة أمتار فوق سطح الأرض . ناهيك عن القوثر والرسوم فهي أيضاً كثيرة في هذه المنطقة . انظر : ابن جريس : عسير دراسة تاريخية في الحياة الاجتماعية والاقتصادية ، ص ٥٦ ؛ ابن جريس : بلاد بني شهر وبني عمرو ، ص ١٤٧ - ١٥٢ .

Ibid., pp. 36, 116, 137, 141, 151 - ١٣٦
 - انظر كتاب تامزيه : رحلة ، ص ١٧ وما بعدها .
 ١٣٧ - انظر كتاب تامزيه : رحلة ، ص ١٧ وما بعدها .
 ١٣٨ - المصدر نفسه . ص ١٨ وما بعدها ، وانظر كتاب جاكين بيرين : اكتشاف جزيرة العرب . ص ٢٥١ وما بعدها .
 ١٣٩ - *Cornwallis Asir*, p. 3. - تامزيه : *Cornwallis Asir*, p. 3. - فيليبس رحلاته في بلاد العرب : مجلة العرب ، ص ١٠٥ - ١٠٨ : خروج وتتر : فيليبس مؤرخًا للبلاد ... ، ص ٦٢ وما بعدها .
Cornwallis Asir, pp. 3ff. : انظر - ١٣٠ .
 ١٣١ - تامزيه ، ص ١٥ - ١٦ : *Cornwallis*, p. 3 ff. : ج . نورزون : فيليبس رحل الجزيرة العربية ، ص ١٥٢ وما بعدها : *E. Monroe. Philby of Arabia*, pp. 1ff. : انظر - ١٣٢ .
Cornwallis Asir, pp. 7 ff. : انظر - ١٣٣ .
 ١٣٣ - الجاسر : فيليبس رحلاته في بلاد العرب . ص ١٠٦ وما بعدها : ج . وتتر : فيليبس مؤرخًا للبلاد ... ، ص ٦٣ وما بعدها : ج . نورزون : فيليبس رحل الجزيرة العربية ، ص ١٥٣ وما بعدها .
 ١٣٤ - تامزيه : رحلة ، ص ٢٥ وما بعدها : كما انظر أيضًا ، ص ٣٢ وما بعدها : ٣٥ - ٣٥ .
Philby, Arabian, pp. 3 ff. : انظر - ١٣٥ .
 ١٣٦ - تامزيه : رحلة ، ص ٩٣ ، ٩٥ ، ١٠٩ ، ١١٦ ، ٢٠٨ ، ٢٣٦ وما بعدها : *Cornwallis Asir*, pp. 7ff, *Philby, Arabian*, pp. 11ff, 140, 151 .
Cornwallis Asir, pp. 7 ff. : انظر - ١٣٧ .
Philby, Arabian, pp. 111, 112, 113, 123, 124, 140, 151. : انظر - ١٣٨ .
 ١٣٩ - توريد من التفصيلات عن الحياة الصباحية في عسير أُنفاً ، ص ١٠٠ ، تامزيه إليها . انظر : النص ، تاريخ ، ص ١٣١ : عسري : عسير ، ص ١٢٤ وما بعدها : ابن جريس : بلاد بني شهر . ص ٥٧ ، مقدمة الترجمة لكتاب تامزيه (محمد آل رافة) ص ٧ وما بعدها .
 ١٤٠ - المصادر نفسها .
 ١٤١ - المصادر نفسها : انظر : ماركس : البر الصين . ص ٦ وما بعدها : العقيلي : المغلال اللباني ، ط ١ ، ص ٤٤٢ وما بعدها .
 ٢١٤٢ - تامزيه : رحلة ، ص ١٦٥ ، ٢٠٠ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ وما بعدها .
Cornwallis Asir, pp. 25 - 31. : انظر - ١٤٣ .
 Ibid., 25 ff. : انظر - ١٤٤ .

Ibid., pp. 141. : انظر - ١٤٥ .
 Ibid., pp. 136. : انظر - ١٤٦ .
 Ibid., pp. 136. : انظر - ١٤٧ .
 Ibid., pp. 39-40. : انظر - ١٤٨ .
 ١٤٩ - عندما جاء فيليبس إلى إقليم عسير (١٣٥١هـ / ١٩٣١م) كان يوجد بعض المراكز الحضرية الكبرى العديد من القواعد العسكرية المسموذة الخفلة . انظر : ابن جريس : عسير في عصر الملك عبد العزيز . ص ٣١ وما بعدها : ابن جريس . أنها حاضرة عسير ، ص ٤٤٣ وما بعدها .
Philby, Arabian, pp. 141, 148. : انظر - ١٤٩ .
 Ibid., pp. 153 - 154. : انظر - ١٥٠ .
 Ibid., pp. 150 - 1. : انظر - ١٥١ .
 Ibid., pp. 115, 116, 117, 139. : انظر - ١٥٢ .
 وللشيد من التفصيلات عن الطرق الصحاوية في إقليم عسير ، انظر ابن جريس : عسير - ١١٠٠ - ١٤٠٠هـ ، ص ١٦٣ وما بعدها .
 ١٥٣ - *Philby*, pp. 138, 141, 148. : انظر - ١٥٣ .
 Ibid., pp. 36, 38-9, 114. : انظر - ١٥٤ .
 Ibid., pp. 116-7, 137. : انظر - ١٥٥ .
 ١٥٦ - خير قرية واقعة في منتصف الطريق بين بيشة وخصم شيط . انظر - ١٥٦ .
 ١٥٧ - *Philby, Arabian*, p. 137. : انظر - ١٥٧ .
 Ibid., p. 38. : انظر - ١٥٨ .
 Ibid., p. 151. : انظر - ١٥٩ .
 Ibid., p. 151. : انظر - ١٦٠ .
 ١٦١ (ماريا ماريوزا) عبارة عن قطعة نقدية من الفضة ضربت في النسا عام (١١٩٥هـ / ١٧٨٠م) ، يعرف من هذه العملة فئة أبو طافية وقبضته عشرون قرشًا . ابن جريس : عسير - ١١٠٠ - ١٤٠٠هـ ، ص ١٨٣ .
 ١٦٤ - *Philby, Arabian*, p. 147. : انظر - ١٦٤ .
 Ibid., pp. 123, 124. : انظر - ١٦٥ .

- العمري ، عمر هزيمة : قبائل إقليم عسير في الحجازية والإسلام (أبها : نادي أبها الأدبي ، ١٤١١هـ / ١٩٩١م) (جردان) .
- الكناوي ، حنان سليمان : الملاحظات بين أمراء - الإدارات في عسير وأشرف مكة (١٩٠٨ / ١٩٢٥م) ، منشورات لجنة تاريخ الأردن ، سلسلة البحوث والدراسات المتخصصة رقم (١٢) عمان ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م .
- النعيمي ، فاطم سعيد : تاريخ عسير في الماضي والحاضر (د. د. ، د. د.) .
- نورتن ، ج . د . : قبليبي رجل الجزيرة العربية " مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية " (الكويت ، العدد الثالث ، جمادى الثانية ، ١٣٩٥هـ ، ص ١٥٦ - ١٥٩) .
- الهسفاشي ، الحسن بن أحمد : صفة جزيرة العرب . تحقيق محمد بن علي الأكبر (الرياض : دار اليمامة للبحث والنشر والترجمة ، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م) .
- وجبة ، حافظ ، جزيرة العرب في القرن العشرين ، ط ٥ (القاهرة : مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٣٧٨هـ / ١٩٦٧م) .

ثانياً : المصادر الأجنبية :

- Crowellis, Sir Kinshian : Asir before World I War (Handbook) (Cambridge, 1976) .
- Hogarth D.G. Hejaz before World War I (Handbook) (Cambridge, 1978) .
- Monroe, El.Zabeth. : Phitby of Arabia (London, 1973) .
- Philby, H.St. J.B. : Arabian Hightland (New York, 1976) .

- ابن جريس ، غيثان بن علي : بلاد تهامة والبرادكا وصفها الرحالة والجغرافيين المسلمون الأوائل ، مجلة الموزع العربي ، العدد الثاني ، المجلد الأول (مارس / ١٩٩٤م) ، ص ٧٣ - ١٠٠ .
- ابن جريس ، غيثان بن علي : تاريخ العظم في منطقة عسير (١٣٥٤ - ١٣٨٦هـ / ١٩٣٤ - ١٩٦٦م) ، ج ١ : دار البلاد للطباعة والنشر ، (١٤١٦هـ / ١٩٩٥م) ، ج ١ .
- ابن جريس ، غيثان بن علي : أهدأها حاضرة عسير (دراسة وثائقية) (الرياض : مطابع التوزيد ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م) .
- ابن جريس ، غيثان بن علي : عسير في عصر لثالك عبد العزيز (دراسة تاريخية في الحياة الإدارية والاقتصادية) (جدة : دار البلاد للطباعة والنشر ، ١٤٤٢هـ / ١٩٩٩م) .
- الهسفاشي ، إبراهيم بن علي زين المساهين : تاريخ عسير وثيقة تاريخية خلال خمسة فترات ، تحقيق وتعليق محمد بن سلطان بن عيسى الوصال البشري (د. د. ، ١٤١٣هـ) .
- حمزة ، نؤاد : في بلاد عسير ، ط ٢ (الرياض ، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م) .
- درويش ، مديحة أحمد : تاريخ الثورة السعودية حتى الربع الأول من القرن العشرين ، (الرياض : دار الشروق ، ١٤٠٠هـ / ١٩٩٨م) .
- رقت ، محمد ، قبليبي مؤرخاً للشبكة العربية السعودية ، ترجمة وتعليق حسين محمد الغامدي ، مجلة البريعة (السنة الأولى ، عدد (٢) ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م) ، ص ٩٦ - ٨٦ .
- شاكر ، منصور : شبه جزيرة العرب - عسير ، ص ٢ (بيروت - دمشق : المكتب الإسلامي ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م) .
- الصياد ، محمد محمود : الرحالة الأجانب في الجزيرة العربية قبل القرن التاسع عشر ، دراسات تاريخ الجزيرة العربية ، الكتاب الأول ، مصادر تاريخ الجزيرة العربية ، ج ٢ (الرياض : مطابع جامعة الملك سعود - الرياض سابقاً ، ١٣٧٩هـ / ١٩٧٩م) ، ص ٤٣٧ - ٤٤٤ .
- مكاوي ، حسين بن أحمد : الدر الثمين في ذكر المناقب والوفائق لأسيب السنين محمد بن عاتق ، تحقيق عبد الله بن علي بن حديد (د. د. ، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م) .
- عبد القادر ، عبد الشافي غنيم : الجزيرة العربية في كتب الرحالة الغربيين ، دراسات تاريخ الجزيرة العربية ، الكتاب الأول ، مصادر تاريخ الجزيرة العربية ، ج ٢ (الرياض : مطابع جامعة الملك سعود ، الرياض سابقاً ، ١٣٧٩هـ / ١٩٧٩م) ، ص ٤٤١ - ٤٣٩ .
- مسيري ، علي أحمد : عسير من ١٢٤٩هـ / ١٨٢٣م - ١٢٨٩هـ / ١٨٧٢م ، أبها ، نادي أبها الأدبي ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .
- المغيلي ، محمد بن أحمد : تاريخ المخلات الصليمان (الرياض : دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ، ج ١ .

أحمد صلاح لجمعة هريدي علي (٥)

التواجد الفرنسي في مصر في القرن الثامن عشر للميلاد

كان للتواجد الفرنسي في مصر في القرن الثامن عشر الميلادي دور هام في التصعيد لقيام الحملة الفرنسية على مصر عام ١٧٩٨ م . لقد كان هناك تواجد روسي متشكلاً في القناصل والمحليين الروسين . أما التواجد غير الروسي فتتمثله طبقة التجار وأفراد الجالية الفرنسية التي تعيش في مصر ، وجماعة من الرحالة . ويرجع ذلك إلى طبيعة العلاقات الطيبة التي كانت بين فرنسا والدولة العثمانية عامة ، ومصر خاصة التي كانت إحدى الولايات العثمانية وقد جلود هذه العلاقات الطيبة إلى القرن السادس عشر الميلادي حيث عمقه السلطان سليمان القانوني معاهدة مع الملك فرانسوا الأول ملك فرنسا . معاهدة عام ١٥٢٨ م ، حددت فيها الدولة العثمانية الامتيازات التي سبق أن منحها سلاطين دولة المماليك الشراكسة للفرنسيين وأهل كندا لونيوا . وكانت المعاهدة الجديدة تكفل لتجار فرنسا وعباهاها الأمن والطمانية على أراضيهم وأموالهم ومناجرهم في أثناء تواجدهم في ممتلكات الدولة . وتكفل لهم حرية التجارة والنقل براً وبحراً دون أن يسهم سوى ودفن أن يتعرضوا لضائقات من

• - أعمال دوتيس قسم التاريخ بكلية الآداب - بدمهور - جامعة الإسكندرية .

أحمد صلاح لجمعة هريدي علي (٥) - ١٩٩٨ م .
١- أحمد صلاح لجمعة هريدي علي (٥) - ١٩٩٨ م .
٢- أحمد صلاح لجمعة هريدي علي (٥) - ١٩٩٨ م .
٣- أحمد صلاح لجمعة هريدي علي (٥) - ١٩٩٨ م .
٤- أحمد صلاح لجمعة هريدي علي (٥) - ١٩٩٨ م .
٥- أحمد صلاح لجمعة هريدي علي (٥) - ١٩٩٨ م .

١- أحمد صلاح لجمعة هريدي علي (٥) - ١٩٩٨ م .
٢- أحمد صلاح لجمعة هريدي علي (٥) - ١٩٩٨ م .
٣- أحمد صلاح لجمعة هريدي علي (٥) - ١٩٩٨ م .
٤- أحمد صلاح لجمعة هريدي علي (٥) - ١٩٩٨ م .
٥- أحمد صلاح لجمعة هريدي علي (٥) - ١٩٩٨ م .

أحمد صلاح لجمعة هريدي علي (٥) - ١٩٩٨ م .

١- أحمد صلاح لجمعة هريدي علي (٥) - ١٩٩٨ م .
٢- أحمد صلاح لجمعة هريدي علي (٥) - ١٩٩٨ م .
٣- أحمد صلاح لجمعة هريدي علي (٥) - ١٩٩٨ م .
٤- أحمد صلاح لجمعة هريدي علي (٥) - ١٩٩٨ م .
٥- أحمد صلاح لجمعة هريدي علي (٥) - ١٩٩٨ م .

أحمد صلاح لجمعة هريدي علي (٥) - ١٩٩٨ م .

١- أحمد صلاح لجمعة هريدي علي (٥) - ١٩٩٨ م .
٢- أحمد صلاح لجمعة هريدي علي (٥) - ١٩٩٨ م .
٣- أحمد صلاح لجمعة هريدي علي (٥) - ١٩٩٨ م .
٤- أحمد صلاح لجمعة هريدي علي (٥) - ١٩٩٨ م .
٥- أحمد صلاح لجمعة هريدي علي (٥) - ١٩٩٨ م .

أحمد صلاح لجمعة هريدي علي (٥) - ١٩٩٨ م .

١- أحمد صلاح لجمعة هريدي علي (٥) - ١٩٩٨ م .
٢- أحمد صلاح لجمعة هريدي علي (٥) - ١٩٩٨ م .
٣- أحمد صلاح لجمعة هريدي علي (٥) - ١٩٩٨ م .
٤- أحمد صلاح لجمعة هريدي علي (٥) - ١٩٩٨ م .
٥- أحمد صلاح لجمعة هريدي علي (٥) - ١٩٩٨ م .

أحمد صلاح لجمعة هريدي علي (٥) - ١٩٩٨ م .

١- أحمد صلاح لجمعة هريدي علي (٥) - ١٩٩٨ م .
٢- أحمد صلاح لجمعة هريدي علي (٥) - ١٩٩٨ م .
٣- أحمد صلاح لجمعة هريدي علي (٥) - ١٩٩٨ م .
٤- أحمد صلاح لجمعة هريدي علي (٥) - ١٩٩٨ م .
٥- أحمد صلاح لجمعة هريدي علي (٥) - ١٩٩٨ م .

أحمد صلاح لجمعة هريدي علي (٥) - ١٩٩٨ م .

الدولة العثمانية وتكتسب من إقامة مراكز تجارية ومخاضات قنصلية خاصة بهم في سوريا ومصر (٨) . ثم أصبحت هذه المعاهدة مجرد تلقائياً كلما ارتقى عرش الدولة سلطان جديد . وقد أرسى هذا التقليد السلطان محمود الأول (١٧٣٠ - ١٧٥٤) عام ١٧٤٠م اعتراضاً منه بفضل فرنسا حين تدخلت لتصلها في بلجراد إليها . حالة الحرب بين الدولة العثمانية والروسيا وكان من نتائج مساعيه إبرام معاهدة بلجراد في شهر سبتمبر عام ١٧٣٩م (٩) .

ومنذ عهد لوي الرابع عشر كان لينتز Libinz قد شرح منذ عام ١٦٧٦م فكرة تعاون ملك فرنسا مع الإمبراطور النمساوي لمحاربة الدولة العثمانية وكان يهدف السماح لفرنسا بالحصول على مصر في هذه الحرب لتكون نصرة الصليب على الهلال . وفي مقابل توجيه مجهودات لوي الرابع عشر بعيداً عن الحدود الغربية للأقاليم الأتالية . ولكن الوزير الفرنسي علق على ذلك بأن مشروعات الحروب الدينية قد فقدت جدتها منذ عهد القديس لوي (١٠) .

ولكن أظن لوي الرابع عشر وحكومته توجهت في فترات مختلفة . صوب مصر لاحتلالها بقوات عسكرية لتفتح طريق تجارى لفرنسا فيها يربط قيساً بين الإسكندرية والروس . ولقد حاول السفراء الفرنسيون في استانبول أن يحصلوا على تصريح من الباب العالي بسير السفن الفرنسية إلى البحر الأحمر . وعلى وعد منه بحماية قوافل التجارة التي تمر بالقاهرة عابرة بين البحرين والأحمر والمتوسط . ولكن معارضة كل من الباب العالي والسلطات الموجودة في مصر ، كانت قوية لشل هذه المشروعات (١١) بالإضافة إلى تأييد بريطانيا لسياسة الحظر التي فرضتها الحكومة العثمانية وهي منح السفن المسيحية من التجارة في شمال البحر الأحمر (١٢) .

وقد اهتمت فرنسا في القرن السابع عشر بأحباش ، طريق مصر البرى كى تنجح في المنافسة التجارية والسياسية بينها وبين إنجلترا وهولندا الثتان تتنازحان السيطرة على الطرق البحرية حول أفريقية . فسمت لدى السلطان العثماني ليوافق على فتح طريق مصر التجاري . وتمكنت في أواخر القرن السابع عشر نيسا بين سنتي ١٦٨٣ - ١٦٨٦م من الحصول على أوامر من الباب العالي إلى السلطات المصرية باحترام الامتيازات التي فتح بها الفرنسيون في الدولة العثمانية منذ القرن السابق وتخفيض الضريبة على البضائع المنقولة من السويس إلى البحر المتوسط إلى ١/٣ من قيمتها . فتوقفت العلاقات بين الموانئ الفرنسية على البحر المتوسط وبين مصر (١٣) .

السلطات العثمانية وتنظيم إقامتهم في أنحاء أو خانات خاصة بهم وعدم السماح بكنائسهم وعدم فرض ضرائب عقارية عليها ومنع السفن العثمانية التي تقوم برحلات بحرية بين استانبول وموانئ الشام ومصر من عرقلة نشاط السفن الفرنسية التي تعمل على هذه الخطوط الملاحية (١٤) .

وكان إبرام هذه المعاهدة مشجعاً لملك فرنسا ترانسوا الأول والسلطان سليمان القانوني ، نظراً للعلاقات الودية الوثيقة بينهما . على عقد معاهدة أكثر شمولاً عرفت باسم " معاهدة صداقة وتجارة بين الإمبراطورية العثمانية وفرنسا " وقد عقدت في شهر فبراير عام ١٥٣٥م . وتقرر منح تجار فرنسا وسائر رعاياها الذين ينهبون إلى أقاليم الدولة العثمانية شتى الامتيازات في مقابل منح الرعايا العثمانيين امتيازات مماثلة (١٥) .

وأصبح التجار الفرنسيون يشتركون مع مصر البضائع المحلية وبخاصة الأرز والقمح والزعفران . والتتبات اللازمة لصناعة البارود . وأثار ذلك اهتمام الفرنسيين وكانوا يواجهون متاعب ضخمة في تسيير موارد كاثية خلال القرن الثامن عشر . حيث اتضح لهم أن البارود الذي كان يصنع في القاهرة من نوع جيد كما كانت تكلفته في تلك الفترة عكس الحال في فرنسا قبل الثورة . وكانت طريقة تصنيع البارود في مصر هي نفس الطريقة المستخدمة في أوروبا (١٦) . وكذلك السلع الآتية من داخل أفريقيا وهي الصبغ والماج وريش النعام والشر والصلح الآتية من بلاد العرب والهند وهي البن والصبغ والعقاقير والبخود . وكان المصريون يستوردون من فرنسا الجرح والمتسرجات الفرنسية والطرايش والنظب والمنظور (١٧) بالإضافة إلى ذلك الأسلحة (١٨) .

وكان القنصل الفرنسي يحصل رسوماً على جميع البضائع التي يتم شحنها ومعاون القنصل في ذلك مندوبان ومجموعة من الموظفين من بينهم جراح وعطار وصيدلي (١٩) .
ولقد كان الفرنسيون يقيسون في القاهرة في الأريكة ويمشرون في حي الأفرنج الذي يتم خلقه أثناء الليل بواسطة باب كبير . وفي الإسكندرية ورشيد يتجمعون داخل وكالة حيث يوجد بوسطها فناً محييط به مخازن ودكاكين في الدور الأرضي في حين توجد المساكن في الدور العلوي . وفي الليل يتم غلق باب الوكالة على سكانها وكذلك أيام الجمع أثناء العيالات (٢٠) . وخصص لهم بجمار الحان أو الوكالة أرض لغرف موتاهم . إلى غير ذلك من امتيازات تقربت في هذه المعاهدة لرعايا فرنسا . واستمر تغفل الفرنسيين بسرعة في داخل

ولقد بدأ عقد الستينات من القرن السابع عشر بحدثين هامين أحدهما خارجي والآخر داخلي، وهذان الحدثان كانا من السمات الهامة التي تميز بداية الفترة الخاصة بالقرن الثامن عشر . أما الحدث الخارجي فيمثل في ذلك الصراع الذي وقع بين إنجلترا وفرنسا (١٧٥٦ - ١٧٦٣م) فيما يعرف بحرب السنين السبع . حين تعرضت فرنسا لهزيمة ساحقة ترتب عليها أن فقدت الجزء الأكبر من إمبراطوريتها الواسعة فيما وراء البحار . كما ظهر ضعفها البحري خلال الحرب وقد اتجهت فرنسا بعد هذه الهزيمة إلى مصادر المواد الخام القريبة منها . والتي لم تتنازل بعدها . أكثر من اهتمامها بالعالم الجديد . فكانت مصر وشمال أفريقيا من المناطق التي حظيت باهتمامها . أما الحدث الداخلي فتمثل في ظهور البكرات في شكل تجمع شبه مستقل من القاطنين ذا نزوع قوي نحو التجارة وهو ما كان مؤثراً على انهيار النظام العسكري القديم ، والتي كان يتصف بالقدم والجسود . ولقد كان لا يتباطأ هذين العاملين أثر إلى حد كبير في الكارثة التي حلت بالقطاعات الوسطى المعلمة وكذلك بالحرفيين (١٤٤) .

ونتيجة للإزمة الاقتصادية التي حدثت في فرنسا في الفترة ما بين سنتي ٧٨٧ - ١٧٨٩ . فقد كانت مصر تمثل لفرنسا مخزناً للحبوب في حين أنها لم تكن كذلك في حرب السنين السبع . وكانت وأروات فرنسا من الشرق الأدنى حتى منتصف القرن السابع عشر . إلا أنه مع سنوات القرن الثامن عشر يمكن اكتشاف حركة تفاعل فرنسية واسعة وطويلة في مصر . وكان اتجاهها واضحاً . ففي الواقع طورت فرنسا نهجاً جماعية محلية لنقل تجارتها . وقامت بدعم هذه الطائفة من التجار ، وهم المسيحيين السوريين الذين هاجروا حديثاً إلى مصر . وأحلتهم فرنسا محل التجار اليهود المصريين الذين يحظون بحماية البندقية بصفة شخصية .

لقد كان الدعم الأسماس الذي كان في استطاعة فرنسا أن تقدمه بفضل وضعها التجاري في مصر هو الحماية التفصيلية التي كانت تقدمها لمن تشاء . من التجار . وهذا الوضع التمييزي الذي تمتع به التجار الأجانب منحهم وضعاً متميزاً في مواجهة التجار المصريين المحليين ، لقد كان هذا التاجر في وضع من يستمتع بالامتيازات الأجنبية تيدفع النصف أو أقل مما يدفعه التاجر المسلم المصري من الضرائب المركبة وظلت جماعية من التجار المصريين عاجزة عن تحقيق سيطرتها مرة أخرى على تجارتها مع أوروبا حتى القرن العشرين ومن السوريين المعروفين والذين عملوا مع الفرنسيين ميخائيل فخري . ويوسف بطار . وفي عام ١٧٦٩م سيطر فخري والدين على جمارك ومياط . وكان نتيجة ذلك أن فقد البنادقة نفوذهم في مياط . ووقع فخري تعريفة الاستيراد على تجارة البندقية التي كانت تفرض عادة على السلع الأوروبية إلى ٥٪ .

ولقد مرت مصر بتغييرات سياسية مهمة مثل ظهور علي بك وقيام المناقش بينه وبين محمد بك أبو الذهب . ومثل للمعاراة التي قام بها الباب العالي عندما أرسل حملة حسن باشا للقضا . على مراد بك وإبراهيم بك اللذين هربا إلى الصعيد وتولى مناقسهما إسماعيل بك منصب شيخ البلد . ولكنهما عادا مرة أخرى وظلا يحكمان مصر حتى مجيء حملة نوبارت . وفي هذه الفترة أيضاً حدثت تطورات سياسية مهمة في منطقة الشرق الأدنى . ففي عام ١٧٩٨م انتصرت روسيا في حربها مع الدولة العثمانية . وبتقتضى معاهدة كوتشك قينا رجم في عام ١٧٧٤م . فقد العثمانيون شبه جزيرة القرم . ومناطق أخرى ألت إلى روسيا . وفي عام ١٧٨٧م تحالفت كل من النمسا والروسيا ضد الدولة العثمانية . وتم عقد الصلح مع النمسا في عام ١٧٩١م ومع روسيا في عام ١٧٩٢م بتوقيع معاهدة جاسي Tassy على أساس أن تتنازل الدولة العثمانية عن بعض ممتلكاتها لهاتين الدولتين (١٤٥) .

ولقد أثبتت هذه الحوادث أن أية معاراة تقوم بها أي دولة أوروبية لاحتلال مصر لن تلقى مقاراة فعالة من جانب الدولة العثمانية أو من جانب مصر . وطالب عدد من الناس الحكومات الفرنسية المتعاقبة باحتلال مصر ولم تدفعهم الأسباب التجارية إلى المطالبة مثلما أثرت فيهم الرغبة في إخراج بريطانيا في الهند . ومكان مناسب لفرنسا في حالة تقسيم ممتلكات الدولة العثمانية (١٤٦) .

وبالنسبة إلى سياسة كل من مراد بك وإبراهيم بك تجاه التجار الفرنسيين نجد أنهم ضحعا بالتعديرات المفروضة من جانب البكين وخاصة أن القنصل الروسي البارون دي تونوس Baron de Thonus يقوم بدور تحريضي . فبان مراد بك (وهو من أصل روسي) طالب التجار الفرنسيين وبالطاح يدفع نحو ثلاثمائة ألف من العملة الفرنسية ecus . ويعتبر هذا المبلغ ضخماً في ذلك العصر . ولقد عجز التجار الفرنسيون عن دفعه (١٤٧) . كما أنه أنشأ ديواناً سمي " ديوان البدعة " في رشيد . وفرض عن طريقه دتاراً على كل أردب من القمح يصدر إلى الخارج . غير ما كان يتقاضاه . هو ورجاله من الرشاوي (١٤٨) . ويبدو مور Mare قنصل فرنسا عاجزاً عن التصدي لهذا الوضع ويرجع ذلك الدور غير العادي إلى شارل مجالون وهو أحد عملي الجالية الفرنسية منذ عام ١٧٦٨م . وفي عام ١٧٧١م يستقر في مصر وعمل لحسابه الخاص . وكانت زوجته تقوم بتجارة الأقمشة . وهو ما يسمح لها بالاتصال بنساء المالكة الأعلى مكانة (١٤٩) .

وتوسط زوجة مجالون بصورة منتظمة لدى الست نفيسة - زوجة مراد بك - وتحصل في أغلب الأحيان على تخفيضات للتهديات التي يتعرض لها الفرنسيون . وفي عام ١٧٧٧م أثر الهمة التفقدية التي قام بها البارون دي توت De Tott والمكلف في واقع الأمر بدراسة إمكانية الاستيلاء على مصر . يجري نقل قضية القاهرة إلى الإسكندرية وذلك من جراء اعتماد الأمن المهتمين على عاصمة مصر . ولا يؤدي ذلك إلا إلى تعزيز دور مجالون . وفي عام ١٧٨٥م يوقع البهكان مع اليموت الفرنسي تروجه Trugot معاهدة تسمح للفرنسيين بالملاحة في البحر الأحمر . ومن المؤكد أن دور مجالون . في المسألة دور مهم . لقد شغل إلى حد ما المكاتب التي كان يتفتح بها روزني عند على بك .

وفي عام ١٧٨٦م . يصل مراد بك إلى الإسكندرية . ويزيد التعديلات المفروضة على التجار الفرنسيين ويهدد بهم كنيستهم . بل وصل بهم الأمر بإبعاد من روسيا بتعظيم دير فرنسي . دير آباء الأرض القديسة القديسة Terrou Saint Couvent De Pére de la Terre . ويطلب القنصل عون سفارتهم في استنبول ومن جديد تتوسل زوجة مجالون إلى الست نفيسة التي تدخل لدى زوجها وتتوصل إلى وضع حد للتعديلات . لكن السفراء الأديبين في استنبول كانوا قد احتجوا احتجاجاً شديداً بالفعل لدى الباب العالي وطلبوا مراعاة آداب الاحتميازات (١٦) . وانتهز الباب العالي الفرصة لكي يظهر سلطته في تلك الولاية التي بدت منذ عهد على بك الكبير في إظهار قوتها على الدولة فصدرت التعليمات إلى حسن باشا بإعداد الأسطول وأن يتولى الحملة البرية التي منتقل إلى مصر (٢٢٢) .

إن الإمكان الكبير للتجار الفرنسيين أصبح شيئاً بشكل مطرد . قام مجالون بالسفر إلى باريس لنقل شكايات زملائه فتم تعيينه في ٣٠ يناير ١٧٩٣م قسلاً للجمهورية الفرنسية في القاهرة . وعندما وصل إلى مقر منصبه فإنه يصطدم بمعاودة كارلو روزني المستشار السابق لعلى بك والذي أصبح وكيلاً قسلاً لإمبراطورية النمسا وعاد إلى القوز بحظوة المسالك ويكسب شارل مجالون ثقة الست نفيسة . لكن ذلك لا يكفي وفي عام ١٧٩٤م يتقل مجالون القسولية التي كان قد أعيد فتحها في القاهرة إلى الإسكندرية لتجنب ضراوة الأمر . وعندما فشلت جميع التدخلات الدبلوماسية يصبح مجالون نصيراً لحملة فرنسية وسافر لتأييد هذه القضية في يوليو ١٧٩٧م في اللحظة ذاتها التي يبدأ في التيران في طرح للتوسيع (٢٢٣) .

وكان مشروع هذه الحملة - حملة حسن باشا - يؤثر على مصالح الدول الأوروبية في مصر . وكان مراد بك وإبراهيم بك قد وقفا في سنة ١٧٨٥م مع القائد فرجيه Turgot على معاهدات تهدف تسهيل اتصال فرنسا بالهند والشرق الأقصى عن طريق السويس . ولذلك فإن مغير فرنسا في استنبول كان يربح في بقا . إبراهيم بك ومراد بك في السلطة . حتى بعض تنفيذ الاتفاقيات . وإلى منع السفن الفرنسية من الدخول إلى البحر الأحمر من جديد . وحاول كل من هذين السفيرين التقرب إلى القبطان باشا . وأن يشرح له وجهة نظره . وقد قدم له مغير فرنسا ساعة فاخرة ولكن حسن باشا استمر في إعداد الحملة بعد قبول الهدية . وشعر البكوات بالخطر الذي أصبح يهددهم . وكان مراد بك قد بدأ في هدم الدير الفرنسي - كما سبق أن ذكرنا - فعاد إلى شانه على نفقته وأرسل خطابات اعتراف لرئيس الجالية الفرنسية في مصر . وللصغير الفرنسي في استنبول . كما أرسل مراد بك وإبراهيم بك خطاباً إلى الباب العالي يحثان عن ولائهما للدولة العثمانية . ويعلمان بدفع ما تأخر عليهما من الجزية السنوية . ومعنى ذلك أنهما قد امتسما . ولكن السلطان عرض الموقف على مجلسه المخصص . ثم رفض الاستماع إلى مكاتبات البكوات . وتقرب إرسال الحملة (٢٤١) .

أرسلت الدولة العثمانية حملتها تحت قيادة حسن باشا . ووصلت رشيد في يوليو ١٧٨٦م . واعتقاداً منهما أن الفرنسيين يحسبون السنولية عن هذا التدخل . يطالب البكوات إلى مجالون عبر الست نفيسة التدخل لدى قنصل فرنسا حتى يتوصل إلى وقف الحملة العثمانية . وهم يعلمون أن دوافع العثمانيين أكبر أهمية بكثير من شكايات التجار الفرنسيين على أن فكرة عمل مشترك من جانب الباب العالي والفرنسيين ضد المسالك تبدو ووجهة في نظر البكوات . وسوف نجد هذه الفكرة من جديد في عام ١٧٩٨م .

أما فيما يتعلق بك مجالون فسوف يتعرضون للغراب من جراء الشروع . لأن لهم ديونا تزيد عن خمسمائة ألف جنيه مستحقة على البكين الرئيسي (٢٥١) .

أما إنجلترا فقد أظهرت منذ تأسيس شركة الهند الشرقية East India Company نسي بداية القرن السابع عشر . وحتى قيام الإمبراطورية البريطانية في الهند نتيجة حرب السنوات السبع . أظهرت اهتماماً رسمياً قليلاً تنسب التجارة الشرقية عبر الطريق البري على الرغم من أن التجار الإنجليز قد أقاموا في مدينة حلب وفي أسواق أخرى من اللبانات . ونتيجة لتوقيع معاهدة الامتيازات الإنجليزية مع الباب العالي في عام ١٥٥٠م فتح التجار الإنجليز

وكان رد الفعل لعقد المعاهدات الى عقدت بين فرنسا وبين الأمراء - المماليك لدى إنجلترا بأنها بدأت تهتم بالمخططات الفرنسية في مصر ، كما كان لاهتمام التجار البريطانيين بالتجارة بين مصر والهند ، أثر في موقف الحكومة البريطانية ، ولقد قام بلديون منذ عودته إلى إنجلترا في عام ١٧٧٩م بعرض هذه المسألة على الوزراء وعلى المستشارين في الحكومة البريطانية . وعندما علمت الحكومة بتوقيع عقد المعاهدات الثلاث أرسل دناس Dundas رئيس حكومة شركة الهند الشرقية إلى بلديون ليشيره في الأمر وود عليه بلديون بمذكرة بعنوان " تأملات عن موقع مصر ومواردها " . ولقد حضر دناس من المطامع الفرنسية في مصر وأكد أهمية مصر بالنسبة لإنجلترا وصلاتها التجارية والسياسة بالهند (١٧٩٦) .

ولقد اهتمت الحكومة الإنجليزية بآراء بلديون وأعادت فتح القنصلية الإنجليزية في مصر وعينت بلديون نعتلاً عاماً في عام ١٧٨٦م . وأعطى له تفويض بالتفاوض مع البكوات الماليك لإبرام معاهدة تجعل الرعايا الإنجليزي في مصر على قدم المساواة مع الفرنسيين ، ولكن سره العلاقات بين إنسلي وبلديون أثر في إغلاق القنصلية الإنجليزية مرة أخرى في عام ١٧٩٣م ، وأقالات بلديون من منصبه . وفي ذلك الوقت أعلن بلديون عن توقيع معاهدة مع مراد بك على عقد معاهدات تروجية عام ١٧٩٤م . وقد بك بلديون تصاري جهده لكي تعدل الحكومة البريطانية عن قرارها وتنتظر إلى هذه المعاهدات بعديّة تامة . واستمر بلديون يحث إنجلترا من مخططات فرنسا الخاصة بمصر ولكن دون جدوى اضطر إلى مغادرة مصر في عام ١٧٩٦م ، ولكن عاد بلديون مرة أخرى إلى مصر مرافقاً للحملة الإنجليزية التي جاءت إلى مصر وإخراج الفرنسيين منها . على أية حال لم تهتم الحكومة الإنجليزية بتلك المعاهدة لانشغالها بالحرب منذ عام ١٧٩٣م ضد حكومة الثورة في فرنسا (١٣٠١) .

ولقد كان لتقارير وكتابات رجال السياسة الذين خدموا في استانبول أو القاهرة ثم أولئك الرجال ، الذين زادوا مصر ، ويمكن أن نطلق عليهم الرجال الجواسيس مثل فولني وتوت وسافاري وأوليفيه أكبر الأثر . في كشف القناع عن حالة الإمبراطورية العثمانية من جهة ، وتوجيه نظر مواطنيهم إلى مصر إحدى ولايات هذه الإمبراطورية من جهة أخرى (١٣١) . فقد اهتموا بدراسة أحوال مصر . وقد أوفدت حكومة الإدارة أوليفيه ليضع اللمسات الأخيرة لاحتلال مصر ، فقدم وصفاً عن تحصيناتها العسكرية (١٣٢) ، وكان كتابه الرحالة الثلاثة دي توت Savary وفرلني Volney الذين ظهرت كتبهم وأسفارهم بين عامي

في الأراضي العثمانية بنسب الامتيازات التي حصل عليها التجار الفرنسيون وتكررت تسمية لذلك شركة اللسانت الإنجليزية لتنمية التجارة الإنجليزية في شرق البحر المتوسط . على أن مركز بريطانيا التجاري الذي حصلت عليه لم يكن نتيجة للنشاط الدبلوماسي الذي قام به سزاؤها في استانبول أو قنصلها في مصر (١٣٦) .

وفي خلال القرن السابع عشر والنصف الأول من القرن الثامن عشر كان في مصر قنصل إنجليزي يقم بشكل غير منتظم ، إلا أن ذلك لم يمنع من أن يتفوق عليه زميله الفرنسي الذي كان يجتمع في القنصل على بعض الامتيازات كاحتكار التجارة الأجنبية وحماية الرعايا الأجانب ، أما البريطانيون فقد اهتموا بمرقة جهود الأجانب في الحصول على الامتيازات أكثر من أن يوجهوا اهتماماً جدياً بوضع التجار الإنجليزي القلائل المرجوذين بمصر . فبعد أن نشر جوناً كتابه مباشرة ، عينت الحكومة النسائية مواظناً بريطانيا يدعى لانتر Lunters ومولاً لها في مصر ، ولكن القنصل الإنجليزي في مصر قام بناء على تعليمات من السفير الإنجليزي في استانبول بتحويل بعض السلطات العثمانية في مصر على طرد لانتر منها . وفي عام ١٧٥٦م كان القنصل البريطاني في القاهرة هو الراطن الإنجليزي الوحيد القيم في هذه المدينة ، لأن إنجلترا أهدت طريق البحر الأحمر ، ولم تكن لها تجارة في هذه المنطقة ولذلك طلب القنصل إعفاءه من منصبه عام ١٧٥٩م ، وأطلقت القنصلية أبوابها واحتمل النشاط التجاري الإنجليزي قائماً في مصر ، وساعد على ذلك انشغال إنجلترا في حرب السنوات السبع (١٧٥٦-١٧٦٣م) (١٣٧) . فقد كانت معاهدة باريس ١٧٦٣م نقطة تحول في نظرتها إلى الطريق البري عبر مصر ، لأن تلك المعاهدة أطلقت يد إنجلترا في الهند ، فاقصر اهتمام الحكومة الإنجليزية على إيجاد أطول الطرق وأقصرها لنقل الراتل والتعليمات والجنود بين الهند وإنجلترا إذا كانت الرحلة من مدراس إلى لندن بالطريق البري عبر مصر تستغرق حوالي ثلاثة وسعين يوماً أي ربع مدة الرحلة بطريق رأس الرجاء الصالح تقريباً ، ولذلك نجد أن الحكومة الإنجليزية لم تنظر بعين الارتياح إلى المفاوضات التي قام بها بعض الأبرار البريطانيون لنقل التجارة الإنجليزية عبر مصر لأن هدفها الأساسي لم يكن الناحية التجارية ، بل الوصول إلى مستعمراتها في الهند وعلى ذلك لم يكن هؤلاء البريطانيون في نظرها سوى جماعة من الغاصبين (١٣٨) .

تجارة اللبانات أو حوض البحر المتوسط الشرقي ، بل في استطاعة فرنسا أن تسيطر على تجارة الهند كذلك إذا هي أنشأت قناة تصل بين البحر الأحمر والنيل عند فرع دمياط . أو عملت لإحيا ، الطريق البري بين السويس والقاهرة ، الذي سوف يسهل على فرنسا إذا تقرب فتح مصر أن تتفرج بما كان يلحقه البكرات المساليلك من أذى بالتجارة الفرنسية للإقدام على غزو هذه البلاد ، وسواء رجحت فرنسا في العمل متفردة ، أم إذا استعانت بالنساء لقاء ، تأيد أطباعها في استانبول ، فإن الغزو يكون سهلاً ميسراً بسبب فوضى حكومة المساليلك في مصر ، وضمف التحصينات القائمة على الشواطئ ، المصرية الشمالية في الإسكندرية وأبي قهر ووشيد ومهاط خاصة (٣٦) .

واعتقد دي تورت أن احتلال مصر يكفي لضمين فرنسا عن كل خسارة قد تصاب بها إذا قدر لها أن تفقد جميع مراكز تجارتها في اللبانات . وعقد دي تورت موازنة بين احتلال كريت والاندلس ، على مصر ، فخلص من هذه الموازنة إلى أن مصر مستعمرة مثالية خصوبة أرضها وصالح مناخها لإقامة المستعمرين الفرنسيين ، وقربها من فرنسا وقلة النفقات اللازمة لإجسا ، المصلات الدقيقة بينها وبين أرض الوطن وسهولة الدفاع عنها ، هذا بجانب ما يعينده لها موقعها الجغرافي من إمكان تركيز النشاط التجاري بها ، فلا تتوزع فرنسا فتراتحها في أماكن بعيدة متفرقة ، بل يصبح في استطاعتها أثناء أن تشرف من مصر ذاتها على سورت تجارتها في اللبانات وبلدان وجاقات القرب المعروفة (طرابلس وقوتس والجزائر) .

وقضلاً عن ذلك فإن فرنسا لن تلق مقاومة من جانب الدولة العثمانية أو الدول الأخرى لأن الدولة العثمانية مشغولة بنفساتها لتستمر مع روسيا ، وهو تضال أنك قواتها حتى باتت عاجزة عن اللخول في حروب أخرى جديدة . ولن يقدم الإنجليز على مناوأة فرنسا بسبب ما تكبره من خسائر في أثناء نزاعهم الطويل مع الولايات المتحدة الأمريكية . ولا كان الإنجليز يعمون دائماً انتزاع المستعمرات الفرنسية من أصعابها ، فإن احتلاك مصر سوف يعرض فرنسا كذلك عن أية خسائر قد تلحق بها على أيدي الإنجليز في مستعمراتها الباقية ، أضف إلى هذا أن الاندلس ، على مصر سوف يفوت على روسيا من جهة أخرى فرصة الاستئثار بتجارة الخرب ويحد من أطباعها ، إذا أن استقرار الفرنسيين بهذه البلاد من شأنه أن يصرف روسيا عن محالة التوسع ، ومد نفوذها إلى البحر المتوسط بمد محاولة الاندلس على استانبول وبحر الأرجيل (٣٧) .

١٧٨٤ - ١٧٨٨ م . أهم ما عنى الفرنسيون بدراسته في السنوات القليلة التي سبقت مباشرة مجيء الحملة الفرنسية إلى مصر (٣٦) .

وبذلك ساهمت كتابات وحالة القرن الثامن عشر في مجيء الحملة الفرنسية على مصر ، فقد حشوا حكومة بلادهم على ضرورة الاستيلاء على مصر للحصول على ثروتها الاقتصادية والإفادة من موقعها الجغرافي الهام ، وإحياها ، فكرة وصل البحر بين الأحمر والمتوسط لتعم الفائدة الاقتصادية والتجارية على فرنسا . حقيقة أن فكرة احتلال مصر ظهرت أيضاً بين الرحالة الفرنسيين خاصة الأب كوپان Coppin في القرن السابع عشر الذي دعى لإعلان الحرب الصليبية على الدولة العثمانية وتقسيم ممتلكاتها على أن تكون مصر من نصيب فرنسا . ولكن اختلف الوضع في القرن الثامن عشر فدعوة الفناصل والرحالة لاحتلال مصر جاءت نتائجها سريرة وحاسمة بدليل ما ذكره قادة الحملة الفرنسية وتأكيدهم بأنه " لولا كتابات سافاري Savary وجرانجيه Granger وفراشي Volney وأوليفيه Olivier لما فكنا من معرفة مصر قبل أن نعلم على غزوها (٣٤) .

لقد قدم رحالة القرن الثامن عشر وصفاً دقيقاً تفصيلياً عن أحوال مصر السياسية والاقتصادية والاجتماعية واختلف وصفهم لشعب المروج السريع لن سبقهم ، ويكفي أن العديده منهم قد تمكن من التوغل لأول مرة في صعيد مصر ، فسطروا مشاهداتهم عن أهم الآثار فيه ، وكدموا رسوماً دقيقة عنها ، وإن كانوا قد وقعوا عاجزين عن قراءة النقوش المسجلة على هذه الآثار .

واستطاع هؤلاء الرحالة التعرف على أحوال مصر في الفترة من عام ١٧٧٤ - ١٧٨٩ م من خلال رسائل القنصل الفرنسي مور More إلى السفير الفرنسي في استانبول ، وفيها أتى الضوء على محاولات الفرنسيين للاتفاق مع المساليلك وعقد المعاهدات التجارية معهم وتفتح طريق البحر الأحمر للسفن الفرنسية (٣٥) .

وكان البارون دي تورت Tott من بين أولئك الرحالة الذين زاروا في مهمات رسمية للدولة العثمانية كل من مالطة وكريت ومصر إلى غير ذلك من الأقطار والبلدان ، وقدم تقارير إلى حكومتها ، وقد نشرت في عام ١٧٨٤ م " مذكراته التي دونها في أثناء رحلته " واعتقد دي تورت كما اعتقد سانت بويست والقنصل مور أن الدولة العثمانية آيلة للسقوط لامحالة وفي وقت قريب ، كما كان يرى أن الواجب يقتضي فرنسا أن تحتل مصر ، إذا هي شامت الاستئثار

الأموال ، وإزالة المسارىء التى ذبح الفلاحون تحت كلها ، حتى تحرد من سيادة العثمانيين حتى تتولى تدبير شئوننا ، دولة أخرى تشر بالمطغ على المصريين ، وتحمل لهم رداً وصداقة على شرط أن تكون كذلك دولة متحضرة ذات نهضة أدبية علمية فنية ، حتى يكفها أن تهتم بجزات المصريين القديم ، وتغنى بالبحث عن آثارهم المفقودة فى الدنيا والتعبيد وتكشف عن رموز الكتابة الهيروغليفية .

وقد ذاع الاعتقاد بعد نشر هذه الرحلة أن صاحبها إما يقصد فرنسا عندما تحدث عن الدولة المحمدية المتحضرة التى يجب أن تحمل مصر حتى تشمل الفلاحين والمصريين من حياة البؤس والشقاء التى ذاقوا مرها فى ظل السيادة العثمانية ، وقد صادف ذبح هذا الاعتقاد لاشك هوئى فى نفوس أولئك الفرنسيين الذين كانوا يترقصون انحلال الإمبراطورية العثمانية القريب ، ويريدون الاستحواذ على مصر باعتبارها نصيبهم من تركة هذه الإمبراطورية المنحلة (٤٠) .

ولما كان معنى ذلك أن تبت فرنسا ظاهراً سياستها التقليدية نحو الدولة العثمانية وتقدم على الاشتراك مع غيرها من الدول فى تقسيم ممتلكات الإمبراطورية العثمانية فقد باهر فرنسى فى عامى ١٧٨٨ - ١٧٨٩ بنشر آرائه عن حرب الروس والأتراك العثمانيين ليحرض المزارع ويقوم الحجة على أن روسيا وحدها هى القوة التى يجب أن تترك لها فرصة التصرف كما تريد مع السلطان العثمانى ، وذلك لاعتقاده أن القيصرة كاترين الثانية قيصرة الروسيا هى التى كان فى وسعها أن تنفذ الدولة العثمانية من القروض المنتشرة بها ، حتى إذا فعلت ذلك جنت التجارة الفرنسية فى اللقبات فوائد كثيرة (٤١) .

وهم نولس دعاوى الراغبين فى احتلاك مصر فى أن مصر تنتج المحاصيل التى تحتاج إليها فرنسا كالقمح والأرز والقطن والقنب والنبع وقصب السكر وغير ذلك ، وصحيح أنها ثرية من فرنسا ، والدخايع عنها مضطرب من ، وفى وسع الفرنسيين أن يعبروا بربح السويس فيصلوا بطريق مصر إلى مجارة الهند ، ويمطوا طريق التجارة حول رأس الرجاء الصالح ، ولاشك فى أن احتلال مصر سوف يمكن الفرنسيين من الموصول على السلع المطوية كالعاج والتبر والمطاط والرنين ، وفى إمكانهم كذلك أن يجمعوا بها العمال الذين تستخدمهم فرنسا للاحتفاظ بهذا الجزر فى النهاية ، وعلى الرغم من كل هذه المزاي فإن مصريات عدة سوف تواجه الفرنسيين ، ولا مناص من أن يظفروا عليها أولاً قبل احتلال مصر واستعمارها ذلك أن فرنسا ستجد نفسها مرغممة على خوض حروب ثلاثة مع الأتراك العثمانيين والإنجليز وأهل

وفى عام ١٧٨٦م نشر سافارى Savary و رسائله الشهيرة عن مصر وقد ذكر صاحبها الكثير عن تاريخ البلاد فى عهد سيطرة البكوات المماليك أيام على بك الكبير ومحمد الشىء الكثير ، وأهم ما يسترعى النظر فى هذه الرسائل أنها تتضمن وصفاً شاملاً لمحصنة بك أبى الذهب ، وأهم ما يسترعى النظر فى هذه الرسائل أنها تتضمن وصفاً شاملاً لمحصنة أرض مصر ، وأرض الدلتا والقيوم بوجه خاص ، ودفرة غلاتها الزراعية من القنب وقصب السكر وغير ذلك ، كما أنه وصف أهل البلاد وعاداتهم وأخلاقهم وأساليب معيشتهم ، ودين كثير من أختيار حيلة (القديس لوبس) على مصر وواقعة المنصورة ، ووصف آثار البلاد القديمة (٣٨) .

وبعد عام واحد من نشر هذه الرسائل ، ظهرت رحلة فرنسى فى مصر وسوريا ، يختلف نولس عن سافارى فى أن هذا الأخير نظر بعين المتفائل إلى حالة مصر على الرغم من النوضى التى أضرت بالبلاد ، على حين كان نولس " متشائماً " إذ عمد فى ذلك الجزء اليسير الذى خصصه من نصول كتابه الطويل لدراسة جغرافية هذه البلاد وشئون حكومتها وتجارتها ووصف سكانها ، والأمراض المنتشرة بها ، وما إلى ذلك ، إلى إظهار ماكان عليه الفلاح من بؤس وشقاء بسبب حدوث المجاعات ، وفنك الأربنة به ، وخرج نولس من مشاهداته بأنه ليس من السهل أن يبدي كل إنسان رأيه فى حالة أهل هذه البلاد ، إذ عرف أنهم أجناس مختلفة وضيع متعددة ، وأدرك ما عليه حكومتهم التى لم تدرى شىء عن تلك الهادى ، والتى تفر حفرق الملكية وتحترمها ، إذ تنادى بضرورة تأمين الأفراد على حياتهم وأموالهم وحرياتهم ، ووجد جماعة من الجنود عرفوا بالطغيان ، واشتهروا بالنيل ، يستأثرون بكل سلطة مطلقة ، كما أنه ليس من المبسور أن يعرف المرء مدى ما تتمتع به حكومة البلاد من قوة وبأس ، إذا وقف على مقدار استعمادها الحرس وخبر حال جنودها ، ذلك أنه لا توجد بالبلاد جميعها ، وعلى حدودها بوجه خاص أية للاح أو حصون أو مدافع أو مهندسين ، هذا بينما يتألف أسطولها فى ميناء السويس من حوالى ثمان وعشرين سفينة ذات سلاح ضعيف القبول تحمل ملاحين لا يعرفون كيف يستخدمون هذا السلاح (٣٩) .

والواقع أن مصر فى نظر نولس لم تكن من الناحية العسكرية بالبلد الذى يربيه ، فخلوها من التحصينات المتينة عامة ، ولضعف حامية الإسكندرية خاصة ، وكانت هذه الحامية تتألف من الجنود الإسكندرية الذين نقص عددهم إلى النصف تقريباً ، وكانوا يصفون معظم الوقت فى السجون ولا دراية لهم بفنون الحرب والتعمال وكان من رأى نولس أنه لابد من إصلاح هذه

ضعفها والموثوق المنتشرة بها ، فضلاً عن ذلك فإن البكرات المسالكة الذين يؤمنون هذه الحكومة من الرقيق ، الأجانب ، الذين يكرهون المصريين كراهية شديدة . وعلى ذلك فإن الانتعاش ، على مصر أمر لا مفر منه لخيمة المصالح الفرنسية إذ بات مقروراً لانهيار الإمبراطورية العثمانية (٤٥٤) . ومؤكداً أن فرنسا لن تلقى مقاربة من الخمسة أو الستة آلاف علكون الذين لم يجازوا في حياتهم والذين لا يملكون إلا مدافعاً واحداً (٤٦١) .

وفي عام ١٧٨٣م قام ميود بكتابة تقرير طالب فيه فرنسا باحتلال مصر . وقد دفعه إلى ذلك خوفه من أن النمسا قد تنهز الحرب بين الدولة العثمانية والروسيا وتستولى هي على مصر . أما السبب الرئيسي الذي دفعه إلى اقتراح ذلك فهو إحياء الملاحة التجارية في البحر الأحمر . حتى تتحول تجارة الهند إليه . وكان أهم جزء في تقريره هو القى يوضح فيه الخطط التفصيلية لاستعمار مصر بعد الاحتلال الفرنسي . فتصور عبوة الفلاحين الفرنسيين إلى مصر لزيادة الأرض وتحسين طرق الري ، ونشجيع استيراد البضائع الفرنسية بحظر استيراد المروجيات الصوفية والخربية والقطنية إلى مصر . ماعدا المنوجيات الممنوعة في فرنسا أو التي تنقلها السفن الفرنسية (٤٦٧) .

وخلاصة القول أن ميود لم يفتح احتلال مصر لأسباب تجارية واستراتيجية فحسب . بل وضع في اعتباره أيضاً المسائل الاقتصادية كأن مصر مكاناً لاستيطان العدد الزائد من السكان . وسرفاً لمنتجات فرنسا . أي أن تصحح مصر مستعمرة فرنسية . ولكن الحكومة الفرنسية لم تتخذ موقفاً واضحاً بالنسبة لسأكة احتلال مصر . ولقد استمر شوازل جونيه سفير فرنسا في استانبول خلفاً لسانت بريت في عمل الترتيبات الخاصة لتحسين أحوال فرنسا التجارية . ولاستعادة الحقوق الفرنسية في السوق المصرية . وأخيراً تكمن ضابط بحري فرنسي يدعى دي تروجهية بفضل شارل مجالون الناجر للفرنسي في مصر والشريف على مصالح الفرنسيين في القاهرة منذ انتقال القنصلية الفرنسية إلى الإسكندرية في عام ١٧٧٧م . فكان من عقد ثلاث اتفاقات مع مصر في يناير عام ١٧٨٥م . الأولى مع مراد بك وتعهد فيها مراد بك بصيانة التجارة الفرنسية عند مرادها في مصر وهذه الضريبة على مناجر الهند يقدر $\frac{2}{3}$ للوالي على مصر ، $\frac{1}{4}$ للبيك ، الحاكم $\frac{1}{3}$ فقط إذا كانت هذه المناجر مضمونة إلى فرنسا . وتعهد مراد بك أيضاً بالوصل على استياب الأمن في الطريق بين السويس والقاهرة . وقد وقع على هذه المعاهدة بعد ذلك إبراهيم بك . أما المعاهدة الثانية فكانت مع يوسف كساب

البلاد أنفسهم . ومن المتوقع أن يعظم إقبال الوثنين على معارضة الفرنسيين دون أي تردد . لاختلاف الفرنسيين عنهم في الدين والنهب فضلاً عن ذلك فإن انتصار الفرنسيين في هذه الحرب كلها ليس معناه إذا قدر لهم النصر أن في وسعهم أن ينجحوا كذلك في استعمار مصر . لاختلاف الدين والمبادئ والأخلاق . ثم تصالبا كيف يبرجوا الفرنسيون النجاح وهم الذين اخفقوا في الهند ومدغشقر وجايباتا وجوزن المسيسي . ثم طرأ كذلك عن سان دومينج لأن القنصل في استعمار هذه الجزيرة من جانب الحكومة الفرنسية وكان من رأي فرنسي أن تقصر فرنسا جهودها على تحسين الإنتاج في داخل بلادها إذ كان حوالي سدس أرضها الصالحة للزراعة بوراً . ولا يلتقى عناية . وذلك بدلاً من التفكير في التوسع الخارجي (٤٧١) .

على أن انصراف الفرنسيين عن استعمار مصر كما طلب فرنسي كان معناه أن يرضى الفرنسيون عن طيب خاطر بالتزول عن ذلك المركز الذي أرادوا أن تشغله بلادهم بوصفها دولة كبرى لا تخشى لها عن امتلاك إمبراطورية استعمارية كبيرة . وقد رفض الفرنسيون أن يملأوا ذلك في وقت كان العناء فيه مستحسباً بينهم وبين الإنجليز الذين استولوا في الحرب الماضية على أكثر مستعمراتهم القليلة . وطمح استعمارهم لجأتاً ملحوظاً . على الرغم من فقد الولايات المتحدة الأمريكية . وهلازة على ذلك فقد كان من المتعذر على الفرنسيين أن يبنلوا ظاهرة فكرة الإمبراطورية الاستعمارية عندما كانت مملكاتهم الهاتية في جزر الهند الغربية مهددة بالضياح . لانهيار نظام استعمارهم القديم بهذه الجزر . ولم يصر في الفرنسيين عن الاستعمار في السنوات العتالية إلا اشتمال الثورة الفرنسية في عام ١٧٨٩م . وما توترب على ذلك من حوادث كان أهمها تألب الدول ضد الثورة منذ عام ١٧٩١م . ثم تكون التحالف الدولي الأول ضد فرنسا عقب إعدام الملك في عام ١٧٩٣م . وقيام الاضطرابات والثورات التي سبق وصفها في سان دومينج وشغلوا عن التفكير في إحياء إمبراطوريتهم القليلة (٤٣٦) .

أما تقارير الرسيسين الفرنسيين . فتجد أنه في عام ١٧٧٥م أخبر ميود Mure فنصطل فرنسا في مصر حكومته بأن أبا الذهب كان مستعماً لعقد اتفاق مع فرنسا يسمح لسفن التجار الفرنسيين بالوصول إلى السويس . ولم تهتم الحكومة الفرنسية باقتراح ميود . ولكن بعد ذلك بستين أعيد سانت بريت Saint Priest سفير فرنسا باستانبول وكان من أقوى الوثنين لاحتلال فرنسا لمصر (٤٤٤) . واعتقد سانت بريت أن فرنسا لن تلقى مصعبية إذا حاولت الاستيلاء على هذه البلاد . لأن الإسكندرية مدينة مشهورة ولا وسائل للدفاع عنها بسبب

البحرين، وبدلاً من ذلك اقترح إما إرسال حملة إلى ألبانيا أو إرسال حملة إلى الليغانت لتهديد مركز بريطانيا في الهند. وفي ١٧ أبريل عام ١٧٩٨ قررت حكومة الإدارة غزو مصر، وصدرت التعليمات إلى نابليون بونابرت بتجهيز الحملة وتيادتها. ولقد اتهمت حكومة الإدارة في قراراتها التي أصدرتها بكونها الميالك، بالتحالف مع البريطانيين، وأنهم تشجعة لذلك قد ضيقوا الخناق على المصالح الفرنسية وعاملوا الرعايا الفرنسيين معاملة سيئة. ولقد تعرض البيان إلى الاحتلال البريطاني لرأس الرجاء الصالح وعرقلة وصول الفرنسيين إلى الهند، وطلب من نابليون ضرورة فتح طريق آخر إلى الهند (١٥١).

وهكذا كان الوجود الفرنسي في مصر في القرن الثامن عشر. مثلاً في التجارة والرحالة والسائين الفرنسيين الرسميين أكثر الأثر في قيام الحملة الفرنسية على مصر عام ١٧٩٨ م.

١٥١ - ...
 ١٥٢ - ...
 ١٥٣ - ...
 ١٥٤ - ...
 ١٥٥ - ...
 ١٥٦ - ...
 ١٥٧ - ...
 ١٥٨ - ...
 ١٥٩ - ...
 ١٦٠ - ...
 ١٦١ - ...
 ١٦٢ - ...
 ١٦٣ - ...
 ١٦٤ - ...
 ١٦٥ - ...
 ١٦٦ - ...
 ١٦٧ - ...
 ١٦٨ - ...
 ١٦٩ - ...
 ١٧٠ - ...

ملتزم الجمارك العام، وفيها تعهد يوسف بعلم زيادة الرسوم على التاجر الفرنسية وتحصيل ٥٠٪ فقط من قيمة الجمارك الخفية في السويس، وكانت المعاهدة الثالثة مع الحاج ناصر الدين شديد أحد شيوخ الأعراب، وفيها تعهد بتقل التاجر الفرنسية بأمان عبر طريق الصحراء، بينة السويس والقاهرة نظير مبلغ عن كل جمل (٤٨١).

وفي نفس الوقت لم تمنع اتفاقيات ترويض مراد بك وإبراهيم بك من الغنى في المقالم وأرباحا للتجار الفرنسيين الذين تعددت شكائهم، ورغم المشروعات التي قدمت للحكومة الفرنسية لاحتلال مصر، فلم تهب الحكومة الفرنسية أي اهتمام بهذا الموضوع حتى لا تقوم روسيا أو النمسا بهذا العمل. ولكن حكومة الثورة الفرنسية اتخذت موقفاً مخالفاً لوقف الحكومات الفرنسية السابقة، إذ أظهرت اهتماماً بالغاً بالمحافظة على المصالح الفرنسية في مصر، وبعد أن قاد مهور مصر عام ١٧٨٨ م، ولم يوجد أي ممثل رسمي فرنسي، ولذلك تولي شارل مجالون رئاسة الجالية الفرنسية بصفة غير رسمية، وفي عام ١٧٩٣ م عاد مجالون إلى باريس وأشير حكومة الثورة بعمى الأسود في مصر، وعاد في عام ١٧٩٤ م قسلاً فرنسياً في مصر (٤٨٩).

ولكن العلاقات سادت بين التجار الفرنسيين والبيكات المالكي بدوكة كبيرة. ولقد اقتنع مجالون كما اقتنع مهور من قبل، بأن الطريقة الوحيدة لكي تمتص فرنسا مركزها في مصر، هي احتلال مصر احتلالاً عسكرياً. ونتيجة لهذا التقدير استقدمته الحكومة الفرنسية إلى باريس في عام ١٧٩٧ م في الوقت الذي تولي فيه شارل موريس تاليران منصب وزير الخارجية في حكومة الإدارة وقام باقناع تاليران وبونابرت بالسيطرة على مصر. ولم يجد مجالون صعوبة في إقناع تاليران ذلك الاستعماري الفرنسي الذي كان قد قرأ على الجميع العلى الفرنسي قبل تعيينه في منصبه بأسبوعين بحثاً في الخرابا التي تتحقق من الحصر على مستعمرات جديدة في الظروف الراهنة. وذكر سامعيه بتشروعات شوازيل الخاصة بمصر. وكان وثيق الصلة به (٥٠).

وظهر في التقرير الذي قدمه تاليران إلى حكومة الإدارة بعد خمسة أيام من تسلمه لمذكرة مجالون مبلغ تأثره بآراء مجالون، واقتراح تاليران في هذا التقرير احتلال مصر وقال أن الدولة العثمانية لن تعتبر هذا الاحتلال سبباً لقبام نزاع أو حرب. وفي ٢٣ فبراير عاد بونابرت من جمراته الاستطلاعية على سواحل الفنال الإنجليزي وأشار بضرورة القاء أي محادثة لغزو

- ٢ - بيتر بجران : المرجع السابق . ص ٤٤ .
- ٢١ - هنرى لورانس وأخرون : المرجع السابق . ص ١١٢ - ١١٣ .
- ٢٢ - جلال يحيى ، المرجع السابق . ص ٢٨٢ .
- ٢٣ - ريتبه قطاوى ، جريج قطاوى ، محمد على وأولادها ، نقلة عن الفرنسية الدكتور ألفريد بيلوى ، القاهرة ١٩٥٢ ، ص ٣١ : هنرى لورانس وأخرون : المرجع السابق ، ص ١١٩ .
- ٢٤ - جلال يحيى : المرجع السابق ، ص ٢٨٢ - ٢٨٣ .
- ٢٥ - هنرى لورانس وأخرون : المرجع السابق ص
- ٢٦ - عمر عبد العزيز عمر : المرجع السابق ، ص ٧٩ .
- ٢٧ - المرجع السابق نفسه . ص ٨٠ .
- ٢٨ - جلال يحيى : المرجع السابق ، ص ٣٢٨ ؛ عمر عبد العزيز عمر : المرجع السابق ، ص ٩١ .
- ٢٩ - عمر عبد العزيز عمر : المرجع السابق . ص ٩١ : جلال يحيى : المرجع السابق . ص ٣٢٨ .
- ٣٠ - عمر عبد العزيز عمر : المرجع السابق . ص ٩٢ .
- ٣١ - إلهام محمد على ذهنى : مصر فى كتابات الرحالة الفرنسيين فى القرن الثامن عشر ، القاهرة ١٩٩٢ ، ص ٩ .
- ٣٢ - محمد فؤاد شكرى : عبد الله جاك منور ، ص ٤٤ : جلال يحيى : المرجع السابق ، ص ٣٣ .
- ٣٣ - محمد فؤاد شكرى : المرجع السابق ، ص ٤٤ .
- ٣٤ - إلهام محمد على ذهنى : المرجع السابق ، ص ٩ .
- ٣٥ - إلهام محمد على ذهنى : المرجع السابق ، ص ١٠ - ١١ .
- ٣٦ - محمد فؤاد شكرى : المرجع السابق ، ص ٤٨ : جلال يحيى : مصر الحديثة ، ٣٣ : عمر عبد العزيز عمر : المرجع السابق ، ص ٨٨ .
- ٣٧ - 90 - 83 - 176 Carles Roux. Origine. p. 83 - 90. نقلاً عن محمد فؤاد شكرى : المرجع السابق ، ص ٤٨ .
- ٣٨ - 8 - 7 - p Volney. نقلاً عن محمد فؤاد شكرى : المرجع السابق ، ص ٤٩ .
- ٣٩ - 8 - 7 - p Volney. نقلاً عن محمد فؤاد شكرى : المرجع السابق ، ص ٤٩ .
- ٤٠ - نقلاً عن محمد فؤاد شكرى : المرجع السابق ، ص ٤٩ .
- ٤١ - محمد فؤاد شكرى : المرجع السابق ، ص ٥٠ .

- ٤٢ - بيتر بجران : المرجع السابق . ص ٤٤ .
- ٤٣ - عمر عبد العزيز عمر : المرجع السابق . ص ٨٦ .
- ٤٤ - بيتر بجران ، المرجع السابق ، ص ٢٨ .
- ٤٥ - عمر عبد العزيز عمر : المرجع السابق ، ص ٨٠ .
- ٤٦ - المرجع السابق نفسه ، ص ٨١ .
- ٤٧ - بيتر بجران : المرجع السابق ، ص ٤٤ .
- ٤٨ - محمود الشركاوى : مصر فى القرن الثامن عشر . ص ٩٠ . القاهرة ١٩٥٧ .
- ٤٩ - هنرى لورانس وأخرون : الحملة الفرنسية فى مصر . بونابرت والإسلام ، ترجمة بشر السامى ، القاهرة ١٩٩٥ ، ص ١١٧ .
- ٥٠ - جلال يحيى : مصر الحديثة ، ص ٣٢٩ . 201 . Egypt Turque, p. 201 .
- ٥١ - جلال يحيى : المرجع السابق ، ص ٣٣ .
- ٥٢ - أحمد الحنة : تاريخ مصر الاقتصادية فى القرن التاسع عشر . ص ٢٤ : جلال يحيى : المرجع السابق . ص ٣٢٨ .
- ٥٣ - عمر عبد العزيز عمر : المرجع السابق . ص ٨٦ .
- ٥٤ - بيتر بجران ، المرجع السابق ، ص ٢٨ .
- ٥٥ - عمر عبد العزيز عمر : المرجع السابق ، ص ٨٠ .
- ٥٦ - المرجع السابق نفسه ، ص ٨١ .
- ٥٧ - بيتر بجران : المرجع السابق ، ص ٤٤ .
- ٥٨ - محمود الشركاوى : مصر فى القرن الثامن عشر . ص ٩٠ . القاهرة ١٩٥٧ .
- ٥٩ - هنرى لورانس وأخرون : الحملة الفرنسية فى مصر . بونابرت والإسلام ، ترجمة بشر السامى ، القاهرة ١٩٩٥ ، ص ١١٧ .
- ٦٠ - جلال يحيى : مصر الحديثة ، ص ٣٢٩ . 201 . Egypt Turque, p. 201 .
- ٦١ - جلال يحيى : المرجع السابق ، ص ٣٣ .
- ٦٢ - أحمد الحنة : تاريخ مصر الاقتصادية فى القرن التاسع عشر . ص ٢٤ : جلال يحيى : المرجع السابق . ص ٣٢٨ .
- ٦٣ - عمر عبد العزيز عمر : المرجع السابق . ص ٨٦ .
- ٦٤ - بيتر بجران ، المرجع السابق ، ص ٢٨ .
- ٦٥ - عمر عبد العزيز عمر : المرجع السابق ، ص ٨٠ .
- ٦٦ - المرجع السابق نفسه ، ص ٨١ .
- ٦٧ - بيتر بجران : المرجع السابق ، ص ٤٤ .
- ٦٨ - محمود الشركاوى : مصر فى القرن الثامن عشر . ص ٩٠ . القاهرة ١٩٥٧ .
- ٦٩ - هنرى لورانس وأخرون : الحملة الفرنسية فى مصر . بونابرت والإسلام ، ترجمة بشر السامى ، القاهرة ١٩٩٥ ، ص ١١٧ .

المراجع :

- ١ - أحمد أحمد أنفة و دكتور : تاريخ مصر الاقتصادي في القرن التاسع عشر ، الإسكندرية ١٩٦٧ .
- ٢ - إلهام محمد علي دهن و دكتورة : مصر في كتابات الرحالة الفرنسيين في القرن الثامن عشر ، القاهرة ١٩٩٢ .
- ٣ - بشر عمران : الجهاد الإسلامية للأسمالية ، مصر ، ١٩٦٦ - ١٩٤٤ : ترجمة محروس سليمان ، مراجعة الدكتور رفوف عباس ، القاهرة ١٩٩٤ م .
- ٤ - جلال يحيى و دكتور : مصر الحديثة ١٥١٧ - ١٨٠٥ ، الإسكندرية بدون تاريخ .
- ٥ - ريم سرليج : مصر ولع فرنسي ، ترجمة لطيف فرج ، القاهرة ١٩٩٤ .
- ٦ - ريمه قطاوي ، جورج قطاوي : محمد علي وأوليا ، نقله عن الفرنسية الدكتور أنريد بلرة ، القاهرة ١٩٩٢ .
- ٧ - عبد العزيز محمد الشاوي و دكتور : الدولة المشيانية دولة إسلامية متفرد عليها ، الجزء الثاني ، القاهرة ١٩٨٠ .
- ٨ - عبد الرواب بكر و دكتور : الدولة المشيانية ومصر في النصف الثاني من القرن الثامن عشر ، القاهرة ١٩٨٢ .
- ٩ - هجر عبد العزيز هجر و دكتور : دراسات في تاريخ العرب الحديث ، الشرق الأدنى منذ الفتح العثماني حتى القرن الثامن عشر الميلادي ، بيروت ١٩٧٠ .
- ١٠ - هجر عبد العزيز هجر و دكتور : دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، بيروت ١٩٧٢ .
- ١١ - منصور الشرفاوي : مصر في القرن الثامن عشر ج ٢ ، القاهرة ١٩٥٧ .
- ١٢ - هنري لويس وآخرون : الحملة الفرنسية على مصر ، بونابرت والإسلام ، ترجمة بشير السباعي ، القاهرة ١٩٩٥ .
- ١٣ - محمد كزاد شكري و دكتور : عبد الله جلال مشر ومخرج الفرنسيين من مصر ، القاهرة ١٩٥٢ .

- ٤٧ - محمد كزاد شكري : المرجع السابق ، ص ٥١ .
- ٤٨ - نفسه ، ص ٥٢ .
- ٤٩ - هجر عبد العزيز هجر : المرجع السابق ، ص ٨٨ .
- ٥٠ - محمد كزاد شكري : المرجع السابق ، ص ٤٣ ؛ جلال يحيى : المرجع السابق ، ص ٣٢ .
- ٥١ - عبد الرواب بكر : الدولة المشيانية ومصر في النصف الثاني من القرن الثامن عشر ، القاهرة ، ١٩٨٢ ، ص ٩٢ .
- ٥٢ - هجر عبد العزيز هجر : المرجع السابق ، ص ٩١ .
- ٥٣ - هجر عبد العزيز هجر : المرجع السابق ، ص ٩٠ ؛ جلال يحيى : المرجع السابق ، ص ٣٢٨ - ٣٢٩ .
- ٥٤ - هجر عبد العزيز هجر : المرجع السابق ، ص ٩٢ .
- ٥٥ - هجر عبد العزيز هجر : المرجع السابق ، ص ٩٥ .
- ٥٦ - المرجع السابق ، ص ٩٥ .
- ٥٧ - نفسه ، ص ٩٦ .
- ٥٨ - نفسه ، ص ٩٧ .
- ٥٩ - نفسه ، ص ٩٨ .
- ٦٠ - نفسه ، ص ٩٩ .
- ٦١ - نفسه ، ص ١٠٠ .
- ٦٢ - نفسه ، ص ١٠١ .
- ٦٣ - نفسه ، ص ١٠٢ .
- ٦٤ - نفسه ، ص ١٠٣ .
- ٦٥ - نفسه ، ص ١٠٤ .
- ٦٦ - نفسه ، ص ١٠٥ .
- ٦٧ - نفسه ، ص ١٠٦ .
- ٦٨ - نفسه ، ص ١٠٧ .
- ٦٩ - نفسه ، ص ١٠٨ .
- ٧٠ - نفسه ، ص ١٠٩ .
- ٧١ - نفسه ، ص ١١٠ .
- ٧٢ - نفسه ، ص ١١١ .
- ٧٣ - نفسه ، ص ١١٢ .
- ٧٤ - نفسه ، ص ١١٣ .
- ٧٥ - نفسه ، ص ١١٤ .
- ٧٦ - نفسه ، ص ١١٥ .
- ٧٧ - نفسه ، ص ١١٦ .
- ٧٨ - نفسه ، ص ١١٧ .
- ٧٩ - نفسه ، ص ١١٨ .
- ٨٠ - نفسه ، ص ١١٩ .
- ٨١ - نفسه ، ص ١٢٠ .
- ٨٢ - نفسه ، ص ١٢١ .
- ٨٣ - نفسه ، ص ١٢٢ .
- ٨٤ - نفسه ، ص ١٢٣ .
- ٨٥ - نفسه ، ص ١٢٤ .
- ٨٦ - نفسه ، ص ١٢٥ .
- ٨٧ - نفسه ، ص ١٢٦ .
- ٨٨ - نفسه ، ص ١٢٧ .
- ٨٩ - نفسه ، ص ١٢٨ .
- ٩٠ - نفسه ، ص ١٢٩ .
- ٩١ - نفسه ، ص ١٣٠ .
- ٩٢ - نفسه ، ص ١٣١ .
- ٩٣ - نفسه ، ص ١٣٢ .
- ٩٤ - نفسه ، ص ١٣٣ .
- ٩٥ - نفسه ، ص ١٣٤ .
- ٩٦ - نفسه ، ص ١٣٥ .
- ٩٧ - نفسه ، ص ١٣٦ .
- ٩٨ - نفسه ، ص ١٣٧ .
- ٩٩ - نفسه ، ص ١٣٨ .
- ١٠٠ - نفسه ، ص ١٣٩ .

أحمد عبده المنصور إبراهيم الجميحي *

القوى الأوروبية وحكم محمد علي باشا

بلاد الشام

أدركت القوى الأوروبية عمواقب الهزات التي أحدثتها استيلاء محمد علي على بلاد الشام، وأصبحت - باستثناء فرنسا - على إخراجها، خاصة وأنها كانت تنظر بعين القلق إلى تعاظم قوتها، وإلى أطماعه التوسعية. هذا بالإضافة إلى أنها كانت ترى في بقايا كيانات الدولة العثمانية عاملاً مهماً في حفظ توازن القوى في أوروبا وأن نجاح محمد علي في اقتطاع أجزاء من أملاكها يتعارض مع مصالحها الحيوية. وقد تزعمت إنجلترا هذا الموقف خاصة وأنها كانت تخشى من مزاحمة محمد علي لسيادتها على طريق الهند، فامتداد نفوذ مصر إلى بلاد الشام يجعل لها الإشراف على طريق الهند من ناحية القرات والمراق فضلاً عن طريق البحر الأحمر ذبرخ السويس. يضاف إلى ذلك أنها كانت تخشى من استغلال روسيا للموقف بحجة مساعدة السلطان في أزمته، وهذا ما كانت تتجنبه أوروبا التي كانت ترى في أطماع روسيا في الوصول إلى المياه الدنيشة والسيطرة على البوسفور والبسترد خطراً عليها.

* أسناد التاريخ الحديث والمعاصر يفرغ جامعة القاهرة بالشمس، وأمين عام الجمعية للدراسات التاريخية.

مصراعها أمام القوات المصرية . هذا في الوقت الذي توفي السلطان العثماني محمد الثاني (٥) وخلفه السلطان الناصر عبد المجيد . وفي الوقت الذي قام قائد الأسطول العثماني بتسليم سفنه بكامل ذخائرها ومعداتنا إلى محمد علي . مما كان له أكبر الأثر في إسراع الدور الأوروبية بالتدخل لوقف تناقص أركان السلطنة . خاصة بعد أن انتهزت روسيا الفرصة . وحاولت بسط حيازتها الفعلية على تركيا . بحجة منع امتداد نفوذ مصر إلى ضفاف الدردنيل والبلخور . وتأسيس محمد علي دولة قوية تقوم على انقراض عرش آل عثمان . فأعلنت عن استعدادها للدفاع عن عرش السلطنة مما قلقل التوازن الأوربي . وفتح باب المسألة الشرقية على مصراعيه .

وكان أن جازت إنجلترا بعدائها لصر مملكة ضرورة المحافظة على كيان الدولة العثمانية . وإخضاع محمد علي بالقوة وإجباره على إعادة بلاد الشام للسلطان . ورد الأسطول التركي إلى الدولة العثمانية .

هذا عن إنجلترا أما بالنسبة للنسب فقد عارض وزير خارجيتها 'مترنيخ' فكرة التصاهل مع محمد علي . خاصة وأنه كان يرى في وقوف محمد علي ضد الدولة العثمانية ما يتناقض مع مواقفه وسياساته الخاصة بمقاومة الماركات الاستقلالية . ورفضه فكرة الخروج على السلطة الرسمية . لذلك طالب أوروبا باتخاذ قرار عاجل لوقف أطماع محمد علي التوسعية^(٦) .

وبالنسبة لروسيا كانت سياستها الناقضة للسياة الفرنسية تجعلها تقف في الخط النافس لصعد علي^(٧) .

أما فرنسا فبالرغم من الصداقة بينها وبين محمد علي . فإنها وجدت أنه يصعب عليها معارضة أوروبا من أجله . وأنها على غير استعداد لخوض غمار الحرب ضد إنجلترا تأييدا لأطامع^(٨) لذلك حاولت ترجيع كفتها السياسية على الإنجليز والروس حتى يمكن أن يكون لها مرطاً قدم في بلاد الشام^(٩) .

ونتيجة لذلك اتفق سفرا . الدول الأوروبية بما فيهم فرنسا على إرسال مذكرة للسلطان العثماني عبد المجيد الذي كان قد بدأ اتصالاته مع محمد علي من أجل الصلح . يطالبونه بالأبهر أمرأ في شأن المسألة المصرية قبل إطلاعهم عليه . خاصة وأنهم يصد إعداد مشروع لتسوية المسألة بصورة نهائية^(١٠) .

ولما شعر محمد علي أن أوروبا لا تنظر بعين الاترياح إلى أطماعه التوسعية . وإلى حرصها على إيجاد المصاعب أمامه لإجباره على الانسحاب من بلاد الشام . حاول تجنب معاداتها خاصة وأنه كان يدرك عدم مقدرته على مقاومة هذه الدول . ونتيجة لذلك حاول محمد علي خطب ود إنجلترا التي كانت تتوهم جانب المارضة له . ففاتها في الفوائد التي يمكن أن تجنيها من إقامة صداقة مثبته معه . كما أوضح لها أنه لا يهدف من عروبه في الشام سوى تجديد شباب السلطنة . وأنه لا يبغي الجلوس على عرش آل عثمان كما كان يتردد . ولكن إنجلترا رأيت أن حكم محمد علي لبلاد الشام يتعارض مع أهدافها . وأن اجتماع عناصر السلطنة في يده يشكل خطراً على مصالحها التجارية . وأن نظاره بالاستكناة لا يرجع إلى رغبت الخديفة في صداقتها بقدر ما يرجع إلى مهادنتها حتى يتمكن من تثبيت مركزه ثم يقوم بإملاء شروطه بعد ذلك . لذلك شجعت إنجلترا أهالي الشام على العصيان . ومقاومة قوات محمد علي . وأصدتهم بالبارود والرصاص والطعام بهدف إيجاد المواتق والمصاعب أمام القوات المصرية راجعاً إليها على الانسحاب^(١١) .

وعلى الرغم من كل ذلك فقد حاول محمد علي تثبيت أقدامه . وتحقن أفراد في بلاد الشام باستغلال ما بين الدول الأوربية من خلافات . خاصة وأنه كان يجهل أن هذه الخلافات لا تشي الدول الأوربية عن الاتفاق ضدّه . وأنها لا تتحرك باستائر بالإرث وحده . ويقوم بالسيطرة على مقاليد الأمور في السلطنة العثمانية^(١٢) . وكان أن استغل محمد علي علاقته الودية مع فرنسا في مساومة إنجلترا وياقي الدول الأوربية وفي الاستناد عليها . ومعاونتها وتأييدها له خلال تلك الأزمة .

ولما فاتح محمد علي الدول الأوربية بشأن تطلعاته في تكريم دولة فقد حذودها إلى أقصى بلاد الشام عارضته إنجلترا أشد المارضة . وحذرت من عواقب تلك الخطرة وهددته باستخدام القوة إذا تمسك برأيه^(١٣) . وعلى الرغم من ذلك طالب محمد علي السلطان محمود الثاني بأن يكون حكم مصر والشام وراثياً في ذريته . بما أغضب السلطان وجعله يسرع بإعلان الحرب عليه . فبعت الدولة العثمانية إلى بلاد الشام جيشاً كبيراً تحت قيادة حافظ باشا وذلك لمقاومة القوات المصرية . وطردوا من هناك . ونتيجة لذلك زحف إبراهيم باشا بقراته حيث نجح الجيشان بالقرب من سهل 'ترنبيه' .

وهناك في الهادي عشر من ربيع الثاني ١٢٥٥هـ الموافق الربيع والمشرين من يونيو ١٨٣٩ دارت معركة حامية انتهت بهزيمة القوات العثمانية^(١٤) . وفتح أبواب عاصمة الخلافة على

تأصدهم هذا وسيبقون حيا وأنه ورد إلى أخيرا كتاب من شخص لفرنسي تسمى باسم عبد الله كان ضابطا برتبة الكباشي في آلي المدريين ثم استقال من الخدمة العسكرية إلا أنه حينها وقد قال في الكتاب أنه سره إلى أمر من حضرة الباشا السر عسكر خاص به فيطلب إرساله إليه ثم وصف العصبان القائم في الجبل . وقد كان امضاء الكتاب بعنوان د . ه . ميناك الذي في الإجازة ، ولما كان يفتنى أن شخصا يلم بالعربية اللاما تاما يقيم مع الكونت الروما إليه كان قد سافر من طرابلس إلى بيروت ومنها إلى الجبل فلفل هذا الشخص هو عبد الله المذكور لاطيحا هذه الأوصاف عليه ومن البدهي أن شخصا يكتب هذه الإفادة إذ بأمركم العالي يتقدم بمحاربة أولئك المصاة . هذا وبينما كنت مشغولا بكتابة هذه الإفادة إذ بأمركم العالي الصادر في ١٣ ربيع الثاني ١٢٥٦ هـ . ورد إلى قتلته فأذ بدوكتكم تشيرون إلى عدم إيتاني إياكم بأخبار منذ نحو يومين إلا أنني ما قصرت في إبلاغكم ما حدث هنا منذ نحو يومين حيث أنني أبلغتكم في إفاداتي المكتوبة في ١٧ ربيع الثاني ١٢٥٦ هـ . وصول الأورط التي هنا وكيفية وقوع الحرب وهذا عدا ما كتبت في ١١ يناير كما أبلغتكم بتاريخ إفادتي هذه التي لا تعتبر إلا إفادة كتبت في ١٣ ربيع الثاني ١٢٥٦ هـ . قرب التاريخين من البعض ما سبق ذكره في متى الإفادة فاذن لست مقصرا في إبلاغكم الأخبار والأمر التي تحدث هنا بل سيادرا التي إبلاغكم أيها يوما فيوما وأنه لا يزال الأورديون يخرجون كل يوم من بيروت ويخطرون بالمصاة ثم يعودون إلى بيروت ولما كان هذا عما يشير اشاعات خطرة بين الناس وما يجعلهم في حيرة من أمرهم عدا أنه يمكن كل شخص خبيت عن ٧ أخلاق له من إبداء الفكرة الحميدة التي تخطر بباله في هذا الشأن بين الناس كيمسا خطرت له مثلا حدث ذلك خلال ثورة جزيرة البورة فأنسى قد رأيت من الصواب أن يتفضل دولتكم بإصدار أمر إلى قناصل الدوله ببيروت يتبع خروج رعايابهم من بيروت واخطاطهم بالمصاة منعا لتوقع هذه الاشاعات وتظهر هذه الأخطار الحبيبة بين الناس وعلى كل حال .. فالرأي لدولتكم .

يتخلص من هذه الوثيقة مابلى :

- ١- الاستلام من طريق إمداد المصاة بالبارود .
- ٢- التوصل إلى أن أحد الفرنسيين قام بد المصاة بالرصاصة والبارود .
- ٣- قيام شخص سريين بمحاربة المصاة .
- ٤- اختلاط بعض الأورديين بالمصاة واستنارهم ضد قوات محمد علي .

اللاحق

وثيقة رقم (١)

موضوعها : مساندة بعض الأورديين للشار ضد قوات محمد علي .
 مصدرها : محافظ عابدين - محفوظ ٢٥٩ - وثيقة رقم (١٧٧) .
 صورة الإفادة الواردة من حضرة محافظ بيروت مكتوبة في ١٤ ربيع الثاني ١٢٥٦ هـ إلى حضرة سليمان باشا .

أبلغت دولتكم في إفاداتي المكتوبة في ٩ ربيع الثاني ١٢٥٦ هـ أنني سأقوم بإجراء تحقيق ليسم يقوم بإعطاء بارود وحصص للعصاة وتجهيزهم على العصيان هنا بناء على أمر دولتكم المرسل إلى مكتبها في ٧ منه في هذا الشأن ثم أبلغتكم في ١١ منه الاخيار التي استقبلتها على قدر الإمكان في هذا الشأن فكنتم لي في ١٢ منه أمركم الذي أتيتموني به بأنكم ستأودنني بما يجب في هذا الشأن بعد ساعتين من تاريخ أمركم الأخير هذا رأيت أن أبلغكم ما وصلت إليه التحقيقات التي تمت بها في هذا الشأن وهو أنني قد علمت أن فرنسا بسمى انفروا ويكونت مابين عشرين وثلاثين سنة من العمر كان جنديا في الجيش الفرنسي مقسم بجهات الشرق هو الذي يد هولاء . العصاة بالرصاصة والبارود ولما زاوه أخيرا ذرع على كل منهم قرشين ونصف قرش ومائة درهم بارودا وكية من الرصاص ومركوبا ووساما صليبيا بسمى انفروا ويكونت مابين عشرين وثلاثين سنة من العمر كان جنديا في الجيش الفرنسي أبلغكم ما وصلت إليه التحقيقات التي تمت بها في هذا الشأن وهو أنني قد علمت أن فرنسا بأنكم ستأودنني بما يجب في هذا الشأن بعد ساعتين من تاريخ أمركم الأخير هذا رأيت أن أبلغكم ما وصلت إليه التحقيقات التي تمت بها في هذا الشأن وهو أنني قد علمت أن فرنسا بسمى انفروا ويكونت مابين عشرين وثلاثين سنة من العمر كان جنديا في الجيش الفرنسي مقسم بجهات الشرق هو الذي يد هولاء . العصاة بالرصاصة والبارود ولما زاوه أخيرا ذرع على كل منهم قرشين ونصف قرش ومائة درهم بارودا وكية من الرصاص ومركوبا ووساما صليبيا بسمى انفروا ويكونت مابين عشرين وثلاثين سنة من العمر كان جنديا في الجيش الفرنسي أبلغكم ما وصلت إليه التحقيقات التي تمت بها في هذا الشأن وهو أنني قد علمت أن فرنسا

يشأ الا من تحريك الاستانة اياهم فلابد أن مولاي قد اطلع على تلك الصورة نها هو ذا قد ثبت الآن صدق ما جاء في تلك الصورة حيث أن هؤلاء الاستانبوليين وجدوا الآن الفرصة تقاموا بتخليد ترتيبهم لاقتحام هذه الفرصة .

دروت في ١٩ منه .

عبد سليمان

تدريسا على ان هذا هو الوجه الذي كان في ١٨٠٨ . ختم

٢٥٢٢ في الثاني من ربيع الثاني ١٢٥٦ هـ .

من ميرميران سليمان - رئيس رجال الجهادية -

الى الاعتاب السنية المباركة البالغ سناؤها الى افلاك السماء :

ارفع الى اعجاب مولاي الرحيمه طي هذه العريضة . العريضة الواردة التي من عبيدكم الأكبر بشير بتاريخ عريضة هذه لرفعها اليكم كما ارفع ايضا الى اعجاب مولاي صرورا الاقامة التي وردت الى من عبيدكم محافظ بيروت خاصة بالتحقيقات التي قام بها بشأن من لا يزال بحرك العصيان على عصيانهم ودا على الكتاب الذي كتبه له بطلب قيامه باجراء تحقيق واسع النطاق فيمن لا يزال يتم تحريك هؤلاء العصاة على عصيانهم وتكثيرهم منذ وقد ثبت من افادة صدكم هذا أن الفرنسي والاردوني المذكورين في الاقامة واحد منهما أصله من مدرسي الجيش في الاستانة فعندما الى هذه الجهات بقصد اثاره الفساد كما علمت من الأوراق التي ترسل بها هؤلاء العصاة فيسأبتهم أن أقصى آمالهم أن ترفع عنهم الغررة والأمور الأسييرة الأخرى وأن يحضروا من اشغال المهادن والقررة والمطالب الأسييرة اخرى وأن يدفروا فقط حالا واحدا عن أطيانهم وأن تبقى أسلحتهم معهم وينصرفوا حرة وأن تسلم لهم الإرادة السنية التي مستصبر بنحسهم هذه الطلقات بمقررة فواصل فرنسا وانكلمت في بيروت والاكسفورية وانهم ترووا أن لا يكفروا عن عصيانهم هذا قط وأن يتخذوا فيسرتوا عن بكرة أبيهم إن لم يتحروا طلباتهم هذه فيها أنا ذا بامولاي قد رفعت إلى مسامعكم العلية ما علمتته بشأن هؤلاء . ولكم الأمر والارادة على كل حال .

هامش : مولاي ولي النعم .

كنت قد سلمت لعبيدكم خسرو أفندي الترجمان الثاني صورة من الترتيب الموضوع في

جيوش الاستانة في العام الماضي بشأن تحريض هؤلاء العصاة علينا لأثبت أن طغيان هؤلاء لم

يحتفلن من هذه الوثيقة مايلي :

١- التعرف على الشجعين للفرار على استمرار عصيانهم .

٢- التأكد من أن الفرنسي والاردوني قاما بتحريض العصاة .

٣- لعله الفرار بطلبهم واستمرار عصيانهم .

وثيقة رقم (٢١)

موضوعها : تحريض بعض الأوربيين للفرار .

مصدرها : محافظ عابدين - محفظة ٢٥٩ - صورة الوثيقة العربية رقم ١٧١ .

تاريخها : ١٥ ربيع الثاني ١٢٥٦ هـ .

من ميرميران سليمان - رئيس رجال الجهادية -

الى الاعتاب السنية المباركة البالغ سناؤها الى افلاك السماء :

ارفع الى اعجاب مولاي الرحيمه طي هذه العريضة . العريضة الواردة التي من عبيدكم الأكبر بشير بتاريخ عريضة هذه لرفعها اليكم كما ارفع ايضا الى اعجاب مولاي صرورا الاقامة التي وردت الى من عبيدكم محافظ بيروت خاصة بالتحقيقات التي قام بها بشأن من لا يزال بحرك العصيان على عصيانهم ودا على الكتاب الذي كتبه له بطلب قيامه باجراء تحقيق واسع النطاق فيمن لا يزال يتم تحريك هؤلاء العصاة على عصيانهم وتكثيرهم منذ وقد ثبت من افادة صدكم هذا أن الفرنسي والاردوني المذكورين في الاقامة واحد منهما أصله من مدرسي الجيش في الاستانة فعندما الى هذه الجهات بقصد اثاره الفساد كما علمت من الأوراق التي ترسل بها هؤلاء العصاة فيسأبتهم أن أقصى آمالهم أن ترفع عنهم الغررة والأمور الأسييرة الأخرى وأن يحضروا من اشغال المهادن والقررة والمطالب الأسييرة اخرى وأن يدفروا فقط حالا واحدا عن أطيانهم وأن تبقى أسلحتهم معهم وينصرفوا حرة وأن تسلم لهم الإرادة السنية التي مستصبر بنحسهم هذه الطلقات بمقررة فواصل فرنسا وانكلمت في بيروت والاكسفورية وانهم ترووا أن لا يكفروا عن عصيانهم هذا قط وأن يتخذوا فيسرتوا عن بكرة أبيهم إن لم يتحروا طلباتهم هذه فيها أنا ذا بامولاي قد رفعت إلى مسامعكم العلية ما علمتته بشأن هؤلاء . ولكم الأمر والارادة على كل حال .

هامش : مولاي ولي النعم .

كنت قد سلمت لعبيدكم خسرو أفندي الترجمان الثاني صورة من الترتيب الموضوع في

جيوش الاستانة في العام الماضي بشأن تحريض هؤلاء العصاة علينا لأثبت أن طغيان هؤلاء لم

وثيقة رقم (٥)

موضوعها : تسابق القوى الكبرى في مساندة القوار .

مصدرها : محافظ عابدين : محافظة رقم ٢٥٩ . ترجمة الكتاب العربي الذي رطل ضمن التقرير الوارد بحرا رقم ١٥٤ - ٣ .

يقول الناس أن الشعب الفرنسي بعضد الوزير وأن الشعب الانجليزي يعاديه ولكن قد ثبت الآن كذب هذا القول حيث تبين أن من يعادى الوزير الفرنسيون وليس الانجليز لأن هؤلاء الانجليز شعب عنزلهم كعقول الملائكة وليس لهم خير ما عن هذه الأمور والتي أثبت الآن كذب هذا القول أن حكومة فرنسا نهبت قنصلها قبل خمسة أشهر إلى أن ساجر خيبة لا يلافها بالحوادث التي تقع هنا إذا ما علم بوقوع حادثة ما مهما كانت صغيرة والسبب في ذلك هو أن الفرنسيين يريدون أن يكونوا لهم فضل سابق على القوى بل وربما يريدون أن يهدوا السبيل للإمال التي يعملون على تحقيقها في المستقبل كما أن هناك سببا آخر إن كان مينا على الظن وهو أنهم أولا يريدون أن ينصروا السلطان بعلمهم هنا فيضطرو إلى ترجيح كفتهم في السياسة على كافة حكومة موسكو مبرهين له أن موسكو لم تقم بعمل ما من شأنه أن ينفذ الحكومة العثمانية أو يضرها لغاية الآن وثانيا أن يحولوا دون استغلال . الانجليز نصرة السلطان وحدهم وقد كانت نياتهم هذه التي بدت لنا الآن بكل وضوحها خفية ولكن ما بدت منهم هذه الاتصارات التي رأيتسوها الآن الا وقد سجلت هذه النيات والمقاصد . ومعظم الأخبار التي تتدور هنا على ألسنة الناس تنحصر في أن الأوربيين قد أناروا القرى على العصبان وأنهم لا يزالون معتقن في تمريضها على الثورة ، يقتضى الأدب المعروف عنهم في ذلك من قبل . وهذه الأخبار قد استقيت لغاية الساعة التامة من نهار الاربعاء ولكنها لم تبلغ في جنتها وأخرت لغاية الآن لسبب ما وهو الوصول إلى معرفة أفكار . العامة في هذا الشأن وطلبناهم فيه ثم البلاغكم بها مع هذه الأفكار والطلهات وقد علمنا أنها تتلخص في أنهم يظنون أن يلغى النظام والفردة واستخداهم في أشغال المعادن وليس السخرة وأن لا يجوزوا من الأسلحة وأن يعطوا كتابا مصدقا عليه بختم الوزير يخولهم هذه الحقوق يقوم التفاصيل في الإسكندرية وسيروت بأخذ من الرزير ليكون لهم . حجة يتمسكون بها لتبين الآن أن مصدر

موضوعها : تشجيع الاقزنج للقرار على استمرار العصبان .

مصدرها : محافظ عابدين : محافظة رقم ٢٥٩ - الوثيقة رقم ١٧٣ - ٢٩ - ١ . تاريخها : ١٦ ربيع ثاني ١٢٥٦هـ

ورد في ٢٢ ربيع ثاني ١٢٥٦هـ
من : محمد شريف (ختم) ..

إلى : صاحب الدولة حسين باشا الباشعازن الخديوي :
جا . في كتابين واردين أخيرا إلى عيدكم جنابك من عيدكم المعلم بطرس كرامة كاتبه حضرة الأمير بشير أن أمالي مقاطعتي كسروان والمثنى في الجبل اللتين ظهر منهما اضطراب أخيرا لا يزالون مصيرين على طغيانهم وأن للاقزنج بدا في هذا الاضطراب فاستنصحت صورتيهما في ودقة وارسلتهما اليكم طي هذه الاقادة فأرجو تقديمها إلى الأعقاب السنية .
الارادة الصادرة اليه في ٢٢ ربيع الثاني ١٢٥٦هـ ٣١ .

ليعلم ان حكومة القاهرة قد أتت أن تقوم بتأديب هؤلاء العصاة وبخبيثهم ما هي نتائج دوامهم على العصبان ومصروفهم فيه حيث أرسلت عليهم أربعة آيات وملاحق ودوايا محروقة على السفن وسترسلي غدا الجنود الغير النظاميين مع عياش باشا وأمرت الباشا السر عسكر بإبقاء الجند الباقين ألفا وخمسمائة نفس الذين تقدموا من بغداه إلى الشام فيه وعدم إرسالهم إلى جهنم ما لأجل مقاتلة هؤلاء العصاة .

يتخلص من هذه الوثيقة مايلي :

- ١- مساندة الاقزنج لأهالي مقاطعتي كسروان والمثنى في جمل الفروخ على استمرار عصبانهم .
- ٢- تخصيص حكومة محمد على على تأديب العصبان .

ألهو أمش :

(١١) دان الرزاق : محافظة عابدين . محافظة ٢٥٩ ترصة الوثيقة التركية ١٦٦٤-١ بتاريخ ١١ ربيع الآخر ١٢٥٦هـ .

(٢٢) كريم ثابت : محمد علي ، ص ١١٢ .

(٢٣) بدير كرايبيس : إبراهيم باشا ، ص ٢٣٦ .

(٤٤) التفاصيل ذلك أنظر كتابنا . معركة نصيبين ١٨٣٩ . دراسة في وثائق عابدين .

(٥٥) ترمس في أول يوليو ١٨٣٩ .

(٦٦) كرايبيس : مرجع سابق ، ص ٢٥٥ .

(٧٦) عهد الروس الرافعي : صهر محمد علي . ص ٣٣٦ .

(٨٨) عهد العزيز العظيمة : مرثاة الشام . تاريخ دمشق وأهلها . ص ١٧٧ .

(٩٩) محافظ عابدين : محافظة ٢٥٩ ترصة للكتاب العربي ، ١٥٤-٣ بدون تاريخ .

(١٠٠) كرايبيس : مرجع سابق ، ص ٢٥٩ .

(١١١) علي الرض من موقف كرتضا القريد ظاهر يا محمد علي . فقد قام التفصل الفرنسي في بيروت بمساعدة الممرات المناهضة للإدارة المصرية هناك لدرجة أن الإدارة المصرية طلبت لتجباله ، كما قام بعض الفرنسيين بشجيع الشراء على مناهضة السلطة . وودعوا الرضا والتفوق عليهم . أنظر ، عهد المنعم والجيمس : ثورات البند والوزارة ضد حكم محمد علي في جبل لبنان . ص ٣٣ . سليمان لمر عن الدين : إبراهيم باشا في سورية ، ص ٢٦٤ .

(١٢٢) الخريطة من تاريخ مصر العثمانية . Kelly, J.B : Arabian and Persian Clif, p. 282 .

(١٣٣) محافظ عابدين : محافظة رقم ٢٥٩ ترصة الوثيقة ١٥٤-١ بتاريخ ٨ ربيع الثاني ، ١٢٥٦هـ .

(١٤٤) التفاصيل أنظر : اسكندر ابيكاربيس : زعفران الزمان في وقائع جهل لبنان . وأسد رستم الفصير .

السايق . المجلد الخامس . ص ١٥٨-١٥٩ وثيقة رقم ٥٦٤ تحت عنوان بيان الكومودو نابيير .

(١٥٥) عهد العزيز العظيمة : مرجع سابق ، ص ١٧٢-١٧٣ .

(١٦٦) امساعيل سورنك : حقائق الأخبار عن دول البحار . ج١ . ص ٦٩-٦٩١ .

(١٧٧) قليلب جلاد . فارس الامارة والقضا . المجلد الخامس . ص ١٥٥ .

طبع هولاء . ماسهو الا الأوروبيون وان هذه الشائكة التي قامت فيهم ما قامت الا بالالتحاق مع هولاء . الأوروبيون على أن لهم تكليفا آخر وهو قولهم أننا لن نخلم هذه الدولة .

موضوعها : تطهير الفرنج للبلاد المتصلة بالبحر الأبيض المتوسط : لهدوء

مستعمروها والذين انقلبوا الى أعداءها . ص ٤١٦ .

تاريخها ١٦ . ص ٢٠٤٦ .

تاريخها في تاريخ المصطفى : المصطفى : ص ٤١٦ .

٢٠٤٦ . تاريخها في تاريخ المصطفى : المصطفى : ص ٤١٦ .

٢٠٤٦ . تاريخها في تاريخ المصطفى : المصطفى : ص ٤١٦ .

٢٠٤٦ . تاريخها في تاريخ المصطفى : المصطفى : ص ٤١٦ .

٢٠٤٦ . تاريخها في تاريخ المصطفى : المصطفى : ص ٤١٦ .

٢٠٤٦ . تاريخها في تاريخ المصطفى : المصطفى : ص ٤١٦ .

٢٠٤٦ . تاريخها في تاريخ المصطفى : المصطفى : ص ٤١٦ .

٢٠٤٦ . تاريخها في تاريخ المصطفى : المصطفى : ص ٤١٦ .

٢٠٤٦ . تاريخها في تاريخ المصطفى : المصطفى : ص ٤١٦ .

٢٠٤٦ . تاريخها في تاريخ المصطفى : المصطفى : ص ٤١٦ .

٢٠٤٦ . تاريخها في تاريخ المصطفى : المصطفى : ص ٤١٦ .

٢٠٤٦ . تاريخها في تاريخ المصطفى : المصطفى : ص ٤١٦ .

٢٠٤٦ . تاريخها في تاريخ المصطفى : المصطفى : ص ٤١٦ .

٢٠٤٦ . تاريخها في تاريخ المصطفى : المصطفى : ص ٤١٦ .

٢٠٤٦ . تاريخها في تاريخ المصطفى : المصطفى : ص ٤١٦ .

٢٠٤٦ . تاريخها في تاريخ المصطفى : المصطفى : ص ٤١٦ .

٢٠٤٦ . تاريخها في تاريخ المصطفى : المصطفى : ص ٤١٦ .

٢٠٤٦ . تاريخها في تاريخ المصطفى : المصطفى : ص ٤١٦ .

المصادر والمراجع

أولاً : الوثائق : ١- المراجع والمصادر
دار الوثائق القومية بالقاهرة: محافظ عابدين ، مطبوعة رقم ٢٥٩ ، ٢٥٧٤هـ .

ثانياً : المصادر والمراجع العربية .

١- اسكندر إيكاريوس : نوازل الزمان في وقائع جبل لبنان ، لندن ، رياض الريس للنشر ، د.ت .

٢- اسماعيل سرهنگ : حقائق الأخبار عن دول البحار ، ج١ القاهرة ، المطبعة الأميرية ، ١٣١٢هـ .

٣- يسر كرايبيشيس : إبراهيم باشا - ترجمة محمد يدوان - القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٣٢ .

٤- سليمان أبو عز الدين : إبراهيم باشا في سوريا ، بيروت ، ١٩٢٩ ، مطبعة لبنان .

٥- عبد الرحمن الرفاعي : عصر محمد علي ، القاهرة ، النهضة المصرية ، الطبعة الثالثة ، ١٩٥١ .

٦- عبد العزيز العظمة : مرآة الشام ، تاريخ دمشق وأهلها - تحقيق محمد صلتون ، لندن ، رياض الريس للنشر ، د.ت .

٧- عبد المنعم الجيمعي : ثورات الدروز والموارنة ضد حكم محمد علي في جبل لبنان ، القاهرة ، ١٩٨٧ .

٨- قليب جلال : قاموس الإدارة والاقتصاد ، المجلد الخامس ، د.ت .

٩- كريم نايت : محمد علي ، القاهرة ، مطبعة المعارف ١٩٤٣ .

ثالثاً : المراجع الأجنبية :
- Kelly, J.B : Britian and Persian Gulf, London, 1965 .

عبيد الله عبيد الرزاق إبراهيم *

موقف السنوسية من الغزو الأوربي لشمال أفريقية

ملقمة :
مع مطلع القرن السادس عشر بدأت أسبانيا والبرتغال حركة الكشوف الجغرافية ، وتوسعت الدراتان خارج حدودهما في محاولة لتطويق المسلمين ، والقضاء على ثروتهم ، وبدأت موجة جديدة في أوروبا بعد عصر النهضة . وكان من الواضح أن التقدم كان سريعاً ، والتطورات تتوالى بشكل منتظم ، وبدأ الزحف الأوربي بعد أن شاركت دول أخرى مثل هولندا وإنجلترا وفرنسا ثم ألمانيا وإيطاليا ، أما الحضارة الإسلامية التي كانت قد وصلت إلى آخر الشوط منذ القرن السابع الميلادي فقد بدت في هذه المرحلة الجديدة متخلفة عن الركب إذا ما قسناها بما تفجرت به بتابع العلم والمعرفة في أوروبا . ويقرر ما أخذ العالم الأوربي الغربي يسرع في طريق التقدم ، كان الشرق العربي يزود إسرافاً في الجسود والتخلف والتأخر ، وبعد أن كان العرب متبوعين صاروا تابعين . وعندما أحس المسلمون

* أستاذ التاريخ الحديث ووكيل معهد البحوث والدراسات الأفريقية - جامعة القاهرة

ونشر الدعوة الإسلامية بين بدو الصحراء . ولما نجحت بالخطر الأدنى عليها . أعدت العدة ودخلت في معارك حارية ضد القوى الأيوبية .

وسوف نمارك هذه الدراسة بقاء فكرة عن دور الطريقة السنوسية في مقاومة التوسع الإيطالي تجاه ليبيا والمقاومة السنوية والجهاد الإسلامي . ودور المعاهد عمر المختار في هذا الكفاح الليبي .

وعلى ذلك فإننا سنعرض في هذه الدراسة لمناقشة النقاط الآتية :

أولاً : إيطاليا تمهد الطريق للسيطرة على ليبيا .

ثانياً : بداية المقاومة السنوسية .

ثالثاً : معاهدة أروشي لوزان وخروج الأتراك .

رابعاً : إعلان المقاومة السنوسية والجهاد الإسلامي .

خامساً : التفاوض بين السنوسيين والإيطاليين .

سادساً : عصر المختار والجهاد الليبي .

أولاً : إيطاليا تمهد الطريق للسيطرة على ليبيا :

من المعروف أن انطلاق إيطاليا في ليبيا قديمة جداً . وقد أصبح تحقيق هذا الحلم أمراً ضرورياً بعد أن تعرضت المنطقة لوبئة استعمارية عارمة . وكانت إيطاليا تطمح في تونس لأنها قريبة منها . ولكن بعد غزو فرنسا لتونس في عام ١٨٨١ أصبح الأمل معقولاً على ليبيا . وفي أواخر القرن التاسع عشر أعلن فرانسيس كريسبي (CRISPI) رئيس وزراء إيطاليا أن البحر بين صقلية وخليج سرت يجب أن يكون مضميقاً إيطالياً . وبذلك لفت الانتباه إلى أهمية المنطقة . وأجبا النزعة الاستعمارية الزرمانية القوية .

وفي عام ١٨٨٥ بدأت إيطاليا تتعاون مع إنجلترا في شرق أفريقية . واستطاعت احتلال مصوع على شاطئ البحر الأحمر . وشغلت إيطاليا بتأسيس إمبراطورتها في إفريقيا في عام ١٨٩٠ . وحاولت كريسبي السيطرة على الحبشة . لكن الأحماس استطاعوا في النهاية تدمير هذه الأحلام المحيطة عندما أنزلوا بالإيطاليين هزيمة تكرا . في معركة عدوة الشهيرة في أول مارس ١٨٩٦ . وكان لهذه الهزيمة دور عظيم سقطت على أثره بذارة كريسبي . وأمام هذا الدشل النرويج في ساحة الحبشة . ويجرد أن انهارت آمال الإيطاليين في إنشاء إمبراطورية لهم في

بخطورة ما يجري في أفريقيا من تقدم أخذوا يتسلحون بأسلحة الغرب التماساً للقوة . وحاولوا بناء الأناطيل لسيرة الغرب في تقدمه . ولكن مع الفارق الشديد حيث انقلبت الأستاتذة إلى أوروبا في كاذبة ميادين العلم والمعرفة . وزاد الطين بله أن احتلت فرنسا مصر عام ١٧٩٨ . كما احتلت الجزائر عام ١٨٣٠ لتبدأ مرحلة من الزحف الأندلسي على ديار العرب والإسلام . ومع هذا الزحف رفدت حضارة جديدة وموارد الثروة ذات طابع خاص . والتقت هذه التيارات الواردة مع الحضارة الإسلامية والعربية . وإذا كان العرب في القرن السابع قد التقوا بالثقافات القديمة وأخذوا منها مختارين فابتهم التقوا بالحضارة الغربية في القرن التاسع عشر وأخذوا منها مكرومين^(١) .

وكان أن أدرك رجال الصفوة العربية أنه لابد من التكيف مع هذه الثقافة الوارثة . فانقسموا إلى فريقين . أحس الفريق الأول بما في الثقافة الغربية من خير قد يفيد المسلمين . وسعوا إلى الإصلاح من خلال التقريب بين الثقافة الإسلامية وتلك الثقافة الغربية . وأطلقوا على هؤلاء . لفظ المجددين .

أما الفريق الثاني فقد آمن بضرورة إصلاح التعليم والملازمة بين الشريعة والفكر الحديث . وصار هذا التجديد يعبر عن اتجاه فكروى بين المسلمين والتفكيرين من أجل الدفاع عن الإسلام في وجه التأثيرات الأوربية والمسيحية . وذلك من خلال دراسة هذه الأفكار الغربية والرد عليها . ثم الدعوة لإحداث ثورة في طريقة المعرفة . وضرورة القضاء على القيود التي يفرضها الفقهاء على المعرفة^(٢) .

وظهر فريق من المسلمين آمن بأنه لا نجاة من الضعف والتخاذل الذي اعتري الحياة الإسلامية إلا بالمحركات السلفية والمعودة إلى ماضى الإسلام المشرق . باعتبار أن هذا هو السبيل الوحيد لإنقاذ المسلمين . وذلك من خلال الدراسة والوعظ والتعليم وتبنيه الناس إلى ماضى الإسلام من خير . فكانت دعوة الجهاد لتطهير الإسلام من البدع . وتجنيد المسلمين لإنقاذ الإسلام مما أصابه من ضعف وهوان . وظهرت المحركات السلفية آمال الروابية في شبه الجزيرة العربية والسنوسية في ليبيا التي امتدت آثارها إلى السودان الغربي .

ودغم السنوسية طريقة صوفية إلا أنها أخذت من تعاليم الروابية . وأعلنت حرباً ضد التقاليد البالية . وأنتجت الزوايا السنوسية . وأخذت في تدوير الرجال على العمل والإنتاج

وفي عام ١٩١٦ في جنو من العلاقات الدولية المتوترة والمعقدة ، فمرت إيطاليا غزوا ليبيا في الحريف بعد ضمنت وثوق الدول الأوربية إلى جانبها . وفي سبتمبر سافر الحاكم التركي الإيطالي - ويصمى إبراهيم باشا - إلى القسطنطينية لإبلاغ حكومته عن التصريحات التي تمدها إيطاليا للحرب ، وكانت القوات العثمانية قد انسحبت من طرابلس لإخضاع ثورة نشبت في اليمن . وقد باهوت تركيا بإرسال سفينة شحن محملة بالأسلحة إلى ليبيا ، تحصل عشرين ألف بندقية ، وطلونا طلقة ، وبعض الذخائر الجبلية لتوزع على القبائل ، في حين أرسلت إيطاليا ابتداء إلى تركيا تعبير فيه إرسال مواد الحرب إلى طرابلس تهديدا للوضع الراهن في شمال أفريقيا . وبعثت إيطاليا أن المجال الإيطالية في خطر . وأعلن الإنذار بأن هدف إيطاليا هو احتلال منطقتي برقة وطرابلس ، وطلب الإنذار من تركيا عدم الاعتراض على هذه الخطوة . وفي ٢٩ - سبتمبر تفتت إيطاليا ردا على هذا الإنذار ، واعتبر هذا الرد بمثابة إنذار للحرب ، فأعلنت إيطاليا الحرب .

وقد تألفت الحملة الإيطالية على ليبيا من ٣٤.٠٠٠ من المشاة و ٦٣.٠٠٠ من الفرسان ، بالإضافة إلى ٤٨ مدفع ميدان ، ٢٤ مدفع جلي ، هذا في الوقت الذي لم تزد القوات الليبية عن ٥.٠٠٠ رجل في طرابلس و ٢.٠٠٠ رجل في برقة^(١٦) .

ثانياً : بداية المقاومة السنوسية :

وفي ٣ سبتمبر ١٩١٦ ظهر الأسطول الإيطالي أمام مدينة طرابلس . ودخلت إحدى قطعة القنباة تحت الراية البيضاء . وفي اليوم التالي أنزل الأهالي العلم الإيطالي من فوق القنصلية الإيطالية ، وحل محله علم الجمهورية الألمانية التي قامت برعاية مصالح الإيطاليين أثناء الحرب . ولم يحترم الإيطاليون شعور الأهالي في ليبيا ، بل أعطوا حملتهم صيغة دينية حيث باركتها الكنيسة وأقاموا الصلوات لشكر على دخوله المدينة ، ثم وضعوا الصليب محل الهلال وكان هذا كافياً لإثارة مشاعر المسلمين^(١٧) .

وفي أول أكتوبر ترقب الأسطول الإيطالي بعيداً عن مدينة طرابلس ، وبدأت عملية قصف المدينة . وفي الرابع من هذا الشهر استمر الضرب حتى احتلال المدينة في اليوم التالي ، واستولى الإيطاليين على أدرفه يوم ١٨ أكتوبر ، واستسلم الأتراك في ١٩ أكتوبر ، وانسحبوا من مدينة طرابلس واستقروا في قصر غريان وقصر العزيزية ، واتخذوها قاعدة رئيسية لتنظيم المقاومة . وقد دارت معركة بين الإيطاليين والأتراك في ١٩ ديسمبر ١٩١٦ انهزم فيها الإيطاليون بالرغم من كثرة عددهم . وقد تدفق المجاهدون على المسكر العثماني طوال شهر

أفريقية الشرقية ، اتجهت أنظارهم من جديد إلى شمال أفريقية . ولما كانت فرنسا هي المنافس الوحيدة لإيطاليا في تلك الجهات ، فقد أدرك الإيطاليون أنهم لا يستطيعون تحقيق ما رغبهم إذا ظلوا في خلاف مع فرنسا وكان أن ساعدت ظروف عديدة على تحسين العلاقات بين الطرفين حيث كان الرأي العام الإيطالي شديد الميل إلى التسارب وتحسين العلاقات مع الفرنسيين . وبعلا بعد هزيمة عدوة بعامة أرفقت إيطاليا حربها المريرة مع فرنسا ، واعتزلت فرنسا بإدعوات إيطاليا على طرابلس الغرب^(١٨) .

وفي ديسمبر عام ١٩٠٦ عقد الطرفان اتفاقاً تناول شؤون البحر المتوسط فصارت برقة وطرابلس مناطق نفوذ إيطالية ، كما تعهدت فرنسا بالتزام خط الحدود الذي نص عليه تصريح لندن في ٢١ مارس ١٨٨٩م ، باعتباره خطاً فاصلاً بين منطقتي نفوذهما وبعلا كلاهما في غرب أفريقيا . ومن هنا بدأت أنظار إيطاليا تنحصر إلى ليبيا باعتبارها قاعدة للانطلاق نحو أفريقيا^(١٩) .

وكان أن أخذت السفن الإيطالية تتردد على موانئ ليبيا بانتظام ، كما قامت إيطاليا بتفج الممارس الإيطالية لنشر لغتها وفي عام ١٩٠٥ أصدرت إيطاليا قراراً لصرف روما بالتعامل الاقتصادي في ليبيا . واستطاع هذا الصرف في خلال خمس سنوات السيطرة على معظم التجارة الداخلة والخارجية كذلك احتست إيطاليا بالبحوث العلمية والجغرافية لدراسة طبيعة ليبيا استعداداً للغزو . كما أرسل الإيطاليون بعثة بقيادة الكونت سفورزا للتجسس عن القوسيات ، واستطاع أعضاؤها وضع الخرائط الحربية ، ودراسة حالة الأرض دراسة كاملة . وأنشأ الإيطاليون المصانع والمعامل التي كانت أصلاً بمثابة حصود ومخازن للذخيرة . وعندما حصل الإيطاليون من الحكومة العثمانية في عام ١٩٠٥ على امتياز بإنشاء فرع لبنك روما كانت مهمته الحقيقية نشر الدعاية الإيطالية والتجسس على أحوال البلاد^(٢٠) .

وفي عام ١٩٠٤ حصلت إيطاليا على وعد من فرنسا بعدم القيام بأي عمل في طرابلس مقابل اعتراف إيطاليا بطامع فرنسا في مراكش . وفي نفس العام كسبت اعترافاً من بريطانيا بعونها في أفريقيا الغربية ، كما نالت ضمان ألمانيا والنمسا بحرية السبل في طرابلس .

وفي عام ١٩٠٦ حصلت إيطاليا على تأكيدات أخرى في مؤتمر الجزيرة^(٢١) وفي عام ١٩٠٨ اغتيل أحد القواسم الإيطاليين في ليبيا فقامت الصحافة الإيطالية بشن حملة أشاعت أن سلطات ليبيا عاجزة عن حماية الإيطاليين ، وطالبت بغزو ليبيا .

وما أن قامت الحرب الإيطالية الليبية حتى خرمت الدعوة إلى المجاهدين السنوسيين لرد همد المعتدين على أوطانهم ، وكانت دعوة زعيم السنوسية للجهاد بمثابة الشرارة التي أوقدت النار في طرول البلاد وعرضها ، إذ تدفق التطوعون وأنصار السنوسية كالسيل الجارف على ميدان القتال في طرابلس ، وأصدر أحمد الشريف نداء الشهير في منتصف يناير ١٩١٢ والذي حث فيه الطرابلسيين والبرقاريين على الجهاد ضد العدو وأعلن عن مزومه على التزول بنفسه إلى الميدان على رأس قوة كبيرة من المجاهدين ،

وكان لهذا النداء أثره في تدفق جميع المجاهدين والتطوعين على العسكرات العثمانية في العزيزية وطريان ومعسكر العرب ، وفي ٢٥ مارس ١٩١٢ دخلت لجنات أحمد الشريف إلى العزيزية مسلحة بالبنادق والخراب والسيف . وقد اعترف السلطان العثماني نفسه بهذا الجهد وأهدى في مارس ١٩١٢ سيفا ونيشانا مرصفاً بالجواهر إلى السيد أحمد الشريف مكافأة له ، وتقديراً لجهوده (١١٠) .

ولما احتل الإيطاليون طبرق ودرنه ونفى غازي ، هب الزعما ، السنوسيون في بنى غازي وغيرها للجهاد ، فكان شيوخ الزوايا يستجيبون فوراً لدعوى الجهاد خصوصاً السيد عمر المختار الذي كان يزود زوايا السنوسية وزعيمهم السيد أحمد الشريف في الكفرة . وفي أثناء عودته إلى زوايته القصور بلغه نبأ نزول الإيطاليين في بنى غازي واحتلالهم لها ، ولم يلبث بمجرد وصوله إلى القصور أن أمر قبيلة العبيد الموجودة في زاوية القصور بالاستعداد للحرب ، ثم طلب من بقية شيوخ الزوايا الانضمام للجهاد .

واستمر السنوسيون بقيادةه بعد ذلك بضيقون الحثاق على العدو حتى جاء أنور بك إلى المعسكر في درنه . وعزز المصري إلى بنى غازي ، والتحم المجاهدون مع الطليان في معركة كبيرة اشتركت فيها قبائل الحسا والدرسة وعائلة منصور ، واستولوا على غنائم كثيرة . وقفل من الإيطاليين مايزيد عن الألف بينهم عدد من الضباط ، وبعد حضور عزيز المصري وتوليته القيادة في بنى غازي هجم العرب على استحكامات العدو وقضوا على الحامية الإيطالية في يناير ١٩١٢ . كما اشتبك المجاهدون مع العدو في موقعة الزويفية . وشارك الأسطول الإيطالي في المعركة .

وأمام هذه الهزات الإيطالية رأيت إيطاليا أن خير وسيلة لإرقام الأتراك على قبول الصلح هو شزو السراجل العثمانية ومحاصرتها ، ولجأت إيطاليا في المحصول على مراقبة الدول

ديسبر ويناير ١٩١٢ حيث انضمت جماعات كثيرة من المجاهدين السنوسيين والطرابلسيين والعرب (٩٠) .

أما السنوسيون في برقة فقد قاموا بدور كبير في مكافحة الغزو الإيطالي ، بعد انصهار الحامية العثمانية من بنى غازي .

وقد تشاور الشيخ أحمد العيسوي ممثل السنوسية مع العثمانيين لجمع التطوعين للحرب (٩١) . وانضم عرب برقة إلى العثمانيين ، وعلى رأسهم شيوخ السنوسية . وكان السيد أحمد الشريف يقسم في زاوية الكفرة ، ويعلم بنوايا الإيطاليين ويرسل تعليماته إلى الشيخ أحمد العيسوي الذي كان يتولى سياسة أحمد الشريف .

وارتكب الإيطاليون فظائع جسيمة فاجسوا أهل المنشية شرقى مدينة طرابلس في ٢٢ أكتوبر ١٩١١ . وأوقفوا بهم مجزرة كبيرة لم ينج منها طفل أو شيخ أو امرأة وفي ٦ نوفمبر أعلنت إيطاليا أنها تضع طرابلس وبرقة تحت سيادة السلطنة الإيطالية والطفلة وأبليت ذلك رسمياً إلى الدول لإقرارها .

ومن ناحية أخرى لجح التطوعون من السنوسيين في تقوية الحامية العثمانية الصغيرة ، وحاصروا الإيطاليين في مدينة بنى غازي ، بل وفي معظم المدن الساحلية مثل برقة ، حتى وصل الضباط الأتراك والعرب الذين تولوا عملية تنظيم الدفاع ، وصل برقة المقدم عزيز على المصري . أما الإيطاليون فقد قاموا بضرب درنه وطبرق وبنى غازي . واحتلوا هذه الموانئ تحت حماية أساطيلهم ، وأكروها الحاميات العثمانية الضعيفة على الانسحاب إلى الداخل . وكان تدفق المجاهدين السنوسيين على العسكرات العثمانية سيباً في حدود هزلا ، في وجه المعتدين الإيطاليين ، إلى أن حضر أنور بك ورفاقه ، وتولوا تنظيم الدفاع عن هذه البلاد بمساعدة السنوسيين (٩٢) .

وقد قام عزيز على المصري بقيادة المواجه لمدية بنى غازي كما وصل المقدم مصطفى كمال وتولى قيادة القطاع المواجه لمدينة درنه . أما طبرق فكانت تحت قيادة ناظم بك .

وأما معسكر الجبل فكان تحت قيادة ميد القادر الفناي (٩٣) ، وكان المجاهدون يهاجمون الإيطاليين من حين لآخر ، ويدخلون الاستحكامات الإيطالية ويعودون بالقتال (٩٤) .

وحكذا حول سكان ليبيا الحرب بينهم وبين الإيطاليين إلى حروب عصابات لقيت فيها إيطاليا مقاومة عنيفة لم تكن تتوقعها (٩٥) .

مواصلة الجهاد لصد هجمات الإيطاليين على مدينة بني غازي ذاتها . وبذلك عرفت تقدم الإيطاليين نحو الداخل . ويلاحظ أن النشاط الإيطالي اقتصر على الساحل الليبي . ولكن استيلاء الإيطاليين على السواحل منع وصول الإمدادات إلى الداخل . وزاد الطين بلة عندما أفلقت بريطانيا حدود مصر . وأغلقت فرنسا حدود تونس ، فاضطر الشعب الليبي إلى ترك أرضه ومزارعه والتوجه إلى قلب الصحراء ، حيث احتشدت مجتمعات كبيرة من اللاجئين بجانب المسكرات (١١٩) .

ثالثا : معاهدة أوغش لوزان وخروج الأتراك :

عندما سقطت وزارة سعيد باشا في الدولة العثمانية ، وتولى الغازي مختار الرئاسة ، راودته فكرة إنهاء الحرب مع إيطاليا ، وإعلان استقلال طرابلس تحت إمرة أحمد الأسمراء الحسيني هناك . وكان أن بدأت مباحثات إيطالية عثمانية بعد وصول فخر الدين بك إلى سوسرا . ولكنها تعثرت . وأرسل الباب العالي رشيد باشا إلى سوسرا في أول أكتوبر ١٩١٢ بحمل تعليمات بعدم التشنج في المفاوضات حتى تنتهي الأمر بتوقيع معاهدة أوغش لوزان في ١٨ أكتوبر . وتعهدت الدولتان في المادة الأولى من المعاهدة بالقيام بما يلزم فوراً لتوقف العمليات الحربية . وإرسال مندوبين خاصين للتأكد من تنفيذ القرار .

كما تعهدت الدولتان بحجب ضباطهما وجنودهما . وأعلنت الدولتان العفر التام عن أهالي طرابلس وبقية ، كما صرح السلطان العثماني محمد الخامس بتنازله عن حقوقه في طرابلس وبقية لأهلها . ومنعهم استقلالاً داخلياً . وفي نفس الوقت أصدر الملك الإيطالي منشوراً إلى أهالي ليبيا ذكروهم فيه بأن بلادهم قد خضعت خضوعاً كاملاً لسيادة الإيطالية (١٢٠) .

وكان من نخطى الدولة العثمانية عن بركة وطرابلس أنها انسحبت في صست . وأرسلت وزارة الحرب العثمانية تعليمات إلى قواد الحرب تقيد وقف القتال والعودة فوراً إلى بلادهم . وكان أنور باشا قائد العمليات في بركة أسرع الضباط في العودة . ولكنه رأى أن من واجبه زيارة أمير السنوسية في الجغبوب ، ولعل وصل إليه في ٩ نوفمبر ١٩١٢ . وأقام ثلاثة أيام في ضيافة السيد أحمد الشريف مع الإخوان وأهل الجغبوب . اتجه بعد ذلك إلى معسكر درنة ، متعبها إلى السلم والأكندرية . وأخيراً إلى الآستانة لكن ينظم جيوش الدولة استعداد الحرب البلقان (١٢١) .

وأثناء لقائه مع السيد أحمد الشريف أبلغه بأن تخليفة متح الأمة الطرابلسية استقلالاً تاريخياً لها الحق في أن تقرر مصيرها . وقدافع عن نفسها . وأتفق في هذا اللقاء مع أنور باشا

الأوربية على مهاجمة ساحل البحر الأحمر العثماني بدلاً من مهاجمة شواطئ الدولة في أوروبا . وقامت إيطاليا بضرب السفن العثمانية في البحر الأحمر . وفي العقبة ، بل لقد ظهرت سفن الإيطاليين في مباء جدة ، وهو الأمر الذي جعل الدولة العثمانية طلقت نظر الإيطاليين إلى خطورة هذه الأعمال . ونظراً لأن الحرب العثمانية الإيطالية لم تسفر عن نتائج إيجابية فقد لبست الدولتان وساطة ألمانيا والنمسا وقامت إيطاليا في هذه الأثناء ، بضم بركة وطرابلس . عندئذ فكر المصدر الأعظم في الدعوة لعقد مؤتمر دولي للحفاظ على الدولة العثمانية حسب قرارات مؤتمر برلين (١٢٢) .

وقد حاولت إيطاليا أن تحصل على موافقة الدول الكبرى على قرارها بضم طرابلس ولكن دون جدوى . وقد أظهرت الدولة العثمانية استعدادها لعقد الصلح مع إيطاليا في حالة توسط أوروبا . مقابل الاحتفاظ ببقية الأراضي والأراضي الداخلية لنفسها (١٢٣) .

وفي ١٦ إبريل ١٩١٢ تقدمت إنجلترا باقتراح إلى الباب العالي يتضمن قيام الدول الخمس المحايدة بإرسال مذكرة إلى الباب العالي لعرضه شروطه للصلح وأنها . الحرب مع إيطاليا . وقيل أن ترد إيطاليا على الاقتراح تام الأسطول الإيطالي بضرب قلاع الدردنيل بالقنابل في شهر إبريل ١٩١٢ . ولكن نيران العثمانيين دوت الأسطول الإيطالي فعاد إلى النهجزم على جزر الدرد وكانيز ، واحتلوا رودس وبقية الجزر القريبة .

وجاء الرد العثماني يفيد عدم الدخول في مفاوضات لاستند إلى أساس المحافظة الفعلية على حقوق السيادة العثمانية وسحب إيطاليا قرارها بضم الولايات العثمانيتين . وبالطبع لم تقبل إيطاليا هذه الشروط . وواحت تواصل الحرب حتى النهاية . وهكذا استعدت العمليات الحربية في الدردنيل وبحر إيجه لكن تضغط على الدولة العثمانية ، وكان ضرب الأسطول الإيطالي لتفاج الدردنيل سبباً على العثمانيين لأن الإيطاليين ضربوا ودمروا بعض المحطات العثمانية في جزر بحر إيجه وأغرقوا بعض التوربيق المسلحة . كما قامت إيطاليا بالضغط على الدولة العثمانية لكن فشلت كل محاولات إنهاء الحرب . وأصبح على إيطاليا أن تواصل الحرب في شمال أفريقيا (١٢٤) .

وهكذا وأصلت إيطاليا لحرب . فاستقدمت قوات من أترتريا زودت قواتها بعدد من السيارات والطائرات التي اتجهت إلى ميدان القتال . وفي نفس الوقت نظمت الدولة العثمانية قواتها في طرابلس عندما استنزفت العمليات العسكرية . واستطاع العرب والعثمانيون

الليبية في إعادة حامتين إيطاليتين واستطوا مرزوق ، واضطر الإيطاليون إلى التراجع نحو جنوب الجزائر حيث طلبوا حيازة الفرنسيين ، أما ميانى فقد تراجع إلى مصراته ، وتغلب على غدامس وغريان .

وفي أبريل ١٩١٥ حلت أكبر كارثة بالإيطاليين عندما توجه ميانى من مصراته لمهاجمة المعسكر الليبي في قصر بوهادى جنوبى سوت ، وكان جيشه يضم أربعة آلاف مقاتل ، وكان يأمل في أن يساعده جيش ليبيا بقيادة رمضان الشيبورى الذى كان قد تعاون مع الإيطاليين لفترة من الزمان ، وكان القائد يعتقد أن الشيبورى لازال على ولائه للإيطاليين ، لكن عندما بدأ الهجوم على قصر بوهادى أمر الشيبورى رجاله بالإرتداد وأطلق النار على الإيطاليين . وقد غنم الشيبورى من جراء هذا العمل حوالي خمسة آلاف بندقية وعدة مدافع رشاشة ، وتقدم مع الليبيين إلى مصراته . وأمام هذا التحول في موقف رمضان الشيبورى صلت الأوامر إلى الإيطاليين بالانسحاب نحو الساحل ، فقام الليبيون ببيع حامية ترهونة أثناء انسحابها ، وانسلم ألف إيطالى في منطقة بني وليد . وانسحبت حامية غريان إلى العزيزة كما أخليت مصراته ووزاره . ولم بعد في أبدي الإيطاليين في منطقة طرابلس سوى الحرس وتاجورة وطرابلس ذاتها . وقد خسر الإيطاليون في هذه العمليات وحتى أغسطس ١٩١٥ أكثر من ثلاثة آلاف قتيل و ٢٤٠٠ أسير و ٣٠٠٠ مدفعاً و ١٥٠٠ بندقية بالإضافة إلى كمية كبيرة من الأسلحة والذخيرة (١٢٦) .

وبعد قيام الحرب العالمية الأولى وتغيير موقف الأتراك وانضمامهم إلى جانب الألمان فكر الأتراك في الارتباط بقيادة وطنية في ليبيا ، ووقع الاختيار على زعيم الثورة السيد أحمد الشريف الذى استقر رأى العثمانيين على اختياره قائداً لثورة أم شرقية . وكانت خطة الأتراك أن يقوم أحمد الشريف بالهجوم على حدود مصر في الوقت الذى تنتف فيه عمليات أخرى من دار فود في غرب السودان تجاه النيل ، ومن الجبهة ، ومن اليمن والصومال . وكان الهدف من كل هذا إرباك البريطانيين في المنطقة .

وبعد أن اتصل الأتراك بأحمد الشريف ، تم الاتفاق على تزويده بالأسلحة والذخيرة اللازمة لتنفيذ عملية غزو مصر ، وعينت نوري بك قائداً عسكرياً في ليبيا . وقد التقى نوري بك مع السيد أحمد الشريف في السلوم وسلمه خطاب السلطان الذى منحه لقب الوزارة الأولى (الصدر الأعظم) ويعطيه من منح الرتب والنياشين (١٢٧) .

على تسليم القيادة العامة في بركة إلى عزيز المصرى الذى ذهب إلى الجغبوب ليضكر السيد أحمد الشريف ، ويصحبته في هذه الرحلة السيد عمر المختار الذى واصل الجهاد مع عزيز المصرى ببسالة نادرة وقدرة فائقة . وظل عزيز المصرى في الميدان مع حفنة قليلة من ضباط العرب الذين كانوا ينظفون إلى مساندة دولة الخلافة العثمانية . وكانت الدولة العثمانية قد وقعت على المعاهدة دون أن تستشير الزعماء العرب والسوسيين .

بل لقد أغضت رغبات المجاهدين الذين قامت على أكفانهم هذه الحرب بقيادة السيد أحمد الشريف ، كما أثارت الدولة العثمانية شعور العرب والمجاهدين عندما أرسلت إلى طرابلس قائداً للسلطان - يدعى شمس الدين باتما - أظهر ميلاً واضحاً نحو إيطاليا . وأخذ يدعير العرب إلى تسليم السلاح ، والكف عن المقاومة ، كما أخذ يحض السكان على ترك السلاح ، وطلب منهم تحويل العيش تحت الحكم الإيطالى .

وفي شهر سبتمبر ١٩١٢ حضر السيد أحمد الشريف من واحة الكفرة إلى الجغبوب ، وأعلن عدم المشاركة في الصلح والاستمرار في القتال . وصارت المراتل العامة التى تصدر عن قيادة السوسيين تحمل خاتم الحكومة السوسية التى وأصلت المقاومة للغزو الإيطالى ، واعتبرت أن توقيع المعاهدة يعنى الاستقلال للإمارة السوسية . وبالتالي صارت ليبيا تحت قيادة من الأولى بركة ووزان بقيادة السوسيين ، والثانية في طرابلس بزعماء سليمان البارونى .

ومنذ ذلك التاريخ دخلت الحركة الصربية السوسية في طرد جديد من أطوار حياتها إذ انتقلت الزعامة الدينية إلى القيادة السياسية ، خصوصاً بعد أن ترك العثمانيون الميدان ، وصار على السوسيين يحمل أعباء المعارك ضد الإيطاليين . وكان أن انضم الجهاد الليبي بترعة جديدة ودوح قتالية . وكان على القيادة السوسية أن تعيد تنظيم صفوفها طبقاً للمتغيرات الجديدة ، وحسب الظروف التى استجدت على ساحة القتال ، وهكذا تحورت الحركة السوسية إلى حركة جهاد على ضد قوى الاستعمار الإيطالى .

رابعاً : إعلان المقاومة السوسية والجهاد الإسلامى :

عندما تقدم الإيطاليون في الصحراء ، واتخذوا من سرت قاعدة لهم ، وهبطوا الضابط ميانى (Miami) قائداً للاتلاقي في الصحراء ، تحركت القبائل إلى سرت لمواجهة الإيطاليين ، ولما احتل ميانى بعض الواحات في فزان ، رأى أحمد الشريف أن فزان هي أنسب مكان لمعاربة الإيطاليين (١٢٨) ، وأصبحت "زلة" قاعدة الاطلاقي ضد القوات الإيطالية ، ولجأت القوات

وعندما علم الإنجليز بنوايا السنوسيين لغزو مصر ، أرسل السير هنري مكما هون عند وصوله إلى مصر نائبا عن بريطانيا العظمى وأميراطور الهند ، وبعد إعلان الحماية على مصر ، التي خطأ في ١٥ يناير ١٩١٥ يوضع فيه العلاقات الودية بين مصر وليبيا عبر التاريخ ، كما وسط الإنجليز السلطان حسين كامل لدى السيد أحمد الشريف ، وأرسل السلطان قسلا رسالة تحصل نفس المعاني الودية ، ويطلبه في ذات الوقت بالوقوف على الجهاد في الحرب الناشئة . ولكن كل هذه الأمور جاءت بعد فوات الأوان ، وبعد أن اجتاحت القوات السنوسية حدود مصر ، وتوغلت في الداخل حتى صارت بالقرب من سيوة والسلمون وذلك في نوفمبر ١٩١٥ (١٢٤) .

ولما كثرت القوات السنوسية من العاملين بدأ الهجوم البريطاني المضاد لمواجهة هذا الغزو ، وتحركت القوات البريطانية في السلمون ، وتكررت في مرسى مطروح وانضمت القوات السنوسية مع القوات البريطانية في أم الرخم ، وادي ماجيد ، وفي جبهة الزرقا ، وسرعان ما رجع السنوسيون بعد هزيمتهم في بركة . أضعفت هذه الحملة من عزيمته السنوسيين في المقاومة ، كما صحبتها مجاعة كبرى وعندئذ أدرك السيد أحمد الشريف أن قواته المهتكة لم تعد قادرة على مواصلة القتال (١٢٥) .

وقد دارت معركة أخرى شرقي سبدي براتني في فبراير ١٩١٦ بين القوات البريطانية والسنوسية ، وأطلق عليها معركة العقابر وشارك فيها الشباب عبد الرحمن عزوم الذي نجح في التسلل عبر خطوط البريطانيين وانضم إلى الجيش السنوسي (١٢٦) .

هذا وقد حدث اتصال بين السيرجون ماكسويل (John Maxwell) قائد القوات البريطانية وبين السيد أحمد الشريف ، وعرضه عليه شروط التفويض لإتمام الحرب ، وتخرج السيد أحمد من الأراضي المصرية . لكن أحمد الشريف لم يكن على استعداد لهذه المفاوضات ، لأن القوات السنوسية كانت لا تزال تحتل بعض الواحات المصرية مثل القراقره والداخلة والواحات البحرية . وفي ٢٩ فبراير ١٩١٦ دارت معركة فاصلة أدت إلى هزيمة السنوسيين ، واحتل الإنجليز سبدي براتني واستردوا السلمون في ١٤ مارس ١٩١٦ ، واضطر أحمد الشريف إلى الانتقال إلى سيوة . ولما مضى الإنجليز عليه الحقائق اضطر إلى التوجه مع رجاله إلى الجغبوب في أوائل عام ١٩١٧ .

وبعد ذلك وصل خطاب للسيد محمد إدريس السنوسي وهو بمكرمة ، يتضمن بأنه قد جاء إنقاذ من إنجلترا بأنه إذا لم يبرح السيد أحمد الشريف ومحمد صالح الجغبوب خلال أيام

محدودة ، فسرف يضطرون إلى تسليم الواحة وتعظيم مقام السيد محمد بن علي السنوسي ، والفعل فرد السيد أحمد الشريف مغادرة الواحة إلى جالوا وأوجله وحتى لا يعرض مقام جدك للخطر (١٢٨) .

وبقي أحمد الشريف في العقيلة حتى أغسطس ١٩١٨ ، وعندئذ وصلته دعوة من أستانبول بخصوص حفل تتويج السلطان الجديد محمد وحيد الدين السادس ، فغادر ليبيا أحمد الشريف وبعده محمد صالح حرب على الفواصة الألمانية التي أحضرت الدعوة . وسافر السيد أحمد الشريف من هناك إلى الحجاز حيث واقفه التبة في عام ١٩٣٣ ، وانتمت الزعامة السنوسية إلى السيد محمد إدريس الذي كان يفضل سياسة التفويض في كفاح ليبيا ضد الاستعمار الإيطالي . وهنا تبدأ مرحلة جديدة في الموقف بين السنوسيين والإيطاليين (١٢٩) .

خامسا : المفاوضات بين السنوسيين والإيطاليين :

منذ أن تولى السيد محمد إدريس مقاليد الحكم في البلاد بعد رحيل السيد أحمد الشريف علقت الأصوات تطالب بفتح باب التعامل مع مصر ، ولكن ذلك كان لا يمكن أن يحدث إلا إذا تزوّقت المصالحات العسكرية في صحراء مصر الغربية ، وبالفعل اتصل السيد إدريس بالسلطات البريطانية في مصر وشرح لها الموقف . وكان الرد البريطاني يتضمن عدم التدخل في مفاوضات مع العرب طالما يرفضون التفاوض مع الإيطاليين (١٣٠) .

وهكذا خضع السيد محمد إدريس لشروط البريطانيين للتفاوض مع الإيطاليين ، وذلك نظرا للظروف الاقتصادية السيئة ،

وكان أن أرسلت بريطانيا وفدا إلى الأمير في الزويتية ، كما أرسلت إيطاليا وفدا عائلا ، ودارت مباحثات طوال شهرى مايو ويونيو ١٩١٦ . وقد اشترط الإيطاليون على السيد محمد إدريس الاعتراف بالسيادة الإيطالية على كل بركة من بني غازي حتى الكفرة . وأن يسلم البهايون أسلحتهم ، مقابل الاعتراف بالطريقة السنوسية . مع منح الكفرة استقلالاً إداريا ، وإعفاء الأسرة السنوسية من كل الرسوم الجمركية (١٣١) .

وحاول الليبيون تأجيل مسألة الاعتراف بالسيادة الإيطالية ، لكن تشدد الإيطاليين في هذه المسألة وعيضا حاولت بريطانيا التوفيق بين الطرفين ، إذ غادر الرند الإيطالي ليبيا ليعرض نتائج المباحثات على حكومته ، ولكن هذه المباحثات إنهارت ،

وفي أوائل عام ١٩١٧ تشكل وفد جديد من الإيطاليين ، وبحضور الوفد البريطاني بقيادة الضابط تالبوت بدأت مباحثات في عكروت أو طبرق ، انتهت في ١٦ إبريل من نفس العام إلى اتفاق حول تبادل الأسرى وفتح الطرق التجارية .

وفي اتفاق عكروت اتفق على اعتراف إيطاليا بالإمارة السنوسية . وتشمل جالتو ، وأربعة والكفرة . والجغبوب ، وأنها القتال وفتح طرق التجارة ، وتعهد إيطاليا بإبقاء المحاكم الشرعية ، وتجريد القبائل من السلاح في فترة أقصاها عام ، على أن يحمل المعسكرات السنوسية في موعد يعهد فيما بعد .

ويخص الاتفاق الجديد ثلاث عشرة مادة ، منها إنها التنازل والكف عن الحرب في برقة ، وفتح الطريق بين الساحل وداخل البلاد للتجارة بكل حرية ، في بنى غازي ودوزنة وطبرق . ويخص الاتفاق أيضاً أن يوجد في برقة مدارس للعلوم والصناعات وعلوم القرآن . كذلك نصت أيضاً على إعادة الزوايا وأراضيها والأماكن التابعة لها . وكان هدف محمد إدريس من هذا الاتفاق مع الإيطاليين إنها . حالة الحرب وفتح الطرق التجارية بين داخل البلاد وبقورها ، وفتح الأضرار التي لحقت بالجماعة السنوسية . واستطاع السيد إدريس بهذا الاتفاق أن يكتسب السلام في برقة في وقت كان العالم يكرى بنار الحرب العالمية الأولى . وكان هذا الاتفاق مع الإيطاليين أيضاً فرصة لتنظيم القبائل تنظيمًا دقيقًا ، كما كان عاملاً على استقرار الأمور في برقة ولذا اعتبر السكان السيد محمد إدريس اتفاقاً (١٣٦) .

وعقد السنوسيون معاهدة مع بريطانيا تفتح الطريق بين مصر وبرقة وتعهد السنوسيون بعدم فتح زوايا جديدة في مصر . واعتزرت السنوسيون بواجب الجغبوب أرضاً مصرية . وتركت بريطانيا لهم إدارة هذه الواحة مؤقتاً .

وبدأ السيد إدريس يقوى نفوذه في الداخل ورا . خط الحدود الإيطالية . وفي مايو ١٩١٩ أصدرت إيطاليا القانون الأساسي ليركه أسرة بقانون طرابلس . وقبرت إيطاليا الدخول في مفاوضات جديدة مع السنوسيين لتعديد علاقاتهم معهم بعد الحرب العالمية الأولى .

وتعلاً وقع اتفاق جديد أطلق عليه اتفاق الرحمة . يتكون من مقدمة وعشرين مادة إلى جانب ملحقين . ومن أهم بنود هذا الاتفاق الجديد الاعتراف بإمارة السيد محمد إدريس مع تقسيم القطر البرقاوي إلى قسمين ظاهريين :

قسم السواحل والأماكن الواقعة على الحدود . وهذه تحت السيادة الإيطالية . وتقسّم داخل البلاد وتضم وحدات أوجلة وجالتو . والكفرة والجغبوب . وهذه تحت سيطرة الأمير الذي اتخذ من اجداية مقراً له . ووفقاً لهذا الاتفاق صار السيد محمد إدريس أميراً على أن يورث اللقب في أسرته . وخصصت إيطاليا له علامة شهرية شخصية . له وأسرته . وصار له علم خاص . ووافقت إيطاليا على السماح للسنوسيين بحمل ألقابهم وانتخاب من يحلهم في البرلمان المحلي . وإعفاء أراضيهم من الضرائب .

على أن يتكون الجيش السنوسي من ألف رجل فقط ، وأن تصفى الأدوار السنوسية في خلال ثمانية أشهر . وقد سح للسيد السنوسي بجمع الزكاة من أتباعه . وهكذا حصل السيد إدريس على بعض الامتيازات مثل حق الأسرة السنوسية في المشاركة في الشركات التجارية الواقع الربح من رأس مالها حتى ولو كانت شركات إيطالية (١٣٧) .

لكن واجه الطرفان مشكلة حل الأدوار السنوسية حيث بدأت المشكلات بين الطرفين بسبب عدم تنفيذ السنوسيين لما تعهدوا القيام به عن حل الأدوار خلال المدة المحددة . بحجة أن النظام يقتضى بقاء الأدوار . ولما عقد اتفاق في ١٦ نوفمبر ١٩٢٦ أطلق عليه اتفاقية بر مريم لحل هذه الأدوار مع البد . في تأسيس أدوار مشتركة سنوسية وإيطالية . وكان وضع معسكر إيطالي بجانب معسكر سنوسي سبباً في إثارة التماس . بل حدوث تصادم بين الطرفين . وفي أواخر عام ١٩٢٨ بدأت الأمور تتوتر بين الطرفين ، ولم يقبل الإيطاليين الاتفاقيات السابقة مع الليبيين ، ورأوا أن السياسة السلمية لم تجهد .

وفي أوائل عام ١٩٢٢ بدأ الكونت فليرلي إعادة احتلال منطقة طرابلس . وتأزمت الأمور عندما اتخذ سكانها قراراً في مؤتمر غريان في نوفمبر ١٩٢١ بإمارة السيد محمد إدريس . كما قرروا العودة إلى خطة الجهاد حتى يعرضوا ما فشلوا في تحقيقه بالطرق الدبلوماسية . كذلك قرروا تشكيل حكومة وطنية تتولى تنظيم الجهاد وتضطلع بتنفيذ قرارات المؤتمر . كما شكلوا وفداً للذهاب إلى روما للتفاوض مع الحكومة الإيطالية بشأن القرارات التي توصل إليها المؤتمر . وهي إقامة حكومة قادرة بزعامة رجل مسلم منتخب من الأمة . ولا يعزل إلا بحجة شرعية وإقرار مجلس للشواب .

كذلك أرسل أعضاء المؤتمر وفدًا للسيد محمد إدريس لكي يبايعوه بالإمارة . وكثيراً وثيقة البيعة في ٢٨ يولييه ١٩٢٢ . وأرسلوها إليه في أجداب . وبالفعل قبلها السيد محمد إدريس في نوفمبر من نفس العام . ووعده بتنفيذها ومواجهة العدو صفًا واحدًا (١٣٨) .

وقد عين السيد المهدي المختار شيخاً لزواوية عين كذلك . واستمر المختار في السردان الغربي وقتاً طويلاً نائياً عن السيد المهدي حتى وافته في عام ١٩٠٢ . بعدها استخفى المختار إلى برقة حيث عين شيخاً لزواوية القصور مرة ثانية . فساعد على استقرار الأمور بالزواوية . وكان المشايخون يلبغون إليه لمسامحة أمراء العشور والضرائب .

وظل المختار بالقصور حتى قامت الحرب الليبية الإيطالية فكان من أوائل من لبوا النداء

والبواب القديس (١٣٦) .

وقبل أن يقادرو السيد محمد إدريس بلاءه إلى القاهرة . لم يترك الأمور تسيير حسب هواها . بل خطط ودير الأمر وترك القيادة في شخص عمر المختار الذي عرف محمد السنوسي وخطبه . واستشعر فيه روح العطاء والقداء . فأحسن به الإفرسي اختياراً في منقلب خنيط . وفي مرحلة يحتاج فيها الكفاح الإسلامي إلى مثل هذه الشخصيات البارزة التي تؤثر الموت على الحياة وتفضل الجهاد على الفعاس .

وكان أن أخذ المختار يجمع شمل شباب الإسلام في ليبيا وفي غيرها من بلدان شمال أفريقية . واتخذ جهاد المختار شكلاً جديداً من الكفاح والبطولة . حيث كان منذ بدايته منشقاً بين اتجاهين متناقضين : بين قسوة الواقع في ليبيا حيث الظروف غير مناسبة بالمرة للقيام بجهاد . وبين نسوة الواجب الذي يحتم عليه أن يقادرو معسر ليبداً الجهاد ضد أعداء الإسلام .

وكان المختار قد رحل مع السيد إدريس إلى القاهرة . ولكنه عاد إلى برقة في عام ١٩٢٣ . وجمع حولة تفرأ من زعما القبائل ذوى السلطة والنفوذ أمثال يوسف أبو راحيل . وعبد السيد العيار . وعثمان النامي . وكان نظام الحكم هنا يعنى سياسة جديدة في ليبيا حيث أعلن الحاكم الإيطالي أن السنوسية عدو له . ولابد من كبح جماحها . ولقد من نشاطها . وعين الزعيم افقاشي موسوليني حاكماً جديداً في ليبيا هو لويجي بنجيو فاني . وهكذا حتى بدأت العمليات الاستفزازية الإيطالية باحتلال اجيلية في ٢١ أبريل ١٩٢٣ .

أعلن الحاكم الإيطالي إلفاء . كاتبة الانتفاخات التي وقعتها إيطاليا مع السنوسيين . ونسى هذا القائد كل المراتب البرية وتمهيات إيطاليا للإمارة السنوسية .

كذلك طالب الحاكم الإيطالي محمد رضا السنوسي إتهاء المعسكرات المختلفة والمراكز الخربية . ولما ماطل محمد رضا في تنفيذ ذلك استدعى الإيطاليون فجأة تلك المعسكرات .

وفي ٢١ ديسمبر ١٩٢٧ غادر السيد محمد إدريس البلاد فجأة معلناً مرضه بالقلب وسوء حالته الصحية . والنجدة إلى القاهرة . حيث ظل هناك منقياً لأكثر من عشرين عاماً . وهكذا رحل السيد محمد إدريس . ولكن رجيله إلى القاهرة كان نفعهم بداية الكفاح المرير في برقة لأن الأمر . على الرغم من مرضه الشديد . اتخذ الإجراءات التي تكفل استئناف حرب الجهاد ضد الحكومة الإيطالية (١٣٦) .

وكان أن استمرت القيادة السنوسية . وبدأ الجهاد بشكل جديد . ولكن غمت زعامته أحد السنوسيين ويدعى المعاهد عمر المختار هذا بالإضافة إلى محمد رضا السنوسي أخى السيد محمد إدريس . وابن عمه صلي الدين . وكلهم تولوا القيادة الجديدة ضد الوجود الإيطالي في ليبيا (١٣٦) .

سابقاً : عمر المختار والجهاد الليبي :

ولد عمر المختار من أبوين عربيين في عام ١٨٦٢ في منطقة البطان وهو من عائلة فرحان التي تنسب إلى قبيلة النفة . من أكبر قبائل إقليم برقة . ونشأ المختار في البداية . وأماطه مناخها الإجماعي وبيتها الصحراوية بكل ما يتصف به من كبرياء . وحب للفروسية وألفة وعدم الخضوع وعزة النفس . وعندما ترمى والده في عام ١٨٧٨ تمهد إلى التجنوب . وحب المختار في هذه البيئة البدوية يتعلم في معهدا الدين . وقضى بها حوالي ثمان سنوات . تصقت فيها دراسته . واتسعت مداركه . وبرزت سمات القيادة عنده . كما اتصف بطرقة بالشدة والعصامة . والتهبات على الرأى . واسترعت كل هذه الصفات نظر السيد المهدي السنوسي . فسار موضع إعجاباه واهتمامه . ومن هنا جاء اعتناء القيادة السنوسية عليه في ذلك الوقت المبكر . وفي عام ١٨٩٧ عين عمر المختار شيخاً لزواوية القصور . فسار من مهامه بكل كفاءة واقتدار . وحرص المختار على أن تكون زاويته من أحسن الزوايا وأكثرها أمناً واستقراراً . فكان يطبق العدالة ويحق الحق ولا يتهاون في أداء واجباته الدينية . ولستطاع المختار أن يحصل على ثقة القيادة السنوسية . فتمتعه السيد المهدي اللقب الديني وهو لقب "سيد" الذي لا يفتح إلا لمن كان من العائلة السنوسية (١٣٧) .

وعندما ذهب السيد المهدي إلى السردان الغربي كان عمر المختار من أوائل المرافقين له إلى "تقرو" حيث شارك في الكفاح الذي نشب بين السنوسيين والفرنسيين حول واداي .

وما أن ظهر المختار ووجهه حتى أطردهم بقائهم الرشاش ، ولكن المختار صد لهم ، وعمد المجاهدون إلى عمليات السيارات الثلاث وعددت اقتصر على القوة الإيطالية فأبادوا أفرادها عن آخرهم . وكانت هذه الهزيمة الساحقة كافية لأن تلقى الرعب في قلوب الإيطاليين .

وواصل المختار سيرة حتى وصل إلى الجبل الأخضر ، ثم رحل إلى جالوا مقر السيد محمد الرضا ليبلغ التعليمات التي تلقاها في القاهرة من السيد محمد إدريس . وانفق الرجلان على تنظيم الجهاد وإنشاء الأذوار في الجبل الأخضر . وكانت المقاومة لا تعتمد البرقين : بركة الحمر ، وبرقة البيضاء . وقصر عصر المختار التوجه إلى أودار القارية في بركة وإلى المجاهدين في الجبل بهدف تشكيل أودار جديدة ، كما أشرح المختار على السيد الرضا بأن يرسل ابنه السيد الصديق إلى دور المغاربة . وغادر السيد إدريس جالوا إلى بركة حيث عين رؤساء الأذوار ، وتولى هو القيادة العامة بنفسه وهي القيادة التي استمرت حوالي ثمان سنوات . ولقد بدأ الجهاد عامي ١٩٢٤ و ١٩٢٥ بعدة اشتباكات ومناوشات ، ووسع المجاهدون نشاطهم العسكري في الجبل الأخضر . وقد لمع اسم المختار وسطع لجمعة كقائد بارع يتقن الكر والفر . ولم يكن في استطاعة الإيطاليين القيام بنشاط حرم ملحوظ في منطقة الجبل الأخضر وانصرف جهنم على احتلال واحة الجغبوب ، ولذا زكرو الإيطاليون كل منهم في الاستيلاء على هذه الواحة باعتبارها المركز الرئيسي للمستوسية . ورغم أنها أرض مصرية . وأعلنت إيطاليا أن الجغبوب ملك لها ودخلت أراضيها ومستعمراتها . وكانت تعتبر الاستيلاء على هذه الواحة بمثابة وسيلة للقضاء على الحركة السنوسية^(١٤٠) .

وفي تلك الأثناء كانت مصر تعيش في حالة سبة بعد مقتل السيد لى ستاك (STACK) قائد عام للقوات المصرية وحاكم عام السودان وهماوث استقالة سعد زغلول ووقف العمل بالاستياد وسيطرة بريطانيا على شؤون مصر الداخلية إلى ترك هذه الواحة المصرية إلى إيطاليا في شباط ١٩٢٩ .

واعتمد المختار في جهاده على خفة الحركة والكر والفر السريع على ظهور الجبل ولكن برهقوا الإيطاليين في الأراضي الوعرة وبدأ المختار يوسع عمليات الجهاد والمقاومة حتى شملت منطقة الجبل الأخضر الذي صار حصن المجاهدين الطبيعي بخباياه وكهوفه ولم تزد ثمرات المجاهدين عن ألف محارب بقيادة الشيخ المعجز عصر المختار الذي واصل الجهاد طوال أعوام ١٩٢٢ . ١٩٢٤ . ١٩٢٥ .

وأحتلوا القارات الموجودة بها . وأعلن الإيطاليون مطالبهم بتطبيق اتفاق الرصة . وأن تكون لهم السيادة المطلقة على الجبل الأخضر . والاعتراض بالسيادة الإيطالية على منطقة بركة كلها . وقام الإيطاليون باحتلال مقر محمد رضا الإداري في أبنابية ، وأنفقت جميع الأخلاف مع السنوسيين .

وكان هذا الفصل ضربة للسنوسيين ، كما كان سبباً في قيام زعماء السنوسية بواجهة هذه السياسة الجديدة . وتلك التعديلات المثيرة التي تريد إضفاء نور الحركة الإسلامية السنوسية في ليبيا . ولكن شاحات الأعداء - ولا راد لشينة الله - أن تظن الشحنة مضنية في أيدي رجال الجرياد تحت قيادة عصر المختار الذي تمل التمدد وأعلن الحرب على الإيطاليين وهو أعزول من كل سلاح ، إلا سلاح الإيمان بالله وكلمته على تحقيق النصر على هذه الفتنة الباغية وكان أن نصره الله . وأبده بجند لم يرها الأعداء ، حيث لم تزده القوات الليبية عن ألفي مقاتل نظامي وثلاثة آلاف غير نظامي ، بينما وصلت القوات الإيطالية حوالي إحدى عشر كتيبة بالإضافة إلى سربتين من الطائرات^(١٤١) .

ولما أحس المختار باتساع نطاق العمليات العسكرية الإيطالية ذهب إلى مصر للشاور مع زعيم الحركة السنوسية قبل الحوض في العاركة التي تدرب عليها .

وأجاز المختار الحدود في منتصف عام ١٩٢٢ . وقابل السيد إدريس ، وزير صديقه عبد الرحمن عزام ، وأقام في ضيافته بطهران . كما اجتمع المختار بمشايخ قبيلته الموجودين في مصر قبل العودة إلى بركة . وحاولوا إنشائه عن عزومه في الجهاد بدعوى أنه قد بلغ من الكبر عتياً . وأن الراحة والهدوء أئزم إليه ، وأن باستطاعة السنوسية أن تجهد زعيماً آخر للقيادة والجهاد .

وعتذرت غضب المختار غضباً شديداً وقال : أن كل من يتول هذا الكلام لا يريد خيراً لي لأن ما أسبر فيه هو طريق خبير ، ولا ينبغي لأحد أن ينهاني عن سلوكها . وكل من يحاول ذلك فهو عدو لي^(١٤٢) .

وما أن حصل المختار على تعليقات السيد إدريس حتى غادر القاهرة . وعند وصوله إلى السلموم وجد بعض الرفاق في انتظاره . وأخذ الجميع حاجتهم من اللبن الكافية ثم غادروا السلموم إلى بركة . وفي ليلال أخير الإيطاليون رؤساءهم بأن المختار اجاز الحدود الشرقية ، فأعد الإيطاليون ثلاث سيارات للقبض على المختار وأسروه عند بئر النقي .

وحاول بعض زعماء السنوسية التدخل لإنتاج المخاض بمرور مسألة المحقوق والزمامة السنوسية ، فثارت نائزته من جديد واتسعت من الجلسة . وكان هذا الإصرار على مطالبه سيئا في نفس الاجتياح دون تحقيق نتيجة تذكر . وكان أن تكررت الاجتياحات حيث عقد اجتماع تخبر في السابع من يونيو ١٩٢٩ ، لكن المخاض كان عملاقا في الحوار ، وفوت على الإيطاليين كل ما كانوا يسمعون إليه من تحقيق نزع السلاح ، وفرض السلام والاستسلام من جانب الشعب الليبي . وظلت مطالب المخاض من أجل موافقته على نوقف الجهاد تقوم على عدة أسس منها :

أولاً : جعل اللغة العربية لغة مصروف بها رسمياً في دوائر السلطات الإيطالية .
 ثانياً : عدم تدخل السلطات الإيطالية في شؤون الدين مع إعطاء الأهالي حق فتح المدارس التي تدرس علوم الدين الإسلامي .

ثالثاً : حرية الليبيين في حمل السلاح ، وأن تعهد السلطات للمواطنين ما أخذت من أراضيهم .

رابعاً : إطلاق سراح السجنين السياسيين .
 خامساً : المساواة في الحقوق والواجبات بين الوطنيين والإيطاليين .

سادساً : أن تختار الأمة زعيمها وأن يكون بجانب الرئيس مجلس من كبار رجال الدولة يتولى تصريف شئونها^(٤٤) .

وتوضيح هذه المهادئ والشروط مدى تمسك عمر المختار بمبادئ الدين الإسلامي . وكان معنى إجابة مطالب المخاض ، إنشاؤ الإمارة السنوسية التي عمل الإيطاليون منذ البداية على تخطيمها . وبعض هذا أيضاً اعتراف إيطاليا بهزيمتها السياسية ، وضياع جهودها التي بذلتها لمدة ستة أعوام . وكان من الطبيعي أن يرفض الإيطاليون مطالب المخاض . ولما قومت إيطاليا تقضى كل الاتفاقيات السابقة . وأدرك المختار عدم صدق الحكومة الإيطالية في مساعدتها إلى التصالح ، وأخذ يخطب في المجاهدين قائلاً لهم :

"تسلم إذا كل مجاهد أن غرض الحكومة الإيطالية إنما هو بث الفتنة بيننا لتفريق شعبنا ، وتفكيك أواصر اتحادنا ليم لهم الغلبة علينا وانعصام كل من شئ مشروع لنا كما حدث كثير من هذا خلال الهدنة . وليشهد العالم أجمع أن نوابنا نعو الحكومة الإيطالية نواباً شريفة ، وما قصدت إلا المطالبة بالحرية . ونحم المختار حديثه بقوله لهذا نحن غير مسئولين عن بقا

وكان هجوم النوار عادة بالليل حيث يفاجئون عدوهم في الأراضي الوعرة . ونظم المختار المجاهدين كل حسب قبيلته ، وعمل لكل قبيلة فرقة باسمها ، وساعدها عدد من الإخوان . وعلى رأس كل فرقة قائد ، ولها علم سنوسي^(٤٥) .

وكان عمر المختار ورجاله من القاتل أكثر حرية في التنقل لئلا يبحث أصحاب قواته وبغاية الحكومة الليبية في البلاد . وكانت تجمع الزكاة والتبرعات الأخرى من المواطنين^(٤٦) .

وحاربت إيطاليا شراء القيادات القبلية ، واستخدمت الدعاية والتخريف وإلقاء المشورات من الطائرات على العرب ، لكنها فشلت في كل هذه المحاولات . كذلك حاولت إيطاليا احتلال منطقة النزان ، وأرسلت إليها الحملات بصفة مستمرة حتى سقطت المنطقة ، كما احتلوا واحات أوجلة وجالوا وطوتوا برقة من الغرب والشرق بعد احتلال الجيوب . ولكن كل هذا لم يؤثر على عزيمته المجاهدين أو يضعف من روح عمر المختار الذي وأصل مقاومته ، إلى حدود ودية وبنى غازي وأوقع العديد من الهزائم بالطواير الإيطالية .

وحاربت إيطاليا الانتفاض على المجاهدين في حصونهم في الغابات وفي وادي الكرف . فأرسلت الطواير التي تدعمها الطائرات ، وما أدى إلى استشهاد سالا يقل عن ١١٠٠ من المجاهدين في الفترة من أبريل حتى سبتمبر عام ١٩٢٧ .

ثم كان أن قررت إيطاليا تغيير شكل المعارك في ليبيا بطريقة تساعدها على القضاء التام على المقاومة الليبية السنوسية . فأصدرت مرسوماً بتوجيه برقة وطرابلس في ولاية واحدة ، وعينت المارشال بادليو (Badoglio) حاكماً عاماً عليها في يناير ١٩٢٩ . وكان وصوله هذا للمارشال بداية مرحلة جديدة من الكفاح والجهاد الإسلامي . لأن إيطاليا بدأت حرب إبادة للوطنيين . وأصدر المختار نداء المشهور الذي حث فيه المجاهدين على معاينة الجهاد^(٤٧) .

وقد بدأ بادليو سياسة فرض الاستسلام على الليبيين دون قيد أو شرط . وهذا ما دفع الوطنيين إلى المزيد من الهجمات . وزاد عدد الشهداء الذين وهبوا حياتهم دفاعاً عن أوطانهم . ولم تجد إيطاليا بدا في مقاومة عمر المختار في أوائل مارس ١٩٢٩ بقصد إيجاد وسيلة لتسليم سوريا . وكان رد المختار يتسم بالحنكة والحكمة والوضوح . إذ تمسك بحقوق السنوسية وزعاماتها . بل وأصر على أن يكون للقطر البرقاوي الطرابلسي نفس الامتيازات التي تمتع بها جاراته في مصر وتونس .

التصون ، ومن القاعدة التي يضمون فيها خططاً للجهاد والمقاومة . وكان سقوط الكفرة صدمة كبرى ، ونكسة للجهاد الليبي الإسلامي ، كما كان بداية النهاية لإنهاء المقاومة الإسلامية التي ظلت طوال الفترة السابقة تشن الغارات ، وتقود حملات الجهاد ضد الغزو الإيطالي . واحتلال الكفرة مهددات مطالبة إيطاليا في تعديل الحدود الليبية من الجنوب مع إعادة الوضع العام لإيطاليا في أفريقيا .

وساحت الأحوال بعد سقوط الكفرة عندما قامت إيطاليا بإغلاق الحدود المصرية عن طريق مد خط من الأشلاك الشائكة عرضه عشر ياردات وارتفاعه خمسة أقدام من غربي السلوم حتى إلى شرمي سهوة ، وبشكل يفصل بينهما وبين الجنوب وعلى مسافة ٣٠ كيلو مترا .

وعلى امتداد هذا السلك الشائك أقيمت نقطة حراسة ومصون للدفاع عن الخط وأعطيت الأوامر بنقل كل من يقرب منه (٤٤٦) .

وانقطعت تماماً أية إمدادات للسيد عمر المختار في الجبل الأخضر . ورغم كل ما فعلته إيطاليا ضد ظل المختار في الجبل بقام الإيطاليين بالرغم من الصعوبات الجسيمة التي كانت تواجهه ، وفي ١١ سبتمبر ١٩٣١ وصل إلى الحكومة الإيطالية من دودياشي مستوف الجبل بركبية بأن مصادمات وقعت بين الجهاديين وقوة من خيالة الحكومة ، وكان أن غادر دودياشي في الحال بطريق الجو إلى مكان الحادث حيث وقف بنفسه على الحقل ، لأن دودياشي سبق أن قابل المختار وتحدث معه آنفاً ، للمفاوضات في عام ١٩٢٩ وسهل عليه التصرف على السيد عمر المختار . وعندئذ أرسل دودياشي السيد المختار إلى منطقة في حراسة مشددة إلى مرسى سهوة ثم نقل في مركب حرمي إلى بني غازي (٤٤٧) .

وكان المختار قد دخل في أحد الوديان في منطقة عين لاده ضمنى البيضاء مع حوالي مائة من الرجال الفرسان . فحاصر الإيطاليون الموقع ، ووجد المختار نفسه أمام القوات الإيطالية التي تفوقه عدداً وعسداً . وقد جرح المختار في هذه المعركة التي وقعت بالقرب من سيدي ولقع في ١٣ سبتمبر ١٩٣١ واضطر البطل الليبي إلى التسليم .

وقد عرض عليه الإيطاليون بعد أسره المغر الشامل مقابل التوقيع على نداء خطي يدعو للجهاديين إلى الكف عن القتال وتسليم أنفسهم وأسلحتهم . لكن المختار رفض ذلك . وفصل الشهادة على أن يصدر مثل هذا النداء ، ولذا كبله الإيطاليون بالحديد إلى قاعة المحكمة .

هذه الحالة الحاضرة على ما هي عليه ، حتى يتحرب أولئك الذين يسمون للقضاء علينا ، وسلوكوا السبيل للقوم (٤٤٨) .

وأمام إصرار المختار على تلبية مطالبه ، قرر الإيطاليون احتلال إقليم فزان الصحراوي إلى الجنوب من منطقة طرابلس . وقد استغرقت هذه العملية حوالي أربعة أشهر نى من ديسمبر ١٩٢٩ حتى إبريل ١٩٣٠ . ووجد الإيطاليون أن كل محاولات المواجهة المسلحة للقضاء على كفاح الزعيم عمر المختار قد باءت بالفشل . ولهذا لجأ الإيطاليون إلى أسلوب الرابطة والخصاع ، فنشروا الإشاعات ضد الزعيم المختار وذلك في محاولة للتبيل منه ، وتشويه سمعته ولكنهم فشلوا ، وأخيراً أخذوا يحاربون محاولة أخرى بتقديم مائة ألف من الفرنكات . لكن المختار فضل استمرار النضال والشهادة في سبيل الله على هذه العروض الدنيوية الزائلة . وهكذا فشلت لجنة الحوار والتفاهم مع زعيم الجهاد الإسلامي . وأخست إيطاليا أن هذا الرجل العتيق لن يقبل أية عروض ، وأنه لابد من القضاء عليه بالقوة المسلحة ، وصارت الحرب هي الفاصل الوحيد في هذا الصراع الدائر بين المسلمين وقوات الغزو الإيطالي (٤٤٩) .

واعتمد بادليو على الجيرال جرازاني (Graziani) الذي تولي العمليات الحربية في منطقة الفزان والتي استمرت حوالي عامين ، ووضعت إيطاليا خطة للجيرال جرازاني للقيام بتطهير في بركة ، وتقتضى هذه الخطة قيام الحكومة بحملة تطهير بين الوطنيين القهجين في المدن الساحلية ، وجمع عدد من الليبيين واستخدمهم ضد المجهدين ونزع أسلحة الأهالي والقضاء نهائياً على ما بقى من الجهاديين . وقد استخدمت إيطاليا ثمانية آلاف جمل لنقل معدات الحملة التي حاصرت الكفرة من جميع الجهات بعد أن هاجر الكثير من أهلها إلى مصر (٤٥٠) .

وكان أن بدأ جرازاني تنفيذ التعليمات ، وخطط الإيطاليون للاستيلاء على فزان على ثلاث مراحل ، حيث بدأت حملتهم في نوفمبر ١٩٢٩ . وفي ديسمبر وصلوا إلى سهبا . وفي ٩ يناير ١٩٣٠ وصل جرازاني إلى أم الأزاب ثم أولاد لسيبا في ١٣ يناير . وبعد أسبوع احتل مرزوق عاصمة فزان ، ثم استولى على غات في ١٥ فبراير ، كما استولى الإيطاليون على مساحات واسعة في الصحراء .

وأخيراً احتل الإيطاليون واحة الكفرة في عام ١٩٣١ بعد استخدام السلاح الجوي الإيطالي . وتمكن الإيطاليون من الاستيلاء على أجوف والناج . وهي مراكز هامة في واحة الكفرة . وبالطبع أدى سقوط الكفرة إلى ضعف روح المجهدين حيث حرموا من أهم مراكز

وكان استشهاد عمر المختار قد أضف من روح المقاومة السنوسية بسبب قلة المؤيدين وأغلاق الحدود واحكام الرقابة على البلاد (١٩١١) . والحقيقة ان تنفيذ حكم الإعدام في عمر المختار كان لطفه كبيرى وضرية قاصمة أصابت الجهاد الوطنى الإسلامى فى ليبيا . وكان احتفاء هذا الزعيم السنوسى قد أثر فى معنويات الرجال الهائين على قيد الحياة حيث أخذت الطائرات تبحث عن الجاهدين فى كل مكان . ثم تقوم بأسرهم . واضطر عدد كبير من المجاهدين إلى الترحل فى صحراء مصر الغربية . ومعظمهم من النساء والشيوخ والأطفال . وانتهت بذلك المقاومة الليبية إلى حين . ولكنها عادت من جديد مع قيام الحرب العالمية الثانية حتى تحقق استقلال الشعب الليبي فى عام ١٩٥١ (١٢٦) .

وباختصار كان المختار رجلاً صرف المصعب . وتدريب على القتال والجهاد ضد أعداء الإسلام فى أكثر من موقع . وأتبع إيطاليا بأنها تحارب شعباً بأكمله وليس مجرد جيش نظامى . وكان المختار قوى الشخصية صلب الرأى ، له عزيمته لاثنين رغم كبر سنه . يحب التضحية ، عالى الخلق . يمتاز برباط اللامش ، وعنده إيمان قوى بالله وأخلاص للوطن (١٢٦) .

لقد أصبح الزعيم عمر المختار أسطورة ألهبت حماس الشباب الليبي بعد الحرب العالمية ، وحشتهم على سواحل الكفاح والجهاد من أجل التحرر واستقلال البلاد . وكان للجعبية السبائية التى تأسست باسمه أثرها الكبير ودورها العظيم فى الحركة التحررية الليبية إذ كانت محمداً لأماله ومحفباً للحلم الذى عاش من أجله وناضل فى سبيله . واستشهد من أجل تحقيقه . ولم يهنا الشعبي الليبي إلا بعد أن حقق استقلاله . وعادت الزعامة السنوسية إلى انحكم من جديد . وظلت محكم فى ليبيا منذ عام ١٩٥١ حتى ثورة الفاتح من سنتمبر فى عام ١٩٦٩ . وهى الثورة التى وضعت نهاية لحكم السنوسيين ، وحوالت ليبيا إلى جمهورية .

وهكذا كان عمر المختار من قواد المسلمين الذين قاوموا الاستعمار الإيطالى بكل جريرته وصطوته . وأثبت أن الولاء للدين والوطن أقوى من كل العررض . وأن الإيمان بقضية النضال أمر ضرورى . ودرغم كل المفريات ، وكل المعاولات التى يبلها الإيطاليون لإرغامه على الاستسلام فإنه ظل يناضل ويكافح حتى سقط أسيراً فى أيدي الأعداء الذين لم يحترموا كبر سنه . ودرغم كل هذا فقد أجهب الأعداء قبل الأصداف . ويكفيه شهادة ألد الخصوم الجنرال جرانزاني الذى قال : لقد كان ذنبه الوحيد أنه يكوننا جناً فهو فى جميع الأحوال مخالف لنا وسياستنا . لايلين أبداً إلا أن كان الموضوع فى صالح ليبيا (١٢١) .

ونظراً لأهمية هذا الأسير البطل الذى دوح الإيطاليين طواك عقد من الزمان . جاء المرشال بادوليو من إيطاليا محضراً المحاكمة التى انعقدت فى دار البرلمان البرقائى .

ويصف محمد نزياد شكرى آخر معارك السيد عمر المختار مع الإيطاليين قبل القبض عليه ، بأنه ذهب مع بعض رجاله لتفقد أموال المجاهدين فى وادى الجرب المعروف بأنه صحب المسالك كبير الفايات . ويات هناك ليديين . ولا علت إيطاليا بوجوده هناك . أمرت بتطريق الوادى . وعندما شعر المختار ومن معه بأنه محاط بالعدو قد الهجوم على الإيطاليين فى الجهة القبلية ودارت معركة استمرت يومين وقد تمكن المختار ومن بقى معه من اختراق صفوف العدو حتى خرجوا من هذا الوادى وصلوا إلى غربي سلطنة فليما ثم قوة إيطالية أخرى غسر القوة التى حاصرتهم فى الوادى .

واضطرت قوات المختار إلى الانسحاب مع هذه القوة فى معركة جديدة بالرغم من نفاذ ذخيرتها . وقتل كل من بقى معه . وقتل حصانه أيضاً ووقع المختار مكانه وتكن من العلامر من تحت . وظل يقاتل هذه القوة وهذه إلى أن خرج فى يده وأخذوه أسيراً (١٢١) .

ولم تضعف همه المختار وهو لسير جريح إذ كانت ردهه أثناء المحاكمة نموذجاً للإقدام والشجاعة حيث شرح لهم أنه مجاهد وظنى بنفا أوامر رؤسائه كلنى قائد فى الميدان ، كما شرح لهم أن رجاله ليسوا من رجال المصايات أو قطاع الطرق . بل أنهم رجال جهاد وتحرير يفضلون الموت فى سبيل تخليص بلادهم من حكم الأجانب . واستغرقت المحاكمة منذ بدايتها حتى نهايتها ساعة واحدة وخمس عشرة دقيقة أى من الساعة الخامسة مساء حتى السادسة والربع .

ورفض الإيطاليون أن يطاق المختار عن نفسه . وحكروا عليه بالإعدام لأن جهاده أثلج مضجع الإيطاليين سنوات طويلة . وفى التاسعة من صباح الإربعاء ١٦ ستمبر نفذ الإيطاليون حكم الإعدام شقفاً فى الزعيم عمر المختار . وسط حوالى عشرين ألف لبيب جمعهم الإيطاليون لرؤيته وهو يتجه إلى جبل الشنقة . وظل المختار يردد الشهادتين حتى نفذ فيه الجلادون الحكم . وعندما وجد هؤلاء أن المختار لم يت أعادوا عملية الشنق مرة أخرى ودفقوه فى مقبرة سيدي عيب بناحية بنى غازى فى قبر عظيم بنوه بالأستى الملح . وحرصوا على إنبواه عملية الدفن سراً كما أخذوا معالم القبر حتى لا يبعثر عليه أحد . وأقاموا حركاً عليه . وفى هذه المناسبة رثاه أمير الشعراء أحمد شوقى بقصيدة جاء فيها :

خيرت فاخترت الميت على الظوى
رب لم تهبن جاعها أو تلمس نورا .
إن البطولة أن تموت من الظما
ليس البطولة أن تمسب الماء .

انتحاب الأتراك بعد معاهدة أوش لوزان ١٩١٢م . وقد أوضحت هذه الدراسة للدور السنوسي الإيجابي في مقاومة كل محاولات إيطالي للسيطرة على ليبيا . وأجبرت الإيطاليين على الاعتراف بالإمارة السنوسية في الداخل .

فانصأ : بعد الحرب العالمية الأولى وكونف إنجلترا إلى جانب إيطاليا اضطرت القيادة السنوسية إلى التسليم ، وتولى السيد محمد إدريس الذي واصل مسيرة الكفاح والنضال ضد الإيطاليين حتى توقيع اتفاقيات الصلح بين الطرفين والاحتفاظ بالإمارة السنوسية في الداخل ، واستمرار مسيرة الدعوة السنوسية لنشر الإسلام وحضارته واللغة العربية وثقافتها بين الليبيين الصحراء وتأسيس زوايا سنوسية متكاملة .

سأومًا : بعد فشل الولاقي بين السنوسية والإيطاليين الذين صارت لهم السيطرة الكاملة على ليبيا ، وبعد رجيل السيد محمد إدريس ، تولى القيادة السنوسية الزعيم المناضل عمر المختار ، الذي قدم صورة عميقة إسلامية مشرفة دوخت الإيطاليين لمدة عقد من الزمان وكان تضاله بصورة مشرفة ، وآية في النضال والتحدى رغم كبر سنه ، ومثالاً رائعاً للإسلام والشجاعة حتى تم التضحية عليه وأعدامه بين أهله وشعبه تظل صورته وشهامته نموذجاً للنضال والكفاح الذي لم يتوقف حتى تحقق استقلال هذه المنطقة ، وعادت ليبيا مرة ثانية تواصل مسيرة النضال العرس إلى جانب الدول العربية الأخرى .

صاحبًا : أسدت الدعوة السلفية السنوسية خدمة كبيرة للإسلام والمسلمين ، ودعت راية الجهاد والصدور والتحدى للفرز الأديس لشمال أفريقيا ، وظلت مناطق انتشار الدعوة كالسراج النير وسط الصحراء ، ينشر الإسلام وعلى شأن العروبة ، وعطن النحدي لكل من تسول له نفسه بالعمل ضد الدين الحنيف . وهكذا كانت الدعوة السنوسية في إطارها السنوسي الإسلامي وفي وجهها الصدودي ودورها في التحدي ، أحد المناهج المشرفة في تاريخ العرب والمسلمين وشالاً راضحاً للدور العرس في مواجهة الفرز الأديس لشمال أفريقية .

الخاتمة

من العرض السابق للمقاومة السنوسية لاستعمار الأديس لشمال أفريقية نجد أننا أمام عدة حقائق توضحها على النحو التالي :

أولاً : أن أوربا عندما اندفعت إلى العالم الخارجي بعد الثورة الصناعية وحركة الكشوف والجغرافية كان هدفها الأساس تطبيق القارة الأفريقية واستعمارها والسيطرة على ثروتها وثقافتها وأسواق جديدة للمنتجات الأديسية فضلاً عن الحصول على المواد الخام اللازمة للصناعة . وقد أدى هذا إلى سباق محموم وصراع مع القوى الوطنية في القارة الأفريقية . وكان على المسلمين التصدي لهذه الفرزة التي استهدفت العرب والمسلمين في المقام الأول .

ثانياً : كان على العرب أمام هذا الفرز الفكري والاقتصادي والاستعماري إما أن يقفوا موقف المقاومة والتحدى أو محاولة الاستفادة من هذا الفرز أو معارضة إحياء السلف الصالح والكتاب والسنة لمواجهة هذه الفرزة الأديسية . وأدى ذلك إلى انقسام العرب إلى فرقتين فرقت المجددين وفرقت الدعوات السلفية مثل الوهابية والسنوسية والمهدية .

ثالثاً : أهمية ظهور الدعوة السنوسية في شمال أفريقية في القرن التاسع عشر ومعارفاتها نشر الإسلام وحضارته بين القبائل البدوية في الصحراء ، منخدة من أفكار السنوسية وسيلة لتحقيق أهدافها . ولكن مع تفسير في الفكر السنوسي وتحول الزوايا إلى مراكز للحمل والإنتاج وخلايا للتدريس ، ونشر الإسلام وثقافته ، وصاوت الدعوة السنوسية تسمى إلى تطهير النفوس فضلاً عن أنها حركة فكرية تهدف إلى توضيح المبادئ على أساس منطقي كما أنها ابتعدت عن انحرافات الطرق الأخرى .

رابعاً : أدى انتشار الفكر السنوسي عملاً في السنوسية إلى قيام حركة إحياء وتجديد ، ودعوة إلى التمسك بسياسة السلف الصالح وكتاب الله وسنة رسوله ، وكان من الطبيعي أن تمتد الحركة إلى قلب أفريقية لنشر مبادئ الطريقة السنوسية ، كما كان طبيعياً اصطدام الطريقة بالتوسع الفرنسي القادم من غرب القارة . وقد أبلى السنوسيون بلاء في هذا المجال ، لكن جهلهم ، وحرصهم على مقاومة الفرز الأديس الاستعماري الإيطالي جعلت ليبيا محط النظر . وكان هذا التوسع الإيطالي حافزاً للسنوسية للتصدي لهذه الموجة ، وانتقل نشاط المهدي السنوسي ومن بعده أحمد الشريف إلى مقاومة هذا التوسع الإيطالي ، خاصة بعد

- (٢١) نقولا زبادي : ليبيا من الاستثمار الإيطالي إلى الاستقلال ، القاهرة ١٩٥٨ من ٥٦ ، ص ٨٠ .
- (٢٢) عبد الله عبد الرازق إبراهيم : عصر حركات التحرر الوطني في شمال أفريقيا ، القاهرة ١٩٨٤ ، ص ٨٠ .
- (٢٣) جون وايت : مرجع سابق ، ص ١٣ .
- (٢٤) شوقي الجمل : مرجع سابق ن ص ٢٨١ .
- (٢٥) محمد فؤاد شكرى : السنوية دين ودولة ، ص ١٦٣ .
- (٢٦) جون وايت : مرجع سابق ، ص ١٣٢ .
- (٢٧) شوقي الجمل : القرب العربي ، ص ٢٨٥ .
- (٢٨) محمد فؤاد شكرى : السنوية دين ودولة ، ص ١٨١ .
- (٢٩) جون وايت : مرجع سابق ، ص ١٣٢ .
- وأبنا عبد الله عبد الرازق إبراهيم : الطوق المصري ودورها في مقاومة الاستعمار الأجنبي في شمال إفريقيا ، القاهرة ١٩٨٩ ، ص ١٤ .
- (٣٠) محمد فؤاد شكرى : السنوية ، ص ٢٨٣ .
- (٣١) شوقي الجمل : مرجع سابق ، ص ٢٨٣ .
- (٣٢) محمد فؤاد شكرى : السنوية ، ص ٢٠ .
- (٣٣) جلال يحيى : مرجع سابق ، ص ٤٨ ، وأبنا شوقي الجمل : مرجع سابق ، ص ٢٨٥ .
- (٣٤) محمود الشنيطى : مرجع سابق ، ص ٩٤ - ٩٤ .
- (٣٥) محمد فؤاد شكرى : السنوية ، ص ٢٦٢ .
- (٣٦) جون وايت : مرجع سابق ، ص ١٤ .
- (٣٧) احمد محمود : عصر المختار الحلقة الأخيرة في الجهاد الوطني في طرابلس الغرب ، القاهرة ١٩٣٣ ، ص ٥ .
- (٣٨) محمد فؤاد شكرى : السنوية ، ص ٢٧٢ ، وأبنا ،
- عبد الله عبد الرازق : عصر حركات التحرر ، ص ١٤٥ .
- (٣٩) جون وايت : مرجع سابق ، ص ١٤٧ .
- (٤٠) محمد فؤاد شكرى : السنوية ، ص ٢٧١ .

- (١) حسن أحمد محمود : الإسلام والاتفاق العربية في أفريقيا ، القاهرة ١٩٦٣ ، ص ١٧ .
- (٢) Gibb : Modern Trends in Islam, Chicago 1945 .
- وأبنا احمد مصطفى السباعي : الحركة السنوية ، القاهرة ١٩٦٧ .
- (٣) محمد فؤاد شكرى : السنوية دين ودولة ، القاهرة ١٩٥٨ ، ص ١١٠ .
- وأبنا شوقي الجمل : تاريخ كشف أفريقيا ولتصانها ، القاهرة - ١٩٨٠ ، ص ٢٨٠ .
- (٤) جون وايت : تاريخ ليبيا منذ أقدم المصادر ، تحرير عبد البارود أحمد البارود ، طرابلس ، ليبيا ط ١ عام ١٩٧٧ ، ص ١١٣ .
- (٥) McCune : Italy in North Africa London 1913 .
- (٦) شوقي الجمل : كشف أفريقيا ، ص ٢٨٥ .
- (٧) Pritchard, Evans : The Sams of Cyrenaica, Oxford 1949, p. 108 .
- (٨) Albou, G.F. : The Holy War in Tripoli, London, 1912, p. 120 .
- (٩) مصطفى عبد الله يسر : المختار في تاريخ ليبيا المعهدة ، ليبيا ١٩٧٥ من ١١٥ .
- (١٠) Pritchard, E. : Op. Cit., p. 109 .
- (١١) د. محمد فؤاد شكرى : السنوية دين ودولة ، ص ١٢١ .
- (١٢) د. شوقي الجمل : القرب العربي الكبير في العصر الحديث ، ص ٢٧٦ .
- (١٣) Remond, Georges, Aux Camps Truce - Arabes, Paris, Hachette, 1913, 132 .
- (١٤) محمود الشنيطى : قضية ليبيا ، القاهرة ١٩٥١ ، ص ٤٨٤ .
- (١٥) محمد فؤاد شكرى : السنوية دين ودولة ، ص ١٣٢ .
- (١٦) جلال يحيى : تاريخ القرب العربي الكبير ، القاهرة ١٩٦٦ ، ص ٧٤ .
- (١٧) الرناثق الفرزبة المبرماتية ، للجلد الثالث - المصرفة الثانية رقم ٦٦ من ٢٠ فبراير ١٩١٢ .
- (١٨) جلال يحيى : القرب العربي الحديث والمعاصر ، ص ٤٤٧ .
- (١٩) Albou, G.F. : Op. Cit., pp. 230-233 .
- (٢٠) شوقي الجمل : مرجع سابق ، ص ٣٧٢ ، ونص المائدة ص ٤٤٩-٤٤٩ .

مراجع البحث :

- ١- الوثائق الفرنسية الدبلوماسية المجلد الثالث ، المجموعة الثانية وثيقة رقم ٢٦ - ٢٠ فبراير ١٩١٢ .
- ٢- أحمد الزاوي : عصر المختار القاهرة ١٩٣٤ .
- ٣- أحمد حديق الدجاني : الحركة السنوسية ، نشأتها ونموها في القرن التاسع عشر القاهرة ١٩٦٧ .
- ٤- أحمد محمود : عصر المختار الحلقة الأخيرة في الجهاد الوطني في طرابلس الغرب ، القاهرة ١٩٣٣ .
- ٥- جون وايت ، تاريخ ليبيا منذ أقدم العصور ، طرابلس ١٩٧٢ .
- ٦- جلال يحيى : المغرب العربي الحديث والمعاصر ، القاهرة ١٩٧٦ .
- ٧- حسن أحمد محمود : الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا ، القاهرة ١٩٦٣ .
- ٨- شوقي الجمل : المغرب العربي الكبير في العصر الحديث ، القاهرة ١٩٨٠ .
- ٩- شوقي الجمل : تاريخ كشف أفريقيا واستعمارها ، القاهرة ١٩٨٠ .
- ١٠- صلاح العقاد : ليبيا المعاصرة ، القاهرة ١٩٧٠ .
- ١١- عبد الله عبد الرازق إبراهيم : الفرق الصوفية ودورها في مقاومة الاستعمار الأجنبي في شمال أفريقيا ، القاهرة ١٩٨٩ .
- ١٢- عبد الله عبد الرازق إبراهيم : مصر وحركات التحرر الوطني في شمال أفريقيا ، القاهرة ١٩٨٤ .
- ١٣- عمر المختار : كتاب أبطال العرب ، بيروت ١٩٧٥ .
- ١٤- محمد حسن هيكل : مذكراتي في السياسة المصرية ٤ أجزاء ، القاهرة ١٩٢١ .
- ١٥- محمد فؤاد شكرى : ميلاد دولة ليبيا الحديثة المجلد الثاني القاهرة ١٩٥٧ .
- ١٦- محمد فؤاد شكرى : السنوسية دين ودولة ، القاهرة ١٩٤٨ .
- ١٧- محمود الشنيطى : قضية ليبيا ، القاهرة ١٩٥١ .

- (٤١) وحدة المهضوب أحمد الرازي الرئيسية للسنوسية منها صرح السيد محمد بن علي السنوس الكبير مؤسس الحركة السنوسية في برقة والأقطار المجاورة بالإضافة إلى أهميتها الاقتصادية حيث تحول مركزاً وسطاً بين مصر وبرقة . ثم بين السودان والصحراء الوسطى ، كما تمت من الناحية الإدارية مدينتي ليرتمة . ولما كانت المهضوب من الواحات المصرية فقد أصبح للاعتناء عليها أهمية على السيادة المصرية ولما سمت إيطاليا إلى اتفاق المهضوب بين إيطاليا ومصر والتي عقدت في القاهرة في ٦ ديسمبر ١٩٢٥ ، وحسب هذا الاتفاق دخلت المهضوب تحتها تحت الإطالين الوامة .
- أنظر : محمد حسين هيكل : مذكرات في السياسة المصرية ، ٤ أجزاء ، القاهرة ١٩٢٦ .
- محمود حسن صالح نسي : الحملة الإيطالية على ليبيا ، القاهرة ١٩٨٤ .
- (٤٢) جلال يحيى : مرجع سابق ، ص ٦٨ .
- (٤٣) محمود الشنيطى ، مرجع سابق ، ص ١٥٤ .
- (٤٤) أحمد الزاوي : عصر المختار القاهرة ١٩٣٤ ، ص ٢٨٩ .
- (٤٥) شوقي الجمل : مرجع سابق ، ص ٣٩ . فغلاً من المصنف المصرية التي نشرت البيان في ٢ يناير ١٩٢٩ .
- (٤٦) محمد فؤاد شكرى : السنوسية دين ودولة ، ص ٢٨٨ .
- (٤٧) نشر هذا النداء في المصنف المصرية في يناير ١٩٢٩ .
- (٤٨) نبي زكريا هيد ربه : المركات الإسلامية ضد الصهيونية والعلمانية والشيوعية ، الدورة ١٩٨٦ ، ص ٣٢ .
- (٤٩) Italy in North Africa, Journal of the Africa society, London, April, 1931, Editorial Notes, p. 193 .
- (٥٠) جون وايت ، مرجع سابق ، ص ١٥٦ .
- (٥١) محمد فؤاد شكرى ، السنوسية ص ٣١٢ .
- (٥٢) محمد فؤاد شكرى : ميلاد دولة ليبيا الحديثة ج ١ ، المجلد الثاني القاهرة ١٩٥٧ ، ص ٧١٦ .
- (٥٣) Khadduri, Majid : Modern Libya Faizimore, 1960 p. 25 .
- (٥٤) تقولا زيادة : مرجع سابق ، ص ١١١ .
- (٥٥) صلاح العقاد : ليبيا المعاصرة ، القاهرة ١٩٧٠ ، ص ٣٢ .
- (٥٦) كتاب أبطال العرب : عصر المختار ، دار العودة ، بيروت ١٩٧٥ ، ص ١٢٠ .

العلاقات المصرية الفرنسية في ضوء الحرب المكسيكية الفرنسية ١٨٦٢-١٨٦٧

عانت جمهورية المكسيك خلال العقد السادس من القرن التاسع عشر من اضطرابات مالية اضطرتها إلى الاستئذان من الدول الأوربية . وفي عام ١٨٦١ عجزت حكومة المكسيك عن دفع فوائد الديون ، فأصدر الإمبراطور جواريز Guarez إمبراطور المكسيك قرارا بإيقاف سداد تلك الفوائد لمدة عامين .

وكان أن تعرض أصحاب الديون من الإنجليز والفرنسيين والأسبان ، ولبأوا إلى حكوماتهم متذممين بالتدخل لرفع الدين عنهم . وبالفعل انفتحت الدول الثلاث بريطانيا وفرنسا وأسبانيا على إرسال حملة عسكرية مشتركة ، للضغط على حكومة المكسيك دون أن تعبر مبدأ مفرد أي اهتمام .

تولت الحملة في مهناه قبرا كروز Vera Cruz ، ودخلت العاصمة المكسيكية في يونيو ١٨٦٢ ، وذلك لإرغام حكومة المكسيك على دفع مستحقات الفائدين . ومرعان ما دب

أسناد التاريخ الحديث والمعاصر - كلية الآداب - جامعة الإسكندرية .

- ١٨- محمود حسين صالح نسفي : الحملة الإيطالية على ليبيا . القاهرة ١٩٨٤ .
- ١٩- مصطفى عبد الله بصير : المختار في تاريخ ليبيا الحديثة . ليبيا ١٩٧٥ .
- ٢٠- تقولا زيادة : ليبيا من الاستعمار الإيطالي إلى الاستقلال . القاهرة ١٩٥٨ .
- ٢١- نبيه وكريا عبد ربه : الحركات الإسلامية ضد الصهيونية والصليبية والشهوية . الدوحة ١٩٨٦ .

للإرجح الأجنبي :

- 1- Ahnaton G. F. : The Holy War in Tripoli, London 1912 .
- 2- Gibb : Modern Trends in Islam, Chicago 1945 .
- 3- Khadduri, Majid : Modern Libya, Palifmore 1960 .
- 4- Mi Cune : Italy in North Africa, London 1913 .
- 5- Remond, Georges : Aux Camps Turco - Arabes, Paris, 1913 .
- 6- Pritchard, Evans : The Sanusi of Cyrenaica, Oxford 1949 .
- 7- Italy in North Africa, Journal of the African Society London, April 1931 .

نظامها السياسي على أي جزء من القارتين الأمريكيتين صلا خطرا على سلامة الولايات المتحدة وسلامها^(١١٦).

وقد شجع حصول الولايات المتحدة الأمريكية على استقلالها من بريطانيا في عام ١٧٨٣، المستعمرات الأسبانية والبرتغالية في القارة الأمريكية على أن يخلعوا حفر الولايات المتحدة الأمريكية، لا سيما بعد أن خفضت أسبانيا للحكم الفرنسي خلال العهد نابليوني. ولهذا فصلت تلك المستعمرات الانفصال عن أسبانيا، فلا فائدة تخرج من بقائها تحت حكم دولة لا يمكنها الدفاع عن نفسها.

رأت الولايات المتحدة الأمريكية أن قضية هذه الدول الناشئة هي قضيتها، هي قضية الحرية، هي القضية الأمريكية، ووجدت في بريطانيا أكبر نصير لها في رفع علم الحرية في أمريكا الجنوبية، ولما وثقت الحكومة الأمريكية من تأييد بريطانيا الصادق، وجدت من نفسها القوة لتنادي ببدأ مترو الشهير^(١١٧).

لكن تكن الولايات المتحدة الأمريكية على درجة من القوة وقننة بما يجعلها تجرؤ على إعلان هذا المبدأ، فقد اعتدت على قوة بريطانيا وعلى تفوقها البحري الذي جعل لهذا المبدأ قوة وجعل له أثرا بيننا محترما. ولذا يفتن ليجورج كاننج George Canning وزير خارجية بريطانيا (١٧٧٠-١٨٢٧) في ذلك الوقت أن يصح بأنه أيد الدنيا الجديدة، لكي يحفظ القوانن في العالم القديم. ويقصد بذلك أنه ناصر حركة الحرية في أمريكا الجنوبية لكي يضع حدا لقوى الاستبداد في أوروبا^(١١٨).

وهنا تكامل ما هو الهدف من تأييد بريطانيا لبدأ مترو، إلى الحد الذي جعلها على استعداد للدفاع عنه بفوتها العسكرية؟ كان الهدف هو استئثارها وحدها بمصالحها في الأمريكيتين وحرمان الدول الأوروبية الأخرى من ازدياد نفوذها ومصالحها في العالم الجديد. يتعارض مع مصالحها هي، فبريطانيا مصانها فجارية، ولها تجارة مهمة مع أمريكا الجنوبية. ثم هي دولة رأسمالية، تهتم بالإنتاج الصناعي الكبير، وفي حاجة إلى أسواق عالمية.

ومن المهم أن نعلم أنه إذا كان لبريطانيا أثر كبير في خروج مبدأ مترو إلى حيز الوجود، فإنها لم تراقب في ذلك الوقت على هذا المبدأ المطير، فلقد كانت سياسة بريطانيا العمل على الرقود أمام ازدياد نفوذ الولايات المتحدة الأمريكية في أمريكا الجنوبية، بل وعارضت الفكرة التي ترمي إلى قيام جامعة أمريكية تحت إشراف الولايات المتحدة الأمريكية. وكانت

الخلافا بين الخلفاء، حول الإجراءات التي يجب اتخاذها إزاء المكسيك، فانسحبت القوات البريطانية والأسبانية، وبقيت القوات الفرنسية تواصل القتال وحدها.

وبعد أن تم لفرنسا ما أرادت، قام نابليون الثالث إمبراطور فرنسا بتسخ ناع الإمبراطورية المكسيكية للأمير مكسليان Maximilian شقيق إمبراطور النمسا فرنسيس جوزيف Franz Joseph فعارضت بريطانيا هذا الأمر، كما لم تعترف الولايات المتحدة الأمريكية بالنظام الجديد في المكسيك، لأنه يتعارض مع مبدأ مترو.

وهنا نجد لزوما على أن ألقى نظرة سريعة على هذا المبدأ وعلى الظروف التي ظهر فيها إلى حيز الوجود، فإله من ارتباط وثيق بموضوع البحث، لقد وجدت الولايات المتحدة الأمريكية على حدودها دولا أوروبية كبرى لا تنطس إلى نواياها، ودولا أخرى كان ضعفها مغريا للدول الأخرى القوية بالتدخل. ولذا فقد أعلنت حيادها إزاء المشكلات الأيوبية، فهي لن تتدخل فيها لأنها لا تصنها، وطالبت الدول الأوروبية بعدم التدخل بالمثل في شئون القارة الأمريكية. وما جا، يبدأ مترو على لسان الحكومة الأمريكية: إن سياستنا نحو أوروبا.. لازالت كما هي، وهذه السياسة تقضى بعدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأوروبية، وهذه السياسة تقضى بالاعتراف بالحكومات القائمة في أوروبا كحكومات شرعية.

وتستعمل من جارتينا على توطيد دعائم الصداقة معها بحزم وشجاعة، ولكننا لا نستطيع قبول أي ضمير أو اعتداء.

ولكن الموقف يختلف بالنسبة للقارتين الأمريكيتين.. فمن المستحيل أن تحصل الدول الأوروبية المتحالفة على تطبيق نظامها السياسية في أي جزء من هاتين القارتين دون أن يتعارض ذلك مع رعايتنا ومصالحنا.. ولذا لا نستطيع الولايات المتحدة الأمريكية أن تقبل مثل ذلك التدخل.

ولأن تدخل الدول الأوروبية في شئون أمريكا فيه مساس صريح بحقوق الولايات المتحدة ومصالحها.

ولأن القارتين الأمريكيتين أصبحت لهما الآن نظم حرة، ولذا فمن العيب ومن الباطل أن ينظر إليهما في المستقبل كأماكن صالحة للاستعمار الأيوس، وأن أمريكا تحتجزها الصراحة بروابط الصداقة مع الدول الأوروبية تعلق أنها تعتبر أمة معارضة من ناحية هذا الدول لقرض

وكانت سياسة لوى فيليب (1773 - 1800) Louis Philippe ملك فرنسا منذ الأربعينات من القرن التاسع عشر تهدف - دون شك - إلى إحياء الدول الصغيرة في البحر المتوسط ، وتوثيق صلات فرنسا بها . لكل تلك الأسباب كان لفرنسا دالة على ولاية مصر . ونظرا لرواية الأحوال المناخية والصحية بالمناطق التي كانت مسرحا للعمليات الحربية بالمكسيك ، أن تعرض الجنود الفرنسيون للموت والهلاك بسبب تفشي الحمى الصفراء بين جنودهم ، وجدت الحكومة الفرنسية أن العناصر البيضاء ، لاتصلح للخدمة العسكرية بتلك المناطق الحارة ، وأن من الأفضل استبدالهم بجنود من الأفارقة ممن اعتادوا على مثل تلك الأجواء الحارة .

ومن ثم فقد طلب نابليون الثالث إمبراطور فرنسا من والي مصر محمد سعيد إبداءه بفرقة من الجنود السودانيين للعمل تحت إشراف القوات الفرنسية في المكسيك . توافقت على إبداءه بأروطة من السودانيين تتكون من 666 جنديا^(١٦) دون أخذ موافقة السلطان العثماني .

ونظرا لمعارضة بريطانيا لسياسة فرنسا التوسعية في العالم الجديد ، فقد ساء لها موقف والي مصر من مسألة المكسيك ، وأخذ وزير خارجيتها يلزمون بندد به في مجلس العموم البريطاني^(١٧) .

ماذا كان موقف الولايات المتحدة الأمريكية من هذه القوة الحربية المصرية ؟ تكتم المسؤولون في مصر أمر إرسال هؤلاء الجنود تكتمًا شديدًا . إلى حد إبعاد الترتيبات اللازمة لإبحارهم ليلا من الإسكندرية ، ومن مكان غير مستخدم لرسو السفن .

وعندما علم وليم ثاير William Thayer متصل للولايات المتحدة الأمريكية الخبر أن مصر بشركات القوات السودانية ، حاول أن يقف على حقيقة الأمر من خورثيد باشا محافظ الإسكندرية فأبدى تجاهلا تاما بهذا الموضوع^(١٧) . وصرح أحد معارفيه بأن تلك القوة متجهة إلى مراكز إخماد ثورة قام بها الأهالي هناك ، وذلك لتضليل القنصل الأمريكي عن الهدف الحقيقي ، خشية أن يتهم في طريقها المقيبات والبراقيل .

وما أن علم القنصل الأمريكي بنيا إبحار هؤلاء الجنود من الإسكندرية في صبيحة 8 يناير 1863 إلى المكسيك^(١٨) ، حتى سعى إلى مقابلة محمد سعيد والي مصر ، للتوقف على وجهة نظر مصر في هذا الموضوع . ولكنه لم يستطع ذلك لمرض والي وقتئذ .

خشية بريطانيا من تفوق القوة الأمريكية في أمريكا الجنوبية كخشيتها من تفوق نفوة أي دولة أوروبية كبرى في الأمريكتين .

ولقد تحدثت بريطانيا فعلا هذا الجدا ، حينما احتلت جزائر فوكلاند في عام 1833 ، دون أن تعبر احتجاج الأرجنتين اهتماما كبيرا . وأما الولايات المتحدة الأمريكية فقد آثرت الصمت ولم تحرك ساكنا ، وكان الأمر لا يعنيها في شيء .

وستدفع مصلحة بريطانيا مرة أخرى الحكومة البريطانية إلى الاشتراك مع فرنسا وألمانيا في إرسال حملة المكسيك في عام 1863 . دون أن تعبر مبدأ مبرو اهتماما يذكر .

وكان القنصل في إصدار هذا الجدا إلى جون كوينسي آدمز^(١٩) John Quincy Adams (1767 - 1848) وزير الخارجية الأمريكية في عهد الرئيس منرو . على أنه لا يمكن إنكار فضل الرئيس الأمريكي في تقنين ذلك الجدا ، فهو بلا شك المرجح الأعلى للسياسة الخارجية الأمريكية .

وإذا نظرنا إلى رد الفعل الذي أحدثته هذا الجدا لدى دولة أمريكا الوسطى وأمريكا الجنوبية، نجد أن تلك الدول اعتبرت هذا الجدا مزيدا لاستقلالها وحرثتها ، ولكنها في الوقت نفسه رفضت أي تدخل من قبل الولايات المتحدة الأمريكية في شئونها الداخلية ، أو أن تقوم بعمل يتعارض مع استقلالها أو بحدده مستقبلها .

وكانت هناك صداقة وطيدة تربط مصر بفرنسا منذ عهد محمد علي ، فمصر في نظر فرنسا بلدان الذكرياتها ومصالحها ؛ فعلى أرضها نزل بوناپرت وقام بأعماله الشهيرة ، وبنو ريوغها أنشأت فرنسا أكبر مشروع عرفه العالم في ذلك الوقت ، وهو مشروع حفر قناة السويس ، ذلك المشروع الذي ربط الشرق بالغرب . كما كان لفرنسا جز ، كبير من أسهم قناة السويس . وكان لها أيضا إدارتها والإشراف عليها . ثم لها فرق ذلك عهد كبير من الرعايا القيمين في مصر والذين لهم فيها مصالح هامة .

هذا فضلا عن ميل والي مصر محمد سعيد إلى فرنسا والي كل ما هو فرنسي . فوافق على إبرام عقد امتياز شركة قناة السويس بشروط مجحفة بمصر ودون موافقة السلطان العثماني . رغم معارضة بريطانيا الشديدة لهذا المشروع في أول الأمر ، وسار الخديو إسماعيل على سياسة سلته في الاعتماد على معونة فرنسا في تنظيم الجيش المصري ، وإنشاء المصانع الحربية الجديدة . وفي إرسال البعث العلمية والعسكرية إليها .

الأمريكي حديثه مع ناظر الخارجية المصرية بطلب إصدار بيان رسمي تتعهد فيه الحكومة المصرية بعدم إرسال مساعدات حربية أخرى إلى المكسيك .

لم يفتح شارلوت هيل Charles Hale القنصل الأمريكي الجديد بمصر بما يذله سلفه من قبل في هذا الشأن ، وواصل سعيه لدى الحكومة المصرية للعصولة على تأكيد رسمي بعدم إبداء فرنسا بجنود جديد مستقبلا .

ويصودر هذا التأكيد من الحكومة المصرية بنهني الدور الأول من هذه المشكلة ، لأن الحكومة الأمريكية لم تعد تهتم بهذا الموضوع ، نظرا لانشغالها في الحرب الأهلية الأمريكية (١٨٦١ - ١٨٦٥) .^{١١٠}

أما من موقف الحكومة المشيانية من هذه المسألة التي وضعتها في موقف حرج أمام الحكومة الأمريكية ، فهو لم يعتمد الاعتراض على ما قام به والي مصر دون أخذ رأيها وموافقتها . ولم يكن أمام سعيد إلا الاعتذار لسلطان بعد أن وضعه أمام الأمر الواقع (١١٦) .

بدأ اللورد الثالث للمشكلة في أوائل عام ١٨٦٥ عندما رأت الحكومة الفرنسية ضرورة استبدال جنود الأورطة السودانية بالمكسيك بأورطة أخرى . وهذا أمر طبيعي خلال الحروب ، فالجنود إلى الوطن ، والإرهاق في الحرب يستلزمان ذلك . وقد وافق والي مصر إسحاقيل على هذا المطلب ، وأمر بتجهيز الأورطة الجديدة في شباط ١٨٦٥ (١١٦) . وكذلك تم إبلاغ قائد الأورطة السودانية في المكسيك بهذا الأمر (١١٦) .

وعندما علم شارلز هيل القنصل الأمريكي بمصر بهذا النباء ، طلب مقابلة إسحاقيل ، ورتت القبالة في ٢٥ أغسطس ١٨٦٥ ، وأبلغه بضرورة الامتناع عن إرسال الجنود الجديد . فر تأجيله على الأقل .

ونظرا لاحتها ، الحرب الأهلية الأمريكية ، بدأت الحكومة الأمريكية تهتم اهتماما كبيرا بكل ما يحدث في المكسيك . كما ازادت لهجة القنصل الأمريكي حدة في مخاطبته لإسحاقيل إلى حد التطريح بالتهديد ، فقال له : "إذا كان في استطاعة والي مصر أن يستغنى عن بعض مئات من الجنود اللاتين للخدمة في المكسيك ، فإن لدى الولايات المتحدة الأمريكية تحت السلاح مائة ألف جندي من نفس النوع يصلحون - بصفة خاصة - للعمل في مصر . وأنها على استعداد بأن تعامل الوالي بالمثل ، وأن تقوم بنفس اللورد الذي قام به والي مصر في المكسيك ، بناء على رجا ، دولة أخرى صديقة"^(١١٦) .

وتأ . عليه فقد أرسل القنصل بذاكرة (١١٦) يصف فيها بأن ما دام يد سعيد بعد خرقا صرحها لمعاهدة لندن التي وقعنها الدول الأوربية الكبرى في ١٥ يوليو ١٨٤٠ ، والتي حددت فيها مركز مصر السياسي محددا دقيقا . وأوضح بأن هذا العمل من جانب والي مصر سعيد ، إذا كان قد حظي بموافقة الباب العالي ، فمعنى هذا أن الدولة العثمانية قد أعلنت الحرب على المكسيك ، وإذا لم يكن الأمر كذلك ، فيعتبر سعيد خارجا عن طاعة مولاه ، ويجب معاقبته والوقوف في وجهه .

وفي ١٢ يناير ١٨٦٣ استطاع القنصل الأمريكي مقابلة (دو الفقارا) باشا ناظر الخارجية المصرية ، وطلب منه توضيحا لموقف والي مصر ، وعما إذا كان هذا التصرف من قبله قد نال موافقة السلطان أم لا ؟ فأجاب ذو الفقار بالنفي . وأضاف بأن إسحاقيل فرنسا بالجنود الثالث قد التمس من والي مصر إرسال أورطة من الجنود السودانيين لموازنة الجنود الفرنسيين في المكسيك . فرأى بأن ليست لديه السلطة في أن يرسل أكثر من خمسمائة جندي وهو عدد قليل لا أثر له .

فاعترض القنصل الأمريكي على هذا القول، موضحا بأن العبارة ليست بقلة العدد أو بكثرته ، ولكنها مسألة مبدأ ، وأن في الخرج عليه خرق صريح لمعاهدة لندن . ١٨٤٠ . ولجنود فرمان ١٨٤١ الذي قبلت أسرة محمد علي تورث الحكم على أساسه .

وأوضح ذو الفقار بأن الوالي سعيد لم تكن لديه أية فكرة عن خطورة هذا العمل ، وأنه تفكيره كله كان منصبا على تأدية خدمة أخوية لإسحاقيل فرنسا . وعلق القنصل الأمريكي على هذا القول بأن خرق معاهدة لندن بهم الدولة الأوربية الموقفة عليها أكثر مما يهم الولايات المتحدة الأمريكية . ولكن حكومته تصبر في سياستها الخارجية وتؤخر مبدأ منبر الذي يصبر القعدة الأمريكية . ولكن حكومة مصر في سياستها الخارجية وتؤخر مبدأ منبر الذي يصبر على أن أي تدخل من أية دولة أوربية في شئون القارة الأمريكية يعد عملا عدائيا موجها ضدها . وبهذه النظرة وحدها نظرت الولايات المتحدة الأمريكية إلى الحملة الفرنسية على المكسيك .

وإذا . تلك الإيضاحات التي أدلى بها القنصل الأمريكي لم يسع ذو الفقار إلا بتدبير الاعتذار عن هذا الخطأ غير المقصود الذي ارتكبه الحكومة المصرية . وأكد له بأن الحكومة المصرية لم تفكر في يوم من الأيام في إساءة علاقتها بالولايات المتحدة الأمريكية ، وأنها حرصت أشد الحرص على أن تحفظ بهذه العلاقة قوية على الدولام . وقد ختم القنصل

كذلك عندما علم الكولونيل ستانتون Col. Stanton قنصل بريطانيا العام بمصر نبأ محاولة مصر استبدال جنودها بالكسيك ، أبلغ حكومته بذلك ، فودت عليه بضدرة إتهام الحكومة المصرية بمعارضة بريطانيا نقل الفرنسيين قسرا . واجبارهم على الخدمة في المكسيك تحت العلم الفرنسي (١١٦) .

أبلغ القنصل الأمريكي وزير خارجيته بما دار من حديث بينه وبين السامويل ، وأخبره بان من المتوقع وصول ٩٠٠ جندي من السودانيين إلى ميناء الإسكندرية للإبحار فيها إلى المكسيك (١١٦) . فكان رد وزير الخارجية الأمريكية عليه بأن يبلغ الحكومة المصرية بأن الشعب الأمريكي لا ينظر بعين الإرتياح إلى إرسال جنود جنده إلى المكسيك . لاسيما بعد أن ألقى الحكومة الأمريكية الرق في صورتبه للندية والمسكرية . وهلا القبول بدل على اعتقادها بأن الجنود السودانيين أرقاء ، أمروا على التجنيد بالقوة ، وهو ما تعارضه الحكومة والكولونير الأمريكي .

وقد نقلت وزارة الخارجية الأمريكية وجهة نظرها هذه إلى سفيرى الولايات المتحدة الأمريكية في الأساطنة وباريس (١١٧) .

وفي تلك الأثناء ، وفي خلال المعادثات التي دارت بين القنصل الأمريكي من ناحية ، والجنود اسماعيل وناظر خارجيته من ناحية أخرى دون حسم للموضوع ، جرت بين ممثل الولايات المتحدة الأمريكية في باريس بييجلو Bigelow ووزير خارجية فرنسا معادلات بشأن الأورطة السودانية الزمزع إرسالها إلى المكسيك لتحل محل الأورطة الميجودة هناك ، استطاع خلالها ممثل الحكومة الأمريكية إتباع الوزير الفرنسي بالتنازل عن موضوع استبدال الجنود ، مع الاحتفاظ بحقه في ذلك .

وسرعان ما أخطر ممثل الولايات المتحدة بباريس وزير خارجيته بما دار في التقاتلة ، وتتنازل فرنسا عن استبدال الأورطة السودانية بأخرى . وفي الوقت نفسه أحبط القنصل الأمريكي عصر علما بذلك (١١٨) لاعتماد عليه في اتصالاته بالحكومة المصرية .

أطلع القنصل الأمريكي شارلز هيل شريف باشا ناظر الخارجية المصرية بفعوى الاتفاقات التي تم بين الدولتين الأمريكية والفرنسية بشأن التنازل . ورغم أن هذا الاتفاق سبب الفرح للحكومة المصرية للخروج من هذا المأزق ، إلا أن وجهة نظرها كانت تختلف عن وجهة النظر الأمريكية في هذا الموضوع . فتعلل الحكومة الأمريكية بعدم الموافقة على إرسال الأورطة لأنها

قد ألقت الرق مردود عليه ، فهو فهم خاطئ ، لأن مصر قد ألقت الرق قبل الولايات المتحدة الأمريكية بزمان طويل ، وأن تمسك مصر باستبدال الأورطة يرجع إلى أسباب إنسانية مرعية من كل دول العالم . فهؤلاء الجنود قد أمضوا ثلاث سنوات بعيدين عن أرض الوطن ، تاركين لولاهم ذريجاتهم ، ومنهم من أنهى مدة التجنيد المحددة ، ومن حقهم العودة إلى بلادهم ، وأن إحلال هؤلاء الجنود بأخرين لا يعتبر حيلة جديدة .

وبعد اتصالات عديدة مع الحكومة المصرية بخصوص هذا الموضوع ، استطاع القنصل الأمريكي في مقابلته لناظر الخارجية المصرية الجديد نريار باشا في ١٧ يناير ١٨٦٦ أن يحصل منه على توكيد رسمي ، بأنه لن يرسل جنودا جديدا إلى المكسيك ما لم تلح الحكومة الفرنسية على تنفيذ اتفاقها مع الرالي سعيد (١١٩) .

اكتفت الحكومة الأمريكية بما حصلت عليه من وعد وزير خارجية فرنسا ، وناظر الخارجية المصرية ، واعتبرت أن المسألة قد أصبحت منتهية عالم يجد جديد .

أصاب نابليون الثالث إمبراطور فرنسا الملل من طول مدة الحرب بالمكسيك ومن كثرة النكبات دون طائل ، لاسيما بعد أن فترت الولايات المتحدة الأمريكية من الحرب الأهلية ، وبدأت تهتم اهتماما شديدا بكل ما يحدث في المكسيك . إضافة إلى الضغط الواقع على فرنسا من قبل الحكومة الأمريكية ، فقرر نقض بديه من تلك الحرب والاتسحاب من المكسيك ، زام ذلك في مارس ١٢٠١٨٦٧ تاركا مكسيكيان يحارب المكسيكيين وحده بما تحت إمرته من لوات ، ولكنه اضطر في نهاية الأمر إلى التسليم في يونيو ١٨٦٧ ، ولقى حتفه رميا بالرصاص (١٢٠) .

وصلت الأورطة السودانية إلى باريس في أواخر إبريل ١٨٦٧ في طريق عودتها إلى مصر ، حيث استعرضها الإمبراطور نابليون الثالث ويرثقه شاهين باشا سردار الجيش المصري ، حيث ظم بتوزيع المكافآت والبيديات على الضباط .

وعادت الأورطة إلى الإسكندرية في ٢٧ مايو ١٨٦٧ على متن إحدى السفن الحربية الفرنسية ، حيث قام الجندي اسماعيل باستعراضها في فناء قصر رأس التين في اليوم التالي ، لفرح مسا . اليوم نفسه أقام عبد اللطيف باشا ناظر البحرية حفلا تحت رئاسة شريف باشا ، وعرضه فنصل فرنسا وبعض الضباط الفرنسيين ، وطباط الأورطة السودانية (١٢١) وكان

(١٣) عمر طوسون - بطرقة الأبرشية السردانية المصرية في حرب الكسليك ص ٢٠ .

A. A. Charles Hale to Secretary of State, vol. 4, Dec:pt. 1, no. 41. Alex. (١٤٤)

A. A. From Charles Hale, Cairo, 18/11/1865 (Enclosure: A). (١٤٥)

A. A. From Charles Hale to Secretary of State, Alex. 36/8/1865. (١٤٦)

A. A. From Secretary of State to Charles Hale, Washington 21/9/1865. (١٤٧)

A. A. From Charles Hale to Secretary of State, Cairo 18/11/1865. (١٤٨)

A. A. From Charles Hale to Secretary of State, Cairo, 18/11/1866. (١٤٩)

Reveret, et Deillard, Historique du Bataillon Nègre Egyptien au Mexique (1863 - 1867) Revue D' Egypte, p. 243.

Grain and Temperley, Europe in the Nineteenth Century, London 1920, p. 307. (١٥١)

أخذ مجازات توثيق الجنحة *

الأزهر منذ الحملة الفرنسية

كانت الأعرام الثقيلة التي أحل فيها الفرنسيون مصر أعرام كجاج . قاد فيها الأزهر الشعب لصد عدوان الفرنسيين ، وعلى الرغم من أن نابليون قد اختار عشرة من العلماء للبيان الوطني ، لتقريب بذلك عن طريقهم إلى الشعب . إلا أن روح الكجاج لم تهدأ ، وتقل في النضال ضد قوى العدوان من قتل . . من الأزهريين ومن عامة الشعب . وسجن من سجن . وما حادثة احتلال الفرنسيين للأزهر بخبرولهم بخافية على أحد .

و مع ذلك ، فإن الأزهر لم يواصل نشاطه منفلقا على نفسه ، وإنما تقدم بخطى ثابتة للبحث بالركب الحديث في عالم الحضارة ، وبادر بإرسال البعثات إلى أوربا ،

وعندما أرسل محمد علي البعثات العلمية إلى الأقطار الأوربية ، كان من بينها بعض الأزهريين ، وقد نجح منهم رفاعة رافع الطهطاوي . عميد المترجمين ، ورائد النهضة العلمية الحديثة وإبراهيم النبراسي . . واعتمد محمد علي على الأزهريين في التدريس بالمدارس الابتدائية والمحسوبة (الثانوية) . ونشطت حركة الترجمة بعد عودة المبرزين ، وأشرف الأزهريون على تصحيح ما ترجم ، كما أشرفوا على الصحافة والطباعة .

* أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية كلية اللغة العربية - جامعة الأزهر .

* ترجمة الناظرين فيمن ولي مصر من السلاطين .. في التاريخ .

* شرح على حكم ابن عطا الله السكندري .. في التصوف .

* ربيع الفؤاد في آداب الطريق وترتيب الأوراد . في التصوف .

* الشيخ حسن المطار

يرجع أصل الشيخ حسن بن محمد المطار إلى بلاد المغرب . ولكنه ولد وتعلم ، وعاش ،

وتولى بالقاهرة .

عاصر احتلال الفرنسيين لمصر ، ففكر القاهرة إلى الصعيد ، ولكنه عاد إلى القاهرة حيثما

علم أن مع الفرنسيين علما ، مهرة .. وقد اختلط بهؤلاء العلماء ، وأخذ عنهم بعض الفنون

النافعة .

وارتحل الشيخ المطار إلى الشام حيث أقام بدمشق فترة .. غادرها بعدها إلى ألبانيا حيث

أقام زمنا .

وأثناء الشيخ من هذه الرحلات ، فاتح علمه ، وأجاد عدة لغات .. وعندما عاد إلى مصر

تولى إنشاء جريدة الرقائق المصرية وأشرف على تحريرها في بد ، صدورها .

وتولى رحمه الله مشيخة الأزهر سنة ١٢٤٦ هـ (١٨٣٢ م) وظل مضطهما بأهملتها إلى أن

توفي سنة ١٢٥٠ هـ (١٨٤٤ م) .

وكان شبيخنا المترجم له يجيد كثيرا من العلوم والفنون ، ومن آثاره العلمية :

* رسالة في كيفية العمل بالانطراب .

* كتاب في الإنشاء والمراسلات .

* ديوان من الشعر .

* حاشية على إباحوجي .. في المنطق .

* حاشية على مقولات السيد البليدي .. في المنطق .

* كتاب في الإنشاء والمراسلات .

* ديوان من الشعر .

* كتاب مرصع الطلاب إلى فواعد الإعراب . في النحو .

وتولى مشيخة الأزهر في عهد الشيخ حسن المطار ، الذي دعا إلى تطوير الأزهر ، وأقنع

إهبال كتب التقدريين ، وأهبال العلوم الحديثة .

وفي عهد إسماعيل أنشئت دار العلوم ، وتولى التدريس فيها نخبة ممتازة من علماء

الأزهر .

وظهر في عهد أجههان : أحدهما يدعو إلى عداء للذنية الأوربية ، وكل جديد طارئ .

والآخر يدعو إلى إصلاح الأزهر . وكان يمثل الاتجاه الأخير رفاة رائع والسيد جمال الدين

الأفغاني .

وتألف في هذا العهد مجلس إدارة الأزهر . وكان من أعضائه الشيخ محمد عبده ، والشيخ

عبد الكريم سلمان ، كما وضع قانونه لضبط مرتبات العلماء .

وألقى بالأزهر ، بعد ذلك ، التعليم في الجامعات الأخرى بظننا ، والجامع اليسوعي بسوق

وجامع مديناط ، وجامع الشيخ بالإسكندرية ، وتوحد التعليم في هذه الجوامع ، وأدخل

الإصلاح فيها .

الشيخ عبد الله الشرفاوي

ولد الشيخ عبد الله بن حجازي بن إبراهيم الشرفاوي عام ١١٥٠ هـ (١٧٣٧ م) بقية

انظرية أهدى قري محافظة الشرقية . وتولى - رحمه الله تعالى - مشيخة الأزهر في الذا

من عام ١٢٠٨ هـ (١٧٩٣ م) حتى عام ١٢٢٧ هـ (١٨١٢ م) وكانت هذه الذا من أهم مراحل

تاريخ مصر ، ففيها قدم الفرنسيون إلى مصر ، ثم رحلوا عنها ليأتي في أعقابهم محمد

علي . وكانت منزلة الشيخ الشرفاوي ومكانته بين الشعب معروفة ، ولذلك اختير ضمن

العشرة الذين شكل منهم نابليون بونابرت مجلس الشورى الذي أقامه تولفا إلى الشعب

واسترضا له .. ولكن الشيخ عاش ثمرات الشعب وانفاحاته الوطنية .

وقد خلف - رحمه الله عليه - كثيرا من الرسائل والكتب القيمة .. منها :

* التحفة البهية في طبقات الشافعية .. في اللغة .

* العقائد المشرقية .. في التوحيد .

* الجواهر السننية على العقائد المشرقية .. في التوحيد .

١٢٤١هـ (١٨٢٥م) . وهي أول إرسالية مصرية إلى فرنسا ، فتألفت نفس المترجم إلى علوم المغرب فعكف على دروس اللغة الفرنسية من تلقاء نفسه رغبة منه في تحصيل العلوم بها أو نقلها منها إلى العربية لعله يتخلص من مهنة الإمامة . وكان معظم دروسه اللغة بنفسه فلم يقنن التلطف بها ولكنه تمكن من فهم معانيها فيها جيدا . وأخذ يطالع العلوم الحديثة فأثمن التاريخ والجغرافيا وعلومها أخرى . وكان ميلا إلى التأليف والترجمة فترجم وهو في باريس كتابا سماه «فوائد المفاتيح في غرائب عوائد الأوائيل والأواخر» وغيرها . فبلغ محمد علي باشا ما أظهره السيد رفاعة من النباهة والرغبة في العلم من تلقاء نفسه فسر به سرورا عظيما وأستبشر بطالعه .

وفي سنة ١٢٤٧هـ (١٨٣١م) عاد رحمه الله إلى الديار المصرية بعد أن نال الشهادات الناطقة بدرجة من العلم والفضل فولاها محمد علي منصب الترجمة في المدرسة الطبية التي كان أنشأها سنة ١٢٤٢هـ في قرية أبي زعبل قرب القاهرة برئاسة كلوت بك الشهير . وكان متربيا ورثاة الترجمة بها قبله المرحوم يوحنا عنخودى من أبناء سوريا . وله فيها خدمات جليلة وشهد لصاحب الترجمة بقصب السبق فلووه الترجمة وعمل على خدمة البلاد لا سيما وأن عارفى اللغات الأجنبية إذ ذلك كانوا يعدون على الأصابع . وما بعد له فضلا جزيلًا أنه أول من باشر إنشاء جريدة عربية في سائر المشرق وهي «الوقائع المصرية» فإتتها أنشئت بمساعدة ومساعدته سنة ١٢٤٨هـ ولا تزال إلى الآن وهي المبرمة الرسمية المصرية .

وفي سنة ١٢٤٩هـ انتقل من مدرسة أبي زعبل إلى مدرسة الطنجية في طره لترجمة الكتب الهندسية والفنون العسكرية . وفي سنة ١٢٥١هـ (١٨٣٥م) افتتح محمد علي مدرسة للألسن الأجنبية وعهد بإدارتها إلى صاحب الترجمة وسببت عند فتحها مدرسة الترجمة فنام الشيخ رفاعة إذ ذاك حق القيام بإدارة هذه المدرسة واختار لها التلاميذ من مدارس الأرياف بساتر جهات القطر فبلغ عدد تلاميذها في أول الأمر خمسين تلميذا ثم زاد حتى صار ٢٥٠ تلميذا . وكان في أبي زعبل مدرسة تجهيزية للطلب فنقلت إلى جهات الأرياف فهدت إدارتها إليه مع مدرسة الألسن ومدارس أخرى فرعية منها مدرسة للغة والشريعة . وأخرى للمحاماة . وأخرى للإدارة والأحكام الإمبرلمية .

وفي سنة ١٢٥٨هـ تألف فلم الترجمة من أول فرقة خرجت من مدرسة الألسن وبعد سنة ونصف سنة من تأليفه نال رتبة قائم مقام وكان قد نال ما يقدماها من الرتب فترجعا في أوراق محتاجة وفي سنة ١٢٦٢هـ نال رتبة أميرالاي فصار يدعى رفاعة بك بدلا من الشيخ رفاعة .

رفاعة بك واقع الطوطاوى

١٢١٦-١٢٢٩هـ الموافق ١٨٠١-١٨٧٣م

هو السيد رفاعة بك بن يدوى بن علي بن محمد بن علي بن واقع ويطلقون نسبهم بمحمد اليانقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن فاطمة الزهراء .

ولد في طهطا بديرية جرجا من صعيد مصر . ويؤخذ عما كتبه عن نفسه في رحلته التي سيأتي ذكرها أن أجداده كانوا من ذوي اليسار وأخذ الدر عليهم وقعد بهم كما هو شأنه في بنى الزمان . فلما ولد أترجم كانت عائلته في مصر . فصار به والده إلى مناة النية بالقرب من مدينة جرجا وأقام بين قوم كرام يقال لهم بيت أبي قفنة من أهل اليسار والبط . فأقام يقرأ القرآن ويقرأ كثيرا من الشون المتداولة على إخوانه وفيهم جماعة كبيرة من العلماء . الأفاضل كالشيخ عبد الصمد الأشمارى . والشيخ أبي الحسن الأشمارى . والشيخ نرج الأشمارى . وغيرهم .

ثم توفي والده فجاء رفاعة إلى القاهرة وانتظم في سلك الطلبة بالجامع الأزهر سنة ١٢٢٣هـ وجاهد في المطالعة والدرس جهادا حسنا حتى تآله من العلم شيئا كثيرا ولم يقص عليه بضع سنين حتى صار من طبقة العلماء . الأخلام في الفقه واللغة والحديث وسائر علوم العقول . وكان في جملة من تلقى العلم عليهم من العلماء الشيوخ حسن العطار الترنفي سنة ١٢٥٠هـ شيخ الأزهر فأحب صاحب الترجمة وميزه عن سائر أقرانه التلامذة وخصه بالتقرب منه لا أنس فيه من الذكاء . والاجتهاد فكان يتخرد إلى منزل الشيخ يأخذ عنه بعض العلوم أو مستشيرا في أمر أو ماشااكل ذلك .

وقضى صاحب الترجمة بجارية الأزهر زهاء ثمانين سنوت وكان كما قلنا في عمره . وكانت والدته تنفق عليه بما تبيعه من بقايا حليها ومصاغها . فلما أتم دروسه تعين سنة ١٢٤٠هـ (١٨٢٤م) إماما في بعض الآيات المتحد براتب يساعده على القيام بأرد حياته .

وكان ذلك في عصر محمد علي باشا الذي كان يرسل البعثات المصرية إلى أوروبا لتلقى العلوم الحديثة ليكثروا له أمرا في فتح المدارس وث تلك العلوم في أبناء البلاد فأمر بتعيين صاحب الترجمة إماما لهم للوعظ والعلا . فسارت الإرسالية المشار إليها من مصر سنة

محمد علي باشا حتى أمر أن تنقل في قصوره ثم أمر بطبعها وتلخيصها في الدواوين وبين زوجها، والأقربان .

٢- التعريبات الشافية لهدد المخرافية . وهو مجلد ضخف ترجمه من الفرنسية إلى العربية لتدريس المخرافية في المدارس المصرية . وقد طبع خير مرة في مجلد كبير .

٣- جغرافية مطربون . وهو كتاب مؤلف من عدة مجلدات كبيرة يبحث في الجغرافية بحثا تاريخيا مطولا ترجم منه المؤلف أربعة مجلدات كبيرة طبعت في مطبعة بولاق . ويظهر من مطالعتها أنه ترجمها على عجل والواقع يؤيد ذلك أننا علمنا أنه ترجم مجلدا منها في سنتين يوما سنة ١٢٦٥هـ .

٤- كتاب فلاحه المفاخر في غريب عرائد الأرائل والأواخر ترجمه في باريس وقد قدم ذكرا .

٥- كتاب المرشد الأمين في تربية البنات والبنين . وهو مجلد واحد ألفه للتعليم في مدرسة البنات .

٦- كتاب المنفعة المكتسبة في النحو . ألفه لتعليم قواعد النحو في المدارس الابتدائية مطبوع طبع حجر .

٧- مرقع الأتلاخ في أخبار تلمسك . وهو تعريب وقائع تلمسك الفرنسية ترجمه يوم كان في الخرطوم مع بعض التصريف .

٨- مباحج الألباب المصرية في مناهج الألباب المصرية . وهو بحث عن آداب العصر وسياسة وصنائه وعلومه وفنونه ومطبخه بطبعة بولاق الأميرية .

٩- مختصر معاهد التنصيص . وهو اختصار المعاهد مع بعض الزيادات إلى الأصل ولم يطبع .

١٠- المذهب الأربعة ، وهو بحث في المذاهب الأربعة أثناء زمانه لمدرسة الألسن .

١١- شرح لامية العرب .

١٢- القانون المدني الإرتجحي . مطبوع .

ومازال رداة به ناطرا لمدرسة الألسن حتى أغلقت على عهد الأمير عباس باشا الأزل فأمر بإرساله إلى السردان لنظارة مدرسة الخرطوم ومازال هناك حتى توفي عباس باشا المشار إليه سنة ١٢٧٠هـ ، فعاد إلى مصر ومثل بين يدي سعيد باشا فعهد إليه سنة ١٢٨١هـ وكالاه مطربة الحررية بجهة الصليبية فموت زناة سليمان باشا اللرنساوي وبعد فليل أنشئت مدرسة الحررية بالقلعة فأجبلت إليه نظارتها مع نظارة علم الترجمة ومدرسة المحاسبة والهندسة الملكية والتبشيش والمصارحية وعند ذلك نال المرتبة الممتازة .

وفي سنة ١٢٧٧هـ ألفت كل هذه المدارس قبضى رفاة بك بغير منصب إلى سنة ١٢٨٠هـ فأعيد إلى نظارة علم الترجمة وتعين عضوا في قوسيون المدارس وتولى إدارة جريدة وروضة المدارس ، مع شابرته على السالف . ومازال قائما بهذه المهام حتى توفاه الله سنة ١٢٩٠هـ بقاء الترتلة الحانية وله من العسر ٧٥ سنة . وقد ملأ الديار المصرية من المترجمين والأساتذة والمهندسين وغيرهم من استفادوا من مؤلفاته وتعاليمه . وقد اطلعنا على كتاب خطي أسد وحلية الزمن يناقش خادم الوطن ، تأليف صالح بك مجدلى عدد فيه مناقب صاحب الترجمة وعنه أخذنا معظم ماذكرناه هنا وقد ذكر فيه أيضا عددا كبيرا من الذين أخذوا العلم عن وينفرو واشتهروا وذكر مناصبهم ووظائفهم وأعمالهم مما لا يمكن لأكثره هنا .

صلاه :

وكان رحمة الله قصير القامة واسع الجبين متناسب الأعضاء . أسمر اللون حازما مقدما على ذكاء وحدة . وهذا ما نهض به من حضضض العصر إلى مراتب المجد والفخر حتى أصبح يشار إليهم بالبنان ويقضى بأعمالهم بنو الإنسان .

وكان في أوائل حياته إلى أن عاد من الديار الإرتجحية يلبس اللباس العرس الخاص من الجية والسامة والققطان ثم بدله باللباس الإرتجحي المشهور .

مؤلفاته :

نختم ترجمة حاله مؤلفاته الواحد بعد الآخر مع وصفها بقدر الإمكان :

١- خلاصة الإبريز والديوان النفيس . وهو رحلته إلى فرنسا ذكر فيه ما شاهدته من العادات والأخلاق والأزياء وآثار التسدن الحديث وكل ما يتعلق بملك وقد حازت من القبول لدى

* الدين والوحي في الإسلام .

* ترجمة فرنسية لرسالة التوحيد للإمام الشيخ محمد عبده .

* بعض الكتب التي لم تشر بعد في النطق والفلسفة والآداب .

الشيخ عبد الرحمن تاج

ولد الشيخ عبد الرحمن تاج سنة ١٣١٤هـ (١٨٩٦م) ونال شهادة العالمية سنة ١٣٤١هـ . ثم حصل على شهادة التخصص عام ١٣٤٥هـ (١٩٢٦م) وعين بعد تخرجه مدرسا بمعهد أسبوت الدينس ، ثم نقل إلى المعهد الأزهرى بالقاهرة سنة ١٩٢٦م . واختير أستاذا بكلية الشريعة سنة ١٩٥٢هـ وفي سنة ١٣٥٥هـ (١٩٣٦م) اختير عضوا في هيئة الأزهر إلى فرنسا حيث حصل على الدكتوراه من جامعة السوربون في موضوع «الهاية وعلاقتها بالإسلام» .

ولما عد إلى الوطن عام ١٣٦٢هـ (١٩٤٣م) اختير للتدريس في قسم تخصص القضاء الشرعى ، ثم عين منتظما للعلوم الدينية والشرعية بالمعهد الأزهرى . وعين بعد ذلك شيخا لمعهد الزوازين الدينس . فشيخا للقسم العام والبعوث الإسلامية بالأزهر . وعضوا دائما وسكرتيرا فنيا للجنة القنصرى بالأزهر . وقد كان في عضوية هذه اللجنة منذ إنشائها في سنة ١٣٣٨هـ . ثم اختير أستاذا للشريعة الإسلامية في كلية الحقوق بجامعة عين شمس . وحصل على عضوية جماعة كبار العلماء عام ١٣٧٠هـ (١٩٥١م) وكان موضوع رسالته «السياسة الشرعية في الفقه الإسلامى» .

وقد اختير الشيخ عضوا في لجنة وضع الدستور عام ١٩٥٢م ثم عين شيخا للأزهر في يناير سنة ١٩٥٤م . ولى بتعيينه هذا حتى عين وزيراً في الاتحاد العربى بين اليمن والإقليمى المصرى والسودى فى الجمهورية العربية المتحدة سنة ١٩٥٨م ثم اختير عضواً بجميع اللجان العربية عام ١٩٦٣م .

١٣ - كتاب توثيق الجيل وتوثيق بنى اسماعيل وهو تاريخ لمصر طبع ونشر .

١٤ - كتاب هلوسة ساسير . ترجمه من الفرنسية إلى العربية وقد طبع مطبعة بولاق .

١٥ - رسالة في الطب (لم تطبع) .

١٦ - جمال الجمهوريه وهو منظومه سهله فى الأجرهيه (مطبوعه) .

١٧ - نهاية الإجازة فى سيرة ساكن الأحواز . وهو آخر مؤلفاته طبع فى روضة المدارس مطبعة المدارس الملكية وله رحمه الله غير ما تقدم ذكره من الأثر العلية بين منظومات ورسائل ومقالات شتى كثير لم يطبع . وقد وقفنا على بعضه . وأما خدماته فى التعليم والتدريب فغنية عن البيان . ويقال بالإجمال أن رفاعة بك رافع خدم خدمة كبرى فى نشر العلوم الحديثة بنقلها إلى اللغة العربية وتسهيل تدارك اللغات الأجنبية بدراسة الألسن وقلم الترجمة وغيرها .

الشيخ مصطفى صهد الرازق

ولد المرحوم الشيخ مصطفى صيد الرازق سنة ١٣٠٤هـ (١٨٨٥م) فى قرية وأبى جرج بحافظة المنيا . وحفظ بها القرآن الكريم . ثم وفد إلى الأزهر حيث درس به على أبى صنفه علماء هذا الجيل . . وفى مقدمتهم الشيخ الإمام محمد عبده .

وبعد أن حصل على شهادة العالمية أسندت إليه مهمة التدريس فى مدرسة القضاء الشرعى . ولكنه ما لبث أن استقال وسافر إلى فرنسا حيث التحق بجامعة السوربون للتدريس العلوم والمعارف الأجنبية . وهناك قام بالقاء محاضرات فى الشريعة الإسلامية . وتدريس اللغة العربية . . ولم ينعه ذلك من متابعة دراساته فى الفلسفة والأدب الفرنسى حتى نال فيها الإجازة . وعاد الشيخ إلى مصر لرضه فعين بالمجلس الأعلى للأزهر . ثم نقل منتظما للمحاكم الشرعية . فاستاذاً بجامعة القاهرة . واختير وزيراً للأوقاف . ثم أسندت إليه شيخة الأزهر فى ديسمبر من عام ١٩٤٥م وظل بها حتى لقي ربه فى فبراير من عام ١٩٤٧م .

وقد خلف - رحمه الله تعالى - عدة مؤلفات فى الفلسفة الإسلامية . وغيرها . . منها :

* الصهد لتاريخ الفلسفة .

* فيلسوف العرب والمعلم الثانى .

* الإمام الشافعى .

* الإمام محمد عبده .

بيان عن بعثات جامعة الأزهر لعام ١٩٦٤ - ٦٣

المرحلة	مدة البعثة والتجهل المطلوب الحصول عليه	البعثات المخصصة		الكلية
		موضوع البعثة	عدد	
١	أربع سنوات لنيل درجة الدكتوراه	الفن الأدبي ومطابقه	١	كلية الدراسات العربية
		آداب الشعر	١	
		التصوير القاري	١	
		تاريخ مصر القديم	١	
٢	أربع سنوات لنيل درجة الدكتوراه	الفلسفة الإسلامية	١	كلية أصول الدين
		علم الاجتماع الدينى	١	
		مقارنة أديان	١	
٣	أربع سنوات لنيل درجة الدكتوراه	قانون مدنى	١	كلية الشريعة
		قانون إدارى	١	
		قانون جنائى	١	
٥	أربع سنوات لنيل درجة الدكتوراه	النظرية الاقتصادية (النتاج)	١	كلية البسات الإسلامية
		تاريخ العلاقات الدولية	١	
		الإسلامية	١	
		بحث اجتماعى	١	
		الآداب الإنجليزية	١	
٥	أربع سنوات لنيل درجة الدكتوراه	الفلسفة العربية	١	كلية المعاملات والإدارة
		نظرية النقد	١	
		حسابات التكاليف	١	
		حسابات مالية	١	
		التسويق	١	
٥	أربع سنوات لنيل درجة الدكتوراه	احصاء نظرى وطرائق	١	الهندسة
		انشاءات معدنية	١	
		خرسانة مسلحة	١	
		آلات الاحتراق الداخلى	١	
			١	

بيان عن بعثات جامعة الأزهر لعام ١٩٦٣ - ٦٢

المرحلة	مدة البعثة والمجهل المطلوب الحصول عليه	البعثات المخصصة		الكلية
		موضوع البعثة	عدد	
٥	أربع سنوات لنيل درجة الدكتوراه	النظرية الاقتصادية (النتاج)	١	المعاملات والإدارة
		النظرية الاقتصادية (التدقيق)	١	
		أصول التنظيم والإدارة	١	
		معاملة مالية	١	
		رياضة مالية	١	
			١	
٢٤	أربع سنوات لنيل درجة الدكتوراه	الرياضيات (التحليل الرياضى)	١	الهندسة والصناعات
		الرياضيات (الجبر العالى)	١	
		الرياضة التطبيقية (الميكانيكا التحليلية)	١	
		الرياضة التطبيقية (ديناميكا التحليلية)	١	
		الهواء الساخن	١	
		الجبرية	١	
		الطبيعة التجريبية كهرباء	١	
		مفاهيمية حرارة	٢	
		نظرية الإنشادات	٢	
		اعتبار المراد	٢	
		الساعة والجوهر	٢	
		التصميم المعمارى	٢	
تاريخ العمارة	٣			
تصميم الآليات	١			
هندسة إنتاج	٢			
انتقال الحرارة	١			
محطات القوى الحرارية	١			
آلات كهربية	١			
محطات القوى الكهربائية	١			

الجملة	صحة البعثة والتزويج المطلوب الحصول عليه	البيانات المخصصة		الكلية
		موضوع البعثة	عدد	
١٥	أربع سنوات لبلد درجة الدكتوراه	تشرح	١	الطب
		علم الأجنة	١	
		هندسولوجيا	١	
		كيمياء حيوية	١	
		فسيولوجيا	١	
		باثولوجيا	١	
		طبقات	٢	
		ميكروبيولوجيا	١	
		علم الأدوية والادوية	١	
		علم الأحياء	١	
٥	أربع سنوات لبلد درجة الدكتوراه	إنتاج الجيوب	١	الزراعة
		أساسيات الخضار	١	
		تكاثر نباتات الفاكهة	١	
		تقليم وتربية أشجار الفاكهة	١	
		كيمياء أراضي	١	

تشرح
علم الأجنة
هندسولوجيا
كيمياء حيوية
فسيولوجيا
باثولوجيا
طبقات
ميكروبيولوجيا
علم الأدوية والادوية
علم الأحياء

إنتاج الجيوب
أساسيات الخضار
تكاثر نباتات الفاكهة
تقليم وتربية أشجار الفاكهة
كيمياء أراضي

الجملة	صحة البعثة والتزويج المطلوب الحصول عليه	البيانات المخصصة		الكلية
		موضوع البعثة	عدد	
١٦	أربع سنوات لبلد درجة الدكتوراه	الوراثة	١	الطب
		الطبيعة (القرية)	١	
		الكيمياء العضوية	١	
		الكيمياء غير العضوية	١	
		الكيمياء الفيزيائية	١	
		النبات	١	
		الحيوان	١	
		الشرح	٢	
		الأجنة	١	
		الهندسولوجيا	٢	
الكيمياء الحيوية	٢			
الفسيولوجيا	٢			
٥	أربع سنوات لبلد درجة الدكتوراه	فسيولوجيا النبات	١	الزراعة
		تقسيم النبات	١	
		كيمياء طبيعية ومعدنية	١	
		كيمياء عضوية	١	
		الاقتصاد وتعاون	١	
١٥	أربع سنوات لبلد درجة الدكتوراه	التوربينات البخارية	١	الهندسة
		ميكانيكا آلات الغزل	١	
		تصميم المراتز الكهربائية	١	
		الشبكات الكهربائية	١	
		هندسة الراديو	١	
		الالكترونيات	١	
		انقارنات الفيزيائية	١	
		هندسة المخابر	١	
		الهندسولوجيا الطبقة	١	
		الكيمياء الصناعية غير العضوية	١	
تكنولوجيا الألياف والصباغة	١			
كيمياء الصناعات	١			

الوراثة
الطبيعة (القرية)
الكيمياء العضوية
الكيمياء غير العضوية
الكيمياء الفيزيائية
النبات
الحيوان
الشرح
الأجنة
الهندسولوجيا
الكيمياء الحيوية
الفسيولوجيا

فسيولوجيا النبات
تقسيم النبات
كيمياء طبيعية ومعدنية
كيمياء عضوية
الاقتصاد وتعاون

التوربينات البخارية
ميكانيكا آلات الغزل
تصميم المراتز الكهربائية
الشبكات الكهربائية
هندسة الراديو
الالكترونيات
انقارنات الفيزيائية
هندسة المخابر
الهندسولوجيا الطبقة
الكيمياء الصناعية غير العضوية
تكنولوجيا الألياف والصباغة
كيمياء الصناعات

المؤلف	اللغة	اسم الكتاب
أ - هـ بالمر	الانجليزية	القرآن
ميرزا ميارك أحمد		تفانبات البشرية في الخارج
س. م. أحمد		الإسلام في تركيا والشرق الأدنى
مولاى محمد على		محمد والسج
صهيب زعمر		شعر النبي
جونيف سكاكت		أصول الفقه الإسلامى
أ. ز. الششتار		الإسلام والعصر الحديث
توماس أو شونزى		المفهوم القرآنى لكلمة (الله)
س. م. أ.		محمد في القرآن
بجان جونس		المرأة في القرآن
ديوت بين	السبب اللغوى	
ميرزا بشير أحمد	الفرنسية	مستقبل الحركة الأهدوية
الذكسترو ملة محمد صادق		عظيمة الكفارة المسيحية
لراند توماسان		مجلة البقين
أدواند مغريتمه		دائرة المعارف الإسلامية
سالارى		القرآن
ريوند شارل		ترجمة القرآن
رافتيا		القرآن
آرثر تهاجران		تطور الإسلام
		النص
		الإسلام في العالم

هذا ويوالى قسم الكتب إرسال مطبوعات دينية وعربية للكتبات والمعاهد والهيئات الإسلامية بالخارج .

بيان بأهم الكتب الأجنبية التي تم فحصها

المؤلف	اللغة	اسم الكتاب
ميرزا بشير غلام أحمد	الانجليزية	هدية لدراسة القرآن الكريم
مونتجو مرى وات		الإسلام وتكامل المجتمع
ميرزا بشير أحمد		الهاية والنهاية
ميرزا بشير غلام أحمد		الإسلام في تقدم
ميرزا بشير غلام أحمد		مستقبل الأهدوية
أبو الأعلى الودودي		الشرعة الإسلامية
أبو الأعلى الودودي		الهدى الأولى للدولة الإسلامية
خورشيد أحمد		التعصب والتسامح في الإسلام
أبو الأعلى الودودي		شعر نهم الإسلام
جتر لانكوسكى		الكتابات القديمة
غلام سير عبد الله	أحاديث محمد	
شيخ أحمد العلوى	فليس مسلم في القرن العشرين	
ريجو بلاشير	الفرنسية	مقدمة للقرآن
كبرت ليشلر		عائشة
محمد خضرى		الفقه الإسلامى
عاجا معين الدين		الإسلام كدين قوى للافريقيين
آرثر جفرى		محمد والدين
ميرزا غلام أحمد القادى		السجية من وجهة نظر حديثة
الأستاذ عبد السج المصرى		مبادئ الإسلام
على أحمد خان ميرلاتوى		الترجمة الصحيحة للقرآن الكريم
على أحمد جولانوى		مجلة العالم الإسلامى
محمد عبد النعم لجمال		تطبيق على القرآن الكريم
آرثر مونتجو	اليهودية	
تريجون	إسلام	
لشراغوان	محمد الرجل وعقيدته	
أنسره مريين	مجلة الأدهان	
مونتجو مرى وات	الإسلام وتقسيم المسلمين	
	محمد في المدينة	

والنرويج كانت تتهددها نفقات التصدير والقيمة المبركة^(١٧) . ولعل لهذا السبب كان رجال المال الألمان ، ندفعهم مصالحهم في مراكش ، يؤثرون على سياسة ألمانيا المراكشية .. والتقيصر الألماني ، الذي كان من المقرر أن يكون مستولا تلقائيا عن كل السياسة الألمانية ، كان مهتما بالمسألة المراكشية ، ليس لقط لأنها قد تكون موضوع مساومة مع فرنسا ، ولكن أيضا بسبب هذا التزايد للمصالح الألمانية في مراكش .

لملك يسرع روزين Rosen ، الرذير الألماني في طنجة ، في بعثة إلى ناس (اكسوير ١٩٠٦) ، تشر نتائجها القيصر الألماني ، ويعتبرها "تجاسا" للمصالح التجارية الألمانية في مراكش ، وعلاق على تقرير روزين جيد جدا ، فقد حقق روزين الكثير ..^(١٨)

ومسألة "الناجم" في مراكش ترتبط ارتباطا وثيقا بالاسم الشهير "مانسمان Mannus-mann" ، ولم يكن هناك حينئذ حديث عن الناجم في البلاد دون ذكر هذه المؤسسة^(١٩) لذلك كهدى "مسألة" مانسمان اهتمام خاص ، يذكر Theodor Waidl^(٢٠) أن ذلك يرجع إلى أن هذه المؤسسة كانت أول الألمان الذين قادوا المشروعات الخاصة ليكونوا ركيزة ضد سلطة الدولة لسياسة بسمرك بعد عام ١٨٧٠ كانت إرضاء فرنسا في الخارج ، وبناء ألمانيا في الداخل ، وهلم تشجيع المشروعات الألمانية خارج ألمانيا .. ولكن ذلك لم يكن يعني أن الإخوة "مانسمان" كانوا ضد الدولة ، فقد كان لهم من يؤازرهم داخل الحكومة^(٢١) .. وكانوا يؤيدوا مستثمرين يؤثرون على الحكومات ، كما كانوا أول رجال الصناعة الألمان الذين لجحوا في جعل مصالحهم "مسألة" اهتمام قومي^(٢٢) .. وهم حينما كانوا يظلمون التمييز من حكومتهم في أعوام ١٩٠٦-١٩٠٨ ، وكذلك في حملاتهم الصحفية ضد شون Sehoen ، وزير الخارجية ، ومن خلال قتال مؤيديهم في الرايشتاج ، إنما كانوا يؤكدون أنهم - في مشروعاتهم - إنما كانوا يعملون بواقع وطنية ومن أجل مستقبل بلادهم^(٢٣) ..

والإخوة "مانسمان" ، على أية حال ، قد لعبوا دورا خاصا في المسألة المغربية على الرغم من أنهم لم يكونوا من كبار رجال الصناعة في ألمانيا . وكان والدهم (١٨١٤-١٨٩٤) من قادة صناع الآلات في إحدى المدن الألمانية ، واستطاع الأبناء ، اختراع نوع من الآليات الحديدية بدون علم ، وبذا ذاع صيتهم في أنحاء العالم ، ثم تأسست مصانع "مانسمان" في عام ١٨٩٠ لاستغلال هذا الاختراع ، وبعدها أنشأوا مصانع أخرى للألماني في ألمانيا وفي لندن ..

واسم "مانسمان" كان مجهولا في وزارة الخارجية الألمانية حتى بداية عام ١٩٠٦ ، ومع ذلك ففرض منتصف العام ، وبعد توقيع عقد "الجزيرة" بضمعة شهرور ، كان الاسم يتردد في

البرنية ومصالح الدول الأوروبية أكثر من حاجة مراكش إليها . وعلى ذلك فإدخالها إلى البلاد بالصورة التي اتفقت عليها الدول ، لم يكن - في واقع الأمر - ليخدم استقلال مراكش ، بل رعا كان المكس هو الصحيح ..

أنهى المؤتمر أعماله إذن وعاء دور تنفيذ القرارات ، وأخذت كل دولة تسعى للحصول على مايمكن الحصول عليه من منافع نتيجة للمؤتمر . وبدأت المشاكل من جديد .. فمراكش كانت لها حيتت مصادر ضخمة من الثروات المعدنية ، والفوسفات والزيوت المعدنية والمعادن ، ومن هذه معدنان على جانب كبير من الأهمية : الحديد والرصاص^(٢٤) . وتأخير استقلال أوروبا في استقلال هذه الثروات كان يرجع إلى انتقال السلامة بالنسبة للعاملين في هذه المشروعات في تلك الجهات ، الريف والأطلس الأوسط ، وكذلك إلى اعتبارات سياسية^(٢٥) .

وقد نصت المادة (١٣) من عقد الجزيرة - على أية حال - على أنه "سوف يعمد فرمان شرفي مسألة الاستيثار واستغلال الخامات والمعاجم .. ولكن هذه المادة كان يرأها البعض شديد الغرض وقد جاءت بعد هذه المناقل الشائكة في المؤتمر . والتي كانت تتعلق بإنشاء جهاز الشرطة المراكشي من جانب ، والبنك المركزي للدولة من جانب آخر ، والتي أتميت المؤتمرين كثيرا ، حتى أنهم أصبحوا على رغبة شديدة لإنهاء المؤتمر^(٢٦) . من ناحية أخرى ، فهذا البند من العقد لم يحتر على ماينبع السلطان من منع الامتيازات الضخمة حسب رغبته ، بل بنشاء ، كما أنه لم يكن هناك مايشير إلى ضغوط سياسية قد يتعرض لها السلطان من قبل هذه الدولة أو تلك .

وعلى ذلك ، فقد حرص المستشرقون البريطانيون والفرنسيون والاسبان على ضمان امتيازات الناجم لهم - ولكن الجمهور الألماني أيضا في هذا المجال ، تسترعى الانتباه ، ذلك يرجع إلى الدور المكثف الذي بعثته شركات Munnesmann لاستطجاد الامتيازات في مراكش فالألمان كانوا يرضون الخوض في هذا الميدان دون ما تعاون مع أطراف أخرى غير ألمانية ، وهذا اتجاه اعتبره البعض في ألمانيا "عربانيا"^(٢٧) ، ولكنه يرجع إلى رغبة البعض في الدوائر الحكومية الألمانية ، في تعاون رأس المال الألماني في مراكش مع نظيره الاسباني والفرنسي ، تجنبا للمشاكل ..

وأقسام الألمان عموما بأمر مناجم مراكش حينئذ ، كان له مايبوره .. فصناعة الحديد في ألمانيا قد يتهددها النقص في خام الحديد^(٢٨) ، والمصاهر الألمانية من الحديد في السويد

وعلى ظهر "الفرس" السفينة المسلحة الوحيدة التي كانت تمتلكها الحكومة الراكشية ،
والتي كان يقودها ضابط ألماني ، أخذ راينهارد بجيوب شرق الريف ، بينما كان الفريد ، الأخ
الأصغر ، في طريقة إلى منطقة مليحة حيث كان "أبو حصاره" ، المدعى والتائر ضد السلطان
والفرنسيين ، يمد نشاطه^(١٢٠) .

وإبان وجوده في مراكش عام ١٩٠٦ ، لم يحصل راينهارد على أي امتياز ، وكل ما نصله
في هذا المجال أنه سلم إلى الحكومة الراكشية بياناً بالناجم التي اكتشفها^(١٢١) . وهذه القائمة
ضمت أساساً الحديد في منطقة الريف ، ثم الذهب والفضة والنحاس والجرول ، واعترف
السلطان بألموية مانتسان في استغلال هذا الناجم ، وأنه في نيته منح الامتياز له بعد صدور
قانون الناجم ، وأبدى رغبته في أن يدير الألمان هذه المشروعات^(١٢٢) .

وفي نوفمبر من نفس العام (١٩٠٦) ، أكد المخزن هذه الاستيقية في استغلال الناجم
لمانتسان كتابة - وقد ادعى مانتسان بعدئذ أنه بعد سبعة شهور من المفاوضات في خاص
منحه عبد العزيز رسماً مجموعة من امتيازات الناجم^(١٢٣) ولكن هذه لم تكن أكثر من وعود
أعطيت للتفصيل الألماني في فاس والى وديين . . . نلاحظ أن معظم مطالب الألمان هذه كانت
تتركز في الريف ، والبعض القليل منها كان في أجزاء أخرى من البلاد . . . وهذه المناطق
الألمانية كلها كانت تكون رقعته ضئيلة من مناطق الناجم في مراكش . . . ولكن لم تكن هناك
دولة أخرى قد حصلت بعد على أي امتياز بهذا الخصوص .

والفرنسيون يدورهم عملوا على استغلال مناطق أخرى من البلاد . ففي أواخر أغسطس
(١٩٠٦) وصلت الأنباء إلى دينو Regnault ، الوزير الفرنسي في طنجة ، عن نشاط الألمان
في كل أرجاء المملكة ، يتقنون ويجمعون ويفحصون عينات من الخامات ، وقد انهكوا في
البحث عن أسرار امتيازات الناجم وماشابه ذلك . . . (١٢٤) . ذلك سبب التلق للفرنسيين الذين
خشوا حصول الألمان على امتيازات ضخمة للناجم خارج نطاق عقد الجزيرة ، وحثت ادعاء أن
الحكومة الراكشية نفسها صوب تدبير الناجم . وأن الألمان ليسوا سوى موظفين لديها . .
ونتيجة لذلك ، تكونت شركة فرنسية لاستغلال مناجم جهال الأطلس ، سميت باسم "شركة
استغلال مناجم الأطلس" وهذه بدورها أرسلت مهندسين مناجم فرنسية إلى الأطلس لاختبار
خامات الحديد هناك^(١٢٥) .

وكان من الطبيعي أن تشترك الصحافة الفرنسية في التتبع إلى المنافسة الألمانية لهم في
مراكش . . . وتصدر صحيفة Temps اليومية مقالا (٢٣ أبريل ١٩٠٧) تذكر فيه أن

التقارير بين طنجة وديين ، وأخذ الإخوة "مانسان" - باسم الصناعات الألمانية الضخمة -
يسعون إلى احتكار كانت أيضا الشركة الفرنسية (Schneider - Creusot) تسمى للحصول
عليه^(١٢٦) . ويرجع الأمر إلى رحلة "شهر عسل" كان يقوم بها Reinhard - وكان أكبر خسة
أبناء لمانسان ، ويعد أوتو ، وماكس والفريد وكارل - يحلق ، الساحل الراكشي عام ١٩٠٦ .
وكان أحضر له البعض من أهالي البلاد عينه من خام الحديد ، ذلك جذب انتباهه إلى هذه
البلاد ، وقاده إلى دراسة الامكانيات الاقتصادية الهائلة للبلاد في المستقبل ، وعلى وجه
التفصيل في مجال إمداد صناعة الحديد في ألمانيا بالخام من مراكش^(١٢٧) .

وهكذا يطلب راينهارد من وديين أن يعضده في الحصول من المخزن ، أي الحكومة
الراكشية ، على حق استغلال منجم في الريف الشرقي^(١٢٨) . ولكن وديين لم يكن يستطيع
التدخل حينئذ في مسألة معقدة كهذه . . . نفذ الجزيرة لم يكن قد اعتمده السلطان بعد ، وكان
وديين يرى أن منح امتيازات الناجم لم يرد كعيب لألمانيا في العقد ، مثلما اتفقت الدول، فيد
على تكليف أسبانيا بمسألة إنشاء بنك الدول المركزي . وفرنسا بمسألة الشرطة الراكشية .
كذلك كان وديين يرى أن كل الدول يمكنها خوض غمار الاستعمار في ميدان الناجم في
البلاد . . . ولكنه تصح راينهارد على أية حال ، بتسوية هذه المسألة مع بن سليمان ، وزير
الخارجية الراكشية ، وضع السلطان نفسه ، وأحال طلب راينهارد إلى برلين يطلب تعليمات
بشأن معلومات عن مدى عدم تمارض هذا الطلب مع عقد الجزيرة^(١٢٩) .

لما الخارجية الألمانية ، فكانت تأمل أن يحصل راينهارد على ما يريد بدون تأييد رسمي
منها ، وأقترح تشرشكي Tschirsky على لايجورث Langwerth ، القائم بالأعمال
الألماني في طنجة ، أنه يمكنه مساعدة مانتسان ، على الأمل بتقديم طلباته إلى المخزن^(١٣٠) .

وقابل راينهارد بن سليمان (٤ يونيو ١٩٠٦) واستطاع أن يخفق معه على الاقتراحات
التي يعرضها على السلطان ، ثم قابل راينهارد السلطان نفسه (١٨ يونيو) ، وأقترح عليه
استغلال مناجم شرق الريف التي كانت تحتوي على الحديد بكميات ضخمة ، وعلى بعض
الرياح والنحاس والفضة والذهب . وفي مقابل ذلك يعرض راينهارد أن يضع للسكة
الحديدية المقترحة تحت تصرف قوات السلطان . كذلك وعد راينهارد أبناء مدرسة فنية للرعايا
المغاربة مزودة بأحدث الآلات الألمانية . . . وبنا السلطان مسرورا بالعرض الألماني ، ووعد بأن
يرعى المخزن بأن يدرس المسألة^(١٣١) .

لم يوقعها . فأحداث النار البيضاء ، وما بعدها كانت تخص كل احسام في ذلك الوقت ..
 في الاحتلال الفرنسي الاسباني لهذه القبة ، عقب ضرب الأستورل الفرنسي لها صباح يوم ٥
 أغسطس ١٩٠٧ ، ثم اعلان مولاي الحافظ سلطانا على البلاد في مدينة مراكش (١٦)
 أغسطس . والتدخل الفرنسي في إقليم الشاوية ، والصراع على العرش في البلاد . كل ذلك
 كان له أثر على المشروعات في البلاد . ولم يقد شيئا ماعمله الاخوة ماتسمان في أعقاب
 تلك الأحداث . فقد قادوا حملة كراهية ضد الفرنسيين . ولكن لم يكن لها اثر يذكر (٣٠) .

وكان من الطبيعي يعتقد أن يميل عبد العزيز إلى مصدر الفتوة والقوة الفعلية في بلاده إلى
 الفرنسيين . فهو يرسل بتعليماته (يونيه ٨ - ١٩٠٨) إلى المهندس للكلف بأمر الأشغال العامة ،
 وكان فرنسيا . ليتولى أمر صياغة قانون المناجم (٣١) وكان ينفذ - إبان وجوده في الرباط -
 تد اوصى بهذه الخطوة للسطان (٣٢) وعلى ذلك يتاحل ظهور قانون المناجم .

ذلك يفتح الباب على مصراعيه لصراع على المناجم يشترك فيه - بالإضافة إلى الألمان
 والفرنسيين - آبان والجزير ومغامرون لاعلاقة لهم بالمال أو الاستثمار .. فالألمان ، تنفعهم
 ما كانت تعانيه صناعة الحديد في ألمانيا من نقص إمدادات الحديد الخام ، يكونون اتحاد
 الشركات المساهمة لصناعة التعدين *Union Akrion Gesellschaft für Berg bau* ، من
 بعض أصحاب المناجم في ألمانيا (مارس ١٩٠٨) وروزيين صار متنعما بأن المصالح الألمانية
 الهامة بالمناجم يمكن ضمانتها عن طريق الاشتراك في التزامات ماتسمان . وذلك مانعه
 الألمان ، إذ تكونت في مدينة هامبورج شركة "مراكش - ماتسمان" تضم ١٤ مؤسسة ألمانية في
 مراكش (٣٣) . وهو . أي وروزيين ، يجابه بحزم اتجاه السلطان - فيما يتعلق بمسألة قانون
 المناجم - إلى الفرنسيين ويصر بناء على طلب الألمان المهتمين بالموضوع ومنهم ماتسمان - على
 أن القانون ينبغي أولا أن يوافق عليه السلوك الدبلوماسي للدول في طنجة (٣٤) ، ويوافق السلوك
 الدبلوماسي في طنجة على الاقتراح . ومع ذلك فلا القانون صغر . أو أعلنت قرارات السلوك
 الدبلوماسي هناك والاسبان يدورهم صاروا يشكون - بالنسبة لتحويل عبد العزيز إلى
 الفرنسيين - في ممارسة ضغط فرنسي .. وهم - أي الاسبان - على أية حال ، كانوا يعتمدون
 في مجال المناجم على تعاضد ابن حمارة ، وصاروا يستغلون منطقة الريف عند بنس
 بونفروز ، وهي منطقة تقع إلى الجنوب من مليبية بعشرين كيلو مترا .

والى جوار الألمان والفرنسيين والاسبان ، يظهر في الميدان مغامرون انجليز مثل Kennc
 و Bartlett . وهؤلاء - يارسون لجها في البلاط الجديد والقوى الذي أحاط به الحافظ

ماتسمان - يتدخل من اكتغوز فاسل *Vassal* - التتمصل الألمان في فاس . قد حصل من
 السلطان على حق البحث والتقيب عن المناجم ، ويرسل المستشار الألمان سلون *Sidon* -
 وكان حرصا على ألا يتدخل الألمان رسميا في مسألة "ماتسمان" - إلى وروزيين في طنجة
 مستفسرا عن الحقيقة . ولكن كلا من وروزيين ، وفاسيل ، وماتسمان ، ينكر ما جاء بالمقال
 الفرنسي (٣٦) .

ومسألة امتيازات المناجم متصلة اتصالا وثيقا بمسألة قانون المناجم في مراكش .. فقد
 الجزيرة (سادة ١١٧٢) أعطى للمخزن وحده مهمة وضع قواعد تنظيم المناجم ، على أن يسترشد
 في ذلك بالقوانين التي هيكم الموضوع في البلاد الأجنبية . وروزيين كان مقتنعا تماما بأن المخزن
 وحده لا يستطيع إيجاز ذلك العمل . وفي أثناء رحلته إلى فاس في أكتوبر (١٩٠٦) بحث
 الموضوع مع السلطان الذي أصدر تعليماته إلى عماله في طنجة بأن يضع هذا القواعد بمساعدة
 وروزيين ونقاط المشروع الأساسية للقانون كانت ، على أية حال ، قد توقفت بين وروزيين وبين
 سليمان (٣٧) . كان واضحا أنه في إيجاز قانون المناجم ، وأيضا بالنسبة لبعض القواعد المنظمة
 للأشغال العامة التي نص عليها عقد الجزيرة ، صار المخزن يعتمد على مساعدة الألمان (٣٨) .

وكان وروزيين على أهبة الاستعداد لذلك . ففي أكتوبر (١٩٠٦) أهدت وروزيين إلى برلين
 يطلب معصومة من القوانين التركية المنظمة لذلك . وفي نفس اليوم أيرق بورتاليس *Portalis*
 وكيل الخارجية الألمانية - إلى القسطنطينية بخصوص الموضوع . وجاء الرد من السفارة
 بالعاصمة التركية في ١٩ أكتوبر متضمنا القوانين النظرية . في نفس الوقت قامت اتصالات
 في سرية تامة - بين الخارجية الألمانية ووزارة التجارة والصناعة لعمل مشروع بقانون المناجم .
 ذلك لم يكن - بالنسبة لروزيين - صلا جيدا وذلك لتباين القوانين الأوردنية والإسلامية ،
 كما كان يرى وروزيين .. كان عليه أن يضع في الاعتبار أن المصالح الألمانية الخاصة بالمناجم
 ينبغي تشجيعها في كل أنحاء مراكش . وكان عليه أيضا ، في هذه الأثناء ، أن يسترشد
 بأراء الاخوة ماتسمان ومهندسهم *Steinwachs* ، اللذي ساعد - بخبرته - في مسألتي المناجم
 والأراضي .. وخدمات وروزيين للسلطان في هذا المجال كانت تتم في سرية ، فروزيين كان
 حرصا على أنها ، هذه المهمة في أقرب وقت ممكن خشية خطر التدخل الفرنسي لإنقاذ
 صله (٣٩) .

وفي هذه الفترة من نوفمبر ١٩٠٦ إلى مارس ١٩٠٧ ، وبعد اتصالات بين وروزيين
 والخارجية الألمانية ، جاءت مسودة قانون المناجم ، ووافق عليها السلطان عبد العزيز ، ولكنه

مبدعياً - وبارتلت لم يكن يمتلك لا رأس المال اللازم لمشروعه ، ولا أي مساندة مالية من أي جهات ، فهو كان يهوى مجرد الحصول على امتياز ليعده بعد ذلك .

على أي حال ، وبعد مناوشات مطولة ، تم عقد اتفاقية مؤقتة بين بارتلت والحافظ ، يحصل بمقتضاها بارتلت وشريكه كارلتون على الحق الأوسع لاستغلال مناجم مراكش لمدة أربعين عاماً ، وفي نظير ذلك يتبع بارتلت وشريكه كارلتون ، مولاي الحافظ قرضاً من ثلاثمائة ألف جنيه . على أن يتقاسم هو والشركاء من أرباح المناجم . كذلك تضمنت الاتفاقية حتى بارتلت فقط في أن يتنازل عن حقوقه في شركة الجزيرة (١٩٠١) كذلك حصل بارتلت من الحافظ على امتيازات للسكة الحديد ومسائل أخرى (١٩٠١) وأرسل وايت White ، الممثل البريطاني في طنجة ، بياناً ما حصل عليه بارتلت إلى وزير خارجيته Grey (أغسطس ١٩٠٨) .

وغادر بارتلت وشريكه كارلتون ، فاس إلى إنجلترا ، في منتصف أغسطس ، حيث وجها إليه من المستحيل العثور على من يقرضهما المبلغ المطلوب للتعاقد . وعاد بارتلت أن يجعل من الموضوع مسألة قومية ، وأخص بالحاجة إلى تنفيذ الخارجية البريطانية ، وأرسل بعقده مع الحافظ إلى هاردنج Hardinge ، وكيل الخارجية البريطانية ، سانلا عما إذا كان لا يتعارض مع عقد الجزيرة . ولكن الخارجية الإنجليزية لم تود التدخل في هذه المسألة القاتكة قبل صدور فرمان الشريف بخصوص قانون المناجم . وكانت الخارجية الإنجليزية قد رفضت بالتفصل من قبل طلب مهندس بريطاني للحصول على امتياز منجم للذهب في مراكش (١٩٠٦) .

لذلك ترى الحكومة البريطانية أنه بالرغم من أن المادة ١١٢ من عقد الجزيرة تبدو غامضة ، فإنفاق بارتلت لا يمكن للدول قبوله كأمر لا يتعارض مع عقد الجزيرة (١٩٠٦) ، ذلك فضلاً عن أن ذلك العقد الذي حصل عليه بارتلت كان يتعارض مع المادة ٢ ، من تلك الاتفاقية الإنجليزية - الراكبة المعقودة عام ١٨٥٦ . فهذه الاتفاقية كانت تنص على أن السلطان ينبغي أن يلقي كل الاحتكاكات ماعدا الدخان . وبذلك كان رد الحكومة البريطانية على بارتلت "مربصاً ولكن ليس غير صالحاً" . وتصح بارتلت بشدة بعدئذ من عدة اتجاهات ، ألا يوقع أي امتيازات حوتل .

وقرار الحكومة البريطانية ذلك كان يمثل قمة التعطل والالتزان في الإنجليزية فظنوا إلى أن الألمان كانوا يتخفون من مسألة اصطحاب الإنجليزية للاحتيازات ، وسيلة للوثيمة بين إنجلترا وفرنسا من ناحية أخرى . كان مولاي الحافظ يتخط من مسألة منح امتيازات المناجم وسيلة للوثيمة بين الدول ، وذلك كانت سياسة اللاتوازن التقليدية . ولم يجد الحافظ غضاضة في التصريح بذلك

نفسه ، والذي أدرك إليه المتناقسون وجوههم ، والحافظ بدوره قد بدأ على استعداد لعقد صفقات مع رجال المال الأجانب . وذلك لصالح قضيتهم . فالحافظ قد تودى به سلطانا على البلاد في مراكش (يناير ١٩٠٨) وكان من الناحية الفعلية مسيطراً على معظم مناطق المناجم في البلاد ، ولما يتدبر إليه الناقسون وجوههم .

وأسرع مانسمان (١٦ يناير ١٩٠٨) إلى نقل نظر الحكومة الألمانية إلى مسألة سلامة ملكاتهم ، وما أسماه "بالحقن المكتسبة" ، والتي وصلت حينئذ إلى منعطف حاد بعد انتقال العرش إلى مولاي الحافظ ، وبذلك كان الإخوة مانسمان أولاً من اعترف بالأمر الواقع بالنسبة لمركز الحافظ كسلطان جديد للبلاد ، رغم أن مسألة العرش لم تستقر نهائياً إلا في أواخر نفس العام (١٩٠٨) . كذلك يطلب مانسمان من حكومتها تأييدها له ، وأن يقرم رؤسها بضمان سلامة حقوقهم في البلاد ، ولا سيما وأنهم قد تبين لهم أن المناجم التي سبق لهم اكتشافها في مراكش تقع في نطاق نفوذ الحافظ ، والذي وعد بدوره بتأكيد مطالبهم . ولقد أكد الحافظ ذلك لمهندس شركة مانسمان شتاينواخ Herr Steinwach ، وكان الأيرني الوحيد الذي ظل في مدينة مراكش منذ إعلان الحافظ سلطاناً هناك ، بأنه - أي الحافظ سوف يعترف بكل اتفاقات أخيه التي عقدها قبل إعلان سلطانه سلطاناً في مدينة مراكش ، وأنه مهتم إلى حد كبير بارضا ، الحكومة الألمانية وضمان سلامة المصالح الألمانية في بلاده (١٩٠٦) .

ودخل الإنجليزية الميدان غير بلاشك من موازين المناقشة فتظهر أسماء مثل كيندي ، المغامر الإنجليزي الذي يحاول شراء أراض من الحافظ لأعمال المناجم . . ولكن لم يكن على وفاق مع عمل بلاده في طنجة ، فبالأثر لأنه كان يقوم بنجارة مشهورة تتعلق بتعريب الأسلحة . وكذلك يظهر رجل الأعمال الإنجليزي بارتلت Ashmead Bardet ، والذي يبدأ الحافظ ، في عمار حاجته إلى المال ، في التفاوض معه بخصوص قرض يقدمه بارتلت مقابل امتياز استغلال مناجم في مراكش (١٩٠٦) . وكان بارتلت قد جاء إلى فاس كمراسل لصحيفة Morning Post مع آخرين من المشاهير الذين تدفقوا إلى البلاد سعياً وراء الحصول على امتيازات . وقد عرف عن بارتلت أنه كان نصاباً ، كما كان يقول عنه شريكه كارلتون Carlton (١٩٠٦) وكانت إحدى أعمال بارتلت أن يحصل على أوامر من الحافظ لتوريد السلاح إليه (١٩٠٦) .

ولكن المؤسسات المالية البريطانية لم تتعاون مع بارتلت رغم رغبتهم في ذلك . . . والحافظ حتى حينئذ (أغسطس ١٩٠٨) كان غير معترف به من الدولة بعد ، بل كانوا يعتبرونه

بمقد الجزيرة الذي أقرته الدول ، متضمنة الولايات المتحدة الأمريكية ، من قبل فالنقد بنصر على المساواة في الحرية الاقتصادية وسنن أي تميز كانت الاتفاقية في الواقع تتعارض مع ما جاء بالمادة ١١٢ من العهد ، وفي ذلك انفتحت وجهتا نظر الحكومتين البريطانية والألمانية ، وكان من الواضح أنها صرفت كتحريض بالنصائح الألمانية في مراكش ، في نفس الوقت يقترح Stearnich نشر الاتفاق في الصحف الهولندية والبلجيكية أو الفرنسية ، وذلك بغرض تغيير شكل التفكير الفرنسي ضد الانجليز (٤٤١) .

ونقل برتل في لندن ، يخفف بعض الشيء من مخاوف الألمان .. ففي لندن يقابل بارتل بتتوم Sturmm ، الذي يتحقق من لشدة هناك ، ويتأكد من ذلك .. ولكن بارتل لم يركن إلى اليأس .. فهو يقابل الملك إدوارد ، وذلك كان سببا ليحصل الألمان بشكوك في أن بارتل صرف يحاول أيضا الضغط على مولاي الحافظ سياسيا (٤٤٦) . وما قوى من ذلك الاقتراض أن الحافظ نفسه قد أرسل إلى الملك إدوارد خطابا حمله إليه بارتل (٤٤٧) .

ويبدو أن الانجليز في كل مناسبة كانوا حرصين على أن يكون الفرنسيون على اقتناع تام بالتزامهم بما جاء بالوثائق الودي المعقود بينهما في إبريل ١٩٠٤ . وقد وعى بارتل هذه الحقيقة بعد مقابله للملك إدوارد ، ولم يخف بارتل أمر هذه الشاعر عن بوتكين Botkin - الوزير الروسي في طنجة ، وكان الألمان يحصلون على المعلومات القيد عن طريقه - إذ حس له بأن الملك إدوارد قد أرسله في بعثة سرية إلى مراكش ليعلم الحافظ بأنه - أي الملك - يريد أن يثبت الفرنسيين إلى أي مدى هو مهم بأن يتفوق الفرنسيون على الجميع في مراكش .. والقصه - كما نرى - لها دلالاتها ، ومعتدلة ، برغم إنكار الوزير البريطاني في طنجة لها ، ولكن القصة لها ما يؤكدها ، فالملك إدوارد ، لدى زيارته للإمبراطور النمساوي فرانز جوزيف Francis goseph كان يتكلم مرارا وكثيرا عن مراكش ويذكر أنهم في الجهرا ينتظرون منه أن يفتح القيصر الألماني ليطلق يد فرنسا في مراكش (٤٤٨) . ولكن الإمبراطور النمساوي على أية حال ، لم يفتح إدوارد أذنا صاغية ، إذ كان يخشى ، كما يقول الشرنشال Aehrenthal ، وزير خارجية النمسا ، أن يورط بلاده في نزاع يقوم بين ألمانيا وفرنسا بسبب مراكش (٤٤٩) .

كان على بارتل حينئذ أن يبعد ترتيب أوراقه ويراجع خططه فافتتح المصغر على امتياز أصغر لا يكون احتكارا ، وأمل بذلك أن يحصل على موافقة حكومته (٤٥٠) . ووالى أن امتياز في منطقة الريف يفي بمحاجه ، وهكذا رجع إلى مراكش في أوائل أكتوبر (١٩٠٨) ،

الممثل الألماني في طنجة ، والذي وصفه في مراسلاته مع برلين بأنه للدكتور قاسل ، الممثل الألماني في طنجة ، والذي وصفه في مراسلاته مع برلين بأنه

Schlaunkpfige Sultan (٤٤٥) ، أي السلطان الخادع .

ويستمر مسلسل التنافس بين الهيوت المالية الأيدوية ، وكان مجال العمل لكل نظرا من التنافسين ، أو حكومته ، أو الحافظ نفسه ، فالهيوت الألمانية تتكفل ، والانهجليزية تطلب موازنة حكومتها ، والأسيان يعتمدون على موازده أبي حماره ، وجميعهم يحاولون كسب رده الحافظ أو وضع المراقيل في سبيل الآخرين .

ففي مراكش تتكون "لجنة مراكش" الألمانية ، وكانت من مستثمرين ألمان في مراكش مثل Heine ، Philipp ، Holzmann ، Zippet (من فاس) ، Marx , gebroder (مورجادر) Max & Rensch hausen ، Reinhard Mannesmann ، كسبوا إلى بطوف يترحمون أن تستخدم الحكومة الألمانية نفوذها لإقناع مولاي الحافظ بتأكيد امتيازات المناجم التي سبق أن وعد بها عهد العزيز الإخوة مانسان ، ويأخذ يفتش أن يسطر قانون المناجم في مراكش متفقا مع مصالح الألمان وأشار مانسان أن شركته أفتت أكثر من مائة ألف مارك ألماني في مجال استكشاف المناجم في مراكش . كذلك اقتصر مانسان على شوق (٤٦١ سبتمبر ١٩٠٨) أن تصر ألمانيا - خلال المباحثات الخاصة بمسألة اعتراف الدول بالحافظ - على اعتراف السلطان الجديد وتأكيد امتيازات المناجم التي وعد عهد العزيز بالأمان بها .. في نفس الوقت ، يشكر مانسان الفرنسيين إلى حكومته ، فالفرنسيون كانوا يعاونة المهندسين الفرنسي المعين للأندال العامه في مراكش ، وبالشعاعون مع التوسعات الإسبانية - يستغلون المناجم في ناحية "مارشيككا" جنوبي طنجة .. واستجاب بطوف إلى نداء اللجنة الألمانية في مراكش ، وأرسل بتعليقاته إلى الوزير الألماني في طنجة (٢ أكتوبر ١٩٠٨) بأن يترد قدر استطاعته المطالب الألمانية الخاصة باستقلال المناجم التي منحها إيها . وأن يعقد المصالح الألمانية القانونية إبان صياغة قانون المناجم .

ولعل نشاط الانجليز القادمين قد وقع برلين إلى أن تخوض مجال هذه القضية العاتكة ، وتناصر مستشمرها في مسألة المناجم في مراكش .. فالتقائم بالأعمال الألماني (شوم Stamm) في لندن ، كان قد أرسل نسخة من اتفاقية بارتل مع الحافظ إلى الخارجية الألمانية "Wilhelmstrasse" ، وهذه الاتفاقية قد سهبت الكثير من الاضطراب لدى الألمان ، فمى نقل الاحتكار الوحيد المطلق في مراكش فيما يتعلق بالمناجم ، وكان ذلك يتعارض تماما مع ما جاء

Tallium ، الأنتيمونى ، الـ Malgdenum (معدن يستخدم فى صناعة الصلصيا ، النيكل ، الكوبالت ، الحديد ، الفحم ، الجرافيت ، الاحجار ، البيروكسيم ، املاح boron (عنصر غير معدنى) ، والانتيمون أى حجر الكحل (٥٧٦) .

كذلك تم الاتفاق بين بن عزيرز - نيابة عن المحافظ - وهوفمان أنه ينبغي أن تحفظ نسخة من الاتفاق اليرم والمختوم بخاتم مولاي المحافظ ، فى القنصلية الألمانية فى فاس ، وذلك حتى يضمن مانسمان حقوق شركته فى استغلال المناجم فى مراكش ورايق دكتور فاسيل على ذلك ، وبارك الاتفاق ورفع .. ومع ذلك ففاسيل كان يشك فى اعتراف كل الدول على الفرد بقانون المناجم حين ظهوره ، أو بالعودة البرمة مع الانجليزية ومع الألمان .

وهكذا ، وبعد أن اطمان مانسمان إلى امتيازاته وقانون المناجم ، بدأ فى تحويل الخايط .. وفى ديسمبر ١٩٠٨ أبرق المحافظ إلى مانسمان يطلب مالا ، فدفع له مبلغ مائتى ألف مارك من حساب الضرائب (٥٨٨) .. وسع الألمان أن الفرنسيين سوف يستغلون حاجة المحافظ إلى المال ليضع البلاد بأسرها تحت سيطرتهم المالية ، فالتجهوا إلى عرض القروض على المحافظ ليعاقدونه على الاستقلال عن الفرنسيين ماليا (٥٨٩) . وقد تضاربت الأقوال حول المبالغ التى أمد مانسمان بها المحافظ فى هذا الصدد . كذلك تضاربت الأقوال عما إذا كان الألمان قد ساعدوا المحافظ بالمال إبان ثورته ضد عبد العزيز - والألمان على أية حال يؤكدون إبان هذه الأزمة كانوا يجتهدون ، عن طريق المال والهدايا ، فى كسب الفوائد التى تقع لأرضى المناجم المكتشفة فى حوزتهم فحسب .

وقدما يتعلق بامتيازات مانسمان ، فهذه كانت نغضى أراضى تمتد فى منحنى من ١٠ إلى ٣٠ كيلو مترا حول ماركسيكا جنوب ملبية ، وتحترى على نسبة عالية من الحديد على سطح الأرض . وكان مانسمان يخشى ما قد يجعل امتيازهم هناك بلاقيمة نذكر ، وذلك حينما يقوم الأسيان والفرنسيون باحتلال عسكري لتلك الأراضى . وزادت صحافة البلدين من مخاوف الألمان ، وفى محاولة لتجنب المصاعب السياسية ، أيد مانسمان مسألة دفع المصالح الفرنسية والأسيانية مع مصالحه .. ولكن حتى هذه الخطوة لم تكن لتضمن لمانسمان مصالحه هناك .

وهو اجس مانسمان لم يتمه من العمل . ففى أولغز ديسمبر (١٩٠٨) ، أرسل حملة من عمال المناجم إلى ماركسيكا حيث نجح ونهارو فى عقد صلات صداقة مع القواد المسيطرين هناك ، وذلك ليد ، الأعمال المهدية لاستغلال المناجم هناك .. ولكن رديين لم يكن ليرافق على

و هناك وجد أن الموقف قد تغير ، مما قلل من تنازله كثيرا .. فقوة المحافظ كانت فى غير مستمر ، كما ظهر فى الميدان متنافسون جدد ، فالألمان كانوا على اتصال بالمحافظ للحصول على امتيازات المناجم والفرصات ، والأسيان يضغطون لتأكيد ما حصلوا عليه من امتياز للمناجم منحه إياهم أبو حمارة فى نواحي تطوان وسبتة .

ويقابل بارتلت المحافظ الذى اعترض عن عدم منحه الامتياز ، متعللا بأن الدول سول لامتصرف به سلطانا حيث ، فضلا عن ذلك - هكذا أخبره المحافظ - فالعقد بعد مفسوخا من تلقاء نفسه . فالمتقدمون لم يسدوا مبلغ الثلاثمائة ألف جنيه فمرد اليماء الممعد . وبارتلت يذكر فى كتابه أن المدة كانت سنة شهود ، بينما تذكر ورايق الخارجية البريطانية أنها شهران فقط (٥٩١) . واقترح بارتلت أن يدفع ثلاثين ألف جنيه لاستغلال المناجم بين الرباط وتطوان فقط ، ولكن المحافظ رفض العرض .. ولم يأس بارتلت ، وفكر فى أن يلجأ إلى الألمان لتعيق حلمه . ورايق مانسمان فى ذلك الأمر ، وهذا بدوره اقترح أن يعملوا معا سويا ، ولكن كارلشون ، شريك بارتلت ، حذر الألمان ، ووصف بارتلت بأنه تصاب (٥٩٢) .

والألمان من جانبهم قد وجدوا الوقت مناسباً ليعقدوا صفقة مع المحافظ . كرنهارد كان قد أرسل هوفمان Hoffmann مرأ كستل شخصى له إلى فاس (مدينة ١٩٠٨) ، حيث اتهمك طيلة ثلاثة أشهر فى مفاوضات مع المحافظ . ولم يكن أمد من الألمان فى طبعه يعلم بهذا الأمر (٥٩٣) . وهناك أنقض هوفمان إلى المحافظ بشرط للاعتراف به (٥٩٤) وقد تضمن ذلك بالطبع حقوق مانسمان ووصل هوفمان إلى اتفاق مع المحافظ (٥ أكتوبر ١٩٠٨) . ولم يكن المحافظ قد اعترف به رسميا بعمرة الدول .. وتضمن الاتفاق حصول مانسمان على امتياز مناجم طبقا لأحدى قوانين المناجم التى ورايق عليها المحافظ ، وكان ذلك التزاما من المحافظ ببدأ أولوية شركة مانسمان (٥٩٥) . مع تعديل لإحدى بنود الاتفاق الذى أمد الألمان مشروعاً به ، فالمادة ١٥ من ذلك المشروع تصد لصالح مراكش ، وصار على مانسمان أن يدفع - بالنسبة للذهب والفضة - ٢٥ بالمائة بدلا من عشرين ، وشأنية بالمائة بالنسبة للمعادن الأخرى بدلا من اثنين بالمائة . ولكن بالنسبة لمانسمان ، قللك التعديل لم يكن بذي أهمية تذكر .

وهكذا ، وبعد الاعتراف بأسيانية شركة مانسمان فى استغلال المناجم التى اكتشفها الشركة ، ووفقا للاتفاق مع المحافظ ، ورايق الأمير على تكوين شركة مناجم مع هوفمان لاستغلال المناجم لمدة خمس سنوات (٥٩٦) . وكانت المعادن التى تستخرجها هذه الشركة تضم الذهب ، الفضة ، البلاتين ، الرصاص ، الزئبق ، الـ Cadmium ، النحاس ، الصديح ، الـ

وكان هاريس Morris ، مراسل جريدة Times البريطانية ، قد لعب دورا قياديا في تكوين هذا السنديكات الدولي (١٦٤) .

واصبح الاتحاد في باريس (١٦ يناير ١٩٠٩) . وفي الاجتماع بين العنصر الفرنسي خطة الاتحاد في الاحكار ، فقال أنه فيما يتعلق بالاتصالات المستقبلية في فاس ، فيجب ألا تقل مجموعتها على أنها نتيجة اتفاق بين الحكومة ، بل كأمير يتعلق باتفاق بين المجموعات الصناعية التي تنتمي إلى الدول المهتمة بمراكش ، والمؤيدين - بصفة شخصية - معروفة وذاتهم هناك (١٦٥) . وواضح من ذلك أن فرنسا كانت تهدد بذلك لعملها المرتقب في مراكش .

وفي باريس لاقت فكرة السنديكات الدولي نهولا ، ووافق Pichon ، عليها (١٦٦) وهكذا يجد فكرة الكونفيسوريتوم الجديد حلا وسطا لتعاون بين الرعايا الألمان والفرنسيين في مسألة مناجم مراكش .

ولكن مانسمان عارض أي نشاط آخر في الميان ، وعلى ذلك فإن أي نايبه رسمي لهم من القول كان ينشر بشكل تفاهم فرنسي ألماني في المسألة التي كانت المفاوضات بشأنها لازالت دائمة بين باريس وبرلين .

وكان الحل هو إقناع مانسمان بالانضمام إلى السنديكات للاتحاد الدولي للشركات . وهكذا تبلغ الخارجية الألمانية مانسمان (٦ يناير ١٩٠٩) بأن الخارجية الألمانية لا تستطيع أن توافق مانسمان على وجهة نظره بخصوص قانونية امتيازات المناجم التي حصل عليها من مولاي الحافظ ، أو هذه التي تتفق مع قانون المناجم والتي وافق عليها الحافظ قبل الاعتراف به سلطانا من قبل الدول (١٦٧) . وتضمنه الخارجية بأن ينضم إلى السنديكات حتى يمكن أن تعامل مصالحه باهتمام أكثر وأقوى (١٦٨) . بمعنى آخر صارت الحكومة الألمانية قبل رسيا إلى تمديد نشاط الألمان في مجال المناجم في مراكش ، ولكن في إطار السنديكات الدولي (١٦٩) . وكان روزين يرى أنه يمكن للمجموعة الألمانية في السنديكات اعتبار مطلب مانسمان تماما على ألا تتغير نسبة الألمان ككل في السنديكات (١٧٠) .

والاسمان من جانبهم ، وقد فشلوا في إقناع مولاي الحافظ بادعاهم بخصوص الامتيازات التي حصلوا عليها من "بوصارة" أبلقوا الخارجية الألمانية رغبتهم في مشاركة رأس المال الألماني في الامتيازات الأيبانية ، ولكن هذا العرض لم يلق الترحيب في برلين لشكهم هناك في جدوى هذه الامتيازات (١٧١) ولكنهم لم يعترضوا على تعاون مانسمان مع

هذا النشاط : فهذه الحملة لبدء العمل في طلبية أو ماركشيكيا . وهي أماكن تحت السيطرة الاسبانية أو محيطة بها ، وهذا أمر في متنتهي الخطورة ، فالألمانيا لم تكن ترضى في صلح مع اسبانيا (١٧٢) .

نما الحافظ ، فقد ظل على ولائه بالنسبة لهوذه لمانسمان ، ورفض طلبات اسبان تأكيد أولويتهم في استغلال الأراضي حول طلبية ، الأمر الذي سبق أن سهل لهم أبو حصاره (١٧٣) . ذلك سبب الخرج لروزين ، الذي رأى - حلا للمشكلة - أن تعاون مانسمان مع الألمان . ويفسر أيضا بدأ التأييد الحكومي لمانسمان في الضعف مع أوائل عام ١٩٠٩ . فامر هذا التأييد إما كان يخضع لحاجات الديبلوماسية الألمانية أكثر من الإصفاة إلى صرخات مانسمان عن أولويات مصالحهم في مراكش بالألماني القومية الألمانية . فالتأييد الألماني يتم طلالا كان الأمر لا يخالف القانون . وهذا في نظر الحكومة الألمانية - لم يكن واضحا في مسألة مانسمان . وعلى ذلك ، فمذهب التأييد الألماني إما كان خشية الألمان من هزيمة ديبلوماسية لهم (١٧٤) .

وفي ظل هذه الظروف ، يتكون اتحاد دولي لاستثمار مناجم مراكش International Syn-dicate . ففي ٢٦ ديسمبر ١٩٠٨ ، أبرق روزين إلى الخارجية الألمانية ، كما كتب بالتفصيل إلى بيلوف ، عن اجتماع مرتقب من اتحاد دولي للمستثمرين الأوروبيين في أوائل يناير ١٩٠٩ في باريس . بخصوص استغلال مناجم مراكش . وحدد أسماء المشتركين في ذلك الاتحاد . وقال أنه يتكون من ست مجموعات برأسها مسير دارسي Darcy ، رئيس اللجنة المركزية الفرنسية لاستغلال المناجم - رئيسا لمجلس إدارة ذلك الاتحاد ، والألماني Hart Fric-Gomme Ar ، M. Carbonnel نائبها للرئيس لكانتا :
inghuus ومدير مؤسسة كربوب Krupp نائبها للاتحاد لكانتا :

أولا : المجموعة الفرنسية (ست شركات)

ثانيا : المجموعة الإنجليزية (ثلاث شركات)

ثالثا : المجموعة الألمانية (أربع شركات ، لاتضم مانسمان)

رابعا : المجموعة الاسبانية (شركتان)

خامسا : المجموعة الإيطالية (شركتان)

سادسا : المجموعة البرتغالية (شركة واحدة) (١٧٥)

Der grosse Braok haus, p. 87.

(١٥) M. 25/8, Bd. 1, ١٩٠٦, ٢٤ يونيو ١٩٠٦

(١٦) M. 25/8, Bd. 1, ١٩٠٦, ١٩ يونيو ١٩٠٦

(١٧) Ibid. ١٩٠٦, ١٩ يونيو ١٩٠٦

(١٨) Ibid. ١٩٠٦, ١٩ يونيو ١٩٠٦

(١٩) Ibid. ١٩٠٦, ١٩ يونيو ١٩٠٦

(٢٠) Ibid. ١٩٠٦, ١٩ يونيو ١٩٠٦

(٢١) Ibid. ١٩٠٦, ١٩ يونيو ١٩٠٦

(٢٢) Ibid. ١٩٠٦, ١٩ يونيو ١٩٠٦

(٢٣) Ibid. ١٩٠٦, ١٩ يونيو ١٩٠٦

(٢٤) Ibid. ١٩٠٦, ١٩ يونيو ١٩٠٦

(٢٥) Ibid. ١٩٠٦, ١٩ يونيو ١٩٠٦

(٢٦) Ibid. ١٩٠٦, ١٩ يونيو ١٩٠٦

(٢٧) Ibid. ١٩٠٦, ١٩ يونيو ١٩٠٦

(٢٨) Ibid. ١٩٠٦, ١٩ يونيو ١٩٠٦

(٢٩) Ibid. ١٩٠٦, ١٩ يونيو ١٩٠٦

(٣٠) Ibid. ١٩٠٦, ١٩ يونيو ١٩٠٦

(٣١) Ibid. ١٩٠٦, ١٩ يونيو ١٩٠٦

(٣٢) Ibid. ١٩٠٦, ١٩ يونيو ١٩٠٦

(٣٣) Ibid. ١٩٠٦, ١٩ يونيو ١٩٠٦

Doc. D.P. Affaires du Maroc. T. 5 no. 22.

D.P.F., 2 em S., T.9 (II) No. 631, p. 623

(١) انظر : *Le Maroc*, pp. 146-147.

(٢) انظر : *Le Maroc*, pp. 146-147.

(٣) انظر : *Le Maroc*, pp. 146-147.

(٤) انظر : *Le Maroc*, pp. 146-147.

(٥) انظر : *Le Maroc*, pp. 146-147.

(٦) انظر : *Le Maroc*, pp. 146-147.

(٧) انظر : *Le Maroc*, pp. 146-147.

(٨) انظر : *Le Maroc*, pp. 146-147.

(٩) انظر : *Le Maroc*, pp. 146-147.

(١٠) انظر : *Le Maroc*, pp. 146-147.

(١١) انظر : *Le Maroc*, pp. 146-147.

(١٢) انظر : *Le Maroc*, pp. 146-147.

(١٣) انظر : *Le Maroc*, pp. 146-147.

(١٤) انظر : *Le Maroc*, pp. 146-147.

(١٥) انظر : *Le Maroc*, pp. 146-147.

(١٦) انظر : *Le Maroc*, pp. 146-147.

(١٧) انظر : *Le Maroc*, pp. 146-147.

(١٨) انظر : *Le Maroc*, pp. 146-147.

(١٩) انظر : *Le Maroc*, pp. 146-147.

(٢٠) انظر : *Le Maroc*, pp. 146-147.

(١٥) M. 25/8, Bd. 1, ١٩٠٦, ٢٤ يونيو ١٩٠٦

(١٦) M. 25/8, Bd. 1, ١٩٠٦, ١٩ يونيو ١٩٠٦

(١٧) Ibid. ١٩٠٦, ١٩ يونيو ١٩٠٦

(١٨) Ibid. ١٩٠٦, ١٩ يونيو ١٩٠٦

(١٩) Ibid. ١٩٠٦, ١٩ يونيو ١٩٠٦

(٢٠) Ibid. ١٩٠٦, ١٩ يونيو ١٩٠٦

(٢١) Ibid. ١٩٠٦, ١٩ يونيو ١٩٠٦

(٢٢) Ibid. ١٩٠٦, ١٩ يونيو ١٩٠٦

(٢٣) Ibid. ١٩٠٦, ١٩ يونيو ١٩٠٦

(٢٤) Ibid. ١٩٠٦, ١٩ يونيو ١٩٠٦

(٢٥) Ibid. ١٩٠٦, ١٩ يونيو ١٩٠٦

(٢٦) Ibid. ١٩٠٦, ١٩ يونيو ١٩٠٦

(٢٧) Ibid. ١٩٠٦, ١٩ يونيو ١٩٠٦

(٢٨) Ibid. ١٩٠٦, ١٩ يونيو ١٩٠٦

(٢٩) Ibid. ١٩٠٦, ١٩ يونيو ١٩٠٦

(٣٠) Ibid. ١٩٠٦, ١٩ يونيو ١٩٠٦

(٣١) Ibid. ١٩٠٦, ١٩ يونيو ١٩٠٦

(٣٢) Ibid. ١٩٠٦, ١٩ يونيو ١٩٠٦

(٣٣) Ibid. ١٩٠٦, ١٩ يونيو ١٩٠٦

(٣٤) Ibid. ١٩٠٦, ١٩ يونيو ١٩٠٦

(٣٥) Ibid. ١٩٠٦, ١٩ يونيو ١٩٠٦

(٣٦) Ibid. ١٩٠٦, ١٩ يونيو ١٩٠٦

(٣٧) Ibid. ١٩٠٦, ١٩ يونيو ١٩٠٦

مترجم إلى بلوف ٢٨ سبتمبر ١٩٠٨. M. 25/8, Bd. 2, ١٩٠٨, Bd. 2. (١٦١)

دفتن إلى بلوف ، ١٠ نوفمبر ١٩٠٨. M. 25/8 Bd. 2, ١٩٠٨, Bd. 2. (١٦٢)

فاغنهام إلى بلوف ، ٢٢ يوليو ١٩٠٨. M. 4. Bd. 155. (١٦٣)

مانسان إلى بلوف ، ٢٢ سبتمبر ١٩٠٨. M. 4. Bd. 161. (١٦٤)

فاغنهام إلى بلوف ، ١٣ أكتوبر ١٩٠٨. M. 25/8. Bd. 2, ١٩٠٨, Bd. 2. (١٦٥)

فاغنهام إلى بلوف ، ١٣ أكتوبر ١٩٠٨. M. 25/8. Bd. 2, ١٩٠٨, Bd. 2. (١٦٦)

فلس المصدر السابق ، Ibid. (١٦٧)

فلس المصدر السابق ، Ibid. (١٦٨)

دفتن إلى بلوف ، ١١ يناير ١٩٠٩. M. 25/8. Bd. 3, ١٩٠٩, Bd. 3. (١٦٩)

دفتن إلى بلوف ، ١٩ يناير ١٩٠٩. Ibid. (١٧٠)

Schoen, *Memoirs of an Ambassador* p. 115. (١٧١)

دفتن إلى بلوف ، ٢٦ ديسمبر ١٩٠٨. M. 25/8, Bd. 2, ١٩٠٨, Bd. 2. (١٧٢)

Lister to grey, 15 Jan. 1809. (١٧٣)

B. D., vol. 4, No. 147. (١٧٤)

Strenich إلى دفتن ، ١٦ يناير ١٩٠٩. M. 25/8, Bd. 3, ١٩٠٩, Bd. 3. (١٧٥)

رقد آشور كل من Tardieu (في كتابه *Mystère d'Agadir* ص ٤٤ ، وكذلك Marcel (Morocco in Diplomacy) ص ١٢٩ إلى هذا الاتحاد بطريقتين غير دقيقة ، ومع ذلك أخذ نصها من الكتاب حول الموضوع ، *Le Monde et la Fels Bankier* و *Europe & the World* ص ١١٤ ، وكذلك ، Dickenson, *The International Anarchy* ، ص ١٩ ، (١٧٦)

M. 25/8 Bd. 3, ١٩٠٩, Bd. 3. (١٧٧)

M. 25/8, Bd. 3, ١٩٠٩, Bd. 3. (١٧٨)

Grosse Brockhaus Bd. 12. p. 87. (١٧٩)

دفتن إلى بلوف ، ١٦ ابريل ١٩٠٨. M. 25/8, Bd. 2, ١٩٠٨, Bd. 2. (١٨٠)

M. 25/8, Bd. 2. (١٨١)

١٣٩) رايهارد والفريد مانسان إلى بلوف ، ١٦ يناير ١٩٠٨. M. 25/8, Bd. 2, ١٩٠٨, Bd. 2. (١٨٢)

(١٨٣) Admetak Bartlett, *The Passing of the Simeretian Empire*, p. 308. (١٨٤)

(١٨٥) دفتن إلى بلوف ، ١٠ نوفمبر ١٩٠٨. M. 25/8, Bd. 2, ١٩٠٨, Bd. 2. (١٨٥)

(١٨٦) Lord Monmouth (لورد أوسال) إلى بلوف ، F. o. 371/487. (١٨٦)

(١٨٧) Lord Monmouth (لورد أوسال) إلى بلوف ، F. o. 371/487. (١٨٧)

(١٨٨) ١ أغسطس ١٩٠٨. F. o. 371/487. (١٨٨)

(١٨٩) يمكن الرجوع إلى تلك الأختانية في عديد من الراجع والمصادر فقد أوردنا بارلت في كتابه (ص ٢٥٢-١٥٢٩ ، كما توجد في الوثائق البريطانية (F. o. 371/487) ، المخطوط (١٩٠٨)

M. 25/8, Bd. 2, ١٩٠٨, Bd. 2. (١٨٩)

Minutes by Hårdtoge 16 Sept 908 F. o. 371/487. (١٩٠)

F. o. to Mo. Moore (architect), 26 May 1906, F. o. 371/92. (١٩١)

١٦٦) Crowe بالخارجية البريطانية - ١٦ سبتمبر ١٩٠٨. F. o. 387/487. (١٩٢)

(١٩٣) فاسيل إلى فاغنهام ، ١٠ أكتوبر ١٩٠٨. M. 25/8, Bd. 2, ١٩٠٨, Bd. 2. (١٩٣)

(١٩٤) Steurich إلى بلوف ، ١٩ سبتمبر ١٩٠٨ - نفس المصدر - عاجل رسدي. (١٩٤)

(١٩٥) Metemich إلى Ami ، ٢٣ سبتمبر ١٩٠٨. M. 4. Bd. 161. (١٩٥)

(١٩٦) Metemich إلى بلوف ، ١٢ أكتوبر ١٩٠٨. M. 25/8, Bd. 2, ١٩٠٨, Bd. 2. (١٩٦)

(١٩٧) Wangen heim to A. Ami., 29 Sept. (١٩٧)

M. 25/8, Bd. 2. (١٩٨)

(١٩٩) *The Passing* ص ٣٣. (١٩٩)

كذلك وجد هنا الاطلاع عنه عند مترجم . انظر : (١٩٩)

مصادر ومراجع البحث

اقصد البحث بالدعوة الأولى على الوثائق غير المنشورة الألمانية والإنجليزية . كذلك رجع الباحث إلى بعض الوثائق المنشورة باللغة الألمانية والفرنسية والإنجليزية ، وبعض الأعمال المنشورة حول الموضوع باللغات الألمانية والإنجليزية والفرنسية . ويمكن تقسم ذلك ويضاهه على النحو التالي :

١- وثائق غير منشورة

أ- وثائق الخارجية الألمانية (Awariges Ami) وقد وقع الجانب الأكبر من هذه الوثائق في أيدي الحلفاء . إبان الحرب العالمية الثانية . وقامت بعض الجامعات والهيئات العلمية بتصوير جزء كبير من وثائق الفترة (١٨٦٧-١٩١٦) .

وتوجد هذا العصور في دار المحفوظات البريطانية بلندن (P.R.O) وبعض العواصم والجامعات . ويمكن استخدام هذه الوثائق بالاستعانة بما يسمى :

A Catalogue of Files and Microfilms of the german Foreign Ministry Archives (1867 - 1920) .

التي نشرتته لجنة الجمعية التاريخية الأمريكية لدراسة وثائق الحرب ، ومجموعات الوثائق المستخدمة في هذا البحث هي :

- Marokko 15/1 Band 1
- Marokko 25/4 Band 1
- Marokko 25/8 Band 1 & 2 & 3 .
- Marokko 4 Band 5 & 161 & 155 .

وقد رمزنا لكلمة Marokko بالحرف M .

وكلمة Band بالرمز Bd .

تبع وثائق وزارة الخارجية البريطانية

British Foreign Office Records .

فيس المصغر السابق .

B.D. vol. 3. 1٩٠٩ يناير ١٥ . جولي ١٥ (٦٨)

Läster إلى جولي ١٥ . يناير ١٩٠٩ (٦٩) .

(٧٠)

Stierich إلى مدريد . ١٦ يناير ١٩٠٩ . M. 25/8 Bd. 3.

٢٤ يناير ١٩٠٩ . M. 25/8 Bd. 3. (٧٢) مذكرة أبريلين

٢٤ يناير ١٩٠٩ . Ibid. (٧٣) رديين إلى بطون

٢١ يناير ١٩٠٩ . Ibid. (٧٤) إلى بطون Oberdarff

٢٩ يناير ١٩٠٩ . Ibid. (٧٥) الخارجية الألمانية إلى مدريد

٢٩ ديسمبر ١٩٠٨ . M. 25/8 Bd. 2. (٧٦) مانسلمان إلى بطون

(٧٧) Tardieu, Le Mystère d' Agadir, p. 58 .

F. Bersard, Le Maroc economique et agricole, p. 142 .

(٧٨) (٧٩) (٨٠) (٨١) (٨٢) (٨٣) (٨٤) (٨٥) (٨٦) (٨٧) (٨٨) (٨٩) (٩٠) (٩١) (٩٢) (٩٣) (٩٤) (٩٥) (٩٦) (٩٧) (٩٨) (٩٩) (١٠٠)

- Erick - Eyck. Das Person lische Regiment Wilhelm 2, 1890 - 1914, Zuerich 1948.
- Feis, Herbert, Europe, the World's Banker. (1870-1914) 1930.
- Hallgarten, George, W.F., Imperialismus Vor 1914, Bd. 2, Munchen 1951.
- Morocco - Geographical Hand book series, December 1941, 2. vols.
- (أعدته المخابرات البحرية البريطانية لاستخدامه في الأغراض الرسمية إبان الحرب العالمية الثانية) .
- René - Leclerc, C., Situation Economique du Maroc, 1908-1909, Oran 1910.
- Schoon, Freiherr von, Memoirs of an Ambassador, (Translated) 1922.
- Staley, Eugene, War and the Private Investor, N. Y. 1935.
- Tardieu, Ardré, Le Mystère d'Agadir, Paris 1912.
- Wolff, Theodore, On the Eve of 1914. (Translated), London, 1935.

وهي موجودة بدار المحفوظات البريطانية Public Record Office بلندن ودمرتا في

البحث بالخرنوبين F. O. وأرقام مجرعات هذا الوثائق هي :

F. O. 368/205 Commercial.

F. O. 371/487

F. O. 371/94

F. O. 371/92

ج- وثائق منشورة :

أ- الوثائق الدبلوماسية الفرنسية

Documents Diplomatiques Français.

هذا مجموعة متكاكة تقريبا من الوثائق . وقد استخدمنا منها المجموعة الثانية . الجزء ٩ (II) ، ١١ وقد رزنا للمجموعة Sene بالخرنوب S. وللجزء Tome بالخرنوب T.

ب- Maroc Documents Diplomatiques, Affaires du Maroc (١٩١٩-١٩١٩).

و استخدمنا الجزء الخاص منها ، ودمرتا بالرمز B.D.

ج- The British Documents on the Origins of the War (1896 - 1914)

و استخدمنا منها الجزء الثالث .

د- أعمال منشورة :

- Ashmead - Bartlett, E., The Passing of the Shereefian Empire, London 1910.

- Barlow, Ina Christina, The Agadir Crisis, N. C. 1940.

- Bernard, Francois Le Maroc Economique et Agricole, 1917.

- Colerier, Jean, Maroc, Paris 1948.

- Der grosse Brockhaus, Leipzig, 1932, Bd. 12.

- Dickinson, G. Lowus, The International Anarchy, 1904-1914, London, 1926.

ومن ثم أراد الخديوي أن يدلي بدلوه في هذه الاتصالات بعد أن تأكد أن عودته لمصر قد أصبحت غير مرغوب فيها من قبل السلطات الإنجليزية ، كما تطلع لعوده بالهبة رضي الألمان ، الذين حققتم جبروتهم انتصارات باهرة على قوات دول الرفاق خلال تلك الفترة من الحرب ، معتبراً أن انتصار دول الوسط في الحرب هو السبيل الوحيد لإعادة عرش مصر .

من ناحية أخرى كانت تركيا ، التي أخذت تميل لدول الوسط ، ما زالت قائمة بقبضة من حديد على الشام حتى ذلك الوقت المبكر من نشوب الحرب ، ومن ثم وضع المستولون الألمان في هباتهم إمكانيات انطلاق كل العناصر المتأثرة لبريطانيا من المناطق المتاخمة للحدود المصرية في الشام .

وفي نفس ذلك الوقت كانت علاقة تركيا بمعظم الزعماء البارزين في الجزيرة العربية ما زالت تنتم إلى حد كبير بالود ، ومن هنا أيضاً تصود الألمان إن إزعاج بريطانيا وأصدقائها في الخليج العربي سوف يضطج به هؤلاء الزعماء العرب خاضعين للسيادة التركية . وعلى الرغم من كل هذه المؤشرات التي أوجت للمستولين الألمان بسهولة بلحاظ أضرار بالغة بدول الرفاق في البلدان العربية والإسلامية ، إلا أن هؤلاء المستوليين لم تتوخر لديهم حتى أواخر أغسطس ١٩١٤ خطط محدودة للاستفادة من تلك القوى المحلية المناهضة لأعدائهم . ويعود السبب في هذا النقص إلى انعدام خبرتهم بالمنطقة ، كما يعود إلى أن معظم القادة الألمان في تلك المرحلة المبكرة من الحرب كانوا يعتقدون أن قدرات دول الوسط العربية سوف تحسم هذه الحرب سريعاً لصالحهم دون الحاجة لدور فعال من جانب هذه القوى المحلية في المنطقة العربية والإسلامية (٤١) .

وبالإضافة إلى هذا الشعور الزائد بالثقة ، فإن مسألة دفع تركيا لدخول الحرب وصعباً ضد دول الرفاق لولاها الألمان أوروبية قصوى ، الأمر الذي ترتب عليه فقدانهم لأسابيع ثمينه منذ نشوب الحرب دون تحريك القوى العربية والإسلامية التي عرضت خدماتها عليهم ، ومعتقدين في البداية أن مجرد إعلان تركيا الحرب على بريطانيا وفرنسا كفيل وحده بإشغال ثورة عارمة ضد حائزين القوتين في العالم الإسلامي .

لكن مسألة قناة السويس احتلت في الواقع منذ اللحظات الأولى لنشوب الحرب أهمية بالغة لدى هيئة أركان الحرب الألمانية . إذ أن منع دول الرفاق من استغلال القناة من وجهة نظر ضباط هذه الهيئة كان هو الأمر الذي يستحق من الناحية العسكرية العناية والتدبير عما عداه من أمور التخبط لا إشغال ثورات محلية ضد الأعداء (٤٢) .

ففي الخامس من أغسطس ١٩١٤ توجه الأمير سعيد ، حفيد عبد القادر الجزائري ، إلى قنصل ألمانيا العام في دمشق لكي يبلغه بأنه ورجاله في الجزائر يقفون على أهبة الاستعداد للشورى على سلطات الاحتلال الفرنسي .

وذكر الأمير سعيد أنه يستطيع من مقر إقامته في دمشق أن يحرك آلاف الفرسان لمقاومة القوات الفرنسية المتراجدة على الأراضي الجزائرية . وأنه على استعداد للاقتحام بمساعدة البحرية الألمانية إلى الأراضي الجزائرية لقيادة قوات الثورة ، كما أكد بأن رجاله سوف يمكنهم القضاء على القوات الفرنسية المحتلة قضاء مبرماً في حالة تقديم الحكومة الألمانية مساعدتها المالية والمسكرية لرجاله (٤٣) .

وفي ١٣ أغسطس ١٩١٤ ذهب عدد من زعماء الحزب الوطني (المصري) القوميين في جنيف إلى القنصل الألماني العام ليخبروه بأن رجال الحزب في الشرق يستعملون عن طريق رجالهم في مصر لتفتيد خطة مبرومة جيداً لإغلاق مجرى قناة السويس في وجه الملاحة حتى لا تستخدم إنجلترا منها في نقل قواتها العسكرية من مستعمراتها الشرقية إلى جبهات القتال الأوروبية . وطبقاً لما ذكره هؤلاء الزعماء ، كان من المفترض أن يتم إغلاق المجرى عن طريق تفجير بعض السفن العابرة للقناة بممرات ناسفة ، كما كان من المفترض أن يسأل عدد من رجال الحزب الوطني من العاصمة التركية إلى مصر لمساعدة زملائهم هناك في تنفيذ هذه الخطة . ولم يتوقف هؤلاء الزعماء عند هذا الحد ، بل ذكروا أن أنصار الحزب الوطني في مصر سوف يهيئون في نفس الوقت لإشغال انتفاضة شعبية واسعة النطاق ضد السلطان الإنجليزية (٤٤) .

كذلك بحث الخديوي عباس حلمي برجله اللوثوق فيه - يوصف صديقاً باتناً - في ٢٢ أغسطس ١٩١٤ حاملاً معه رسالة شفهية إلى سفير ألمانيا في العاصمة التركية يعلن فيها استعدادها القيام بقيادة أي عمل عسكري تراه الحكومة الألمانية مناسباً لنظره الإنجليزي من مصر (٤٥) .

ومن الواضح أن الخديوي ، الذي كان في زيارة للعاصمة التركية عندما نشبت الحرب ، قد اتفقد خطرة الاتصال بالسفير الألماني بعد أن لاحظ كثرة اتصال شخصيات مصرية وغير مصرية بالديبلوماسيين الألمان ، لكي تمكن تأييدها لدول الوسط ضد دول الرفاق ، وتعتبر عن رغبتها في المشاركة في خطط مناهضة السلطات الإنجليزية والفرنسية في شمال أفريقية .

ومن جانبها شجعت هيئة الأركان الألمانية دون أدنى تأخير في تنفيذ فكرة إغلاق قناة السويس . وقد سارت خطة تنفيذ هذه الفكرة في اتجاهين . كان الاتجاه الأول يتلخص في قيام عدد من الألمان وعلى رأسهم الليطوياسيين منهم في الإسكندرية وهو سعيد بالتنسيق مع وكلاء شركات الملاحة الألمانية في بود سيد باغراق إحدى السفن البخارية التابعة لشركة هانزا للملاحة في إحدى النقاط الضيقة من مجرى القناة . وحول هذا الهدف بعثت قيادة الأسطول الألماني في ١٥ أغسطس ١٩١٤ برقية مقتضبة بالشفرة إلى القائم بأعمال القنصل الألماني في الإسكندرية تقول : يجب العمل على إغلاق مجرى القناة بأي ثمن . وعلى الفور يلك نائب القنصل جهداً مضنياً من أجل ذلك رموز شفرة البرقية . لأنه كان قد أحرق ما لديه من أوراق تلك رموز الشفرات فور نشوب الحرب خوفاً من وقوعها في يد الإنجليز . وفي مقر القنصلية الألمانية في بود سيد تم التعرف على معترى البرقية ، وكذلك تكلف أحد وكلاء شركات الملاحة الألمانية في هذا الميناء بتنفيذ ما جاء بها .

وفي ١٨ أغسطس كانت محاولة إغراق السفينة أن تنجح ، خاصة بعد حصولها على الإذن بالدخول إلى مجرى القناة . إلا أن ثرثرة بحارتها حول الهدف الحقيقي من إبحارها لفت نظر السلطات الإنجليزية في ميناء بود سيد . ومن ثم أوقفت هذه السلطات ودخول السفينة للقناة في آخر لحظة^(١٧) . وقد أصيبت القيادة الألمانية بخيبة أمل كبيرة لشغل إغلاق قناة السويس ، خاصة بعد أن أحبطت السلطات البريطانية في مصر محاولة مشابهة أخرى جرت في النصف الأول من نوفمبر ، عندما أقت هذه السلطات القبض على العملاء الألمان الكاثوليك بتنفيذ تلك المحاولة الأخيرة لحظة وصولهم إلى الإسكندرية لادمين من أتبنا ومحوزتهم المتفجرات التي كان من المفترض استخدامها في تفجير إحدى السفن العابرة للقناة^(١٨) .

على أن هيئة الأركان الألمانية اقتضت أخيراً بعدم جدوى محاولات إغلاق مجرى القناة في ظل بقية السلطات الإنجليزية ، وقررت الإقلاع عنها بعد أن وصف العقيد فريد كريس Von Kress ونيس فرع البعثة العسكرية الألمانية في الشام في تقرير مطول له تلك المحاولات بأنها عقيمة ، وأن إحداها لم تنجح في إغلاق مجرى القناة فلي يستغرق هذا الإغلاق سوى بضعة أسابيع . ثم يعاود الإنجليز استخدام القناة بعد إزالة أسباب الإغلاق . وتضع كريس قيادته بالكف عن تلك المحاولات التي لن تؤدي سوى إلى مزيد من بقية السلطات الإنجليزية في مصر . كما نصحتها بأن توجّه عنايتها لسبيل آخر بزدي لإغلاق القناة بصفة دائمة في وجه دول الرفاق . وأن تركز القيادة كافة جهودها في إعداد الحملة المباشرة على قناة السويس^(١٩) .

وفي تقديرنا يرجع إقلاع القيادة الألمانية عن متابعة محاولات إغلاق قناة السويس عن طريق تفجير إحدى السفن في مجراها إلى شعورها أيضاً بخيبة الأمل لعدم تنفيذ ما وعد به زعماء الحزب الوطني في جنيف من عود حول عزم رجالهم في مصر على إغلاق مجرى القناة . وأصل من اضطلاع الألمان بأنفسهم بالمحاولات سابقة الذكر لإغلاق قناة السويس إنما فيه ما يشير بوضوح إلى اعتماد تشتم من البداية في جدية وعود زعماء الحزب الوطني . أو ربما للتيقن من صعوبة تنفيذ مثل هذه العودة في ظل تشتت زعماء الحزب في عدد من البلدان الأخرى . وبالتالي انفصال هؤلاء الزعماء . عدد القاعدة المريضة لهم في مصر .

وفي تقديرنا أيضاً دفع فشل محاولات إغلاق قناة السويس القيادة الألمانية لأن تولي اهتماماً أكبر لاتجاه آخر كانت قد بدأت تفكر فيه أيضاً منذ منتصف أغسطس ١٩١٤ . وكان هذا الاتجاه هو الإعداد لحملة على قناة السويس^(٢٠) .

وفي البداية لم يكن لدى الحكومة الألمانية تصوراً محدداً حول ملامح فكرة هذه الحملة أو أهدافها . خاصة وأن الحكومة المشابهة كانت ما زالت تعلن من الناحية الرسمية عن التزامها بوقف الهياج بين القوى المتحاربة . ومن أجل الاقتراب من بلورة تصور محدد لفكرة هذه الحملة ، التي كانت لا بد وأن تنطلق من الشام في حالة دخولها حيز التنفيذ . فقد أرسلت ألمانيا في ١٢ أغسطس ١٩١٤ إلى الشام أحد كبار المستشارين وهو كورت ماكس بروفر Dr. Curt Max Profier بعد استئذان السلطات العثمانية . والهدف من إرسال بروفر . الذي كان يتحدث العربية بطلاقة ، هو مراقبة الحالة العامة في الشام . والتعرف على مركز تركيا هناك . التعرف على مدى إمكانية ابتداء الشام قاعدة لعمل عسكري ضد قناة السويس^(٢١) .

وفي الحقيقة فإن إرسال ألمانها لهذا المستشرق للشام بعد نشوب الحرب لجمع معلومات حول طبيعة الأحوال فيها إنما يمكن قلة وحدائه تجرئه ألمانيا بشنون هذه المنطقة بالقارة بخبرة الإنجليز الواسعة بها . كما يؤكد اعتماد وجود خطط محددة لدى الألمان قبل نشوب هذه الحرب لاستغلال هذه المنطقة في عمل عسكري ضد أعينهم .

وفي ضوء وثائق الحرب التي اطلعنا عليها يمكن لنا أن نؤكد أن أصل فكرة الحملة كانت لاتعتمد على عمل عسكري محدود لاحتلال بعض المواقع على الضفة الشرقية لقناة السويس . ولكن من خلالها تعطيل الملاحة البحرية في مجرى القناة^(٢٢) . إلا أن فكرة هذه الحملة سرعان ما تطورت لتصبح مشروعاً كاملاً لحملة تركية على مصر لاستخلاصها من الإنجليز وليس على

التي أسماها بنفسه (الحملة التركية على مصر) ، على اعتبار أن هذه الحملة من وجهة نظره يجب أن تكون تركية الطابع ، وأن يستغل المركز المصري الذي يحمله الخليفة العثماني كخليفة للمسلمين في نفوس المصريين في الجانب الدعائي لهذه الحملة واستطرد سلاطين يقول : (من المهم أن يتولى الحملة قائد عسكري محقق قادر على التنسيق الجيد بين كل الأطراف المشاركة فيها ، وأن يعلن منذ البداية عن أن هدفها هو تحرير مصر والسودان من الإنجليز حتى نلحق الترحيب الشائب من جانب جميع السكان) (١١٣٦) .

واعتبر الألمان أن ما أدلى به سلاطين باشا نصائح ثمينه يجب التصريح في ضرورتها . وكانت أولى خطوات هذا التصحرك هو محاولة إزالة أسباب التفرقة للموسم بين الخديوي عباسي حليبي وعدد من قادة تركيا وعلى رأسهم الصدر الأعظم سعيد حليم باشا ، وذلك حتى يمكن التنسيق بشكل جيد مع الجانبين فيما يتعلق بالحملة التركية على مصر . وقد كان الأتراك يؤكدون أن يجهزتهم مع عباسي حليبي في أثناء الحرب الطرابلسية أثبت أنه لا يمكن الاعتماد عليه ، وأنه شخص مرتضى ، لعب دوراً في هزيمة للجماهير أمام قوات القزوين الإيطالي . كما كان سعيد حليم لا يخطئ كراهيته لعباس حليبي ، ويعتبره أسوأ من حكم مصر من أسرة محمد علي التي ينتمي هو نفسه إليها . وفي المقابل كان عباس حليبي يهتم الأتراك بالتعامل الشديد على شخصية ، كما كان يهتم عند سعيد حليم بأنه طامع في عرش مصر .

وبنظرة السفير الألماني فنجهايم Wangerheim جهوداً جارية من أجل التوفيق بين الجانبين ، إلا أن جهوده ووساطته فشلت في إزالة جذور الكراهية والبغضاء بين الجانبين على المستوى الشخصي . ولكنه توصل بصعوبة وكعمل أخير إلى اتفاق شفوي هزيل بينهما ، كان الغرض منه الفصل بين وجهات ودور كل منهما في أخلة التركية على مصر عن الضعائف الشخصية . ويوجب هذا الاتفاق كان على الخديوي أن يتخلى عن التمسك بقيادة هذه الحملة وأن يتحمل مع رجال الحرب الوطني مسئولية العمل الداخلي التمثل في إشعال الثورة المناهضة للإنجليز في مصر فهذه لقدم الحملة . أما الأتراك فقد كان عليهم أن يتولوا مسئوليات العمل الخارجي ، التمثل في إعداد الحملة عسكرياً في الشام وتخريبها حتى تقاوم في اتجاه قناة السويس لتسيك مع الإنجليز حتى يتم لها تحرير مصر والسودان .

وفي الحقيقة ظل عامل التنك بين عباس حليبي والأتراك يمثل عشا ثقيلاً على كامل الألمان طوال فترة الإعداد للحملة التركية ، كما ألفت هذه العلاقة السينة بظلالها على مظاهر إعداد الحملة التركية . فبينما كانت هيئة الأركان الألمانية تعتقد أن انضمام الوطنيين المصريين من

قناة السويس وحدها ، ولقد ارتبط هذا التطور ، الذي نقل فكرة الحملة من كونها تخديم مصالح ألمانيا والتسما العسكرية فقط إلى كونها عملاً يخدم مصالح أطراف أخرى ارتبطت بمحاولات إدخال تركيا الحرب بجانب دول الوسط ، ففي اعتقادنا كانت رغبة الحكومة الأتنية الملحة في إغلاق قناة السويس أمام الحلفاء من أهم الأسباب التي دفعها للضغط بشدة على الحكومة التركية لكي تعلن انضمامها لدول الوسط في الحرب . وفي نفس الوقت أجهزتها هذه الرغبة على قبول تطوير فكرة الحملة ليخدم أيضاً مصالح الدول العثمانية والخديوي عباس حليبي الثاني ودجال الحرب الوطني المصري ، وذلك حتى تشارك هذه الأطراف كلها بجدية في إعداد وتنفيذ هذه الحملة .

كما يبدو الفضل في بلورة وتنقيح فكرة هذه الحملة إلى سلاطين باشا ، الذي اتصل به الألمان في ١٩ أغسطس ١٩١٤ من أجل الاستفادة من خبرته الطويلة في العمل مع الإنجليز ومن أجل الاستفادة من خبرته الواسعة بشؤون مصر والسودان ، وعلى الرغم من أن الألمان وجدوا صعوبة شديدة في استئصال سلاطين باشا لصفهم ضد الإنجليز ، ولسوا منه حذراً بالغا في التعامل ، ونحرفاً واضحاً من أن ينكشف أمر اتصالهم به ، إلا أنه كان مفيداً إلى حد كبير بالنسبة لهم ، وبحوض بعضاً من نفوس خبرتهم بشؤون مصر والسودان . فقد نصح سلاطين باشا الألمان في هذا اللقاء الأول بشديد الضغط على تركيا حتى تعلن الحرب ضد إنجلترا ، كما نصحهم بالإسراع في الإعداد لحملة عسكرية مشتركة مع تركيا ، تستهدف انتزاع مصر من القوات الإنجليزية . وأضاف سلاطين قوله "إن مركز إنجلترا في مصر وقتنا ليس من السودان سوف يتعرض للخطر بمجرد إجهاد هذه الحملة للمعدود المصرية من ناحية الشام" كما شدّد سلاطين على أهمية الإسراع في إعداد وتخريك هذه الحملة قبل أن تقوى إنجلترا من مركزها في مصر .

وفي اتصال تالي رفض سلاطين باشا طلب الألمان بأن يتولى بنفسه قيادة هذه الحملة على مصر . لكنه أبدى استعداداً لتقديم النصح والمشورة في أضيق الحدود لإنجاح هذه الحملة من مقر إقامته في النمسا (١١٣٦) .

كما أنه لفت نظرهم في اتصال ثالث إلى أن الإنجليز سوف ينتهزون فرصة نشوب الحرب ويغرضون الحماية على مصر . وسوف يحتفلون بآوات إضافية لحماية قناة السويس ضد أي هجوم محتمل من قبل دول الوسط . ومن ثم كبر تشديده على ضرورة التعجيل بإعداد الحملة لمحاربة الإنجليز . وفي هذا اللقاء الثالث وضع سلاطين باشا الخطوط العريضة لمشروع الحملة .

وإلاضافة إلى أعباء التنسيق بين مصالح كل هذه الأطراف كان على الألمان معالجة عدد من المسائل الحسيرة بالنسبة للعملة وهي :

١- الوأي العام في الشام ،

كان من المهم تجهيد الأجراء ، في الشام لرحلة إعداد العملة . ومن ثم لجأ الألمان إلى استئالة زخما . العشائر والقبائل هناك حتى تتم هذه الاستعدادات دون إزعاج من قبل السكان المحليين وقد امتدت محاولات الاستئالة تلك لتشمل أيضاً زخما . الحجاز ومجد . وكانت الرشرة والهيايا والأوسنة على رأس الوسائل التي استخدمها الألمان في استئالة هؤلاء الزخما . كما كان الشخير الألمانى في تركيا فنبهتهم بقتيل من وقت لآخر في مفر سفارته أشرف الحجاز وزخما . الشام وقدم لهم الرشاوى مقابل تمهيدهم بالعمل مع الألمان ضد الإنجليز (١١٨) .

كما بدأت أجهزة الدعاية الألمانية في طبع أول منشور باللغة العربية في هذه الحرب لتوزيمه على سكان الشام وجاء هذا المنشور على شكل رسالة من مواطن ألماني إلى الشام يدعوهم فيها إلى مراهضة دول الرفاق (١١٩) .

٢- اختصار قائد للحملة :

بعد أن رفض سلاطين باشا أن يتولى قيادة الحملة كما سبقت الإشارة أخذ الألمان بنصيبهم وراحوا يبحثون عن شخص تتوفر فيه الشروط القوية لهذا المنصب . وفي البداية وقع اختيارهم على فائق باشا . الذي وضح لهم شيهلر Schaffer الذي كان يشغل وظيفة متصل ألماني العام في دمشق قبل نشوب الحرب .

وكان فائق باشا يحتل منصب قائد عام الجيش المشماني الشام في الشام حتى عام ١٩١٣ . كما كان يجيد التحدث باللغة الألمانية . التي تعلمها خلال فترة الثلاث سنوات التي قضها في صدر شيايه كعضو بعثة عسكرية تركية في ألمانيا . وطبقاً لوجهة نظر شيفر كان فائق باشا شخصاً وقوراً ومهرباً من أهل الشام وجمع بين أصله التركي ونسبه العربي كزواجه من سيدة تنتمي لأسرة هريقة في دمشق واعتبر شيفر أن إختيار فائق باشا في منصب قائد الحملة التركية على مصر فيه تشجيع الكثير من البدو على الانضمام لهذه الحملة (١٢٠) .

إلا أن الحكومة التركية عارضت بقوة ترشيح الألمان لفائق باشا . لكونه غير موال للحكومة الاتحاد والترقي ومن الضباط الذين تم استبعادهم من الجيش في حركة التطهير التي أقدمت عليها الحكومة التركية وأواخر عام ١٩١٣ . وبدلاً من ذلك وبمراهضة الألمان عين أمير باشا وزير

وجمال الخديو والحزب الوطني إلى الحملة بعد أمر مفيد لها . كانت السلطات التركية في استانبول والشام تقوم بإبعادهم وترحيلهم باعتبارهم عناصر معوقة لهذه الحملة (١٢١) .

كذلك أدى توتر العلاقة بين عباس حلمي وسعيد حلمي إلى التراخي في حسم عدد من المسائل الحسيرة خلال فترة الإعداد . وخاصة تلك التي كان الخديوي وزخما . الحزب الوطني يطالبون بالتاكيد عليها مثل : مسألة وضع مصر الدولي الذي حددته القرارات العشوائية . ومسألة انسحاب القوات التركية من مصر بعد نجاحها في طرد الإنجليز . ومسألة عودة الخديو عباس المرش . ويتحمل الألمان هنا جزءاً كبيراً من مسئولية حدوث هذا التراخي ، الذي زاد كثيراً من شكوك الوطنيين المصريين والخديو تجاه نوايا الأتراك ورفضهم في مرحلة لاحقة لحض رجالهم في مصر على الامتناع عن تقديم العون للحملة التركية (١٢٢) .

فبعد فترة وجيزة من التعامل مع عباس حلمي تشكل الألمان أنفسهم في صدق نوايا . وتشككوا أيضاً في قدراته الشخصية على تزعم الانتفاضة المسلحة ضد الإنجليز . ولذلك قبلوا بسهولة رؤية الأتراك في إيماءه عن قيادة الحملة على مصر . كذلك وافق الألمان نزولاً على رؤية الأتراك على إصدار المنشور السلطاني . الذي كان من المفترض أن يوجه للمصريين بمناسبة الإعداد للحملة ، قبيل تحركها بوقت وجيز (١٢٣) .

وفي الواقع وحتى قبل النخول في مرحلة إعداد الحملة . فوجئ الألمان بأنهم مجبرين على التعامل والتنسيق بين عدة أطراف متنافرة المصالح ومتناقضة الاتجاهات . حيث كان طرد الإنجليز من مصر هو الشيء الوحيد الذي اتفق عليه الجميع من وراء المشاركة في هذه الحملة . وماعدا ذلك كان التباين والتنافس بين كل الأطراف واضحاً إلى حد كبير . ولم يبدل أي من هذه الأطراف أدنى جهد لإخفاها هذا التباين وذلك التنافس (١٢٤) .

وكان أشد ما اختلفت هذه الأطراف حوله هو الهدف من وراء طرد الإنجليز من مصر . حيث كان لكل طرف مآربه الخاصة فالألمان الذين كانوا يتطلعون لتطوع طرق مواصلات الإمبراطورية البريطانية من خلال إغلاق قناة السويس . لسوا جبهة أن الأتراك يتطلعون بعد طرد الإنجليز لإعلان مصر ولاية عثمانية كما كانت عليه قبل معاهدة ١٨٤٠ . وعلى النقيض كان عباس حلمي يتطلع لعودته إلى عرش مصر طبقاً للقرارات التي حصل عليها جده الخديو إسماعيل على أقل تقدير . وأما رجال الحزب الوطني فكانوا يأملون أن تتزوج الحملة كقواتهم بتأليب الوزارة الدستورية في مصر وهي خالية من أي وجود أخشى .

وكان نفاذ مصر الألمان ولجئهم إلى الطرود الأتراك باخطير الروس . واغرائهم في نفس الوقت بتخفيف أعباء نفقات الحملة عن كاهلهم . إذا يعود إلى الرغبة الملحة في حسم الحرب في أسرع وقت ، وقفاذي مد أجلها ، التي كانوا يطمحون جيداً أن لاقبل لهم على تحمل تبعاتها على المدى البعيد .

ومن أجل إضعاف مركزي إنجلترا وروسيا في الحرب ضد الألمان في ذلك الأثناء ، من ضرورهم على الأتراك . ليس فقط من أجل تسيير الحملة التركية على مصر لكن أيضاً من أجل دفع إرسال حملة بحرية على منطقة أودسا الروسية المطلة على البحر الأسود بهدف تشتيت انتباه الجيش الروسي المهاجم للنساء في منطقة شغالسبا Gailizen . وطئت الأتراك على سرعة تسيير هذه الحملات اجتمع فنجنهايم بناء على طلب هيئة الأركان الألمانية في ٨ سبتمبر ١٩١٤ بكل من أنور وطلعت باشا . إلا أن السفير وجد عذوقاً من المسئولين الأتراك عن الحوض في مسألة الحملة على مصر ، وكان أكثر المنجاريين معه في أمر الحملتين هو أنور باشا وقبر الخيرية ، أما طلعت باشا وزير الداخلية فقد أبد مشروع الحملة على مصر في حين أنه عارض الحملة على أودسا ١٩١٤ .

وفي اعتقادنا فقد أظهر أنطب أعضاء القيادة التركية في تلك اللحظات قدرا أكبر من الحماس لمسألة الحملة على مصر لعدة اعتبارات تأتي في مقدمتها رغبتهم الدافئة في استعادة نفوذهم في مصر . وطبقاً لما ذكره فنجنهايم حول موقف المسئولين الأتراك فقد انقسموا في تلك اللحظات على أنفسهم إلى مجموعتين ثلاث .

كانت المجموعة الأولى منها يتزعمها أنور باشا ، الذي كان يعد بحق رجل الألمان الأول داخل الحكومة التركية ، والذي أبد بشدة انقسام تركيا لدور الوسط منذ اللحظات الأولى لنشوب الحرب ، كما أبد بحساس ملحوظ وإنما مشروع الحملة التركية على مصر . ولم تخش هذه المجموعة ما كان يخشاه عدد من الوزراء الآخرين من حيث تعرض الدردنيل لهجوم بحري إنجليزي فرنسي رداً على المبادرة بإرسال الحملة على مصر . كما اعتبرت هذه المجموعة أن نشوب الحرب فرصة أخيرة واثت تركيا لكي تثبت دعائم أركانها المهترئة ، ولاستعادة نفوذها السلوي في مصر والبلقان ١٩١٤ .

في حين دعت المجموعة الثانية برعاية طلعت باشا إلى الانتظار حتى يتجلى الموقف بين القوى المتصارعة في ساحات القتال قبل إعلان قرار دخول تركيا الحرب . كما كان أنصار هذا

الحزبية التركي أحد رجالة المخلصين وهو أحمد زكي باشا قائداً عاماً للحملة التي استمر في هذا المنصب حتى تم تعيين جمال باشا في فترة لاحقة بدلاً منه .

٣- وقع تركيا لدخولها الحرب :

منذ أن استقرت فكرة الحملة في أذهان الألمان تبين لهم أهمية سرعة إعدادها وإرسالها حتى تحقق النجاح المرجو من ردها . خاصة وأن الأعباء الواردة من مصر منذ بداية شهر سبتمبر ١٩١٤ إلى السفارة الألمانية أخذت تتعدت عن وصول أعداد غفيرة من القوات البريطانية من الهند والناطقة إلى الموانئ المصرية ، وأن هذه القوات تم استقدامها خصيصاً للدفاع عن قناة السويس ضد أي هجوم محتمل من جانب دول الوسط ١٩١٤ .

وكان الألمان على يقين من أن سرعة إعداد الحملة وإرسالها لمصر يتوقف على التصجيل بدخول تركيا في الحرب إلا أنهم لمسوا جيداً أن عدداً قليل من المسئولين الأتراك ما زال يفضل عدم بلادهم في الحرب في هذه الفترة المبكرة ، كما لمسوا بصفة عامة أن الحكومة التركية لم تأخذ حتى أوائل سبتمبر أمر الحملة على مصر مأخذ الجد ، وأن ذلكي باشا التي عينته هذه الحكومة قائداً عاماً للحملة يتعامل مع هذه المسألة بتراخ ملحوظ . بل إن العديد من الضباط الأتراك عبروا عن امتعاضهم من تكرار إرسال الألمان لبعوثين إلى الشام ، حيث توافد عدد من هؤلاء البعثين لدراسة الحالة العامة في بلاد الشام ١٩١٤ .

وتكشف الوثائق الألمانية بوضوح عن ضيق صدر المسئولين الألمان نتيجة لشعورهم بتراخي الحكومة التركية تجاه مسألة الحملة على مصر . وقد عبر المستشار الألماني بتمان هولتويج Beubmann Hollwing في ٧ سبتمبر عن هذا الضيق في برقيته التي بعث بها إلى سفيرها في استانبول فنجنهايم ، والتي طلب منه فيها إبلاغ الأتراك فوراً بأن ألمانيا تولى أهمية قصوى لمشروع الحملة ، وأن هذا يتطلب منهم العمل بجدية تامة من أجل سرعة تحريكها في اتجاه قناة السويس . ولستطوره هولتويج في برقيته بقول لسفيره : عليه أن تنذر الأتراك في لهجة حاسمة بأن ألمانيا لن تستطيع إنفاذهم من أطماع روسيا في أراضيهم إذا لم يعملوا على وجه السرعة في تجهيز وتحريك الحملة على مصر . وطلب هولتويج من السفير أن يبلغ أنور باشا شخصياً بقصوى ذلك الإنذار على اعتبار أنه الوزير الأكثر تفهماً من بين المسئولين الأتراك لصالح بلاده ولصالح ألمانيا . كما طلب منه أن يبلغ الأتراك بأن الحكومة الألمانية سوف تتصل بالجزء الأكبر من نفقات الحملة ، كما أنها أعدت الأسلحة والخبرة اللازمة لها . وأنها بصدد إرسال بعثة عسكرية ألمانية لكي تنظم لقوات الحملة ١٩١٤ .

التقوية للدفاعات التركية في الدردنيل ، كما أبلغهم بأن البحرية الألمانية سوف تشدد من هجومها على الجزر البريطانية حتى يجبر بريطانيا على سحب سفنها الحربية من شرق البحر المتوسط لتدافع بها عن أراضيها .

وحول الوضع في البلقان أكد فنجتهام بأن ألمانيا سوف تستخدم نفوذها لدى رومانيا وبلغاريا لتسهيل إمدادات مرور الأسلحة الألمانية عبر أراضيها إلى تركيا ، واتصافها للعمل ضد صربيا إذا أقدمت هذه الأخيرة على مهاجمة الأراضي التركية^(١٢٨) .

وفيما يتعلق بمشروع الحملة التركية على أودسا فقد اقترح الألمان على الأتراك أن يقتصر الأمر على مجرد القيام بظاهرة بحرية من عدة سفن تشارك فيها مدعرتين ألمانيتين أمام شواطئ منطقة أودسا دون أن تهاجم هذه السفن المدن الروسية هناك حتى لا يقوم الروس بالرد بمهاجمة المدن التركية القريبة من هذه المنطقة^(١٢٩) .

الإل أن الوثائق الألمانية تكشف هنا عن ما يمكن تسميته "مؤامرة اللجج بتركيا في الحرب" التي رسم خطتها فنجتهام مع الجنرال ليمان فون ساندروس Liman Von Sanders رئيس البعثة العسكرية الألمانية في الجيش التركي ، الذي كان عليه أن ينفذها في حالة استمرار الأتراك في التقاعس عن إرسال الحملة التركية على مصر . وكان فنجتهام يرى أن انضمام طلبت إلى أمير باشا ليس كافيا لإقدام الحكومة التركية على تعلقا . نفسها على اتخاذ قرار الدخول في الحرب ، ومن ثم يجب أن تعرض حالة الحرب عليها من الخارج ، وذلك عن طريق دفع الأتراك إلى استغزاز بريطانيا في مصر أو روسيا في أودسا حتى تقدم أي من هاتين الدولتين على إعلان الحرب على تركيا .

وطبقا لوجهة نظر فنجتهام كانت الحملة على مصر كفيلا وحدها بإشغال حالة الحرب تركيا وبريطانيا ، إلا أن تروود الأتراك في الإعداد لهذه الحملة بالجندية المطلوبة أدت به إلى أن يسج مع فون ساندروس خطوط مؤامرة الإيقاع بتركيا في الحرب ، حيث تم الاتفاق من ودا . ظهر الأتراك على أن تعمل البعثة الألمانية في سلاح البحرية التركية عند الإشتراك بالمدعرتين الألمانيتين في المظاهرة البحرية المقررة أمام أودسا على إثارة الروس ، وأن تنفذ هجوما خاطئا على أودسا ، تعلق على أثره روسيا الحرب على تركيا^{١٣٠} .

وقد حظيت خطة فنجتهام ، بموافقة هيئة الأركان الألمانية تلك التي رأت أنها سوف تجبر الروس أيضا على سحب أعداد غفيرة من قواتهم من جهات القتال مع النمسا للتعامل مع

الإتجاه يرون أن مصالح تركيا تتطلب الفرب في إرسال الحملة التركية على مصر حين تقررة دفاعات تركيا في الدردنيل ضد أي هجوم إنجليزي وفرنسي ، وكذلك تأمين حدودها في البلقان ضد أي هجوم محتمل قد تشقه صربيا بمساعدة روسيا عليها . إلا أن معصومة طلعت باشا اضطرت للدخول عن موقفها وأيدت مشروع الحملة التركية على مصر حتى تتخلص من ضغوط ألمانيا فيما يتعلق بالحملة على أودسا .

ووعده طلعت باشا سفير ألمانيا في الإجماع الذي جمع بينهما صباح ٨ سبتمبر ١٩١٤ بأنه سوف يعمل مع أمير باشا داخل مجلس الوزراء على سرعة إعداده وإرسال الحملة التركية على مصر^(١٣١) .

أما المجموعة الثالثة فقد تزعمها الصدر الأعظم سعيد حليم ويعويد بك مع عدد من كبار ضباط الجيش والبحرية الأتراك وعلى رأسهم الأدميرال أوزدوم Usedom والأدميرال شاك Schack ، الذين تسكروا بالرفوف على الجهاد من الحرب لتفادي الأخطار المحدقة بتركيا من كل جانب ، خاصة بعد الهزيمة القاسية التي منيت بها قوات النمسا والمجر على يد الروس في معركة ليمبرج Limbreg . وأصبح أنصار حيدار تركيا في أعقاب هذه المعركة يخشون نجاح الروس في التوغل في أراضي النمسا والمجر في إقواء حدود تركيا في البلقان ، كما خشوا من أن يشجع انتصار الروس هذا كل من رومانيا وبلغاريا للانضمام إلى صربيا في مهاجمة تركيا ، أو أن يشجع هذا الانتصار السفن الإنجليزية والفرنسية على مهاجمة المضائق والموانئ التركية .

وعين الأدميرال أوزدوم في اجتماع منفرد له مع السفير الألماني سا . ٨ سبتمبر عن امتناعه من فكرة إقلام تركيا على مهاجمة أودسا في ظل الدفاعات والتحصينات التركية السينة في المضائق ، وطلب أوزدوم بتفوية الدفاعات وإصلاح التحصينات على القودنيل قبل إتخاذ قرار انضمام تركيا لدول الوسط في الحرب وتقبل إرسال الحملة التركية على مصر^(١٣٢) . وقد وصل الألمان من خلال سفيرهم على تقررة مركز المسترلين الأتراك دعاة دخول تركيا في الحرب في إسطنبول ، كما عملوا على إزالة مخاوف دعاة التريث ودعاة التسكك بالجهاد وعلى رأسهم سعيد حليم باشا رئيس مجلس الوزراء .

وفي ٩ سبتمبر ١٩١٤ عاد فنجتهام بنا ، على تعليمات عاجلة من حكومته ليرجع بكبار المسترلين الأتراك ، حيث طمأنهم بأن هيئة الأركان الألمانية سوف تتخذ الإجراءات العاجلة

في ظل تمركز قوات أخرى منهم على قناة السويس . كما اعتبر المشار أن كل تأخير في تنفيذ مشروع الحملة سيحج للإيجاز فورا أخرى لعدم مركزهم في مصر . عما يترتب عليه اضطراب الجانبين الألماني والتركي لتعصبة مزيد من قوات الحملة من أجل التغلب على ذلك الدعم الجديد . ومن ثم فلن يوقف هذا السباق سوى إرسال قوات هذه الحملة بالحجم الذي قدرته هيئة الأركان الألمانية لتنفيذ المهمة المطلوبة بها بأسرع ما يمكن . فهل أن تستفيد إنجلترا من القدرات التي مصر (١٩١٦) .

وكسكافاة عاجلة لأتود باشا حتى يقضى قلعا في مشروع الحملة على مصر إقترح لسان تون ساندروس على حكومة إرسال مبلغ ١٠٠٠٠٠٠ جنيه عثمانى إلى وزارة الحربية التركية ، وبالذمل بعثت الحكومة الألمانية بالمبلغ المقترح في ١٣ سبتمبر مصحوبا برسالة شغوية ذات مغزى نقلها فجنهايم إلى أتود باشا وتضمنت وعدا بيزيد من الهايخ الأخرى في حالة إعلان تركيا الحرب على دول الوفاق (١٩١٦) .

ولعب فجنهايم في تلك اللحظات جهودا مفضية من أجل دعم مركز أتود باشا بين أقرانه داخل مجلس الوزراء التركي . كما عمل على إزالة المخاوف من صدور عدل من هؤلاء الوزراء البارزين متجاهلا في ذلك الصغر الأعظم سمهد حليم ، الذي كان يعتبر من وجهة نظره شخصا غير متعاون بالرة . وحتى يظن أتود دوقا على طرن الإمدادات الهربية ، أكد فجنهايم أن حكومته حصلت من رومانيا على ضمانات تسمح باستخدام خطوط السكك الحديدية الرومانية طوال مدة الحرب في مد تركيا باحتياجاتها من المواد الغذائية والأسلحة . كما عرض عليهم استخدام عدد آخر من العباط والجنود الألمان للانضمام إلى البعثة العسكرية الألمانية لتقوية الدفاعات التركية والمشاركة في التخطيط والإعداد للحملة على مصر (١٩١٦) .

دوافق الأتراك في ١٥ سبتمبر على إستقبال بعثة عسكرية ألمانية خاصة بالحملة على مصر تحت قيادة العقيد كريس Kress ، الذي رشعته وزارة الحربية الألمانية لكي يتولى منصب رئيس هيئة أركان هذه الحملة . وفي ٢٠ سبتمبر ١٩١٤ وصل كريس إلى دمشق على رأس بعثة عسكرية تضم ٢٥ ضابط وجندي ألماني . ومن دمشق التي أصبحت مقرا لهده البعثة . شرع كريس في مباشرة المهام التي كلفه بها وزارة الحربية الألمانية والتي تلخصت في الإعداد للحملة ، والعمل على تحريكها في أسرع وقت (١٩١٦) .

أودسا . وأعطت هيئة الأركان لقون ساندروس الصغر ، الأفضل لتنفيذ هذه المؤامرة إذا لم يتأكد فجنهايم خلال وقت وجيز من جدية الأتراك في إرسال الحملة على مصر (١٩١٦) . إلا أن السفير الألماني لس بالفعل تحولا سريعا داخل الحكومة التركية لصالح مشروع الحملة التركية واعتبر أن هذا التحول كقبلا وحده في وقت قريب لإشغال حالة الحرب بين إنجلترا وتركيا . ومن ثم راح يتابع احتياجات هذه الحملة مع أتود باشا ، الذي طلب في الإجتماع الذي عقد بينهما في ٩ سبتمبر ١٩١٤ إمداد ببلاد يمدد من محطات الاتصال اللاسلكية الخفية . التي يمكن من خلالها التنسيق بين قيادة الحملة في دمشق ومعسكرات الجيش التركي المنتشرة في مدن الشام الأخرى .

ويؤكد العديد من الذين عايشوا أحداث تلك الفترة عن قرب في استانبول أن الأتراك أخذوا في التحضير للحملة على مصر بعمة واضحة ابتداء من النصف الثاني من سبتمبر ١٩١٤ . وهذا فيه ما يؤكد على أنهم ساروا في الطريق المؤدى إلى الحرب كما أراه لهم الألمان . وذلك على الرغم من محاولتهم التخليص من مشروع حملة أودسا بإظهار الاضمار بمشروع حملة مصر . وحتى محاولتهم تلك كانت محدودة النجاح . حيث قامت مدرعتين ألمانيتين في ٣٠ أكتوبر بإطلاق الطيران على السفن والمواني الروسية في منطقة أودسا على الشحو الذي دبره فجنهايم وساندروس . الأمر الذي ترتب عليه قيام حالة الحرب بين تركيا ودول الوفاق حتى من قبل تنفيذ مشروع الحملة على مصر (١٩١٦) .

٤- الإجهادات الحربية والمالية للحملة ١

بعد أن اطمان لجدية الأتراك في إرسال الحملة على مصر ، أخذوا منذ النصف الثاني من سبتمبر يحضون مع أركان الحكومة التركية إمكانية التوسع في مشروع هذه الحملة حتى تصبح قادرة على هزيمة الإنجليز واحتياح قناة السويس . ووضعت هيئة الأركان الألمانية في تقريراتها أن تضم الحملة ما بين ٢٠ إلى ٣٠ ألف جندي وضابط نظامي ، وحوالي ٤ آلاف من البندر المتطوعين . وبذلك استبعدت الحكومة الألمانية ما تصوره بعض الألمان والأتراك في البداية من أن حجم هذه الحملة لن يتعدى بضعة مئات من الجنود الأتراك تصاحبهم مئات أخرى من البندر واكسب الجسام . وأن مجرد ظهور هذه القوات على شواطئ قناة السويس سوف يشعل الثورة الداخلية في مصر . واعتبر المستشار الألماني أنه أصبح من الخطأ القاطع الاعتقاد في أن مثل هذه القوات الهزيلة قادرة على زعزعة مركز الإنجليز في مصر .

٥ - تهديته خراطير إيطاليا :

اقترح أتود باشا على فنجهام في ٤ سبتمبر ١٩١٤ أن تخض الحكومة الألمانية الزعماء والنوابين المركزيين على حدود مصر الغربية على مهاجمة القوات الإنجليزية في مصر العليا والوسطى وبغض النظر عن دوافع أتود في تقديم هذا الاقتراح ، إلا أن اقتراحه وجد إقبالا بالغا من جانب فنجهام ، الذي اعتبرا فرصة لإريك وتشبثت القوات الإنجليزية ، بما ينسج الطريق أمام قوات الحملة عند عبورها قناة السويس (١٤١) .

وتؤكد الوثائق التي بين أيدينا أن النمسا لم تكن مرتاحة لتوجه الحكومة الألمانية ، بالتركيز على الحملة على مصر . وقد عبر عن عدم الارتياح هذا سفير النمسا في العاصمة التركية مالك جروال بلانيسيني Markgraf Pallavicini ، الذي أبلغ فنجهام بأن حض السوربيين على الإنجليزية قد يشجع السكان العرب في برقة وطرابلس على مهاجمة الإيطاليين ويدفعها للانضمام . في نهاية المطاف إلى دول الوفاق (١٤١) ونحن نميل للاعتقاد بأن النمسا كانت تسمى لتخريف ألمانيا وتركيا من مخاطر الحملة على مصر من أجل تغليب فكرة الحملة التركية على أوروبا التي كانت أمس الحاجة إليها من أجل تخفيف ضغوط القوات الروسية عليها . ولذا فمن غير المستبعد أن يكون السفير النمساوي هو الذي قام بإبلاغ نظيره الإيطالي في إستانبول بخطط الألمان والأتراك لإثارة السوربيين ضد الإنجليزي .

ولقد فرجى فنجهام بنظيره الإيطالي بلفه بانزعاج حكومته الشديد من خطط تخريف وإثارة السوربيين . وعلى الفور قام فنجهام في عصر ٨ سبتمبر بإثارة السفير الإيطالي في مقرو لكي يؤكد له أن ألمانيا وتركيا تتعهدان لإيطاليا بعدم تحريك السوربيين والسكان العرب ضدها (١٤١) . ولم تسكن الحكومة الألمانية على موقف الحكومة النمساوية سفورها في إستانبول وسفيرها في إستانبول . وقام وزير خارجية ألمانيا في ١٢ سبتمبر بتوجيه برقية شديدة اللهجة إلى نظيره النمساوي جراف برينشولد Graf Bruchold يدعو فيها لإسكات سفيره في إستانبول عن إثارة مخاوف الإيطاليين من الحملة على مصر . كما طلب الوزير الألمانى من سفيره في روما العمل على وجه السرعة لتهدئة خراطير الإيطاليين والتأكيد لهم بأن ألمانيا وتركيا في وسعها الحيلولة دون تحريك السوربيين ضد القوات الإيطالية في الأراضي الليبية (١٤١) . إلا أن معارلات تهديته خراطير الإيطاليين من جانب ألمانيا وتركيا واجهت مصاعب عديدة وخاصة عندما دخلت الحملة على مصر في مرحلة الإعداد الجوى لها.

وعين اللافت للنظر أن العقيد كريس ، كما جاء في التكليف الصادر له من قيادته ، كان تابعها من الناحية العسكرية لقيادة الجنرال لسان تون سانتروس المباشرة وليس للسفطات العسكرية التركية . وكذلك من الناحية المالية كان له ميزانية مالية مستقلة يدفع منها رواتب أعضائه بعينه وينفق منها على أعمال الدعابة ويخضع في هذا لتصرف لإشراف حكومته وليس للسلطات المالية التركية (١٤١) . وقد حمل في الحقيقة هذا الوضع في طياته بذور الخلاف وشعور الضباط الأتراك بحسرة أقرانهم الألمان منهم ، وعكس عدم ثقة الألمان في قدرة الأتراك على الإعداد والتنظيم الجيد للحملة ، كما عكس إلى حد كبير النظرة المتدنية من المؤسسة العسكرية التركية .

وأصبحت تقارير فنجهام وتون سانتروس وكريس حول احتياجات الحملة سجل ثقة واحكام المتولين في الحكومة الألمانية في برلين . في حين لم تلق وجهات نظر الأتراك القدر الكافي من هذا الاهتمام . وترجع كريس إلى حكومته بتقرير أولي قدر فيها تكاليف إعداد الحملة بحوالي ٢ مليون جنيه مشانى . وكانت الدفاع القليلة على رأس الاحتياجات العسكرية التي طالب بها كريس ، واعتبر هذه المبالغ في غاية الحيرة لسير الحملة ، وأنها ضرورية للغاية من أجل إسكات السفن الحربية الإنجليزية ومنعها من عرقلة عبود قوات الحملة لقناة السويس (١٤١) . وترى فنجهام مسؤولية نقل بعض ما جاء في تقارير كريس من مقترحات إلى عدد محدود من المتولين الأتراك وعلى رأسهم أتود باشا ، والذي تناقش معه فنجهام حول كيفية تدبير مبلغ ال ٢ مليون جنيه اللازمة لإعداد وتجهيز الحملة ، والذي اقترح عندئذ أن تقيم الحكومة الألمانية قرضا طويل الأجل لتركيا يتم تسديده من خلال رهن الجواك التركية أو من خلال تخصيص دخل عدد من المشاريع الاقتصادية الهامة التي تديرها شركات ألمانية تركية مشتركة مثل خطوط سكة حديد بغداد (١٤١) . وحصل فنجهام أيضا مسؤولية التسيق بين حكومته والأتراك لتدبير الاحتياجات المالية للحملة . أما تون سانتروس فكان على اتصال مباشر مع حكومته لتدبير العملات الحربية اللازمة لها والتي يقترحها كريس . وقد حاول جملة باشا الإمساك بزمام الأمر فود تعيينه في ٢٠ نوفمبر ١٩١٤ قائدا عاما للحملة . إلا أن رجال البعثة العسكرية الألمانية قاروا هذه المعاملة بشدة ، مما أضاف مزيدا من توتر العلاقة بين الضباط الأتراك والألمان خلال فترة الإعداد للحملة .

وقد ارتبطت المحرمان الأولي والثانية من هذه المراحل بأحداث الحملة التركية على مصر ،
 وتخلل هدفها في إثارة السنوسيين على الإنجليز فقط ، أما المرحلة الثالثة فقد ارتبطت بدخول
 إيطاليا الحرب إلى جانب إنجلترا وفرنسا ، ومن هنا أصبح الهدف هو إثارة السنوسيين على
 الإنجليز والإيطاليين معا ، كما سيتضح لنا فيما يلي :

أولا : مرحلة ما قبل الحملة التركية على مصر :

وفي هذه المرحلة وجد الألمان أنفسهم مشتبهين بين رغبات ثلاث ، كانت الأولى هي رغبتهم
 مع الأتراك في حرض السنوسيين على مهاجمة الإنجليز في مصر عندما تقدمت الحملة التركية
 صوب قناة السويس ، وكان هذا يتطلب الاتصال بالسنوسيين كما اقترح أنور باشا ، أما
 الرغبة الثانية فصقلت في العمل على تفادي إغضب إيطاليا نتيجة لمحاولات الحرض تلك ،
 حتى لا تتحاز لدول الوفاق في الحرب ، وكان هذا يتطلب طمأنة إيطاليا من وقت لآخر ، أما
 الرغبة الثالثة ، فقد صدرت كما سبقت الإشارة عن بعض ساسة حليفتهم الإمبراطورية
 النمساوية المجرية ، التي كانت تأمل أن يركز الألمان جهودهم الحربية مع الأتراك في كل ما من
 شأنه أن يخفف ضغط روسيا عليها ، وكان هذا يستدعي في بعض الأحيان اللجوء إلى توبيخ
 هؤلاء المعرّفين لخطأ استشارة السنوسيين ضد الإنجليز في مصر .

وعندما تأكد الألمان أن تركيا تقتر في الاتجاه المطلوب ، وأن حكومتها تعد بجدية للحملة
 على مصر ، أخذوا منذ منتصف سبتمبر ١٩١٤ يضعون خطط إثارة السنوسيين ضد الإنجليز
 موضع التنفيذ مستعينين في ذلك بعدد من ضباط الجيش والملا ، المفارين ، وبعض الأتراك
 من أصحاب الخبرة بسكان الأراضي الليبية ، ومن شأنه أن يختم قضية إبقاء الإيطاليين داخل
 الحلف الثلاثي ، ومن هنا المنطلق أيدرا فكرة إرسال اثنين من ضباط الجيش سرا إلى واحة
 جنوب في ١٥ سبتمبر ١٩١٤ (٤٦١)

وعلى وجه التعديد كان ياحوف وزير خارجية ألمانيا يعتقد أن استعمار الإيطاليين بخطر
 اعتماد الشريعة الإسلامية ضد دول الوفاق إلى الأراضي الليبية الخاصة لسيطرتهم سوف
 يدفعهم للاعتماد تماما عن التفارب مع إنجلترا وفرنسا حتى لا يلحقهم الأذى من جراء هذه
 الثورة ، التي كان من المتوقع نشرها خلال تلك الفترة في وجه دول الوفاق ، ونظرا لموقف
 إيطاليا المتأرجح آنذاك بين دول الوفاق ودول الوسط ، اتبع ياحوف مع الحكومة الإيطالية
 استراتيجية تقوم على التهديد والترغيب في آن واحد ، حتى لا تتحاز هذه الحكومة لدول
 الوفاق ، ووجد ياحوف أن الاتصال بالسنوسيين من شأنه أن يعزز هذه الاستراتيجية ويحسم

وكانت مسألة سعي الألمان والأتراك لإثارة السنوسيين ضد الإنجليز أحد الأسباب التي دفعت
 إيطاليا للاعتماد من دول الوسط .

وبذلك يمكن لنا القول بأن الألمان والأتراك دخلوا مرحلة الإعداد للحملة التركية على مصر
 محولين بالعديد من المشاكل والصعاب التي كانت تنهت بعصر هذه الحملة المحترم عند الإغتيال
 لرحلة التنفيد .

٢- موقف إيطاليا من المحاولات الألمانية لإثارة السنوسيين :

لاشك أن محاولات ألمانيا لإثارة السنوسيين في أثناء الحرب العالمية الأولى وموقف إيطاليا
 منها في حاجة للدراسة المتعمقة ، التي تلقى مزيدا من الضوء على خطط وأهداف ومشاكل
 ونتائج هذه المحاولات التي عقد عليها الألمان والأتراك والسنوسيون الكثير من الآمال ، وفي
 الحقيقة هناك علاقة وثيقة بين بداية اهتمام الألمان بالسنوسيين في ليبيا واحتمامهم بالبحر
 مشروح الحملة التركية على مصر ، ليعود دخول هذه الحملة مرحلة الاستعدادات الحقيقية اعتقد
 الألمان أن السنوسيين في إمكانهم أن يلعبوا دورا مهما في تشتيت القوات الإنجليزية المتحركة
 في مصر بين فاروق ، نار الحملة القادمة من الشرق ، ونار السنوسيين في الغرب ، الأمر الذي
 كان من المفترض معه أن يجعل بعزيمة هذه القوات وانتهاء الوجود الإنجليزي في مصر
 والسودان ، ومن ثم يبدأ الألمان منذ النصف الثاني من سبتمبر ١٩١٤ يلتفتون بقوة إلى
 السنوسيين ، ويصدر الفضل في هذا إلى أنور باشا وزير الحربية في الحكومة التركية ، الذي
 لفت - عدة مرات - نظر البارون فونجهايم سفير ألمانيا في استنبول إلى ضرورة توجيه السبد
 أحمد الشريف زعيم السنوسيين نحو مهاجمة القوات الإنجليزية في مصر من الصحراء الغربية
 في الوقت الذي تقدم فيه الحملة التركية في اتجاه قناة السويس من سيناء (٤٦١) .

إلا أن محاولات استشارة السنوسيين لم تترقب - كما هو معروف - على استشارتهم ضد
 الإنجليز ، بل استندت هذه المحاولات لكي تشمل ليبيا بعدد ولعهم للثورة أيضا على
 الإيطاليين ، ومن دراسة وتعمق وثائق الخارجية الألمانية وملفات الحرب العالمية الأولى بها ،
 التي لم يسبق نشرها والتي اعتصقا عليها في إعداد هذه الدراسة ، يمكن لنا أن نحدد ملامح
 ثلاث مراحل متشابهة مرت بها محاولات ألمانيا نحو دفع السنوسيين للثورة على الإنجليز
 والإيطاليين ، بحيث كان لكل مرحلة منها مناخها المختلف ، ولكنها سارت جميعا في الاتجاه
 نفسه الذي نفس الهدف ، إلا أن موقف إيطاليا من هذه المحاولات لم يحدث فيه أي تغيير
 يذكر ، كما سيتضح لنا فيما بعد .

أثناء الحرب الطرابلسية ، إلى ليبيا من أجل إبلاغهم بالتزام الهدوء وعدم إحداث فلتاقل ضد الإيطاليين (١٩١٦) .

ويبدو أن الحكومة الإيطالية في ذلك الوقت لم يتبناها الحرف الشديد من اهتمام الألمان بالسوسيين فقط ، لكنها شعرت أيضا أن هناك قوى أخرى تسمى لوضع يدها في يد السوسيين . فقد أبلغ فنجنهايم حكومته معلومات شبه مؤكدة مفادها أن الإنجليز أرسلوا من وراء ظهر الإيطاليين بعض عملائهم إلى ليبيا . كما ذكر فنجنهايم أنه علم من أتيد باشا بوجود اتقاء قوى داخل تركيا يدعى لامتضلال نشوب الحرب العالمية في تصفية حساب تركيا القديم مع إيطاليا ، والاعتقاد لما حدث في الحرب الطرابلسية (١٩١١) ومن المؤكد أن هذه الأنباء كان من المفترض أن تخضع الإستراتيجية التي تبناها ياچوف وقدر خارجية ألمانيا مع الإيطاليين ، من حيث إنعازهم بخفض السوسيين بصفة عامة ، ومن ثم دفعهم لطلب العون من ألمانيا لإنهاء شيخ هذا الخطر ، وذلك على النحو الذي حدث في المقابلة التي جرت في ٢٥ أكتوبر بين فنجنهايم وجاروني . ومن ثم يقادهم داخل الحلف الثلاثي .

كما أراد ياچوف في ذلك الوقت نفسه أن يدفع بإستراتيجيته خطوة إلى الأمام وطلب من فلوتوف مغفوره في روما في ٢٧ أكتوبر أن يقابل رئيس وزارة الحكومة الإيطالية ليعرض عليه اعتماد ألمانيا لدعم مركز إيطاليا في ليبيا ، ولكن يلفه بأن ألمانيا اتصلت عن طريق الأتراك بالسيد أحمد الشريف السنوسي تدعوه للائتماع تماما عن إزعاج الإيطاليين . إلا أن السفير الألماني لمس من رئيس الحكومة الإيطالية في هذه المقابلة أن الإيطاليين يشعرون بالتهديد من جراء اعتماد الألمان الزائد بالسوسيين أكثر من شعورهم بالتهديد من تحركات الأتراك أو الإنجليز في ليبيا ، حيث عمر رئيس الحكومة الإيطالية السفير الألماني عن تخوفه من نتائج إثارة المسلمين في شمال أفريقيا ضد الإنجليز والفرنسيين على المصالح الإيطالية . كما عبر عن اعتقاده بصعوبة مجاح الألمان في إبعاد السوسيين عن المشاركة في مثل هذه الثورات بسبب المشاعر الدينية وأواصر القربى التي تربط السوسيين بباقي المسلمين في تلك المنطقة ، وأكد على اعتراض حكومته على خطط إرسال أي من الضباط الألمان إلى السوسيين (١٩١٦) .

وعلى لنا أن نؤكد إستراتيجية إبعاد الإيطاليين بالخطر التي انتهجها ياچوف قد بدأت تتجاوز حدودها منذ أوائل نوفمبر ١٩١٤ ، وأن محاولات الألمان لتهدئة خواطروهم وترغيبهم في طلب المساعدة قد أخذت تواجه سرعيا العديد من الصعوبات ، ففي الرابع من نوفمبر تلك

الإيطاليين على الالتزام بحرف الجهاد على أقل تقدير . ومن ثم أيد ياچوف بقوة فكرة دفع السوسيين للثورة على الإنجليز والتلويح للإيطاليين في نفس الوقت بهذه الورقة . ويأمر ياچوف بأن طلب من سفيرا في روما فلوتوف Flotow العمل على طمأنة الحكومة الإيطالية بأن ألمانيا وتركيا في مقدورها الحيلولة دون أن تعد ثورة المسلمين ضد بريطانيا إلى الأراضي الليبية الخاضعة لإيطاليا . كما جاءت رسالة ترغيب الإيطاليين في غاية الوضوح في نهاية برقية ياچوف إلى سفيره في روما عندما قال له فيها : "إذا فاتحك المركز دي سان جيوليانو Marquis die San Giuliano وزير خارجية إيطاليا في أمر تلك الثورة ، فيجب أن تقدم بأن بقا إيطاليا داخل الحلف الثلاثي هو الضمان الوحيد لإنهاء شيخ انتشارها ضدهم أيضا في ليبيا" (١٩١٦) .

ويبدو أن إستراتيجية ياچوف كادت تؤتي أكلها في النصف الثاني من أكتوبر ١٩١٤ ، حيث نجحت ألمانيا في إبعاد الإيطاليين بخفض السوسيين ، وراحت إيطاليا تسمى ناحية ألمانيا تروجها للعمل على منح السوسيين من انتهاء قيام الحرب ومهاجمة القوات الإيطالية في الأراضي الليبية . وبناء على طلب فنجنهايم قام أتيد باشا في ٢٥ أكتوبر بزيارة المركز جاروني Marquis Garoni سفير إيطاليا في العاصمة التركية لكي يؤكد له بأن تركيا من خلال علاقتها الودية بالسوسيين تتعهد مع الحكومة الألمانية للحكومة الإيطالية بعلم ثورة السوسيين عليها . وعلم أتيد باشا في أثناء تلك الزيارة من السفير الإيطالي أن الحكومة الإيطالية أصبحت تخشى بالذملي ثورة السوسيين . ثم قام السفير الألماني فنجنهايم في مساء ذلك اليوم نفسه بزيارة السفير الإيطالي جاروني لكي يقدم له نفس التعهد . ولكن بخمس منه على عمق مخاوف الحكومة الإيطالية من تحريك السوسيين ضد الإنجليز . وفي هذا الزيارة فوجئ فنجنهايم بأن الحرف يسك بتلابيب الحكومة الإيطالية ، حتى أن جاروني طلب منه أن تعمل ألمانيا كلى ما في وسعها لمساعدة الإيطاليين في ليبيا في حالة ثورة السوسية على الإنجليز (١٩١٦) .

وأمام هذه المخاوف أراد فنجنهايم أثناء لقائه مع السفير الإيطالي جاروني أن يظهر حكومته في ثوب حامى حمى المصالح الإيطالية في ليبيا ، وأنها ما زالت متمسكة بصداقتها لإيطاليا . ولذا عرض على جاروني استعداد حكومته التام لإرسال الضباط الألمان فيون بنتهام Von Bentheim ، المعروف جيدا للسوسيين منذ عمله تحت قيادة أتيد باشا في

السويديون الإيطاليون مرة أخرى في أواخر نوفمبر ١٩١٤ على لسان أسبيلو عن تزواجهم الشديد من اتصال ألمانيا بالسويديين ومحاربة استشارتهم ضد الإنجليز . كما صرح هذا القائد بأن القوات الإيطالية في ليبيا سوف تصمد للسويديين إذا تحركوا لمهاجمة القوات الإنجليزية في مصر . وقد أحدث ذلك التصريح قلقا شديدا في الأوساط الألمانية لا يحصل في طياته ولاكثر من معنى . وخاصة أن صدره ارتبط بأشياء أخرى ذكرت أن السلطات الإيطالية في ليبيا بدأت بالفعل تتخذ الاستعدادات العسكرية لمنع السويديين من مهاجمة الإنجليز (١٥١)

وفي تطور آخر يؤكد فشل إستراتيجية باجوف مع الإيطاليين وبدء التحيز لهم لصف الإنجليز ، ودوت إلى برلين أنباء أخرى تفيد أن السلطات الإيطالية في ليبيا وافقت للسلطات الإنجليزية في مصر بأن تخاطب السويديين . وأن ترسل من قبلها إلى جنوبي مصرنا واسع النطاق بين السويديين ، وهو سيدي محمد الراضي محملا بالهدايا والرشاوى إلى السيد أحمد الشريف لكي يحصل على رفقته عن التحرك بقواته من خلف ظهر القوات الإنجليزية في مصر (١٥٢)

ويطوّر أن هذه الأنباء التي كانت تعنى أيضا تضييق الخناق على الضباط الألمان في ليبيا أصابت الكثير من السويديين في الخارجية الألمانية بالارتباك . كما أن الاستعداد للحملة التركية على مصر والأعمال العريضة التي عقدت على نجاحها جذبت انتباه هؤلاء السويديين وصرفتهم لفترة وجيزة عن متابعة خطط إثارة السويديين بكل جدية على الإنجليز . وقد حدث هنا في وقت بالغ الخطورة بالنسبة لمعبر الحملة على مصر . بل إن أنباء إعداد هذه الحملة قد أثار حفيظة السيد أحمد الشريف السويدي نفسه ، وجعلته يخشى على مستقبله السياسي ووضعه شبه المستقل داخل ليبيا في حالة نجاح هذه الحملة في طرد الإنجليز من مصر . ودرجى الألمان والأترراك في أوائل ديسمبر ١٩١٤ بوصول ميدوت من قبل السيد أحمد الشريف إلى السنيورل لكي يحصل على تمهيلات رسمية من الحكومتين الألمانية والتركية بشأن استقلال السويديين الداخلي في أعقاب نجاح الحملة على مصر .

وعلى عمل أرسات الحكومة الألمانية إلى ليبيا نطلب استشارة ملاطين باشا . الذي رد بتصحيحها بأن تلم محمد العابد رسول السيد أحمد الشريف في بدء تصريحا كتابيا من الحكومة الألمانية يؤكد على أن ألمانيا وتركيا ليس لهما أية نوايا سيئة تجاه السويديين ، وأنها تضمنان استقلالهم الداخلي عن الدولة العثمانية . كما نصح ملاطين بأن تصلر الحكومة التركية تصريحا منفصلا يحصل نفس المعنى (١٥٣)

بعض الصحف الإيطالية أنباء مفاهها أن عددا من الضباط الألمان قد وصلوا سرا إلى ليبيا ويمدون السويديين في بركة للشورة على الإنجليز . وقد أحدثت هذه الأنباء ردود فعل قوية بين الرأي العام الإيطالي ، الذي طالب حكومت بالتصدي للألمان ، متهما إياهم بالتدخل في مناطق نفوذ إيطاليا في ليبيا . كما طلب رئيس حكومته بالتصدي للألمان . متهما إياهم بالتدخل في مناطق نفوذ إيطاليا في ليبيا . كما طلب رئيس الحكومة الإيطالية من ألمانيا أن تصدق بيانها قويا تكذيب فيه تلك الأنباء لتهدئة الرأي العام الإيطالي . كذلك شهدت جلسات البرلمان الإيطالي مناقشات صاخبة بين الحكومة الإيطالية والمعارضة حول قضية اتصال الألمان بالسويديين . وهاجم عدد من أعضاء البرلمان الحاكم العسكري الإيطالي في ليبيا الجنرال فيجيلو Ameglio لتفاج الألمان في إرسال عدد من ضباطهم إلى السويديين ، وصفره مستولية تهديد مصالح إيطاليا في الأراض الليبية (١٥٤)

وعلى الفور شعر باجوف بأن إستراتيجيته أصبحت مهددة بالخطر . ومن ثم طلب من سفيره في العاصمة التركية أن يبحث مع أتود باشا كيفية إرسال رسالة عاجلة إلى الضباط الألمانين اللذين وصلوا في منتصف سبتمبر ١٩١٤ إلى السويديين تصويهما إلى تمديد نشاطهما مؤقتا . كما طلب منه أن يصل أتود باشا على وجه السرعة لكي يخطب السويديين إلى الراحة ويوقظهم عن إثارة شكوك الحكومة الإيطالية (١٥٥) كما تحرك باجوف على وجه السرعة لإتخاذ إستراتيجيته من التمهيد . ولتشهيت إيطاليا داخل الحلف الثلاثي . وأصدر باسم حكومته بياناً كذب فيه أنباء وجود ضباط ألمان بين السويديين . وقام السفير الألماني في روما بتسليم الحكومة الإيطالية صورة وسية من ذلك التكذيب . كما قدم السفير صورة أخرى من التكذيب نفسه إلى رئيس البرلمان الإيطالي (١٥٤)

من الواضح أن ألمانيا كانت تكذب على إيطاليا . وأنها كانت من خلال عرضها التي تقدمت به إلى الحكومة الإيطالية . وأخاص بإرسال الضابط الألماني نون بنتهايم . إتقا تريد أن تفتنى إطارا شرعيا على نشاط الضباط الألمانين الآخرين المرصودين بالفعل عند السويديين . ومن المحصل أيضا أنها كانت تدارك رزع هذا الضابط بشكل شرعي . وآخرين غيره بشكل غير شرعي . لكي يصحروا قريبا بعد شركة في جناب إيطاليا ودورقة ضغط أخرى في بلها . وذلك استمرارا لسياسة الترغيب والتهديد التي اتبعها باجوف .

ولكن من الواضح أيضا أن الحكومة الإيطالية كانت تدارك كل ذلك . ومن ثم اعترضت بشدة على فكرة إرسال الضابط بنتهايم أو أي ضباط ألمان آخرين إلى السويديين . وظهر

وساد لبعض الوقت لدى عدد من كبار ضباط الجيش الألماني استعداد بأن شيان شيخ الإسلام السنوسيين سوف يخلف كثيرا من توتر الإيطاليين ، وأنه من الممكن بث المزيد من الطمأنينة في نفوسهم بالطرق الدبلوماسية من خلال السفير الألماني في روما للتوصل الألماني لاجر Tiget في طرابلس ، حتى يمكن - بناء على طلب كريس - إرسال العتاد اللازم لتحرك السنوسيين ضد الإيطاليين في أواخر يناير ١٩١٥ .^(٦١١)

بدأت القيادة العامة للجيش الألماني تفكر في أفضل السبل لإرسال احتياجات السنوسيين من عتاد وأموال على وجه السرعة . وهنا اقترح فنجنهايم أن يتولى الأتراك هذه المهمة حتى يتخضب الحكومة الإيطالية مرة أخرى من ألمانيا ، كما كان فنجنهايم يعتقد دائما أن الأتراك لجدر بالتعامل مع القوى الإسلامية من الألمان ، وأن الاعتماد عليهم في ذلك المجال يجنب الحكومة الألمانية الكثير من المشاكل والتعقيدات . ووضح فنجنهايم الضابط تورى (الشقيق الأصغر لأثور باشا) لكي يتولى إمداد السنوسيين بالعتاد واللوازم الذي يفتقروا لهم الألمان ، وفضل فنجنهايم الاعتماد في هذا على تورى لاحتفاظه بعلاقة قوية مع السنوسيين منذ أن كان بينهم في أثناء الحرب الطرابلسية ، وقد أعلن تورى بعد مناقشة فنجنهايم له في ذلك الموضوع عن استعداده للاضطلاع القوي بهذه المهمة^(٦١٢) .

وبلغت الخارجية الألمانية ، محاولة أخيرة في هذه المرحلة لتهيئة خواطر الإيطاليين ، وأرسلت بناء على طلب القيادة العامة للجيش إلى السيد أسد الشريف رسالة عاجلة نقلها إليه أحد أقران قنصل ألمانيا في طرابلس ، تدعوه فيها إلى أن يصدر بياناً يعلن فيه : «اعتناهم الاتام عن إحدات أى قتلاقل للسلطات الإيطالية في ليبيا . وأنه يصعد بمسألة الإيطاليين وعدم محاربتهم باعتبارهم أصدقاء . للإسلام وتركيا وألمانيا . وأنه سوف يحارب الإيطاليين فقط لكونهم أعداء الإسلام» . وفي ٢٥ ديسمبر ١٩١٤ أصدر السيد أسد الشريف البيان المطلوب^(٦١٣) .

إلا أن هذه المحاولة الأخيرة نشلت أيضا في هتنة خواطر الإيطاليين ، وأدى اتصال قنصل أنقيا في طرابلس لاجر السنوسيين إلى إضافة المزيد من التوتر في العلاقات الإيطالية الألمانية . فاخذت السلطات الإيطالية في ليبيا تضيق الخناق على قنصل ألمانيا في طرابلس وتراقب تحركاته . وفي ٥ يناير ١٩١٥ حلقت هذه السلطات في رسالة شديدة الدهشة للتوصل من سفيرة مجاوز واجباته الدبلوماسية . كما أعلنت وزارة المستعمرات الإيطالية في الوقت نفسه

ومن المؤكد أن رسول السيد أحمد الشريف عاد سريعا إليه من إسطنبول حاملا التصريحات التي تصح بها سلاطين باشا . الأمر الذي شجع الزعيم السنوس على مواصلة الإتحاد والإقاررة على خطوط السكك الحديدية وبعض المراكز في التميم في ذلك الوقت^(٦١٤) .

وقد تلقى كبار ضباط البعثة العسكرية الألمانية في تركيا أنباء تحرك السنوسيين على حدود مصر الغربية بسعادة غامرة ، وأحيا هذا لديهم الأمل مرة أخرى في إمكانية الاستيلاء من السنوسيين في خلافة قوات الإتحاد المركزية على قناة السويس من طريق الحملة التركية ، التي كانت قد أصبحت على أحية الاستعداد للحركة من الشام . كما ظنوا أنه من المقيد إبلاغ زعيم السنوسيين بتوقيت وصول قوات هذه الحملة على وجه الدقة إلى قناة السويس ، لكي يهاجم الإيطاليين من الخلف في ذلك التوقيت نفسه . وفي ٨ ديسمبر ١٩١٤ بعث الجنرال ليمان فون ماندرس رئيس البعثة العسكرية الألمانية في تركيا براسطة أحد الأتراك ، إلى الضابط الألماني أوتو مانسمان Otto Mannesmann الموجود بين السنوسيين بقول : «تفضل القوات التركية إلى قناة السويس في أواخر يناير ١٩١٥»^(٦١٥) .

وبلغت الخارجية الألمانية محاولة أخرى للهيئة الإيطالية من ناحية السنوسيين قبل وصول قوات الحملة لقناة السويس . حيث استصدر سفير ألمانيا في إسطنبول من شيخ الإسلام بياناً خاصاً موجهها للسنوسيين يدعوهم فيه للامتناع عن إظهار أي روح عدائية تجاه الإيطاليين والسياسيين في بلادهم . وقام سفير ألمانيا في روما في ١٠ ديسمبر ١٩١٤ بإبلاغ وزير المستعمرات الإيطالي مارتوني Martoni بمضمون ذلك البيان ، كما طلبت الحكومة الألمانية من الحكومة التركية أن تعمل من خلال ضباطها لدى السنوسيين الذين باتوا ٢٠ ضابطاً في ديسمبر ١٩١٤ ، على توجية تحركات السنوسيين ناحية مصر فقط^(٦١٦) .

وكان العقيد كريس رئيس هيئة أركان الحملة التركية على مصر مازال يقول كثيرا على أن يتزامن هجوم السنوسيين على الإتحاد مع بلوغ قوات الحملة لشواطئ قناة السويس . ولما طلب من قيادته في أواخر ديسمبر ١٩١٤ العمل على وجه السرعة لإرسال العتاد واللوازم إلى السيد أحمد الشريف ، الذي كان قد أصبح على دراية تامة بتوقيت وصول هذه الحملة إلى القناة ، لكي يهاجم الإيطاليين . وبناء على هذا طلبت القيادة العامة للجيش الألماني من وزارة الخارجية الألمانية أن تستمر في بلد أقصى ما في وسعها لتهيئة خواطر الحكومة الإيطالية في ذلك التوقيت شديد الحساسية ، وحتى يمكن إرسال العتاد والأموال للسنوسيين دون عرقيل من جانب السنولين الإيطاليين في ليبيا .

طريق إخبارية ألمانية برقية عاجلة إلى كل من فنجنهام ومستشاره العسكري في العاصمة التركية تطالب منها فيها أن يخبروا لها على شخص موزون فيه يحكى أن ينقل إلى السيد أحمد الشريف رسالة عاجلة تدعوه لتكثيف هجماته على الإنجليز خلال الفترة من ٢٥ يناير حتى ١٥ فبراير ١٩١٤ . وهي الفترة التي كان من المنتظر أن تشتبك فيها قوات الحملة التركية مع القوات الإنجليزية في مصر وعلى الفور رشح فنجنهام مراسلا ألمانيا مقبلا في العاصمة التركية لإحدى الصحف النصارية يدعى هانز شيب Hans Schmid . كان قد عاش فترة طويلة من طفولته في إيطاليا . ومن ثم تصدرت الإيطالية كأحد أبنائها . كما عاش لفترة من الوقت في ليبيا كمراسل لعدد من الصحف الألمانية في أثناء الحرب الطرابلسية . وكان المفروض طبقا للخطة التي وضعها فنجنهام بنفسه أن يتحمل هانز شيبت حلة شخصية مراسل صحفي إيطالي الجنسية ، ورافق إلى الإسكندرية ومنها يصل إلى واحة جفجوب لكي ينقل تلك الرسالة إلى السيد أحمد الشريف (٦٧) .

وفي الوقت نفسه كان المنشور العسكري للسفارة الألمانية في العاصمة التركية قد عثر على شخص آخر يدعى بورشارت Borchardt ذكر أنه يجهد اللغة العربية بلهجتها الليبية . وأنه عارف بالديوب والمسالك الصحراوية ، ويستطيع الوصول إلى النورسبين عن طريق عبود البحر الأحمر من جدة إلى القصير متكررا في ملابس البهو . ثم يخترق صحراء مصر الشرقية والغربية إلى الواحات حتى يصل إلى زعيم النورسبين . وقد أخذت هيئة الأركان الألمانية بتخريج المشوار العسكري . وأمرته أن يرسل بورشارت هذا على عجل محملا بالرسالة المطلوبة إلى السيد أحمد الشريف (٦٨) .

ومن الجدير بالذكر أنه في تلك الأثناء تهاقت الكثير من الألمان سواء من الذين عملوا سابقا في الإدارات المصرية أو من أبناء الجالية الألمانية في الشام وغيرهم . على عرض خدماتهم على السلطات الألمانية والقيام بأعمال الجاسوسية وبعض المهام الأخرى التي يكفون بها من قبل هذه السلطات في البلدان العربية والإسلامية . وكان الكثير من هؤلاء المفاسرين مدفوعين من منطلق الرغبة في الحصول على المكافآت المالية السخية التي كانت تقدم لهم من السوليم الألمان حتى من قبل القيام بالوصول الموكلة إليهم . أما الدافع الوطني فلم ينفرد في الحقيقة إلا عند التقليل من هؤلاء المفاسرين . وللك تعرضت السلطات الألمانية للعديد من عمليات القصف والاحتفال من جانب بعض هؤلاء المفاسرين . حيث كانوا يحصلون على

عن القاء القبض على أحد العملاء الألمان يدعى شفيكارو Schwedekardi في طرابلس وتقلبه للمحاكمة بتهمة التعاون مع الأتراك في تهريب السلعة إلى النورسبين (٦٤) .

وكان نورى - بناء على طلب هيئة الأركان الألمانية - قد نجح في ليهلة الثامن من يناير ١٩١٥ في الرسو بإحدى السفن الألمانية وعلى متنها شحنة كبيرة من الأسلحة في ميناء صفر خاضع لفترة النورسبين ويقع بالقرب من السلم . وقد اكتشفت السلطات الإيطالية في ليبيا في صباح اليوم التالي أمر هذه السفينة . بعد أن كان النورسبين قد أفرغوها من شحنتها وغادرت الميناء بوقت قصير . وأدى هذا الحادث إلى نشوب أزمة حادة بين الإيطاليين والألمان في طرابلس . وقامت البحرية الإيطالية بإبلاغ الإنجليز بأمر هذه السفينة الألمانية . مما مكّن السفن الحربية الإنجليزية من إلقاء القبض عليها وهي في طريق عودتها إلى تركيا . وعلى أثر هذا الحادث فنت الصحف الإيطالية حملة شعراء ضد ألمانيا وعلاقتها بالنورسبين . وحاشى سفير ألمانيا الجديد في روما فون بيلوف من إجراء غضب وقيام الرأي العام الإيطالي بقيادة السياسة الألمانية ، مما حدا بهذا السفير لأن يدعو حكومته للكف عن إغضاب الحكومة الإيطالية وتجنب كل ما يشير إلى الصام الإيطالي عليها . كما دعاها لأن تسحب كل العناصر الألمانية من عند النورسبين (٦٥) .

وأغلب الظن أن الخارجية الألمانية كانت لم تملك الأثناء قد أخذت قبيل للأخذ برأي سفير ألمانيا الجديد في روما . إلا أن وزارة الحربية الألمانية كانت تفضل من ناحية أخرى من أجل استمرار الاتصال بالنورسبين وحشهم على مهاجمة الإنجليز في مصر . وفيما يكن اعتبارا ظاهرة جديدة في برلين وكوشو لاطالة أمد الحرب واحتمام المارك ، أصبحت آراء ووجهات نظر ضباط هيئة الأركان الألمانية تعلم فوق آراء ووجهات نظر رجال الدبلوماسية . ولم تلق هيئة الأركان الألمانية بالإجراءات التي اتخذتها السلطات الإيطالية في طرابلس سواء ضد ممثل السلطان العثماني أو ضد أعضاء القنصلية الألمانية منذ ٨ يناير ١٩١٥ . حين حظرت عليهم مغادرة حدود مدينة طرابلس بدون الحصول على إذن مسبق . كما أخذت في مراقبة المقرودين على دار ممثل السلطان ومقر القنصلية الألمانية (٦٦) .

وواصلت هيئة الأركان الألمانية ضغوطها على الخارجية الألمانية من أجل تكثيف الاتصال بالنورسبين . من خلال القنصليات الدبلوماسية الألمانية في روما وإستنبول وأثينا إلى قنات النورس . في الوقت الذي كانت فيه قوات الحملة التركية على مصر قد غادرت بالليل معسكراتها وأخذت طريقها في اتجاه القنات . وفي ١٣ يناير ١٩١٤ بدت هذه الهيئة عن

بنود (١٧٦) . وقد جاء في التعهد أن هذه المعاهدة بين حكومة إمبراطور ألمانيا والسيد أحمد السنوسي سوف تصبح سارية فور التوقيع عليها من الجانبين . أما بنودها فقد تضمنت مايلي :

البنود الأولى : يتعهد السيد أحمد السنوسي بوقف إطلاق النار مع إيطاليا ، وتبادل الأسرى مع سلطانها في طرابلس .

البنود الثاني : يتعهد السيد أحمد السنوسي بتوجيه كافة قواته وأتباعه لمحاربة الإنجليز في مصر . كما يعترف بالولاية العثمانية كخليفة لجميع المسلمين .

البنود الثالث : تعترف حكومة إمبراطور ألمانيا بالسيد أحمد السنوسي أميرا مستقلا في المنطقة الواقعة بين خط طول ٢٨ درجة شرقا وخط طول ١٥ درجة غربا . ومن خط عرض ١٣ درجة جنوبا ، حتى خطوط البحر المتوسط المحاذية لإقليم برقة شمالا بما فيها منطقة السليم المصرية .

البنود الرابع : تتعهد حكومة إمبراطور ألمانيا بمساندة السيد أحمد السنوسي في فرض سيطرته في المنطقة التابعة له . كما تتعهد بتقديم الأسلحة والذخيرة والأموال اللازمة لتأكيد نفوذه في تلك المنطقة .

البنود الخامس : تتعهد حكومة إمبراطور ألمانيا بأن يمارس أتباع السيد أحمد السنوسي وشمسته في المناطق الواقعة خارج سيطرته في الجزائر والمغرب شعائرهم الدينية بحرية تامة .

وقد تصود مانتسان أن مثل هذه المعاهدة سوف تلقى قبولا من الحكومتين الإيطالية والتركية ، وذلك في ضوء تعهد زعيم السنوسيين بوقف القتال وتبادل الأسرى مع الإيطاليين . وفي ضوء اعترافه بالخليفة العثماني . ولذلك طلب مانتسان من وزارة الخارجية الألمانية أن تصادق في سمعها هذا لدى هاتين الحكومتين المنجبتين . وأن تدخل لدى الإيطاليين بصفة خاصة لكي يسمحوا له بالعودة مرة أخرى إلى طرابلس حتى يتقدم مشروع المعاهدة بصفة رسمية إلى السيد أحمد السنوسي للتصديق عليه ، كما طلب مانتسان من هيئة الأركان الألمانية بسرعة إرسال الخرائط الجغرافية التي ترسم حدود الدولة السنوسية . كما جاء في البنود الثالث من مشروع المعاهدة (١٧٦) .

إلا أننا لم نعر في الملفات الخاصة بالحرب العالمية الأولى ، التي عكفنا على تصيبتها بأوصاف الخارجية الألمانية ، على أي من الخرائط الجغرافية التي طلبها مانتسان من هيئة

المكافآت المالية ويخففون عن الأضرار بعض الوقت . ثم يعودون للاظهار ويقدمون تقارير وهمية عن إنجاز مهامهم (١٧٦) .

ولعل مما يفسر لنا اهتمام هيئة الأركان الألمانية الشديد آنذاك بالسيد أحمد الشريف ، المعلومات التي نقلها أحد الصلاحيين الألمان والتي قدرت حجم قوة السنوسيين بحوالي ٣٠ ألف مقاتل . وأن هذه القوة في مقدورها أن تقضي على الإنجليز في مصر بإشارة واحدة من زعيمهم . كما وردت معلومات أخرى من العميل الألماني نفسه تؤكد أن الإنجليز يخشون كثيرا بأسي السيد أحمد الشريف . ولذلك تسعى السلطات الإنجليزية في مصر للقرب منه ولجذب مواهبته . وأن هذه السلطات حاولت في أوائل يناير ١٩١٥ أن تكسبه لصنها ومن ثم وعدته بمساندتها إذا نصب نفسه خليفة للمسلمين (١٧٦) .

وفي تقديرنا أن تلك المعلومات التي لم يكن في مقدور هيئة الأركان الألمانية إخضاعها للتصحيح والتدقيق الكافيين ، قد دفعت بهمة الهيئة للزور بقرة خلية التنافس مع المغاربات الإنجليزية من أجل القرب من زعيم السنوسيين في النصف الثاني من يناير ١٩١٥ . وفيما يبدو كان مانتسان ، الذي استغنى منه هيئة الأركان الألمانية معلوماتها حول السنوسيين ، محل ثقة وتقدير واضحين . بل لعل أن هذه الهيئة أسندت إليه في وقت لاحق مهمة وضع مشروع معاهدة بين ألمانيا والسيد أحمد الشريف . تحقق من خلالها سبق على الخبرات الإنجليزية ، وتعرض لطلعات زعيم السنوسيين السياسية ، وتزول من ناحية أخرى مغاربات الإيطاليين التي عكرت كثيرا من صفو العلاقات الإيطالية الألمانية .

وطبقا لما نقله مانتسان عن السيد أحمد الشريف إلى الممثلين الألمان في برلين ، فإن الخليفة العثماني كان مازال محل تقدير واحترام السنوسيين ، وأنهم على استعداد للعيش في سلام مع الإيطاليين داخل حدود معترف بها من جانبهم . كما صبر الزعيم السنوسي من استعماله التام لمحاربة الإنجليز بكل قوته إذا اعترفت كل من ألمانيا وتركيا به حالما يتفلا على برقة (١٧٦) . وفي ضوء ما عثر عنه الزعيم السنوسي من آراء ومطالب عكف مانتسان في سفره المتصلة الألمانية في طرابلس على وضع مشروع معاهدة بين الحكومة الألمانية والسنوسيين ، ثم وصل في ٢١ يناير إلى العاصمة الإيطالية لكي يحصل على تصديق هيئة سفر المتصلة الألمانية في طرابلس على وضع مشروع معاهدة بين الحكومة الألمانية على برقة (١٧٦) . وفي ضوء ما عثر عنه الزعيم السنوسي من آراء ومطالب عكف مانتسان في استعماله التام لمحاربة الإنجليز بكل قوته إذا اعترفت كل من ألمانيا وتركيا به حالما يتفلا على برقة (١٧٦) . وفي ضوء ما عثر عنه الزعيم السنوسي من آراء ومطالب عكف مانتسان في سفره المتصلة الألمانية في طرابلس على وضع مشروع معاهدة بين الحكومة الألمانية والسنوسيين ، ثم وصل في ٢١ يناير إلى العاصمة الإيطالية لكي يحصل على تصديق هيئة سفر المتصلة الألمانية في طرابلس على وضع مشروع معاهدة بين الحكومة الألمانية على برقة (١٧٦) . وفي ضوء ما عثر عنه الزعيم السنوسي من آراء ومطالب عكف مانتسان في استعماله التام لمحاربة الإنجليز بكل قوته إذا اعترفت كل من ألمانيا وتركيا به حالما يتفلا على برقة (١٧٦) . وفي ضوء ما عثر عنه الزعيم السنوسي من آراء ومطالب عكف مانتسان في

وأخذت في الاشياء مع الإنجليز منذ أواخر يناير ١٩١٥ . ولذا كلفت هذه الهيئة مانتسان بأن يشار بطريقة سرية الأراضي الإيطالية ودين علم سلطاتها إلى راحة جنود لكي يوقع باسم الحكومة الألمانية على المعاهدة مع السيد أحمد الشريف .

وفي الأول من فبراير كاد مانتسان يغادر الأراضي الإيطالية في طريقه إلى ليبيا حاملا معه مشروع المعاهدة والخرائط التفصيلية للدولة السنوسية . التي بعث بها إليه هيئة الأركان الألمانية . إلا أن السلطات الإيطالية قامت باعتقاله بينما كان واقفا على وصيف إحدى موانئ الجنوب الإيطالي في انتظار دوره للصعود إلى سطح السفينة . وصادرت ما لديه من وثائق ١٩١٥ . وذلك منيت محارلات ألمانية لحفر وغرارة . زعيم السنوسيين بالهجوم الشامل على الإنجليز في أوائل فبراير ١٩١٥ بضربة قاصمة لا تقل عن الفشل الذي منبت به فوات الحملة التركية في عمود قناة السويس في التوقيت نفسه . وبهذا الفشل القريع تنتهي محارلات ألمانيا لاستشارة السنوسيين على الإنجليز قبل مجيء الحملة التركية على مصر . لتبدأ مرحلة جديدة من هذه المحارلات في أعراء أكثر صعبة .

ثانياً ، مرحلة مابعد فشل الحملة التركية .

كان لفشل هذه الحملة نتائج إستراتيجية ونفسية مينة على الألمان على كافة الأصعدة تقريبا وقد تأثرت اتصالاتهم بالسنوسيين كثيرا من جراء ذلك الفشل . بحيث اقتضت مرحلة مابعد هذا الفشل بعدة سميات يأتي في مقدمتها انكماش الألمان . وتخصيد مشروع الدولة السنوسية الذي كان مانتسان قد أعده . وتقلصت محارلاتهم بصفة عامة لاستشارة السنوسيين . كما اتسمت هذه المرحلة بشدة الإجراءات والتدابير التي اتخذتها السلطات الإيطالية ضد عدد من الإيطاليين وضد الدبلوماسيين الألمان في روما وطرابلس .

وكانت وزارة المستعمرات الإيطالية قد أخذت على حاكم منطقة طرابلس آنذاك العقيد جراتسولي Graziosi تهادنه في تعقب الضباط والمسلأ الألمان لدى السنوسيين . كما أخذت عليه تساطه الواضح مع تلجج قنصل ألمانيا في طرابلس . أما الصحافة الإيطالية فقد اتهمت جراتسولي وعددا من معاونيه بالرشوة والتفريط في مصالح إيطاليا في ليبيا .

وأمام هذه الاتهامات قررت الحكومة الإيطالية في ١٢ فبراير ١٩١٥ عزل جراتسولي من منصبه . وتعيين القائد مياتي Miami . المعروف بقصوته على الليبيين منذ الحملة التي قادها على ليزان عام ١٩١١ . بدلا منه في ذلك المنصب (٧٨) كما كانت الخارجية الإيطالية قد أصحرت في الوقت نفسه قرارا بطرد القنصل تجلو من طرابلس . وقامت بترحيله إلى الأراضي الإيطالية لكي يغادرها إلى ألمانيا في ١٢ فبراير أيضا (٧٩) .

الأركان الألمانية . وطبقا للحدود التي جاءت في الهند الثالث ، فقد وعدت ألمانيا زعيم السنوسيين بدولة مترامية الأطراف تمتد داخل الأراضي المصرية لمسافة ١٥٠ كيلو متر تقريبا شرق السلام . كما تمتد جنوبا في أراضي السودان حتى تصل إلى داخل حدود تشاد الحالية كما هو مبين بالشكل ، الذي قيدا بأعداده من جانبنا (٨١) .

وتضح لنا من شكل مشروع الدولة السنوسية إذا يعكس القدر الكبير من حرية الحركة التي كان الألمان يتشعرون به في هذا الجزء من العالم الإسلامي غير الخاضع لسيادة الدولة العثمانية المباشر . وذلك بالمقارنة بما كانوا يشعرون به من حرج في الشرق العربي . ومن ثم جاء المشروع الذي أعده مانتسان قضاها إلى حد كبير . كما أن واضع المشروع تصعد من حدود هذه الدولة شرقا حتى خط عرض ٢٨ درجة لكي يفتح باب الصدام بين السنوسيين والإنجليز في مصر على مصراعيه .

إلا أن الحكومة الإيطالية عارضت - بشدة - الدخول في أي مناقشات حول مشروع قيام الدولة السنوسية . وعبرت عن احتجاجها لشرح مثل هذا الفكرة . واعتبرت أن هذا تدخل غير مقبول في مصالحها في ليبيا . وظل مانتسان وسفير ألمانيا في روما في إقناع المسترلين في هذه الحكومة بجدوى وقف إطلاق النار مع السنوسيين . وترتب على ذلك أن رفض هؤلاء المسترلين في ٢٨ يناير ١٩١٥ التصريح لمانتسان بالعودة إلى طرابلس مرة أخرى . معتبرين إياه شخصيا غير مرغوب في وجوده في الأراضي الليبية (٨٥) .

وشهدت الصحف الإيطالية في أعقاب ذلك من انتقادها لسياسة الألمان في ليبيا . وطالبت حكومتها بطرد جميع العاملين بالتفصيلة الألمانية في طرابلس . كما أشارت إلى تفصلا ما اعتبرته تجاوزات ارتكبتها القنصل الألماني تلجج خارج حدود وطنه . وعلى أثر هذه الحملة الصحفية . وتعبيرا عن غضبهم . أبلغ المسترلين في روما السفير الألماني بيلوف بأن الحكومة الإيطالية تنصح باستدعاء تلجج على الفور من طرابلس وإعطائه إجازة مفتوحة في ألمانيا . ولقت بيلوف نفسه نظر حكومته إلى المخاطر العديدة بالدهولماسيين في طرابلس . وما اتخذت السلطات الإيطالية في ليبيا من قرار بالتفويض على كل العناصر الألمانية والتركية الموجودة لدى السنوسيين (٨٦) .

إلا أن كل هذه الأتيا لم تفلت في عطف هيئة الأركان الألمانية . التي كانت تعتبر أن إبطال مشروع المعاهدة إلى السيد أحمد الشريف السنوسيين أمر حيوي لنجاح الحملة التركية في اجتياز قناة السويس . وخاصة بعد أن وصلت طلائع هذه الحملة إلى شواطئ القناة بالفعل .

المواد الغذائية والأسلحة والخبرة لكي يتقلها إلى السنوسيين . إلا أنه عجز عن الإبحار بها نظرا لمحصرة السفن المعادية للشروط التركية . وهنا اقترح الألمان على الأتراك نقل هذه الشحنة إلى ميناء صفيح يسمى باريس Paris جنوب اليونان لكي يتم نقلها إلى شواطئ بوقية بعيدا عن الحصار المضروب حول الموانئ التركية . إلا أن هذه المحاولة فشلت أيضا حيث إن عملاء الإنجليز في الموانئ اليونانية نظروا السلطات اليونانية إلى الوجهة الحقيقية لتلك الشحنة . ومن ثم تمت مصادرتها ١٨٧٦ .

وفي أواخر هذه المرحلة ، وكستمدمة لإعلان إيطاليا الحرب على دول الوسط ، كانت السفارة الألمانية في روما قد فقدت كل خيوط الاتصال بالسنوسيين منذ أوائل إبريل ١٩١٥ ، وبحجت إيطاليا في محاصرة السنوسيين في الداخل تماما . وتولت السفارة الألمانية في العاصمة البيرنانية الإمساك بما بقي من أهداف تلك الحيرط ، ومناجعة عدد من المحاولات لإحياء قنوات اتصال جديدة بالسنوسيين .

من ناحية أخرى ، كانت السلطات الألمانية في برلين قد أخذت تعاني من شح المعلومات عن أحوال السنوسيين ، وذلك من جراء الحصار المضروب حولهم من جانب الإيطاليين والإنجليز معا ، كما وجدت هذه السلطات نفسها على أعتاب مرحلة جديدة من اضطراب العلاقات الإيطالية الألمانية ، وهي خالية الوفاض من أوراق الضغط على الإيطاليين . ومن ثم أعدت هيئة الأركان الألمانية في أواخر مارس ١٩١٥ خطة لإحياء الاتصال بالسنوسيين ، تحسبا لاتهام إيطاليا إلى جانب الإنجليز في الحرب ، ورغبت في استشارتهم ضد هاتين الدولتين ، من منطلق فكرة الجهاد المقدس ، التي كان الأتراك في ذلك الوقت يرددونها بقوة .

وكانت هذه الخطة تقوم على تكليف عميل ألماني بجهد الإنجليز باللكنة الأمريكية يلبي جومبيرج Gumpenberg بالشكر في شخصية مراسل صحفي أمريكي لصحيفة هيرولد نيويورك New-Yorker Herald تحت اسم Gustav C. Roelér ، والوصول من طريق إحدى موانئ جزيرة كريت إلى زعيم السنوسيين ، وكان على السفارة الألمانية في أثينا والتواصل الألماني في كريت ترتيب رحلة جومبيرج هذا إلى الشواطئ الليبية ، وتعيين جواز سفر أمريكي له ، وتسليمه دولارات بقيمة عشرة آلاف مارك نظير هذه الخدمة ١٨٧٦ .

كما كلفت هيئة الأركان جومبيرج بالأيقظ زعيم السنوسيين عن حقيقة شخصيته إلا بعد أن يتأكد تماما من عدم ارتباطه بماهدات مع الإنجليز ، وبعد التعرف عن حقيقة مشاعره

وقد أحدثت هذه التدابير الإيطالية اضطرابا واضحا داخل وزارة خارجية الألمان ، وبعد اتجاه قوى داخل هذه الوزارة يدعو لتخفيف حدة التوتر مع روما . ومن ثم أقدمت هيئة الأركان الألمانية على خطوة غير مسبوقه حين قررت في منتصف فبراير ١٩١٥ سحب ضباطها من معسكرات السنوسيين . وهذا الضابطان ينتهيم Benheim وكارناب Curmap ، اللذان كانا قد وصلا إلى جفريب بصحبة الأسلحة التي نقلها نوري إلى السنوسيين في أواخر ديسمبر ١٩١٤ .

أما السلطات الإيطالية فقد فرضت منذ أوائل مارس ١٩١٥ حصارا بحريا محكما على طول الشواطئ الليبية وخاصة شواطئ منطقة بوقية ، وذلك لمنع وصول إمدادات الأسلحة والذخيرة والمواد الغذائية إلى السنوسيين . وفيما يمكن اعتبار خطة إيطالية إنجليزية مشتركة لكسر حصار السنوسيين في هذه المرحلة ، وإجبارهم على طلب المواد الغذائية من السلطات الإنجليزية في مصر ، ومن ثم التوقف عن الشروع في محاربتها ، قام الإيطاليون بمصادرة قرائل المواد التموينية من الطرق البرية المؤدية إلى تجمعات السنوسيين داخل الصحراء الليبية . وفي الوقت نفسه أخذ الإنجليز عن طريق عملائهم يعرضون على السيد أحمد الشريف وأتباعه الحبوب والمواد الغذائية الأخرى مقابل السلاح ١٨١١ .

وفي منتصف مارس ١٩١٥ وردت إلى العاصمة التركية أنباء عن تجمعات السنوسيين في صحراء وراحات بركة تحدث عن وقوع مجاعة وانقسام بين أتباع السيد أحمد الشريف . حيث طالب قسم من هؤلاء الأتباع بالتوقف عن معاراة الإنجليز نظير الحصول على المواد الغذائية منهم . كما نادى قسم آخر بالتعاون مع الإنجليز حتى لو تطلب الأمر إعلان حرب على تركيا وألمانيا ١٨٧٦ . وكانت هذه الأنباء تؤكد قرب نجاح خطط الإنجليز الرامية إلى إجبار السنوسيين على الركوع والاتساع عن الأتراك والألمان ، وإضمار فتور السيد أحمد الشريف بين أتباعه .

ولعل السمة الأخرى التي امتست بها هذه المرحلة هي استجابة الحكومة الألمانية لما نادى به مرارا فتجهابم من ترك مسيولية تحريك القوى الإسلامية ضد دوله الوفاق على كامل الأتراك وخلال النصف الثاني من مارس ١٩١٥ اكتفى الألمان بالقيام بالأدوار المساعدة في اتصال الأتراك بالسنوسيين . وكانت الحكومة التركية قد قررت آنذاك التدخل لإيقاظ السنوسيين من السقوط في أحضان الإنجليز . مرة أخرى قام نوري - شفيق نوري باشا - بإعداد شحنة من

وتشويش كبار السنويين الألمان . فبينما كان هذا العميل ما يزال يسعى بمعاونة الدبلوماسيين الألمان في جزيرة كريت من أجل تدبير السفينة التي يمكن أن تقله إلى إحدى موانئ منطقة بركة إذ به يبعث إلى هيئة الأركان الألمانية من اليونان بتقرير مطول مفصّل بالأمل المرجح من وراء رحلته إلى السنويين بقوله فيه : "إنه علم أن السنويين يعدون فواتيم التي تبلغ ما بين ٦٠ و ٧٠ ألف رجل مهاجمة الإنجليز خلال الأسابيع القادمة" . (١٨٨) إلا أن هذه الهينة احتجبت فتمير جومستريج بعين الشك . فقد انتاب القيادة الألمانية في أوائل مايو ١٩١٥ شعور بالذخائم والمجز عن إنقاذ السنويين من الإرقاء في أحضان الإنجليز . ولذا اقترح سفير ألمانيا في تركيا فتجنهيم على حكومتهم أن تحث الأتراك على الدخول مع الإيطاليين في محادثات عاجلة حول الوضع النهائي لمنطقة بركة . وأن تبني الحكومة التركية خلال هذه المحادثات مروتة كبيرة أمامهم . وأن تعرض عليهم استعدادها لتسوية مشكلة بركة وفقاً لمصالحهم مقابل مرافقتهم على السماح بد السنويين باحتياجاتهم من المواد الغذائية .

وقد وافقت الخارجية الألمانية على اقتراح فتجنهيم ، وكلفته بأن يتابع تنفيذ . وفي ٨ مايو ١٩١٥ قام فتجنهيم بزيارة سفير إيطاليا في تركيا في مقره ، وفاجده في فكرة التفاوض مع تركيا بشأن بركة . ولفت نظره إلى أن تركيا على استعداد لتقديم تنازلات مهمة في بركة لإيطاليا . وفي مساء نفس اليوم زار فتجنهيم أيضا الصدر الأعظم سعيد حليم باشا وفاجده في الاقتراح نفسه . إلا أن السفير الإيطالي رفض في صباح اليوم التالي قبول هذا الاقتراح بناء على التعليمات التي وصلته من حكومته (١٨٩) وفي الحقيقة بمكس طرح هذا الاقتراح وكذلك اللجوء إلى الضغط على الأتراك لتقديم تنازلات بشأن بركة قلة حيلة الألمان واقتدارهم للحرص النادرة بعد فشل عدة من شروطاتهم في المنطقة العربية وفي مقدمتها مشروع الحملة التركية على مصر . التي ظهر على أثر فشلها العديد من الشرورات السرية في الشام . التي قهر العرب إلى الثورة على الأتراك والكف عن التعاون مع الألمان . كما عثر فنصل النساء والجزر في حلب على منشور موجه إلى السنويين يدعوهم إلى قطع علاقاتهم بالأتراك لإرتكابهم عددا من المايح ضد عرب الشام (١٩٠) ولاستبعد أن فكرة فتجنهيم ، التي ترمي إلى وقف بعض من ذلك التدهور . كانت ذهب إلى حد إجبار الأتراك على الاعتراف بسيطرة الإيطاليين الكاملة على بركة . وتنازل الحكومة التركية عن أية حقوق مادية أو دينية في الأراضي الليبية . مقابل وقف انضمام الإيطاليين لدور الوفاق وإنقاذ السنويين من السقوط في يد الإنجليز .

مجاه الألمان . وموقفه من إعلان الخليفة العثماني للجهاد المقدس ضد دول الوفاق . كما كان على جومستريج أن يحصى على رجه الدقة معهم قوات وتسليح السنويين . وأن يتقبل باسم المستعمر بين الشواطئ الليبية وجزيرة كريت لكي يسلم لتفصل ألمانيا في هذه الجزيرة تقارير واقية عن كل ما يدور داخل مجتمعات السنويين (١٨٧) .

إلا أن الدبلوماسيين الألمان في البرنات وأجهوا صعوبة شديدة في تنفيذ خطة سطر جومستريج . والسبب في هذا أن السفن الحربية الإنجليزية كانت في هذه الأونة قد أمكنت ليعتصها على البحر المتوسط . وأخذت في تفحش السفن التجارية العابرة في عرض البحر بحثا عن عملاء الألمان (١٩١) . ولذلك تأخر تنفيذ هذه الخطة كثيرا حتى دخلت العلاقات الإيطالية الألمانية مرحلة الصلح العسكري التي أُنقذت بظلالها أيضا على محاولات استشارة السنويين .

ثالثا : مرحلة ما بعد دخول إيطاليا الحرب :

نفي ٢٨ أبريل وقعت إيطاليا مع دول الوفاق إتفاقية الانضمام إليهم في الحرب . وبعد وقت وجيز أعلنت الحكومة الإيطالية الحرب على دول الوسط . وكان من المنتظر في ضوء تلك الظروف أن تتحرك ألمانيا بكل ما لديها من حيل لاستشارة السنويين دون الخوف من إغضب الإيطاليين . ذلك الهاجس الذي حد من حركتها تجاه السنويين كثيرا في الماضي . إلا أن أحكام المصارع حول مجتمعات السنويين في منطقة بركة وشراطينها من جانب السلطات الإنجليزية والإيطالية حال دون إقدام الألمان على وضع خطط جديدة لاستشارة السنويين . كما أن الأتيا . الموجهة والتي كانت تصل على فترات متباعدة من مجتمعات السنويين كانت مثبطة لهم إلى حد كبير . إذ إنها أشارت إلى نجاح الإنجليز منذ منتصف أبريل ١٩١٥ في اختراق السيد أحمد الشريف وتجنيم قمراته على مهاجرتهم . كما تحدثت تلك الأتيا . عن نجاح الإنجليز في استنفاذ عدد من زعماء السنويين الآخرين إلى صفهم (١٩٧) .

كما عانت القيادة الألمانية في تلك الأثناء . من تضارب الأتيا . الواردة إليها عن أعمال السنويين وموقفهم من الإنجليز . ودأب عدد العملاء من المعاصرين المكثفين من قبل السلطات الألمانية بالاتصال بالسنويين أو غيرهم بالمنطقة على المبالغة في أهمية مهامهم وتزيين النتائج المرجوة من وراء اضطلاعهم بهذه المهام . وكان جومستريج من ذلك النوع الذي أتمت تقارير شدة التفاؤل في إشارة السنويين على الإنجليز . ومن هنا ساهم جومستريج في إبراز

حلقا، ألمانيا في المنطقة من الأتراك وأصدفاتها السنوسيين . وقد عبر ليسان ثون ساندروس آنذاك أكثر من مرة عن غضبه لفشل الأسطول الألماني في توفير هذه الحماية للتصليبات الحربية التركية والألمانية في شرق البحر المتوسط^(١٢٢) .

وبصورية شديدة تكن ندرى، وماتسان وجومينج من الوصول إلى شانغ برفه ، ومنه إلى السنوسيين في جنوبي في أواخر يونيو ١٩١٥ . إلا أنه وقدر وصول هذا الثلاثي إلى هناك وب خلاف شديد بينهم حول من يتولى تركيا وألمانيا في اللقا، بالترسيم السنوسيين السيد أحمد الشريف ، واضطر جومينج إلى مغادرة برفه على أثر ذلك للحلج ، حيث أقت السفن الإنجليزية القبض عليه في عرض البحر في ١٨ يولية ١٩١٥ وهو في طريق عودته إلى جزيرة كريت . وتمكن ماتسان في وقت لاحق من العودة إلى أحد المراتى البرتانية بعد عدة مناورات لتفادي السقوط في الأسر . في حين ظل ندرى مع عدد من الضباط الأتراك في جنوبي لاجول لهم ولاق^(١٢٣) يعانون من الحصار الإنجليزي الإيطالي في البر والبحر حتى نهاية الحرب .

بذلك تبين لنا أن ألمانيا فشلت فشلا ذريعا في إثارة السنوسيين سواء ضد الإنجليزية أو ضد الإيطاليين فيما بعد ، ووصلت محارلاتها إلى طريق مسدود تماما مع بداية النصف الثاني من عام ١٩١٥ . ويعود هذا الفشل بالدرجة الأولى إلى تعارض مصالح إيطاليا مع مصالح ألمانيا لدى السنوسيين منذ البداية ، ومن ثم لتعارض الحكومة الإيطالية المستمرة على اتصال الألمان بالسنوسيين . وقد أدى تعارض المصالح هذا إلى اقتراب ثم تحالف إيطاليا مع دوله الوثائق . الأمر الذي ترتب عليه سرعة تخرج مركز ألمانيا في حوض البحر المتوسط ، والإقلاع عن محاولات إثارة السنوسيين ، وانتهيار ميكر خلفاتها وأصدفاتها في هذه المنطقة حتى قبل أن تحسم الحرب لصالح دوله الوثائق بكثير .

٣- سياسة ألمانيا تجاه الشريف حسين

رعا من القيد التصرف على الوجه الآخر لعلاقة الشريف حسين بالقوى المتصارعة في الحرب العالمية الأولى . وتكشف لنا الوثائق الألمانية حيايا علاقة ألمانيا بالشريف حسين خلال سنوات تلك الحرب ، كما تكشف عن ملامح سياستهم تجاهه . ومن دراسة وتحليل هذه الوثائق ، يتبين لنا أن الألمان أخذوا يفتنون بجديفة إلى أهمية زعماء نجد ولجناز بعد نشوب الحرب العالمية الأولى بعدة أسابيع . أما قبل ذلك ، فلم يضع ساكتهم في حساباتهم أن هؤلاء الزعماء - في استطاعتهم أن يلعبوا أدورا مساعدة أو حيوية في حسم أي صراع قد ينشأ بين القوى

ومن هنا يتبين لنا بعض من ملامح هذه المرحلة الأخيرة في علاقة الألمان بالسنوسيين في أثناء الحرب العالمية الأولى ، والتي أصبحت الألمان خلالها يكابدون لإنقاذ السنوسيين بعد أن كانت محاولاتهم في السابق تسعى لاستشارتهم ضد أعدائهم . ولم يبق أمام الألمان سوى الضغط على الأتراك ، كما اتسمت هذه المراحل بفشل محاولات عد السنوسيين بالسلاح والغنفا . نظرا لشدة الحصار المضروب حولهم . فقد حاول الأتراك مرة أخرى وأخيرة - بمساعدة الديبلوماسيين الألمان في اليونان في أواخر مايو ١٩١٥ - إرسال سفينة صغيرة من السلاح والذخيرة بصحبة كمل من الضباط التركي ندرى والألمانيين ماتسان وجومينج إلى الديبلوماسيين الألمان في اليونان في أواخر مايو ١٩١٥ - إرسال سفينة صغيرة من السلاح والذخيرة بصحبة كمل من الضباط التركي ندرى والألمانيين ماتسان وجومينج إلى السنوسيين ، وذلك من أجل التأكيد لهم على أن تركيا وألمانيا متمسكان بصداقتهم . وبلا القفصل الألمانى في أتيبا جهورا مضنية من أجل إرسال هذه السفينة والإقلاات من المراسلة المشددة للسفن الإنجليزية والإيطالية على الشواطئ المصرية واللبية ، إلا أن جهودهم ظلت عبثة الجدى بما اضطره لأن يبلغ حكومته بأن أي محاولة من هذا القبيل سوف يكون مصيرها الفشل بسبب أحكام حصار السنوسيين في الداخل من قبل الإنجليزية والإيطاليين^(١٢٤) .

ولم تقتصر المصائب التي بدأ الألمان منذ النصف الثاني من عام ١٩١٥ براجهونها في البحر المتوسط على الفشل في اختراق الحصار البحري المضروب حول أمواتهم في المنطقة ، بل اكتشفوا أيضا أن بعض الممارين الألمان عملوا في نفس الوقت لحساب الإنجليزية وأقروا أمر الأروا الذي كانت سوكة إليهم . وكان من أبرز هؤلاء الصلا، المروجين الجاسوس الألماني كورت راين Kurt Rein ، الذي كان ليسان ثون ماتنوس رئيس البعثة العسكرية الألمانية في تركيا قد كلفه في أرائل إبريل ١٩١٥ بمهمة الوصول إلى السنوسيين عن طريق اشتراك الأراضي المصرية بعد عبور البحر الأحمر من ميناء جدة ، إلا أن الشرطة التركية في فلسطين عثرت عليه في أواخر مايو ١٩١٥ مخفيا في إحدى المستعمرات الصهيونية ، وبعد استجوابه تبين أنه أنشى مهمته إلى أحد الضباط الإنجليزي المتكرين في أزياء البدو القادمين من سينا^(١٢٥) ولاستبعاد إذا أن يكونه الإنجليزي قد أميطوا علما أولا بأول بخطط اتصال الحكومة الألمانية بالسنوسيين من خلال الصلا، الألمان أنفسهم ، ومن ثم نجحوا في إجهاض هذه الخطط . ولدى تلك الأثناء ، كان قد أصبح من القفصر على السفن الألمانية سفارة المراتى التركية بسبب الحصار البحري . وواجه الأسطول الحربي الألماني منذ يونيو صعوبات حمة في توفير الحماية المطلوبة سواء للقوات التركية في الشام أو السفن التي كانت تنقل المساعدات إلى

يبدأ هذا الاهتمام في التحول من العام إلى الخاص إلا منذ النصف الأول من شهر سبتمبر ١٩١٤ . عندما اقترح أحد المستشارين الألمان العارفين بشؤون الشرق العربي على حكومته أن توجه عنايتها إلى استقطاب الشريف حسين . وأقر هذا المشروع أن تضغط حكومته على الدولة العثمانية لكي تعين الشريف حسين في منصب شيخ الإسلام لا يتقله هذا الشريف من خلال مكاتبه الدينية من خطر على الخليفة العثماني إذا نجحت بريطانيا في كسبه لصفها ضد الدولة العثمانية . وكعادة الخارجية الألمانية كانت تبعث بنقل هذه المقترحات إلى خبرائها المتخصصين لدراستها وتقديم رأيهم فيها .

ويعتد الخارجية تسال البارون ماكس فون أوبنهايم Max Von Oppenheim رئيس الوكالة الألمانية لاستخبارات الشرق حول جدوى الأخذ باقتراح تعيين الشريف حسين في منصب شيخ الإسلام . وفي ١٤ سبتمبر رد أوبنهايم في تقرير مطول رافضا ذلك الاقتراح بحجة أن هذا سوف يغضب الأتراك كثيرا . وبعية عدم وجود حاجة لكسب الشريف حسين بهذه الوسيلة في ذلك الوقت المبكر من الحرب . وقدم أوبنهايم بدلا من ذلك اقتراحا مضادا يدعو لتقوية مركز الخليفة في العالم الإسلامي . معتبرا أن هذا وحده كفيل بتحقيق الاستقرار للدولة العثمانية في الشرق العربي (١٩٦) .

وفي تقريرنا فإن رفض أوبنهايم تعيين الشريف حسين في ذلك المنصب يدعونا للشك في إخلاص ذلك الرجل للإمبراطورية الألمانية . إذ أن موقفه هذا أضاع على الأتراك والألمان فرصة نسيئة لكسب الشريف لصفهم في هذه المرحلة من الحرب . كما أضاع هذا الموقف فرصة ذهبية على الأتراك والألمان لقطع الطريق على محاولات الإنجليز الرامية للتقرب من الشريف حسين . وما يدعونا للشك في إخلاص أوبنهايم أن وزارة الخارجية الألمانية بناه على رفضه لذلك الاقتراح . أغفلت تماما باب الحديث فيه . ودلا من ذلك راحت تبحث في مشروع كان أوبنهايم نفسه يروج له بقوة داخل أروقته هذه الوزارة . ويدعو هذا المشروع إلى قيام ألمانيا بحملة دعائية لتقوية مركز الخليفة العثماني في العالم الإسلامي . وعلى هامش تقرير أوبنهايم خط وكيل وزارة الخارجية الألمانية تسميران Zimmermann بقوله : "أوافق على اقتراح السيد أوبنهايم الخاص بالحملة الدعائية" . وذلك يكون أوبنهايم قد نجح في توجيه مثل هذا القرار الخاص بسياسة ألمانيا تجاه الدولة العثمانية في الشرق العربي في تلك الظروف الدقيقة الوجيهة التي كان يريدتها لنفسه . حيث كان يتطلع لأن يتولى بنفسه الإشراف من الشام على هذه الحملة الدعائية (١٩٦) الأمر الذي تحقق له فيما بعد كما سنتضح لنا .

الدولية . وبعد هذا خطأ استراتيجيها ارتكبه الساسة الألمان منذ البداية في حق أنفسهم عند وضع خطط احتمالات نشوب الحرب مع دول الوفاق . وأغلب الظن أن هذا الخطأ جاء نتيجة تصود خاطئ آخر تكمن لدى القيادة الألمانية وانتشر على نطاق واسع . مفاده أن قوة ألمانيا الحربية قادرة على دفع أعبائها . وفي إمكانها على وجه السرعة حسم الأزمات الطارئة التي قد تنشأ بينها وبين هؤلاء الأعداء . من دول الوفاق . وأن هذه الأزمات لم نشبت فسوف تنحصر داخل القارة الأوروبية . ولن تتحول إلى حرب كوزنية واسعة النطاق . بل بما كل طرف فيها لاستقطاب القوى المحلية الأخرى ضد الطرف الآخر .

وحتى عندما التفت الألمان إلى أهمية زعما نجد والحجاز . فقد جاء التفاتهم هذا من خلال حرصهم على إتمام الدولة العثمانية للدخول في الحرب بجانبهم . ومن منطلق المعادلة على أملاك ونفوذ هذه الدولة في الشام ونجد والحجاز . أي أن هذا الالتفات لم يكن عملا مبروريا أو مبادرة من جانبهم ينظرون بها الطريق على أعبائهم بقدر ما كان عملا دفاعيا قصد به الجيلولة دين انهيار الدولة العثمانية في حالة دخولها الحرب إلى جانبهم . ومتابعة لتحركات زعما نجد والحجاز سواء أكان بين بعضهم البعض أو ضد العثمانيين . كما أن هذا الالتفات من جانب الألمان لم يبلغ حد العمل على الاستعدادة بقدرات هؤلاء الزعما في الثورة على أعبائهم وطرد الإنجليز من الكويت والساحل المهادن ومدن في وقت مبكر من قيام الحرب .

وتذكر ملفات وزارة الخارجية الألمانية أن أول التفات من جانب حكومة ألمانيا لزعما نجد والحجاز في الحرب حدث في أواخر أغسطس ١٩١٤ . يعود الفضل في هذا إلى فونجهايم Wangerheim سفير ألمانيا في العاصمة التركية ، الذي نصح حكومته بالتقرب من زعما المشرق العربي وكبار رجال العشائر في الشام عن طريق تقديم الهدايا والرشاوى . حتى يتبع هؤلاء الزعما عن عرقلة إعلاء الحملة التركية على مصر . كما يعود الفضل إلى فونجهايم في وقت نظر حكومته إلى أهمية أشرف إخمجاز بصفة خاصة . لا يحتلونه من مكانة دينية رفيعة في نفوس المسلمين . واستأذون فونجهايم حكومته في أواخر أغسطس في أن يستقبل بقر عمله في استنبول عددا من أشرف الحجاز الذين كانوا قد وصلوا أخيرا من الحجاز . وفي ٣٠ أغسطس ١٩١٤ استدعى فونجهايم هؤلاء الأشراف وأهداهم باسم حكومته مبلغ متساوية من المال . مقابل تعهدهم بتأييد ألمانيا وتركيا في مناهضة الإنجليز (١٩٦) .

وفي الحقيقة . جاء اهتمام الألمان هؤلاء الأشراف في إطار الاهتمام العام بزعما الشرق العربي . ولم يكن هناك في البداية اهتماما خاصا بمنطقة محددة أو بشخصية بعينها . ولم

السيطرة الآن بفضل سياسة الدولة العثمانية الحازمة صمد ١٩١٧ . وفي الحقيقة أحدث تغير
 برونر هذا حول الشريف حسين ومهوله الإنجليزية ردد فعل واسعة داخل وزارة الخارجية التي
 قررت لكن بتكامل مدير للدعفة وضع خطة تعامل خاصة بالشريف بعيدة عن خطط التعامل
 مع الزعماء العرب الآخرين ، ومنفصلة كذلك عن مشاريع دعم مركز الخليفة العثماني بين
 الرأي العام الإسلامي .

ومرة أخرى كلفت الخارجية الألمانية أونهايم بوضع خطة عاجلة لاستقطاب الشريف حسين
 وإجاءه عن السقوط في أحضان الإنجليز . وبدلا من أن يمن البارون أونهايم الفكر في وضع
 خطة تعتمد على الاتصال المباشر بالشريف حسين وإغرائه بالانضمام عن الإنجليز ، أو يعتمد
 في صياغة عروض مغرية تفتح آفاق المستقبل أمام الشريف وتقوده السياسي ، تجعله يشعر
 بأن توسع هذا النفوذ مرتبط بانتصار دول الوسط في الحرب ، إذ بالبارون وضع خطة تقوم
 على وضع الشريف تحت المراقبة الدقيقة للسلطات الألمانية ورجال الوكالة الألمانية
 لاستخبارات التي يرأسها ، من خلال قنصلية ألمانية يتم إشتاتها لهذا الغرض في جدة .
 وروغ أونهايم من جانبه الأستاد ليمان Prof. Dr. Lümann المشرف بجامعة جوتنجن
 لتولي منصب القنصل ، كما وضع شخص مصري يدعى على أحمد عثمان ، كان يعمل مدرسا
 للغة العربية بجامعة برلين لكي يعاون ليمان في القيام بهم منصب الرعية ، أما بخصوص
 الجهاز الرقابي ، الذي كان من المقرر أن يعهز تحت النظار ، الدبلوماسي في تلك القنصلية
 لكي يبلغ الخارجية الألمانية أولا بأول بكل ما يدور في الحجاز ، فقد تولى أونهايم أيضا
 ترشيحهم من بين رجاله ١٩١٦ . ولوقت خطة أونهايم عنابة بعض كبار مرطلي الخارجية
 الألمانية ، الذين عكفوا على دراستها لوضعها موضع التنفيذ في وقت لاحق .

وتعكس الوثائق الألمانية مدى انقسام المشرفين عن وضع السياسة الألمانية تجاه العرب في
 تلك الأثناء . حيث انقسموا على أنفسهم على نحو بين في اختبار أفضل السبل المؤدية لإنجاح
 تلك السياسة . وقد برز هنا الانقسام عندما حضر فيونهايم ، من خلال خبرته الواسعة لشؤون
 الشرق ، حكومته من الإقدام على عمل أعباء حملة الدعابة للخطبة العثمانية ، راجها ترك
 هذه المسألة للأتراك لكونهم مسلمين قاديون على التأثير في أقرانهم من المسلمين أكثر من أي
 جهاز دعائي ألماني آخر قد يشير نشاطه بينهم حفيظتهم ، ويصبح للأعداء فرص إشتال هذه
 الحملة ١٩٠٣ .

إلا أن آراء ومقترحات أونهايم كانت تجد في بعض الأحيان من يقنعها من بين المشرفين
 الألمان العارفين بشؤون الدولة العثمانية والشرق العربي . وكان البارون قنصلهايم السفير
 الألماني في تركيا والجنرال ليمان فون سانتروس رئيس البعثة العسكرية الألمانية في الجيش
 العثماني على رأس هؤلاء المشرفين الذين عارضوا كثيرا توجهات أونهايم . إذ كان من
 رأيهم ، عندما علنوا باقتراح أونهايم ، أنه ليس من الحكمة تجاهل سيد الحجاز ، في الوقت
 الذي يجري فيه إصداء الحملة التركية على مصر على قدم وساق في الشام . واقترح فون
 سانتروس على حكومته أن ترسل إلى القنصل كريس حينة أركان الحملة التركية في الشام
 عدداً من القلادات والأوسمة الألمانية التي هي من الذهب الخالص لكي يتم توزيعها باسم
 إمبراطور ألمانيا على كبار الزعماء العرب وفي مقدمتهم الشريف حسين ١٩١٦ .

وكان ياجوف Yagov وزير خارجية ألمانيا يتوقع أن يرفض هؤلاء الزعماء الأوسمة
 والقلادات الألمانية ، خاصة وأنها جميعا تحمل الصليب . وراج يستفسر من فون سانتروس
 صاحب الاقتراح في برقية عاجلة حول ذلك الأمر . إلا أن ياجوف فوجئ برده يأتيه يؤكد أن
 هؤلاء الزعماء لن يبالوا كثيرا بما هو مقترح على هذه الأوسمة والقلادات بقل ما يعرضون
 على امتلاكها ذهبيا ١٩١٦ .

ومن الواضح أن الحكومة الألمانية كانت حتى أواخر أكتوبر ١٩١٤ تفتقر لاستراتيجية
 محددة المعالم لكي تتعامل مع خلالها مع الشريف حسين وكبار زعماء الشرق العربي . يدلل
 أن وزارة الخارجية أخذت باقتراح أونهايم الداعي لحصر اهتمام ألمانيا بالشرق العربي في
 حدود اهتمامها بالرأي العام الإسلامي . وفي نفس الوقت أخذت باقتراح ليمان فون سانتروس
 الداعي للاهتمام بالزعماء العرب المحليين ، وافق الإمبراطور الألماني في ١٤ نوفمبر ١٩١٤
 على منح هؤلاء الزعماء تلك الأوسمة والقلادات التي اقترحتها فون سانتروس والتي تقرب أن
 يسلمها العقيد كريس في مقرة بدمشق لكي يوزعها بنفسه نيابة عن الإمبراطور فيلهم
 الثاني ١٩١٤ .

ولقد حاولت وزارة الخارجية الألمانية حسم هذا التصارب ، الذي كان يعكس قلة خبرتها
 بالشؤون العربية ، وأرسلت في أوائل نوفمبر ١٩١٤ تستطلع رأي أحد معوثيها في الشام في
 كبار زعماء الشرق العربي . وفي ملكرة مطرلة وصلت من دمشق إلى برلين في أواخر شهر
 نوفمبر ذكر المبعوث برونر Pruner أن الشريف حسين الإنجليزي الميرل حتى التنازع ، لكنه تحت

العربي في احتساب فشل الحملة التركية على مصر . ومن ثم قررت الحكومة الألمانية في ١٥ مارس ١٩١٥ الموافقة على ذهاب أوبنهايم على رأس بعثة من عدة أفراد إلى الشام ليمسكه بمرام الحملة العثمانية . واضعة لمت يده مبالغ طائلة من المال للإلتحاق منها على هذه الحملة . التي كان من المفترض أن تزود أيضا - طبقا لما وضعه أوبنهايم من تصورات - إلى نشوب ثورة عارمة في أنحاء العالم الإسلامي في وجد بريطانيا وروسيا وفرنسا وإيطاليا في حالة إعلان هذه الأخيرة الحرب على ألمانيا . كما كان من المفترض أن تحول هذه الحملة الدعائية دون تجارب الشريف حسين مع الإنجليز . وبناء على هذا التصور الأخير حولت الحكومة الألمانية لأوبنهايم الاتصال المباشر بالشريف حسين . كما أطلقت يديه في إجراء المباحثات التي برزها بمناسبة عهد ١٩٠٦ .

وبنما كان أوبنهايم يعد نفسه في برلين للرحيل إلى الشام عاد وطرح مرة أخرى على المستوطنين في المخرجة الألمانية فكرة مراقبة الشريف حسين عن طريق إنشاء قنصلية ألمانية في جدة . والترح أوبنهايم هذه المرة أن يتولى الاتصال فيها أحد أعمرائه من اليهود ويمنح برويستر Proebster . الذي كان من المفترض أن يقيم صداقة حميمة مع الشريف حسين . وأن يعث بخاربر مفصلة عن تحركات الشريف وصلاته أولا بأول إلى المخرجة الألمانية عن طريق أوبنهايم في الشام ثم عن طريق فنجنهايم في استنبول .

إلا أن السلطات التركية عارضت فكرة إنشاء القنصلية الألمانية في جدة في ذلك الوقت الحساس . خوفا من أن يؤدي هذا العمل إلى إثارة غضب الشريف حسين . أو أن يؤدي شعوره بالمرارة من قبل الألمان إلى دفعه للإلتحاق مع الإنجليز . وما لاشك فيه أيضا أن فشل الحملة التركية على مصر وإرسال أوبنهايم وبمسه إلى الشام قد أدى أيضا إلى توتر العلاقات بين الأتراك والألمان . حيث عبر العديد من المستوطنين الأتراك عن خفي صدورهم من تدخل الألمان . وهي مقدمتهم ليمان فون سائيرس ، في شوتهم . كما ساورتهم شكوك بأن ألمانيا تسمى لإقامة علاقات مباشرة من خلف ظهورهم مع الزعماء المحليين في الشرق العربي . وأنها ربما تصل في نهاية الأمر ضد مصلحة الدولة العثمانية في هذه المنطقة . أو ربما تنطط بسط سيطرتها على الأراضي العثمانية بالكامل . وقد تولى أمير بانبا مسئولية إبلاغ مغير ألمانيا في استنبول بعمى تلك المخاوف . حيث أبلغه في ٢ أبريل ١٩١٥ باعتراض الحكومة التركية على قيام القنصل الألمان في الشام بالاتصال بالوصياء المحليين للعرب . كما أبلغه بأن الوقت غير مناسب لإفتتاح القنصلية الألمانية في جدة^{١١٠٨} .

وكاد فنجنهايم أن يكسب لوجهة نظره هذه نفرا من كبار رجال المخرجة الألمانية المختصين بالشئون العربية . إلا أن نفرا ثانيا داخل هذه الوزارة انبرى يدافع عن مشروع حملة الدعائية للمخليفة . مطالبين أن يبدأها القنصل الألمان في القدس ويغاد دون أدنى تأخير . كما طالب هذا الفريق فنجنهايم أن يتدخل لدى السلطات التركية لكي ترفع أي لبود على تحركات برزتر في الشام والمخبرة العربية^{١١٠٩} .

ولم يكن هذا الانقسام بين هذين الفريقين . والصراع الخفي بين فنجنهايم وأوبنهايم . سوى بعض من صور الضعف الذي اكتف السياسة الألمانية تجاه المشرق العربي خلال تلك الفترة . والتي أوت إلى ارتباك وتردد اتخاذ قرارات مصيرية في أوقات كانت تتطلب سرعة الحسم . ولعل ما كان يزيد من ارتباك الحكومة الألمانية في المشرق العربي هو حساسية الموقف العثماني داخل هذه المنطقة . وضهورهم بأن يعدم مظلة وتحت المراقبة من قبل السلطات العثمانية .

ثم أدى انشغال الألمان الشديد بتشريعات إعلاء الحملة التركية على مصر في الفترة الانتقالية بين عامي ١٩١٤-١٩١٥ إلى تأجيل اتخاذ القرار في مسألة القنصلية الألمانية في جدة . وكذلك إلى عدم التوصل السريع لأفضل سبل التعامل مع الشريف حسين . حيث صاد لدى الكثير من الألمان اعتقاد بأن نجاح هذه الحملة في طرد الإنجليز سوف ينهي مشاكلهم ومشاكل الدولة العثمانية في المشرق العربي من جذورها^{١١٠٧} .

إلا أن فشل هذه الحملة في احياز قناة السويس وعودة قواتها المدجوة إلى الشام أوائل فبراير ١٩١٥ . ونجاح الإنجليز في احتلال البصرة . أصاب فنجنهايم شخصيا بالكثير من الإحباط الذي دفعه بشكل مفاجئ إلى التسليم على مفض بوجهات نظر أوبنهايم في معالجة الوضع المتدهور في المشرق العربي . كما ترتب على هذا الإحباط على كعب أوبنهايم ونظرياته في أعين المستوطنين في وزارة المخرجة الألمانية . الأمر الذي شجعه هو نفسه لأن يتقدم في ٢ مارس ١٩١٥ بمشروع متصل . يقوم مرة أخرى على فكرة الحملة الدعائية في العالم الإسلامي بأسره لمعالجة الوضع في المشرق العربي . والتصدى لمحاولات الإنجليز للتقارب من الشريف حسين . تلك المحاولات التي كان الألمان يشعرون بوجودها . دون أن يعرفوا شيئا عن مضمونها^{١١٠٦} .

استطاع أوبنهايم أن يدخل في روع عدد لا بأس به من المستوطنين الألمان أن مشروعه الدعائي . واسم النطاق جدير بأنه يوقف ذلك المتدهور الذي أخذ ينتشر في أوساط الرأي العام

ويأمر أوتنهايم بالتوسط للشريف حسين لدى أمير باشا لكي تقبل الدولة العثمانية تمويل مشروع ثورة عربية كبرى بقيادة الشريف ضد الإنجليز في الخليج العربي . وفي ١٠ مايو ١٩١٥ عقد الأمير فيصل نيابة عن والده مع أمير باشا معاهدة أخرى مكتوبة في وقتين حول التعاون بين الشريف والدولة العثمانية في ترتيب هذه الثورة . وطبقاً لنبوءة هذه المعاهدة الفرقة من الطرفين كان على تركيا أن تحصل التكاليف المالية التي يقرها الشريف للثورة بالحموة ضد الإنجليز . وأن تده بالأسلحة والذخيرة اللازمة لذلك . مقابل أن يشارك الشريف في أعمال الدعاية ضد دول الوفاق . وأن يشارك في إعلان الجهاد المقدس ضد أعداء الخليفة . وأن يخطط جيشاً من يدو الحجاز تحت قيادة أحد أبنائه لهاجمة الإنجليز في الخليج ورتاء السويس ١١١٦٦ .

وتلاحظ هنا أن مشروع هذه الاتفاقية كان لا يختلف كثيراً عن نفي الترتيبات التي كان الشريف يعدها للثورة على الأتراك . ومن المؤكد أنه استخدم أسلوبهم التي أمدهم بها في أعقاب ذلك الاتفاق للثورة عليهم وليس معهم . وساد الأتراك والألمان اعتقاد بأن الشريف حسين أصبح رجلهم الأول في الجزيرة العربية . وتصور أمير باشا نفسه أن عقد مثل ذلك الاتفاق مع الشريف حسين سوف يحوّل دون نجاح الإنجليز في العودة للشرب منه مرة أخرى . ووجد أمير باشا الأمير فيصل بأن تكف الحكومة التركية تماماً عن التعاون مع النافسين لوالده كما وعد بالتدخل لمنع الولاة الأتراك في جدة من التدخل في اختصاصات والده (١١١٦) .

وفي لقاء ثان بين الأمير فيصل وأوتنهايم ببر الأمير اتصال والده بالإنجليز يعاوجه للمؤن والذلال التي محضرها السفن الإنجليزية إلى موانئ الحجاز . لتلبية حاجات رعاية الشريف . وغير فيصل عن استثناء والده التام لقطع كل صلة له بالإنجليز في حالة تدبير احتياجات سكان الحجاز من الذلال ووعده أوتنهايم بالنظر أيضاً في تلك المسألة (١١١٦) .

وإذا قمنا بمقارنة اتفاق الشريف حسين مع الأتراك والألمان من جانب باتفاقه مع الإنجليز من جانب آخر . نجد أن الاتفاق الأول كان يفتقر لكل ما يشجع تطلمات الشريف . في حين أن الاتفاق الثاني كان مليئاً بكل الإغراءات التي يسعى إليها . فكان الإنجليز بذلك أكثر إدراكاً بما يجري في صدر الشريف حسين . وقدموا إليه وعداً براءة مملوكة واسعة في الأراضي الخاضعة للدولة العثمانية . مقابل الثورة عليها . في حين أن الأتراك والألمان حملوه في اتفاقية ممد الكثير من الأعباء والتواجبات . دون أن يقدموا له ما يشجع طموحاته . وبذلك

وقد أظهر أوتنهايم حكومته تقيمه لمخاوف الأتراك . وطلب منها الحد من نشاط أوتنهايم وحشنة المشير للجدل في الشام والحجاز . كما اقترح أن يشارك الأتراك بشكل مكثف في الحملة الدعائية في العالم الإسلامي . وأن يقتصر دور أوتنهايم على التخطيط والإشراف . وأن يبذل المستولون الألمان كل ما في وسعهم لكي يبدو الأمر أمام الجميع وكأن ألمانيا وتركيا تعملان يداً في يد (١١١٦) .

الإلا أن أوتنهايم كان قد اندفع في تنفيذ خطته . غير عابئ بمخاوف الأتراك . ولجج مثل أوائل مايو ١٩١٥ في إقامة علاقة وطيدة مع الأمير فيصل لجعل الشريف حسين . وقد ساعد في هذا معرفته القوية بالشريف حسين نفسه . عندما كان الشريف يلتمس في استبول في أواخر عهد السلطان عبد الحميد . كما لمب أحمد شفيق باشا . رئيس ديوان الخديوي عباس طلي الثاني . دوراً بارزاً في الإعداد للقاء الأول الذي جمع أوتنهايم بالأمير فيصل (١١١٦) .

وكان الشريف حسين قد بحث يائس الأمير فيصل إلى استبول في أوائل أبريل ١٩١٥ لكي يزيل من نفوس المخولين أي شكوك من ناحيته . وليركز على ولائه لهم . ويعد هذا مقابلة ذكية من جانب الشريف . أراد بها أن يغطي من ناحية علاقته القوية بالإنجليز وأقدمه على التآمر معهم ضد الأتراك . كما أراد بها من ناحية أخرى أن يبعد الأتراك عن الاتفاق مع خصمه اللدود الشريف علي حيدر . الذي كان يتطلع لمنصب الشريف في مكة . وكان يؤيد في هذا عدد من رجال الحكومة التركية . ومن غير المتبعد أيضاً أن الشريف حسين بحث يائس إلى استبول لكي يحمس ما قد يقدمه له الأتراك والألمان من عروض قبل أن يعتقد اتفاقه النهائي مع الإنجليز . ويبدو أن الشريف حسين لجج من خلال رحلة ابنه تلك في أن يخدع الجميع . وأن يحسن من صورته كثيراً لدى الأتراك والألمان . وفي أي علاقة له بالإنجليز . إلى الحد الذي جعل أوتنهايم نفسه يعتقد أن العناصر التركية سينة النية كانت هي التي تقف من وراء تطويخ صورة الشريف حسين وانهايم بالصالة للإنجليز (١١١٦) .

ويشاء على طلب الأمير فيصل لعبد أوتنهايم دوراً ملموساً في الدفاع عن موقف الشريف حسين وإخلاصه لدول الوسط لدى رجال الحكومة التركية . ومن ثم ساعد أوتنهايم على تصليب المشورين الألمان سواء في استبول أو برلين . حيث تمكن من إقناع حكومته بأنه توصل إلى وضع أسس سليمة لعلاقة وطيدة بين الشريف حسين وكل من تركيا وألمانيا . خاصة وأنه في لقاءه الأول بالأمير فيصل في ٨ مايو ١٩٢٥ وفي حضور شفيق باشا توصل إلى اتفاق مكتوب حول دور الشريف حسين في الدعاية ضد بريطانيا في العالم الإسلامي (١١١٦) .

- (٢٧) المصدر السابق .
- (٢٨) Ebenda, A21252, S. 31 .
- برقية رقم ٣٦٧ بتاريخ ٩ سبتمبر ١٩١٤ من فنتنهايم إلى برلين .
- (٢٩) المصدر السابق .
- (٣٠) Ebenda, A21557, S. 37 .
- برقية رقم ٧٨٥ بتاريخ ١١ سبتمبر من فنتنهايم إلى برلين .
- (٣١) Ebenda, A21889, S. 56 .
- برقية رقم ١٤٠ بتاريخ ١٣ سبتمبر من برلين إلى فنتنهايم .
- (٣٢) أحمد شفيق باشا ، مذكراتي من نصف قرن ج ٢ ، الهيئة العامة للكتاب ، ص ٣٧٥ .
- (٣٣) المصدر السابق ص ٤٠ .
- (٣٤) A. A. R21124, Der Weltkrieg, A21889, S. 65 .
- برقية رقم ١٤٤ بتاريخ ١٦ سبتمبر .
- (٣٥) المصدر السابق .
- (٣٦) Ebenda, A22011, S. 86 .
- برقية رقم ٨٠٦ بتاريخ ١٤ سبتمبر من فنتنهايم إلى برلين .
- (٣٧) Ebenda, A213130, S. 105 .
- برقية رقم ٨٥٠ بتاريخ ٢٠ سبتمبر من فنتنهايم إلى برلين .
- (٣٨) المصدر السابق .
- (٣٩) Ebenda, A25273, S. 180 .
- برقية رقم ٩٦٥ بتاريخ ٤ أكتوبر من فنتنهايم إلى برلين .
- (٤٠) المصدر السابق ص ١٨٦ .
- (٤١) A. A. R21123, der Weltkrieg .
- برقية رقم ٦٩٧ بتاريخ ٤ سبتمبر ١٩١٤ من فنتنهايم إلى برلين .
- (٤٢) المصدر السابق .

- Ebenda, A. A. 8507, S. 21 .
- (١٣٦) برقية رقم ٧٨٨ بتاريخ ٢٧ أغسطس ١٩١٤ من فنتنهايم إلى فيينا إلى برلين .
- (١٤٠) A. A. R21127, A2903, S. 119-1128 .
- تقرير مطول بتاريخ ٢٢ يناير ١٩١٥ من أونهايم إلى فنتنهايم خارجة ألمانيا .
- (١٥٠) Ebenda, R21125, A32658, S. 158 .
- برقية رقم ١٤٥٩ بتاريخ ٢٨ نوفمبر ١٩١٤ من فنتنهايم إلى برلين .
- (١٦٦) محمد فريد ، مذكراتي بعد الهجرة ، ج ١ ، ص ٢٠١ .
- (١٧٦) المصدر السابق ، ص ١٦٦ .
- (١٨١) Ebenda, A 19592, S49 .
- برقية رقم ٦٥٠ بتاريخ ٣٠ أغسطس من فنتنهايم إلى برلين .
- (١٩١) Ebenda, L 365069, S. 65-68 .
- مستند دعائي من صفحات باللغة العربية .
- (٢٠٠) Ebenda, A20258, S. 74 .
- رسالة بتاريخ ١٥ سبتمبر ١٩١٤ من شهر إلى الخارجية الألمانية .
- (٢١١) A. A. R21124, Der Weltkrieg, S. 12 .
- برقية رقم ٦٨٩ بتاريخ ٣ سبتمبر من فنتنهايم إلى الخارجية الألمانية .
- (٢٢٦) Ebenda, A20896, S. 8 .
- برقية رقم ٧٢٨ بتاريخ ٧ سبتمبر من فنتنهايم إلى الخارجية الألمانية .
- (٢٣٦) Ebenda, A21135, S. 22 .
- برقية رقم ٢٥٠ بتاريخ ٧ سبتمبر من فنتنهايم إلى فنتنهايم .
- (٢٤٠) Ebenda, A21135, S. 22 .
- برقية رقم ٧٥٢ بتاريخ ٨ سبتمبر ١٩١٤ من فنتنهايم إلى الخارجية الألمانية .
- (٢٥٠) المصدر السابق .
- (٢٦٠) المصدر السابق .

- A. A. R. 21126, A 33611, S. 47. (٥٧)
 برقية رقم ٩٩١ بتاريخ ٥ ديسمبر ١٩١٤ من تشرنكي Tschirnschky سفير ألمانيا في ليبيا إلى برلين .
- (٥٨) الدكتور لطيفة سالم . مصر في الحرب العالمية الأولى . الهيئة العامة للكتاب . القاهرة . ١٩٨٤ . ص ٢٢٤ . ص ٢٢٥ .
- Ebenda, A 34016, S. 67. (٥٩)
 برقية رقم ١٥٦٠ بتاريخ ٨ ديسمبر ١٩١٤ من قنصلهم إلى برلين .
- Ebenda, A 32823, S. 184-185. (٦٠)
 برقية رقم ١٤٨٢ بتاريخ ١٠ ديسمبر ١٩١٥ من برلين إلى قنصلهم .
- Ebenda, A 35832, S 183-184. (٦١)
 مذكرة رقم ٩٠٢٧ بتاريخ ٢٧ ديسمبر ١٩١٤ من القيادة العامة للجيش الألماني إلى وزارة الخارجية الألمانية .
- Ebenda, A 36437, S. 205-214. (٦٢)
 مذكرة رقم ١٧٢٩ بتاريخ ٢٦ ديسمبر من قنصلهم إلى برلين .
- Ebenda, A 36437, S. 205-214. (٦٣)
 مذكرة رقم ٩٧٤٣ بتاريخ 2٨ ديسمبر ١٩١٤ من القيادة العامة للجيش الألماني إلى الخارجية الألمانية .
- A. A. R. 21127, A. 365, S. 18-19. (٦٤)
 برقية رقم ٢٤ بتاريخ ٥ يناير ١٩١٥ من سفير ألمانيا الجديد في روما فون بيلوف Below إلى برلين .
- Ebenda, L. 36598 S. S. 90. (٦٥) المصغر السابق .
- Ebenda, A. 1596, S. 76. (٦٦)
 رسالة عاجلة بدون رقم بتاريخ ١٣ يناير ١٩١٥ من طرابلس إلى برلين .
- Ebenda, A 2477, S. 109. (٦٨)
 برقية رقم ١٥١ بتاريخ ٢٠ يناير ١٩١٥ من القيادة العامة للجيش الألماني إلى قنصلهم في استوكهولم .

- (٤٣)
 برقية رقم ٣ بتاريخ ١٥ ديسمبر ١٩١٤ من بامبوف إلى روما .
- (٤٤) المصغر السابق .
- (٤٥) Das Auswärtige Amt (A.A.), R21123, der Weltkrieg, A 20360, S. 76.
 وزارة الخارجية الألمانية ، برقية رقم ١٧٧ بتاريخ ٤ ديسمبر من قنصلهم إلى برلين .
- (٤٦) A.A. R 21124, A22622, S. 99.
 برقية رقم ٣ بتاريخ ١٥ ديسمبر ١٩١٤ من دفتر خارجية ألمانيا إلى سفيرة في روما .
- (٤٧) المصغر السابق .
- (٤٨) A. A. R 21125, AS 2395, S. 45.
 برقية رقم ١١١٣ بتاريخ ٢٦ أكتوبر من قنصلهم إلى برلين .
- (٤٩) A. A. R 21126, A 33611, S. 47.
 برقية رقم ٩٩١ بتاريخ ٥ ديسمبر ١٩١٤ من قنصلهم إلى برلين .
- (٥٠) المصغر السابق .
- (٥١) Ebenda, A 29480, S. 68.
 برقية رقم ٩١٦ بتاريخ ٤ نوفمبر ١٩١٤ من فلورنوف إلى برلين .
- (٥٢) Ebenda, A. 29745, S. 69.
 برقية رقم ٦٢٧ بتاريخ ٦ نوفمبر ١٩١٤ من فلورنوف إلى برلين .
- (٥٣) Ebenda, A 31022, S. 77.
 برقية رقم ١٢٧٩ بتاريخ ٩ نوفمبر من قنصلهم إلى برلين .
- Ebenda . (٥٤)
 برقية رقم ٦٢٧ بتاريخ ٦ نوفمبر ١٩١٤ من فلورنوف إلى برلين .
- Ebenda, A 32777, S. 168. (٥٥)
 برقية رقم ٣٦١ بتاريخ ٢٩ نوفمبر ١٩١٤ من فلورنوف إلى برلين .
- Ebenda, A 32852, S. 170. (٥٦)
 برقية رقم ٧٦٣ بتاريخ ٣٠ نوفمبر ١٩١٤ من فلورنوف إلى برلين .

Ebenda, A 6000, S. 92.

مذكرة بتاريخ ١٨ فبراير ١٩١٥ من هيئة الأركان الألمانية إلى الخارجية الألمانية .

A. A. R 21130, A 9397, S. 28.

برقية رقم ١٣٧ بتاريخ ١٥ مارس ١٩١٥ من فينجهام إلى برلين .

(٨٢) المصدر السابق .

Ebenda, A 9483, S. 41.

برقية رقم ٢٨٠ بتاريخ ١٥ مارس ١٩١٥ من القائم بأعمال السفير الألماني في أينا صويخ ميرباخ

إلى برلين .

A. A. R 21130, A 11044, S. 102.

مذكرة رقم ٨٥٩ بتاريخ ٢٧ مارس ١٩١٥ من هيئة الأركان الألمانية إلى الخارجية الألمانية .

Ebenda, S. 103-105.

A. A. R. 21131, A 13487, S. 72-74.

مذكرة رقم ٣٢٢ بتاريخ ١٣ أبريل ١٩١٥ من فينجهام إلى برلين .

A. A. R 21132, A. 15425, S. 89.

برقية رقم ٧٣ بتاريخ ٨ مايو ١٩١٥ من فينجهام إلى برلين .

Ebenda, A 15018, S. 33-41

مذكرة رقم ١٤٩٥ بتاريخ ٢ مايو ١٩١٥ من هيئة الأركان الألمانية إلى الخارجية الألمانية .

وكتلك برقية رقم ٥١٦ بتاريخ ٥ مايو ١٩١٥ من قنصل ألمانيا في أينا فلكنهاوسن Falkenhausen إلى برلين .

Ebenda, A 15425, S. 89.

برقية رقم ٧٣ بتاريخ ٨ مايو ١٩١٥ من فينجهام إلى برلين .

Ebenda, L 367124, S. 142.

برقية رقم ٥ بتاريخ ١٥ أبريل من قنصل النمسا في حلب إلى فيينا وتوجد صورة عنها في ذلك الملف

نقطة الخارجية الألمانية .

Minin Kroege, Ziele und Realität deutscher Ostern Politik, Der Erste Weltkrieg, (١٩١) Hg. Von Wolfgang Michalik, Muenchen 1944.

تظر : مارتين كروجر . أهداف ودوافع السياسة الألمانية في الشرق في الحرب العالمية الأولى . من ١٩١٥ ومابعدها .

Ebenda, I. 365985, S. 118.

مذكرة بدون رقم بتاريخ ١٥ يناير ١٩١٥ من مانسبان إلى هيئة الأركان الألمانية .

(٧١) المصدر السابق .

(٧٢)

برقية عاجلة بدون رقم بتاريخ ٢١ يناير ١٩١٥ من برلين إلى برلين . وتحتوي هذه البرقية على نص مشروع المعاهدة المذكورة .

Ebenda, A. 2642, S. 115.

برقية رقم ٨٠ بتاريخ ٢١ يناير ١٩١٥ من برلين إلى برلين .

(٧٤) قام صاحب هذه الدراسة بوضع حدود مشروع الدولة النورية في هذا الشكل في ضوء ما جاء

بالقيد الثالث من مشروع المعاهدة التي صاغها مانسان .

(٧٥)

برقية رقم ١١٧ بتاريخ ٢٨ يناير ١٩١٥ من برلين إلى برلين .

(٧٦)

برقية رقم ١٣٩ بتاريخ ٢٩ يناير ١٩١٥ من برلين إلى برلين .

(٧٧)

برقية رقم ١٤٢ بتاريخ ١ فبراير ١٩١٥ من برلين إلى برلين .

(٧٨)

برقية رقم ٢٠٥ بتاريخ ١٣ فبراير ١٩١٥ من برلين إلى برلين .

(٧٩)

برقية رقم ١٩٩ بتاريخ ١٣ فبراير ١٩١٥ من برلين إلى برلين .

- A. A. R. 21126, A. 33263, S. 32 - 33. (١-٢)
 تقرير رقم ٧٤ بتاريخ ٢٤ نوفمبر ١٩١٤ من أونتيم إلى وكيل الخارجية الألمانية.
 Eberda, A. 33830, S. 60-61. (١-٣)
 تقرير رقم ٢٩١ بتاريخ ٣٠ نوفمبر ١٩١١ من نيتيم إلى المستشار الألماني.
 Eberda, A. 34468, S. 106. (١-٤)
 برقية رقم ١٥٩١ بتاريخ ١٢ ديسمبر ١٩١٤ من نيتيم إلى برلين. وقد اعترض نيتيم في برقية
 هذه على السماح لبرونو بالتمركز دون قيود بين العرب، كما اعترض على العلاقة المباشرة بين برونو
 وأونتيم.
 A. A. R. 21126, A. 32110, S. 151. (١-٥)
 تقرير بتاريخ ٢ مارس ١٩١٥ من أونتيم إلى وفد خارجية ألمانيا.
 A. A. R. 21129, A. 7805, S. 63. (١-٦)
 تقرير بتاريخ ٢ مارس ١٩١٥ من أونتيم إلى وفد خارجية ألمانيا.
 A. A. R. 21130, A. 9005, S. 2-8. (١-٧)
 مذكرة بتاريخ ١١ مارس ١٩١٥ من أونتيم إلى وكيل الخارجية الألمانية، وقد جعل تسمرتان يخط يده
 على هامش هذا التقرير موافقة على مشروع أونتيم، ونصحه سلطة الاتصال بالترتيب حثيثاً.
 Eberda, A. 12201, S. 191 - 192. (١-٨)
 برقية رقم ٢٩٠ بتاريخ ١٢ أبريل ١٩١٥ من نيتيم إلى برلين.
 A. A. R. 21123, A. 14495, S. 6. (١-٩)
 برقية رقم ٩٨٨ بتاريخ ٢٧ أبريل ١٩١٥ من نيتيم إلى برلين.
 A. A. R. 21133, A. 18460, S. 90-105. (١-١٠)
 تقرير مطول بتاريخ ٢٢ مايو ١٩١٥ من نيتيم إلى الخارجية الألمانية.
 (١١١) المصدر السابق من ٨٧، وهي وثيقة تحمل رأي نيتيم ومرفقة بتقرير أونتيم.
 (١١٢) المصدر السابق من ٩٧.
 (١١٣) المصدر السابق من ٩٨-٩٩.
 (١١٤) المصدر السابق من ١٠١.
 (١١٥) المصدر السابق من ١٠٢.

- A. A. R. 21133, A. 17128, S. 84. (١١)
 برقية رقم ٦٥١ بتاريخ ٢٦ مايو ١٩١٥ من نيتيم ألمانيا إلى برلين.
 (١١٢) المصدر السابق.
 (١١٣) A. A. R. 21134, A. 18571, S. 8.
 مذكرة رقم ١٩٤٧ بتاريخ ١١ يونيو ١٩١٥ من هيئة الأركان الألمانية إلى الخارجية الألمانية.
 Eberda, A. 20367, S. 95. (١١٤)
 برقية رقم ٨٢٨ بتاريخ ٢٨ يوليو ١٩١٥ من نيتيم ألمانيا إلى برلين.
 (١١٥) Das Auswärtige Amt Weidberg R 21123, Dec. A 19592, S. 49.
 أوشيف وزارة الخارجية الألمانية، برقية رقم ٦٥٠ بتاريخ ٣٠ أغسطس من نيتيم إلى برلين.
 A. A. R. 21124, A. 21910, S. 58. (١١٦)
 تقرير بتاريخ ١٤ سبتمبر ١٩١٤ من أونتيم إلى الخارجية الألمانية.
 (١١٧) المصدر السابق.
 لأسباب غامضة، تصرد حبيب أورتان أونتيم الخاصة في الأرشيف الألماني عن الباحثين حتى عام ٢٠٠٥
 وكانت مقترحات وآراء، ذلك الرجل تلقى أذناً صاغية في وزارة الخارجية الألمانية، وهي الوزارة التي كانت
 ترسم سياسة ألمانيا تجاه العرب والمسلمة العثمانية في هذه الفترة. اختفى أونتيم إلى الأسرة اليهودية
 الألمانية المشهورة بامتلاكها لعدد من هواتف المال في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وأوائل القرن
 العشرين.
 (١١٨) A. A. R. 21125, A. 26829, S. 26.
 برقية رقم ٢٩٧ بتاريخ ٢٦ أكتوبر ١٩١٤ من باجوف إلى استبول.
 Eberda, A. 27782, S. 27. (١١٩)
 برقية رقم ١٠٨٤ بتاريخ ٢٢ أكتوبر ١٩١٤ من نيتيم إلى الخارجية الألمانية.
 Eberda, A. 30868, S. 103. (١٠٠)
 برقية رقم ٣٨٠ بتاريخ ١٤ نوفمبر ١٩١٤ من باجوف إلى استبول.
 Eberda, A. 32559, S. 154. (١٠١)
 تقرير بتاريخ ٣ نوفمبر ١٩١٤ من برونو إلى برلين.

حصلت على امتيازها الأصلي سنة ١٩٣٣م ويستمر حتى ١٩٩٩م بينما حصلت الشركة على بقية الساحة سنة ١٩٣٩م ، ويستمر هو الآخر حتى سنة ١٩٩٩م ؛ وتمكنت الشركة من اكتشاف احتياطي بترولي يقدر بـ ٧٥ مليون برميل في ثلاثة مواقع فقط حتى أوائل سنة ١٩٤١م أنفقت الشركة فيها ما يقرب من ٢٧٥٠ مليون دولار .

وقامت الشركة في خلال الفترة السابقة (١٩٣٣م-١٩٤١م) بتقديم مبالغ نقدية تقدر بـ ٦٠٠ مليون دولار للسعودية من حساب النسبة المخصصة لها على إنتاج البترول مقدماً .

٣- في الوقت نفسه حاولت السلطات الأمريكية بتفريغها من الحكومة السعودية إبعاد شبح الألمان واليابانيين الذين كانوا قد تقدموا بعروض بترولية سخية للسلطان عبد العزيز ولكنه رفض عروضهم .^(١٥)

أثر الحرب العالمية الثانية على الهزاتة السعودية :

عندما اشتعلت نيران الحرب العالمية الثانية بين الحلفاء والمحور عانت المملكة العربية السعودية من وطأة انحصار البحري الذي تفرضه الحرب على مناطق عديدة للسلكة ، فيها مصالغ ومعاملات عديدة ، ولاسيما ما يتعلق منها بالمخج ، واستيراد البضائع ، والاحتياجات الضرورية لها . وغير ذلك من المصالح التي توقفت بشكل مؤثر أمام الهزاتة السعودية ، وأثر بالحالة المالية العامة لها مع نقص حاد في الموارد الضرورية للاستهلاك اليومي ولاسيما في الأدوية ومستلزماتها وكذلك المواد المساعدة . وكان ذلك في الوقت الذي كانت المملكة تعاني من مشاكل أخرى خاصة بالنقل الداخلي ، وقلة الطرق المعبدة ومشاكل العملة وغير ذلك من المشاكل التي تتعلق بالجانب المالي .

وقد زاد الأمر سوءاً في سنة ١٩٤٣م بسبب قيام حكومة الهند بتعجيز الهنود - للمعام الناس على التوالي - من السفر إلى مكة بحجة أن الطريق غير آمن ، بعد فقدان سفينة حجاج هندية في المنطقة الواقعة بين المراتن الهندية والبحر الأحمر (المحيط الهندي) ، إضافة إلى تعذر وصول بعض حجاج الدول الإسلامية الأخرى نظراً لظروف الحرب^(١٦) .

وقد زاد من الآثار السلبية على الاقتصاد السعودي ما حدث من إعاقه تصدير البترول إلى العالم الخارجي ، وبالتالي ضعف استخراج وتسيقة . فقل العائد منه الذي كانت تعتمد عليه الخزنة السعودية في وقت زادت التزاماتها كثيراً عن السابق ، خاصة بعد استخدام السيارات في النقل ، وزادت معها مستزلياته في سموه تجاء شعبه . وأرضه المتروامية الأطراف .

وقد أخذت العلاقات البريطانية السعودية تتحسن ببطء واتزان عند نشوب الحرب العالمية الأولى ، إذ أرسلت بريطانيا معتمدا في الخليج (شكسبير) سنة ١٩١٣م للسمي نحو إقليم اتفاقية مع الملك عبد العزيز مما أدى إلى عقد المعاهدة السعودية البريطانية سنة ١٩١٥م وهي المعاهدة التي سميت بمعاهدة دارين (معاهدة القطيف - أو معاهدة العقير) وقعتها مع الملك عبد العزيز القيم البريطاني في الخليج السير برسي كوكس^(١٧) .

وهكذا صارت بريطانيا من أوائل الدول التي أفاضت علاقات سياسية رسمية مع السعوديين^(١٨) فعقدت بجنبة في ٢٠ من مايو سنة ١٩٢٧م معاهدة تجارة حجازية اعترف فيها للإنجليزية بعهد العزيز كملك سعودي على كل من نجد والحجاز مجتمعين ، وهنا تجدر الإشارة إلى أن الملك عبد العزيز كان قد اتخذ هذا اللقب في ٨ من يناير سنة ١٩٢٦م أي بعد أيام قليلة من بسط نفوذه على الحجاز^(١٩) .

وعندما اشتعلت معارك الحرب العالمية الثانية كان هناك اعتقاد من بعض القبادات البريطانية خاصة من الموظفين الرسميين في المنطقة العربية بأن الملك عبد العزيز كان يميل ناحية الألمان وأنه قد يدخل الحرب ضد بريطانيا ، في الوقت الذي كان البعض الآخر يرى أن سلطان الملك عبد العزيز تجاه الحرب سلوك حيادي ، وأنه لاينوي التورط فيها^(٢٠) وهذا الرأي الأخير هو الأصوب في اعتقادنا .

وفي تلك الحلقه من حلقات التاريخ كان الأمريكان يسطرون أسباب الورد لتناقص الإنجليز في علاقاتهم بابين سموه أو مزاحمتهم في هذا المجال . ولما الأمريكان في هذا الصدد إلى عدة وسائل :

- ١- محاولة الأمريكان استغلال غضب ابن سموه ؛ ومعه الشعوب العربية والإسلامية على إنجلترا لمساندتها لليهود الصهاينة في فلسطين منذ وعد بلفور سنة ١٩١٧م .
 - ٢- استغلال الامتيازات الأمريكية الواسعة التي حصلت عليها الشركات الأمريكية للتغيب عن البترول ؛ وما تقدمه هذه الشركات من عوائد وقروض ؛ وتوظيف العمالة في المملكة .
- وكانت شركة كاليفورنيا للبترول تمتلك امتياز بغطى مساحة ١٦٢ مليون فدان تقريبا تشمل كل الأماكن السعودية المحتمل وجود البترول فيها حيثنة ؛ وهي مساحة كبيرة جدا

أما الانتاج المطبق فقد فشل في البيترول الذي كانت تحثركه شركة كاليفورنيا الأمريكية ، واستخراج الذهب الذي كانت تقوم بعملية استخراجة نقابة التعدين السعوديين (التي أشرفنا إليها من قبل) .

أما عن عوائد الحج فعلى الرغم من أنها كانت تسد جانباً في الميزانية السعودية إلا أنها تأثرت سلباً منذ نشوب الحرب العالمية الثانية ، حتى أن عملية توفير الغذاء ، والاحتياجات الضرورية بما فيها وسائل النقل للجماع باتت شاقة ١٨١ الأمر الذي جعل الملك عبد العزيز في حج سنة ١٩٤٣م يأمر بوضع كل السيارات المخصصة لانتقالاته ، وكذلك السيارات المخصصة للانتقالات العاطلة المالكة ، وبالإضافة إلى السيارات التي يستخدمها موظفو الحكومة جميعها في خدمة الحج والحجاج .

وهذا يعني على ما وصلت إليه الأوضاع من تعقيد مالي في عامي ١٩٤٢ ، ١٩٤٣م ١٩١) ، فضلاً عن أن ميزانية سنة ١٩٤١م خلفت عجزاً كبيراً بلغ حوالي ٩ ملايين دولار ، وتم تغطية هذا العجز من خلال القروض التي حصلت عليها المملكة من الخارج (بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية) .

ومن المعروف عن الملك عبد العزيز أنه يميل على الكرم مع شعبه (كما تحدثنا الوثائق الأمريكية) ، ولذلك كانت هناك أعباء مالية تأتي نتيجة قيامه بتوزيع إعانات كبيرة على مساحة غربية من الناس لتأثرهم أيضاً بالمشاكل المالية الناجمة عن الحرب .

التنافس الأهمير الأمريكي في المملكة العربية السعودية :

والنظرة المنفصلة الأخرى إلى ميزانية سنة ١٩٤٢م وهو العام السابق على العام الذي نحن بصدده دوت ، نلاحظ فيها أن الدخل العام بلغ أربعة ملايين جنيه استرليني . أما الميزانية السعودية في ذلك العام فقد كانت ١٥١ مليون دولاراً ، بدون تغطية للسعر المالي الناتج من العام السابق (١٩٤١م) .

ولذلك فقد عمدت شركة البيترول وهي أمريكية كما أشرنا إلى دفع إحصائي مرتبات المواطنين في الحكومة السعودية بما يوازي ثلاثة ملايين دولار تقريباً . وقدمت الشركة في الوقت نفسه بالاستثمار في تغطية احتياجات الحكومة السعودية من ناتج مبيعات البيترول .

وكان من بين المصالح السعودية التي عرفتها الحرب العالمية الثانية عملية التعدين واستخراج الذهب الذي كانت تقوم به نقابة التعدين السعودية ، وهي شركة تضامن بريطانية وسيطر الأمريكيان على بعض جوانبها . أضف إلى ذلك انخفاض عوائد الجمارك التي كانت تسد جانباً من جوانب الميزانية السعودية . وقد انخفضت تلك العوائد الجمركية انخفاضاً ملحوظاً بعد ضعف عملية الاستيراد وإرتباك حركة التجارة وقلة عدد الحجاج القاصدين مكة والمدينة .

ولذلك اضطر الملك عبد العزيز إلى الاقتراض من الحكومة الإنجليزية ، فحصل منها على مبلغ مليون جنيه في سنة ١٩٤١م وثلاثة ملايين جنيه في عام ١٩٤٢م .

وهكذا أصبح الموقف السعودي المالي في سنة ١٩٤٢م كالآتي :

قروض بريطانية قدرها ٢٠٠٠٠٠٠٠ جنيه استرليني

قروض من شركة البيترول قدرها ٧٥٠٠٠٠٠٠ جنيه استرليني

موارد محلية (جمارك وخلافة) ٢٥٠٠٠٠٠٠ جنيه استرليني ١٧١

ويلاحظ على الموقف المالي ضعف نية ما يتحصل عليه من الموارد المحلية مقارنة بغيرها ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن القروض التي تم دفعها في عام ١٩٤٢م من جانب شركة البيترول تعد متواضعة للغاية ، ولاسيما أن ظروف المملكة كانت محتاج إلى الكثير في زمن الحرب ، حيث تأثرت بها من جوانب عدة ، في الوقت الذي حققت الشركة مكاسب ضخمة في وقت الحرب .

واللافت من خلال الوثائق الأمريكية المديدة أن الشركة كانت تتسكن من تصرف مائيد تصريفه من البيترول في الاستخدامات الأمريكية بالمنطقة وما حولها ، فلم تعرف عائداتها من البيترول ، في الوقت الذي تأثرت عوائد المملكة نتيجة توقف مبيعات البيترول للدول الأجنبية ، وتجدر الإشارة إلى أن ضعف الموارد المحلية نتج عن عدم إنتاج المملكة حينئذ لاحتياجات الغذائية باستثناء اللحوم ، كما أنها كانت تستورد أغلب ما تحتاجه من الملابس والبضائع المنصعة ، وتقل الواردات أهمية بالنسبة للمملكة إذ كانت تستورد الأرز ، والقصب ، والدقيق ، والسكر ، والشاي ، والأخشاب ، والأخشاب ، وتأتي أغلب هذه البضائع من الهند ، كما كانت تستورد العملات الذهبية ليكانيكية ، والرايبر ، وما أشبه ذلك ، من الولايات المتحدة الأمريكية .

وكان الأمريكان يخشون من تغير المصالح السياسية الإنجليزية لتسهول إلى مصالح اقتصادية تضر بمصالح الأمريكان .

من أجل ذلك استمر المراقبون الأمريكيون في منطقة الشرق الأوسط يطالبون حكومتهم بالنهاية أكثر بالمصالح الأمريكية في السعودية عن طريق زيادة نصيبها من الدم والمساهمة في حل مشاكل السعودية المالية ، واستغلال الكراهية العربية للانجليز لسطرتهم على العديد من الدول العربية المجاورة ، وخشية السعوديين من امتداد هذه السيطرة والهيمنة الإنجليزية على بلادهم كما حدث مع جيرانهم ، في الوقت الذي كان فيه السعوديون يرفضون بشدة أي شكل من أشكال النفوذ البريطاني على حكومة وتراب بلادهم ، للحفاظ على الاستقلال الكامل لبلد (كما يشير بذلك نص الوثيقة الأمريكية^(١١) .

وليس معنى ذلك أن الأمريكان لم تكن لهم أطماع سياسية ، بل كانت هناك مبررات عديدة تشير إلى تلك الأطماع إلا أنها لم تكن قد ظهرت بعد على مسرح الأحداث ، ولما كانت عبارة عن أفكار قيد البحث والدراسة ، نستطيع تلخيصها في النقاط السرية التي كان المسئولون الأمريكان يترقن بها الرئيس الأمريكي مباشرة أو عن طريق الخارجية الأمريكية ، ونضرب مثلا واحدا على هذا الطرح .

فقد أرسل كبار المسئولين الأمريكان في الشرق الأوسط إلى الرئيس الأمريكي تقريرا سريا للغاية يلمحون فيه بضرورة المحافظة على وجود حكومة سعودية عربية مستقلة وقوية حتى لا تقع ضحبة لعنوان ناتج عن دوران عجلة الحرب في المنطقة ، وضرورة حماية المنشآت البترولية وتثبيتها بغرض إضاعتها إلى احتياطات نصف الكرة الغربي من البترول كمصدر تزويد دولي .

والأهم مما تقدم كانت الرغبة في الحصول على تسهيلات محددة في السعودية العربية لمواصلة الحرب مثل : الحصول على حق إنشاء المطارات العسكرية والمباني الجوية للطائرات العسكرية أثناء طيراتها إلى مسرح العمليات في المحيط الهادي .

لذلك طالب المراقبون الأمريكان في المنطقة ونسبهم بالموافقة على عمل الترتيبات اللازمة لإرسال بعثات عسكرية أمريكية للتدريب على أجواء المنطقة ، وإرسال المعدات اللازمة لذلك مع العناية ببناء طرق استراتيجية ، والحصول على كل التسهيلات المطلوبة لتلك الأعمال وتزويها . ولم يغفل هؤلاء المراقبون عن توضيح بالغ الأهمية للرئيس الأمريكي بأنهم قد حصلوا

أما الدور الإنجليزي فقد نزل في تحمل وتغطية جميع أشكال العجز في الجزائرية . وخصصت الحكومة الإنجليزية لهذا الغرض مبلغا قدره ثلاثة ملايين جنيه استرليني .

وفي المقابل أوفدت الحكومة الإنجليزية أحد وفودها إلى الرياض للاجتماع بالملك عبد العزيز والمسل معه لحل المشاكل المالية التي تعاني منها المملكة بسبب نشوب الحرب وتأثيرها الاقتصادي على ميزانية بلاده .

وكان من المقرر بجانب عرض المشكلة المالية على ساطع البحث أن يقوم الوزير بتأشئة الإجراءات والترتيبات الضرورية التي يهتم بها الحل . لتوفير الحماية العسكرية للسلكة ، واستخدام معتدل لبعض المرافق الاستراتيجية فيها من أجل حماية مصالح الحلفاء . في الشرق الأوسط .

وتشير الوثائق الأمريكية إلى أن الوزير البريطاني بخاصة ، والحلفاء بوجه عام حصلوا على ثقة الملك عبد العزيز وأتهم أطباء إلى تأييده في برامجهم الخاصة بمعالجة المشكلة الاقتصادية أو التي تتعلق منها بالحماية العسكرية

ليس هذا فحسب بل أن الحلفاء ، ولاسيما الأمريكان كانت تشغل بالهم قضية حماية مصالحهم البترولية في الخليج ، حيث أنهم كانوا يعتبرون الاحتياط البترولي الهائل مهم للغاية بالنسبة للمصالح القومية الأمريكية ، الأمر الذي دفع المسئولين الأمريكان في منطقة الشرق الأوسط إلى المطالبة بدور فعال ومزتر تجاه زيادة نفوذ شركة البترول ، والحكومة الأمريكية ، نظرا لما تقوم به الشركة في مجال استخراج البترول وتسويقه ، وتدريب البترول على أعمال مهنية مفيدة ، وتشغيل العمال ، وشكيلة الإسكان حيث شاركوا في إقامة بعض المساكن ، كما شاركوا أيضا في تنظيم العملية الإدارية في بعض النواحي والمصالح المختلفة مثل مشاركتهم في تطوير مصادر المياه وتحسين المرافق الزراعي الموقب^(١٠) .

ما يشمله من عمليات التخطيط الهندسي والإشراف الفني ، واستيراد المعدات اللازمة لهذه الأغراض من الولايات المتحدة الأمريكية .

ومن هنا تتضح الفروق بين المصالح الأمريكية ، والمصالح الإنجليزية في المملكة فقد باتت للمصالح الإنجليزية مصالح سياسية في المقام الأول ، بينما عمدت أمريكا للاضطلاع والاهتمام بالمصالح الاقتصادية والتسوية بما يحقق مصلحة البلدين : السعودية وأمريكا في آن واحد .

وبذلك يصل مجموع ما شاركت به مؤسسة التجارة الإنجليزية ما يساوي ١٩٨٨ و ٩٣٨ رجبها استراليا أي ما يوازي ٢٦٧٥٢ و ٢٨٧٥ ريال سعودي ، حيث أن الجنيه الاسترليني كان يساوي ١٢ ريال سعودي في تلك الفترة ١٩٥٦ .

ويذكر بالذكر أن المبلغ المشار إليه لم يتم دفع الجانب الأكبر منه من جانب العربية السعودية بل تم تسديد جزء بسيط يقدر بـ ٤٦٧٠٠ جنيها فقط ، والباقى عدد دينياً لم يتم سداه في الميزانية وهو مبلغ ١٠٥٢٢ و ٢٢٨ جنيه .

وبالمقارنة إلى ما قامت به مؤسسة التجارة الإنجليزية بتهورها من المؤسسات والجهات الأخرى للاعتماد على الأولى تفوق مجموع ما قامت به غيرها مجتمعة ، ويمكن تفصيل ذلك على الوجه التالي (١٦٦) :

تانيا : المؤسسات الأخرى ؛

قامت مؤسسات وجهات أخرى غير مؤسسة التجارة الإنجليزية بتوفير وتزويد مواد غذائية وأدوية وملابس ، بينها كالتالي :

- ١- كان نصيب مؤسسة جلالتي وهانكي عبارة عن بضائع بالتجزئة بلغت قيمتها ٣٧٠٠٠ ريال سعودي أي ٢٨٠٠٠ جنيه استرليني .
- ٢- كان نصيب مؤسسة جرائي ماكنتوي تزويد سكر بقيمة ٦٦٠٠٠ ريال سعودي أي ٤٩٥٠٠ جنيه استرليني .
- ٣- بلغ ما قام بإحضاره تجار جدة ما قيمته ٦٠٠٠٠ ريال أي ٤٠٣٠٠ جنيه استرليني .
- ٤- كان نصيب تجار الخليج العربي توفير ما قيمته ٦٠٠٠٠ ريال سعودي أي ١٠٨٧٥٠ جنيه استرليني بالإضافة إلى بلغ من البصرة يبلغ ٦٠ ألف جنيه استرليني .
- ٥- وهناك مشتريات محلية متنوعة بلغت حوالي ٢٢٢٠٠ ريال سعودي .
- فيكون مجموع ما تقدم من غير مؤسسة التجارة ١٧٧٥٩ و ٨٥٠ ريال سعودي .
- وبمخاللة المواد الغذائية والأدوية والملابس التي أُنزِلت إليها هناك مشتريات أخرى مختلفة من مؤسسة جلالتي وهانكي عبارة عن فحم وقطع غيار ومكثفات ، وسجاد ، وخيام ، وزيتون ومشتريات أخرى بلغت إجمالها ٢٨١٧٥٠ جنيه استرليني أي ٧٧٢٧٥٠ ريال سعودي

على موافقة وزيرى الحرب والبحرية لشكله المقترحات التي تقدموا بها (١٦٧) .

الميزانية السعودية لعام ١٩٤٣ م :
أولا : هو مؤسسة التجارة الإنجليزية

من الملاحظ على الميزانية السعودية لعام ١٩٤٣ م حرص المؤسسة التجارية الإنجليزية على توفير الجزء الأكبر من الموارد والبضائع المختلفة بل والتناقصه مع بعضها البعض ، كما أن موارد غذائية وإطارات داخلية وخارجية ، وهذا الصنف الأخير (الإطارات) كان يشابة مشكلة المشاكل التي تحدث عنها الوثائق الأمريكية كثيرا . ولاسببا كلبية تزويدنا وأمداد العربية السعودية بها .

وعلى الرغم من أن الوثائق لم تشر من قريب أو بعيد إلى عمر وتسمية مؤسسة التجارة هذه ، هل هي تقوم بأعمالها ونشاطها الفعلي من لندن أم من الهند ، إلا أن هناك تأكيدات عديدة بأن البضائع والمواد وخلافاً التي كانت بريطانيا قد بها السعودية أتى أغلبها من الهند ، وذلك في معرض الحديث عن صحرة إبعاد الولايات المتحدة للسعودية بذلك البضائع من أمريكا نفسها . ولذلك أرجح أن يكون نشاط هذه المؤسسة الإنجليزية يتركز في الهند ، وبذلك يسهل النقل ، والاتصال عن طريق المحيط الهندي ، والبحر الأحمر إلى دول منطقة الشرق الأوسط .

وبالنسبة لإمدادات مؤسسة التجارة وتنوع مشاركتها ، فقد لاحظنا كثرة هذا التنوع ، وارتفاع قيمة مشاركتها فيه ، حيث قامت الشركة بتوفير مواد غذائية اعتباراً من أول يناير سنة ١٩٤٣ لمنطقة غرب السعودية (١٦٦) عبارة عن : قمح ، دقيق ، أرز ، وصكر ، وفهوه ، وشاي ، وجب الهيل ، وجب الدخن ، يا يساري قيمته ٤٣٠٠٠ ريال جنيها استراليا .

وعن الفترة نفسها ابتداء من يناير سنة ١٩٤٣ وللمنطقة ذاتها (غرب السعودية) قامت مؤسسة التجارة الإنجليزية بتوفير ٤٥١٢٠٠ إطاراً خارجياً ، ٤٤٥٩٠٠ إطاراً داخلياً ، بالإضافة إلى ٥٠ طن علب (كسب) و ٥٠ طن قضبان صلب قابلة للتشكيل والسحب ما قيمته ١٠٠٤٥٧٠ جنيها استراليا .

وبعيداً من أول مايو سنة ١٩٤٣ قامت مؤسسة التجارة بتوفير جانب آخر من المواد الغذائية لشرق السعودية (١٦٦) تمثل في التسح والدقيق والقهوة وجب الهيل يوازي ٥٦٦٣٢٥٠ جنيها استراليا .

القضائية والأدوية والملابس سوا - ما جاء عن طريق مؤسسة التجارة الإنجليزية أو عن طريق غيرها فوجدنا أن أثمانها بلغت أكثر من أربعة وأربعين مليوناً ونصف المليون من الريالات (١٢٧٧٥ و١٤٤٥) بينما كان ماتم بيعه بالفعل في الأسواق التجارية السعودية لم يتعد ثلثه القضاية ملايين ريال سعودي (٧٧٠٠٠٠٠) .

معنى ذلك أن القرن بين ما حصلت عليه المملكة ، وما تم بيعه بمقارب السنة والثلاثين مليوناً من الريالات (١٢٧٧٥ و٣٥٨١٢) وهذا المبلغ الضخم أثر الملك عبد العزيز أن يقوم بتوزيعه على الأهالي في صورة المواد الغذائية التي تم الحصول عليها من جهات شتى ، لتكون مكرمة ملكية حرص عليها الملك عبد العزيز طوال حياته . ولولا هذه المنفعة الملكية المجانية لحقت الميزانية السعودية فانفضا ما لبثا يزيد عن الخمسة ملايين ونصف المليون من الريالات السعودية (١٨٠٥٥٦٧٦٠) .

القانية : وهي الملاحظة السباسبية للجديرة بالاهتمام التي أثارها الوزير الأمريكي القروض في جدة في تقريره المطول إلى وزير الخارجية الأمريكية . هي أن الوزير القروض أوضح أن من بين أسباب الاهتمام البريطاني بالسعودية العربية الإبقاء على النظام والاستقرار في الدول العربية ، وتحقيق المصلحة العامة لأهالي هذه الدول المسلمين ، وهي المصلحة المستمدة من الصيانة المفتوحة بين إنجلترا وبين الحاكم المسلم (عبد العزيز آل سعود) وهذه النية التي تمتع بها بريطانيا من خلال صداقتها هذه تمنع ثمنها وتحصل على مقابلها بالفعل في الجانب السياسي وإلى هنا نجد تماثلاً بين ما تحققه بريطانيا من مكاسب سياسية وما تحصل عليه السعودية في مقابل ذلك من مكاسب مالية فقلت في تلك الأوقات التي أشرنا لها في الميزانية السعودية ، ولكن الذي كان يخشاه ويتحجب منه الوزير الأمريكي هو ما تقوم به الحكومة الإنجليزية من جعل هذه الأموال كما لو كانت قروضاً (مقايضات) بريطانية للسعودية تزيد في المستقبل . ونقوم الإنجليزية بأخذ الإقرارات عليها باستمرار ، وربما أيضا يحصلون على كيبالات من جانب السعوديين على تلك المبالغ .

وكان أشد ما يخشاه الوزير الأمريكي (وهو يحاول ترواثة المستقبل) بأنه يعتقد بأن بريطانيا ستقوم في وقت ما في المستقبل بنسيان كل حقيقته من مكاسب سياسية في مقابل ما نأفده من أموال ، وتطالب السعوديين بدفع قسمة هذه الكيبالات والإقرارات التي سبق أن وقدها المستولون السعوديون بحجة حماية دافعي الضرائب البريطانيين . ويستطرد الوزير

إجمالي دخل المملكة لسنة ١٩٤٣ م . ٧٦٤٦١٠٠٠ ريال سعودي .
وبالمقارنة بين المصاريف الفعلية . والدخل الفعلي يتضح عجز مالي قدره ٢٠٢٤٥٧٦٥ ريال سعودي .

وتوضيح أكثر نستطيع وضع ملخص هام لميزانية المملكة العربية السعودية لسنة ١٩٤٣ م .
ملخص ميزانية سنة ١٩٤٣ م
نققات فعلية ١٠٦٠٧٦٥٥٧٦٥ ريال سعودي
الدخل الفعلي ٧٦٤٦١٠٠٠ ريال سعودي
إجمالي العجز ٣٠٢٤٥٧٦٥ ريال سعودي

ظافساً : توضيح العجز :
شمل العجز في الميزانية السعودية في ذلك العام مستحقات واثب شهدين ، والمبالغ الخاصة بالمؤسسة التجارية الإنجليزية التي لم يتم دفع الجزء الأكبر منها ، والمبالغ الخاصة بالمطوفين وشركة السيارات ، والأخيرة الخاصة بالمطوفين وشركة السيارات) تم تدبير مبالغها عن طريق قروض وتضخح للعجز كما يلي :

مستحقات مرتبات شهرين ٧٥٠٠٠٠٠ ريال سعودي
الزومل دفعه لمؤسسة التجارة الإنجليزية ٢٠٢٤٥٧٦٥ ريال سعودي .
مبالغ المطوفين وشركة المواصلات التي دفعت لهم بتقروض ٢٠٠٠٠٠٠ ريال سعودي .
إجمالي العجز ٢٠٢٤٥٧٦٥ ريال سعودي (١٧٦) .
سافساً : ملاحظتان هامتان :

وهي في الحقيقة جذيرتان يابرازهما .
الأولى : اجتماعية إنسانية .
والأخرى : سياسية غاية في الخطورة تتعلق بالمعاملات الدولية من جانب الدول الاقتصادية وأطرافها .
الأولى : وهي الملاحظة الاجتماعية الإنسانية التي تحمل بين طياتها معاني سامية ، إذ يلاحظها الباحث بين ثنايا الميزانية . وقد قلنا بجمع بيانات عما تم الحصول عليه من المواد

الهوامش

- (١) د. حجب بنهر الحارثي - تاريخ كل العرب الحديث والحاضر مشرقاً ومغرباً - دار البشير - ط ١ القاهرة - سنة ١٩٩٨م - ص ١٤٠، ١٤٤.
- (٢) فتاوى حمزة - البلاد العربية السعودية - مكتبة النصر ط ٢ - الرياض ١٩٦٨ - ص ١٣٤.
- (٣) وثائق الخارجية الأمريكية F890 D. 001-No 6 Aden - 7 November, 1927.
- (٤) وثائق الخارجية الأمريكية FW 890 F. 796/3. 25. September, 1940.
- (٥) وثائق الخارجية الأمريكية . 890 F. 5148-172 from Moffat and Wallace Murray to the president - the white House Washington - April 16, 1941.
- (٦) وثائق الخارجية الأمريكية . 890 F. 0485. No. 21 Jekka Subject : 1943 Pilgrimage to Mecca - August. 17, 1943.
- (٧) وثائق الخارجية الأمريكية . 890 F. 51/51 - April. 3, 1943.
- (٨) وثائق الخارجية الأمريكية 890 F - Enclosure No. 1 - to dispatch No. 4 - February. 26 - 1942 - Cairo - from the American Legation .
- (٩) وثائق الخارجية الأمريكية . 890 F-404/30. Washington Telegram Received, october, 7, 1943 .
- (١٠) بلغ اهتمام الأمريكان بالشروعات الزراعية بالسلطنة أن أصبح هذا الأمر محل اهتمام وحناءة الرئيس الأمريكي روزفلت شخصياً الذي أمر بإيفاد بعثة زراعية إلى البلاد السعودية ، وأمر كذلك بتحويل بقائها من البند الخاص بإسراء الطيارين المخصصة للرئيس الأمريكي آنظر :
- وثائق الخارجية الأمريكية 890 F. 61A 75 - Cairo No. 776 from k.s.t via cined to Abdul Aziz Ibn Azzah, in Dec. 29, 1942 Saud King of Saudi.

الأمريكي "معلماً" من أن الموقف السعودي (الملك عبد العزيز أو أحد خلفائه) حيثنفذ لن يتعدى أحد طرفين أولها ، رفض مطالب إنجلترا والدخول معها في مشاكل سياسية وغيرها، وحيثنفذ تقوم بريطانيا بإظهار الصكوك التي أخذتها على السعوديين ، والطريق الثاني أوهو الذي يخشا، الرغزير أكثر) : أن يقوم السعوديون بالتضحية بالمصالح البترولية الأمريكية لصالح بريطانيا وفقاً لملك الديون المجموعه .

لذلك اقترح الوزير المفوض أن تقوم حكومة الولايات المتحدة بالعمل على تقوية علاقاتها ونشاطها مع السعوديين ، ولاسيما أن هناك أسباباً عديدة تجعل الملك عبد العزيز يفضل التعامل والتعاون مع الأمريكان أكثر من تعامله مع البريطانيين وأهم هذه الأسباب :

١- أن الملك عبد العزيز يرفض التطين العسلي للسياسة البريطانية في فلسطين .

٢- بعض وكرة الملك عبد العزيز للأسلوب الذي اتبعه الإنجليز كد تقوؤهم إلى الأراضي العربية المناخه للسعودية في : فلسطين - الأردن - العراق - الكويت - إيران - البحرين - عمان - الساحل للمهادن (الإمارات العربية) - عمان - عدن - الأراضي الصومالية - جيبوتي - ارتيريا - السودان - مصر - الأمر الذي يمثل بالنسبة لابن سعود تحذيراً من خطورة السياسة البريطانية في المنطقة .

ويستدل الوزير أيضا على صدق دعواه بتفضيل ابن سعود للأمريكان على الإنجليز ، بأصرار الملك عبد العزيز على وجود فكرة في امتياز البترول المنفوح لشركة كاليفورنيا العربية للبترول تنص على عدم السماح للبريطانيين بالمحصولة على وظائف بالشركة في داخل العربية السعودية .

وقد لاحظت في العديد من الوثائق الأمريكية (بما فيها الوثيقة التي بين أيدينا الآن) إلحاح الدبلوماسيين الأمريكان في منطقة الشرق الأوسط على ضرورة مشاركة الأمريكان في كل اللجان التي تضعها إنجلترا مع السعودية ، مثل اللجان الخاصة بتداول العملة وتنظيم التعامل النقدي وإنشاء بنك مركزي للسلطنة ، لأن السيطرة البريطانية على النقد السعودي ستخلق نوعاً من الضغط على المصالح الأمريكية والشركات وغير ذلك من الأمور العديدة (١١)

المصادر والمراجع

وثائق وزارة الخارجية الأمريكية :

- Documents Of U.S.A. Department Of State .
 1- 890 F- B No 6 A Dem. - 7 November - 1927 .
 2- F. W. 890 F. 890 F. 796/3 - 25, September- 1940 .
 3- 890 F- 51/48 The White House Washington - April 19, 1941 .
 4- 890 F- 104/85 - No. 21 JIDDA - August. 17, 1943 .
 5- 890 F- 51/51 April. 3, 1943 .
 6- 890 F- Enclsour No. I. To dispatch No. 4 February 26- 1942 Cairo.
 7- 890 F - 404/30. Washington Telegram October 7- 1943 .
 8- 890 F. 61 A/75 - Cairn No. 776 - in Dec 29, 1942 .
 9- 890 F- 51/56- N. 91. Judda. January - 12 - 1944 .

ثانياً :

- ١- د / سعد بن عبد الحلواتي - تاريخ كل العرب الحديث والمعاصر مشرق ومغرب - دار
 البشير - ط١ - القاهرة - ١٩٦٨ م .
 ١١- خزائن حمزة - البلاد العربية السعودية - مكتبة النصر - ط٢ - الرياض - ١٩٦٨ م .

(١١) وثائق الخارجية الأمريكية .

890 F. Enclasure No. 4. To despatch No. 4. Feb 25, 1942 .

(١٢) وهذا معناه وصول الشعنات عن طريق ميناء - جدة على ساحل البحر الأحمر .

(١٣) معناه وصول الشعنات عن طريق ميناء - جدة على ساحل البحر الأحمر .

(١٤) معناه وصول الشعنات وبسلامتها في مراتق المنطقة الشرقية على الخليج العربي .

(١٥) سنة ١٩٤٣ م .

(١٦) وثائق الخارجية الأمريكية .

890 F. 51/56-N. 91. Jidda January, 12, 1944- Budget of Saudi Arabia in 1943 .

I Md No. 91 .
 (١٧)I Md No. 93 .
 (١٨) وثائق الخارجية الأمريكية890 F. 51/5 . 4 in April 3- 1943 .
 (١٩) وثائق الخارجية الأمريكية

القرار : **مجلس أمناء الجامعة الإسلامية**

الموافق على أن يكون موضوع الندوة القادمة : (طرق التجارة العالمية عبر العالم العربي على مر عصور التاريخ) .

الموضوع الثالث : **بمختصر مقر اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة .**

القرار : **مجلس أمناء الجامعة الإسلامية**

١- و عدت أ.د. **ميسرة خليفة الصباح** التوسط لدى المسؤولين في دولة الكويت للتنازل للاتحاد عن مقره بمدينة نصر بالقاهرة حتى يتسنى اتخاذ الإجراءات الخاصة بإضافة طابقين وإتشاء قاعة كبيرة للسنوات والمؤتمرات وقاعات للكتابة .

٢- **تفويض رئيس الاتحاد** وأمين العام وأمين الصندوق الاتصال بالمسؤولين في سفارة الكويت بالقاهرة بخصوص الأمر .

الموضوع الرابع : **العرض المقدم من المركز الثقافي للدراسات بأبو ظبي** لتغطية نفقات طبع بحوث ندوة نوفمبر ١٩٩٩ م .

القرار :

الموافق مع الكناية للمركز المذكور للشكر وتحديد تكلفة الطباعة .

الموضوع الخامس : **شروط العضوية بالنسبة للأعضاء الجدد .**

القرار :

تقتصر عضوية الاتحاد بالنسبة للأعضاء الجدد على الماحلين على درجة الدكتوراه في الدراسات التاريخية ويستثنى من لهم دراسات وبحوث مرموقة في حقل التاريخ من كبار المفكرين .

الموضوع السادس : **مقترح بضم معالي الأستاذ الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي** المستشار بالديوان الملكي بالسلطنة العربية السعودية بعضوية مجلس إدارة الاتحاد .

القرار :

الموافق مع الترحيب بمعاله والقوسية بالكتابة إليه بالموافقة .

الأستاذ الدكتور عبد اللطيف عبد الله بن هيش عضواً

الأستاذ الدكتور أحمد بن صبر الزليمان عضواً

الأستاذ الدكتور محمد مرسى الشيخ عضواً

الأستاذ الدكتور مصطفى محمد رمضان عضواً

واعتمدت عن علم المحضر كل من معالي الأستاذ الدكتور عبد الله بن يوسف الشبل والأستاذ الدكتور سهيل محض زكار والأستاذ الدكتور محمد حسن الميمني والأستاذ الدكتور إبراهيم زهور بن محمود .

بدأ الاجتصاص الأستاذ الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور رئيس اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة باسم الله الرحمن الرحيم . ورحب بالسادة أعضاء مجلس الإدارة وناقش مع حضراتهم حصداً لندوة (العرب وأروبا عبر عصور التاريخ) التي عقدها الاتحاد في الفترة من ١٦-١٨ نوفمبر ١٩٩٩ وما حققته من إنجازات علمية واجتماعية بوصفها المنطلق السنوي لأعضاء اتحاد المؤرخين العرب . ثم شرع المجلس في مناقشة جدول الأعمال على النحو التالي :

الموضوع الأول : **النظر في المصادقة على معضد اجتصاص مجلس إدارة جمعية اتحاد المؤرخين العرب بتاريخ ١٩٩٨/١١/٢٦ .**

القرار :

المصادقة على معضد الاجتماع مع التأكيد على مايلي :
١- الشروع فوراً في إنشاء قاعدة بيانات ومعلومات عن أعضاء الاتحاد تتضمن الاسم والمؤهلات والمهن والمؤلفات والبحوث والمؤتمرات وأعداد برنامج لهذه القاعدة على شكل قرص مليزر CD RUM . وطبع البيانات في كتيب ليكون في متناول أعضاء الاتحاد . والشروع في أن يكون للاتحاد مكان على شبكة الإنترنت .

٢- **حث أعضاء الاتحاد** على إرسال مؤلفاتهم لمكتبة الاتحاد والشروع في إعداد المكتبة لتضم أمهات المصادر التاريخية وأهم الدوريات ودوائر المعارف التي تضم أعضاء الاتحاد والتي تنص بالتاريخ بصفة خاصة .

الموضوع الثاني : **اختيار موضوع الندوة المقبلة بشيئة الله تعالى في نوفمبر سنة ٢٠٠٠ م .**

كلمة الختام

حضرات الإخوة الزملاء والأخوات الزميلات

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد

والآن باحضرناات الإخوة والأخوات لايسعنا ونحن نختم هذه الندوة سوى أن نحمد الله على هذا التوفيق الذي ما يله توفيق .. نحمد الله عز وجل إذ هدانا للصراط المستقيم حتى حققنا كل ما كنا نرجوه من نجاح لهذا اللقاء على المستويات العلمية والقومية والاجتماعية . لقد طرقت في هذا اللقاء - قضايا ، وتوقفت آراء ، وصححت أحكام ، وقومت أفكار .. وهذا كله استغرق من الوقت واستنفد من الجهد الشئ الكثير ، مما يعبر عن إيمان التورخ العربي برسائله وحرصه على أن يضحى في سبيل الوفاء ، بهمد كان مسئولاً .

ونحن جميعاً نحت مظلة اتحاد المؤرخين العرب لاندعى الكمال ، فالكمال لله وحده .. وإنما حسبنا أن نطفي قدماً لتحقيق آمال إنزمتنا بها ، والاقتراب بقدر المستطاع من غايات وأهداف وضعناها نصب أعيننا ، وحسبنا أن اتحادنا يؤمن مبدأ الأخذ والعطاء ، كي مسيرته المباركة ، الأخذ بكل ما هو نافع ومنهيد ، والعطاء لكل ما هو مشكور وجديد ، داخل إطار أحكام الدين والخلق القويم .

حضرات الإخوة والأخوات .. الزملاء والزميلات

باسم اتحاد المؤرخين العرب ، نشكر كل من أسهم في إنجاح هذه الندوة ، بفكره وعلمه وقلبه والى لقاء آخر نشارك فيه ما قد يكون قد فاتنا في هذا اللقاء ، لترتفع بالبناء الحضاري ، وعلم التاريخ ، وشرات العرب والعروبة ، درجات ودرجات ، ونحن واقفون بأننا

الموضوع السابع ، مصادر جديدة لتسوير الاتحاد حتى يتسنى تحقيق أهدافه .

القرار :

المراقبة على ما يلي :

١- قبول التبرعات والمخ من الأفراد والؤسسات والهيئات .

٢- تسوير إصدارات الاتحاد الشهرة والتوسية بزيادة أعداد النسخ المطبوعة من هذه الإصدارات .

الموضوع الثامن : العرض التقديم من مركز دراسات الخليج والجزيرة العربية بدولة الكويت لتغطية نفقات طبع عدد من مجلة الاتحاد .

القرار :

الموافقة مع الكتابة لمركز دراسات الخليج والجزيرة العربية للشكر وتحديد تكلفة الطباعة .

وانتهى الاجتماع في تمام الساعة الخامسة والنصف مساءً .

سكرتير أمين عام

اتحاد المؤرخين العرب

أ.د. حسين محمد ربيع

رئيس

اتحاد المؤرخين العرب

أ.د. سعيد عبد الفتاح عاشر

تحت مظلة اتحاد المؤرخين العرب ، قد دون على أن نعشق الكثير مما يعود بالخبر على العروبة وأهلها وتراثها وحضارتها .

وعلى الله قصد السبيل . . .

والقضاء كماله

أدب صحيفي، عهد الانتعاش

شكرا يا صاحبا لهذا العمل الجميل

الذي يخدم القضية العربية العظيمة

والتي هي قضية الإنسان العربي

والتي هي قضية الإنسان الحر

والتي هي قضية الإنسان العاقل

والتي هي قضية الإنسان النزيه

والتي هي قضية الإنسان العاقل

والتي هي قضية الإنسان النزيه

والتي هي قضية الإنسان العاقل

والتي هي قضية الإنسان النزيه

والتي هي قضية الإنسان العاقل

والتي هي قضية الإنسان النزيه

والتي هي قضية الإنسان العاقل

والتي هي قضية الإنسان النزيه

والتي هي قضية الإنسان العاقل

والتي هي قضية الإنسان النزيه

والتي هي قضية الإنسان العاقل

والتي هي قضية الإنسان النزيه

رقم الإيداع ٤٤٤٨ / ٢٠٠٠
الترقيم البرقي ٠١١ - ٥٣٣ - ٥٢٢ - ٩٧٧

دار النشر: مطبعة جازال
٢٠٠١ - ٢٠٠٢